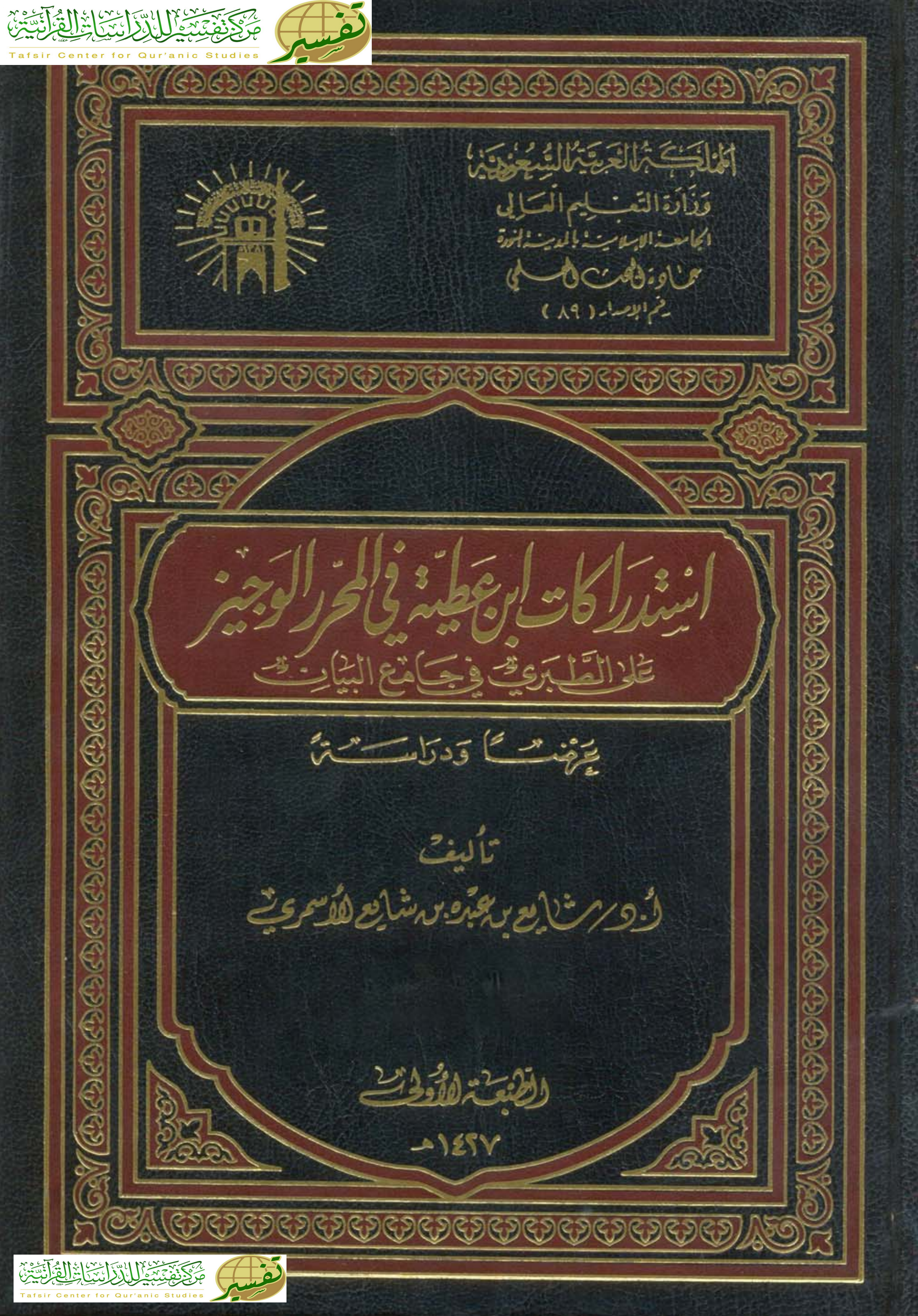


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies
تفسير



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٨٩)



استدراكات ابن عطيّة في المحرّر الوجيز

على الطّبري في جامع البيان

عرضاً ودراسة

تأليف
أ.د/ شايع بن عبده بن شايع الأسمري

المجلّد الأوّل

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ



ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٧هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

الأسمري، شايع بن عبده بن شايع

استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان./ شايع بن عبده بن شايع الأسمري

المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ

ردمك: ٥-٥٦٧-٠٢-٩٩٦٠

١- القرآن – التفسير أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٢٧/٥٣٦٥

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٣٦٥

ردمك: ٥-٥٦٧-٠٢-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي مدير الجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأنّ ذلك هو الذي يوصل إلى السعادة كما قال الرسول ﷺ : "**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**".

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر من الآية: ٢٨].

وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ هو وحي الله إليه بالعلم﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١- ٥]

وقال تعالى يخاطبه:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمّد من الآية: ١٩]

وقال تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ [طه من الآية ١١٤].

وما قامت به الحياة السعيدة في الحياة الدنيا والآخرة إلا بالعلم النافع.

ولهذا كان التعليم هو الهدف الأعظم لمؤسّس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز رحمه الله، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بلغت مسيرة التّعليم مستوى



عالـــياً وازدهـــر التّعلـــيم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعـــة الإســـلاميّة بالمدينة النّبويّة، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى الموسّسات العلميّة والثّقافية، التي تعمل على هدي الشّريعة الإسلاميّة، وتقوم بتنفيذ السّياســـة التّعليمـــيّة بتوفير التّعليم الجامعيّ والدّراسات العليا، والنّهوض بالبحث العلمي والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومـــن هنا، فعمادة البحث العلمي بالجامعة تضطلع بنشر البحوث العلمية، ضـــمن واجباتها، التي تمثل جانباً هامّاً من جوانب رسالة الجامعة ألا وهو النّهوض بالبحث العلمي والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر.

ومن ذلك الكتاب: **[استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان]** تأليف: أ. د/ شايع بن عبدة بن شايع الأسمري.

نفع الله بذلك ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصّالح، وصلّى الله وســـلّم وبـــارك على عبده ورسوله محمَّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

معالي مدير الجامعة الإسلاميّة

د/ صالح بن عبد الله العبود

كلمة شكر

الحمد لله الذي قال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [(١)] والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فالشكر لله وحده ، والفضل لله وحده ، والمنة لله وحده ، بما أولاني من النعم، التي لا تحصى ولا تعد ، كان من بينها أن سلك بي سبيل طلب العلم ، المتعلق بأفضل كتاب أُنزل من السماء إلى الأرض ، وكان توفيقه لي ممدوداً طيلة دراستي النظامية ، التي استمرت خمسة وعشرين عاماً (١٣٩٢هـ - ١٤١٧هـ). فاللهم لك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، ولك الفضل كله ، وكل إنسان أعانني فأنت الذي هيأته وسخرته ، فلك الشكر على ذلك.

وأشكر لوالديَّ اللذين ربياني صغيراً ، واستمرت رعايتهما لي ، وتوجيههما لي حتى بلغت أشدي، فرحمهما الله ، وتجاوز عن ذنوبهما وسيئاتهما ، وأدخلهما جنته بفضله ورحمته .

ثم أشكر أستاذي وشيخي فضيلة الدكتور / محمد بن عمر حوية ، الذي تفضل - مشكوراً - بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، رغم ما عرض له في هذه السنوات من أشغال وأعمال ، كما أحاطني - وفقه الله - بالرعاية التامة ، والتوجيهات السديدة القيمة في كل صغيرة وكبيرة من هذا البحث ، وفتح لي باب مكتبه ، ومنزله ، ورأيت فيه أخلاق العلماء العاملين المخلصين ، فأسأل الله العلي القدير أن يجزيه خير ما جزى

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧.



به أستاذاً عن تلميذه ، وأسأله أن يُمِدّ في عمره على طاعة الله ، وأن ينفع بعلمه المسلمين ، وأن يثبته على الحق حتى يأتيه اليقين .

وأشكر فضيلة الدكتور/ عوض بن محمد العمري ، وكيل كلية القرآن الكريم ، فقد تفضل – مشكوراً – فدلني على هذا الموضوع ، ثم وقف إلى جانبه ، خطة ، وقبولاً ، وإرشاداً وتوجيهاً في أثناء مراحل العمل، فجزاه الله خيراً، ونفع بما علَّم ووجَّه.

وأشكر فضيلة الدكتور/ سليمان بن صالح الخزي، عميد كلية القرآن الكريم ، الذي اطلع على تفصيلات الخطة المعدّة لهذا الموضوع ووافق عليها ، وعلى غيرها من الخطط ، التي عرضت عليه ، في أثناء إشرافه عليَّ، في بداية هذه المرحلة الدراسية ، فجزاه الله خيراً ، ونفع بعلمه وتوجيهاته.

كما أشكر كلاً من الأستاذين الفاضلين ، فضيلة الدكتور/ عبد العزيز ابن محمد عثمان ، وفضيلة الدكتور/ أحمد بن محمد الخراط فقد كانت لهما توجيهات وآراء ، استفدت منها كثيراً أثناء مراجعتي لهما في بعض المسائل، فجزاهما الله خيراً ، ونفع بعلمهما .

وأشكر المسؤولين القائمين على أمر الجامعة الإسلامية ، وفي مقدمتهم معالي الدكتور/ صالح بن عبد الله العبود ، مدير الجامعة ، فقد لمست منهم كل عون وتقدير واهتمام فجزاهم الله خيراً.

كما أشكر كل من قدم لي عوناً يتعلق بهذا البحث ، أيّاً كان هـــذا العون ، صغيراً أو كبيراً.


المقدمة


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

المقــــدّمة

الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، الذي أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولي الألباب . وأودعه العلوم النافعة، والبراهين القاطعة ، وجعله في الطبقة العليا من البيان حتى أعجز الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله ، ويسر حفظه في الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولن يتغير ، على طول الدهور ، وتوالي الأحقاب ، وجعله قولاً فصلاً ، وحكماً عدلاً، وآية بادية ، ومعجزة باقية ، هدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وجعله لهم في دجى الظلم نوراً ساطعاً ، وفي سدف الشبه شهاباً لامعاً ، وفي مضلة المسالك دليلاً هادياً ، من اتبعه فاز وهدي ، ومن حاد عنه ضل وغَوَى.

وصلاة الله وسلامه على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم كلام الله، وجاهد في الله حق الجهاد ، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد ، وعلم ونصح ، وبنى وأوضح ، حتى قامت الحجة ، وتبين الرشد من الغي ، وظهر طريق الحق والصواب وانقشعت ظلمات الشك والارتياب ، ذلك سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، النبي الأمي ، القرشي الهاشمي، المختار من لب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة، فصلى الله عليه وسلم ، ما تعاقبت الليالي والأيام.

ورضي الله عن أصحابه أجمعين ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ، فكانوا خير من وطئ الثرى، بعد الأنبياء ، حملوا القرآن إلينا غضاً طرياً



كما أنزل ، وقدموا أرواحهم في سبيل نشره فبلغوا به ما أراد الله لهذه الأمة أن تبلغ ، كل ذلك في مقدار ربع قرن من الزمان ورزقنا الله حبهم في هذه الحياة ، وجمعنا بهم في دار رحمته وكرامته ، وجعلنا الله ممن قال فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

أما بعد : فإن أشرف العلوم والمعارف وأعلاها قدراً علم كتاب الله تعالى، فكل علوم الإسلام تدور حوله ، وهي مستقاة من معينه ، غير أن علم التفسير هو أقواها علاقة به؛ إذ به يعرف المقصود من كلام رب العالمين ؛ ولذلك تسابق علماء الإسلام في ميدانه الفسيح ، فألّفوا فيه المطولات ، والمختصرات ، وما بين ذلك .

وكان من أبرز هؤلاء العلماء الإمام محمد بن جرير الطبري ، والإمام عبد الحق بن غالب الغرناطي ثم الأندلسي المشهور بابن عطية ، وكان أبو محمد بن عطية متأخراً في الزمن ، عن أبي جعفر الطبري. فاطلع على كتابه ، اطلاع العالم المجتهد ، ونقل منه مواطن كثيرة أقره على بعضها ، وتعقبه في بعضها. وكانت تلك التعقبات والاستدراكات تنبئ عن عارضة قوية ، وقريحة وهّاجة . ففكّرت في عرض تلك الاستدراكات ودراستها–

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٠.



بعد أن نُبهت عليها - وإبرازها لطلبة العلم في كتاب مستقل ؛ لما لذلك من أهمية وفائدة ، يأتي الإفصاح عنهما - إن شاء الله تعالى - عند ذكر أسباب اختيار الموضوع.



١- أسباب اختيار الموضوع

لما مَنَّ الله تعالى عليَّ بالانتهاء من مرحلة «الماجستير» ، كان لزاماً على طالب الدراسات العليا أن يفكّر في موضوع ، يقوم بإعداده لنيل درجة (الدكتوراه) فبحثت هنا وهناك ، وحاولت أن أُقدم شيئاً يفيدني ، ويضيف إلى مكتبة التفسير شيئاً ، ويقنع به المسؤولون في الجامعة ، وكنت أستشير في ذلك أهل الخبرة والاختصاص ، ومنهم فضيلة الدكتور/ عوض بن محمد العمري ، الذي أشار عليَّ بهذا الموضوع ، إلا أنني أدركت أن إخراج هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير ، فآثرت تقديم غيره ، إلا أن ذلك المقدم لم يوافق عليه من بعض المجالس المختصة ، فنويت تقديم هذا الموضوع ، بعد أن اطلعت على بعض جوانبه ، فرأيته أهلاً للدراسة والبحث ، لأسباب منها :

١- هذا الموضوع يتعلق بكتابين في التفسير، يُعدّان أنموذجين في هذا الفن، أحدهما مدرسة يُحتذى على منوالها في بلاد المشرق ، والآخر مدرسة يقتدى بها في بلاد الأندلس والمغرب ، وتقلب الطالب بين منهجي تلك المدرستين ، لا شك أن ذلك سيعود عليه بالنفع والفائدة .

٢- هذا الموضوع يعطي الطالب تمريناً جيداً في جمع الأقوال وسبرها وترجيح الراجح بالدليل والتعليل، وهذا ما تحبذه الجامعات الإسلامية في طلابها .

٣- هذه الاستدراكات التي أبداها القاضي ابن عطية اتسمت بالبحث في قضايا دقيقة، وغامضة، بحثها يضيف إلى مكتبة التفسير وعلوم القرآن شيئاً مفيداً ونافعاً إن شاء الله تعالى.

٤- من يعرف الإمام الطبري ودقة بحثه وتبحره في علوم الإسلام ، ثم يطلع على المحرر الوجيز ويدرك غزارة علم صاحبه وتبحره في علوم العربية وغيرها يتمنى أن يقف على الحقيقة في تلك الاستدراكات ، فجاء هذا البحث لإبراز تلك الأمنية ، وجعلها واقعاً ملموساً.



٢- خطة البحث

رأيت أن هذا البحث يصلح أن يكون في مقدمة ، وقسمين ، وخاتمة، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المقدمة : وتشمل : أسباب اختيار الموضوع ، والخطة ، والمنهج المتبع.

القسم الأول : عن الإمامين الطبري وابن عطية ، وعن تفسيريهما (وفيه ثلاثة فصول):

الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري (وفيه عشرة مباحث):

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ونسبته .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث : رحلاته العلمية.

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس : عقيدته.

المبحث السابع : مذهبه في الفقه.

المبحث الثامن : الأعمال التي قام بها .

المبحث التاسع : مؤلفاته .

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني : ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية (وفيه عشرة مباحث):

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث : رحلاته العلمية .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس : عقيدته .

المبحث السابع : مذهبه في الفقه.

المبحث الثامن : المناصب التي شغلها.

المبحث التاسع : مؤلفاته.

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى.

الفصل الثالث : عقد موازنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز (وفيه عشرة مباحث):

المبحث الأول : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الثالث : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع : الموازنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها.

المبحث الخامس : الموازنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية.

المبحث السادس : الموازنة بينهما في استنباط أحكام القرآن.

المبحث السابع : الموازنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثامن : الموازنة بينهما في الاهتمام بالعقيدة والرد على الفرق المخالفة.

المبحث التاسع : الموازنة بينهما في ذكر أسباب النـــزول.

المبحث العاشر : الموازنة بينهما في ذكر مباحث أورداها من أصول الفقه وعلوم القرآن .

القسم الثاني : استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان – عرضاً ودراسة - (ويجعل هذا القسم على ترتيب سور القرآن الكريم وآياته).

الخاتمة : ويذكر فيها أهم النتائج التي ظهرت للباحث من خلال هذا الموضوع.

٣- المنهج المتبع في البحث

١- ذكرت نبذة مختصرة عن حياة الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

٢- أجريت موازنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز ، أبرزت من خلالها وجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

٣- بحثت عن أفضل النسخ الموجودة لجامع البيان ، والمحرر الوجيز للاعتماد عليها في نقل قول الإمام الطبري ، واستدراك القاضي ابن عطية.

فاعتمدت في «جامع البيان» على النسخة المحقق منها إلى بعض سورة إبراهيم [١]، واعتمدت في الباقي على النسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية ، وإذا أشكل عليّ فيها شيء رجعت إلى النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق وغيرها من النسخ.

أما المحرر الوجيز فاعتمدت على النسخة المحققة في بلاد المغرب ، وذلك من أوّل البحث حتى نهاية سورة الأنعام ، وإذا أشكل عليّ شيء استعنت بما حققه الملاح من المحرر الوجيز[٢] ، وبالنسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية [٣]. ثم استطعت الحصول على النسخة المحققة في دولة قطر

---

(١) حققها العالمان الشيخ أحمد ومحمود شاكر.

(٢) الذي رأيت من أوّل المحرر الوجيز حتى نهاية قوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتّى تنفقوا مما تحبون... ﴾ سورة آل عمران ، الآية : ٩٢.

(٣) حققها / عبد السلام عبد الشافي محمد.



- بعد أن بلغت إلى ما أشرت إليه سابقاً من البحث - ورأيت أنها أمثل من النسخة المغربية فاعتمدت عليها من أوّل سورة الأعراف ، حتى نهاية الاستدراكات ، وما تبين لي فيه خلل رجعت فيه إلى النسخة المغربية وبينت ذلك في الحواشي.

٤- قمت بقراءة المحرر الوجيز ، من أوله إلى نهايته ، ودونت الصفحات التي ورد فيها الاستدراك.

٥- رجعت إلى المواطن التي أشار إليها القاضي ابن عطية من تفسير الإمام الطبري ، وتأكدت من أن ابن عطية يقصدها ثم قمت بنقل قول الإمام الطبري كاملاً ، وما له من أدلة ، و لم أقتصر على إشارة ابن عطية، وصدّرت الاستدراك بقول الإمام الطبري، ثم نسقت عليه باستدراك القاضي ابن عطية ورأيه في المسألة، وما ذكر من أدلة كل ذلك كاملاً؛ ولهذا فالقارئ لن يظفر باستدراك القاضي في أوّل موطن مما نقل من المحرر؛ بل عليه أن يصبر فسيجده في وسط المنقول، وأحياناً في آخره، وقد يجده أحياناً في أوّل المنقول، والسبب في هذا أنني حرصت أن يعرف القارئ اتجاه ابن عطية وأدلته كاملة.

٦- وضعت مسائل الاستدراكات في كل سورة بأرقام منفصلة، بحيث تبدأ المسائل في كل سورة بالرقم (١)، وتنتهي بحسب كثرة الاستدراكات في السورة وقلتها ، وإذا لم يكن في السورة إلا استدراك واحد، لم أضع له رقماً، ووضعت له علامة تميزه هكذا (✪).

٧- الآية ، أو الآيات التي فيها الاستدراك أشرت إلى أرقام آياتها، وسورها في الحاشية .

٨- رتبت هذه الاستدراكات حسب ترتيب سور القرآن، وآياته، دون ذكر الآية، أو السورة التي لم يرد فيهما استدراك.

٩- حرصت على نقل حجة الإمام الطبري - في المسألة المستدركة عليه - وكذلك حجة القاضي ابن عطية ، وذلك من نص كلامهما ، فإن لم يذكرا الدليل ، أو أحدهما ، التمست ما يقوي اتجاه كلٍ منهما ، مما أقف عليه في كتب التفسير، أو رأيت أنه يصلح لهما ، أو لأحدهما دليلاً ، وإن لم يشر إليه أحد.

١٠- إذا ذكر الإمام الطبري ، أو القاضي ابن عطية الأقوال الأخرى، في المسألة الواقع فيها الاستدراك اكتفيت بما قالا ، وإلا نبهت على الأقوال الأخرى ، وهذا في الغالب ، وحسب طبيعة المسألة الواقع فيها الاستدراك ، إذ بعض المسائل المستدركة لا يوجد لها ذكر في كتب التفسير، وليس فيها أقوال ، كأن يقول ابن عطية : أدخل الطبري تحت الترجمة ما لا يدخل ، أو نحو ذلك. وأحياناً قد أرى أن ذكر الأقوال أوعدمه سيّان في بيان المسألة فآثرت الاختصار على التطويل.

١١- حرصت على ذكر آراء العلماء في استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، فرجعت إلى الكتب التي ينقل أصحابها أقوال ابن عطية واستدراكاته ، وقد وجدت لأكثر الاستدراكات ذكراً في تلك



الكتب ، إلا أن أصحابها – في أحايين كثيرة – يكتفون بذكر الاستدراك دون تعقيب عليه.

١٢- أبديت ما أرى أنه الحق في كل استدراك ، مصرحاً في الغالب أن هذا الاستدراك وارد على الإمام الطبري ، أو غير وارد ، وقد أكتفي بترجيح قول الإمام الطبري ، أو مايراه القاضي ابن عطية ، فالقارئ يدرك اتجاه الباحث في كل استدراك ، فلا يخفى عليه.

غير أنه في بعض المسائل المستدركة لم يترجح عندي جانب على جانب ، فاكتفيت ببيان دليل كل من الإمامين ، وآراء العلماء فيما وقع فيه الاستدراك ، وهي مواطن قليلة.

١٣- في بعض المسائل تبين لي أن الصواب في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية، أو أن الأولى في غير قول الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية فبينت ذلك .

١٤- عبارات القاضي ابن عطية التي عقب بها على أقوال الطبري ، منها ما هو صريح في الاستدراك ، ومنها ما ليس بصريح كقول ابن عطية: ((هذا أحسن))، ((هذا أقوى))، ((هذا أجرى مع سياق اللفظ))، ((هذا أولى))، أو نحو ذلك ، فهذه الألفاظ ونحوها فيها نوع من الاستدراك ، ولذلك لم أهملها ، نعم ليست مثل ((فيه نظر)) ، ((هذا خطأ))، ((ليس بصحيح))، إلا أنه لا يمكن خلوّها من الاستدراك.

١٥- نقل القاضي ابن عطية طائفة من الأحاديث والآثار من تفسير الإمام الطبري، وعقّب على بعضها ، فما احتف به قرائن تدل على أن القاضي أراد أن يوجه إلى الطبري اللوم من خلال ذلك التعقيب أدخلته في الاستدراكات ، كأن يعضد الإمام الطبري ما ذهب إليه بحديث، أو أثر، فيأتي القاضي ابن عطية فيرد قول الإمام الطبري ، ويذكر أن الطبري استدل عليه بكذا ، وهذا لا يصح - مثلاً - أو يقول ابن عطية : أسند الطبري عن فلان أنه قال كذا ورجحه الطبري ، وهو لا يصح ، أو يقول: أدخل الطبري في تفسيره عن فلان أنه قال كذا ، وهذا لا يصح عن فلان. وما كان بخلاف ماتقدم مما قصد القاضي بيان حال إسناده ، أو متنه ، دون توجيه اللوم لمن نقله فهو عن الاستدراك بمعزل، وما زال العلماء من قديم وحديث يوردون الأحاديث ، والآثار ، ويذكرون من خرجها ويبينون حالها وما فيها ، ولا يعنون بذلك توجيه اللوم إلى من ساقها بالإسناد فكذلك يقال فيما نقله القاضي من تفسير الإمام الطبري ، وكان له عليه تنبيه.

١٦- الأحاديث والآثار التي تبين لي أن القاضي استدركها على الإمام الطبري ، أنظر في حالها وما قيل فيها ، فإن وجدت عالماً قد كفاني مؤونة البحث وبين حالها اكتفيت - في الغالب - بما قال ، وإن لم يكن ذلك درست إسنادها ، معتمداً في بيان حال رجالها على كتاب «تقريب التهذيب» وقد أستعين بكتاب «الكاشف» وغيره . وقد أزيد بعضها بياناً ودراسة فأدرس إسنادها ، وأذكر أقوال أهل العلم فيها.



١٧- لا أُطيل في تخريج الآثار التي تأتي عرضاً في المنقول من تفسير الإمام الطبري ، ولم يستدرك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في إيرادها ، وأكتفي في أحايين كثيرة بأن أقول : أخرجه الطبري من طريق فلان ، وذكري للطريق الذي جاء منها هو كشف عن حالها ، وقد أُنبه على ضعف الطريق وقوته، وقد أسكت نظراً إلى أن التنبيه على تلك الطريق قد تقدم ، أو أنها طريق مشهورة بين أوساط الباحثين. وأما الأحاديث والآثار التي استدللت بها في أثناء البحث فأنا أذكر اثنين أو ثلاثة أو أكثر ممن خرّجها وأبّين حالها وما قال فيها أهل العلم إن لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما.

١٨- بيّنت محل النـــزاع بين الإمامين الطبري وابن عطية ، إذا كان يحتاج إلى بيان وشرح، وتركت ماكان ظاهراً لا يحتاج إلى شرح وبيان.

١٩- أشرت إلى أرقام الآيات وسورها في الحواشي ، وإذا تكررت الآية موضع البحث فلا أشير إليها مرة أخرى .

٢٠- الطريقة المتبعة - غالباً - في عرض المسائل هي : ذكر رأي الإمام الطبري والعطف عليه باستدراك ابن عطية ، ثم بيان محل الخلاف إذا كان يحتاج إلى ذلك ، ثم ذكر الأقوال الأخرى في المسألة إن لم يكن ذكرها أحد الإمامين ، ثم عرض آراء العلماء وما ذكر من أدلة ، ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة ، ثم التذييل على ذلك بإبداء ما أراه من كون الاستدراك وارداً أو غير وارد ، مقروناً بما أقول ذكرُ الدليل والتعليل.

٢١- عرفت بالفرق في أوّل موطن وردت فيه تعريفاً مختصراً ، وعرفت ببعض الأماكن والبلدان، التي رأيت أنها تحتاج إلى تعريف.

٢٢- عزوت الأشعار إلى دواوينها ، والكتب المختصة بها مع بيان وجه الاستشهاد إن كان يحتاج إلى بيان ، ولم يكن بيّنه الإمامان أو أحدهما ، وعزوت البيت إلى قائله - ما أمكن - إن لم يكن أحد الإمامين قد عزاه ، مع ذكر ترجمة مختصرة للشاعر.

٢٣- شرحت الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح.

٢٤- عزوت القراءات إلى كتب القراءات ، مع بيان نوع القراءة ، متواترة أو شاذة.

٢٥- ضبطت بالشكل بعض الكلمات التي رأيت أنها تحتاج إلى ضبط، ولم أكثر في هذه الناحية.

٢٦- ترجمت بإيجاز للأعلام الواردين في البحث - إن رأيت أنهم يحتاجون إلى تعريف- في أول موطن ورد فيه العلم ، ومن فاتتني ترجمته في أول موطن ترجمت له في موطن آخر .

٢٧- لابد لمن عاش مع هذا البحث سنوات أن يظهر له أشياء هو أعرف بها من غيره ، يحسن أن يظهرها ويبرزها ، فجئت بخاتمة وضعتها بعد الانتهاء من الاستدراكات بينت فيها أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث.

٢٨- وضعت الفهارس اللازمة ، التي تعين القارئ على الإفادة من هذا البحث ، وهذه الفهارس تشمل ما يلي:



١) فهرس آيات القرآن الكريم.

٢) فهرس الأحاديث الشريفة.

٣) فهرس الآثار.

٤) فهرس الأشعار.

٥) فهرس الأعلام.

٦) فهرس المصادر والمراجع.

٧) فهرس الموضوعات.

هذا وقد اجتهدت في إخراج هذا البحث - «**استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان – عرضا ودراسة** » - بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها ، فواصلت الليل بالنهار ، وأوقات الراحة بأوقات العمل من أجل ذلك.

وقصدت اتباع الحق ، سواء أكان في جانب الإمام الطبري ، أم القاضي ابن عطية - فالإمامان منـــزلتهما في قلبي سواء ، فمن نصره الدليل رجحت جانبه ، ومن لا فلا - وسألت الله العون ، ومضيت في هذا الموضوع ، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله من ذلك ، وحسبي أني قصدت الخير ، واجتهدت في السلامة من التقصير ، ولكن أنّى تكون السلامة لمن النقص من مكونات وجوده .

وقد لقيت في أثناء تقديم هذا الموضوع والعمل فيه صعوبات كبيرة - لولا فضل الله عليَّ ما تجاوزتها - بعض هذه الصعوبات أملته طبيعة

الدراسات العليا ، وكثير منها أملاه نوع البحث ، وبعضها تسبب فيه ما أُضيف إليّ من عمل ، عندما كنت في أشد الحاجة إلى التخفيف.

فالحمد لله الذي أعان ويسّر لي الخروج من كل ذلك. وأسأله أن يزيدني من فضله فيبارك في هذا العمل، وينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرحم من دار هذا البحث على كتابيهما، وهما الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية ، وأن يجمعني بهما في دار كرامته ، ومستقرّ رحمته ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه .



القسم الأول: ترجمة موجزة للإمامين الطبري وابن عطية وموازنة بين تفسيريهما

(وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري

الفصل الثاني : ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية

الفصل الثالث : عقد موازنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز



الفصل الأول : ترجمة موجزة للإمام الطبري[1]

(وفيه عشرة مباحث)

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ونسبته

أ- اسمه ونسبه

هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب[2] .

---

(١) إنما اختصرت في ترجمة الإمام الطبري، لأنها قد أجريت عنه دراسات وترجمات مستفيضة منها على سبيل المثال :

أ- الطبري المفسر للدكتور/ سيد أحمد خليل، بحث قدمه إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراة في الآداب سنه ١٩٥٣م .

ب- الإمام الطبري بحث في التفسير قدمه الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

ج- كتاب الطبري للدكتور/ أحمد محمد الحوفي، من سلسلة أعلام العرب رقم (١٣)، طبع بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

د- الإمام الطبري (شيخ المفسرين، وعمدة المؤرخين، ومقدم الفقهاء المحدثين، صاحب المذهب الجريري) للدكتور/ محمد الزحيلي . دار القلم الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

هـ- الطبري ومنهجه في التفسير للدكتور/ محمود بن الشريف، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع . الأولى عام ١٤٠٤هـ .

بالإضافة إلى البحوث التي كتبت عنه ضمن مؤلفات في التفسير، أو المقالات التي نشرت حوله في صحف، أو مؤتمرات، وقد أشار إليها الدكتور الزحيلي في كتابه الإمام الطبري ص (٢١، ٢٢) .

(٢) هكذا ساق نسبه جماعة من المؤرخين منهم الخطيب في تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، =



ب- كنيته

يكنى الإمام الطبري بأبي جعفر، عرف بذلك، واتفق المؤرخون عليه[1].

=

والسمعاني في الأنساب (٤/٤٦)، وياقوت في معجم الأدباء (١٨/٤٠)، وابن السبكي في الطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٥٦)، وطاش كبرى في مفتاح السعادة (١/ ٢٣٢). على أن بعض المؤرخين قال اسم والد جده : خالد. انظر الفهرست ص(٣٢٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٩١). والجمهور على أنه : كثير بن غالب .

وترجمة الطبري في مصادر كثيرة غير ما تقدم منها : المنتظم (١٣/ ٢١٥)، وإنباه الرواة (٣/٨٩)، ووفيات الأعيان (٤/١٩١)، وطبقات علماء الحديث (٢/٤٣١)، وتذكرة الحفاظ (٢/٧١٠)، وميزان الإعتدال (٣/٤٩٨)، ودول الإسلام (١/ ١٨٧)، والعبر (١/ ٤٦٠) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، والوافي بالوفيات (٢/٢٨٤)، ومرآة الجنان (٢/٢٦١)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/١٠٦)، ولسان الميزان (٥/١٠٠)، والنجوم الزاهرة(٣/٢٠٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص(٩٥)، وطبقات الحفاظ ص(٣١٠)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/١١٠)، وشذرات الذهب (٢/٢٦٠)، وتاريخ ابن عساكر (١٥/ ١٦٠)، والمحمدون من الشعراء (١/٢٢٣)، وهدية العارفين (٢/٢٦)، والأعلام (٦/٦٩)، ومعجم المؤلفين (٩/١٤٧)، وكشف الظنون ص(٤٣٧)، والطبري للحوفي ص(٣٠)، والإمام الطبري للزحيلي ص(٢٧)، وتاريخ الأدب العربي (٣/٤٥)، وظهر الإسلام (٢/٣٨، ٢٠٢)، وتاريخ التراث العربي (١/٢/١٥٩).

(١) انظر المراجع السابقة التي ترجمت له .

ولم يكن له ولد اسمه جعفر؛ لأنه لم يتزوج[١] وإنما تكنى بـه إتباعـاً للسنة.

ج – نسبته

يقال له الطبري نسبة إلى طبرستان[٢] وهذه أشهر نسـبة للإمـام أبي جعفر. وينسب الإمام الطبري أيضاً إلى آمل، وهي البلدة التي ولد فيها ، وهي مدينة في طبرستان إلا أن نسبته إليها قليلة[٣]. وله نسبة ثالثة وهـي البغدادي، نسبة إلى بغداد التي استوطنها ونشر فيها علمه، وبهـا مـات ودفن[٤].

ولأجل ماتقدم قال بعض أهل العلم في نسبته: « الإمام أبـو جعفـر الطبري الآملي البغدادي »[٥].

---

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/٥٥) ففيه مايشير إلى ذلك. وفي لسان الميزان (٥/١٠٢) أنه كان حصوراً، لا يعرف النساء .

(٢) طبرستان : بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، ولاية كبيرة واسعة الأرجاء في بلاد فارس بين جرجان والديلم، على بحر قزوين، تضم قرى كثيرة. انظر معجم البلدان (٤/١٥)، ومراصد الاطلاع (٢/٨٧٨)، وبلدان الخلافة الشرقية (ص٤٠٩) .

(٣) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (٢٩) .

(٤) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (٢٩) .

(٥) انظر غاية النهاية (٢/١٠٦) .



المبحث الثاني: مولده ونشأته وطلبه للعلم

أ- مولده

ولد الإمام الطبري بآمل في آخر سنة ٢٢٤هـ، أو أول سنة ٢٢٥هـ. وقد سئل الطبري نفسه عن سبب الاختلاف في ولادته، فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة ٢٢٤هـ. وقال آخرون: بل كان في أول سنة ٢٢٥هـ[١].

قلت : أكثر من رأيت من المؤرخين يقتصر على القول الأول[٢].

ب- نشأته وطلبه للعلم

نشأ الإمام الطبري في حجر والده، الّذي حرص على تعليمه وتوجيهه، وكان الوالد قد رأى رؤيا شجعته على زيادة الاهتمام بتعليم ابنه، فحفظ الإمام الطبري القرآن وعمره سبع سنين، وأم الناس وهو ابن ثمان، وكتب الحديث وعمره تسع سنين، وذلك عن مشايخ بلده طبرستان، وما حولها كالري وأعمالها[٣]، فحصّل في هذه البلاد مبادئ العلوم وأُسَّها.

---

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/٤٧، ٤٨) .

(٢) انظر الفهرست ص(٣٢٦)، ووفيات الأعيان (٤/١٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، والمراجع السابقة عند ذكر نسبه

(٣) انظر معجم الأدباء (١٨/٤٩).

المبحث الثالث : رحلاته العلمية

لما حصّل الإمام الطبري مبادئ العلوم في بلده وما جاورها، تاقت نفسه إلى الاستزادة من طلب العلم وقد كانت الرحلة في طلب العلم ولقيا العلماء والسماع والرواية عن الأكابر ميزة علماء ذلك الوقت، فقل أن تجد عالماً يكتفي بعلماء بلده، حتى يخرج فيطوف البلدان، ويلقى العلماء.

والإمام الطبري – رحمه الله تعالى – سار على هذا الطريق، فرحل من بلده وعمره اثنا عشر عاماً[1].

ويظهر أن رحلته في هذه السن كانت للبلاد المجاورة لطبرستان. ثم رحل إلى بغداد، وكتب عن شيوخها فأكثر، وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل فلم يتفق له ذلك لموته قبل دخوله إليها. ثم انحدر إلى البصرة فسمع فيها من عدد من الشيوخ، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين. ثم صار إلى الكوفة فكتب فيها عن جماعة من العلماء. ثم غرَّب فخرج إلى مصر، وفي طريقه كتب عن المشايخ بأجناد الشام[2] والسواحل والثغور.

وكان وصوله إلى مصر سنة ثلاث وخمسين ومئتين، فأكثر الكتابة عن شيوخها من علوم مالك والشافعي وابن وهب[3] وغيرهم، ثم عاد إلى

---

(١) انظر لسان الميزان (١٠٢/٥) .

(٢) موضع بالشام من نواحي فلسطين. انظر معجم البلدان (١٢٩/١).

(٣)عبد الله بن وهب بن مسلم، الإمام الثقة(ت:١٩٧هـ). انظر التقريب ص (٣٢٨).



الشام، ثم رجع إلى مصر سنة ست وخمسين ومئتين، ثم رجع إلى مدينة السلام (بغداد)، ثم رجع إلى بلده طبرستان وهي المرة الأولى، ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومئتين، ثم رجع إلى بغداد فاشتهر اسمه في العلم، وشاع خبره بالفهم والتقدم[١].

ونص بعض أهل العلم على أنه رحل إلى بلاد الحجاز[٢].

فتلخص مما تقدم أن الإمام الطبري رحل إلى الري، وبغداد، وواسط، والبصرة، والكوفة، والحجاز، والشام، ومصر.

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه

لقي الإمام الطبري كثيراً من الشيوخ، يصعب حصرهم وعدّهم، ذكر الإمام الذهبي[٣] منهم ما يزيد على أربعين شيخاً ثم قال: «وأمما سواهم»[٤].

---

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/٤٩- ٥٦) ففيه ذكر خبر هذه الرحلة، وما ذكرته هنا مختصر منها .

(٢) هو السمعاني في الأنساب (٤/٤٦) وكأنّ بعض المعاصرين لم يطلع على هذا فأهمل ذكر خبر رحلته إلى بلاد الحجاز .

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ الكبير والمؤرخ الشهير (ت: ٧٤٨هـ) انظر البدر الطالع (٢/١١٠).

(٤) السير (١٤/٢٦٩).

وسأذكر فيما يلي بعضاً منهم:

١- أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي أبو جعفر، حافظ ثقة (ت: ٢٤٤هـ)[1].

٢- أحمد بن يحيى ثعلب أبو العباس، من أئمة نحاة الكوفة (ت: ٢٩١هـ)[2].

٣- الربيع بن سليمان بن داود الأزدي المصري ثقة (ت: ٢٥٦هـ)[3].

٤- سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي الكوفي، صدوق (ت: ٢٥٢هـ)[4].

٥- عباس بن الوليد أبو الفضل البيروتي، المقرئ الصدوق (ت: ٢٧٠هـ)[5].

٦- علي بن سراج أبو الحسن المصري، إمام حافظ أديب (ت: ٣٠٨هـ)[6].

---

(١) انظر الكاشف (١/٢٩)، والتقريب رقم (١١٤).

(٢) انظر معجم الأدباء (١٨/٦٠)، والسير (١٤/٥) .

(٣) انظر الكاشف (١/٢٣٦)، والتقريب رقم (١٨٩٣).

(٤) انظر الكاشف (١/٣١٧)، والتقريب رقم (٢٥٨٧).

(٥) انظر السير (١٢/٤٧١)، والتقريب رقم (٣١٩٢).

(٦) انظر معجم الأدباء (١٨/٥٢)، والسير (١٤/ ٢٨٣).



٧- عمران بن موسى الليثي البصري، كان رحمه الله ثقة صدوقاً (ت: ٢٤٠هـ)[١].

٨- محمد بن بشار بن عثمان البصري ، حافظ ثقة (ت : ٢٥٢ هـ)[٢].

٩- محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله، من حفاظ الحديث وثقه بعضهم، ورجح بعضهم ضعفه.

أخذ عنه الإمام الطبري التفسير والحديث بالري (ت: ٢٤٨هـ)[٣].

١٠- محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، فقيه ثقة (ت: ٢٦٨هـ)[٤] .

١١- محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي ، من رجال الصحيح (ت: ٢٤٤هـ)[٥] .

١٢- محمد بن العلاء أبو كريب الهمداني الكوفي، حافظ ثقة (ت: ٢٤٧هـ)[٦] .

١٣- هنَّاد بن السَّرِيّ التميمي الكوفي ، العابد الزاهد ، حافظ ثقة

---

(١) انظر الكاشف (٢/٣٠٢)، والتقريب رقم (٥١٧٢).

(٢) انظر الكاشف (٣/ ٢١)، والتقريب رقم (٥٧٥٤).

(٣) انظر الكاشف (٣/ ٣٢)، والتقريب رقم (٥٨٣٤).

(٤) انظر الكاشف (٣/ ٥٥)، والتقريب رقم (٦٠٢٨).

(٥) أعني صحيح مسلم . انظر الكاشف (٣/ ٦٤)، والتقريب رقم (٦٠٩٨) .

(٦) انظر التقريب رقم (٦٢٠٤) .

(ت: ٢٤٣هـ)[١].

١٤- الوليد بن شجاع السكوني أبو همام نزيل بغداد، حافظ ثقة (ت:٢٤٣هـ)[٢].

١٥- يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي البغدادي، حافظ ثقة له مسند (ت:٢٥٢هـ)[٣] .

ب- تلاميذه

تتلمذ على الإمام الطبري عدد غير قليل من بينهم أئمة ذاع صيتهم في بلاد الإسلام ، عدّ الذهبي منهم طائفة ثم قال : « وخلق كثير »[٤] .

وسأذكر فيما يلي تراجم موجزة لأشهرهم :

١- أحمد بن كامل بن خلف أبو بكر، القاضي الحافظ الإمام العلامة، (ت: ٣٥٠هـ)[٥].

٢- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الإمام الحافظ (ت: ٣٦٠هـ)[٦].

٣- عبد الله بن الحسن بن أحمد أبو شعيب الحراني ، المحدث المعمر ،

---

(١) انظر الكاشف (٣/ ١٩٩)، والتقريب رقم (٧٣٢٠) .

(٢) انظر الكاشف (٣/ ٢١٠)، و التقريب رقم (٧٤٢٨) .

(٣) انظر الكاشف (٣/ ٢٥٤)، و التقريب رقم (٧٨١٢) .

(٤) السير (١٤/ ٢٦٩) .

(٥) انظر المصدر نفسه (١٥/ ٥٤٤) .

(٦) انظر المصدر نفسه (١٦/ ١١٩) .



كان أكبر من الطبري (ت: ٢٩٥هـ)[١] .

٤- عبد الله بن عدي أبو أحمد ، الإمام الحافظ الناقد ، صاحب «الكامل في ضعفاء الرجال» (ت: ٣٦٥هـ)[٢] .

٥- المعافى بن زكريا بن يحيى، الجريري، القاضي الفقيه الحافظ المتفنن (ت: ٣٩٠هـ)[٣] .

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه

برع الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في علوم الإسلام كلها، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. فكان - رحمه الله تعالى - جامعاً لكتاب الله العزيز، أمَّ به المسلمين وعمره ثماني سنوات، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن عارفاً بالقراءات والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والنحو والشعر، والعروض، والتاريخ عموماً، والجرح والتعديل خصوصاً، والعقائد والفرق، والمنطق والحساب والجبر والطب .

فهذه العلوم وغيرها بلغ فيها الإمام الطبري الغاية القصوى، وله في أكثرها مؤلفات، بعضها سارت مسار الشمس في الدنيا، وبعضها يعرفها أهل الإختصاص، وبعضها لم يصل إلينا .

---

(١) انظر المصدر نفسه (١٣/ ٥٣٦) .

(٢) انظر المصدر نفسه (١٦/ ١٥٤) .

(٣) انظر المصدر نفسه (١٦/ ٥٤٤) .

وأخشى أن يكون تعريفي بهذا الجانب تجهيلاً لهذا الجبل الشامخ لقصور عبارتي، وقلة معرفتي، ولكن أسوق لك جملة من أقوال الأئمة العلماء في الثناء على الإمام الطبري ، وهذا الثناء - في الوقت نفسه - متضمن بيان العلوم التي برع فيها :

قال الخطيب البغدادي(١) — في الثناء عليه رحمه الله تعالى - : كان أحد العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سمَّاه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة(٢) .

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري(٣) : كان أبو جعفر من الفضل

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الإمام العلامة الحافظ (ت: ٤٦٣هـ) . انظر السير (١٨/ ٢٧٠) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) .

(٣) عبد العزيز بن محمد بن إسحاق أبو الحسن الطبري ، سمع من ابن جرير تفسيره =



والعلم والذكاء والحفظ، على ما لا يجهله أحد عرفه ؛ لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن، والقراءات، وعلم التاريخ، واختلاف الفقهاء مع الرواية(١) .

وقال أيضاً: كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة، وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً ، وكان عازفاً عن الدنيا ، تاركاً لها ولأهلها ، يرفع نفسه عن التماسها، وكان كالقارئ الَّذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الَّذي لا يعرف إلى الفقه، وكالنحوي الَّذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الَّذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عارفاً بالعبادات جامعاً للعلوم(٢) .

وقال أبو حامد الإسفراييني(٣) : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير، لم يكن ذلك كثيراً(٤) .

= للقرآن ، أو بعضه، سكن دمشق ، له تصانيف حسنة . انظر تاريخ دمشق (١٠/ ٣٨٥) .

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٥٩) .

(٢) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٦١) .

(٣) أحمد بن أبي طاهر، الأستاذ العلامة، شيخ الشافعية ببغداد (ت: ٤٠٦هـ) انظر السير (١٧/ ١٩٣) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٣) .

وقال أبو العباس المبرد[١] : ابن جرير من حذاق نحاة الكوفة . وهذا من أبي العباس كثير؛ لأنه كان قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه[٢] .

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة[٣] – وقد استعار تفسير الطبري لينظر فيه – : قد نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير[٤] .

وذكر أن أبا العباس ابن سريج[٥] كان يقول : محمد بن جرير الطبري فقيه العالم[٦] .

المبحث السادس : عقيدته

الإمام محمد بن جرير الطبري – رحمه الله تعالى – من كبار أئمة أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح، فهو – رحمه الله – على مذهب أهل الحديث، مذهب الطائفة الناجية، والفرقة المنصورة، وتفسيره مصدر لأهل السنة والجماعة، وله كتب في العقيدة تبين صحة عقيدته منها كتابه «صريح السنة»، و«التبصرة في معالم الدين» وغيرهما مما

---

(١) تأتي ترجمته عند سورة الفاتحة، الآية: ٢ .

(٢) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٦٠) .

(٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة، الحافظ الحجة الفقيه (ت: ٣١١هـ) انظر السير (١٤/ ٣٦٥) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) .

(٥) أحمد بن عمر القاضي الشافعي (ت: ٣٠٣هـ) انظر السير (١٤/ ٢٠١) .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٣) .



سيأتي ذكره - إن شاء الله تعالى — عند ذكر مؤلفاته. وسوف أقتصر في هذا المبحث على ذكر بعض أقواله من كتابه صريح السنة، حيث قال - رحمه الله — عن القرآن : « فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا : القرآن كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ في السماء وجد وفي الأرض حيث حفظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوباً، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً، في حجر نقش أو في ورق خط، أو في قلب حفظ وبلسان لفظ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا أو اعتقد غير ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه، أو قال بلسانه دائناً به فهو بالله كافر حلال الدم بريء من الله ، والله منه بريء بقول الله عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1] . وقال — وقوله الحق — عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[2] فأخبر جل ثناؤه أنه في اللوح المحفوظ مكتوب وأنه من لسان محمد ﷺ مسموع وهو قرآن واحد من محمد ﷺ مسموع في اللوح المحفوظ مكتوب ، وكذلك هو في الصدور محفوظ ،

---

(١) سورة البروج، الآية : ٢١، ٢٢ .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٦ .

وبألسن الشيوخ والشبان متلو »[١] .

وقال رحمه الله – في أفعال العباد - : « وأما الصواب من القول لدنيا فيما اختلف فيه من أفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم فإن جميع ذلك من عند الله تعالى، والله سبحانه مقدره ومدبره، لا يكون شيء إلا بإذنه، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر كما يريد»[٢] .

وقال - في الخلفاء الراشدين - :«وكذلك نقول فأفضل أصحابه ﷺ الصديق أبو بكر ﷺ ثم الفاروق - بعده – عمر، ثم ذو النورين عثمان بن عفان، ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين »[٣] .

و قال - رحمه الله – في الإيمان : « وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل، وهل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان، فإن الصواب فيه قول من قال : هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل »[٤] .

هذه أشياء مما قال ومن أراد الوقوف على ما لم ينقل هنا فلينظر في كتابه المذكور .

---

(١) صريح السنة ص(١٨) .

(٢) المصدر نفسه ص(٢١) .

(٣) المصدر نفسه ص(٢٤) .

(٤) المصدر نفسه ص(٢٥).



وقد اتهم الإمام الطبري بالتشيع[1]، وأنه يقول بمسح القدمين في الوضوء ، وأقواله ترد هذه التهمة، فإنه قد قرر عقيدة أهل السنة في الإمامة بتقديم أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين.

وأما اتهامه بمسح القدمين في الوضوء فهذا تفسيره يشهد بخلاف ذلك فإنه قد قرر عند آية الوضوء في سورة المائدة أنه يجب غسل القدمين في الوضوء[2]، إلا أن في كلامه ما يفيد أنه لا يكتفي بصب الماء عليهما، أو غمسهما فيه بل لا بد من دلكهما، وعبر - رحمه الله - عن « الدلك »

---

(١) هذه التهمة أشار إليها بعض المترجمين كياقوت في معجم الأدباء (١٨/ ٤٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٥٧) . حتى إن الذهبي وابن حجر قالا: فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر. انظر الميزان (٣/ ٤٩٩) ولسانه (٥/ ١٠٠). إلا أن إثبات يسير تشيع فيه لست مقتنعاً به، ولا مستند لهذا اليسير إلا تصحيحه لحديث غدير خم، وقول الإمام السليماني: كان يضع للروافض، وتعصب بعض العامة من الحنابلة، ودعوى بعض الروافض أنه منهم . وكلها لا تخول إثبات شيء في حق هذا الإمام؛ لأن تصحيح عالم لحديث في فضائل أهل البيت لا يبنى عليه اتهامه بشيء من التشيع سيما وأن ملابسات تصحيح الحديث كانت معروفة . وأما قول السليماني فقد جزم الذهبي بأن مقصوده به (محمد بن جرير بن رستم الشيعي) وأما تعصب العامة وقولهم فلا يؤخذ به وإن ثبت أن ابن أبي داود قاله فلا يلتفت لذلك فإنه وابن جرير لا ينصف كل منهما الآخر كما قال الذهبي ، وأما دعوى الروافض فمن كذب على الله ورسوله كيف لا يكذب على الطبري ؟! .

(٢) انظر جامع البيان (١٠/ ٦١، ٦٢) فقد نص في هذا الموضع أن الواجب غسلهما مع إمرار اليد عليهما .

بالمسح بالماء ولذلك قال ابن كثير[١] : « والذي عول عليه كلامه في التفسير[٢] أنه يوجب غسل القدمين، ويوجب مع الغسل دلكهما ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فلم يفهم كثير من الناس مراده، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح، وهو الدلك، والله أعلم »[٣] .

وقال الذهبي – في تبرئة هذا الإمام – : « وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشُنّع عليه بيسير تشيع وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه »[٤] .

كذلك ما نسب إليه من القول باللفظ كذب[٥]، يدل على عدم صحته، قوله رحمه الله : « وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء – رحمة الله عليه ورضوانه – وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام الحافظ المفسر (ت: ٧٧٤هـ) انظر طبقات المفسرين (١/ ١١١) .

(٢) هكذا في النسخة التي بين يدي «والذي عول عليه كلامه في التفسير» .

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٥٨) .

(٤) السير (١٤/ ٢٧٧) .

(٥) انظر الميزان (٢/ ٤٣٥) فقد نسب الذهبي إلى ابن أبي داود وأصحابه أنهم هم الموجهون هذه التهمة إليه .



حنبل رضي الله عنه . فإن أبا إسماعيل الترمذي[١] حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : اللفظية[٢] جهمية لقول الله جل اسمه ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٣] فممن يسمع؟ ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال : هو غير مخلوق فهو مبتدع . ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه »[٤] .

المبحث السابع: مذهبه في الفقه

درس الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - الفقه على مذاهب الأئمة المشهورين في زمنه الحنفية[٥] ، والمالكية ،

---

(١) محمد بن إسماعيل بن يوسف، إمام حافظ ثقة (ت: ٢٨٠هـ) انظر السير (١٣/ ٢٤٢) .

(٢) اللفظية: فرقة نشأت بعد فتنة القول بخلق القرآن فقد سئل الحسين الكرابيسي عن القرآن فقال كلام الله غير مخلوق فقال السائل: فلفظنا بالقرآن فقال مخلوق. ومن هنا جاءت التسمية . انظر في شأن هذه الفرقة مقالات الإسلاميين ص (٦٠٢) ، والشريعة ص(٨٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة(٢/٣٤٩).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦ .

(٤) صريح السنة ص(٢٥، ٢٦) .

(٥) انظر الفهرست ص(٣٢٦) فقد ذكر ابن النديم أنه أخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري .

والشافعية[١]، وأهل الظاهر[٢]، وكان - رحمه الله - متبعاً لمذهب الإمام الشافعي، فقد ذكر المترجمون أنه قال : أظهرت فقه الشافعي، وأفتيت به ببغداد عشر سنين، وتلقنه مني ابن بشار الأحول[٣]، أستاذ أبي العباس ابن سريج[٤] . ولهذا عده بعض الشافعية من كبار علمائهم فذكروه في طبقاتهم، وقال قائلهم: ابن جرير معدود من أصحابنا لا يمتري أحد في ذلك[٥]. إلا أن الإمام الطبري تقدم في علم الفقه - أصولاً وفروعاً - حتى بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق، وعُدّ في عداد الأئمة الكبار المجتهدين. وقد تقدم أن بعض العلماء أثنى عليه بقوله : وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله .

وقال ابن خلكان[٦]: وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً[٧].

ومذهبه يسمى المذهب الجريري[٨] ، وله تلاميذ تفقهوا بمذهبه وحملوه

---

(١) انظر المصدر السابق ص(٣٢٦) فقد ذكر جملة من شيوخه في الفقه على مذهب مالك والشافعي .

(٢) أخذ فقههم عن شيخهم داود الظاهري. انظر المصدر السابق ص(٣٢٦) .

(٣) عثمان بن سعيد بن بشار ، الفقيه البغدادي (ت : ٢٨٨هـ) انظر السير (٤٢٩/١٣).

(٤) انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٣) .

(٥) انظر المصدر السابق (٣/ ١٢٧) .

(٦) أحمد بن محمد بن ابراهيم، المؤرخ الأديب (ت:٦٨١هـ) انظر الأعلام (١/ ٢٢٠).

(٧) وفيات الأعيان (٤/ ١٩١) .

(٨) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص(١٦٢) .

فاستمر برهة من الدهر [١] . إلا أن أتباع الإمام الطبري لم تطل مدهم فانقطعوا بعد الأربعمائة[٢].

المبحث الثامن : الأعمال التي قام بها

الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - من العلماء الذين آثروا الآخرة على الدنيا، فكان أبعد الناس عن أي ولاية تتعلق بالسلاطين، وكان - رحمه الله - طول حياته عالماً ينشر العلم ويفيد طلابه، أو متعلماً يستزيد من طلب العلم .

وقد ذكر بعض من ترجم للإمام الطبري بعض الأعمال التي كان يقوم بها فمنها أنه كان يؤم المسلمين في الصلاة، وكان على جانب كبير من الإتقان في القراءة، حتى أن أبا بكر ابن مجاهد[٣] شيخ المقرئين في بغداد كان يقول: ماسمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر[٤].

ومما ذكروا من أعماله : أنه كان يبقى في منزله يكتب في تصانيفه إلى وقت العصر، ثم يخرج فيصلي العصر ويجلس للناس، يُقرئ ويقرأ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ، ثم يدخل

---

(١) انظر الفهرست ص(٣٢٧، ٣٢٨) .

(٢) انظر مقدمة «اختلاف الفقهاء» ص(١٦) .

(٣) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس، الإمام المقرئ المحدث (ت: ٣٢٤هـ). انظر السير (١٥/ ٢٧٢).

(٤) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٦٦) .

منــــزله[١].

وقد طُلب من الإمام الطبري أن يلي القضاء فامتنع، فعاتبه أصـــحابه، وقالوا له: لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم، فانتهرهم وقال : كنت أظن أن لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنــه[٢].

المبحث التاسع : مؤلفاته

للإمام الطبري - رحمه الله تعالى - مؤلفات كثيرة منها الكبير الَّــذي يبلغ آلاف الصفحات، ومنها المتوسط، ومنها الصغير، وهــي في فنــون مختلفة، والَّذي وصل إلينا منها بالنسبة إلى ما لم يصل قليل، وكذلك مــا ذكر منها قليل بالنسبة إلى ما لم يذكر؛ لأن الإمام الطبري مكث أربعــين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة[٣]. و قالوا : إنهم أحصوا ما كتب ثم قسموه على أيام حياته منذ بلغ الحلم فخرج لهم أربعة عشرة ورقة في كل يوم[٤]. وهذا شيء عظيم لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق . وهذه بعض مؤلفاته[٥]:

---

(١) انظر المصدر السابق (١٨/ ٩٢) .

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٥) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) .

(٤) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٤٤) .

(٥) اعتمدت في إثبات هذه المؤلفات على الفهرست ص(٣٢٧) و معجم الأدباء (١٨/ ٦٠) وما بعدها والإمام الطبري للزحيلي ص(٥١- ٥٣) .



(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)[١] و(تاريخ الرسل والملوك)[٢] و(كتاب ذيل المذيل)[٣] و(اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام)[٤] و(لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام) و(الخفيف في أحكام شرائع الإسلام) و(بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام) و(تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار)[٥] و(آداب القضاة) و(آداب النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة) و(كتاب المسند المجرد) و(الرد على ذي الأسفار) و(كتاب القراءات وتنزيل القرآن)[٦] و(صريح السنة)[٧] و(التبصير في معالم الدين)[٨]و(فضائل أبي بكر وعمر) و(فضائل علي بن أبي طالب) و(فضائل العباس)[٩] و(كتاب في عبارة الرؤيا في الحديث) و(مختصر مناسك الحج) و(مختصرالفرائض) و(الرد على

---

(١) مطبوع.

(٢) مطبوع.

(٣) مطبوع.

(٤) مطبوع منه قطعة باسم «اختلاف الفقهاء».

(٥) طبع بعضه .

(٦) منه نسخة خطية بالأزهر .

(٧) مطبوع بتحقيق بدر بن يوسف المعتوق .

(٨) مطبوع بتحقيق الشبل .

(٩) العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ ثبت مع رسول الله يوم حنين، ومناقبه جمة (ت: ٣٢هـ) انظر السير (٢/ ٧٨) .

ابن عبد الحكم)[١] و(الموجز في الأصول) و(الرمي بالنشاب)[٢] و(الرسالة)[٣] و(العدد والتنزيل) و(مسند ابن عباس)[٤] و(كتاب المسترشد) و(اختيار من أقاويل الفقهاء) و(كتاب الطير)[٥] و(الرد على الحرقوصية)[٦] و(حديث الهميان)[٧].

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى

بارك الله تعالى في عمر هذا الإمام فعاش ستاً وثمانين سنة من (٢٢٤ - ٣١٠هـ) وكانت وفاته رحمه الله تعالى في بغداد في آخر شوال من سنة عشر وثلاثمائة[٨]، ولئن كان قد مات الإمام الطبري، فإن

(١) لعله عبد الله بن عبد الحكم بن أعين عالم فقيه إمام (ت: ٢١٤هـ) انظر الأعلام (٤/ ٩٥).

(٢) يشك في نسبته للطبري . انظر معجم الأدباء (١٨/ ٨١) .

(٣) لعلها مقدمة لبعض كتبه، قال محمود شاكر : رأيت في ترجمة الطبري، أنه كان يسمي مقدمات كتبه رسالة وكان لكل كتاب من كتبه الكبيرة «رسالة» . انظر جامع البيان (١/ ٦١٥) حاشية (١) .

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر الأمة وإمام التفسير (ت : ٦٨هـ) انظر السير (٣/ ٣٣١) .

(٥) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٥٧) .

(٦) الظاهر أنها فرقة من فرق الخوارج، تنسب إلى حرقوص بن زهير التميمي انظر الإصابة (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧)، وترتيب القاموس «حرقص».

(٧) ذكره سزكين في تاريخ التراث العربي (١/٢/١٦٨) وذكر أنه مخطوط .

(٨) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦)، والأنساب (٤/ ٤٧)، ومعجم الأدباء (١٨/ ٤٠) .

علمه وذكره باقيان حتى يومنا هذا، وسيبقيان بإذن الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولقد تأثر لموت الإمام الطبري العامة والخاصة، ورثاه خلق من أهل الدين والأدب بمراثي طنانة ، ذكروا فيها فضله وعلمه وزهده[1]. رحم الله الإمام الطبري ، وغفر له وجمعنا به في دار كرامته.

---

(١) انظر طرفاً منها في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦- ١٦٩) .

الفصل الثاني : ترجمة موجزة[١] للقاضي ابن عطية

(وفيه عشرة مباحث)

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته

هو : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي .

هذا هو نسب ابن عطية كما ذكره هو في فهرسته[٢].

وإذا قارنت هذا النسب بما في بعض كتب التراجم وجدت بينهما نوع اختلاف[٣] والعمدة ما ذكره ابن عطية ؛ لأن صاحب البيت أدرى بما فيه .

---

(١) وإنما آثرت الإيجاز في ترجمة القاضي ابن عطية، لأن بعض الدراسات قد تناولت حياته بالتفصيل ومنها:

أ – ابن عطية المفسر ومكانه من حياة التفسير في الأندلس / رسالة ماجستير قدمها / عبد العزيز بدوي إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

ب – منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم : رسالة دكتوراة، قدمها : الدكتور / عبد الوهاب فايد إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر .

(٢) انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن ص (١٥).

(٣) انظر الصلة (١/٣٦٧)، والديباج المذهب (٢/٥٧)، وبغية الملتمس ص (٣٨٩)، وصلة الصلة ص (٢).

وترجمة ابن عطية في غير المراجع السابقة، ومنها معجم ابن الأبار ص (٢٦٩)، الوفيات لابن قنفذ ص (٢٧٩)، نفح الطيب (١/ ٦٧٩)، شجرة النور الزكية (١/ ١٢٩) ، المرقبة العليا ص (١٠٩)، طبقات المفسرين للسيوطي ص (٦٠)، بغية =



وأسرة القاضي ابن عطية تنحدر من سلالة عربية فهم من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[(١)].

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد أبو محمد عبد الحق بن غالب في مدينة غرناطة وذلك سنة ٤٨١ هـ[(٢)].

وكانت نشأة أبي محمد في بيت علم وفضل، فأبوه غالب[(٣)] كان من أكبر علماء غرناطة، وأجداده مشهورون بالعلم والفضل[(٤)]، ولا شك أن هذا له تأثير في توجيه القاضي أبي محمد في حياته العلمية، والتطلع إلى معالي الأمور .

بأبه اقتدى عدّي في الكرم ومن يشابه أَبَه فما ظلم[(٥)].

=

الوعاة (٢/ ٧٣)، كشف الظنون (٢/ ١٦١٣)، هدية العارفين (١/ ٥٠٢)، معجم المؤلفين (٥/ ٩٣)، الأعلام (٣/ ٢٨٢)، السير (١٩/ ٥٨٧)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٥).

(١) انظر الديباج المذهب (٢/ ٥٧) ومنهج ابن عطية ص (١٤).

(٢) انظر الصلة (١/ ٣٦٧)، وبغية الملتمس ص (٣٨٩)، والديباج المذهب (٢/ ٥٧)، والسير (١٩/ ٥٨٧).

(٣) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن عطية.

(٤) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص (٢٧٠)، وتاريخ قضاة الأندلس ص (١٠٩) .

(٥) البيت في أوضح المسالك (١/ ٤٤) ، والدر المصون (١/ ٢٨٧). قال محمد محي

=

وقد ابتدأ أبو محمد بطلب العلم على يدي علماء غرناطة، ومنهم والده، الذي قرأ عليه كتب الحديث والتفسير والفقه، واللغة والأدب والتاريخ، واستمرت هذه الرعاية إلى الوقت الذي ألف فيه أبو محمد «المحرر الوجيز» إذ قد جاء في بغية الملتمس، أن هذا الوالد العالم ربما أيقظ ابنه في الليلة مرتين يقول له : «قم يا بني اكتب كذا وكذا، في موضع كذا من تفسيرك»[1].

المبحث الثالث : رحلاته العلمية

رحل القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - من بلده غرناطة إلى كبريات مدن الأندلس الزاخرة بالعلم والعلماء فرحل إلى قرطبة، وإشبيليّة، ومرسية، وبلنسية، وجيّان، فلقي وجوه علماء هذه المدن وقرأ عليهم[2].

وراسل جماعة من العلماء - داخل الأندلس وخارجها - يطلب منهم الإجازة بكتبهم التي وقعت إليه[3].

ولم تتهيأ لأبي محمد الرحلة إلى بلاد المشرق، ولعل السبب في ذلك أن عصره، كان عصر جهاد وحرب ؛ لأن الأندلس في ذلك الوقت كانت

=

الدين: ينسب إلى رؤبة بن العجاج ولايوجد في ديوانه. انظر عدة السالك (١/٤٤).

(١) بغية الملتمس ص (٤٤١).

(٢) انظر منهج ابن عطية ص (٥٦).

(٣) انظر المرجع السابق ص(٥٦، ٥٧).



مهددة بالسقوط في أيدي الأسبان، فآثر ابن عطية المرابطة في سبيل الله تعالى ومواجهة الأعداء مع إخوانه الأندلسيين [١].

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه

تتلمذ القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على جماعة من العلماء برعوا في علوم الشرع، واللسان وغيرها من العلوم المساعدة، وقد ذكر ابن عطية نفسه أنه أخذ العلم عن ثلاثين شيخاً بالأندلس وغيرها [٢]، غير أنني سأكتفي بترجمة موجزة لأهم شيوخه وهم :

١- أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الحافظ كان من جهابذة المحدثين، وله بصر باللغة والإعراب ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب، (ت: ٤٩٨هـ)[٣] .

٢- حسين بن محمد بن فيرّة الصدفي أبو علي المحدث الحافظ القاضي، رحل إلى بلاد المشرق فرجع بعلم كثير (ت: ٥١٤هـ)[٤] .

٣- عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي أبو محمد، آخر الأكابر بالأندلس في علوّ الإسناد وسعة الرواية ، كان حافظاً للقرآن كثير التلاوة

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص (٥٥) .

(٢) انظر منهج ابن عطية ص (٤٢).

(٣) انظر الصلة (١/ ١٤١)، والسير (١٩/ ١٤٨) .

(٤) انظر الصلة (١/ ١٤٣)، والسير (١٩/ ٣٧٦) .

له عارفاً برواياته وطرقه (ت: ٥٢٠هـ)[١] .

٤- علي بن أحمد بن خلف بن الباذش الإمام المقرئ النحوي له مشاركة في الحديث ورجاله (ت: ٥٢٨هـ)[٢] .

٥- أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب الإمام الحافظ المحدث، والد القاضي ابن عطية، ولد سنة ٤٤١هـ، وسمع من شيوخ الأندلس، ورحل إلى بلاد المشرق، مات رحمه الله سنة ٥١٨هـ[٣] .

٦- محمد بن علي بن عبد العزيز التغلبي، قاضي الجماعة بقرطبة كان حافظاً ذكياً أديباً شاعراً لغوياً أصولياً (ت: ٥٠٨هـ)[٤] .

٧- محمد بن الفرج القرطبي المالكي أبو عبد الله، كانت الرحلة إليه في وقته، وكان فقيهاً حاذقاً بالفتوى، شديداً على أهل البدع (ت: ٤٩٧هـ)[٥] .

هؤلاء الشيوخ -وغيرهم- نص المؤرخون على أن القاضي التقى بهم، وأفاد منهم[٦].

---

(١) انظر الصلة (١/ ٣٣٢)، والسير (١٩/ ٥١٤) .

(٢) انظر الصلة (٢/ ٤٠٤)، وبغية الوعاة (٢/ ١٤٢) .

(٣) انظر بغية الملتمس ص (٤٤٠، ٤٤١)، والسير (١٩/ ٥٨٦) .

(٤) انظر الصلة (٢/ ٥٣٩) .

(٥) انظر الصلة (٢/ ٥٣٤)، والسير (٢٩/ ١٩٩) .

(٦) انظر الصلة (١/ ٣٦٧)، وصلة الصلة ص(٢)، والديباج المذهب (٢/ ٥٧)، وبغية الملتمس ص (٣٨٩) ، وشجرة النور الزكية (١/ ١٢٩) ، ومنهج ابن عطية ص (٤٢- ٤٦).



ب- تلاميذه

القاضي ابن عطية من كبار العلماء الذين تقدموا في فنون كثيرة من العلم، ولذا حرص طلاب العلم على الاستفادة منه فتتلمذ عليه كثير منهم في غرناطة والمريَّة، ورحل إليه الطلاب من كل مكان، وانتفع بعلمه خلق كثير[1].

وسأذكر في هذه العجالة ترجمة موجزة لبعض تلاميذه، وهم :

١- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء أبو جعفر اللخمي القرطبي، ولي القضاء فأحسن السيرة، إمام في النحو، مشارك في علوم كثيرة (ت: ٥٩٢هـ)[2].

٢- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم، المعروف بابن حبيش، الإمام القاضي، كان عالماً بالقرآن، إماماً في علم الحديث والعربية (ت: ٥٨٤هـ)[3].

٣- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي المعروف بابن الفرس ، برع في الفقه والأصول والعربية ، وكان من أحفظ العلماء لمذهب مالك، له أحكام القرآن ، من أحسن ما وضع في ذلك (ت : ٥٩٧ هـ)[4].

---

(١) انظر منهج ابن عطية ص (٨٨).
(٢) انظر بغية الوعاة (١/ ٣٢٣).
(٣) انظر السير (٢١/ ١١٨)، وبغية الوعاة (٢/ ٨٥).
(٤) انظر السير (٢١/ ٣٦٤)، وبغية الوعاة (٢/ ١١٦).

٤- محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة أبو بكر المرسي، الفقيه القاضي من أعيان الأندلس، له مؤلفات عدة (ت : ٥٩٩)[(١)].

٥ – محمد بن خير بن عمر أبو بكر الإشبيلي، الإمام الحافظ المجوِّد المقرئ، عالم الأندلس، لقي ابن عطية بالمريِّة وأخذ عنه (ت : ٥٧٥)[(٢)].

هؤلاء هم أشهر تلاميذ ابن عطية الذين ذكر العلماء أنهم تتلمذوا عليه[(٣)].

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه

برع القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – في علوم كثيرة منها التفسير، والقراءات، والفقه، والحديث، والعربية- لغة ونحواً وصرفاً وشعراً ونثراً – وكتابه في التفسير خير شاهد على هذا، فقد جوَّد فيه هذه العلوم وظهر فيها تفوقه ونبوغه .

وقد أثنى العلماء بهذا، وبما هو أكثر، فقيل فيه – رحمه الله تعالى – :

- كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم[(٤)] .
- كان فقيهاً جليلاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً نحوياً شاعراً لغوياً مقيداً ضابطاً ... فاضلاً، ولي قضاء المريّة ... فتوخى

---

(١) انظر التكملة (٢/ ٥٦١)، ومنهج ابن عطية ص (٨٩).

(٢) انظر فهرست ابن خير (٤٣٧)، والسير (٢١/ ٨٥).

(٣) انظر الصلة ص (٣)، والسير (١٩/ ٥٨٨)، ومنهج ابن عطية ص (٨٩، ٩٠).

(٤) قاله ابن بشكوال في الصلة (١/ ٣٦٧، ٣٦٨) .



العدل والحق، وأعز الخطة، وكان غاية في توقّد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف، وألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار، وألف برنامجاً ضمنه مروياته وأسماء شيوخه، وحزر وأجاد فيه [(١)].

❁ كان إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكياً، فطناً مدركاً، من أوعية العلم [(٢)].

❁ ألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها [(٣)].

❁ أبو محمد فقيه ، حافظ ، محدث مشهور ، أديب نحوي، شاعر بليغ كاتب ، ألف في التفسير كتاباً ضخماً، أربى فيه على كل متقدم [(٤)].

❁ كان غاية في الدهاء، والذكاء، والتهمم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب [(٥)].

---

(١) قاله ابن الزبير في صلة الصلة ص (٣) .

(٢) قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٨) .

(٣) قاله السيوطي في بغية الوعاة (٢/ ٧٣) .

(٤) قاله الضبي في بغية الملتمس ص (٣٨٩) .

(٥) قاله ابن فرحون في الديباج المذهب (٢/٥٧) . وفي اللسان : سري الهمة، أي شريف الهمة. انظر اللسان (٦/ ٢٥٤) « سرا » .

المبحث السادس : عقيدته

القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أشعري العقيدة[١]، فهو يثبت أن العباد يرون ربهم يوم القيامة[٢]، ويثبت أن القضاء والقدر من الله خيره وشره[٣]، ويثبت أن صاحب الكبيرة لا يخلد في نار جهنم[٤]، وأن الشفاعة ثابتة لعصاة الموحدين[٥]، ويرد على من خالف ما ذكر .

وما قرره أبو محمد في هذه القضايا هو الحق الموافق للكتاب والسنة وعليه سلف الأمة.

إلا أن الأشاعرة[٦] وإن وافقوا السلف - عموماً - في هذه القضايا

---

(١) انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن ص(٢٢٣)، والمفسرون بين التأويل والإثبات (٢/ ١٩) .

(٢) انظر المحرر الوجيز (٦/ ١٢٢، ١٢٣). والأشاعرة وإن أثبتوا الرؤية إلا أنهم يخالفون السنة في قولهم : إن الله يرى لا في جهة، ولا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن شماله، ولا فوقه، ولا تحته. وأيضاً فقد أنكر بعض الأشاعرة أن يكون المؤمن ينعم بنفس رؤية ربه . وكلا القولين باطل . انظر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٥)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٧٦، ١٣٧٧)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٠٩) .

(٣) انظر المحرر الوجيز (١٠/ ١٦٤، ١٦٥) (٥/ ١٤١) .

(٤) انظر المصدر السابق (١/ ٢٧٥، ٢٧٦)، (٤/ ٢١٢، ٢١٣) .

(٥) انظر المصدر السابق (١/ ٢٠٩)(٢/ ٢٧٦، ٢٧٧) .

(٦) الأشاعرة: ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري، ويقولون بإثبات سبع صفات، لأن العقل دل على إثباتها وهي: السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة =



فقد وقعوا في التأويل في صفات الله تعالى، وخالفوا السلف في ذلك فأثبتوا بعضها، وأوّلوا بعضها، فاسمع إلى أبي محمد يقول: «والظاهر أن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١] عبارة عن إنعامه على الجملة»[٢].

ويقول – غفر الله لنا وله – : و ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾[٣] يراد به علو القدر والمنزلة »[٤].

وقال – بعد أن أورد قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥] – : «والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان»[٦].

=

والحياة . وقالوا : كلام الله هو المعنى القائم، وهو قائم بالذات يستحيل أن يفارقه والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي . وعندهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل والإقرار من فروع الإيمان، لا من أصله. انظر رسالة في الرد على الرافضة ص(١٦٦)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٠٥) حاشية (٣) .

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٤.

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ١٥٠) .

(٣) ومن قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٩) .

(٥) سورة طه، الآية : ٥ .

(٦) المحرر الوجيز (١/ ١٦١) .

وقال - عند قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[(١)]- :

«والذي عليه الراسخون في العلم : أن الكلام هو المعنى القائم في النفس، ويخلق الله لموسى، أو جبريل إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام»[(٢)]

وما نقلته هنا مجرد أمثلة، ولا شك أن أبا محمد قد جانبه فيها الصواب.

وبهذا يتبين أن أبا محمد قد اتبع منهج السلف في بعض القضايا العقدية، وخالفهم في بعضها الآخر، وهذا طبيعة منهج الأشاعرة كما هو معروف مشهور.

وهذا ما دعا شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] أن يجمع في أثناء كلامه على تفسير ابن عطية بين الجرح والتعديل، فأثنى عليه بما أحسن فيه، ولامه على تأويلاته الموافقة لآراء من زعم أنهم أهل التحقيق من أهل الكلام [(٤)].

وكذلك ابن حجر الهيتمي[(٥)] لامه على إدخاله في تفسيره آراء المعتزلة[(٦)]

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٤ .

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٣١٢) . وهذا قاله بعد أن نفى أن يكون الله متكلماً بصوت وحرف .

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، شيخ الإسلام الإمام المجتهد (ت: ٧٢٨هـ) انظر البدر الطالع (١/ ٦٣) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١)، ومقدمة في أصول التفسير ص(١٠٥) .

(٥) أحمد بن محمد السعدي، من علماء الشافعية (ت: ٩٧٤هـ) انظر البدر الطالع (١/ ١٠٩)، والأعلام (١/ ٢٣٤) .

(٦) المعتزلة: فرقة نشأت إثر سؤال وجه للحسن البصري في فاعل الكبيرة هل هو مسلم =



في بعض القضايا العقدية، وإقراره لذلك [١].

المبحث السابع : مذهبه في الفقه

القاضي ابن عطية هو أحد علماء مذهب الإمام مالك بن أنس، فهو على مذهبه في الفروع ، وهو أحد قضاة الدولة القائمة عليه في ذلك الزمن [٢].

وعده المترجمون واحداً من أعيان مذهب مالك[٣].

والأمر واضح من تفسيره فإنه قد اعتنى بذكر أقوال المالكية في مسائل الأحكام [٤]، إلا أن مما يذكر له في هذا، أنه يحترم آراء المخالفين لمذهبه،

=

أو كافر فأجاب أحد تلاميذه وهو واصل بن عطاء بأنه لا مسلم ولا كافر واعتزل مجلس الحسن وأخذ يقرر هذا المذهب فسمي معتزلياً، وأتباعه معتزلة، ولهم أصول خمسة، خالفوا فيها الكتاب والسنة، وقول سلف الأمة. انظر الفرق بين الفرق ص (١١٩،١١٨،١١٤)، والملل والنحل ص(٤٨)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص(١٤).

(١) انظر الفتاوى الحديثية ص (٢٤٢) .

(٢) وهي دولة المرابطين، الّذي استمر حكمها لبلاد الأندلس من عام ٤٨٤هـ إلى ٥٤٠هـ تقريباً . انظر الكامل في التاريخ (٨/ ٤٦٧)، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن ص(٦٥، ٦٦) .

(٣) انظر الديباج المذهب (٢/ ٥٧) ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ١٢٩)، ومنهج ابن عطية ص(١٢٠) .

(٤) انظر المحرر الوجيز (١/ ٩١، ٩٢) و(٤/٨٢، ٨٣) و(٢/١٨٠، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ،

=

فلا يشنع عليهم، كما يفعل بعض من ألف في أحكام القرآن من علماء المذاهب الفقهية .

المبحث الثامن : المناصب التي شغلها

عاش ابن عطية في ظل دولة المرابطين التي حكمت الأندلس من سنة ٤٨٤هـ إلى سنة ٥٤٠هـ تقريباً[(١)].

ويذكر أن ابن عطية هو ووالده لم يكونا على صلة طيبة بهذه الدولة، فقد غُرِّب الأخير عن وطنه، وأُلحق بالابن بعض الإهانة، ثم أُعيد أبو بكر غالب إلى وطنه غرناطة، وحسن رأي الوالد والابن في هذه الدولة[(٢)]، ثم قويت صلة الابن بالمرابطين، وتوثقت علاقته بهم، فكان يغزو في جيوشهم[(٣)]، ويحرض القادة والأمراء على قتال النصارى الكفار، الذين كانوا يتربصون ببلاد الإسلام الدوائر[(٤)].

ثم ولاّه المرابطون القضاء بمدينة المريّة سنة ٥٢٩هـ[(٥)]، فأحسن

=

٢٣٨، ٢٤٣) .

(١) انظر الكامل في التاريخ (٨/ ٤٦٧) ، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن ص (٥٨، ٦٥، ٦٦) .

(٢) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص(٢٧١).

(٣) انظر المصدر السابق ص (٢٧١) .

(٤) انظر قلائد العقيان ص (٢٤٤، ٢٤٥) .

(٥) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص (١٠٩) ، والسير (١٩/ ٥٨٨) .



السيرة، وتوخى الحق والعدل في الحكم[١]، ويبدو أنه بقي في هذا المنصب حتى آخر دولة المرابطين بالأندلس [٢].

المبحث التاسع : مؤلفاته

تعد مؤلفات القاضي ابن عطية – التي وصلت إلينا أو وصل إلينا خبرها – قليلة، إذا قيست بعلمه الغزير، والفنون التي برع فيها، ولعل السبب في ذلك أن القاضي يرى أن طالب العلم بعد ما يحصّل أساسات العلوم التي لا يعذر بجهلها ينبغي أن يقصر همته على فن واحد، حتى يكون لأهل ذلك الفن كالحصن المشيد، والذخر العتيد، قال رحمه الله تعالى : «... ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى[٣]، وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد ، والذخر العتيد ، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله ...» [٤].

---

(١) انظر الديباج المذهب (٢/ ٥٧) .

(٢) انظر منهج ابن عطية ص (٧٥) .

(٣) احتبى : أي دنى من العلوم وقرب منها واتصل بها . انظر لسان العرب (٣/ ٣٥) «حبا» .

(٤) انظر المحرر الوجيز (١/ ٣) .

والذي رأيته، أو قرأت عنه من مؤلفات القاضي هو ما يلي :

١- (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)[١].

٢- فهرست ابن عطية، أو (الفهرست) أو (البرنامج)[٢].

٣- كتاب في الأنساب، أشار إليه بعض المترجمين، من غير ذكر اسمه[٣].

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى

اختلف المترجمون في تعيين السنة التي مات فيها القاضي أبو محمد - رحمه الله تعالى - فذهب بعضهم إلى أن وفاته كانت في مدينة (لُورَقَة)[٤]

---

(١) يرى الدكتور عبد الوهاب فايد أنه لم يعرف بهذا الاسم إلا في القرن الحادي عشر الهجري. انظر منهج ابن عطية ص (٨١، ٨٢) . قلت : ذكر جماعة من المترجمين لابن عطية أنه يسمي « الوجيز في التفسير » انظر صلة الصلة ص (٣) ، والديباج المذهب (٢/ ٥٨) ، وشجرة النور (١/ ١٢٩). والكتاب طبع ثلاث طبعات، كل طبعة لها محقق ، وكلها عليها ملاحظات كبيرة. والكتاب في نظري لازال يحتاج إلى تحقيق علمي يليق بمكانته .

(٢) انظر فهرست ابن خير ص (٤٣٧) ، والمراجع السابقة . وقد ذكر الدكتور عبد الوهاب في منهج ابن عطية ص(٨٥) أنه مخطوط بمكتبة (الأسكوريال) برقم (١٧٣٣) وهو مصور بدار الكتب المصرية برقم (٢٦٤٩١/ ب) ويقع في (٥٧) لوحة، وقد طبع الآن .

(٣) انظر المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص(٢٢٨)، ومنهج ابن عطية ص(٨٥).

(٤) «لُورَقَة» إحدى مدن الأندلس ، بينها وبين مرسية أربعون ميلا، ذات مزارع وأنهار. انظر الروض المعطار ص(٥١٢).



في رمضـــان ســـنة (٤٥١ هـــ) [١] ويرى بعضهم أن وفاته كانت سنة (٥٤٢ هــ) [٢] وآخرون يذكرون أن وفاته كانت سنة (٥٤٦ هــ) [٣] وقد صُحح القول الأول [٤]. فالله أعلم أي ذلك كان .

(١) انظر صلة الصلة ص(٣) ، والوفيات لابن قنفذ ص(٢٧٩).

(٢) انظر الصلة (١/ ٣٦٨) ، وشجرة النور (١/ ١٢٩).

(٣) انظر الديباج المذهب (٢/ ٥٨).

(٤) صححه ابن الأبّار في المعجم ص (٢٧٢).

الفصل الثالث : موازنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز

(وفيه عشرة مباحث)

تمـــهيد :

هذه الموازنة تجرى بين كتابين عظيمين، الأول منــهما يصـــنف في التفسير بالمأثور[١] ؛ لغلبة هذه النــزعة عليه، فلا يكاد صاحبه يفسر آيـــة دون أن يذكر فيها الأقوال المأثورة، إلا أن الاتجاه الآخر، اتجاه التفســير بالرأي موجود فيه، حتى عدَّه بعض المتأخرين من التفاسير التي يغلّب فيها جانب الأنظار على جانب الآثار [٢].

وأما الثاني من الكتابين – وهو المحرر الوجيز – فتصنيفه في جانـــب التفسير بالرأي أقرب من تصنيفه في جانب التفسير بالمأثور، وإن كان قد اشتمل على كثير من الأقوال المأثورة، حتى عده بعض المتأخرين في عداد التفسير بالمأثور [٣].

ولهذين التفسيرين مكانة عظيمة وتأثير كبير فيمن جاء بعـــدهما مـــن المفسرين، فاحتل تفسير الإمام الطبري مكانة عظيمة في بـــلاد المشـــرق الإسلامي، فتأثر به طائفة من المفسرين في هذه البلاد[٤]، وامتد هذا التأثير

(١) انظر التفسير والمفسرون (١/ ٢٠٤).

(٢) أعني بهذا العلامة محمد الفاضل ابن عاشور، انظر كتابه التفسير ورجاله، ص(٥٤).

(٣) أعني بهذا الدكتور محمد حسين الذهبي، انظر كتابه التفسير والمفسرون (١/٢٢٠).

(٤) منهم الواحدي ، والماوردي، وابن الجوزي، وابن كثير، والألوسي، والسعدي.



فوصل إلى غرب العالم الإسلامي فاستفاد منه القاضي ابن عطية، وتأثر به وبمنهجه، وكذلك غيره من مفسري المغاربة [١].

وفي المقابل نجد أن المحرر الوجيز قد أثّر في مدرسة التفسير في بلاد الأندلس، وما جاورها من بلاد المغرب، حتى أن من جاء بعد ابن عطية من المفسرين المغاربة تراه معوّلاً على هذا التفسير، ناقلاً منه [٢].

وامتد هذا التأثير للمحرر الوجيز فوصل إلى بلاد المشرق، فاستفاد منه طائفة من المفسرين المشارقة، ونقلوا آراء مؤلفه معجبين بذلك منتهين إلى ما قاله خاصة في علوم اللسان[٣].

وجملة القول أن مناقب هذين التفسيرين كثيرة، وكبيرة، لا يفي بها بياني القاصر، ولا هذه السطور المعدودة، ولعل الموازنة بينهما في المباحث التالية، تلقي لنا الضوء على بعض المحاسن التي اجتمعا فيها، والتي انفرد بها كل منهما، وهي في الوقت نفسه تبين عما قد يؤخذ عليهما، وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه .

المبحث الأول : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أن أصح طرق التفسير ، وأسلمها منهجاً هي أن يقوم المفسر

(١) انظر مدرسة التفسير في الأندلس (٦٧١- ٧٠٣).

(٢) كالقرطبي، وأبي حيان، وابن جزي، والثعالبي، وابن عاشور، وابن عرفة.

(٣) كالجمل، والقاسمي ، وتاج الدين الحنفي ، صاحب « الدر اللقيط » ، والألوسي. انظر مدرسة التفسير في الأندلس ص(٨٥٨- ٨٨٤).



بتفسير القرآن بالقرآن ؛ لأن ما أجمل في مكان فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان بسط في غيره(١).

ولهذا أجمع العلماء على أن هذا الطريق هو أشرف أنواع طرق التفسير وأجلها(٢).

وقد كان لكل من الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية شرف الأخذ بهذا المسلك، فأدلى كل منهما بدلوه (٣)، إلا أن دلو الإمام الطبري في هذه الناحية كان أملأ وأوفر نصيباً في نظري من دلو أبي محمد .

ثم هو أيضاً – أي الإمام الطبري – يستند في تفسير آية بأخرى، أحياناً كثيرة، إلى قول صحابي أو تابعي ويسوق ذلك بالسند إليه، وهذه ميزة تضاف إلى الميزة الأولى (٤).

المبحث الثاني : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة

السنة شارحة للقرآن ومبينة له قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥) . وقد

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير ص(٩٢) .

(٢) انظر أضواء البيان (١/ ٥).

(٣) انظر جامع البيان (١/ ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٥٤٦، ٥٥٧، ١٩٢، ٣٧١) و المحرر الوجيز (١/٨٦، ١٩١، ١٩٨) (٢/١٨، ٥٨، ١٨٢، ٣٨٣).

(٤) انظر جامع البيان (١/ ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٨).

(٥) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .



اتبع الإمام الطبري، و القاضي ابن عطية هذا الطريق المستقيم في تفسير كتاب الله الكريم ففسرا في كثير من المواطن كلام الله تبارك وتعالى بسنة رسول الله ﷺ[1].

غير أن الإمام الطبري قد فاق القاضي ابن عطية فيما يلي :

١- الإكثار من تفسير القرآن بالسنة .

٢- ساق الأحاديث بالإسناد منه إلى رسول الله ﷺ - غالباً[2] - وهذا يجعل له مخرجاً فيما أورد من أحاديث ضعيفة، و لم يبيّن ضعفها ؛ لأن من أسند فقد برئ. أما أبو محمد فلم يسند ما ساق من أحاديث، و لم يذكر - في الغالب[3] - من خرجها من الأئمة[4]، وربما أورد الضعيف

---

(١) انظر جامع البيان (١/ ١٨٥، ٢٦٠، ٤٧٣، ٤٨١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧ ، ٥٥٢) (٢/ ١٢، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ١١٢، ١١٦، ٢٢٣ ، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٧ ، ٣٢٠، ٣٦٢، ٣٩٤، ٤٣٧، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٥٨) وانظر المحرر الوجيز (٢/ ٢٠، ٢١، ٣٠، ٥٧، ٨٩، ٩١، ١٨٣) (٣/ ٢٩٦، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٢٩).

(٢) إذ قد يورد الحديث دون سند . انظر جامع البيان (٢/ ٢٠٣، ٢٤١، ٢٥٧، ٣٠٠، ٤٦٣ ، ٤٨٠).

(٣) قد يذكر من خرَّج الحديث . انظر المحرر الوجيز (٢/ ١٨٣) (١/ ٦٩، ٢٥٢، ٣٤٩، ٣٥٥).

(٤) انظر المحرر (١/ ٩) (٢/ ٤، ٩٩، ٢٧١، ٣٠١) (٣/ ٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٠) (١٠/ ١٥٤، ١٥٥، ٢٨٩، ٢٨٨) .

دون تنبيه على ضعفه(١)، وربما رفع الموقوف(٢)، وضعّف الصحيح(٣).
وهذا مما حدى ببعض المعاصرين(٤) أن يبالغ في لومه فيقول – بعد أن أورد بعض الأمثلة في هذا – : «ومن هذا كله أستطيع أن أقول: إن ابن عطية في هذا المجال من تفسيره لم ينتفع بقواعد المحدثين وأصولهم في الرواية، بل جمع في تفسيره بين الأحاديث الصحيحة وغيرها وغلب عليه ما يغلب على عامة المفسرين من حشو كتبهم – أحياناً – بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وفي رأيي أن هذا المسلك الذي سلكه ابن عطية في هذا السبيل أمر يجب أن يؤخذ على ابن عطية ، وينتقد تفسيره بسببه، وما

---

(١) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٥) حديث « وقع في نفس موسى هل ينام الله ؟ »، وانظر أيضا (١/ ١٤) ، (٣/ ٣٢، ١٨٣، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٣٢٠) ، (١٠/ ١٢٠، ٣١٤) . ثم انظر الحواشي في تلك الصفحات ترى ما ذكره محققو الطبعة المغربية.

(٢) انظر المحرر الوجيز (١/ ٦) فقد رفع « من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن» وهو موقوف على ابن مسعود، انظر منهج ابن عطية ص (١٣٣) .

(٣) انظر المحرر الوجيز (١٦/ ٧)، ثم انظر صحيح البخاري – مع الفتح – (٨/ ٦٤١)، كتاب التفسير، باب ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ ح (٤٨٩٧) ترى أن ابن عطية ضعف حديث أبي هريرة الّذي مضمونه أن بعض سورة الجمعة نزل على الرسول، وأبو هريرة موجود . و انظر الفتح (٨/ ٦٤٢) لترى توجيه الحافظ للحديث، ولعل الّذي أوقعه في هذا أنه رأى الحديث في تفسير النقاش مبتوراً .

(٤) هو الدكتور / عبد الوهاب فايد .



أظنه نقل هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة إلا من كتب التفسير، لا من كتب الحديث»[1].

المبحث الثالث: الموازنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

إذا لم يجد المفسر تفسير القرآن الكريم في القرآن، ولا في السنة رجع في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من نزول القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح[2]، وكذلك إلى أقوال التابعين فإن غالب علم هؤلاء أخذوه عن الصحابة، ولذلك رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين[3].

والإمام الطبري والقاضي ابن عطية من أدرى الناس بأهمية هذا النوع من التفسير، ولذلك تجدهما قد أكثرا من ذكر أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم[4].

فأما الطبري فيورد ذلك على عادته بالسند منه إلى صاحب القول من صحابي، أو تابعي، أو تابع تابعي، وينبه أحيانا على ضعف الرواية[5].

---

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ص (١٣٣) .

(٢) انظر مقدمة في أصول التفسير ص (٩٣) .

(٣) انظر المرجع السابق ص (٩٧) .

(٤) انظر جامع البيان (١/ ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٦٥، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٩٦، ٤٧٨، ٥٣٠، ٥٥٨) والمحرر الوجيز (١/ ٨٢، ١٠٢، ١١١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٨، ١٨٤، ٢٠٨، ٢٣٦، ٣٤٨) .

(٥) انظر جامع البيان (١/ ٥٣٢، ٥٣٣) (٨/ ٢٧٨) .

وأما أبو محمد فقد جرد الأقوال من ذكر الأسانيد، وكأنه أراد بذلك أن يقلل حجم الكتاب ليسهل على متناوله. وهو الآخر ينبه – أحيانا – على ضعف الأثر ولعله في هذا قد أربى على الإمام الطبري[١].

المبحث الرابع : الموازنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها

اعتنى الإمام الطبري عناية كبيرة بذكر القراءات وتوجيهها والاحتجاج لها[٢]، ويصوّب كثيراً القراءتين المتواترتين[٣]، إلا أنه أحياناً كثيرة يقول، وأولى القراءتين بالصواب كذا، وكذا . وإن كانتا متواترتين[٤].

وهذا غريب – أعني ترجيحه لقراءة متواترة على مثيلتها – والأغرب من هذا أنه قد يردّ قراءة متواترة لمخالفتها ما أُلف من مقاييس النحاة[٥]، وهذا مما أثار حفيظة بعض علماء القراءات على عبارات الإمام الطبري التي تؤذن بالرد والطعن[٦] . على أن هناك من دافع عن الإمام الطبري

(١) انظر المحرر الوجيز (١/ ١٨٥، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣٥٨) (٢/ ١٧٧) .

(٢) انظر جامع البيان (٢/ ١٣٢، ١٣٣، ٣٨٨) (٣/ ٣٠، ٣٢، ٧٥- ٧٨، ٣١٨، ٣١٩، ٤٣٨، ٤٣٩) .

(٣) انظر جامع البيان (٢/ ٤٧٣، ٤٧٦) (٣/ ٧٩، ٣١٩، ٤٠٥) .

(٤) انظر جامع البيان (٢/ ٣١١، ٤٧٨، ٥٥٩) (٣/ ٣٢، ١٢٣، ٢٨٥، ٤٣٩) .

(٥) انظر جامع البيان (٧/ ٥١٩، ٥٢٣) (١٢/ ١٣٧، ١٣٨) وهناك رسالة جامعية حول الموضوع بعنوان (القراءات المتواترة التي أنكرها الإمام الطبري) .

(٦) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص(١٣٣) .

واعتذر له في هذا الجانب[١].

وأما أبو محمد فكذلك قد اعتنى بذكر القراءات المتواترة ونسبتها إلى أصحابها من السبعة وغيرهم، مع التوجيه والإعراب[٢] وكذلك يورد القراءات الشاذة منسوبة إلى من قرأ بها، مع ذكر المعنى والتوجيه[٣].

وقد ذكر منهجه في هذا الجانب في مقدمة تفسيره فقال: «وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني، وجميع محتملات الألفاظ»[٤]. على أن أبا محمد – هو الآخر – قد ضعّف بعض القراءات المتواترة بدعوى مخالفتها مقاييس النحاة[٥]، وهذا شيء يؤخذ عليه كما أُخذ على الإمام الطبري من قبله، إذ القراءة إذا ثبتت سنة متبعة لا يردها قياس عربية.

المبحث الخامس: الموازنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فمن أراد أن يكشف عن معانيه ودرره فلابد أن يكون عارفاً بلسان العرب، وقد كان الإمام الطبري والقاضي ابن عطية متضلعين من العلوم العربية تضلعاً عُدَّا به من أئمة هذا

---

(١) انظر المصدر السابق ص(١٣٤).

(٢) انظر المحرر الوجيز (١/ ١١٢، ١١٣، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٥٢، ٣٧١).

(٣) انظر المحرر الوجيز (١/ ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٣٩، ١٥٥، ١٩٤، ٣٢٠، ٣٦٦).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٥).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤/ ٨، ٩، ١٠) (٦/ ١٥٨) (١٠/ ٤٥٢).

الشأن. وظهر ذلك في تفسيرهما لكتاب الله فكل منهما أولى هذه الناحية اهتماماً كبيراً فذكرا المعاني اللغوية للألفاظ واستشهدا على ذلك بالشعر العربي[١]، وأعربا كثيراً مما يحتاج إلى إعراب ، وتعرضا لمذاهب النحاة في ذلك[٢]، و لم يغفلا التعرض لناحية التصريف[٣] . وأشارا – أحياناً – إلى بعض النواحي البلاغية[٤].

ومع شدة الاتفاق بينهما في الاهتمام بناحية اللغة العربية، إلا أنه يمكن أن يلاحظ ما يلي :

١- كان اهتمام القاضي ابن عطية بناحية اللغة العربية أكثر من اهتمام الإمام الطبري، حتى كادت اللغة ومباحثها تطغى على المحرر الوجيز، فلا تكاد تمر آية إلا وله فيها مبحث، إما في الإعراب، أو اللغة،

(١) انظر جامع البيان (١/ ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٦، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٣٣، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٦٨، ٥٠٩) والمحرر الوجيز (١/ ٦٤، ٧٢، ٧٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٥، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٩) .

(٢) انظر جامع البيان (١/ ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٨٦) (٢/ ٢٣٥، ٢٩١، ٣٣٠، ٣٣١) والمحرر الوجيز (١/ ١٣١، ١٥٢، ١٦٢، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٧٩، ٣٠٣، ٣١٠، ٣٥٨).

(٣) انظر جامع البيان (١/ ٢٢٩، ٢٨٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ١٥١) والمحرر الوجيز (١/ ٧٦، ١٠١، ١٢٠، ١٣٤، ١٦٣، ١٧٩، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٤).

(٤) انظر جامع البيان (١/ ١٥٤، ١٨٠، ٢٧٩، ٣١٧، ٣٢٧) والمحرر الوجيز (١/ ٢٩٣، ٣٣٠، ٣٧٣،) (٢/ ٢٣، ٣١ ،٤٦، ٥٢) (٣/ ٢٠٥).



أو الصرف، أو غيرها مما يتعلق بهذا الشأن .

٢- كان ابن عطية معجباً بآراء نحاة البصرة، حريصاً على تدوينها وعدم نقدها(١)، ولعل السبب في ذلك أنه درس كتاب سيبويه(٢)، دراسة وافية على شيخه ابن الباذش(٣).

أما الإمام الطبري فعلى الرغم من شهادة المبرد له أنه من حذاق نحاة الكوفة(٤) إلا أنني لم ألمس ميله إلى الرأي الكوفي(٥) – في الجملة – بل استفاد من آراء المدرستين في تفسيره واختار منهما ما رآه مناسباً.

المبحث السادس : الموازنة بينهما في استنباط أحكام القرآن

شارك الإمام الطبري و القاضي ابن عطية في عرض أحكام القرآن، وذلك عند تفسير الآيات التي تضمنت ذكر الأحكام، فذكرا أقوال أهل العلم من صحابة وتابعين وأتباعهم وآراء الفقهاء، ذاكرين أدلة كل فريق، مرجحين لما أيده الدليل، من غير تعصب لأحد، أو عليه(٦).

---

(١) انظر المحرر الوجيز (١/ ١٢٣، ١٢٤، ١٤١، ١٩٤، ٢٢١، ٢٩٠، ٣٢٥، ٣٣٩).

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين في النحو (ت : ١٨٠ هـ) انظر بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٣) انظر منهج ابن عطية ص (١٥٤).

(٤) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٦٠).

(٥) بدليل تعقباته للفراء في بعض ما قاله .

(٦) انظر جامع البيان (٣/ ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥) (٤/ ١١، ١٢، =

ومن الملاحظ في هذا الجانب مايلي :

١- أن كلاً منهما بحث آيات الأحكام دون تفريط مخل ، أو إفراط مبالغ فيه ، يخرج كتابيهما من حيز التفسير إلى حيز الفقه الذي له دواوينه ومطولاته .

٢- دقة الترجيحات والملاحظات التي يبديانها في هذه الناحية ، حتى أنك لتقول: لا يعرفان إلا صنعة الفقه.

٣- كان الإمام الطبري كثير التصريح برأيه في مسائل الفقه[(١)] ، وتفسير ذلك أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق .

أما أبو محمد فيكتفي غالباً بذكر أقوال الفقهاء في مسائل الخلاف ،

=

١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤)(٨/ ٣٩، ٤٠، ٤١، ١٣٠، ١٣١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨) والمحرر الوجيز (٢/ ١٧، ٢٨، ٤٨، ٤٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٩٤، ٩٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧١)(٤/ ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٥٠، ٦١، ٧٢، ٧٣) .

(١) انظر جامع البيان (٣/ ٢٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٥٤ ، ٤٧٠)(٤/ ١٥ ، ١٦ ، ١٧، ١٨، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٠٤).



ويولي آراء الإمام مالك عناية خاصة[١].

٤- لم يحفل الإمام الطبري بذكر آراء الإمام أحمد ، ولا بذكر أهل الظاهر. أما أبو محمد فقد أورد آراءهما في تفسيره[٢].

ولعل من الأسباب في ترك الإمام الطبري لآراء الحنابلة والظاهرية ، أنه كان معاصراً لشيخي المذهبين ، ولم تكن قد اتضحت معالم المذهبين[٣]، أما في زمن ابن عطية فالأمر على العكس من ذلك.

٥- ذكر الإمام الطبري أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم في مسائل الفقه بالسند ، مما يتيح الفرصة أمام الباحثين أن يتثبّتوا من صحة الأقوال المنسوبة ، أما القاضي فذكر الأقوال عن هؤلاء بدون إسناد .

المبحث السابع : الموازنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم

روى الإمام الطبري طائفة من القصص الإسرائيلي في تفسيره ، دون تنبيه على ذلك[٤].

وقد سبب فعله هذا خصومة بين بعض العلماء المتأخرين ، بين معتذر

(١) انظر المحرر الوجيز الأجزاء والصفحات المتقدمة .

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ١٠٩ ، ١٧٦ ، ٨٠) (٤/ ١٢٨ ، ٢٣٢).

(٣) وقد قيل : إن الإمام الطبري سئل عن الإمام أحمد فقال : أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه. انظر معجم الأدباء (١٨/ ٥٧ ، ٥٨).

(٤) انظر جامع البيان (١/ ٤٥٥ ، ٤٥٦) (٢/ ٤١٤ ، ٤٣١، ٤٣٢) (١٥/ ٣١٢) (١٦/ ٣٥، ٣٦).

له بأنه قد ساق ذلك بالسند وهو بهذا قد خرج من عهدتها وحمّل القارىء مسؤولية البحث عن رجال السند ، ومعرفة جرحهم وعدالتهم[١].

وأيضاً فاستدلاله بهذه الإسرائيليات ، كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياق جملة[٢].

وبين من يرى أن إيراد السند لا يعفي الإمام الطبري من اللوم – وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – لأن كثيراً من الناس لا يعرفون من أمر الأسانيد شيئاً ، ومن الناس من إذا رأى ابن جرير على علمه وجلالة قدره يروي في تفسيره مثل هذا ، أخذه على أنه حق وصدق ، واستباح لنفسه أن يفعل مثل ما نسب لداود ومحمد عليهما الصلاة والسلام[٣].

أما ابن عطية فهو الآخر يورد القصص الإسرائيلي في تفسيره[٤]، لكن كان ذلك بالمقدار الذي ذكره في مقدمة تفسيره بقوله : « لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به» [٥].

---

(١) انظر الإمام الطبري للزحيلي ص (١٣٢).
(٢) انظر مقدمة محمود شاكر لجامع البيان (١/ ١٧).
(٣) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص (١٠٦) ، ومدرسة التفسير في الأندلس ص (٨٤٧).
(٤) انظر المحرر الوجيز (١/ ٢٤٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩) (٢/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨) (٤/ ٣٠٢ ، ٣٠٣).
(٥) المحرر الوجيز (١/ ٥) وكان الأولى بأبي محمد ترك إيراد هذا القصص ، والآيات =



ثم هو ينبه على ضعف هذا القصص ، وأنه غير ثابت[١]. لكن هذا التنبيه لم يكن في كل موطن ، إذ أورد في أماكن من تفسيره قصصاً إسرائيلياً لم ينبه عليه[٢].

وبعد : فنوجز الموازنة بين تفسير الطبري والمحرر الوجيز في جانب ذكر الإسرائيليات فيما يلي:

١- كل منهما أورد في تفسيره الإسرائيليات.

٢- أكثر الإمام الطبري في تفسيره من إيراد ذلك ، وأما أبو محمد فقد قلل – بالنسبة للطبري – من ذكر القصص الإسرائيلي .

٣- نبه أبو محمد على أكثر المواطن التي أوردها ، وترك بعض ذلك فلم ينبه عليه ، أما الإمام الطبري فقد التزم السكوت ، إلا في بعض المواطن اليسيرة ، التي حاول أن يجمع فيها بين هذا القصص وما يخالفه مما هو معلوم من الدين بالضرورة[٣]. إلا أنه مع هذا السكوت ساق السند في كل خبر ذكره فيما رأيت .

=

تنفك بدونه .

(١) انظر المحرر الوجيز (١/ ٢٤٨ ، ٣٠٩) (٢/ ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٩٧) (٤/ ٣٠٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤ ، ٢٥٥) (١/ ١٩٠ ، ٢١٧ ٢٦٠) (٣/ ٨٤).

(٣) انظر جامع البيان (١٦/ ٣٦) .



المبحث الثامن : الموازنة بينهما في الاهتمام بالعقيدة ، والرد على الفرق المخالفة

اهتم كل منهما بأمر العقيدة في تفسيره ، فالإمام الطبري رد ردوداً موفقة على فرق كثيرة حادت عن المنهج السوي في باب العقيدة ، فقد رد على القدرية[(١)] في مواطن وفي قضايا مختلفة [(٢)]. وكذلك رد على المعتزلة في مواطن وفي قضايا مختلفة[(٣)]، وكذلك نقل ردوداً جيدة على الخوارج[(٤)]، وعلى السبئية [(٥)] ، وكذلك ردَّ

(١) القدرية : هم الَّذين يزعمون أن الأمر أنف، لم يسبق به قدر، ولا علم من الله ، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وهذا شر مقال على الله نعوذ بالله من ذلك، وهؤلاء غلاة كفَّرهم الأئمة . وجمهور القدرية ينكرون عموم المشيئة والخلق وهؤلاء مبتدعون. فالقدرية فريقان . انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٥) ، والفرق بين الفرق ص (١٨، ١٩) .

(٢) انظر جامع البيان (١/ ١٦٢، ١٦٨، ١٩٥، ٢٦١) .

(٣) انظر جامع البيان (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣)(١٣/ ٤٤١، ٤٤٢).

(٤) انظر جامع البيان (١١/ ٢٥٣)(١٠/ ٣٤٧)(٦/ ١٨٧، ١٨٨) والخوارج في الأصل: هم الَّذين خرجوا على علي ﷺ وقاتلوه في موقعة النهروان فقتلهم ونجا منهم قليل كانوا نواة لفرقهم الكثيرة، ومن مذهبهم التكفير بالذنوب ، والخروج على السلطان الجائر. انظر الفرق بين الفرق ص (٧٢، ٧٣) .

(٥) انظر جامع البيان (٦/ ١٨٧) . والسبئية : منسوبون إلى عبد الله بن سبأ اليهودي. رأس الفتنة في مقتل عثمان ، وقد زعم هذا اليهودي أن عليا إله . انظر الفرق بين الفرق ص(٢١) .

على غــير هــؤلاء[١].

وكذلك أبو محمد لم يغفل أمر العقيدة ، بل اهتم بــه ، ورد علــى الفرق المخالفة ، كالمعتزلة فإنه قد رد عليهم في طائفة من ضــلالاتهم[٢]. ورد على القدرية[٣]، وكذلك رد على المشبهة[٤]، وعلــى الخــوارج[٥]، وعلى الشيعة[٦]، وعلى القائلين لا يضر مع الإيمان معصية[٧].

---

(١) مثل الّذين لايثبتون أفعال الاستهزاء والمكر والخديعة إذا كانت من الله جزاء لمن فعلها . انظر جامع البيان (١/ ٣٠٥) .

(٢) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٤٠) (٤/ ٢١٢، ٢١٣، ٣١٣)(١/ ٣١٦) (٦/ ١٢٢، ١٢٣، ١٣١) (٥/ ١٧٥)(٩/ ١٣٩) .

(٣) انظر المصدر السابق (٢/ ٣٣٦) .

(٤) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٧٩) . والمشبهة : قوم ضلوا في إثبات وجود الله وصفاته، فمنهم من شبه ذات الله بذوات خلقه . ومنهم من شبه صفات الله بصفات خلقه، ولهم في ذلك مقالات وتخبّط، وأول ظهور التشبيه صادر عن الروافض الغلاة . انظر مقالات الإسلاميين ص (٢٠٧) ، والفصل (٢/ ١١٧) ، والفرق بين الفرق ص(٢٢٥) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤/ ١٤٣) .

(٦) انظر المصدر السابق (١٠/ ١٨٤، ٢٠٨) . والشيعة هم الّذين شايعوا علياً -رضي الله عنه- على الخصوص و قالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. انظر الملل والنحل ص(١٤٦) .

(٧) وهم المرجئة انظر المحرر الوجيز (٤/ ١٤٣، ١٤٤) .

كل هؤلاء وغيرهم كانت له وقفات معهم موفقة إلا أن من الملاحظ أن الإمامين قد افترقا في باب الصفات ، فالإمام الطبري في هذا الباب يذهب فيها مذهب السلف – وهو المذهب الحق – الذين يثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل على حد قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1].

وأبو محمد – غفر الله لنا وله – يذهب فيها مذهب الأشاعرة فيثبت بعضها ، ويؤوّل بعضها الآخر.فمن الصفات التي وقعت فيها المباينة بين الطبري وابن عطية صفة الاستواء فالطبري يثبت هذه الصفة على طريقة السلف[2]، وابن عطية يؤوّلها ، ويقول: هي استواء القدرة والسلطان[3]. وكذلك صفة اليد فالطبري يثبتها[4]، وأبو محمد أوّلها[5]. وكذلك صفة المجيء والإتيان فالطبري يثبت ذلك[6]، وابن عطية يؤوّل[7] غفر الله له.

وعلى كل فالأمثلة في المفارقة بين الإمامين في هذا الباب كثيرة[8].

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) انظر جامع البيان (١/ ٤٣٠).

(٣) انظر المحرر الوجيز (١/ ١٦١) .

(٤) انظر جامع البيان (١٠/ ٤٥١ – ٤٥٦).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٥/ ١٥٠).

(٦) انظر جامع البيان (٤/ ٢٦٦).

(٧) انظر المحرر الوجيز (٢/ ١٤٦ ، ١٤٧).

(٨) انظر المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (١/ ١٢٥ – ١٦٥)

=



المبحث التاسع: الموازنة بينهما في ذكر أسباب النـــزول

معرفة سبب النـــزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[(١)].

وقد اعتنى كل من الإمامين الطبري ، وابن عطيـــة بـــذكر أســـباب النـــزول، فأورد الإمام الطبري كثيرا منها وكل ذلك بالســـند إلى مـــن قاله[(٢)].

وهو يذكر في سبب نزول الآية أحيانا كثيرة أكثر من سبب، وينص على ذلك[(٣)].

والطبري – غالباً – يورد السبب ناسقاً عليه بالفاء[(٤)] ، وهذا نص في السببية كما هو معروف [(٥)].

=

(٢/ ١٩ – ٣٢).

(١) مقدمة أصول التفسير ص (٧٢).

(٢) انظر جامع البيان (٢/ ١٥٤ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٦٠ ، ٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٥٥٨)(٣/ ١٠٢ ، ١٣٨ ، ٣٣٧ ، ٤٩٤ ، ٥٥٦ ، ٥٩١) (٤/ ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٨).

(٣) انظر جامع البيان (٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٥٢٧)(٣/ ٣٣٧ ، ٣٥٨ – ٣٦٠).

(٤) انظر جامع البيان (٢/ ١٥٤ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٦١ ، ٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٥٥٨) ، والنسق العطف .

(٥) انظر الإتقان (١/ ٩٠) ، ومباحث في علوم القرآن ص (٨٥) ومن أمثلة السببية قول الله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام . . .﴾.

وهو أحياناً يقوم بالترجيح بين الأسباب المتعددة(١).

أما القاضي ابن عطية فهو أيضاً اعتنى بهذا الشأن فأورد كثيراً من أسباب النزول في تفسيره (٢).

وإذا كان في الآية أكثر من سبب ذكره (٣) ، وربما رجح أحياناً(٤).

وهذه مواطن اتفاق بين ابن عطية والطبري – أعني الإكثار من ذكر أسباب النزول ، وإيراد الأقوال ، والترجيح أحياناً – ولكن هناك مواطن يُلمس فيها الاختلاف بينهما منها :

١ – أن الإمام الطبري يذكر السبب بالسند إلى قائله ، وابن عطية يذكره بدون إسناد .

٢ – ابن عطية يورد السبب أحياناً بما ليس نصاً في السببية ، كقوله : نزلت في كذا(٥). ولم أر هذا عند الطبري ، وإن وجد فهو قليل ، بالنسبة لما عند ابن عطية .

---

(١) انظر جامع البيان (٣/ ٣٣٧ ، ٣٣٨).

(٢) انظر المحرر الوجيز (١/ ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٣٦)(٢/ ٨٥، ١٠٣، ١٥٩، ١٧٤، ١٧٥)(٤/ ٢٦، ٣١، ٣٤، ٥٧، ٦٧، ٩٨، ١١٥، ١٢٤، ١٤٦، ١٦١، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٨، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٦٧).

(٣) انظر المصدر السابق (٢/ ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٦، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٦، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٤٩، ٣٥٠)(٤/ ٣١، ٥٧، ١٦١، ١٨٨، ٢٧٠).

(٤) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٠٠، ٢٠١، ٢٨٢)(٤/ ١٦١، ١٦٨، ١٩٨).

(٥) انظر المحرر الوجيز (١/ ٣٣٦)(٢/ ١٠٦، ١٢٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٥، ٢٨١،

=



٣- القاضي ابن عطية يذكر أحياناً السبب غير منسوب إلى قائله[١]، بينما الطبري ينسبه لقائله.

المبحث العاشر : الموازنة بينهما في ذكر مباحث أوردها من أصول الفقه وعلوم القرآن

أ – الناسخ والمنسوخ

اعتنى الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيريهما[٢]، وذلك تقدير منهما لأهمية هذا العلم ، حتى لايوجب المفسر على نفسه وعلى عباد الله أمراً قد وضعه الله ، ولا يضع عن نفسه وعن عباد الله فرضاً قد أوجبه الله تعالى .

و لم أر بينهما في هذا الباب كبير فرق سوى أن الإمام الطبري يورد ذلك بالسند إلى من قاله . وابن عطية يذكره بدون إسناد [٣]. وأيضاً فإنك تلمس من كلام الإمام الطبري التشدد في قبول دعوى النسخ [٤]، بينما

=

٣٤٣) (٤/ ٣١، ٥٨، ١١٥، ١٦١).

(١) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٣٨٥)(٤/ ٢٦، ٩٨، ١٢٤، ١٨٨).

(٢) انظر جامع البيان (٢/٤٧٢، ٥٢٧) (٣/ ١٣٨، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧) (٤/ ٣١٤، ٣٣٦، ٣٦٣، ٥٨١، ٥٨٢). والمحرر الوجيز (١/٣١٦) (٢ / ٦٠ ، ٦٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ٢٤٣ ، ٣٣٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣) (٤/ ٤٦).

(٣) انظر الأجزاء والصفحات المتقدمة قريباً.

(٤) انظر جامع البيان (٣/ ٣٨٥ ، ٥٦٣) (٤/ ٣٦٥ ، ٥٨٢) (٢/ ٥٣٥) (٦/

=



ترى أبا محمد ربما حكى قولاً بعيداً في النسخ ، أو ذكره ورتب عليه النسخ[1].

ب- العموم والخصوص

اعتنى الإمام الطبري والقاضي ابن عطية بذكر دلالات الألفاظ القرآنية، من عموم وخصوص ، وعموم يراد به الخصوص[2].

وهي ناحية مهمة تعين على الفقه في كتاب الله ، وحمل الأحكام التي أنزلها الله في كتابه على مراده سبحانه وتعالى. وليس بغريب هذا المنزع عليهما فهما من فحول أصحاب هذه الصنعة ، صنعة الفقه وأصوله. ومن الملاحظ عليهما أنهما يرجحان العموم ، ما لم يقم دليل على إرادة الخصوص[3]. وابن عطية يكاد يتميز على الطبري ، في حمل اللفظ على العموم ، في جانب التفسير ولذلك سيلاحظ القارئ في الاستدراكات شيئاً من هذا[4].

=

١١٨) (١١/ ٢٠٩).

(١) انظر المحرر الوجيز (٢/ ١٧٢ ، ١٧٦).

(٢) انظر جامع البيان (٢/ ٢٠٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧) (٥/ ٤٠ ، ٣٠٥، ٣٨٣) (٤/ ١٣٤ ، ٣٦٥). والمحرر الوجيز (١/ ٣٢٣ ، ٣٢٩) (٢/ ٤٨ ، ٢١٥) (٤/ ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢١٤).

(٣) انظر جامع البيان (٢/ ٥٤٧) (٤/٥٢٤) (٥/ ٤٠ ، ١٣٠). والمحرر الوجيز (٢/ ٤٠ ، ٥٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٤١).

(٤) انظر المحرر الوجيز (٢/ ١٠١).



ج – المكي والمدني

اعتنى أبو محمد – رحمه الله تعالى – بذكر السور المكية والمدنية فهو قبل أن يفسر السورة يذكر نبذة عن مكية السورة ، أو مدنيتها ، وما قيل باستثنائه من السور المكية ، أو المدنية ، ويذكر كلام أهل العلم في هذا بصورة مختصرة موفية للغرض في كل سور القرآن[1]. وهو يذهب في هذا الباب إلى أن ما نزل بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني سواء أُنزل في المدينة أم في سفر من الأسفار ، أم بمكة ، والمكي ما نزل قبل الهجرة . نص على هذا في أول سورة المائدة [2].

وأما الإمام الطبري فلم أر له عناية بذكر المكي والمدني ، أما في مظنته وهي قبل بداية تفسير السور فقد راجعت كل ذلك فلم أجده يذكر شيئاً، وأما في أثناء السور فقد نظرت في أكثر من موطن فلم أظفر في ذلك بشيء .

وعلى هذا فأبو محمد قد تميز على الإمام الطبري في هذا الجانب ولعل الإمام الطبري يرى أن المكي والمدني له مؤلفاته الخاصة التي يطلب منها ، وليس يدخل في تفسير القرآن .

ثم إن من ثمرة المكي والمدني معرفة الناسخ والمنسوخ ، وابن جرير أقوى من تكلم في ذلك .

---

(١) انظر كلامه في هذا قبل بداية تفسير كل سورة .

(٢) انظر المحرر الوجيز (٥/ ٥) وهذا هو المذهب الحق .

القسم الثاني





القسم الثاني

استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز

على الطبري في جامع البيان – عرضاً ودراسة



مقدمة التفسير

❁ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : « القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم »[1] ثم أورد على نفسه اعتراض معترض لما جاء عن بعض الصحابة والتابعين وأتباعهم أن في القرآن من غير لسان العرب[2].

ثم أجاب عن ذلك بقوله : « إن الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا – من أجل أهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك لها منطقاً قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان – فيكون ذلك قولاً لقولنا خلافاً . وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا . ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك – مما يُتعب إحصاؤه ، ويُمل تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره – مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها . فلو أن قائلاً قال – فيما

---

(١) جامع البيان (١/ ١٣).

(٢) انظر جامع البيان (١/ ١٣ ، ١٤) وسيأتي – إن شاء الله – إيراد بعض ذلك .

ذكرنا من الأشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره -: ذلك كله فارسي لا عربي ، أو ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي وبعضه فارسي ، أو قال : كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته كان مستجهلاً [1] ؛ لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرجُ أصل ذلك منها إلى العجم ، ولا العجم أحقَّ أن تكون كان مخرجُ أصل ذلك منها إلى العرب ، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً في الجنسين . وإذ كان ذلك موجوداً على ما وصفنا في الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . والمدعي أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر ، مدع أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخبر يوجب العلم ، ويزيل الشك ، ويقطع العذرَ صحتُه . بل الصواب في ذلك عندنا، أن يُسمى عربياً أعجمياً، أو حبشياً عربياً، إذ كانت الأمتان له مستعملتين - في بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها وبيانها. فليس غيرُ ذلك من كلام كل أمّة منهما، بأولى أن يكون إليها منسوباً منه ... فإن ظن ذو غباء أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل -كما هو مستحيل في أنساب بني آدم- فقد ظن جهلاً؛ وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد

(١) قال محمود شاكر : « كان مستهجلاً » جواب قوله : « فلو أن قائلاً قال ».



الطرفين دون الآخر لقول الله تعالى ذكره : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان ؛ لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعماله. فلو عرف استعمال بعض الكلام في أجناس من الأمم ... بلفظ واحد ومعنى واحد كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس، لا يستحق جنس منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره ، كما لو أن أرضاً بين سهل وجبل ، لها هواء السهل وهواء الجبل، أو بين بر وبحر ، لها هواء البر وهواء البحر لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سهلية جبلية ، أو بأنها برية بحرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافية حقها من النسبة إلى الأخرى . ولو أفرد لها مفرد إحدى صفتيها و لم يسلبها صفتها الأخرى كان صادقاً محقاً ... وهذا المعنى الَّذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان. عندنا بمعنى – والله أعلم – أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب، ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ، نظير ما وصفنا من القول فيما مضى ... ويقال لمن أبى ما قلنا – ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها ، إنما هي كلام أجناس من الأمم سوى العرب، وقعت إلى العرب فعربته- : ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك من الوجه الَّذي يجب التسليم له ، فقد علمت من خالفك في

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥ .

ذلك ... فقال هذه الأحرف، وما أشبهها من الأحرف غيرها أصلها عربي، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها ... فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله ... »[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ما قيل في القرآن إنه معرَّب من باب توافق اللغات، فقال: « اختلف الناس في هذه المسألة، فقال أبو عبيدة[2] وغيره: إن في كتاب الله تعالى من كل لغة. وذهب الطبري وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغتان، فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد ... قال القاضي أبو محمد عبد الحق - ﷺ -: والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب، فلا تفهمها إلا من لسان آخر، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها، فإنه قد كان للعرب

---

(١) جامع البيان (١/ ١٣ - ١٩).

(٢) « أبوعبيدة » كذا في نسخ المحرر التي وقفت عليها، ولعله: أبو عبيد، لأن الموجود عن أبي عبيدة في مجاز القرآن خلاف ما حُكي عنه هنا كما سترى. وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى البصري، النحوي الإمام العلامة (ت: ٢٠٩هـ). انظر السير (٩/ ٤٤٥).



العاربة التي نزل القرآن بلساها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش ... فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الصريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل به القرآن ، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر[1] إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه. وما ذهب إليه الطبري من اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ؛ لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً »[2].

هذه المسألة الخلاف فيها قديم بين العلماء ، والأقوال فيها ثلاثة:

القول الأول : ذهب جمهور أهل العلم[3] وعلى رأسهم الإمام الشافعي إلى أن القرآن الكريم ليس فيه من غير لسان العرب شيء.

ولهم أدلة على ذلك ذكر بعضها الإمام الطبري. ومنها ما ذكره الإمام الشافعي حيث قال: « وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : رواه أبو عبيدة في غريب الحديث ، وفي فضائل القرآن بإسناد حسن ، ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر . الكافي الشاف – الملحق بآخر الكشاف – ص (٦١) في أول سورة الأنعام .

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٦ ، ٣٧).

(٣) انظر البرهان (١/ ٢٨٧) فقد ذكر أن هذا القول رأي الجمهور.

تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له إن شاء الله.

فقال منهم قائل : إن في القرآن عربياً وأعجمياً . والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب. ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له وتركاً للمسألة له عن حجته ، ومسألة غيره ممن خالفه ...ولعل من قال : إن في القرآن غير لسان العرب وقبل ذلك منه ذهب إلى أن من القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب. ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه. والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء. فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ، وإذا فُرِّق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره ... وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ، ولا يعلمه إلا من قبله عنها ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ... فإن قال قائل : فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب. فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد ينطق إلا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه. ولا ننكر إذْ كان اللفظ قيل تعلماً أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب ، كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر



كلامها مع تنائي ديارها واختلاف لسانها ... فإن قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فيه كتاب الله قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[١] فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد كانوا يرسلون إلى قومهم خاصة ، وإن محمداً بعث إلى الناس كافة. فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه ... وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ولا يجوز – والله أعلم – أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه. وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه قال الله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا ﴾[٣] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾[٤] وقال : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا

---

(١)سورة إبراهيم ، الآية : ٤.
(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٢ – ١٩٥.
(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٧.
(٤) سورة الشورى ، الآية : ٧.

عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] وقال : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[٢] قال الشافعي : فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه – جل ثناؤه – كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣] وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[٤] »[٥].

وقال أبو عبيدة : « نزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية أكبر ، وإن لم يعلم ما هو فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة ، وشعار لها. وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها ، فمن ذلك الاستبرق بالعربية ، وهو الغليظ من الديباج

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ١ – ٣.

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٢٨.

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٣.

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٤٤.

(٥) الرسالة ص (٤١ – ٤٧).

والفرند، وهو بالفارسية إستبره ، وكوز ، وهو بالعربية جوز ، وأشباه هذا كثير. ومن زعم أن حجارة من سجيل بالفارسية فقد أعظم ...»[١].

وبين ابن فارس[٢] مقصود أبي عبيدة بمعنى قوله : فقد أعظم القول ... إلخ فقال : « فإن قال قائل : فما تأويل قول أبي عبيدة فقد أعظم وأكبر ؟ قيل له : تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه »[٣].

قلت : خلاصة أدلة من نفى أن يكون في القرآن ما ليس بعربي ، صريح القرآن ، وما يلزم على قول المثبتين من لوازم باطلة.

ويدعم هذا الاتجاه أمور كثيرة منها :

١ـ ما ذكره الإمام الشافعي من أن اللغة واسعة لا يحيط بها إلا نبي[٤]. فمن زعم أن هذه الكلمات ليست عربية، لا يتم له هذا إلا بأن يحيط باللغة العربية ، وأنّى له ذلك ؟.

٢ـ لا يبعد أن هذه الألفاظ مما حفظه القرآن لنا وأغفلها الرواة عندما بدأوا يدونون اللغة ، فإن هذه المعاجم التي بين أيدينا لا تمثل كل

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١٧ – ١٨).

(٢) أحمد بن فارس اللغوي (ت: ٣٩٥هـ) انظر السير (١٧/ ١٠٣).

(٣) الصاحبي ص (٤٦) .

(٤) تقدم قريبا نقل هذا .



اللغة العربية التي عاشت عمراً طويلاً، وتطورت عبر الأجيال والتاريخ تطوراً كبيراً، ويشهد لهذا رواية من كبار الرواة ، وعمدة من عمداء اللغة إنه أبو عمرو بن العلاء[1] الَّذي يقول: « ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»[2].

٣ــ العرب أمة من أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية ، بله الفارسية، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية ، التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله ، وبقي الحرف وحده[3].

٤ــ معظم الألفاظ التي اعتبروها من المعرّب منسوبة إلى اللغة السامية، ومن المعلوم الواضح المقرر عند علماء اللغات أن اللغات السامية جميعها قد انبثقت من لغة واحدة هي ما أطلق عليها علماء اللغة (اللغة الأم) ولم تعدُ هذه اللغات جميعاً أن تكون من لهجات هذه اللغة أخذت كل منها يبتعد عن الأخرى حتى أصبح كل منها لغة مستقلة عن الأخرى. وما دامت اللغات السامية هكذا فلا شك من وجود تشابه كبير

---

(١) أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري ، الإمام المقرئ النحوي واسع العلم (ت: ١٥٤هـ) انظر السير (٦/ ٤٠٧) .

(٢) البحر المحيط (٤/ ٢٣٣)، و لغة القرآن الكريم ص (٢٠٤) .

(٣) من كلام الشيخ أحمد شاكر في مقدمة المعرّب ص (١٣) .



بينها سواء كان في المفردات أم في غيرها[١] .

القول الثاني – في هذه المسألة – أن في القرآن الكريم كلمات ليست عربية ، وهذا القول نسبه أبو عبيد[٢] إلى الفقهاء[٣] . وحجة هؤلاء ما يلي :

١ـ ما روي عن بعض الصحابة والتابعين أهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم ، منها : طه، واليم ، والطور، والربانيون، يقال: إنها بالسريانية.

والصراط ، والقسطاس، والفردوس يقال: إنها بالرومية .

ومشكاة ، وكفلين يقال: إنها بالحبشية[٤] .

قال السيوطي[٥] – وهو من أنصار القول الثاني - : « وأقوى ما رأيته للوقوع – وهو اختياري – ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة[٦]، التابعي الجليل، قال : في القرآن من كل لسان » [٧].

---

(١) انظر لغة القرآن الكريم ص (٢٢٢) .

(٢) القاسم بن سلام ، إمام ذو فنون (ت: ٢٢٤هـ) انظر السير (١٠/ ٤٩٠).

(٣) انظر الصاحبي ص (٤٤- ٤٥) ، والمعرّب ص (٥٣)، والبرهان (١/ ٢٩٠) .

(٤) انظر الصاحبي ص (٤٤، ٤٥) ، والبرهان (١/ ٢٨٨)، ولغة القرآن ص (٢٠٥).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر. حافظ مؤرخ (ت:٩١١هـ) انظر البدر الطالع (٣٢٨/١).

(٦) هو: عمرو بن شرحبيل، ثقة (ت: ٦٣هـ) انظر التهذيب (٤٧/٨).

(٧) الإتقان (١/ ٣٦٧) .



قال السيوطي : فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شيء فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب »[١].

٢ــ استدلوا – أيضاً- باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة[٢] وقد أجاب هذا الفريق عن بعض أدلة الفريق الأول فقال : قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[٣] بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية[٤].

قلت : ويمكن أن يجاب عن أدلة القائلين بالوقوع بما يلي :

١ــ أما استدلالهم بما روي عن بعض الصحابة والتابعين . فما صح منه[٥] محمول على ما قاله الإمام الطبري : إنه من باب توافق اللغتين ، وقد أجاد في عرض هذا الجواب فراجعه وتأمّله.

---

(١) الإتقان (١/ ٣٦٧) وقاله أيضاً في المهذب ص(٦١، ٦٢) .

(٢) انظر الإتقان (١/ ٣٦٧) .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٧ .

(٤) انظر الإتقان (١/ ٣٦٧).

(٥) روى الإمام الطبري في جامع البيان (١/ ١٣، ١٤) ستة آثار، الأول والثاني والثالث والخامس من طريق شيخه ابن حميد، وقد رجح الذهبي أنه ضعيف. انظر
=



٢ـــ وأما استدلالهم باتفاق النحاة أن منع صرف نحـــو (إبـــراهيم) للعلمية والعجمة. فالجواب عن هذا أن الأعلام ليست محل خلاف ، وإنما الخلاف في وقوع الأجناس[١].

وهذا الجواب أشار إليه الإمام الشافعي بقوله:« ولا ننكر إذا كـــان اللفظ ... نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم، أو بعضها ...»[٢].

وقد شرح بعض المعاصرين جواب الإمامين الشافعي وابن جريـــر ، وأضاف أشياء جديرة بأن ينظر فيها ، فراجع ذلك إن شئت[٣].

القول الثالث – في مسألة المعرَّب – أن هذه الحروف المختلفة فيهـــا بغير لسان العرب في الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته فصار عربياً بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحال أعجمية الأصل، فهذا القول يصدّق الفريقين جميعاً، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلاّم [٤].

=

كتاب الكاشف (٣/ ٣٢). والرابع من الآثار فيه علي بن زيد بن جدعان ضعفه العلماء . انظر الميزان (٣/ ١٢٧) . والسادس أثر أبي ميسرة الّذي صححه السيوطي .

(١) انظر الإتقان (١/ ٣٦٧) ونص ابن عاشور أن المعرّب شرطه أن يكون لفظاً غير علم نقله العرب إلى لغتهم . انظر التحرير والتنوير (٧/ ٣١١) .

(٢) الرسالة ص (٤٤، ٤٥) .

(٣) أعني بهذا الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم . انظر كتابه لغة القرآن الكريم ص(٢٠٧- ٢٠٩) .

(٤) انظر الصاحبي ص (٤٥، ٤٦) ، والمعرّب ص (٥٣) .

قلت هذا رأي ابن عطية. وذكر الشيخ أحمد شاكر[١] أنه اختيار كثير من علماء الأصول، وعلماء اللغة[٢].

وذكر ابن فارس أن أبا عبيد علل ما ذهب إليه من الجمع بأن قـال: وإنما فسرنا هذا لئلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتـوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أراده الله جل وعـز، وهم كانوا أعلم بالتأويل، وأشد تعظيماً للقرآن[٣].

وهذا الجمع يُعترض عليه بقول الإمام الطبري أنه لا يمكن الجزم بـأن أصل هذه الكلمات لم يكن عربياً، وإنما جاء من لغة أخرى؛ لأن هذا لا يوصل إليه إلا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صـحته[٤]. وأيضاً : نهاية هذا القول الاعتراف بأن في القرآن كلمات ليست عريقة في العربية ، وهذا فيه ما فيه. وأيضاً : تعليل أبي عبيد لجمعه هذا بأن سـببه حتى لا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ربما كان مضعفاً لهـذا الاتجاه في الجمع ، لأنه ليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه إلى الجهل ؛ وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف

---

(١) أحمد بن محمد شاكر المصري عالم بالحديث والتفسير واللغة (ت: ١٣٧٧هـ) انظر الأعلام (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر مقدمة كتاب المعرّب ص (١١).

(٣) الصاحبي ص (٤٦).

(٤) انظر جامع البيان (١/ ١٥) .



بعضهم بعضاً، ثم خلف من بعدهم من خلف، فأخذ بعضهم بقول ، وأخذ بعض بقول ، حسب اجتهادهم ، وما دلتهم الدّلالة عليه[١].

وبعد: فهذه المسألة من المسائل الكبار التي لا يستطيع الفصل فيها طالب مبتدئ مثلي إلا أن الَّذي يبدو – والله أعلم – أن قول الإمام الشافعي وابن جرير – وهو قول الجمهور[٢]– أسعد بالدليل، وأسلم مما يلزم على غيره من اللوازم[٣]، وأحوط في الديانة فلا ينبغي أن يقدم عليه غيره، وبناء على هذا فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري لا أراه وارداً لما ذكرت آنفاً ولما يلي:

١– الكلمات التي وقع فيها الخلاف، ما هي إلا كلمات معدودة عند التحقيق[٤]، فلا يبعد قول الإمام الطبري أنها مما اتفقت فيه اللغة العربية وغيرها . وهذا أبو عبيدة يذكر لنا أمثلة على ذلك، وابن عطية نفسه لا يدفع هذا المبدأ، والواقع يصدق ذلك .

٢– مما يؤيد الإمام الطبري، ما ذُكر سابقاً من أن معظم هذه الألفاظ التي اعتبروها من المعّرب منسوبة إلى اللغات السامية، واللغات السامية –

---

(١) انظر الصاحبي ص (٤٦) فقد رد بهذا ابن فارس على أبي عبيد .

(٢) انظر البرهان (١/ ٢٨٧) فقد نسب الزركشي هذا القول إلى الجمهور .

(٣) طعن بعض المستشرقين في إعجاز القرآن وتحديه للعرب عن طريق القول بإثبات المعرّب في القرآن . انظر لغة القرآن الكريم ص(٢٠٢، ٢٠٣) .

(٤) انظر لغة القرآن الكريم ص(٢٢١) .



منها العربية- قد انبثقت من لغة واحدة، هي ما أطلق عليه علماء اللغة (اللغة الأم) .

٣- ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري أنه موافق لقول الجمهور، وأنه يؤثر عن حبر الأمة[1].

---

(١) انظر كتاب اللغات في القرآن برواية ابن حسنون إلى ابن عباس ص(١٦)، ولغات القبائل الواردة في القرآن الكريم برواية أبي عبيد عن ابن عباس ص(٤٠، ٤١) .



سورة الفاتحة

١- قال الإمام الطـبري – رحمه الله تعالى – : « ومعنى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[(١)] الشكر خالصا لله، جل ثناؤه ، دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً. وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدست أسماؤه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ جاء الخبر عن ابن عباس وغيره »[(٢)].

ثم ساق بسنده عن ابن عباس أنه قال : « الحمد لله هو الشكر لله، والاستخذاء لله[(٣)]، والإقرار بنعمته وهدايته ، وابتدائه، وغير ذلك »[(٤)].

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٢ .

(٢) جامع البيان (١/ ١٣٥) .

(٣) كذا في النسخة المحققة « الاستخذاء » وفي غيرها « الاستحذاء» ولعله الصحيح . والاستحذاء طلب العطاء منه . انظر لسان العرب (٣/ ٩٩) «حذا» .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ١٣٥) من طريق الضحاك عن ابن عباس. وضعف إسناده الشيخ أحمد شاكر .

وساق بسنده أيضا إلى النبي ﷺ أنه قال : « إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك »[١].

ثم قال الإمام الطبري: « قال : وقد قيل : إن قول القائل « الحمد لله» ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى . وقوله : « الشكر لله » ثناء عليه بنعمه وأياديه ... قال أبو جعفر : ولا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل : (الحمد لله شكراً) بالصحة . فقد تبين – إذا كان ذلك عند جميعهم صحيحا – أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد ؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال : الحمد لله شكراً . فيُخرِج من قول القائل : الحمد لله مُصَدَّر « أشكُرُ » ؛ لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد كان خطأً أن يُصدَّرَ من الحمد غير معناه ، وغير لفظه »[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الحمد والشكر بمعنى واحد فقال: « الحمد معناه : الثناء الكامل ، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد ، وهو أعم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ١٣٦) من طريق موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير يرفعه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١) ونسب إخراجه للطبري والحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي . ثم قال : بسند ضعيف . وقال أحمد شاكر – بعد أن ذكر حكم السيوطي - : وإسناده ضعيف حقاً، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة .

(٢) جامع البيان (١/ ١٣٧ ، ١٣٨) .



من الشكر ؛ لأن الشكر إنما أن يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، وشكره حمد ما ، والحمد المجرد هو ثناء بصفاة المحمود من غير أن يسدي شيئاً ، فالحامد من الناس قسمان : الشاكر والمثني بالصفات . وذهب الطبري : إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، وذلك غير مرضي . وحكى عن بعض الناس أنه قال : الشكر ثناء على الله بأفعاله وإنعامه والحمد ثناء بأوصافه .

قال القاضي أبو محمد : وهذا أصح معنى من أنهما بمعنى واحد . واستدل الطبري على أنهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكراً . وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه ؛ لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد أنه على نعمة من النعم »[1]. هذا رأي كل من الإمامين وأدلته.

فإذا نظرت في أقوال أهل العلم في هذه المسألة من لغويين ومفسرين تجد أنك أمام أربعة أقوال :

١- الجمهور يذهبون إلى ما ذهب ابن عطية فيرون أن بين الحمد والشكر فرقاً ، فالحمد عندهم أعم من الشكر ومستغرق له ، فهذا الأزهري[2] يقول : « ... الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها ، والحمد قد يكون شكراً للصنعة ، ويكون إبتداء للثناء على الرجل ، فحمد الله

(١) المحرر الوجيز (١/ ٦٣) .

(٢) محمد بن أحمد الأزهري ، اللغوي العلامة ، (ت : ٣٧٠ هـ) انظر السير (١٦/ ٣١٥) .



الثناء عليه ، ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل »[١] .

وقال الراغب[٢] : « الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر »[٣].

وقال ثعلب : « الشكر لا يكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد فهذا الفرق بينهما »[٤].

وقال صاحب مختار الصحاح[٥] : والحمد أعم من الشكر[٦].

وقال أبو الليث السمرقندي[٧] : ... وحمد الله تعالى والثناء عليه بصفاته الحسنى ، وبما أنعم على عباده ، ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر ؛ لأن الحمد يوضع موضع الشكر ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد[٨].

---

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٤٣٥) « حمد » .

(٢) الحسين بن محمد الأصبهاني ، العلامة الماهر ، توفي في المئة الخامسة . انظر السير (١٨/ ١٧٠) .

(٣) المفردات ص (٣١) « حمد » .

(٤) لسان العرب (٧/ ١٧٠) «شكر».

(٥) محمد بن أبي بكر الرازي له علم بالتفسير والأدب ، (ت : بعد ٦٦٦هـ) انظر الأعلام (٦/ ٥٥).

(٦) مختار الصحاح ، ص (١٢١) «حمد».

(٧) نصر بن محمد بن إبراهيم ، المحدث الزاهد ، (ت : ٣٧٥هـ) انظر السير (١٦/ ٣٢٢).

(٨) تفسير القرآن لأبي الليث (١/ ٧٩) .



وقال الواحدي[1] : « الحمد » قد يكون شكراً للصنيعة ، وقد يكون إبتداء للثناء على الرجل ، يقال : حمدته على معروفه ، كما يقال : شكرته . ويقال : حمدته على علمه وعلى شجاعته إذا أثنيت عليه بذلك، ولا يقال في هذا المعنى شكرته . فحمد الله الثناء عليه والشكر لنعمه[2].

وقال القرطبي[3] : الصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان[4].

وقال البَغَوي[5] : ... والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة ، يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من نعمه وحمدته على علمه وشجاعته ، والشكر لا يكون إلا على النعمة ، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال : شكرت فلاناً على علمه ، فكل حامد شاكر ، وليس كل شاكر حامداً[6].

---

(١) علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي ، الأستاذ العلامة ، (ت : ٤٦٨ هـ) انظر السير (١٨/ ٣٣٩) .

(٢) الوسيط (١/ ١٦٥) .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد عالم زاهد (ت : ٦٧١) انظر نفح الطيب (٢/ ٢١٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٤) .

(٥) أبو محمد الحسين بن مسعود ، الإمام الحافظ (ت : ٥١٦ هـ) انظر السير (١٩/ ٤٣٩) .

(٦) معالم التنزيل (١/ ٣٩) . وهذا القول قال غير هؤلاء أيضاً . انظر زاد المسير (١/ ١١)، والتفسير الكبير (١/ ١٧٩) ولباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢١)

=

فهذا القول حاصله أن الحمد أعم من الشكر فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً .

القول الثاني : يرى أنه لا فرق بين الحمد والشكر وأن كل واحد منهما يحل محل الآخر ، وهو رأي الطبري – كما رأيت – وإلى هذا ذهب طائفة من العلماء .

نقل ابن منظور[١] ، عن بعض أهل اللغة [٢] أنه قال الحمد الشكر ، فلم يفرق بينهما[٣] . ونقله القرطبي في تفسيره[٤] عن أبي العباس المبرد[٥].

ويفهم من كلام صاحب القاموس[٦] أنه يرى هذا حيث قال : الحمد

=

والبحر المحيط (١/ ١٣٠) ، ونزهة الأعين النواظر ص (٢٥١) ، والدر المصون (١/ ٣٦) .

(١) محمد بن مكرم الأنصاري أبو الفضل ، الإمام اللغوي (ت : ٧١١ هـ) انظر الأعلام (٧/ ١٠٨) .

(٢) هو اللحياني .

(٣) لسان العرب (٣/ ٣١٤) « حمد » .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٣).

(٥) محمد بن يزيد الأزدي ، النحوي الأخباري (ت : ٢٧٦ هـ) . انظر السير (١٣/ ٥٧٦) .

(٦) محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، من أئمة اللغة والأدب (ت : ٨١٧ هـ) انظر الأعلام (٧/ ١٤٦) .



الشكر ، والرضا ، والجزاء ، وقضاء الحق(١).

وقال ابن قتيبة(٢) : وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال : حمدته على معروفه عندي كما يقال : شكرت له على شجاعته(٣).

قال القرطبي : وحكاه أبو عبد الرحمن السلمي(٤) في كتاب الحقائق له عن جعفر الصادق(٥) ، وابن عطاء . قال ابن عطاء(٦) : معناه الشكر ؛ إذ كان منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه(٧).

وحكى هذا القول محمود بن حمزة الكرماني(٨) فقال: وقيل الحمد والشكر واحد(٩).

---

(١) ترتيب القاموس المحيط (٢/ ٧٤٠) « شكر ».

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري . العلامة المصنف (ت : ٢٧٦ هـ) انظر السير (١٣/ ٢٩٦) .

(٣) انظر زاد المسير (١/ ١١) .

(٤) محمد بن حسين الأزدي الصوفي المحدث (ت : ٤١٢ هـ) انظر السير (١٧/ ٢٤٧) .

(٥) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، الإمام (ت : ١٤٨ هـ) انظر السير (٦/ ٢٥٥) .

(٦) أبو العباس أحمد بن محمد البغدادي ، زاهد صوفي (ت : ٣٠٩ هـ) انظر السير (٦/ ٢٥٥) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٣) ، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٣) .

(٨) أبو القاسم المعروف بتاج القراء، مفسر مقرئ ، (ت: بعد المائة الخامسة) انظر طبقات المفسرين (٢/ ٣١٢) .

(٩) غرائب التفسير (١/ ٩٦) .

القول الثالث : أن الشكر أعم من الحمد . قال أبو الليث السمرقندي[١] : وقال بعضهم الشكر أعم لأنه باللسان والجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة ، كما قال : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[٢].

وقد ذكر العلماء مع الآية الكريمة بيتاً من الشعر يدل على أن الشكر عند العرب يكون بالقلب واللسان والجوارح ، قال السمين الحلبي[٣]: ... ويكون – أعني الشكر – بالقلب واللسان والجوارح قال تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[٤] وقال الشاعر[٥]:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

وهذا القول قد نقله القرطبي فقال: وقال بعض العلماء : إن الشكر أعم من الحمد لأنه باللسان والجوارح والقلب ، والحمد إنما يكون باللسان خاصة[٦].

---

(١) تفسير القرآن لأبي الليث (١/ ٧٩) .
(٢) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .
(٣) أحمد بن يوسف بن محمد ، المقرئ النحوي، (ت: ٧٥٦هـ) انظر طبقات المفسرين (١/ ١٠١) .
(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .
(٥) لم أقف على اسمه . والبيت في الدر المصون (١/ ٣٦)، وتفسير البيضاوي (١/ ٧)، وتفسير النسفي (١/ ٥)، وتفسير أبي السعود (١/ ١٢) .
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٣- ١٣٤) .



القول الرابع: ذهب بعض المتأخرين إلى أن بين الحمد والشكر عموماً وخصوصاً من وجه ، وبيان ذلك : أن تحمد الشخص على علمه وعلى إحسانه إليك ، وهو باللسان فقط فالعموم من حيث الوقوع ، والخصوص من حيث إنه إنما يقع باللسان . و الشكر بعكس الحمد فمتعلقه ثلاثة : القلب، واللسان ، والفعل، وهذا عموم ، وإنما يقع مقابل النعمة وهذا خصوص .

قال ابن كثير – وهو ممن استدرك هذه المسألة هو والقرطبي على الطبري[1] – : « اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين ، والتحقيق أن بينهما عموماً وخصوصاً، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول حمدته لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخص بأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال: شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إليّ . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم »[2].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٣) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٣) . وقد أشار إلى هذا القول السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ٣٦)، والشوكاني في فتح القدير (١/ ١٩) ونسبه إلى صاحب الكشاف، ولعله الّذي عنى ابن كثير بقوله : بعض المتأخرين .

وبعد : فإنك إذا نظرت في هذه الأقوال وجدت أن قول من قال : إن الحمد هو الثناء بالصفات اللازمة والمتعدية، والشكر هو الثناء بالصفات المتعدية قول يدل عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[3] ، فهذا ثناء بالصفات اللازمة .

وأما المتعدية فكقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ ﴾[5] وقوله تعالى :

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٠ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١١١ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٤٣ .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٩ .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾(١).

وأما الشكر فتجده في كتاب الله على الصفة المتعدية ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾(٤).

أما القول الثاني : وهو أن كلاً من الحمد والشكر بمعنى واحد فهو قول موجود في لغة العرب وإن كان ذلك على قلة ، إلا أن قلة من قال به لا تدعو إلى نفيه ، واعتراض ابن عطية رحمه الله على استدلال الطبري بصحة قول القائل « الحمد لله شكراً » وأن « شكراً » تخصيص للحمد فهذا على حسب رأيه أن الحمد عام والشكر خاص ، وما جاء عن العرب أولى بالاتباع ، وما قيل سابقاً أن القرآن يشهد لقول ابن عطية لايلزم منه أن ينفي قول الطبري ، فإثبات الشيء لا يلزم منه في كل الأحوال نفي ما سواه .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٦٠ .

(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١٧٢ .



وقد أشار الشيخ محمود شاكر إلى مخالفة بعض العلماء للطبري في هذه المسألة ثم قال : « والذي قاله الطبري أقوى حجة وأعرق عربية من الَّذين ناقضوه»[(١)].

وأما القول الثالث: وهو أن الشكر أعم من الحمد فأصحاب هذا القول نظروا إلى مصدر الشكر وأنه بالقلب واللسان والجوارح ، وبهذا الاعتبار صحيح ما قالوه .

وأما أصحاب القول الرابع فإنما أرادوا التوفيق بين قولين متعارضين وتوفيقهم هذا موفق ، والله أعلم .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : « القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[(٢)] قال أبو جعفر كان بعض أهل البصرة يزعم أن «لا» مع « الضالين » أدخلت تتميماً للكلام والمعنى إلغاؤها ويستشهد على قيله ذلك ... بقول أبي النجم[(٣)] قال :

فما ألوم البيض أن لا تسخر ... لمَّا رأينا الشمط القفندرا

---

(١) جامع البيان (١/ ١٣٨) هامش (٢) .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٧ .

(٣) الفضل بن قدامة ، من أكابر الرجاز (ت: ١٣٠ هـ) انظر الأعلام (٥/ ١٥١). والبيت في مجاز القرآن (١/٢٦)، والكامل (١/١٠٩)، واللسان (١١/ ٢٦٨ «قفندر»، والدر المصون (١/٧٣). ومعنى القفندر القبيح الفاحش. انظر مجاز القرآن (١/ ٢٦) .



وهو يريد : فما ألوم البيض أن تسخر . وبقول الأحوص [(١)] :

ويلحنني في اللهو أن لا أحبه   وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل

يريد : ويلحنني في اللهو أن أحبه ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[(٢)] يريد أن تسجد . وحُكي عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول ﴿ غَيْرِ﴾ التي معه ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ أنها بمعنى سوى . فكأن معنى الكلام كان عنده : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الّذين أنعمت عليهم الّذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين . وكان بعض نحويي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ، ويزعم أن ﴿ غَيْرِ﴾ التي مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ لو كانت بمعنى سوى لكان خطأ أن يعطف عليها بـ «لا»؛ إذ كانت «لا» لا يعطف بها إلا على جحد قد تقدمها . كما كان خطأ قول القائل : « عندي سوى أخيك ولا أبيك» لأن «سوى» ليست من حروف النفي والجحود. ويقول: لما كان ذلك خطأ في كلام العرب، وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب، كان معلوماً أن الّذي زعمه القائل: أن ﴿ غَيْرِ﴾ التي معه ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بمعنى سوى المغضوب عليهم خطأ . إذ كان قد كر عليه الكلام بـ «لا» وكان يزعم

(١) عبد الله بن محمد الأنصاري، كان مقدماً في الشعراء (ت: ١٠٥هـ) انظر خزانة الأدب (١٦/٢)، والأعلام (٤/ ١١٦). والبيت في ديوانه ص(١٧٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦) ، والمغني لابن هشام (١/ ٢٤٨) .

(٢) سورة الأعراف، الآية : (١٢) .



أن ((غير)) هنالك إنما هي بمعنى الجحد . إذ كان صحيحا في كلام العرب وفاشياً ظاهراً في منطقها توجيه ((غير)) إلى معنى النفي ، ومستعملاً فيهم ((أخوك غير محسن ولا مجمل))، يراد بذلك : أخوك لا محسن ولا مجمل . ويستنكر أن تأتي ((لا)) بمعنى الحذف في الكلام مبتدأ ، ولما يتقدمها جحد، ويقول: لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مبتدأ ، قبل دلالة تدل على ذلك من جحد سابق، لصح قول قائل قال : ((أردت أن لا أكرم أخاك)) بمعنى أردت أن أكرم أخاك. وكان يقول ففي شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك ، دلالة واضحة على أن ((لا)) لا تأتي مبتدأة بمعنى الحذف، ولما يتقدمها جحد ... ويقول في سائر الأبيات الأخر أعني مثل بيت أبي النجم ... إنما جاز ذلك أن تكون ((لا)) بمعنى الحذف، لأن الجحد قد تقدمها في أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مواصلاً للأول ... قال أبو جعفر وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الأول إذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداء الكلام من غير جحد تقدمه بـ ((لا)) التي معناها الحذف ولا جائز العطف بها على ((سوى)) ولا على حرف الاستثناء. وإنما لغير في كلام العرب معان ثلاثة . أحدها : الاستثناء، والآخر: الجحد ، والثالث : ((سوى)). فإذا ثبت خطأ أن تكون ((لا)) بمعنى الإلغاء مبتدأ ، وفسد أن يكون عطفاً على ((غير)) التي مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ لو كانت بمعنى ((إلا)) التي هي استثناء ولم يجز أيضاً أن يكون عطفاً عليها لو كانت بمعنى ((سوى)) وكانت ((لا)) موجودة عطفاً



بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها صح وثبت أن لا وجه لـ ﴿غَيْرِ﴾ التي مع ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يجوز توجيهها إليه على صحة ، إلا بمعنى الجحد والنفي ، وأن لاوجه لقوله : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ إلا العطف على ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فتأويل الكلام إذاً – إذ كان صحيحاً ما قلنا بالذي عليه استشهدنا – اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المغضوب عليهم ولا الضالين »[(١)].

وأورد القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – عند تفسيره لهذه الآية ما يفيد الاستدراك على الإمام الطبري فقال : « قال مكي[(٢)] رحمه الله – حكاية – : (دخلت لا في قوله ولا الضالين لئلا يتوهم أن الضالين عطف على الذين) قال : (وقيل : هي مؤكدة بمعنى غير) . وحكى الطبري أن (لا) زائدة . وقال : هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز :

فما ألوم البيض ألا تسخرا ....

أراد أن تسخر . وفي قول الأحوص :

ويلحنني في اللهو أن لا أحبه وللهو داع دائب غير غافل

(١) جامع البيان (١/ ١٨٩ – ١٩٢) . وقد حذفت بعض الأشياء خوف التطويل .

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي ، الإمام العلامة (ت : ٤٣٧ هـ) انظر السير (١٧/ ٥٩١).



وقال الطبري : يريد ويلحنني في اللهو أن أحبه .

قال القاضي أبو محمد عبد الحق - ﷺ - : وبيت الأحوص إنما معناه إرادة أن لا أحبه فلا فيه متمكنة . قال الطبري : ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[1] »[2].

وبعد فالتعليق على ما تقدم هو ما يلي :

١- موضع استدراك ابن عطية هو في تقدير الطبري (لا) زائدة في بيت الأحوص .

٢- يبدو أن استدراك أبي محمد على الطبري في البيت ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو مقصود لغيره .

لأنه فيما يظهر يذهب إلى أن (لا) جيء بها لئلا يتوهم أن « الضالين » عطف على « الذين » وهو الرأي الذي بدأ به ابن عطية وذكر أن مكياً حكاه . وهذا القول حاصله أن (لا) ليست زائدة ، وإنما جيء بها للسبب المذكور سابقاً . ثم بدأ ابن عطية يحكي الأقوال الأخرى ومنها ما حكاه الطبري ثم جاء ابن عطية بعبارة تفيد أن الطبري يرى زيادتها وهو قوله : « وقال هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز ... وفي قول الأحوص » ثم أراد أن ينال مما نسبه للطبري – وهو القول

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٨٧) .



بزيادتها في الآية – فوجه الاعتراض إلى ما ذكر أن الطبري قدره في بيت الأحوص .

فالحاصل من هذا كله : أن ابن عطية يرى عدم زيادة (لا) في الآية، ويرى أيضاً أن الطبري يقول بزيادتها .

٣- في نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري لأن الإمام الطبري إنما حكى رأي البصري[١] في الآية وفي الاستشهاد بالبيت . ثم نسق عليه برأي الكوفي[٢] الذي حاصله : عدم زيادة (لا) في الآية ، ثم اختار الطبري رأي الكوفي ونصره بما سمعت في آخر ما نقلت عنه .

وأجدني مضطراً إلى نقل كلام البصري وبعض كلام الكوفي – رغم أن الإمام الطبري قد نقله – ليتضح ما قلت سابقاً .

قال أبو عبيدة – بعد أن ورد الآية – : « مجازها غير المغضوب عليهم ولا الضالين . ولا من حروف الزوائد لتتميم الكلام والمعنى إلقاؤها . وقال العجاج[٣] :

في بئر لا حور سرى وما شعر

أي في بئر حور، أي هلكة . وقال أبو النجم :

---

(١) هو أبو عبيدة .

(٢) هو الفراء .

(٣) عبد الله بن رؤبة السعدي التميمي راجز مجيد (ت : نحو ٩٠ هـ) . انظر الأعلام (٤/٨٦). والبيت في مجاز القرآن (١/ ٢٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٨).



فما ألوم البيض أن لا تسخر لَمَّا رأينا الشـــمط القفندرا

القفندر القبيح الفاحش . أي فما ألوم البيض أن يسخرن . وقال :

ويلحنني في اللهو أن لا أحبه وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل

والمعنى : ويلحنني في اللهو أن أحبه . وفي القرآن آية أخـــرى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[1] مجازها: ما منعك أن تسجد. ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ تأكيد ؛ لأنه نفى فأدخلت (لا) لتوكيد النفي تقول : جئت بلا خير ولا بركة ، وليس عندك نفع ولا دفع »[2].

وقال الفراء[3] : «وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فإن معنى (غير) معنى (لا) فلذلك ردت عليها (ولا) هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كانت (غير) بمعنى سوى لم يجز أن تكر عليهـــا (لا) ألا ترى أنه لا يجوز : عندي سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال بعض من لا يعرف العربية[4] : إن معنى (غير) في (الحمد) معنى (سوى) وإن (لا) صلة للكلام واحتج بقول الشاعر :

في بئر لا حور سرى وما شعر

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٥ ، ٢٦) .

(٣) يحيى بن زياد الكوفي انتهت إليه إمامة النحو في الكوفة (ت : ٢٠٧ هـــ) انظر السير (١٠/ ١١٨) .

(٤) يعني أبا عبيدة .



وهذا غير جائز ؛ لأن المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله ، فهو جحد محض. وإنما يجوز أن تجعل (لا) صلة إذا اتصلت بجحد قبلها ...»[1].

وبهذا يتبين أن رأي الفراء والطبري عدم زيادة (لا) في الآية ، وإنما هي عطف على (غير) التي هي بمعنى (لا) ، ويتبين كذلك أن الطبري إنما حكى كلام أبي عبيدة في معنى بيت الأحوص ، وفي غيره من الأبيات. وهو يخافه الرأي في معنى الآية ، وفي بيت الأحوص . أما الآية فقد صرح بمخالفته ، وأما البيت فالطبري يرى رأي الكوفي ، وهو : أن (لا) لا تكون ملغاة إلا إذا تقدمها نفي . وبيت الأحوص لم يتقدم على (لا) — فيه — نفي ولذلك أعرض الكوفي فلم يرد على أبي عبيدة فيه، كأنه يقول: أما بيت الأحوص فليس مما نحن فيه في شيء وتابعه الطبري فقال عندما حكى رده « ويقول في سائر الأبيات الأخر ، أعني مثل بيت أبي النجم » فالطبري لما أحس أن في عبارته ما يفيد العموم قيد بقوله « أعني مثل بيت أبي النجم » فكل هذا يشهد بخلاف ما نسبه إليه ابن عطية بقوله : « وحكى الطبري أن (لا) زائدة[2] . وقال : هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز ... وقال الطبري : يريد : ويلحنني في اللهو أن أحبه ... قال الطبري : ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

(١) معاني القرآن (١/ ٨) .

(٢) « وحكى الطبري أن (لا) زائدة » لا شك أن الطبري قال هذا ، وإنما جئت بهذه الجملة ليتبين مرجع الضمير في قول ابن عطية « وقال » .



﴿تَسْجُدَ﴾[1] فكل هذا قد بيَّن النقل السابق أنه من قول أبي عبيدة .

ولعل السبب الذي جعل ابن عطية ينسب للطبري ما لم يقل أنه رأى الطبري يقول : (وهو يريد) ثلاث مرات عند البيتين والآية ، ولم يرجع ابن عطية إلى كتاب المجاز فظن هذا رأياً للطبري ، غير أنه لو أكمل قراءة كلام الطبري - وهو طويل جداً - لوجد أنه في آخره يصرح بعدم موافقته لأبي عبيدة .

وهناك احتمال ضعيف جداً وهو أن ابن عطية أراد بقوله : « وقال الطبري » أي فيما حكى . فإن كان هذا فلا استدراك ، ولا وجود للمسألة من أساسها .

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2] - : « فإن قال كيف خص النصارى بهذه الصفة، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم ؟ . قيل : كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم ، أو أخبرهم عنه ، ولم يسم واحدا من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه »[3].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة الفاتحة، الآية : ٧ .

(٣) جامع البيان (١/ ١٩٥) .



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري في تعليله هذا فقال: «وهذا غير شاف، والقول في ذلك أن أفاعيل اليهود – من اعتدائهم وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات، وقتلهم الأنبياء – أمور توجب الغضب في عرفنا ، فسمى تعالى ما أحل بهم غضباً، والنصارى لم يقع لهم شيء من ذلك، إنما ضلوا من أول كفرهم دون أن يقع منهم ما يوجب غضباً خاصاً بأفاعيلهم ، بل هو الَّذي يعم كل كافر وإن اجتهد ، فلهذا تقررت العبارة عن الطائفتين بما ذكر»[(١)].

تبين لنا من إجابة الإمامين : أن الإمام الطبري أن وصف اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال؛ لأن الله قد وسمهم بذلك في كتابه الكريم، فهو وسم وضعه الله لكل فريق منهم حتى يعرفوا به بين الناس، إذا ذكروا لهم ، أو أخبروا عنهم ، وكل فريق منهم لم يوصف إلا بها هو صفة له على الحقيقة ، وإن كان له من الصفات الذميمة ما هو زيادة على ما وسم به . وأما القاضي ابن عطية فيذهب إلى البحث عن سبب التسمية ومنشئها فيرى أن اليهود – عليهم لعنة الله – فعلوا أفاعيل تثير الغضب في عرفنا فقتلوا الأنبياء ، واعتدوا على غيرهم وتعنتوا في أمور كثيرة ، وكفروا مع رؤيتهم الآيات وهذه أمور توجب الغضب من الله ومن الناس فسمى ما حل بهم غضباً، فهم مغضوب عليهم . أما النصارى فإنهم ضلوا بكفرهم وشركهم بالله تعالى على غير علم وبصيرة إلا أنهم – غالبا- لم

(١) المحرر الوجيز (١/ ٨٨) .



يصدر منهم أفاعيل خبيثة كما صدر من اليهود، فغاية ما فعلوا أنهم جنوا على أنفسهم فهم ضلال بهذا .

والآن نعرض بعض أقوال العلماء في هذه المسألة ، فهذا أبو الليث السمرقندي يثير نفس السؤال فيقول: «فإن قيل : أليس النصارى من المغضوب عليهم ؟ واليهود أيضا من الضالين ؟ فكيف صرف المغضوب إلى اليهود ، وصرف الضالين إلى النصارى ؟ قيل له : إنما عرف ذلك بالخبر وإستدلالاً بالآية .

فأما الخبر فما روي عن رسول الله ﷺ «أن رجلا[1] سأله وهو بوادي القرى[2] من المغضوب عليهم؟ قال : اليهود ، قال : ومن الضالين ، فقال: النصارى »[3] وأما الآية فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود :

---

(١) في رواية الطبري أنه من بني القين (١/ ١١٤) . وفي بعض الروايات أن السائل أبو ذر . انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣١) .

(٢) واد بين المدينة والشام وهو منازل قضاعة ثم جهينة وبلي ، وكانت قديماً منازل ثمود وعاد وبها أهلكهم الله . انظر معجم البلدان (٣/ ٣٨٤) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/ ٣٧) عن عبد الله بن شقيق عن من سمع رسول الله ﷺ ، والطبري في تفسيره (١/ ١١٤) . والحديث أخرجه الترمذي متصلاً من حديث عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ (٥/٢٠٢ – ٢٠٣) كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفاتحة ، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٧٨ – ٣٧٩) ، وسفيان بن عيينة في تفسيره (ص ٢٠٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٤٠) برقم (١٠٤٠) ، وابن حبان في صحيحه – الإحسان – =



﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾[(١)] وقال في قصة النصارى : ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(٢)] »[(٣)].

وهناك من علل سبب الوصف فقال: وصفوا بذلك لأنهم يقرأون التوراة والإنجيل وينتحلونهما ويزعمون أنهم يدينون بهما ، وقد حرفوهما ، وهم على غير هدى[(٤)] .

وبعضهم يرى عدم قصر ما في الآية على اليهود والنصارى؛ لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل[(٥)] ، ثم يعلل بأن كل من أخطأ في

=

(١٦/ ١٨٣ – ١٨٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٩٨ – ٩٩) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٣٤ – ٣٣٥) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة . وصححه الشيخ أحمد شاكر. انظر تحقيقه لتفسير الطبري (١/ ١٨٥) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٧ .

(٣) تفسير القرآن لأبي الليث (١/ ٨٣) .

(٤) انظر تفسير كتاب الله العزيز (١/ ٧٧) .

(٥) إذا ثبت تفسير الآية عن رسول الله ﷺ فلا كلام لأحد بعد ذلك ، وعلماء التفسير يذهبون إلى ما ثبت عن رسول الله حتى أن ابن أبي حاتم قال : ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً . تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣) ، وانظر ما قاله الألوسي في نقد هذا القول . روح المعاني (١/ ٩٦) .

الأعمال الظاهرة وهم الفساق فهذا مغضوب عليه ، وكل من أخطأ في الاعتقاد فهو ضال[1].

وبعضهم يعلل في فريق ويترك الآخر فيقول : لأن النصارى كان محققوهم على شرعة ، قبل ورود شرع محمد ﷺ فلما ورد ضلوا ، وأما غير محققيهم فضلالتهم متقررة منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام[2].

ويعلل شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - ذلك بقوله : « وذلك أن اليهود عرفوا الحق و لم يتبعوه ، والنصارى عبدوا الله بغير علم »[3]. ونحو هذا التعليل علل ابن كثير[4] ، وعبد الرحمن السعدي[5].

فإذا نظرت في هذه الأقوال تجد أن ما قاله أبو الليث يصلح جواباً لمن سأل عن المقصود بالمغضوب عليهم وبالضالين ، كما جاء في الحديث بينما السؤال المطروح هو عن سبب اختصاص اليهود بالغضب والنصارى بالضلال .

وأما ما جاء عن غيره من تعليل ، فكل اجتهد بما يرى أنه صالح

---

(١) انظر التفسير الكبير (١/ ٢١٠) .
(٢) انظر الجواهر الحسان (١/ ٤٠) .
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٧) .
(٤) انظر تفسيره (١/ ٣٠) .
(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٩) . وستأتي ترجمة صاحبه عند الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

للتعليل ، وبعضها أوضح من بعض ، وكلهم مأجور إن شاء الله ؛ إذ ليس في المسألة نص يُحكم على من خالفه بالخطأ .

غير أن ما قاله القاضي ابن عطية أوضحها وأحسنها – في نظري – فإنه علل بشيء معقول لنا في هذا الحياة الدنيا فإن اليهود قتلوا الأنبياء وآذوا الناس وتعنتوا في أمور كثيرة وكفروا مع رؤيتهم الآيات وهذه أمور توجب الغضب فكان وصفهم بذلك مناسباً جداً ، وأما النصارى فإنهم عبدوا الله بغير علم فضلوا ، وضلالهم هذا إنما هو على أنفسهم وضرره عائد عليهم فوصفهم بذلك مناسب أيضاً .

وأما تعليل الإمام الطبري فهو أقرب إلى أن يكون تعييناً لصاحب الصفة منه إلى تعليل منشأ التسمية فإنه قال : « ... غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم ... لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكر لهم ، أو أخبرهم عنه ».

سورة البقرة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعـالى : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ ﴾[١]-: «فإن قال لنا قائل: أخبرنا عن هذين المثلين ، أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدهما؟ فإن يكونـا مثلين للمنافقين ، فكيف قيل : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ ﴾، و «أو» تأتي بمعنى الشك في الكلام ، ولم يقل «وكصيب » بالواو التي تُلحق المثلَ الثـاني بالمثـل الأول ؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر بـــ «أو» ؟ وقد علمت أن «أو» إذا كانت في الكلام فإنما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه ، كقول القائل «لقيني أخوك أو أبوك» وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قـد لقيه. وغير جائز في الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشـك في شـيء، أو عزوب علم شيء عنه ، فيما أخبر أو ترك الخبر عنه .

قيل له : إن الأمر في ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه ، و «أو» - وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك - فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتي بعدها، كقول توبة بن الحُمَيِّر[٢] :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩ .

(٢) توبة بن الحمير بن حزم العامري، شاعر مشبب (ت : ٨٥ هـــ) . انظر الأعلام (٨٩/٢) .

=



وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ، ولكن لما كانت «أو» في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه «الواو» لو كانت مكانها ، وضعها موضعها ، وكذلك قول جرير[1]:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

وكما قال الآخر[2] :

فلو كان البكاء يرد شيئـــا بكيت على بجير أو عفاق
على المرأين إذ مضيا جميعــاً لشأنهما بحزن واشتيــاق

فقد دل بقوله «على المرأين إذ مضيا جميعاً» أن بكاءه الـــذي أراد أن يبكيه لم يرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يبكيهما جميعاً. فكذلك ذلك في قول الله جل ثناؤه: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ لما كان

=

والبيت في مغني اللبيب (٦٢/١) ، وخزانة الأدب (٦٨/١١).

(١) جرير بن عطية التميمي البصري ، شاعر زمانه (ت : ١١٠هـ) . انظر السير (٥٩٠/٤). والبيت في ديوانه ص (٢٧٥)، ومغني اللبيب (٦٢/١) ، والدر المصون (٦٧/١) ، وخزانة الأدب (٦٩/١١).

(٢) متمم بن نويرة التميمي ، صحابي شاعر فحل (ت : في حدود ٣٠هـ). انظر الإصابة (٨٣/١٠) ، والأعلام (٢٧٤/٥)، والبيتان في اللسان (٢٩٢/٩) «عفق» ، وفي كتاب الأزهية في علم الحروف ص (١٢٢) ، وخزانة الأدب (١٣١/٧).

معلوماً أن « أو » دالـــة في ذلك على مثل الـــذي كانت تدل عليـــه « الواو » لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بـــ «أو» أو بـــ «الواو»[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعل « أو » بمعنى الواو ، فقـــال : « قوله عز وجـــل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ أو للتخيير، معناه : مثلوهم بهذا ، أو بهذا ، لا على الاقتصار على أحد الأمـــرين ... وقـــال الطبري : «أو» بمعنى الواو . قال القاضي أبو محمد : وهذه عجمة»[(٢)].

اتضح مما تقدم أن الإمام الطبري يرى أن «أو» هنا بمعـــنى الـــواو ، فالمعنى مثلوا المنافقين بهذا وبهذا، بينما يرى القاضي ابن عطية أنها للتخيير فلك أن تمثل حال هؤلاء المنافقين بهذا المثل ، أو بهذا المثل ، من غـــير أن تقصر التمثيل على أحدهما وتدع الآخر فأنت إذا مثلـــت بالحالـــة الأولى صحيح ، لكن لا يفيد هذا أن الحالة الثانية لا تصلح للتمثيل .

فإذا رجعت إلى كتب المعاني والنحو تجد أن الخلاف في هذه المســـألة خلاف قديم وأنه في حقيقته خلاف بين مدرستين كبيرتين مدرسة النحو البصرية ، ومدرســـة النحو الكوفية ، فهذا ابن الأنباري[(٣)] يحكي لنا هذا

---

(١) جامع البيان (١/٣٣٦ - ٣٣٧).

(٢) المحرر الوجيز (١/١٣٣).

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، الإمام القدوة شيخ النحو ، (ت : ٥٧٧هـــ) . انظر السير (٢١/١١٣).



الخلاف فيقول : «ذهب الكوفيون إلى أن «أو» تكون بمعنى الواو ، وبمعنى بل ، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو ، ولا بمعنى بل»[1].

وقال صاحب المجيد في إعراب القرآن المجيد [2] - عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ -: « (أو) لها خمسة معان: الشك، والإبهام، والتخيير ، والإباحة ، والتفصيل ، وزاد الكوفيون بمعنى الواو لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [3] أو بمعنى بل كقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [4] على أحد الوجوه »[5].

وذكر صاحب الدر المصون هذه المعاني الخمسة لـ «أو» في الآية الكريمة ثم قال : «وزاد الكوفيون فيها معنيين آخرين ، أحدهما كونها بمعنى الواو ، وأنشدوا[6]:

جاء الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (٤٧٨/١).

(٢) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الصفاقسي ، فقيه لغوي (ت : ٧٤٢هـ) . انظر بغية الوعاة (٤٢٥/١).

(٣) سورة الإنسان ، الآية : ٢٤.

(٤) سورة الصافات ، الآية : ١٤٧.

(٥) المجيد في إعراب القرآن المجيد ص (١٣٤).

(٦) البيت لجرير وقد تقدم .

والثاني كونها بمعنى بل وأنشدوا [١]:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى

وصورتها أو أنت في العـين أملـح

أي بل أنت »[٢].

وعلى كل حال فالخلاف بين المدرستين في هذه المسـألة مشـهور معروف أثبته عنهم غير من ذكرت[٣].

أما المفسرون : فمنهم من أجاز أن تكون بمعنى الواو ، ومنهم من منع ذلك ، ومنهم من اقتصر على نقل القولين[٤] .

فالزمخشري[٥] قال : «فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخـر بحرف الشك ؟. قلت : «أو» في أصلها لتساوي شـيئين فصـاعداً في

---

(١) البيت لجرير أيضاً وهو في ديوانه ص (٢٧٥) ، وفي الإنصاف (٢/٤٧٨).

(٢) الدر المصون (١/١٦٧).

(٣) انظر مغني اللبيب (١/٦٢) ، والتبيان في إعراب القرآن (١/٣٤) ، وخزانة الأدب (١١/٦٨).

(٤) يأتي بعـض النقـل عنهم . وانظر الكشـاف (١/٢١٤) ، وتفسـير القرآن لأبي الليث (١/٩٩)، ومعالم التنـزيل (١/٥٣) ، وزاد المسير (١/٤٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١/٢١٥) ، وغرائب التفسير (١/١٢٢) ، والتفسير الكبير (٢/٧١) ، وتفسير البيضاوي (١/٢٩) ، وتفسير النسفي (١/٢٦) ، وتفسير أبي السعود (١/٥٢) ، وفتح القدير (٤٧-٤٨) ، وروح المعاني (١/١٧١).

(٥) محمود بن عمر الزمخشري ، النحوي اللغوي المفسر (ت : ٥٣٨هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢/٢١٤).



الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك ، وذلك قولك جالس الحسن[١] أو ابن سيرين[٢] تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[٣] أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفية هاتين القصتين، وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك»[٤].

وقال الألوسي[٥] : و «أو» عند ذوي التحقيق لأحد الأمرين ويتولد منه في الخبر الشك والإبهام والتفصيل على حسب اعتبارات المتكلم، وفي الإنشاء الإباحة والتخيير كذلك ، وحينئذ لا يلزم الاشتراك ولا الحقيقة والمجاز ... وزعم بعضهم أن « أو » هنا بمعنى الواو وما في الآيتين تمثيل

---

(١) الحسن بن أبي الحسن ، البصري ، الإمام العالم (ت : ١١٠هـ) . انظر السير (٥٦٣/٤).

(٢) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري ، الإمام العالم (ت : ١١٠هـ) . انظر السير (٦٠٦/٤).

(٣) سورة الإنسان ، الآية : ٢٤.

(٤) الكشاف (٢١٣/١-٢١٤).

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني ، مفسر محدث علامة (ت : ١٢٧٠هـ) . انظر الأعلام (١٧٦/٧).

واحد ، وقيل: بمعنى بل ، وقيل للإبهام ، والكل ليس بشيء[١].

وبعد فإن القارئ يتطلع إلى أدلة الفريقين فأقول قد ساق الطبري طائفة من أدلة الكوفيين ، وذكر غيره بعضها فيما تقدم أيضاً ، وساق كثيراً منها العلامة علي بن محمد الهروي[٢] في كتابه الأزهية فقال :

«والموضع الخامس تكون (أو) بمعنى واو النسق كقوله عزوجل: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ ﴾[٣] وقوله : ﴿ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾[٤] إلى آخرها «أو» في جميع ذلك بمعنى واو النسق ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾[٥] و ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٦] و ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[٧] معنى (أو) في كل ذلك بمنزلة الواو، فكأنه

---

(١) روح المعاني (١/١٧٠-١٧١) ، وهو الوحيد بين المفسرين الذي رفض أن تكون «أو» بمعنى الواو . فيما اطلعت عليه.

(٢) علي بن محمد أبو الحسن الهروي ، عالم بالنحو إمام في الأدب ، من علماء القرن الرابع . انظر بغية الوعاة (٢/٢٠٥).

(٣) سورة النور ، الآية : ٦١.

(٤) سورة النور ، الآية : ٣١.

(٥) سورة المرسلات ، الآية : ٦.

(٦) سورة طه ، الآية : ٤٤.

(٧) سورة طه ، الآية : ١١٣.



قال : عذراً ونذراً يعني إعذاراً وإنذاراً ، ولعله يتذكر ويخشى ، ولعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذكراً ... وهو كثير في القرآن. وقال النابغة[1]:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

أراد ونصفه فقد »[2].

أما أدلة البصريين على أنها لا تأتي «أو» بمعنى الواو فقد حكاها أحد شيوخهم المدافعون عن مذهبهم وهو الإمام ابن الأنباري فقال : «وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الأصل في «أو» أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام ، بخلاف الواو وبل ؛ لأن الواو معناها الجمع بين الشيئين ، وبل معناها الإضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى «أو»، والأصل في كل حرف أن لا يدل إلا على ما وضع له ، ولا يدل على معنىآخر ، فنحن تمسكنا بالأصل ، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهناً بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه »[3].

---

(١) زياد بن معاوية الذبياني ، شاعر جاهلي ، هلك قبل الهجرة بنحو ١٨ عاماً . انظر الأعلام (٥٤/٣). والبيت في ديوانه ص (٣٥) ، وفي الإنصاف في مسائل الخلاف (٤٧٩/٢) ، ومغني اللبيب (٩٣/١) ، وأوضح المسالك (٣٤٩/١)، وهذا البيت ملزم للبصريين كما في الانتصاف من الإنصاف (٤٧٩/٢-٤٨٠).

(٢) كتاب الأزهية في علم الحروف ص (١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) وما بعدها .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف (٤٨٠/٢-٤٨١).

وعلى كل حال فالمسألة كبيرة ، وما من دليل استدل به الكوفيون إلا ونجد نحاة البصرة قد تأولوه[١]، وجاء من رد عليهم في تأويلاتهم تلك[٢] ، ولو ذهبت أسوق لك ذلك من بطون الكتب لطال الكتاب وخرج عن مقصوده الأصلي .

إلا أنني أقول : ما قاله البصريون أن «أو» أصلها لأحد الشيئين على الإبهام صحيح ، إلا أنه مما لا شك فيه أن لها معاني أخرى خرجت إليها كالتخيير ، والإباحة ، والتفصيل أثبتها البصريون أنفسهم بناء على أن ذلك جاء عن العرب ، فكذلك لا مانع أن تأتي بمعنى الواو ، لا سيما أن ذلك موجود في كتاب الله الذي هو أصل لغة العرب ، وجاء عن العرب أنفسهم ما يشهد لذلك ، إلا أنه لا ينبغي أن يتوسع في ذلك حتى ندعي على «أو» في كل موطن أنها بمعنى الواو ، بل الأمر كما قال ابن مالك[٣] رحمه الله تعالى :

وربما عاقبت الواو ، إذا لم يلف ذو النطق للبس منفذا[٤]

وبناء على ما تقدم أقول : إن الذي ذهب إليه الإمام الطبري في تفسيرها صحيح ، والذي ذهب إليه ابن عطية صحيح أيضاً . وقد تقدم

---

(١) انظر المصدر السابق (٤٨٠/٢) وما بعدها .

(٢) انظر الانتصاف من الإنصاف (٤٧٩/٢-٤٨٠).

(٣) محمد بن عبد الله بن مالك ، إمام العربية (ت : ٦٧٢هـ) انظر بغية الوعاة (١٣٠/١).

(٤) ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل (٢١٤/٢).



أن الزمخشري قال : «فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك »[١].

وبهذا قال الفخر الرازي[٢] ، والبيضاوي[٣] ، والنسفي[٤] ، وأبو السعود[٥] ؛ وغير هؤلاء حكى القولين كالمثبت لهما جميعاً[٦] .

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية ليس وارداً على الإمام الطبري .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وأما تأويل قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾[٧] فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب

---

(١) الكشاف (٢١٤/١).

(٢) انظر تفسيره (٧١/٢) والرازي هو محمد بن عمر بن الحسين ، عالم أصولي مفسر (ت : ٦٠٦هـ) . انظر السير (٥٠٠/٢١).

(٣) انظر تفسيره (٢٩/١) والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر ، عالم بالفقه والتفسير والأصول (ت : ٦٨٥هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢٤٨/١).

(٤) انظر تفسيره (٢٦/١) والنسفي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود ، فقيه حنفي مفسر (ت : ٧١٠هـ) . انظر الأعلام (٦٧/٤).

(٥) انظر تفسيره (٥٢/١) . وأبو السعود هو : محمد بن محمد العمادي ، فقيه مفسر (ت : ٩٨٢هـ) . انظر الأعلام (٥٩/٧).

(٦) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٩٩/١) ، ومعالم التنزيل (٥٣/١) ، وزاد المسير (٤٢/١) ، وغرائب التفسير (١٢٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢١٥/١) ، وفتح القدير (٤٧/١-٤٨).

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٦ . وكان الأولى ألا يقف الإمام الطبري على هذا ، بل =

كان يتأول معنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً، ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى: ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾[١] ويزعم أن معنى ذلك : وتستحي الناس ، والله أحق أن تستحيه ، فيقـول : الاسـتحياء بمعـنى الخشـية ، والخشـية بمعنى الاستحياء»[٢].

ورأى القاضي ابن عطيـة – رحمه الله تعالى – أن الأولى في معـنى ﴿ يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ خلاف ما رجحه الإمام الطبري فقال : «واختلف المتأولون في معنى ﴿ يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ في هذه الآية فرجح الطبري أن معناه يخشى ، وقال غيره : معناه يترك وهذا هو الأولى »[٣].

فإذا رجعت إلى كتب التفسير تجد أن قول ابن عطية قد قال به جماعة من علماء التفسير[٤] ، وتجد أيضاً أن هناك من يذكر القول الذي ذكره

=

يكمل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا ﴾ .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

(٢) جامع البيان (١/٤٠٢).

(٣) المحرر الوجيز (١/١٥١).

(٤) كالراغب في المفردات ص (١٤٠) ، والرازي في التفسير الكبير (٢/٢٢) ، والبيضاوي في تفسيره (١/٤٠) ، والخازن في تفسيره (١/٤٢) ، والواحدي في الوسيط (١/١٠٨) ، وغيرهم ممن لم أذكر .



الطبري[١] في معنى الآية ، ورأيت أيضاً من الأقوال غير هذين، فرأيت من يقول معناه يمتنع[٢] ، ومن يقول : إن نفي الاستحياء عن الله إنما وقع مطابقة لكلام الكفار ؛ لأنهم قالوا : أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت [٣].

ومنهم من قال : معنى الآية إن الله تعالى لا يمنعه الحياء من ضرب الأمثال بهذه الأشياء وإن صغرت وكانت حقيرة [٤].

فهـــذه أقوال خمسة فيما اطلعت عليه ، وبعضها يرجع إلى بعض عند التدقيق والنظر.

وأقفي على هذه الأقوال بأمور يلزمني البحث ذكرها اختصرها فيما يلي :

١- ما نسبه القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري أنه رجح أن «يستحيي» معناه يخشـــى ، لا يوجد في النسخ التي بين يدي من تفســـير

---

(١) كابن كثير في تفسيره (٦٥/١) ، والسمين في الدر المصون (١٢٢/١) ، والكرماني في غرائب التفسير (١٢٨/١).

(٢) كالكرماني أيضاً في غرائب التفسير (١٢٨/١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢/١).

(٣) جوَّزه الزمخشري في كشافه (٢٦٣/١) ، وحكاه الشوكاني في فتح القدير (٥٦/١).

(٤) ذكره أبو الليث في تفسير القرآن (١٠٤/١) وقاله البغوي في معالم التنـــزيل (٥٨/١)، وأبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير (٣٦/١).

الطبري ما يؤخذ منه ذلك صريحاً ، وإنما يفهم منه ذلك فهماً ، وبمراجعة كلام الطبري يتبين لك ما قلته .

٢- أرى في هذه الأقاويل - حاشا الأخير منها - ما يدل على نفي صفة الحياء عن الله تعالى وهذا أمر - نحن - أهل السنة والجماعة على خلافه فنثبت هذه الصفة لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تعطيل على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١) . وذلك أن الله أثبت ذلك لنفسه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾(٢) .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال - في الثلاثة الذين وقفوا على حلقته : «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه »(٣).

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١/١٥٦ - فتح الباري) ، كتاب العلم ، باب =



وقال العلامة الألوسي - رحمه الله ، بعد أن ذكر أن النصوص تدل على نسبة الحياء إليه تعالى -: «وللناس في ذلك مذهبان: فبعض يقول : بالتأويل إذ الانقباض النفساني مما لا يحوم حول حظائر قدسه سبحانه ، فالمراد بالحياء عنده الترك اللازم للانقباض ، وجوّز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة ... وبعض - وأنا والله الحمد منهم - لا يقول بالتأويل بل يمر هذا وأمثاله مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث على ما جاءت ويكل علمها بعد التنـزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة»[1].

٣- القول الأخير هو القول الصحيح في معنى الآية ، ويشهد بصحته ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة ، وما عداه أقوال قيلت وتأويلات تؤوّلت ، النصوص على خلافها ، ويغفر الله لنا ولأصحابها.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾[2] قال أبو جعفر : ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل جل ذكره ، اصطفاؤه منهم الرسل ، وإنزاله

=

من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، ح (٦٦).

(١) روح المعاني (٢٠٦/١) ، وانظر في كلام أهل السنة حول إثبات صفة الحياء لله تعالى ، كتاب الحجة في بيان المحجة (٤٦٨/٢-٤٦٩).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٠.



عليهم الكتب ، واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه ، إلى التمكين لهم في الأرض ، وتفجير عيون الماء من الحجر، وإطعام المن والسلوى ››[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه تخصيص ، والحسن أن تحمل النعمة على العموم ، فقال: ‹‹وخصص بعض العلماء النعمة في هذه الآية ، فقال الطبري : بعثة الرسل منهم ، وإنزال المن والسلوى ، وإنقاذهم من تعذيب آل فرعون ، وتفجير الحجر. وقال غيره : النعمة هنا أن دركهم مدة محمد ﷺ. وقال آخرون : هي أن منحهم علم التوراة ، وجعلهم أهله وحملته . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذه أقوال على جهة المثال ، والعموم في اللفظة هو الحسن››[٢].

هذا ما يراه الإمامان في تفسير النعمة ، فإذا رجعت إلى ما قاله علماء التفسير ترى أن بعض المتقدمين - منهم صحابة وتابعون - يذكرون من العام بعض أفراده[٣] ، وتابعهم عليه بعض من تأخر كالطبري وغيره[٤].

---

(١) جامع البيان (١/٥٥٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/١٩٦ ، ١٩٧).

(٣) انظر جامع البيان (١/٥٥٥ ، ٥٥٦) ، فقد أخرج عن ابن عباس وأبي العالية ما يفيد الخصوص .

(٤) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (١/١١٤) فقد فسر أبو الليث الآية بما يفيد الخصوص .



ولعل هؤلاء ما أرادوا القصر ، وإنما مجرد التمثيل .

وترى آخرين - من المتقدمين أيضاً - يقولون بالعموم في معنى النعمة[١] وهذا ما يراه ابن عطية ، وقد قال به جمع من المتأخرين[٢] .

والقول كما قال ابن عطية ، إن العموم هو الحسن ، وإن كانت النعمة في الآية مفردة فلا يؤثر؛ وذلك أن النعمة للجنس تقال للقليل والكثير[٣] . ويشهد أن المقصود بها العموم في هذا الموضع أن الله تعالى قال في آيـــة أخرى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[٤] فقال: ﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ والمقصود نِعَم بدليل قوله : ﴿لَا تُحْصُوهَآ ﴾ .

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٥]... وقوله:﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ مخاطبة من الله عباده المؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين

---

(١) انظر جامع البيان (٥٥٦/١) فقد أخرج ما يفيد ذلك عن مجاهد وابن زيد .

(٢) انظر الوسيط (١٢٧/١) ، ومعالم التنـــزيل (٦٦/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٣١/١) ، وتفسير الخازن (٥٢/١) ، والدر المصون (٣١١/١) ، وروح المعاني (٢٤١/١) ، والتحرير والتنوير (٤٥١/١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٥٥/١) تجد أصحاب هذه المؤلفات يحملون النعمة على العموم .

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن ص (٤٩٩) «نعم» ، والدر المصون (٣١١/١).

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٤.

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٧٣.

المكذبين بالبعث ، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا . فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته ، فإني كما أحييته في الدنيا ، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم ، فأبعثهم يوم البعث . وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب – وهم قوم أميون لا كتاب لهم – لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم ، وفيهم نزلت هذه الآيات ، فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم مَن قِبَلهم »[1].

ورأى القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن الظاهر خلاف قول الإمام الطبري ، فقال : «وقوله تعالى :﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ ... وفي هذه الآية حض على العبرة ، ودلالة على البعث في الآخرة ، وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل حينئذ حكي لمحمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامـة . وذهب الطـبري إلى أنـها خطاب لمعاصري محمد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: ﴿ ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا ﴾ »[2].

تبين من عرض كلام الإمامين أن الخلاف بينهما في الكاف من قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فابن عطية يرى أن الظاهر فيها أنها خطاب لبني إسرائيل

---

(١) جامع البيان (٢/٢٣٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/٢٦٢ ، ٢٦٣).



الذين حضروا القصة وشاهدوها بأعينهم ، والإمام الطبري صرح في أول كلامه أنها مخاطبة للمؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث .

وهذا يعني : أن قوله تعالى :﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الخطاب فيه موجه لأمة محمد ﷺ المؤمنين والمكذبين ، فهو على هذا معترض في أثناء قصة بني إسرائيل .

وكلام ابن عطية في تعيين رأي الطبري ليس واضحاً ، فهو يحتمل ما تقدم ، ويحتمل أنه أراد أن الطبري يجعلها خطاباً لبني إسرائيل المعاصرين لمحمد ﷺ.

ويرجح أنه أراد الأول شيئان :

١- أن ابن عطية جعل كلام الطبري مقطوعاً مما قبله ، وهذا لا يناسب حمله على الثاني .

٢- أن أبا حيان يحمل كلام الطبري على أنه يقول : الخطاب لمنكري البعث[1] ، والظاهر أنه فهم هذا من كلام ابن عطية . والله أعلم.

علماً أن هناك ما يرجح الاحتمال الثاني من كلام الطبري نفسه حيث قال : «لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم ، وفيهم نزلت هذه الآيات »[2].

---

(١) انظر البحر المحيط (١/٤٢٥).

(٢) جامع البيان (٢/٢٣٢).



ونحن نناقش كلام ابن عطية على الاحتمال الأول - لأن هذا هو الذي صرح به الإمام الطبري - فنقول : اختلف من المخاطب في قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ على أقوال : فقيل الخطاب لمن في زمن الرسول ﷺ من المؤمنين والمنكرين للبعث . وقيل : الخطاب لبني إسرائيل الذين حضروا القصة . والأول قول الطبري ، والثاني قول ابن عطية . وقيل : الخطاب لبني إسرائيل المعاصرين لمحمد ﷺ [(١)]. وقيل : الخطاب لكل من يصح أن يخاطب ، ويسمع هذا الكلام ؛ لأن أمر الإحياء عظيم يقتضي الاعتناء بشأنه أن يخاطب به كل من يصح منه الاستماع[(٢)] .

وقيل : الخطاب لمنكري البعث[(٣)].

وقد حكى الزمخشري والبيضاوي وغيرهما بعض قول الطبري - وهو أن الخطاب لمنكـري البعث - وما ذهـب إليه ابن عطيـة دون ترجيح أحدهما على الآخر[(٤)].

وأما أبو حيان [(٥)] فحكى القولين ، ورجح ما رآه ابن عطية ظاهـراً

(١) في نظم الدرر (٤٧٧/١) ما يفيد هذا .

(٢) انظر روح المعاني (٢٩٤/١) . وهذا قول قوي جداً .

(٣) انظر الفتوحات الإلهية (٦٦/١).

(٤) انظر الكشاف (٢٨٩/١) ، وتفسير البيضاوي (٦٣/١) ، وتفسير أبي السعود (١/ ١١٤) ، وفتح القدير (١٠٠/١).

(٥) محمد بن يوسـف بن علي ، المفسـر النحـوي (ت : ٧٤٥هـ) . انظر طبقات =



فقال – بعد أن أورد الآية – : «إن كان هذا خطاباً للذين حضروا إحياء القتيل كان ثم إضمار قول . أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ... وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله ﷺ فيكون من تلوين الخطاب ، والمعنى: كما أحيي قتيل بني إسرائيل في الدينا ، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ، وإلى هذا ذهب الطبري . والظاهر هو الأول؛ لانتظام الآي في نسق واحد ؛ ولئلا يختلف خطاب ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وخطاب ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾[1] لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل »[2].

وكذلك ابن عاشور[3] رجح القول الذي جنح إليه ابن عطية، فقال: «وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من بقية المقول لبني إسرائيل فيتعين أن يقدر : وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى ؛ لأن الإشارة لشيء مشاهد لهم ، وليس اعتراضاً أريد به مخاطبة الأمة الإسلامية ؛ لأنهم لم يشاهدوا ذلك الإحياء حتى يشبه به إحياء الله

= المفسرين (٢/٢٨٧).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٧٤.

(٢) البحر المحيط (١/٤٢٥).

(٣) محمد الطاهر بن محمد ، إمام ضليع في العلوم الشرعية والأدبية والتاريخية (ت: ١٣٩٣ هـ) انظر تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٣٠٤) .

المـــوتى ››[١].

وتابع الثعالبي[٢] - ابن عطية - فذكر عبارته ، في تفسير الآية ، ومذهب الإمام الطبري من غير إشارة إلى أخذه من المحرر [٣].

على أن هناك من رجح بعض القول الذي ذكره الإمام الطبري - وهو أن الخطاب فيها للمكذبين بالبعث - فنقل الفخر الرازي عن الأصم[٤] أنه قال - في وجه ترجيحه - : ‹‹لأنه إن ظهر لهم بالتواتر أن هذا الإحياء قد كان على هذا الوجه علموا صحة الإعادة ، وإن لم يظهر لهم ذلك بالتواتر فإنه يكونُ داعية لهم إلى التفكر ››[٥].

ثم نقل عن آخر أنه قال : ‹‹وهذا هو الأقرب ؛ لأنه تقدم منه تعالى ذكر الأمر بالضرب وأنه سبب إحياء ذلك الميت ، ثم قال:﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ فجمع الموتى ، ولو كان المراد ذلك القتيل لما جمع في القول فكأنه قال : دل بذلك على أن الإعادة كالابتداء في قدرته››[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٥٦١/١).

(٢) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ، علامة مفسر (ت : ٨٧٥هـ) . انظر الأعلام (٣٣١/٣).

(٣) انظر الجواهر الحسان (١٠٠/١ ، ١٠١).

(٤) الأصم أحد رؤوس المعتزلة ت : ٢٠١هـ . انظر السير (٤٠٢/٩) .

(٥) التفسير الكبير (١١٥/٣).

(٦) المصدر نفسه (١١٥/٣ ، ١١٦) .



وبعد : فقول الإمام الطبري غير مدفوع ، غير أن الظاهر القول الذي مال إليه ابن عطية : من أن هذا خطاب لبني إسرائيل حينئذ حكي لمحمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة . وقد علل أبو حيان وابن عاشور لترجيح هذا القول بما لا مزيد عليه عندي .

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((وإذْ كان الأمر في قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود، فبين بذلك أن الذي هو أولى بقوله: ﴿ فَيَكُونُ﴾ الرفع على العطف على قوله: ﴿ يَقُولُ﴾ ؛ لأن القول والكون حالهما واحد . وهو نظير قول القائل ((تاب فلان فاهتدى)) و ((اهتدى فلان فتاب)) لأنه لا يكون تائباً إلا وهو مهتد ، ولا مهتدياً إلا وهو تائب فكذلك لا يكون أن يكون الله آمراً شيئاً بالوجود إلا وهو موجود ، ولا موجوداً إلا وهو آمره بالوجود))[2].

واعترض القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على إعراب الطبري هذا فقال : ((و (يكون) رفع على الاستئناف ، قال سيبويه : معناه ((فهو يكون)) ، قال غيره : يكون عطف على يقول، واختاره الطبري وقرره،

(١) سورة البقرة، الآية : ١١٧ .

(٢) جامع البيان (٥٤٩/٢) وللطبري كلام طويل قبل هذا .



وهو خطأ من جهـــة المعنى ؛ لأنه يقتضـــي أن القـــول مع التكوين والوجود »[١].

فإذا نظرنا في كلام أهل العلم في هذه المسألة نجد الأقوال على قراءة الرفع[٢] ثلاثة ، اثنان منها ما ذكر، والثالث أن ﴿ فَيَكُونُ ﴾ معطوف على ﴿ كُنْ ﴾[٣]. وقول الطبري قد قال به أحد أركان المدرسة الكوفية الإمام الفـــراء[٤] ، وما يراه ابن عطية قد قال به إمام أهل البصرة في النحو سيبويه[٥].

وقد نقل أهل العلم اعتراض ابن عطية هذا ، وسببه ، وصححوا قول الطبري إذا حمل قول الله هذا على المجاز ، فقال أبو حيان : «وقرأ الجمهور: ﴿ فَيَكُونُ ﴾ بالرفع ، ووجه على أنه الاستئناف أي: فهو يكون وعُزي إلى سيبويه ، وقال غيره : فيكون عطف على ﴿ يَقُولُ ﴾ ، واختاره الطبري وقرره ، قال ابن عطية : وهو خطأ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين حادث ... ومعنى رده أن الأمر عنده قديم

---

(١) المحرر الوجيز (١/٣٣٩).

(٢) وهي قراءة العشرة ما عدا ابن عامر . انظر النشر (٢/٢٢٠).

(٣) انظر الدر المصون (٢/٨٧).

(٤) انظر كتابه معاني القرآن (١/٧٤).

(٥) انظر كتابه (٣/٣٩) وعبارته : «إنما أمرُنا ذاك فيكونُ».



والتكوين حادث ، وقد نسق عليه بالفاء فهو معه أي يتعقبه فلا يصلح ذلك ؛ لأن القديم لا يتعقبه الحادث ... وما رده به ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثم قولاً وأمراً قديماً أما إذا كان ذلك على جهة المجاز ومن باب التمثيل فيجوز أن يعطف على يقول »[(١)].

قلت : الذي يظهر أنه يصح الوجهان الرفع على الاستئناف ، وعلى أنه معطوف على ﴿ يَقُولُ ﴾ وهذا هو الذي قرره العلماء ودرجوا عليه وأثبتوه في مصنفاتهم[(٢)] .

وعلى كلا القولين فالمأمور به واقع بعد أمر الله له بذلك ، ليس قبله ولا معه ، وأمر الله حقيقة لا مجازاً .

ولو كان الأمر والوجود مقترنين كما يقول الإمام الطبري لكان قال: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن ويكون) بالواو دون الفاء ، إذ معلوم في لسان العرب أن الفاء للترتيب والتعقيب .

ولعل الذي حمل الإمام الطبري على قوله هذا أن فيه مزيد إثبات العظمة لله تعالى ، إذ كيف يأمر الله بأمر ويتأخر المأمور عن ذلك ؟!.

---

(١) البحر المحيط (٥٣٦/١) ، ونحو هذا في الدر المصون (٨٧/٢).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٩٩/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (١٠٩/١) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١١٩/١) ، والوسيط (١٩٧/١) ، والدر المصون (٨٧/٢).



والجواب : أن عظمة الله موجودة أيضاً على القول السابق إذ أنه يأمر بالشيء فيقع مباشرة دون تأخر والفاء تفيد ذلك وتوضحه .

أما قول ابن عطية : أنه خطأ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود . أقول : إن كان مقصود ابن عطية تخطئة الطبري فيما ذهب إليه من تعليل قوله: إن القول والوجود واحد فهذا مستقيم . وإن كان التخطئة منصبة على قول من قال : إن الكون معطوف على القول فهذا غير مسلم.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[1] قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ أكنتم . ولكنه استفهم بـــ «أم» إذ كان استفهاماً مستأنفاً على كلام قد سبقه ، كما قيل : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [2] وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بـــ «أم»[3].

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٣ .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١ ، ٢ ، ٣.

(٣) جامع البيان (٩٧/٣).



وتعقب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - الإمام الطبري فقال :

«وحكى الطبري أن «أم» يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره ، وهذا منه ، ومنه ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [(١)] وقال قوم : «أم» بمعنى «بل» ، والتقدير بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ، ولكنكم كفرتم جحداً ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عناداً ، والأظهر أنها التي بمعنى بل وألف الاستفهام معاً »[(٢)].

وأنا أذكر بعد هذا ما يلي:

١- ذكر كثير من علماء التفسير أن (أم) في هذه الآية هي المنقطعة ، لا المتصلة [(٣)].

٢- ذكروا أيضاً أن لها ثلاثة معان :

أ) المشهور أنها تقدر ببل والهمزة .

ب) أنها للاضراب فقط بمعنى (بل).

ج) أنها بمعنى همزة الاستفهام [(٤)].

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ٣.

(٢) المحرر الوجيز (١/٣٦٥).

(٣) انظر الوسيط (١/٢١٧)، والتفسير الكبير (٤/٦٨) ، وتفسير البيضاوي (١/٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢/١٣٧)، وتفسير النسفي (١/٧٦) ، وتفسير أبي السعود (١/١٦٤)، وغرائب التفسير (١/١٧٨) ، والتحرير والتنوير (١/٧٣٠).

(٤) انظر البحر (١/٥٧٢) ، على أن الزمخشري قد قال : إنها متصلة . انظر تفسيره (١/٣١٤) ورد عليه أبو حيان ذلك، وابن عاشـــور. انظر تفسـيريهما الموضعين =

٣- استغرب أبو حيان قول الطبري أن (أم) يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره فقال : «وهذا قول غريب»[(١)].

٤- شن الرازي الغارة على القول الثالث من معاني (أم) هنا وهو القول الذي يراه الطبري فقال : «ومن لا يحقق من المفسرين يقولون : إن (أم) هاهنا بمنـزلة الهمـزة ، وذلك غير صحيح لما ذكرنا أن «أم» هـذه المنقطعة تتضمن معنى بل»[(٢)].

٥- ما الراجح من هذه الأقوال التي تقدمت في معنى (أم) في هذه الآية ؟.

الذي يظهر لي والله أعلم القول الأول - وهو الذي ذهب إليه ابن عطية - لأمرين :

١- ذكروا أنه إذا وقع بعدها جملة ، فإنها التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام[(٣)] ، وهي هنا كذلك.

٢- لو كانت مقدرة بالهمزة وحدها لم يكن بين ما قبلها وما بعدها

=

المتقدمين.

(١) البحر المحيط (٥٧٢/١).

(٢) التفسير الكبير (٦٨/٤).

(٣) انظر الأمالي الشجرية (٣٣٤/٢).



علاقة والعلاقة موجودة هنا ، ولا يصلح أن تكون مقدرة ببل وحدها لأن ما بعد بل متحقق وما بعد أم مشكوك فيه [١].

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٢]- : «يعني بقوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي فلا تكونن من الشاكين في أن القبلة التي وجهتك نحوها قبلة إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره ... قال أبو جعفر : وإنما «الممتري» «مفتعل» من «المرية» و «المرية» هي الشك ، ومنه قول الأعشى[٣] :

تدر على أسوق الممتريـ ـن ركضاً إذا ما السراب ارجحن»[٤]

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاده هذا البيت على أن المقصود بالامتراء فيه الشك ، فقال : «وأنشد الطبري - شاهداً على أن الممترين الشاكون - قول الأعشى :

---

(١) انظر شرح المفصل (٨/٩٨).

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٤٧ .

(٣) ميمون بن قيس بن جندل ، أحد أصحاب المعلقات ، أدرك الإسلام ولم يسلم . انظر طبقات فحول الشعراء (١/٥٢)، والأعلام (٧/٣٤١). والبيت في ديوانه ص (٢١٠) ، وفي لسان العرب (٥/١٤٤) «رجحن» ، وفي الدر المصون (٢/١٧٢).

(٤) جامع البيان (٣/١٩٠ ، ١٩١).

تدر على أســوق الممتريـــ ـــن ركضاً إذا ما السراب ارجحن

ووهم في ذلك ؛ لأن أبا عبيدة وغيره قالوا : الممترون في البيت هـم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزاً لتجري ، كأنهم يحتلبون الجري منها فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري»[١].

هذا الاستدراك أورده الإمام القرطبي ، ورد على ابن عطية فيه فقال - بعد أن ذكره - : «قلت معنى الشك فيه موجود ؛ لأنه يحتمل أنه يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد منه من الجري أم لا؟ لئلا يكون أصابه شيء . أو يكون هذا عند أول شرائه فيجريه ليعلم مقدار جريه»[٢].

وكذلك أورد السمين الحلبي استدراك ابن عطية ، وسكت عنه [٣].

وشرح الشيخ محمود شاكر[٤] البيت بما يؤيد الإمام الطبري فقال : «من قصيدة ... يصف خيلاً مغاوير... أغارت على قوم مسرعة حثيثة فبينا القوم يتمارون فيها إذا بها :

تباري الزجاج مغاويرها شماطيط في رهج كالدخن[٥]

تدر على أسوق ....

(١) المحرر الوجيز (٢/١٤-١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٦٤).

(٣) انظر الدر المصون (٢/١٧٢).

(٤) محمود بن محمد شاكر المصري، علامة باللغة محقق مدقق، وقد مات رحمه الله تعالى.

(٥) من القصيدة التي فيها البيت المختلف فيه . انظر ديوان الأعشى ص (٢١٠).



يقول بينما هم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم ، فوطئتهم وطئاً شديداً ، ومرت على سيقاهم عدواً »[١].

وبعد : فما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل ، لا سيما وأن القرطبي قد دافع عنه بما سمعت ، والشيخ محمود قد شرح البيت بما رأيت إلا أن الذي يظهر - والله أعلم - أن ما قاله ابن عطية هو الصــواب - إن شــاء الله تعالى - وذلك للأسباب التالية :

١- أن ابن عطية أسند المعنى الذي ذكره في البيت إلى إمام من أئمة اللغة ، هو أبو عبيدة .

٢- ذكر بعض أهل اللغة هذا المعنى الذي جاء عن أبي عبيدة ، فقال: مريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره [٢].

٣- البيت مشروح في ديوان الشاعر بهذا المعنى الذي نسبه ابن عطية إلى أبي عبيدة [٣].

٤- نقل السمين للاستدراك والسكوت عليه يرجح أنه راض عنه فهو في جانب ابن عطية . والرجل صاحب لغة كما هو معلوم .

---

(١) جامع البيان (١٩١/٣) هامش (٢) . وقد تابع الدكتور أحمد الخراط الشيخ محمود فشرح البيت بما ذكر ، فلعله لايرى استدراك ابن عطية وراداً على الطبري .

(٢) انظر لسان العرب (٩٠/١٣) «مرا» ، والمعجم الوسيط (٩٠٠/٢) «مري».

(٣) انظر الديوان ص (٢١٠).



٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[١]- : «وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك : « ولكلٍّ وجهةٍ » بترك التنوين والإضافة وذلك لحن ، ولا تجوز القراءة به ؛ لأن ذلك إذا قرئ كذلك كان الخبر غير تام وكان كلاماً لا معنى له ، وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه . والصواب عندنا من القراءة في ذلك : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ بمعنى: ولكلٍّ وجهةٌ وقبلةٌ ذلك الكل مول وجهه نحوها ؛ لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك ، وتصويبها إياها ، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره ، وما جاء به النقل مستفيضاً فحجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ، فغير جائز الاعتراض به على الحجة »[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية رحمه الله تعالى على الإمام الطبري تخطئته لهذه القراءة فقال : «وحكى الطبري أن قوماً قرأوا «ولكلِّ وجهةٍ » بإضافة كل إلى وجهة ، وخطأها الطبري . قال القاضي أبو محمد: وهي متجهة ، أي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولاّكموها ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه ، أي إنما عليكم الطاعة في الجميع »[٣].

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

(٢) جامع البيان (٣/١٩٥).

(٣) المحرر الوجيز (٢/١٥-١٦).



وتذييلاً على ما تقدم أذكر لك ما يلي :

١- هذه القراءة التي خطأها الإمام الطبري قراءة شاذة [(١)].

٢- قال العلماء إذا كانت القراءة شاذة فلا تجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها غند جمهور العلماء ، لكن يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية[(٢)].

٣- رد الإمام الطبري هذه القراءة بناء على أنها شاذة ، أجمع الحجة من القراء على خلافها ، ثم هي لحن مخالفة للغة العرب إذ الخبر على هذه القراءة غير موجود .

وصدق الإمام الطبري أنها شاذة وغير متواترة ، وأيضاً لا تجوز القراءة بها .

أما إنها خطأ من جهة العربية فكذلك قال أيضاً أحد المتقدمين وهو الأخفش [(٣)].

---

(١) انظر الشواذ ص (١٠) فقد نسبها إلى ابن عباس ، والتبيان في إعراب القرآن (١٢٧/١) ، ونص على شذوذها . وفتح القدير (١٥٦/١) فقد نقل عن أبي عمرو الداني نسبتها إلى ابن عباس ، وفي البحر المحيط (٦١١/١) نسبها إلى ابن عامر. وانظر الكشاف (٣٢٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٢) ، والدر المصون (١٧٤/٢) ، وروح المعاني (١٤/٢).

(٢) انظر القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص (١٠).

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش (٣٤٣/١) والأخفش هو : سعيد بن مسعدة الأخفش =



٤- خالف طائفة من المفسرين الطبري ومن معه فنقلوا هذه القراءة ورأوا لها وجهاً صحيحاً في لغة العرب ، كالزمخشري[١] وابن عطية وأبي البقاء العكبري[٢] وأبي حيان ، حيث قال : «وأما قراءة من قرأ : (ولكلِّ وجهةٍ) على الإضافة فقال محمد بن جرير : هي خطأ ، ولا ينبغي أن يقدم على الحكم في ذلك بالخطأ ، لا سيما وهي معزوة إلى ابن عامر[٣] أحد القراء السبعة وقد وجهت هذه القراءة...»[٤].

ثم ذكر توجيه الزمخشري لها واعترض عليه في ذلك وأعقبه بذكر توجيه ابن عطية ، وعقب عليه بقوله : «وهو توجيه لا بأس به »[٥] ، وتابعه تلميذه السمين فرد ما رد ، ورضي ما رضي [٦].

=

الأوسط ، عالم بالنحو من تلاميذ سيبويه، (ت : ٢١٠هـ) . انظر طبقات المفسرين (١/١٩١).

(١) انظر الكشاف (١/٣٢٢).

(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن (١/١٢٧) . وأبو البقاء هو : عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، المفسر اللغوي الفقيه الحنبلي (ت : ٦١٦هـ) . انظر طبقات المفسرين (١/٢٣١).

(٣) عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي ، مقرئ دمشق وقاضيها (ت : ١١٨هـ) . انظر السير (٥/٢٩٢).

(٤) البحر المحيط (١/٦١١) . وقد رجعت إلى الشاطبية وشرحها فما وقفت على ذكر لهذه القراءة عن ابن عامر.

(٥) المصدر السابق (١/٦١٢).

(٦) انظر الدر المصون (٢/١٧٤).



وذكر محمود الألوسي هذا الخلاف وصدره بقوله : «وقد صعب تخريجها حتى تجرأ بعضهم على ردها وهو خطأ عظيم »[1].

ونقل القرطبي الخلاف بين الإمام الطبري وابن عطية إلا أنه لم يعقب على ذلك بشيء[2].

وبعد : فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ، فهذه القراءة – مع شذوذها – لها وجه صحيح في العربية .

٩- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾[3] -: «...وأما ﴿ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ فإن القَرَأَة مختلفة في قراءتها ، فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يخففها كما يخفف القائلون في : «هو هيّن ليّن» «الهيْن الليْن» كما قال الشاعر[4]:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميّت الأحياء

(١) روح المعاني (١٤/٢).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٢).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧٣ .

(٤) هو عدي بن الرعلاء الغساني ، شاعر جاهلي ، انظر خزانة الأدب (٥٨٦/٩) ، والبيت فيها (٥٨٣/٩) ، وفي معاني القرآن للأخفش (٣٤٧/١) ، وتهذيب اللغة (٣٤٣/١٤) ، والأمالي الشجرية (١٥٢/١) ، ولسان العرب (٢١٧/١٣) وفي غيرها من الكتب.

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد . وقرأها بعضهم بالتشديد وحملوها على الأصل ، وقالوا : إنما هو «ميوت» «فيعل» ، من الموت ولكن «الياء» الساكنة و «الواو» المتحركة لما اجتمعتا ، و «الياء» مع سكونها متقدمة ، قلبت «الواو» «ياء» وشددت فصارتا «ياء» مشددة، كما فعلوا ذلك في «سيد وجيد» . قالوا : ومن خففها، فإنما طلب الخفة، والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في « ياء » ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب ، لأنه لا اختلاف في معنييهما»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وجماعة من اللغويين قولهم : إن التشديد والتخفيف من «ميْت وميِّت» لغتان - في الحي - فقال : «قال الطبري وجماعة من اللغويين : التشديد والتخفيف من «ميْت» و «ميِّت» لغتان ، وقال أبو حاتم[2] وغيره : ما قد مات فيقالان فيه ، وما لم يمت بعد فلا يقال فيه «ميْت» بالتخفيف . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: هكذا هو استعمال العرب

(١) جامع البيان (٣/٣١٨ ، ٣١٩).

(٢) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، المقرئ النحوي اللغوي ، (ت: ٢٥٥هـ). انظر السير (١٢/٢٦٨).



ويشهد بذلك قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميِّت الأحيـاء

استراح من الراحة ، وقيل : من الرائحة ، ولم يقرأ أحد بالتخفيف فيما لم يمت إلا ما روى البزي[1] عن ابن كثير[2]﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [3] والمشهور عنه التثقيل ، وأما قول الشاعر[4] :

إذا ما مات ميْت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد

فالأبلغ في الهجاء أن يريد الميت حقيقة ، وقد ذهب بعض الناس إلى أنه أراد من شارف الموت ، والأول أشعر »[5].

إذا تأملت كلام الإمامين الطبري وابن عطية تجد أن الإمام الطبري أثار قضية (ميْت ، وميِّت) بالتثقيل والتخفيف بمناسبة آية ورد – في لفظ

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله ، مقرئ مكة ومؤذنها في زمانه (ت : ٢٥٠هـ) . انظر السير (١٢/٥٠).

(٢) عبد الله بن كثير الإمام العالم مقرئ مكة (ت : ١٢٢هـ) . انظر السير (٥/٣١٨).

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١٧.

(٤) البيت لأبي المهوش ربيعة بن رئاب ، أو حوط بن رئاب الأسدي شاعر مخضرم . انظر خزانة الأدب (٦/٣٧٩). والبيت فيها (٦/٥٢٧) ، وفي اللسان (١٢/٣٠٦) «لفف» ، والدر المصون (٢/٢٣٦).

(٥) المحرر الوجيز (٢/٤٧-٤٨).

«الميتة» - فيها قراءتان متواترتان التخفيف والتثقيل والمقصود بالميتة فيهـا ما قد ماتت حقيقة ، واستشهد بالبيت (ليس من مات ... إلخ) علـى أن القراءة موافقة لما جاء عند العرب فإن الشاعر قال: «إنما الميْـت ميِّـت الأحياء» فخفف الأول وثقل الثاني وهما لما قد مات[1] سواء كان المـوت حقيقة أو مجازاً . ونص الطبري - أيضاً - أنهما لغتان بمعنى واحد .

وجاء ابن عطية ففهم من كلام الطبري هذا، أن (ميْـت وميّـت) بالتخفيف والتثقيل يقالان فيما قد مات حقيقة كما في الآية ، ويقـالان أيضاً للحي الذي فيه معنى من معاني الموت ، ونسق على هذا بـرأي أبي حاتم وهو : أن ما قد مات حقيقة فيقال فيه ميت بالتشديد والتخفيف ، وما لم يمت بعد فيقال (ميِّت) بالتشديد ولا يقال فيه (ميْت) بالتخفيف . ثم وصف ابن عطية القول المخالف لما رآه الطبري بأنه الذي جرى عليـه استعمال العرب ، وقال يشهد بذلك قول الشاعر : ليس من مات ... إلخ وهو نفس البيت الذي استدل به الطبري .

وابن عطية يعني بوجه الاستشهاد من البيت المذكور أن الشاعر قال: «إنما الميْت ميِّت الأحياء» فجعل الشاعر (ميْت) المخفف لما قـد مـات حقيقة وجعل (ميّت) المشدد لما هو حي حقيقة[2] ، وإن كان فيه معنى من

(١) انظر في وجه الاستشهاد بالبيت خزانة الأدب (٥٣٠/٦) ، وتاج العروس (٥٨٧/١) «موت».

(٢) انظر الحجة (٢٧/٣) فقد ذكر أبو علي الفارسي وجه الاستشهاد بالبيت على نحو =



معاني الموت ، فذلك مجاز لا يخرجه عن حقيقته ، فدل ذلك على أن المخفف لما قد مات والمشدد لما هو حي .

ونلاحظ أن البيت حسب استشهاد ابن عطية لم يدل على أن (ميِّت) المشدد يقال لما قد مات حقيقة، وكأن ابن عطية يرى أن هذا لا جدال فيه لوروده في القرآن ، في بعض القراءات المتواترة .

إذا تبين هذا - أعني كلام الطبري وابن عطية ووجه استشهاد كل منهما بالبيت المذكور - فاعلم أن هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم.

فذهب الطبري ومكي وأبو حيان والسمين وابن الشجري[1] إلى عدم التفريق في الإطلاق . وهو الذي يفهم من كلام الأخفش[2] وأبي عبيدة[3]، والأزهري[4] ، وأبي علي الفارسي[5] ، والزجاج [6].

=

ما ذكرت.

(١) انظر الأمالي (١/١٥٢) . وصاحبها هو : هبة الله بن علي الهاشمي العلوي علامة في النحو والأدب واللغة (ت: ٥٤٢هـ). انظر السير (٢٠/١٩٤).

(٢) انظر معاني القرآن (١/٣٤٧).

(٣) انظر مجاز القرآن (١/١٤٨).

(٤) انظر تهذيب اللغة (١٤/٣٤٣).

(٥) انظر الحجة (٣/٢٦ ، ٣٩٨) وصاحبها هو : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، إمام النحو (ت: ٣٧٧هـ) . انظر السير (١٦/٣٧٩).

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٤) . وصاحبه هو : إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج ، إمام النحو العلامة (ت: ٣١١هـ) . انظر السير (١٤/٣٦٠).

قال مكي - عند قولـه تعـالى : ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[1] ، بعد أن حكى القراءات في هذه الآيـة وفي غيرها - قال : «القراءتان لغتـان فاشـيتان ، والأصـل التشـديد والتخفيف فرع فيه ... فأما من خفف بعضاً وشدد بعضاً فإنه جمع بـين اللغتين ، لاشتهارهما مع نقله ذلك عن أئمته ، وعلى ذلك أجمعوا علـى التشـديد فيما لم يمت للجمع بين اللغتين ، والتخفيف في ما مات وما لم يمت جائز...»[2].

وقال أبو حيان : «... ولا فرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال كما تقول : ليّن وليْن ، وهيّن وهيْن ، ومن زعم أن المخفف لما قد مات، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل »[3].

وقال السمين الحلبي - بعد أن ذكر القراءات المتواترة في هذه اللفظة ﴿ ٱلْمَيِّتِ ﴾ وأن القراء جمعوا بين اللغتين إيذاناً بأن كلاً من القـراءتين صحيح وأنهما بمعنى ، يقول بعد هذا ، وبعد ذكر ما يشهد بـذلك مـن الشعر - : «وزعم بعضهم أن «ميْتاً» بالتخفيف لمن وقع به الموت ، وأن المشدد يستعمل فيمن مات ومن لم يمت كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٧.

(٢) الكشف (٣٣٩/١ ، ٣٤٠).

(٣) البحر (٤٣٩/٢).



مَّيِّتُونَ ﴾[١] وهذا مردود بما تقدم من قراءة الأخوين[٢] وحفص[٣] حيث خففوا في موضع لا يمكن أن يراد به الموت وهو قوله : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾[٤] إذ المراد به الكفر مجازاً »[٥].

وذهب بعض النحاة[٦] وبعض الفقهاء والأدباء[٧] إلى التفريق بين (ميّت) و (ميْت) في الإطلاق ، نقل هذا ابن عطية عن أبي حاتم المقرئ اللغوي ومال إليه ونصره وقال هو الذي عليه استعمال العرب ، ثم من هؤلاء من يقول : ما قد مات فيقال فيه (ميت) بالتشديد والتخفيف ، وما لم يمت فلا يقال فيه (ميْت) بالتخفيف وإنما يقال فيه (ميّت) بالتشديد. وقد ذكر ابن عطية الأدلة على ذلك . ومنهم من يقول: الميت بالتشديد ما سيموت، والميت بالتخفيف ما قد مات[٨] ، وهؤلاء أدلتهم ما ذكر ابن

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٠.

(٢) الأخوان هما حمزة والكسائي . انظر البدور الزاهرة ص (١١).

(٣) حفص بن سليمان الأسدي المقرئ ، يقال : هو أصح قراءة من أبي بكر بن عياش، وأبو بكر أوثق منه ، (ت: ١٨٠هـ) . انظر تهذيب التهذيب (٢/٤٠٠).

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢.

(٥) الدر المصون (٣/١٠٤).

(٦) انظر البحر (١/٦٦٠).

(٧) انظر تاج العروس (١/٥٨٦) «موت».

(٨) انظر خزانة الأدب (٦/٥٣٠).

عطية – أيضاً– وما ذكر عن الخليل [١] أنه قال : أنشدني أبو عمرو [٢]:

أيا سائلي تفسير ميْت وميّت فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميّت وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل

وبعد : ففي نظري أن مذهب ابن جرير الطبري ومن ذكر معه هو الصحيح – إن شاء الله تعالى – وذلك لما ذكره العلامة الزبيدي[٣] عن بعض العلماء أنه خطّأ من فرق بينهما قياساً وسماعاً ، أما القياس: فإن ميْت المخفف ، إنما أصله ميّت المشدد ، فخفف وتخفيفه لم يحدث فيه معنى مخالفاً لمعناه في حال التشديد ، كما يقال : هيْن وهيّن ، فكما أن التخفيف في هين لم يحل معناه ، كذلك تخفيف ميت . وأما السماع : فإنا وجدنا العرب لم تجعل بينهما فرقاً في الاستعمال ومن أبين ما جاء في ذلك قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميِّت الأحياء

وقال الآخر [٤]:

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، إمام العربية ومنشئ علم العروض (ت : سنة بضع وستين ومئة) . انظر السير (٧/٤٢٩).

(٢) البيتان في تاج العروس (١/٥٨٦) «موت».

(٣) محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، عالم باللغة والحديث والرجال والأنساب (ت : ١٢٠٥هـ) . انظر الأعلام (٧/٧٠).

(٤) هو ابن قعاس الأسدي ، وبيته هذا في خزانة الأدب (٦/٥٣٠) . وبعض ما قاله الزبيدي مذكور في خزانة الأدب.



ألا يا ليتني والمرء ميْت وما يغني عن الحدثان ليت

ففي البيت الأول سوّى بينهما ، وفي الثاني جعل «الميت» المخفف «للحي» الذي لم يمت ، ألا ترى أن معناه : والمرء سيموت فجرى مجرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (١) (٢).

وأيضاً فقد قال السمين الحلبي قد ورد التخفيف في موضع لا يراد به الموت ، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ (٣) إذ المراد به الكفر مجازاً.

وأما أدلة القاضي ابن عطية ، فالبيت الذي استدل به هو في الحقيقة دليل لمن جعل (ميت) بالتخفيف والتثقيل لغتان فيمن قد مات هذا هو المشهور في الاستدلال بالبيت (٤). وعلى التسليم بوجه الاستدلال الذي ذكر لأبي محمد فغاية ما فيه أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما سيموت. وهذا ليس حصراً ، لأنه قد ثبت في القرآن والشعر مجيء المخفف لما سيموت ، والمثقل لما قد مات .

وأما آية إبراهيم(٥) فقد ذكر السمين ما يقوم مقامها ، وهي الآية التي

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٠.

(٢) انظر تاج العروس (١/٥٨٦-٥٨٧).

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢.

(٤) وعليه الأئمة كالأخفش ، وأبي عبيدة ، والزجاج . انظر معاني القرآن (١/٣٤٧) ، ومجاز القرآن (١/١٤٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٤).

(٥) وهي ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ سورة إبراهيم ، آية : ١٧.

في سورة الأنعام [١].

وأما قول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم ....

فقد اعترف أبو محمد أنه نوزع فيه ، وعلى التسليم به فيقال : هـذا دليل لمن قال هما لغتان لمجيء التخفيف على لسان شاعر آخر لمن هو حي.

وأما ما ذكروا من البيتين اللذين أنشدهما أبو عمرو ، فهذا رأي رآه قائلهما فنظم ذلك ليسهل حفظه لمن اقتنع به ، غير أن الأدلة على خلاف ما رأى ، وماذا عسى أن يقول الناظم في القراءة المتواترة[٢] ﴿إنما حرم عليكم المِيّتة﴾ بالتشديد ؟!.

١٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وأما قوله : ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[٣] فإنه يعني بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة ، فقال لهم تعالى ذكره: أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم - وقد أخرجوكم من دياركم - من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها»[٤].

---

(١) وهي ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ سورة الأنعام ، آية : ١٢٢.

(٢) انظر النشر (٢/٢٢٤).

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٩١ .

(٤) جامع البيان (٣/٥٦٥).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسيره الآية على الخصوص فقال : «قال الطبري : الخطاب للمهاجرين والضمير لكفار قريش . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه : بل الخطاب لجميع المؤمنين»[(١)].

فإذا رجعت إلى أقوال أهل العلم تجد أن بعضهم يفسر الآية بنحو ما قال الإمام الطبري[(٢)]. وبعضهم يفسرها على العموم [(٣)].

وقول ابن عطية هو الأولى في معنى هذه الآية ؛ لأن الأصل في عمومات القرآن أن تبقى على عمومها ، حتى يقوم دليل على إرادة الخصوص .

ولعل الإمام الطبري خص المهاجرين بالذكر لأنهم أول من ينبغي عليه القيام بهذا الأمر ، فهم الذين أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم .

وقد أشار إلى هذا الرازي فقال : الخطاب فيه واقع على النبي ﷺ ومن هاجر معه ، وإن كان الغرض به لازماً لكل مؤمن [(٤)].

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى- : «ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي

---

(١) المحرر الوجيز (٢/١٠١).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٥١) ، وفتح القدير (١/١٩٠).

(٣) انظر التفسير الكبير (٥/١١٠) .

(٤) التفسير الكبير (٥/١١٠).



ﵟٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚﵞ[(١)] بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به ، وأنه لا متعة لهم»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكايته الإجماع على أن أهل الحرم ليسوا معنيين بها فقال : «واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها. وقال الطبري : بعد الإجماع على أهل الحرم ، وليس كما قال . فقال بعض العلماء : من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري ، ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي . ... وقال بعضهم من كان بحيث لا تقصر الصلاة إلى مكانه فهو حاضر أي شاهد ، ومن كان أبعد من ذلك فهو غائب .

وقال عطاء بن أبي رباح[(٣)] : مكـــة وضجنان [(٤)] ، وذو طوى[(٥)] وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام . وقال ابن عباس ومجاهد [(٦)] : أهل الحرم

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٦.

(٢) جامع البيان (١١٠/٤).

(٣) عطاء بن أبي رباح القرشي ولاء ، الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم (ت : ١١٥هـــ) انظر السير (٧٨/٥).

(٤) ضَجْنان : حرة على بعد (٥٤) كيلاً شمال مكة . انظر أودية مكة ص(١٧٩).

(٥) ذو طوى : واد كبير يسيل من الطرف الغربي لجبل أذاخر ، وشمال جبل قعيقعان . انظر معجم ما استعجم (٨٩٦/٣)، وأودية مكة ص(٢٢).

(٦) مجاهـــد بن جبر المكي ، الإمام القارئ المفســـر (ت : ١٠٣هـــ) . انظر السير =



كله حاضرو المسجد الحرام . وقال مكحول[١] وعطاء : من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام . وقال الزهري[٢] : من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام »[٣].

وعندما تنظر في هذه المسألة تجد أن المفسرين والفقهاء لا يذكرون هذا الإجماع الذي ذكره الإمام الطبري ، بل يذكرون أن العلماء اختلفوا في تحديد حاضري المسجد الحرام على نحو ما ذكر ابن عطية[٤]. إلا أن ابن حزم[٥] أشـــار إلى أن الاتفاق قد وقع على أهل الحرم من قبل أن يأتي أرباب المذاهب ، فقال - بعد أن ذكر أن الصواب في تحديد حاضري المسجد الحرام هم أهل الحرم ، وأن ذلك قول ابن عباس ، ولا يعرف له

=

(٤/ ٤٤٩) .

(١) مكحول بن أبي مسلم الشامي الدمشقي، عالم أهل الشام الفقيه (ت : ١١٣هـ). انظر السير (٥/١٥٥).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، إمام حافظ (ت : ١٢٤هـ). انظر السير (٥/٣٢٦).

(٣) المحرر الوجيز (٢/١١٩).

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص (١/٣٦٠) ، والتفسير الكبير (٥/١٣٥ - ١٣٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢/٤٠٤) ، والمجموع شرح المهذب (٧/١٧٥) ، والمغني (٣/٤٧٣) ، ومعالم التنـــزيل (١/١٧١) ، والبحر المحيط (٢/٨٩) ، والمحلى (٧/١٤٦).

(٥) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، إمام فقيه علامة (ت : ٤٥٦هـ) . انظر السير (١٨/١٨٤).

مخالف من الصحابة – : «وهذا مما خالف فيه الحنفيون ، والمالكيون ، والشـــافعيون صاحباً لا يعـــرف له مخالف من الصحابة ، وهم يشنعون بـــهـــذا»[١].

فإذا رجعـــت إلى دراسة الأقوال التي أوردها الطبري في تفسير قوله : ﴿ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ تجد أنه ذكر ثلاثة أقوال : الأول : أنهم أهل الحرم خاصة دون غيرهم . الثاني : أهل الحرم ومن كان منـــزله دون المواقيت إلى مكة . الثالث : أهل الحرم ومن قرب منـــزله منه[٢] . ثم تنظر أيضاً فتجد أن الطبري قد أدخل تحت القول الأول : الروايات التي يُذكر فيها أهل الحرم ، والروايات التي يذكر فيها أهل مكة ، واعتبرها قولاً واحداً [٣]. فظهر لي من مجموع ما تقدم :

١– أن الإمام الطبري عندما حكى الإجماع على أهل الحرم حكاه بناء على أنه لا فرق بين قول من قال : إن حاضري المسجد الحرام هم أهل الحرم ، وبين قول من قال : إنهم أهل مكة .

٢– وابن عطية إنما تعقب الإمام الطبري بناء على أن هناك فرقاً بين القولين ، ولا شك أن الإمام مالكاً يفرق بينهما [٤].

---

(١) المحلى (١٤٧/٧).

(٢) انظر جامع البيان (١١٠/٤–١١٣).

(٣) انظر جامع البيان (١١٠/٤، ١١١).

(٤) حكى الرازي أن الإمام مالكاً سئل عن أهل الحرم أيجب عليهم ما يجب على المتمتع =



فعلى هذا استدراك أبي محمد وارد على الإمام الطبري . والله أعلم .

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾[١] قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في وجه إهلاك هذا المنافق الذي وصفه الله بما وصفه به من صفة إهلاك الحرث والنسل . فقال بعضهم : كان ذلك منه إحراقاً لزرع قوم من المسلمين وعقراً لحمرهم » . ثم ساق بسنده إلى السدي[٢] أنه قال هذا[٣].

=

قال نعم ، وليس هم مثل أهل مكة، فقيل له : فأهل منى فقال : لا أرى ذلك إلا لأهل مكة خاصة . انظر التفسير الكبير (١٣٦/٥). ومذاهب الفقهاء في هذه المسألة على النحو التالي : قال الإمام الشافعي وأحمد حاضري المسجد الحرام أهل الحرم ومن بينه وبين مكة دون مسافة القصر. وقال أبو حنيفة حاضري المسجد الحرام أهل المواقيت ومن ورائها يعني من ناحية مكة . وقال مالك وأصحابه أهل مكة وما اتصل بها ، وقال داوود: هم أهل مكة فقط ، وقال بعض العلماء من كانت تجب عليه الجمعة فهو حضري ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي . انظر المحلى (١٤٦/٧) ، وأحكام القرآن للجصاص (٣٦٠/١) ، والمغني (٤٧٣/٣) ، والمجموع شرح المهذب (١٧٥/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٤/٢).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٥.

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، صدوق يهم ورمي بالتشيع ، من الرابعة (ت : ١٢٧هـ) انظر التقريب رقم (٤٦٣).

(٣) الأثر أخرجه من طريق أسباط عن السدي ، وقد أخرج قبل هذا الرواية التي فيها

=

ثم قال : «وقال آخرون بما حدثني به أبو كريب » ثم ساق بسنده عن مجاهد أنه قال : «إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم فيحبس الله بذلك القطر ، فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، قال: ثم قرأ مجاهد ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) قال : ثم قال : أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر » (٢).

ثم قال الطبري : «والذي قاله مجاهد ، وإن كان مذهباً من التأويل تحتمله الآية ، فإن الذي هو أشبه بظاهر التنزيل من التأويل ما ذكرنا عن السدي ، فلذلك اخترناه » (٣).

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الظاهر ليس في ما قاله الطبري ، ولا في ما قال غيره فقال: «قال الطبري : المراد الأخنس (٤)

= اسم ذلك المنافق وأنه الأخنس بن شريق. انظر جامع البيان (٢٢٩/٤).

(١) سورة الروم ، الآية ٤١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٤٠/٤) عن مجاهد من طريق النضر بن عربي . وأورده السيوطي في الدر (٢٣٩/١) ونسبه إلى الطبري وابن أبي حاتم .

(٣) جامع البيان (٢٤٠/٤).

(٤) الأخنس بن شريق بن عمرو ، شهد حنيناً وهو من المؤلفة قلوبهم . انظر =



في إحراقه الزرع وقتله الحمر . وقال مجاهد : المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل . وقيل : المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الزرع والمنسلون . وقال الزجاج : يحتمل أن يُراد بالحرث النساء وبالنسل نسلهن . قال القاضي أبو محمد : والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد ؛ إذ كل فساد في أمور الدنيا فعلى هذين الفصلين يدور»[(١)].

وقد ذكر طائفة من المفسرين - من الأقوال - نحو ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية [(٢)] ، وبعضهم قال في قوله : ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ هي من صفة المنافق[(٣)] ، وبعضهم قال : في الأخنس وصارت عامة[(٤)] ، وبعضهم قال : كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف[(٥)] . وبعضهم قال : الإهلاك بالضلال الذي يؤول إلى

=

الإصابة (٣٦/١).

(١) المحرر الوجيز (١٣٩/٢).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣) ، والبحر (١٢١/٢-١٢٢) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٣٥/١) ، وروح المعاني (٩٥/٢) ، وفتح القدير (٢٠٨/١) ، والتحرير والتنوير (٢٦٦/٢).

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٤٣/١).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣).

(٥) انظر روح المعاني (٩٥/٢).

الهلاك[١].

وهذه الأقوال مبنية على اختلافهم في تعيين المقصود بقوله تعالى في أول الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[٢] وملخصها ما يلي :

قيل : نزلت في الأخنس بن شريق جاء النبي ﷺ فأظهر الإسلام وقال الله يعلم أني صادق ، ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع وحمر للمسلمين فأحرق الزرع وعقر الحمر ، روي ذلك عن السدي [٣].

وقيل : نزلت في قوم من المنافقين قالوا عن أهل الرجيع[٤] ويح هؤلاء ما قعدوا في بيوتهم ولا أدوا رسالة صاحبهم [٥].

وقيل : نزلت في المنافقين عموماً [٦].

وقيل : إن الآية عامة في المنافقين ، ومن اتصف بتلك الصفات من

---

(١) انظر زاد المسير (٢٢٢/١).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤.

(٣) انظر جامع البيان (٢٢٩/٤).

(٤) الرجيع : ماء لهذيل قرب الهداة بين مكة والطائف . انظر معجم البلدان (٣٣/٣).

(٥) انظر جامع البيان (٢٣٠/٤) ، وزاد المسير (٢١٩/١) ، وتفسير ابن كثير (٢٤٧/١).

(٦) انظر جامع البيان (٢٣١/٤) ، وروح المعاني (٩٥/٢).



المؤمنـــين [١].

والذي يظهر - والله أعلم - أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق كما قال ذلك الطبري ثم هي عامة في كل من يفعل فعله بأن يبدي خلاف ما يظهر من منافق أوفاسق .

والطبري لا يرى أنها مقصورة على سبب النـــزول ، وإن كان قد حكى ابن عطية ذلك عنه فليس كذلك فإنه في موطن آخر زاد الأمر وضوحاً وتفصيلاً حيث قال : «فالذي هو أولى بظاهرها ما قاله السدي ، غير أن السدي ذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية إنما نزلت في قتله حمر القوم من المسلمين وإحراقه زرعاً لهم ، وذلك وإن كان جائزاً أن يكون كذلك ، فغير فاسد أن تكون الآية نزلت فيه ، والمراد بها كل من سلك سبيله في قتل كل ما قتل من الحيوان الذي لا يحل قتله بحال ، والذي يحل قتله في بعض الأحوال إذا قتله بغير حق ، بل ذلك كذلك عندي ؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يخصص من ذلك شيئاً دون شيء ، بل عمّه ، وبالذي قلنا في عموم ذلك قال جماعة من أهل التأويل» [٢].

والذي رآه الإمام الطبري هنا يترجح من عدة جوانب من أهمها :

١- هناك روايات تشير إلى أن الآية نزلت على سبب خاص منها ما أخرجـــه الطبري عن ســـعيد المقـــبري [٣] أنه تذاكر مع محمد بن كعب

---

(١) انظر التفسير الكبير (١٦٨/٥) ، وتفسير ابن كثير (٢٤٧/١).

(٢) جامع البيان (٢٤١/٤).

(٣) ســـعيد بن أبي ســـعيد المقـــبري الإمام المحـــدث الثقة (ت : ١٢٥هـــ) . انظر =

القرظي[١] وذكر قوماً لبسوا للناس مسوك الضأن وقلوبهم أمر من الصبر[٢] فقال محمد بن كعب هذا في كتاب الله وتلا الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ ... ﴾[٣] فقال سعيد قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب : إن الآية تنــزل في الرجل ثم تكون عامة بعد[٤].

٢- ما أخرجــه عبد الرزاق[٥] قال أخبرنا معمر[٦] عن قتادة[٧] في قوله: ﴿ وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ ﴾ قال الحرث الحرث ، والنسل نسل كل شيء[٨].

=

السير (٢١٦/٥).

(١) محمد بن كعب القرظي ، إمام علامة مفسر (ت : ١٠٨هـ) انظر السير (٦٥/٥).

(٢) الصَّبِرُ : عصارة شجر مر واحدته صبرة ، وجمعه صبور . انظر المعجم الوسيط (٥٢٥/١) «صبر».

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣٢/٤).

(٥) عبد الرزاق بن همام الصنعاني عالم اليمن ، حافظ كبير القدر (ت : ٢١١هـ) . انظر التاريخ الكبير (١٣٠/٦) ، والسير (٥٦٣/٩).

(٦) معمر بن راشد ، الإمام الحافظ (ت : ١٥٣هـ) . انظر السير (٥/٧).

(٧) قتادة بن دعامة السدوسي قدوة المفسرين والمحدثين (ت : ١١٨هـ) . انظر السير (٢٦٩/٥).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٨١/١) ، والطبري في جامع البيان (٢٤٢/٤).

فهاتان روايتان إحداهما تشير إلى الخصوص المراد به العموم ، والأخرى تشير إلى العموم .

٣- قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٤- هذا القول يجمع بين الأقوال المعتبرة في معنى الآية فمن قال الآية في منافق قلنا الأخنس كان كذلك ، ومن قال هي عامة في المنافق والمسلم قيل هو كذلك ، فإنها تشمل من نزلت فيه ابتداء ومن كان على صفته من منافق وفاسق.

٥- أشار علماء التراجم أن الأخنس قد جاء إلى المدينة وادعى الإسلام ، ورد الحافظ[1] على ابن عطية في قوله : لم يسلم ، بقوله : قد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره ، ولا مانع أن يسلم ثم يرتد ، ثم يرجع إلى الإسلام [2].

بقي أن تعلم أن قول ابن عطية : والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد . معنى هذا أنه يرى في الآية العموم ، وقد شرحه ابن جزي[3] فقال : «وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته في الفساد ، عبر عن ذلك

---

(١) أحمد بن علي العسقلاني الإمام الحافظ (ت : ٨٥٢هـ) . انظر البدر الطالع (١/٨٧).

(٢) انظر الإصابة (١/٣٧) . وقول ابن عطية فيها .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي فقيه من العلماء بالأصول واللغة والتفسير (ت : ٧٤١هـ) . انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢/٨٥).



بإهلاك الحرث والنسل ؛ لأنها قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل »[1]. وإذا كان ابن عطية يرى العموم فلا تعارض بين قوله وقول الإمام الطبري – في نظري – لأن الطبري لا يرى قصرها على السبب الذي نزلت به ابتداء ، بل يرى أنها تتناول كل من كان بتلك الصفة ، وهذا هو العموم ، والله أعلم.

١٣– قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – «فإن قال لنا قائــل : وما معنى قوله :﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[2] ؟ أهداهم للحق ، أم هداهم للاختلاف ؟ فإن كان هداهم للاختلاف فإنما أضلهم ، وإن كان هداهم للحق فكيف قيــل: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ ؟.

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما معنى ذلك : فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، فكفر بتبديله بعضهم ، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم وهم أهل التوراة الذين بدلوها فهدى الله للحق مما بدلوا وحرفوا الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ.

---

(١) التسهيل لعلوم التنــزيل (١/١٣٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .



قال أبو جعفر : فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت ، و «من» إنما هي في كتاب الله في الحق ، و «اللام» في قوله : ﴿ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ وأنت تحول «اللام» في «الحق» و «من» في الاختلاف في التأويل الذي تتأوله فتجعله مقلوباً(١) ؟.

قيل : ذلك في كلام العرب موجود مستفيض ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم ، فمن ذلك قول الشاعر(٢):

كانت فريضة ما تقول كما … كان الزنا فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزنا ، وكما قال الآخر (٣):

إن سراجاً لكريم مفخره … تحلى به العين إذا ما تجهره

وإنما سراج الذي يحلى بالعين ، لا العين بسراج »(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير الآية فقال: «وقال الفراء : في الكلام قلب ،

---

(١) القلب تحويل الشيء عن وجهه . انظر اللسان (٢٦٩/١١) «قلب».

(٢) النابغة الجعدي ، أبو ليلى صحابي شاعر مجيد ، توفي في حدود سنة سبعين . انظر السير (١٧٧/٣) . وبيته هذا في معاني القرآن للفراء (٩٩/١) ، وتأويل مشكل القرآن ص (١٩٩) ، واللسان (٩٦/٦) «زنا» ، وخزانة الأدب (٢٦٣/٤).

(٣) لم أقف على اسمه . والبيت في معاني القرآن للفراء (١٣١/١) ، وفي لسان العرب (٣١٢/٣) «حلا» من غير نسبة.

(٤) جامع البيان (٢٨٦/٤، ٢٨٧).



واختاره الطبري ، قال : وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه ، ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراء . قال القاضي أبو محمد : وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر ، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه ؛ لأن قوله: ﴿ فَهَدَى ﴾ يقتضـــي أنـــهـــم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله: ﴿ فِيهِ ﴾ وتبين بقوله: ﴿ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ جنس ما وقع الخلاف فيه»[١].

مما تقدم اتضح لنا سبب الاختلاف بين الإمامين الطبري وابن عطية ، فالإمام الطبري يرى أن الذين أوتوا الكتاب بعضـــهم بدلـــه وحرفـــه ، وبعضهم ثبت على الحق الذي أنزله الله فيه ، إذاً فهناك حـــق وباطـــل ثم جاءت أمة محمد ﷺ فهداها الله للحق مما اختلف فيه أولئك ، وترتـــب على هذا التفسير أن الطبري جعل اللام في قوله تعالى: ﴿ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ ﴾ مقرونة بالحق في قوله: ﴿ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وجعل «من» التي في الحق مقرونة بـــ «ما» في قوله: ﴿ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ ﴾ وهذا يسمى قلباً عند علماء البلاغة. وابن عطية لا يرى هذا فهـــو يقـــول : إن المعنى واضح من غير أن نلجأ إلى القلب فإن الله لما قال: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ

(١) المحرر الوجيز (٢/١٥٤).



فِيهِ ﴾ أصبح المعنى واضحاً أنه هداهم للحق بقرينة أنه قال: ﴿ فَهَدَى ﴾ ثم زاده وضوحاً وبياناً بأن قال: ﴿ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ .

أما موقف المفسرين من هذين القولين : فنجد أن بعضهم يورد قول الطبري ويذكر من رد عليه من غير مناقشة[١] . وبعضهم يورد القولين ويستحسن قول ابن عطية ، مثل أبي حيان فإنه بعد ما نقل رد ابن عطية على الطبري وما رآه في تفسيرها قال : وهو حسن والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر فلا نخرج كلام الله عليه [٢].

والذي يبدو – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري ومن معه وذلك للأسباب التالية :

١- لما علل به القاضي ابن عطية من أن الآية واضح معناها من غير دعوى القلب ، وقد شرحها أبو محمد بما سمعت ، وأبين مما ذكر أن يقال: إن أهل الكتاب اختلفوا فكفر بعضهم بكتاب بعض ، فهدى الله الذين آمنوا للإيمان بما أنزل كله وهو حق [٣].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٣) ، والدر المصون (٢/٣٧٩) ، وفتح القدير (١/٢١٣).

(٢) البحر المحيط (٢/١٤٧).

(٣) هذا المعنى صدر به الفراء معنى الآية ، وأورده الطبري في جامع البيان على أنه جائز في معنى الآية ، ونقله ابن عطية في تفسيره. انظر معاني القرآن (١/١٣١) ، وجامع البيان (٤/٢٨٧) ، والمحرر الوجيز (٢/١٥٣).



٢- ولأن القلب قد اختلف العلماء في وقوعه في القرآن ، بين ناف ومثبت[١] ، فحمل الآية على أمر متنازع فيه، مع ظهور المعنى على غيره فيه نظر .

٣- ولأن الظاهر أن القلب لا يقال به في كتاب الله ، لأنه جـاء في لغة العرب ضرورة كما قال أبو حيان . ولأن ابن فارس - وهو حجة في لغة العرب - قال بعد أن ذكر القلب : «وليس من هذا فيما أظـن مـن كتاب الله جل ثناؤه شيء »[٢].

٤- ولأن القائلين بوقوع القلب في القرآن يجيزونه في بعض الصـور والأنواع دون بعض[٣] ، وفي هذا دليل على ضعف القول بوقوعه .

١٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عنـد قولـه تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[٤]- :«وأما (الميسر) فإنها (المفعل) من قول القائل : يسر لي هذا الأمر ، إذا وجب لي فهو يَيْسِر لي يَسَراً ومَيسِراً، و «الياسر» الواجب بقداح وجب ذلك ، أو فتاحة أو غير ذلك، ثم قيل للمقامر[٥] «ياسر ويسر» كما قال الشاعر[٦]:

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٣/٢٨٨).
(٢) الصاحبي ص (٣٢٩).
(٣) انظر تأويل مشكل القرآن ص (١٩٨ ، ٢٠٠).
(٤) سورة البقرة، الآية : ٢١٩ .
(٥) المقامر هو المراهن . انظر لسان العرب (١١/٣٠٠) «قمر».
(٦) لم أقف على قائله والبيت في النكت والعيون (١/٢٧٦).

فبت كأني يســر غبــين   يقلب بعد ما اختلع القداحا

وكما قال النابغة [(١)]:

أو ياسر ذهب القداح بوفره   أسف تآكله الصديق مخلع

يعني بالياسر : المقامر . وقيل للقمار ميسر . وكان مجاهد يقول نحو ما قلنا في ذلك »[(٢)].

ثم أخرج بســنده مــن طريق ابن أبي نجيــح[(٣)] عن مجاهد في قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ قال: القمار ، وإنما سمي «الميسر» لقولهم «أيسروا واجزروا» كقولك : ضع كذا وكذا[(٤)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير «الميسر» فقال: « و (الميسر) مأخوذ من يسر إذا جزر ، والياسر الجازر ، ومنه قول الشاعر [(٥)]:

فلم يزل بك واشيهم ومكرهم   حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا

---

(١) لم أجده في النسخة التي اطلعت عليها من ديوان النابغة الذبياني ، ولا في النسخة التي اطلعت عليها من ديوان النابغة الجعدي.

(٢) جامع البيان (٤/٣٢١، ٣٢٢).

(٣) عبد الله بن أبي نجيح ثقة رمي بالقدر (ت : ١٣١هـ) . انظر تقريب التهذيب رقم (٣٦٦٢).

(٤) جامع البيان (٤/٣٢٢).

(٥) غياث بن غوث الأخطل التغلبي النصراني ، الشاعر . مات قبل الفرزدق بسنوات . انظر السير (٤/٥٨٩) . والبيت في ديوانه ص (١٠٢).



ومنه قول الآخر [١]:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسراً ؛ لأنه موضع اليسر ، ثم قيل للسهام ميسر للمجاورة . وقال الطبري : الميسر مأخوذ من يسر لي هذا إذا وجب وتســـنى ، ونسب القول إلى مجاهد ، ثم جلب من نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله ، بل أراد مجاهد الجزر »[٢].

تبين من كلام الإمامين الطبري ، وابن عطية أن محل الخلاف بينهما في اشتقاق الميسر ، هل هو من يسر إذا وجب وتسنى كما يرى الإمام الطبري ، أو هو من يسر إذا جزر كما يرى القاضي ابن عطية.

وعند الرجوع إلى بعض كتب أهل اللغة والتفسير نجد أهل اللغة يذكرون ما قاله ابن عطية فيقولون: «والياسر الجازر ؛ لأنه يجزئ لحم الجزور وهذا الأصل في الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح والمقامرين[٣] على الجزور : ياسرون لأنهم جازرون إذ كانوا سبباً لذلك »[٤].

---

(١) سحيم بن وثيل بن أعيفر اليربوعي شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، يقال عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين. انظر خزانة الأدب (١/٢٦٥) ، والبيت في تهذيب اللغة (١٣/٦٠) ، وفي اللسان (١٥/٤٤٨) ، وفي الصحاح في اللغة والعلوم (٢/٧٢٢). « يسر ».

(٢) المحرر الوجيز (٢/١٦٨).

(٣) « المقامرين » بالغين المعجمة في التهذيب ، وفي لسان العرب «المقامرين» بالقاف وقد نقلها من التهذيب . انظر لسان العرب (١٥/٤٤٨) «يسر».

(٤) تهذيب اللغة (١٣/٦٠) «يسر» .



وقالوا أيضاً : «الياسر الجزار ، وقد يسروا أي نحروا ويسرت الناقة جزأت لحمها ، ويسر القوم الجزور أي اجتزروها وقسموا أعضاءها ، قال سحيم بن وثيل اليربوعي :

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني   ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام ، وقوله ييسرونني هو من الميسر أي يجزئونني ويقسمونني »[(١)].

وقالوا أيضاً : والياسر الذي يلي قسمة الجزور ، والجمع أيسار وقد تياسروا ، قال أبو عبيد وقد سمعتهم يضعون الياسر موضع اليسر ، واليسر موضع الياسر »[(٢)].

أما ما ذكره الإمام الطبري في معنى الميسر وأنه من يسر إذا وجب فإنني لم أره فيما اطلعت عليه ، وقد قال بعض المحققين المتأخرين : «هذا المعنى لم أصبه في كتب اللغة، وأنا أظنه مجازاً من الميسر ، لا أصلاً في اشتقاق الميسر منه ؛ لأن حظ صاحب الميسر واجب الأداء إذا خرج قدحه »[(٣)].

---

(١) لسان العرب (١٥/٤٤٨) «يسر».

(٢) المصدر نفسه (١٥/٤٤٨) «يسر». وانظر ترتيب القاموس (٤/٦٧٥) ، والمعجم الوسيط (٢/١١٠٧) ، والصحاح في اللغة والعلوم (٢/٧٢٢) «يسر» لترى ما قيل في معنى «الياسر» ، وانظر أيضاً خزانة الأدب (١/٣٢٩).

(٣) انظر جامع البيان (٤/٣٢١) فقد قال هذا الشيخ محمود شاكر . والمقصود بالقدح =



أما المفسرون فقد حكى بعضهم القولين كمحمود بن حمزة الكرماني فإنه قال : «الميسر القمار كله، مشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه ، وقيل : مشتق من التجزئ ، وكل شيء جزأته فقد يسرته، والميسر الجزور لأنه يجزأ أجزاء»[1].

وذكر أبو حيان القولين وأكثر فقال : «الميسر القمار وهو مفعل من يسر كالموعد من وعد ... واشتقاقه من اليسر وهو السهولة ، أو من اليسار لأنه يسلب يساره ، أو من يسر الشيء لي إذا وجب ، أو من يسر إذا جزر ، والياسر الجازر ، وهو الذي يجزئ الجزور أجزاء ...»[2].

وكذلك قال السمين ، ونص على قول الطبري واستدراك ابن عطية ولم يعقب على ذلك بشيء[3].

وقد اكتفى بعض المفسرين بإيراد القولين الأولين من الأقوال التي ذكرها أبو حيان [4].

والذي يظهر لي والله أعلم أن أصل هذه اللفظة (ميسر) هو كما قال

=

في قوله «قدحه» سهمه . انظر لسان العرب (٥١/١١) «قدح».

(١) غرائب التفسير (٢١٢/١).

(٢) البحر المحيط (١٦٣/٢) . وما ذكره من أقوال هي مجموع ما اطلعت عليه .

(٣) انظر الدر المصون (٤٠٥/٢) .

(٤) انظر الكشاف (٣٥٩/١) ، وتفسير النسفي (١٠٩/١) ، وتفسير أبي السعود (٢١٨/١) ، والتحرير والتنوير (٣٤٦/٢)، والفتوحات الإلهية (١٧٥/١).



ابن عطية وأنها مأخوذة من يسر إذا جزر ؛ لأن أهل اللغة أثبتوا ذلك وقد تقدم النقل عنهم ، وهم أعرف بهذا الشأن من غيرهم.

وقول الطبري وغيره يخرج على ما تقدم نقله قريباً عن الشيخ محمود شاكر .

وأما كلام مجاهد فهو أقرب إلى مقصود ابن عطية. والله أعلم .

١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله جل ذكره: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾(١) قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ بضم الهاء وتخفيفها ، وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها . وأما الذين قرأوه بتخفيف «الهاء» وضمها ، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن . وقال بهذا التأويل جماعة من أهل التأويل ... وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد «الهاء» وفتحها، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء . وشددوا الطاء لأنهم قالوا : معنى الكلمة: حتى يتطهَّرن ، أدغمت «التاء» في «الطاء» لتقارب مخرجيهما.

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بتشديدها وفتحها، بمعنى : حتى يغتسلن ، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ .



تطهر . وإنما اختلف في التطهر الذي عناه الله تعالى ذكره ، فأحل له جماعها . فقال بعضهم: هو الاغتسال بالماء ، لا يحل لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها . وقال بعضهم : هو الوضوء للصلاة . وقال آخرون : بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها ، فذلك تطهرها الذي يحل به لزوجها غشيانها»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري شيئين مما قال فقال : «ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال : هي بمعنى يغتسلن لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر ... وما ذهب إليه الطبري من أن قراءة شد الطاء مضمنها الاغتسال وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم أمر غير لازم ، وكذلك ادعاؤه الإجماع ، أما إنه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء»[٢].

تبين من سياق كلام الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، أن الثاني يستدرك على الأول في شيئين الأول : أن قراءة ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بالتشديد والتخفيف قد فرق بينهما الطبري ، والفرق غير لازم. الثاني: قوله : إن العلماء أجمعـوا على تحريم غشـيان الرجل امرأته بعد انقطاع الدم حتى

---

(١) جامع البيان (٤/٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢/١٨٠-١٨١).



تطهـــر.

إذاً هذه المسألة ذات شقين وسأبدأ بالشق الأول ، مستعيناً بالله تعالى فأقول : مسألة قراءة ﴿ يَطَّهُرْنَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ، اختلف أهل العلم هل هما بمعنى واحد ، أم لكل قراءة معنى ؟ فذهب بعض أهل اللغة وفريق كبير من علماء التفسير إلى التفريق بين القراءتين معنى ، وقالوا من قرأ بالتشديد – وهم[1] حمزة[2] والكسائي[3] وخلف[4] وأبو بكر[5] – فمعنى الآية حتى يتطهرن بالاغتسال بالماء ، ومن قرأ بالتخفيف – وهم الباقون[6] – فمعنى الآية : حتى ينقطع دمهن.

قال الفـــراء : «والقراء بعـــد يقرءون ﴿ حتى يَطْهُرْنَ ، ويَطَّهَّرْنَ ﴾ ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ ينقطـــع عنهن الـــدم، ويتطهرن يغتســـل بالماء وهو أحب

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٧).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات ، المقرئ الإمام (ت : ١٥٦هـ) . انظر السير (٧/٩٠).

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ، إمام في القراءة والعربية (ت : ١٨٩هـ) . انظر السير (٩/١٣١).

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب البزار ، المقرئ الحجة الحافظ (ت : ٢٢٩هـ) . انظر السير (١٠/٥٧٦).

(٥) أبو بكر بن عياش الأسدي ولاء، مقرئ فقيه محدث (ت: ١٩٣هـ) . انظر السير (٨/٤٩٥).

(٦) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٧).

الوجهين إلينا : ﴿ يطَّهَّرن﴾))[١].

وقال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ أي ينقطـــع عنهـــن الدم، يقال : طَهُرت وطَهَرَت إذا رأت الطُّهر ، وإن لم تغتسل بالماء . ومن قرأ ﴿ يطَّهَّرْنَ﴾ أراد : يغتسلن بالماء . والأصل ((يتطهرن)) فأدغم التاء في الطاء [٢].

وقال الراغب بعد أن أورد قوله: ﴿ حتى يطهرن - فإذا تطهرن﴾ فدل باللفظين على أنه لا يجوز وطؤهن إلا بعد الطهارة والتطهير ويؤكد ذلك قراءة من قرأ ﴿ حتى يطَّهَّرْنَ﴾ أي يفعلن الطهارة التي هي الغسل[٣].

وعلى هذا التفريق عدد كبير - كما قلت - من المفسرين فيما اطلعت عليه[٤] .

---

(١) معاني القرآن (١٤٣/١).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(٨٤).

(٣) المفردات ص (٣٠٧).

(٤) انظر النكت والعيون (٢٨٣/١) ، ومعالم التنـــزيل (١٩٧/١) ، وزاد المسير (٢٤٨/١) ، والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٣/١) ، وغرائب التفسير (٢١٣/١) ، والكشاف (٣٦١/١) ، والتفسير الكبير (٥٩/٦) ، وتفسير النسفي (١١١/١) ، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (١٤٢/١) ، والدر المصون (٤٢٢/٢) ، وفتح القدير (٢٢٦/١) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١٥٥/١) ، والتبيان في إعراب القرآن (١٧٨/١).



وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا فرق بين قراءة التشديد والتخفيف في المعنى ، ففي تهذيب اللغة عن أبي العباس المبرد أنه قال : «والقراءة ﴿ يطَّهَّرْنَ﴾ لأن من قرأ ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ أراد انقطاع الدم ، ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ اغتسلن ، فيصير معناهما مختلفاً . والوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد يريد بهما جميعاً الغسل ، ولا يحل المسيس إلا بالاغتسال، ويصدق ذلك قراءة ابن مسعود[١]﴿ حتى يتطهرن﴾ »[٢].

وقال أبو جعفر النحاس : «وقد عاب قوم ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف، قالوا : لأنه لا يحل المسيس حتى يغتسلن . قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، فيجوز أن يكون معناه كمعنى ﴿ يطَّهَّرن﴾...»[٣].

وقال الفيروزابادي : «طهَرت وطَهُرَتْ انقطع دمها واغتسلت من الحيض وغيره كتَطَهَّرَتْ وطَهَّرَه بالماء غسله به ، والاسم الطُّهْرَةُ بالضم»[٤].

وقال الدمياطي[٥] : « واختلف في ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ فأبو بكر وحمزة

---

(١) ستأتي ترجمته عند الآية (٢٥٩).

(٢) تهذيب اللغة (٦/١٧١) «طهر».

(٣) معاني القرآن الكريم (١/١٨٣).

(٤) ترتيب القاموس المحيط (٣/١٠٣) «طهر».

(٥) أحمد بن محمد الشهير بالبناء ، عالم بالقراءات (ت : ١١١٧هـ) . انظر الأعلام =



والكسائي وكذا خلف بفتح الطاء والهاء مشددتين مضارع تطهر اغتسل، والأصل يتطهرن ... والباقون بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت ...»[1].

وعلى عدم التفريق بعض المفسرين[2] ، وأشار إليه بعض الفقهاء [3].

وقد ذكر بعض العلماء هذا الاستدراك الذي استدركه ابن عطية وبعضهم يورد ترجيح الطبري ، وهم بين مؤيد ومعارض وساكت.

فالسمين يقول - بعد أن يورد اعتراض ابن عطية - : «وفي رد ابن عطية عليه نظر ؛ إذ لو حملنا القراءتين على معنى واحد لزم التكرار»[4].

وأبو حيان أورد كلام الطبري واعتراض ابن عطية عليه و لم يعقب على ذلك بشيء[5].

والشوكاني يورد ترجيح الطبري ، ويرى أن الأولى في الترجيح غير ما سلكه الإمام الطبري فيقول: «وقد رجح ابن جرير الطبري قراءة التشديد ، والأولى أن يقال : إن الله سبحانه جعل للحل غايتين كما

=

(٢٤٠/١).

(١) اتحاف فضلاء البشر ص (١٥٧).

(٢) انظر الوسيط (٣٢٨/١).

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٦٥/١، ١٦٦) ، والمجموع للنووي (٣٧١/٢).

(٤) الدر المصون (٤٢٢/٢).

(٥) انظر البحر المحيط (١٧٨/٢).



تقتضيه القراءتان : إحداهما انقطاع الدم ، والأخرى : التطهر منه ، والغايــة الأخرى مشــتملة على زيادة على الغاية الأولى ، فيجب المصير إليها ...»[١].

وابن عاشــور لا يرى - أيضاً - هذا المسلك الذي ســلكه الإمام الطبري في الترجيح ، فيقول: «ورجح الطبري قراءة التشديد قائلاً (لإجماع الأمة على أنه حــرام على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم عنها حتى تطهر) وهو مردود بأن لا حاجة إلى الاستدلال بدليل الإجماع ، ولا إلى ترجيح القراءة به ؛ لأن اللفظ كاف في إفادة المنع من قربان الرجل امرأته حتى تطهر بدليل مفهوم الشرط في قوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾»[٢].

وفي نظري أن هناك فرقاً بين القراءتين معنى ؛ لأن معظم العلماء على ذلك - فيما رأيت - ولأن الذين يرون عدم التفريق مقصودهم أن يسلم لهم ما يرونه في هذه المسألة من الناحية الفقهية [٣].

---

(١) فتح القدير (٢٢٦/١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٦٨/٢).

(٣) لأن الأحناف جعلوا قراءة التخفيف دليلاً لهم على جواز غشيان المرأة بعد انقطاع دمها لأكثر مدة الحيض ولو لم تغتسل، والجمهور على المنع إلا بعد الاغتسال . ويجيبون عن دليل الأحناف برد القراءتين إلى معنى واحد . انظر أحكام القرآن للجصاص (٣٥/٢) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١٦٥/١) ، وشرح فتح القدير =

وقد بين العلماء كما رأيت في كلام الشوكاني وابن عاشور أنه يمكن أن نسلك طريقاً آخر في الترجيح فيسلم لنا رأي الجمهور من غير أن نجعل معنى القراءتين واحداً.

ثم إن الرأي الذي يقول : إنهما بمعنى واحد قد وُجهت إليه طعون ، سمعت بعضها فيما تقدم ، وأذكر لك أيضاً ها هنا ما قاله ابن عاشور في نقد رأي المبرد حيث قال : «وقد رجح المبرد قراءة ﴿ حتى يطَّهَّرن﴾ بالتشديد ، قال لأن الوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد يراد بهما جميعاً الغسل وهذا عجيب صدوره منه فإن اختلاف المعنيين إذا لم يحصل منه تضاد أولى لتكون الكلمة الثانية مفيدة شيئاً جديداً»[1].

أما الشق الثاني من استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، وهو حكاية الطبري الإجماع على تحريم أن يطأ الرجل امرأته بعد انقطاع حيضها حتى تطهر.

ومعنى كلام الإمام الطبري هذا أن العلماء أجمعوا أن الحائض إذا انقطع دمها لابد أن تتطهر ، وإنما الخلاف بينهم في نوع التطهر أهو غسل جميع البدن ، أم الوضوء ، أم غسل الفرج ؟.

والنووي[2] - رحمه الله تعالى - أورد حكايـــة الطبري للإجماع ، في

=

(١/١٧٠).

(١) التحرير والتنوير (٢/٣٦٧).

(٢) يحيى بن شـــرف بن مري، الإمام الفقيه المحدث (ت : ٦٧٦هـــ) . انظر طبقات =



معرض إيراده لأقوال العلماء في حكم غشيان الرجل امرأته بعد انقطاع دم الحيض قبل أن تغتسل [١] ، ولم يعقب على قول الطبري هذا بشيء [٢].

وأبو محمد ابن حزم ذكر في كتابه المحلى ما يصحح استدراك ابن عطية على الإمام الطبري فقال : «وقال أبو حنيفة وأصحابه إن كانت أيامها عشرة أيام فبانقطاع العشرة الأيام يحل وطؤها اغتسلت أو لم تغتسل ، مضى لها وقت صلاة ، أو لم يمض ، توضأت أو لم تتوضأ ، تيممت أو لم تتيمم ، غسلت فرجها، أو لم تغسله ...» [٣].

فهذا النص يفيد أن أبا حنيفة وأصحابه يخالفون في ما حكاه الإمام الطبري إجماعاً .

إلا أن ما قاله أبو محمد ابن حزم في كتابه المحلى قد ناقضه في كتابه مراتب الإجماع فقال: «وأجمعوا أن الحائض إذا رأت الطهر ما لم تغسل فرجها ، أو تتوضأ فوطؤها حرام» [٤].

=

الشافعية للسبكي (١٦٥/٥).

(١) والمسألة خالف فيها الأحناف في بعض صورها ، والجمهور على تحريم غشيانها ما لم تغتسل . انظر بداية المجتهد (٥٧/١، ٥٨) ، والمغني (٣٣٨/١) ، والمجموع (٢/ ٣٧٠) ، وشرح فتح القدير (١٧٠/١).

(٢) انظر المجموع (٣٧٠/٢).

(٣) المحلى (١٧٣/٢).

(٤) مراتب الإجماع ص (٢٤).



والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة، وذلك للأسباب التالية :

١- لم يتعرض الأحناف - فيما اطلعت عليه من كتبهم وغيرها - لإيجاب غســـل الفرج ، أو الوضوء من المرأة وإنما يذكرون : أن انقطاع الدم لأكثر مدة الحيض يحلها لزوجها وإن لم تغتسل [١].

وظاهر هذا أنهم لا يوجبون غسل الفرج ولا الوضوء ؛ لأنهم إذ لم يوجبوا ما هو أعظم وهو الغُسل فحري ألا يوجبوا ما هو أقل وهو الوضوء ، أو غسل الفرج.

٢- ولأن ابن المنذر[٢] - وهو ممن عاصر الطبري - لم يحك الإجماع، بل جاء بعبارة تفيد وجود الخلاف في المسألة فقال : «المنع من وطء من قد طهرت من المحيض ولما تطهر بالماء كالإجماع من أهل العلم»[٣].

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٣٥) ، والهداية (١/١٧٠ ، ١٧١) ، وشرح فتح القدير (١/١٧٠) ، وشرح العناية على الهداية (١/١٧١ ، ١٧٢) ، والاختيار لتعليل المختار (١/٢٨) ، والبحر الرائق شرح كنــز الدقائق (١/٢١٣) ، وتبيين الحقائق شرح كنــز الدقائق (١/٥٨) ، والمغني (١/٣٣٨) ، والمجموع شرح المهذب (٢/٣٧٠) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٦٥).

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر ، إمام حافظ علامة فقيه (ت : ٣١٨هـ) انظر السير (١٤/٤٩٠).

(٣) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢/٢١٤).



٣- ولأن شيخ الإسلام ابن تيمية تعقب ابن حزم في نقله الإجماع على تحريم وطئها ما لم تغسل فرجها أو تتوضأ ، فقال : «قلت : أبو حنيفة يقول : إذا انقطع دمها لأكثر الحيض ، أو مر عليها وقت صلاة جاز وطؤها ، وإن لم تغتسل ولم تتوضأ ولم تغسل فرجها»[1].

قلت : هذا النقد يصحح ما ذكره ابن حزم في المحلى ، ويسقط ما ذكره في مراتب الإجماع .

وبعد : فالإمام الطبري - رحمه الله تعالى- لا يخفى عليه قول الحنفية، إلا أنهم يذكرون أن من مذهبه أنه يعد قول الأكثرين إجماعاً ، فلعل إطلاقه الإجماع في هذه المسألة هو من هذا الباب[2].

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[3] - : «فإن ظن ظان أن المرأة إذا فارقها زوجها فقد بطل أن يكون بيده عقدة نكاحها ، والله تعالى ذكره

---

(١) نقد مراتب الإجماع ص (٢٤).

(٢) انظر موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٢٣/١) . وذكر مؤلفها القاضي سعدي: أن رأي الطبري هذا هو المعتمد في مذهب الشافعية ، ورواية عن الإمام أحمد ، وقول أبي بكر الرازي ، وبعض المالكية .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٧.



إنما أجاز عفو الذي بيده عقدة نكاح المطلقة ، فكان معلوماً بذلك أن الزوج غير معني به، وأن المعني به هو الذي بيده عقدة نكاح المطلقة بعد بينونتها من زوجها . وفي بطول ذلك أن يكون حينئذ بيد الزوج صحة القول إنه بيد الولي الذي إليه عقد النكاح إليها . وإذا كان ذلك كذلك ، صح القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي ، فقد أغفل[1] وظن خطأ . وذلك أن معنى ذلك : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ، وإنما أدخلت «الألف واللام» في «النكاح» بدلاً من الإضافة إلى «الهاء» التي كان «النكاح» - لو لم يكونا فيه - مضافاً إليها ، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[2] بمعنى : فإن الجنة مأواه ، وكما قال نابغة بني ذبيان[3]:

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس فالأحلام غير عوازب[4]

بمعنى فأحلامهم غير عوازب ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى . فتأويل الكلام : إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ،

---

(١) (فقد أغفل...) جواب «إن» في قوله : فإن ظن ظان.

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٤١.

(٣) بنو ذبيان هم : ذبيان بن بغيض قبيلة من غطفان ، من قيس بن عيلان، من العدنانية. انظر معجم قبائل العرب (٤٠٢/١-٤٠٣).

(٤) البيت في ديوانه ص (١٢) ، وفي البحر (٢٤٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٦/٣) ، والدر المصون (٤٩٥/٢).



وهو الزوج الذي بيده عقدة نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده، لا أن معناه : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، فيكون تأويل الكلام ما ظنه القائلون أنه الولي ولي المرأة...»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري فقال : «وليس الأمر في ذلك كما قال الطبري ومكي من أن المطلق لا عقدة بيده ، بل نسبة العقدة إليه باقية من حيث كان عقدها قبل»[٢].

بيان الخلاف بين الإمامين ، أن الطبري يقول : إن الزوج وإن كان ليس بيده عقدة نكاح المرأة بعد طلاقها ، فإن عقدة نكاحه هو لا زالت بيده ، ولذلك صح أن يوصف بأنه الذي بيده عقدة النكاح. وابن عطية يقول : يصح أن يوصف بهذا الوصف دون تفريق باعتبار ما كان ، فالألف واللام عنده للعهد وهذا قول البصريين[٣] . وعند الطبري بمعنى الإضافة ، وهذا قول الكوفيين [٤].

ومقصود الإمامين أن يسلم من الاعتراض قول من قال : إن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وليس الولي ، وهما قولان معروفان في المسألة .

---

(١) جامع البيان (٥/١٦٠، ١٦١).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٢٣١).

(٣) انظر البحر المحيط (٢/٢٤٦) ، ومغني اللبيب (١/٥٤).

(٤) انظر المصدرين السابقين .



وهذا الذي قاله الطبري وابن عطية قولان قد قال بعض أهل التفسير بكل منهما[١].

والذي يبدو - والله أعلم - أن قول الإمام الطبري نهايته نفي أن يكون بيد الزوج عقدة نكاح الزوجة ، وإثباتها له في حق نفسه ، وقول ابن عطية يفيد أن الزوج بيده عقدة النكاح - دون تفريق - وذلك باعتبار ما كان .

ولا شك أن قول ابن عطية أجرى مع ظاهر اللفظ ، فإن الله تعالى قال : ﴿ بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ فظاهر هذا أن المقصود عقدة النكاح التي كانت تربط بين الزوجين ، وهي بيد الزوج ؛ ولأن هذا التقييد الذي ذكره الإمام الطبري لا يقتضيه اللفظ ؛ لأنه إذا قيل : فلان في يده الأمر والنهي ، والرفع والخفض ، فلا يراد به أن الذي في يده أمر نفســه ونهي نفسه ، بل المراد أن في يده أمر غيره ونهي غيره فكذا ها هنا[٢].

وأيضاً فجعل (أل) نائبة عن ضمير المضاف إليه ليس محل اتفاق بين النحاة[٣] ، وأما جعلها للعهد فلا خلاف فيه ، فتفسيرها في الآية بما اتفق

---

(١) انظر قول الطبري في معالم التنـــزيل (١/٢١٩) ، والتفسير الكبير (٦/١٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٢٠٦). وقول ابن عطية في أحكام القرآن للكياالهراسي (١/٢٠٩) ، والبحر المحيط (٢/٢٤٦) ، والدر المصون (٢/٤٩٥).

(٢) انظر التفسير الكبير (٦/١٢٣).

(٣) قد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وانظر مغني اللبيب (١/٥٤).



عليه أقوى من حملها على معنى مختلف فيه . وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية هو كما قال.

١٧- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – «القول في تأويل قوله : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[1] قال أبو جعفر: وتأويل ذلك ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾ أيها المؤمنون من عدوكم أن يقدر على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم – ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم – فاطمأننتم ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه ، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله ، كما ذكركم بتعليمه إياكم من أحكامه وحلاله وحرامه ، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة ، والأنباء الحادثة بعدكم – في عاجل الدنيا وآجل الآخرة – التي جهلها غيركم وبصركم من ذلك وغيره ، إنعاماً منه عليكم بذلك ، فعلمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون. وكان مجاهد يقول في قوله : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾... قال : خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة... قال أبو جعفر: وهذا القول الذي ذكرنا عن مجاهد قول غيره أولى بالصواب منه ، لإجماع

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٣٩ .



الجميع على أن الخوف متى زال فواجب على المصلي المكتوبة - وإن كان في سفر - أداؤها بركوعها وسجودها وحدودها وقائماً بالأرض غير ماش ولا راكب ، كالذي يجب عليه من ذلك إذا كان مقيماً في مصره وبلده، إلا ما أبيح له من القصر فيها في سفره . ولم يجر في هذه الآية للسفر ذكر، فيتوجه قوله: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ إليه وإنما جرى ذكر الصلاة في حال الأمن ، وحال شدة الخوف، فعرّف الله سبحانه وتعالى عباده صفة الواجب عليهم من الصلاة فيهما . ثم قال: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾ فزال الخوف ، فأقيموا صلاتكم وذكري فيها وفي غيرها ، مثل الذي أوجبته عليكم قبل حدوث حال الخوف. وبعد فإن كان جرى للسفر ذكر ثم أراد الله تعالى ذكره تعريف خلقه صفة الواجب عليهم من الصلاة بعد مقامهم لقال : فإذا أقمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ولم يقل ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾. وفي قوله تعالى ذكره : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾ الدلالة الواضحة على صحة قول من وجه تأويل ذلك إلى الذي قلنا فيه ، وخلاف قول مجاهد »[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استدراكه على مجاهد فقال : «وقال مجاهد : معنى قوله : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾

(١) جامع البيان (٥/٢٤٨-٢٥٠).



فإذا خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة . ورد الطبري على هذا القول، وكذلك[(١)] فيه تحويم[(٢)] على المعنى كثير»[(٣)].

إذاً الإمام الطبري لا يرى في قول مجاهد شيئاً من الصواب ، والقاضي ابن عطية يرى أنه حوّم حول المعنى المقصود فلم يبعد منه.

والعلماء قد أوردوا قول مجاهد هذا بين ملتمس له وجهاً وبين معارض . فأبو حيان يقول - بعد أن أورد الآية - : قال مجاهد : أي خرجتم من السفر إلى دار الإقامة ، ورده الطبري ، قيل : ولا ينبغي رده؛ لأنه شرح الأمن بمحل الأمن ؛ لأن الإنسان إذا رجع من سفره وحل دار إقامته أمن ، فكان السفر مظنة الخوف كما أن دار الإقامة محل الأمن[(٤)].

وقال الألوسي - بعد أن أورد قول مجاهد - : ولعله على سبيل التمثيل[(٥)].

وقال الشوكاني : وقيل معنى الآية : خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة وهو خلاف معنى الآية[(٦)].

---

(١) ذكر محقق طبعة فاس أنه في نسخة أخرى «وذلك» قلت: وهي في النسخة القطرية «وذلك» (٢/٣٣٨).

(٢) التحويم : الدوران حول الشيء . انظر لسان العرب (٣/٤٠٧) «حوم».

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٤٠).

(٤) البحر المحيط (٢/٢٥٣).

(٥) روح المعاني (٢/١٥٨).

(٦) فتح القدير (١/٢٥٨).



وفي نظري أن الإمام الطبري مصيب في هذا الاعتراض ؛ لأن السفر لا ذكر له في الآية ، ولأنه يلزم على قول الإمام مجاهد تخصيص العموم بدون مخصص فإن ذكر الله تعالى مطلوب من المكلف في حال السفر والإقامة ، وسواء قلنا : إن الذكر هو الصلاة ، أو ما هو أعم. ثم قول الإمام الطبري هو الذي مشى عليه أهل التفسير فيما رأيت من متقدم ومتأخر[1]. ولعل قول مجاهد من باب التمثيل ولا يقصد منه قصر العموم، فإذا كان كذلك فهو محتمل ، والله أعلم.

١٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[2] » ثم ذكر رحمه الله أن هذه الآية منسوخة بعدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً ، وبالميراث في سورة النساء ، وساق على ذلك آثاراً تدل على ذلك[3] ، ثم قال : «وقال آخرون هذه

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٢١٤/١) ، والكشاف (٣٧٦/١) ، والنكت والعيون (٣١٠/١-٣١١) ، والتفسير الكبير (١٣٣/٦)، وتفسير البيضاوي (١٢٧/١) ، والتسهيل لعلوم التنـزيل (١٥٣/١) ، وتفسير الخازن (٢٤٨/١) ، وتفسير أبي السعود (٢٣٦/١) ، وفتح القدير (٢٥٨/١) ، وروح المعاني (١٥٨/٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٣/١). فكلها تشير باختصار إلى المعنى الذي ذكره الإمام الطبري.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠.

(٣) انظر جامع البيان (٢٥٤/٥، ٢٥٥).



الآية ثابتة الحكم لم ينسخ منها شيء ذكر من قال ذلك»[١] ثم ساق بسنده «عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[٢] قال: كانت هذه للمعتدة ، تعتد عند أهل زوجها واجباً ذلك عليها فأنزل الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ قال: جعل الله لهم تمام السنة ، سبعة أشهر وعشرين ليلة ، وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قول الله تعالى ذكره : ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : والعدة كما هي واجبة»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري في نسبته القول بعدم النسخ إلى مجاهد فقال : «وقال الطبري عن مجاهد : إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها ، والعدة كانت قد ثبت أربعة أشهر

---

(١) المصدر السابق (٥/٢٥٨).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤.

(٣) جامع البيان (٥/٢٥٨). وفيه «جعل الله لهم» والأصل «لهن» يدل عليه كلام ابن عطية الآتي .



وعشراً ، ثم جعل الله لهن وصية منها سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة ، فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال القاضي أبو محمد : وألفاظ مجاهد – رحمه الله – التي حكى عنه الطبري لا يلزم منها أن الآية محكمة ، ولا نص مجاهد ذلك ، بل يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث))[1] ثم شرح الآية ، ثم عاد ليؤكد على هذا الاستدراك فقال : ((وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه إلا ما قوَّله الطبري مجاهداً – رحمه الله – وفي ذلك نظر على الطبري رحمه الله))[2].

والآن ننظر ماذا فهم العلماء من كلام مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى.

قال الرازي : ((وأما وجوب العـــدة في الحول فهو منسوخ بقوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[3] فهذا القول هو الذي اتفق عليه أكثر المتقدمين والمتأخرين من المفسرين . القول الثاني، وهو قول مجاهد : إن الله تعالى أنزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتين ، أحدهما : ما تقدم وهو قوله: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[4] والأخرى

---

(١) المحرر الوجيز (٢٤٢/٢).

(٢) المصدر نفسه (٢٤٣/٢).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤.



هذه الآية ، فوجب تنـــزيل هاتين الآيتين على حالتين، فنقول : إنها إن لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها أربعة أشهر وعشراً على ما في تلك الآية المتقدمة ، وإما إن اختارت السكنى في دار زوجها ، والأخذ من ماله وتركته فعدتها هي الحول ، وتنـــزيل الآيتين على هذين التقديرين أولى ، حتى يكون كل واحدة منهما معمولاً به))[١].

وقال ابن كثير – بعد أن نقل الرواية عن مجاهد بعدم النسخ -: ((أسند البخاري[٢] عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه[٣] بهذا القول الذي عول عليه مجاهد وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخاً بالأربعة الأشهر وعشر، وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً إن اخترن ذلك ولهذا قال:﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾ أي يوصيكم الله بهن وصية ... فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج

(١) التفسير الكبير (٦/١٣٤ – ١٣٥).

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخ الإسلام وإمام الحفاظ (ت : ٢٥٦هـ). انظر طبقات علماء الحديث (٢/٢٤٣).

(٣) أي عن ابن عباس ، فإنه قد روي عنه أنه قال فبين الله ميراث المرأة وترك لها الوصية والنفقة. انظر تفسير ابن كثير (١/٢٩٧).



والانتقال من ذلك المنـــزل فإنهن لا يمنعن من ذلك لقوله: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ وهذا القول له اتجاه، وفي اللفظ مســاعدة له ، وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس ابن تيميـــة ورده آخـــرون منهم الشـــيخ أبو عمر بن عبـــد الـــبر[1]))[2].

وقال الحافظ ابن حجر : ((على أن من الســـلف من ذهـــب إلى أنها ليـــست منســـوخة ، وإنما خص من الحول بعضه ، وبقي البعض وصية لها إن شاءت أقامت كما في الباب عن مجاهد ، لكن الجمهور على خلافـــه))[3].

وقال القرطبي : ((فقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ منسوخ كله عند جمهور العلماء ... إلا رواية شاذة مهجورة جاءت عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لم يتابع عليها))[4].

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام (ت : ٤٦٣هـ). انظر السير (١٨/١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٩٨).

(٣) فتح الباري (٨/١٩٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٧).



وقال القرطبي أيضاً بعد أن ذكر اعتراض القاضي ابن عطية على الإمام الطبري : «قلت : ما ذكره الطبري عن مجاهد صحيح ثابت ...»[1].

وقال أبو حيان - بعد أن أورد الآية - : «الجمهور على أنها منسوخة بالآية المتقدمة المنصوص فيها على عدة الوفاة أنها أربعة أشهر وعشر ، وقال مجاهد هي محكمة ...»[2] ثم ذيل أبو حيان بذكر استدراك ابن عطية على الإمام الطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء[3].

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن الصواب هو الذي قاله الإمام الطبري وأن استدراك ابن عطية غير وارد عليه ، وذلك لما يلي :

١- النص الذي جاء عن مجاهد يفهم منه صراحة عدم نسخ الآية وذلك أنه قال - بعد أن تلا آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر - كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها واجباً ذلك عليها فأنزل الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ وهنا نفهم من قول الإمام مجاهد «فأنزل» أنه يرى

(١) المصدر السابق (٣/٢٢٧).

(٢) البحر المحيط (٢/٢٥٣) وقد صدّر تفسير الآية بهذا ، ثم ذكر حكاية الطبري واعتراض ابن عطية وسكت على ذلك.

(٣) انظر البحر المحيط (٢/٢٥٣).



عكس ما يراه الجمهور في زمن نزول الآيتين وترتيبهما ، وهذا يدل دلالة واضحة أن الآية غير منسوخة عنده . ثم قال بعد ذلك «جعل الله لهم تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية» ففهمنا من كلامه هذا أنه يقول : هناك آية متقدمة قد عينت أربعة أشهر وعشراً يبقين في بيوت أزواجهن وجوباً ، ثم نزلت هذه الآية فزادهن تمام الحول سبعة أشهر وعشرين ليلة وذلك وصية من الزوج لها وهي بالخيار إن شاءت بقيت وإن شاءت خرجت.

ثم قال بعد ذلك: «والعدة كما هي واجبة» فهو يريد أن يقول: أيها السامع لا تفهم مني أنني أقول أن آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر منسوخة بهذه الآية ، وإنما أقول هذه الآية جاءت بشيء زائد على ما في تلك فاعمل بالآيتين ولا أقول إن شيئاً من ذلك منسوخ . هذا الذي أفهم من كلام مجاهد وهو واضح لا جدال فيه .

٢- العلماء فهموا من كلام مجاهــد ما فهمــه الإمــام الطــبري والنصوص التي نقلتها ســابقاً تدل على ذلك ، وكانت لهــم محاولات في الترجيح أو الجمع ، أو نسبة القول إلى الشــذوذ ، ولم يــدع أحــد منهــم أن كلام مجاهــد لا يفهم منه القول بعــدم النســخ ، ولو كان لهم في ذلك مدخــل لحرصــوا عليــه ولقالــوا به ، ومِنْ أولهم الإمام الطبري فإنه يرى في هــذه المسألة رأي الجمهور ، ويرجحــه على رأي

مجاهـــد[١].

٣- قول مجاهد هذا ثابت في صحيح البخاري[٢] ، وقال به أئمة كبار مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[٣] ، وتقدم أن ابن كثير قال عنه : «وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له». وقرره فخر الدين الرازي بأحسن تقرير وأثنى على القول به[٤].

٤- قول القاضي ابن عطية: «يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث» أقول هذا شيء لا نستطيع الوصول إليه إلا من خلال الرواية عن مجاهد ، ونص كلام مجاهد لا يحتمله لا من قريب ولا من بعيد ، وقد أحسن القاضي في عبارته لما قال: «يمكن» و لم يقل : أراد كذا.

١٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله جل ذكره: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٥]» ثم ذكر اختلاف أهل العلم في المعنية بهذه الآية من المطلقات، وأن منهم من

---

(١) انظر جامع البيان (٥/٢٥٩).

(٢) انظر صحيح البخاري (مع الفتح) (٨/١٩٣) ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ح(٤٥٣١).

(٣) نقله عنه تلميذه ابن كثير . انظر تفسيره (١/٢٩٨).

(٤) انظر التفسير الكبير (٦/١٣٥).

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٤١.



قال عني بها الثيبات اللواتي قد جومعن ، وقال آخرون بل في هذه الآية دلالة على أن لكل مطلقة متعة ، ثم قال : «وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية؛ لأن الله تعالى ذكره لما أنزل قوله: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] قال رجل من المسلمين : فإنا لا نفعل إن لم نرد أن نحسن ، فأنزل الله : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فوجب ذلك عليهم ذكر من قال ذلك»[2] ثم ساق بسنده إلى ابن وهب قال: قال ابن زيد[3] في قوله: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] فقال رجل : فإن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾»[5].

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٢) جامع البيان (٥/٢٦٢-٢٦٤).

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، كان صاحب قرآن وتفسير (ت : ١٨٢هـ) . انظر السير (٨/٣٤٩).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٥) جامع البيان (٥/٢٦٤).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري نسبة القول بالوجوب إلى ابن زيد فقال: ((وقال ابن زيد : هذه الآية نزلت مؤكدة لأمر المتعة ، لأنه نزل قبل ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(١)] فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنـزلت : ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فوجب ذلك عليهم . قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : هذا الإيجاب من تقويل الطبري[(٢)]، لا من لفظ ابن زيد))[(٣)].

هذا ما أورده الإمام الطبري في تفسيره ، واستدراك القاضي ابن عطية عليه . فماذا يفهم العلماء من رواية ابن زيد هذه؟.

قال الواحدي : ((قال ابن زيد : لما نزل قوله : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(٤)] قال رجل من المسلمين : إن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ ﴾ إلى قولـه: ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . يعني المتقـين

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٢) أولى من هذه العبارة القاسية أن يقول : هذا الإيجاب من فهم الطبري .

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٤٤-٢٤٥).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.



الشرك ، فبين أن لكل مطلقة متاعاً »[١].

وقال البغوي : «وقيل : إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢] قال رجل من المسلمين : إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل ، فقال الله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ ﴾ . جعل المتعة لهن بلام التمليك »[٣].

وقال الألوسي : «والتكرير للتأكيد والتصريح بما هو أظهر في الوجوب ... ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤] قال رجل: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى هذه الآية ...»[٥].

وقال ابن جزي - في قوله : ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ - : «يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات ؛ لأن التقوى واجبة ،

---

(١) الوسيط (٣٥٤/١).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٣) معالم التنـزيل (٢٢٣/١).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٥) روح المعاني (١٦٠/٢).



ولذلك قال بعضهم نزلت مؤكدة للمتعة ؛ لأنه نزل قبلها ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(١)] فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾»[(٢)].

فالذي يظهر من كلام هؤلاء العلماء أنهم فهموا من الآية مع الرواية ما فهمه الإمام الطبري ، وهو وجوب المتعة وتأكيدها .

يبقى هل عبد الرحمن بن زيد قال بهذا الوجوب ؟.

الجواب : ليس في كلام ابن زيد ذكر للوجوب ، وإنما فيه بيان سبب نزول قوله : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وأما أنه صرح برأيه في المسألة فلا ، فيكون استدراك ابن عطية على الإمام الطبري وارداً في هذه المسألة ؛ لأنه ذكر ترجمة غالبها بلفظ الرواية التي جاءت عن ابن زيد ، وزاد في آخرها «فوجب ذلك عليهم» ثم قال : «ذكر من قال ذلك» ثم ساق ما قاله ابن زيد.

نعم يعتذر للإمام الطبري بأن الرواية التي ذكرت عن ابن زيد تفيد وجوب المتعة ، والظاهر أن ابن زيد لا يخالفها .

وفي ختام هذه المسألة أذكّر أن المالكية لا يرون وجوب المتعة

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٥٤).



للمطلقة(١) ، والإمام الطبري يرى أنها واجبة لكل مطلقة(٢).

٢٠- قال الإمام الطـبري – رحمـه الله تعالى ، عنـد قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾(٣)- : «وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام ، والمراد بها خاص ، وإنما معناه : ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ لأهل الكفر بالله ؛ لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض »(٤).

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري قوله : إن الآية مخرجها في نفي الشفاعة عام والمراد خاص فقال : «وأخبر تعالى أن الشفاعة أيضاً معدومة في ذلك اليوم ، فحمل الطبري ذلك على عموم اللفظ وخصوص المعنى ، وأن المراد ولا شفاعة للكفار ، وهذا لا يحتاج إليه ، بل الشفاعة المعروفة في الدنيا ، وهي انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده مرتفعة يوم القيامة البتة وإنما توجد شفاعة بإذن الله تعالى فحقيقتها رحمـة من الله تعالى لكنه شـرف الذي أذن له في أن

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١/٢١٧).

(٢) انظر جامع البيان (٥/٢٦٤، ٢٦٥).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

(٤) جامع البيان (٥/٣٨٣، ٣٨٤).



يشفع، وإنما المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة»[١].

إذاً الإمام الطـــبري يرى أن الآية لفظها العموم ومعناها الخصوص ، فالشفاعة المنفية هنا بالنسبة للكفار، وأما الشفاعة للمؤمنين فهي مثبتة ، بينما يرى القاضي ابن عطية ، أن الآية تحمل على عمومها، وأن الشفاعة المعروفة في هذه الحياة الدنيا لا يوجد منها شيء يوم القيامة ، وما جاء في النصوص من إثبات الشفاعة يوم القيامة إنما حقيقتها رحمة من الله تعالى وهي شرف للذي أذن له فيها .

هذا الذي فهمته من كلام الطبري وابن عطية رحمهما الله تعالى .

والآن نرى ما موقف علماء التفسير في هذه المسألة ؟.

قال أبو الليث السمرقندي – في قوله: ﴿ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ – «للكافرين كما يكون في الدنيا»[٢].

وقال الواحدي : وقوله: ﴿ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ إنما نفى الشفاعة عاماً ؛ لأنه أراد الكافــرين ، بأن هذه الأشـــياء لا تنفعهم ، ألا ترى أنه قال : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ »[٣].

وقال الفخـــر الرازي : «أوهم ذلك نفي الخلـــة والشفاعة مطلقاً ،

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٧٣).

(٢) تفسير القرآن لأبي الليث (١/٢٢٢).

(٣) الوسيط (١/٣٦٤).



فذكر تعالى عقيبه ﴿ والكافرون هم الظالمون﴾ ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافرين))[١].

وقال الخازن [٢]: ((وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة ، وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاماً مخصوصاً))[٣].

وقال أبو حيان : ((اللفظ عام ، والمراد الخصوص ، أي لا شفاعة للكفار ... وقيل: المراد العموم، والمعنى: أن انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده لا يكون يوم القيامة البتة ، وأما الشفاعة التي توجد بالإذن من الله تعالى فحقيقتها رحمة الله ، لكن شرف تعالى الذي أذن له في أن يشفع))[٤].

فهؤلاء كلهم كما ترى يذهبون إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير هذه اللفظة ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ وكذلك غير هؤلاء[٥].

---

(١) التفسير الكبير (١٧٥/٦).

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم من فقهاء الشافعية عالم بالتفسير والحديث (ت : ٧٤١هـ). انظر الأعلام (٥/٥).

(٣) تفسير الخازن (٢٦٧/١).

(٤) البحر المحيط (٢٨٥/٢).

(٥) انظر غرائب التفسير (٢٢٤/١) ، وتفسير النسفي (١٢٨/١) ، وزاد المسير (٣٠٢/١) ، وتفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم (٢٣٨/١).



أما قول القاضي ابن عطية فهناك - أيضاً - من قال به إلا أن أنصاره فيما يبدو لي أقل.

فأبو حيان أشار إليه كما رأيت فيما تقــدم وجعله تالياً للقول الذي يراه الطبري ، وصدَّره بقيل.

وأشار إليه ابن جزي بقوله : ((... ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله ، فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله))[1].

وكذلك ابن عاشور قال : ((والشفاعة المنفية هنا مراد بها الشفاعة التي لا يسع المشفوع إليه ردها، فلا يعارض ما ورد من شفاعة النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة ؛ لأن تلك كرامة أكرمه الله تعالى بها وأذن له فيها ...))[2].

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ، وقول ابن جرير أولى من قول القاضي لأسباب :

١- يبعد تصور ما نزّل ابن عطية الآية على نفيه في جانب الله تعالى، حتى يقال الآية على عمومها، وهو المقصود بالنفي.

---

(١) التسهيل (١/١٥٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣/١٦) ، وأشار إليه أيضاً باختصار الثعالبي . انظر الجواهر الحسان (١/٢٤٢).



٢- إذا نظرت إلى حقيقــة تفسير ابن عطية وجدته يؤول إلى أن - ﴿ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ - عام مخصوص ، لأن ما ذكر أنه المنفي ما هو إلا بعض معاني الشفاعة التي توجد بين بني آدم(١).

٣- تفسير الطبري يلمس فيه تقوية مذهب أهل السنة المثبتين للشفاعة في أصحاب الذنوب ، أما تفسير ابن عطية فهو وإن كان لا يتضمن نفي مذهب أهل الحق إلا أنه قد يلمس فيه ما يضعف ذلك؛ لأنه يقول : حقيقة تلك الشفاعة ما هي إلا رحمة ، وتكريم ، وهذا ربما تأوله متأول ، على غير مقصد حسن. والله أعلم.

٢١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٢) -: «وأصل الكرسي العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب «كُرَّاسة»... ومنه يقال للعماء «الكراسي» ؛ لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : «أوتاد الأرض» يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ومنه قول الشاعر(٣) :

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب

---

(١) انظر معاني الشفاعة في عمدة الحفاظ (٢/٣٢٠ ، ٣٢١).

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ .

(٣) لم أقف على قائله ، والبيت في النكت والعيون (١/٣٢٥) ، وفي أساس البلاغة (٢/٣٠٣) «كرس» ، والبحر (٢/٢٩٠) ، والدر المصون (٢/٥٤٥).



يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن الألفاظ التي ذكرها - على أن الكرسي بمعنى العلم - تعطي نقض ما ذهب إليه فقال: «واختلف الناس في الكرسي الذي وصفه الله تعالى بأنه وسع السموات والأرض، فقال ابن عباس: كرسيه، علمه[٢]، ورجحه الطبري، وقال: منه الكراسة للصحائف التي تضم العلم، ومنه قيل للعماء الكراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم كما يقال: أوتاد الأرض، وهذه الألفاظ تعطي نقض ما ذهب إليه من أن الكرسي العلم»[٣].

بيان هذا الاستدراك أن ما حكاه الإمام الطبري من أدلة لترجيح ما اختاره من أن الكرسي «العلم» لا تفيد ذلك، بل تناقضه.

فإذا رجعت إلى ما قاله علماء اللغة والتفسير تجد أن الزجاج قال: «وقوله عز وجل: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قيل فيه غير قول، قال ابن عباس: كرسيه علمه، ويروى عن عطاء أنه قال (ما

---

(١) جامع البيان (٥/٤٠٢).

(٢) سيأتي تخريج هذا الأثر والحكم عليه قريباً إن شاء الله تعالى.

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٧٧-٢٧٨) وقد رجح - رحمه الله - في آخر بحثه لهذه المسألة أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش. وهذا هو الحق كما سيأتي بيانه إن شاء الله في آخر المسألة.



السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة)[١] ، وهذا القول بين، لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه ، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم ، عليه السموات والأرضون ، والكرسي في اللغة والكراسة إنما هو الشيء الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً ، والكرسي ما تلبد بعضه على بعض في آذان الغنم ومعاطن الإبل»[٢].

وفي تهذيب اللغة : «... الكرس كرس البناء وكرس الحوض حيث تقف النَّعم فيتلبد ، وكذلك يكرَّسُ أُسُّ البناء فيصلب ، وكذلك كِرس الدمنـــة إذا تلبدت فلزقـــت بالأرض ... والكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك...»[٣].

وقال ابن فارس : «الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل على تلبد شيء فوق شيء وتجمعه. فالكِرس: ما تلبد من الأبعار والأبوال في الديار ، واشتقت الكراسة من هذا ؛ لأنها ورق بعضه فوق بعض...» [٤].

وقال الراغب : «الكرسي في تعارف العامة اسم لما يقعد عليه قال : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[٥] وهو في الأصل منسوب

---

(١) لم أقف عليه عن عطاء.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٣٧/١-٣٣٨).

(٣) تهذيب اللغة (٥٢/١٠-٥٣) «كرس».

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٦٩/٥) «كرس».

(٥) سورة ص ، الآية : ٣٤.



إلى الكرسِ أي المتلبد أي المجتمع ، ومنه الكراسة للمتكرس من الأوراق ، وكرست البناء فتكرس ... والكرس أصل الشيء يقال : هو قديم الكرس، وكل مجتمع من الشيء كرس ...»[١].

ونص صاحب القاموس أن من معاني الكرسي : السرير والعلم[٢].

ونحو قول الطبري واستدلاله فعل الماوردي في تفسـيره[٣] ، وكذلك الكرماني[٤].

وقال أبو حيان – بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الكرسي – : «وقيل الكرسي العلم ، لأن موضع العالم هو الكرسي ، سميت صفة الشيء باسم مكانه على سبيل المجاز ، ومنه يقال للعلماء : كراسي ؛ لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال: أوتاد الأرض ، ومنه الكراسة»[٥].

وقال الرازي : «القول الثالث : أن الكرسي هو العلم ؛ لأن العلم موضع العالم وهو الكرسي ، فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك

---

(١) المفردات ص (٤٢٨).

(٢) انظر ترتيب القاموس المحيط (٣٦/٤) «كرس».

(٣) انظر النكت والعيون (٣٢٥/١) والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب الفقيه القاضي ، أحد أئمة الشافعية (ت: ٤٥٠هـ) . انظر طبقات المفسرين للداوودي (٤٢٧/١).

(٤) انظر غرائب التفسير (٢٢٥/١) ولم يرجح كما فعل الماوردي.

(٥) البحر (٢٩٠/٢).



الشيء على سبيل المجاز ؛ لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه ، والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه ، ومنه يقال للعلماء كراسي ، لأنهم الذين يعتمد عليهم كما يقال لهم أوتاد الأرض»[١].

وإنما سقت من كتب التفاسير ما ينحو منحى رأي الإمام الطبري ، حتى نرى هل ألفاظ الطبري التي ذكرها تقوي ما ذهب إليه ، أم تناقضه ، وهذا موطن استدراك ابن عطية.

وبعد : فالذي يظهر لي والله أعلم أن ألفاظ الإمام الطبري لا تناقض ما ذهب إليه مجازاً ، فالكراسة حقيقتها أنها أوراق يضم بعضها إلى بعض وتوصف بأنها علم لاشتمالها في الغالب على علم مكتوب فيها وهذا مجاز. والعلماء اتصفوا بصفة العلم فهم علماء حقيقة ، ويقال لهم : كراسي مجازاً بجامع الاعتماد فالكرسي يعتمد عليه في الجلوس وهذا حقيقة ، والعالم أشبه الكرسي لاعتماد الناس على مايحمله من علم فصح أن يطلق عليه كرسي.

يبقى الكرسي هل يقال له علم ؟ مجازاً نعم ؛ لأنه يعتمد عليه والعلم يعتمد عليه . هذا هو تعليل ما يؤخذ عن العرب من إطلاق الكرسي على العالم ، وإطلاق العلم على الكرسي.

لكن هذا لا يسلّم للإمام الطبري أنه ظاهر القرآن ؛ لأنه قد جاء في

---

(١) التفسير الكبير (١٢/٧).



الأخبار الصحيحة أن المقصود به في هذه الآية حقيقته ، فقد روى الحاكم[(١)] في المستدرك عن سعيد بن جبير[(٢)] ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره»[(٣)].

وقد جاء عن أبي موسى الأشعري[(٤)] مثل هذه الرواية التي جاءت عن ابن عباس[(٥)].

وأما ما روي عن ابن عباس أن كرسيه علمه[(٦)] ، فأهل العلم بالأخبار لا يثبتون ذلك.

---

(١) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم ، إمام ناقد حافظ علامة (ت : ٤٠٥هـ) انظر السير (١٦٢/١٧).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسر (ت: ٩٥هـ) انظر السير (٣٢١/٤).

(٣) المستدرك (٣١٠/٢) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الأزهري: هذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها. انظر تهذيب اللغة (٥٤/١٠) «كرس».

(٤) عبد الله بن قيس الصحابي ، قدم بعد فتح خيبر (ت : ٤٢هـ) انظر الإصابة (١٩٤/٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص (٧٨) برقم (٦٠) وقال محقق كتاب العرش : صحيح . والطبري في تفسيره (٣٩٨/٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢). وقال الحافظ : رواه ابن المنذر بإسناد صحيح . انظر الفتح (١٩٩/٨).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٩٧/٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٤/٢-١٣٥) وقال: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد =

نعم جاء عن ابن جبير أنه قال : كرسيه علمه[1] .

لكن الرواية الأخرى التي جاءت من طريق ابن جبير عن ابن عباس أن الكرسي موضع قدميه هي المعتمدة لعدة أسباب:

١- جاء عن رسـول الله ﷺ ما يشهد لصحتها ، فقـد روى أبو ذر[2] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة»[3] وهذا يدل على أن الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش ، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً.

=

بالكرسي المشهور المذكور مع العرش . وقال أبو منصور الأزهري - بعد أن ذكر هذه الرواية - ليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار . انظر تهذيب اللغة (١٠/٥٤) «كرس» . وطعن الحافظ القصاب في ثبوت هذه الرواية عن ابن عباس . انظر نكت القرآن (١/١٤٦) ، وكذلك الشيخ الألباني . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٧٦).

(١) أخرجه البخاري (٨/١٩٩) كتاب التفسير ، باب ﴿ فإن خفتم فرجالاً﴾ تعليقاً وقال الحافظ : وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح. انظر الفتح (٨/١٩٩).

(٢) جنـدب بن جنادة الغفـاري صاحـب رسـول الله ﷺ (ت : ٣٢هـ). انظر السير (٢/٤٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص(٧٧) برقم (٥٨) ، والطبري في جامع البيان (٥/٣٩٩) وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٢/٥٨٧) ، والبيهقي في الأسماء والصفـات (٢/ ١٤٨-١٤٩) قال الشـيخ الألباني - بعد أن أورد طرق هذا

=



٢- قد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ما يوافق القول المشهور ، وهذا مما يضعف قوله هذا.

٣- هذه الرواية وإن صحح إسنادها الحافظ فقد قال الإمام القصاب[1] إنها وهم[2] .

٤- قول الصاحب إذا ثبت مقدم على قول التابعي .

بقي أن تعلم أن اختيار الإمام الطبري في هذه المسألة ليس واضحاً فإنه تارة يقول : «غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر ... أتت امرأةٌ النبي ﷺ فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع...»[3].

=

الحديث-: «وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح وخيرها الطريق الأخير» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦/١) ويعني الشيخ بالطريق الأخير رواية الإمام الطبري.

(١) محمد بن علي بن محمد أبو أحمد الكرجي القصاب ، إمام حافظ محدث ناقد فقيه ، (ت : في حدود ٣٦٠هـ) . انظر سير أعلام النبلاء (٢١٣/١٦) وقسم التحقيق من رسالتي الماجستير «نكت القرآن الدالة على البيان» للإمام القصاب ص(٢٨).

(٢) انظر كتابه «نكت القرآن الدالة على البيان» (١٤٩/١).

(٣) انظر جامع البيان (٣٩٩/٥، ٤٠٠) . وهذا الخبر أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٥١/١-٢٥٢) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص(١٠٦) ، والدارقطني في =



وتارة يقول : ((وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس ... أنه قال: هو علمه))[١] ولم يصرح باختياره.

٢٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : ((واختلف أهل البحث[٢] في معنى قوله:﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾[٣] فقال بعضهم : يعني بذلك وهو العلي عن النظير والأشباه ، وأنكروا أن يكون معنى ذلك ((وهو العلي المكان)) وقالوا : غير جائز أن يخلو منه مكان ، ولا معنى لوصفه بعلو المكان ؛ لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان . وقال آخرون : معنى ذلك : وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه ؛ لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخلقه دونه ، كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عال بذلك عليهم))[٤].

=

كتاب النـزول ص (٤٨-٤٩) ، والضياء في المختارة (٢٦٣/١) وما بعدها . وجملة القول في هذا الحديث أنه لا يثبت عن رسول الله ﷺ . انظر كلام ابن خزيمة عليه في كتاب التوحيد ص (١٠٦) ، وابن كثير في تفسيره (٣١١/١) ، والألباني في الضعيفة (٢٥٧/٢) ، وأحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٤٠٠/٥).

(١) انظر جامع البيان (٤٠١/٥).

(٢) قال محمود شاكر : يعني بذلك أهل النظر من المتكلمين . انظر تفسير الطبري (٣٨٧/٥) حاشية رقم (٢).

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٤) جامع البيان (٤٠٦/٥).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكاية القول الثاني فقال: ((والعلي: يراد به علو القدر والمنـــزلة ، لا علو المكان ؛ لأن الله منـــزه عن التحيز[1] . وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه : وهذا قول جهلة مجسمين ، وكان الوجه أن لا يُحكى))[2].

والآن نرى ماذا قال العلماء في هذه المسألة.

أورد السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ قال: ((يريد لا أعلى منه ، ولا أعز ، ولا أجل ، ولا أكرم))[3].

وعن الحسن البصري أنه قال - في قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ -: ((لا شيء أعلى منه))[4].

---

(١) التحيز من الألفاظ المجملة فقد يراد بذلك نفي صفة العلو ، وقد يراد بذلك نفي أن يحيط به شيء . وانظر ما قال شيخ الإسلام على هذا اللفظ ، وما ينبغي على من أورد عليه في مجموع الفتاوى (٢٩٨/٥) وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز (٢٧٩/٢).

(٣) انظر الدر المنثور (٣٢٩/١) ، ونسب إخراج هذا الأثر إلى الطبراني في السنة.

(٤) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٢٣٩/١).



وقال أبو الليث في معنى ﴿ ٱلْعَلِيُّ ﴾ الرفيع تعالى فوق خلقه[(١)].

وكذلك قال البغوي [(٢)].

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((واسمه ((العلي)) يفسر بهذين المعنيين: يفسر بأنه أعلى من غيره قدراً فهو أحق بصفات الكمال ، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون ... وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء ، فلا شيء فوقه، كما قال النبي ﷺ : ((أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء))[(٣)] فلا يكون شيء قبله ، ولا بعده ، ولا فوقه...))[(٤)].

وقال ابن كثير : فقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ كقوله : ((وهو الكبير المتعال))[(٥)] وهذه الآيات وما في معناها من الأحـــاديث الصحاح

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٢٢٤/١).

(٢) انظر معا لم التنـــزيل (٢٤٠/١) وقد أشار إلى القول الآخر.

(٣) هذا قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم كاملاً في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ . صحيح مسلم (٢٠٨٤/٤) ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ح(٢٧١٣).

(٤) مجموع الفتاوي (٣٥٨/١٦).

(٥) لم أقف على آية بهذا النص ، ولعله يقصد الآية التي في سورة الرعد ونصها ﴿ عالم

=



الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه»[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي[٢] – في قوله:﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ – : «بذاته ، على جميع مخلوقاته، وهو العلي بعظمة صفاته ، وهو العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات خضعت له الصعاب ، وذلت له الرقاب»[٣].

فهؤلاء تفسيرهم على أن العلو حقيقة ، صفة من صفات الله تعالى .

وهناك فريق آخر من علماء التفسير يرى ما يراه ابن عطية ، فهذا الواحدي يقول: «فمعنى العلو في وصف الله تعالى : اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح»[٤].

وقال الماوردي : « في ﴿ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ تأويلان ، أحدهما : العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان . والثاني: العلي عن الأشباه والأمثال» [٥].

=

الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ الآية: ٩.

(١) تفسير ابن كثير (٣١١/١).

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المفسر العلامة (ت : ١٣٧٦هـ) انظر الأعلام (٣٤٠/٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٠٣/١).

(٤) الوسيط (٣٦٩/١).

(٥) النكت والعيون (٣٢٦/١).

وقال الفخر الرازي : ((واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد بالعلو بالجهة))[1].

وقال بهذا القول غير هؤلاء ، مما لا طائل بنقل كلامهم ؛ لأنه بمعنى ما قد سمعت[2].

وبعد فإنني ذاكر أشياء حول هذه المسألة تتلخص فيما يلي:

١- الذي يظهر أن هذا القول الذي اعترض ابن عطية على حكايته ليس قول المجسمة المشبهة ، ولكنه قول أهل الحق المثبتين لصفات الله تعالى؛ لأن الإمام الطبري حكى عنهم أنهم قالوا: ((لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخلقه دونه كما وصف به نفسه أنه على العرش فهو عال بذلك عليهم)) وهذا قول أهل السنة رحمهم الله تعالى. ومما يدل على أنه قول أهل الحق أن الإمام الطبري قد جعل قولهم هذا في مقابل قول أهل الباطل نفاة الصفات. وإنما الخلاف قائم بين الفريقين ، أما المشبهة الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات المخلوقين فقولهم ظاهر البطلان كفرهم به أئمة الإسلام ، ولا يمكن أن يحكيه الإمام الطبري ويسكت عليه هكذا.

٢- إذا كان هذا القول الذي حكاه الإمام الطبري واعترض عليه القاضي قول من قد ذكرنا ، فهل الصواب مع الطبري في حكايته أم مع

---

(١) التفسير الكبير (١٢/٧).

(٢) انظر الكشاف (٣٨٦/١) ، وتفسير البيضاوي (١٣٤/١) ، وتفسير النسفي (١٢٨/١) ، والجواهر الحسان (٢٤٤/١) ، والتحرير والتنوير (٢٤/٣).



ابن عطية في قوله: ((وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى))؟.

الجواب: يتولاه الإمام الشوكاني[1] حيث قال - بعد أن ذكر اعتراض ابن عطية على الإمام الطبري: ((والخلاف في إثبات الجهة معروف في السلف والخلف ، والنزاع فيه كائن بينهم ، والأدلة من الكتاب والسنة معروفة ، ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجاً عن الشرع ولا ينظر في أدلته ، ولا يلتفت إليها ، والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل ، ويتبين به الصحيح من الفاسد ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [2]))[3].

٣- لفظ المكان الذي جاء في نقل الإمام الطبري على لسان المثبتين لصفة العلو ، من الألفاظ المجملة التي قد يراد بها حق ، ويراد بها باطل ، وأهل الحق إن وقعت في كلامهم فمرادهم بها حق ، وهو ((أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه))[4].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني اليمني الإمام العلامة (ت: ١٢٥٥هـ) انظر البدر الطالع (٢/٢١٤).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١.

(٣) فتح القدير (١/٢٧٢).

(٤) انظر منهاج السنة (٢/١٤٤-١٤٥) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/٢٤٩) فقد فصل في مسألة المكان نفياً وإثباتاً بما لا تظفر به عند غيره.



٤- الذين يشنعون على أهل السنة في هذا الباب ، قصارى ما يقولون : إن الله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان . فنقول له : ماذا تعني بالمكان الذي كان الله و لم يكن ؟ هل تعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم ؟ فهذه أمكنة حادثة ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته . وأما إذا أراد بها المكان العدمي فهذا لا يقال إنه لم يكن ثم خلق ؛ إذ لا يتعلق به الخلق فإنه أمر عدمي ، فإذا قيل إن الله في مكان بهذا المعنى كما دلت عليه الآيات والأحاديث فأي محذور في هذا[1].

٢٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[2] - : «اختلف أهل التأويل

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص(٨٩-٩٠). ومضمون كلامه مقرر في كتب شيخ الإسلام. انظر مجموع الفتاوي (٦/٣٩) ،ومنهاج السنة (٢/٣٤٩) . وصفة العلو أثبتها أهل السنة على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل . وظلت فيها المعتزلة وتابعهم الأشاعرة وابن عطية منهم . وإن أردت مزيد بيان في هذه المسألة فانظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص(١١٢) ، والحجة في بيان المحجة (٢/٨٢) ، والعلو للعلي الغفار ص(٨٣) وما قبلها وما بعدها ، ومختصر الصواعق (٢/٣٢٠)، وإثبات صفة العلو ص(٤١) وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٦.



في معنى ذلك فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار... كان لهم أولاد قد هوَّدوهم ، أو نصَّروهم ، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام...»[١] ثم ذكر من قال ذلك بالأسانيد .ثم قال : «وقال آخرون: بل معنى ذلك : لا يكره أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية، ولكنهم يقرون على دينهم ، وقالوا : الآية في خاص من الكفار ، ولم ينسخ منها شيء»[٢] ثم ذكر من قال ذلك بالأسانيد . ثم قال : «وقال آخرون : هذه الآية منسوخة ، وإنما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك»[٣] ثم أورد من قال ذلك بالأسانيد .

ونسب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - القول بالنسخ إلى الإمام الطبري ثم استدرك ذلك عليه فقال- بعد أن أورد القول الثالث -: «قال الطبري والآية منسوخة في هذا القول ، قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - : ويلزم على هذا أن الآية مكية ، وأنها من آيات الموادعة التي نسختها آية السيف»[٤].

أقول : نسبة القول إلى الإمام الطبري أن الآية منسوخة ليس كذلك،

(١) جامع البيان (٥/٤٠٧).

(٢) المصدر نفسه (٥/٤١٢).

(٣) المصدر نفسه (٥/٤١٤).

(٤) المحرر الوجيز (٢/٢٨٠-٢٨١).



من خلال النسخ التي بين يدي من تفسير الإمام الطبري[١] ، وإنما فيه أنه ذكر الأقوال في معنى الآية ومن بينها ما تقدم : «وقال آخرون هذه الآية منسوخة ...» وهذا حكاية لقول من يرى هذا ، ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الإمام الطبري لا يرى هذا القول ، ويرجح عليه غيره فهو يقول : «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : عني بقوله تعالى ذكره: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ أهل الكتابين والمجوس ، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق ، وأخذ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً . وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لما قد دللنا عليه في كتابنا «كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام» من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما ، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي ، وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال : لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشـــركي العرب ، وكالمرتد عن

(١) منها نسخة دار المعارف بمصر تحقيق أحمد ومحمود ابني محمد شاكر ، والأميرية ببولاق ، وطبعة دار الكتب العلمية.



دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم ، كان بيناً بذلك أن معنى قوله : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام . ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمحاربة ... فتأويل الكلام إذاً : قد وضح الحق من الباطل ، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه ، فتميز من الضلالة والغواية ، فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه [أحداً] على دينكم دين الحق ، فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له ، فإلى ربه أمره، وهو ولي عقوبته في معاده»(١).

تبين من سياق كلام الإمام الطبري أن الآية عنده لفظها العموم ومعناها الخصوص ، وأنها بمعزل من النسخ بآية المحاربة .

٢٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «واختلف أهل التأويل في القرية التي مر عليها القائل: ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾(٢) فقال بعضهم: هي بيت المقدس ... وقال آخرون: بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال

---

(١) جامع البيان (٥/٤١٤-٤١٦).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .



لهم الله موتوا. ذكر من قال ذلك : حدثني يونس[1] ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد - في قول الله تعالى ذكره- : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ [2] قال قرية كان نزل بها الطاعـــون، ثم اقتص قصتـــهم التي ذكرناها في موضعها عنه ، إلى أن بلغ ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ﴾ في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [3] قال : ومر بها رجل وهي عظام تلوح ، فوقف ينظر فقال: ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ إلى قوله :﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ »[4].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في وضع هذه الترجمة (بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت...) عنواناً لهذا القول فقال: «وقال

---

(١) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الإمام الحافظ (ت : ٢٦٤هـ) انظر السير (٣٤٨/١٢).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣.

(٤) جامع البيان (٤٤٢/٥-٤٤٤).

ابن زيد : إن القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا مر عليهم رجل وهم عظام تلوح ، فوقف ينظر ، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام، وترجم الطبري على هذا القصص بأنه قول بأن القرية التي مر عليها هي التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم . قال القاضي أبو محمد : وقول ابن زيد لا يلائم الترجمة ؛ لأن الإشارة بهذه على مقتضى الترجمة هي إلى المكان ، وعلى نفس القول هي إلى العظام والأجساد...»[1].

تبين لنا من سياق كلام الإمامين أن أحدهما يفهم من كلام عبد الرحمن ابن زيد أنه يقصد المكان، والآخر لا يفهم منه إلا أنه أراد العظام والأول هو الذي فهمه الإمام الطبري ، والثاني هو الذي فهمه القاضي ابن عطية.

وليس لنا في هذه المسألة إلا أن نرجع إلى النص الذي نقله الطبري عن عبد الرحمن بن زيد وندقق فيه النظر عسى أن نهتدي إلى الصواب نسأل الله أن يهدينا إليه.

فعند الرجوع إلى النص وجدنا عبد الرحمن بن زيد يقول عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[2] : «قرية كان نزل بها الطاعون فخرجت طائفة منهم وقامت

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٩٠-٢٩١).

(٢، ٢، ٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .



طائفة ، فألح الطاعون بالطائفة التي أقامت ، والتي خرجت لم يصبهم شيء ، ثم ارتفع ثم نزل العام القابل ، فخرجت طائفة أكثر من التي خرجت أولاً فاستمر الطاعون بالطائفة التي أقامت، فلما كان العام الثالث نزل فخرجوا بأجمعهم وتركوا ديارهم ، فقال الله تعالى ذكره: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ [٢] ليست الفرقة أخرجتهم، كما يخرج للحرب والقتال، قلوبهم مؤتلفة ، إنما خرجوا فراراً. فلما كانوا حيث ذهبوا يبتغون الحياة ، قال لهم الله موتوا في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٣] قال: ومر بها رجل وهـي عظام تلوح فوقف ينظر فقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأماته الله مائة عام» [١] .

هذا النص الذي أمامنا تقدم في أوله ذكر القرية التي خرجوا منها حذر الموت ، وجاء بعده ذكر المكان الذي خرجوا إليه يبتغون فيه الحياة فماتوا فيه ، ثم يأتي بعد ذلك قوله: «قال ومر بها رجل وهي عظام تلوح » وهنا عند النص الأخير نقف فهل قوله: «ومر بها رجل» يرجع إلى القرية

---

(١)جامع البيان (٥/٢٧٣، ٢٧٤) . وما نقل في أول هذه المسألة اختصره الطبري من هذا.



المفهومة من السياق أنهم خرجوا إليها ، وهذا بعيد لأنه قال: «فلما كانوا حيث ذهبوا يبتغون الحياة قال لهم الله موتوا» وهذا أعم من أن يكون قرية، أو غيرها فيبقى مكاناً ولو أراد إرجاع الضمير إليه لقال: «ومر به رجل» إذاً فإرجاع الضمير إلى ما قد يفهم أنه قرية لا يصلح وهو بعيد.

فهل يمكن أن يرجع الضمير إلى القرية المتقدمة في النص وهي قوله: «قرية كان نزل بها الطاعون» وهذا لا يصلح لأن نص الكلام يدل أنهم قد تركوا تلك القرية وانتقلوا إلى مكان آخر فأماتهم الله فيه.

بقي هل يمكن أن يرجع الضمير في قوله: «فمر بها رجل» إلى الأجساد باعتبار ما كان؟. الظاهر نعم ويرجح ذلك ما جاء بعد من قوله: «فإذا هي عظام تلوح» أي فإذا هذه الأجساد عظام تلوح. ويقوي هذا أيضاً أن العلماء قد نقلوا عن عبد الرحمن بن زيد أنه فسر قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾أي أنى يحيي الله هذه العظام بعد موتها[1]، فأعاد الضمير في قوله :﴿ هَٰذِهِ ﴾ إلى العظام لا إلى القرية ، فتبين بهذا أن استدراك ابن عطية هو كما قال والله أعلم.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٨٩) . وذكر هذا القول غير القرطبي على أنه مما يمكن أن يرجع إليه الضمير في قوله «هذه» من غير تعيين القائل به . انظر البحر المحيط (٢/٣٠٣) ، والدر المصون (٢/٥٦٠) ، والفتوحات الإلهية (١/٢١٢).

٢٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعــالى - «القول في تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ فلما اتضح له عياناً ما كان مســتنكراً من قــدرة الله وعظمته ، عنده قبل عيانه ذلك ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ الآن بعد المعاينة والإيضاح والبيان ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ »[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير الآية فقال: «وقال الطبري المعنى في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ أي لما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً في قدرة الله عنده قبل عيانه ، ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ . قال القاضي أبو محمد : وهذا خطأ ؛ لأنه ألزم ما لا يقتضيه اللفظ ، وفسر على القول الشاذ والاحتمال الضعيف . وقــرأ ابن كثير ونافع[3] وأبو عمرو وعاصم[4] وابن عامر ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .

(٢) جامع البيان (٤٨١/٥).

(٣) نافع بن أبي نعيم ، الإمام حبر القرآن (ت : ١٦٩هـ) . انظر السير (٣٣٦/٧).

(٤) عاصم بن أبي النجود ، الإمام الكبير المقرئ (ت : ١٢٧هـ) . انظر السير (٢٥٦/٥).



مقطوعة الألف مضمومة الميم ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ قال اعلمْ أن الله ﴾ موصولة الألف ساكنة الميم ... وقرأ عبد الله بن مسعود[١] والأعمش[٢] ((قيل اعلم)) فأما هذه فبينة المعنى ، أي قال الملك له، والأولى بينة المعنى ، أي: قال هو أنا أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وهذا عندي ليس بإقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري ، بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الإنسان المؤمن إذا رأى شيئاً غريباً من قدرة الله : الله لا إله إلا هو ونحو هذا ، وقال أبو علي[٣] : معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته ، قال القاضي ... يعني علم المعاينة ، وأما قراءة حمزة والكسائي فتحتمل وجهين: أحدهما : قال الملك له اعلم . والآخر : أن ينـــزل نفسه منـــزلة المخاطب الأجنبي المنفصل ، فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه : اعلم))[٤].

تبين مما تقدم أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري هو كيف

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل ، الإمام الحبر فقيه الأمة (ت : ٣٢هـ) . انظر السير (٤٦١/١).

(٢) سليمان بن مهران ، شيخ المقرئين والمحدثين (ت: ١٤٨هـ). انظر السير (٢٢٦/٦).

(٣) هو الفارسي صاحب الحجة.

(٤) المحرر الوجيز (٢٩٩/٢-٣٠٠) . وقد آثرت نقل كل هذا ليتبين لنا رأي ابن عطية.

يفسر قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ على قول من قال: إن سؤاله عن الإحياء كان سؤال المنكر لقدرة الله.

وللوصول إلى معرفة الحق في هذا الاستدراك لابد من بحث قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فهو الأساس الذي بنى عليه الإمام الطبري ما قال في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ وهذا الموضع من الآية محل خلاف بين أهل التفسير.

١- فأكثر المفسرين وجمهورهم - حسب ما اطلعت عليه[١] - على أن هذا السؤال لم يكن إنكاراً لقدرة الله وشكاً فيها ، بل كان ذلك استعظاماً لقدرة المحيي واعترافاً بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء.

واستدل هؤلاء بأدلة بعضها من الآية نفسها وبعضها من خارج الآية ؛ فأما التي من الآية فقوله :﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فأخبر عن نفسه بما يدفع أن يكون شاكاً في قدرة الله. والمعنى : علمت بالمعاينة ما كنت أعلمه قبل ذلك غيباً[٢].

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٢٢٦/١) ، والوسيط (٣٧٤/١) ، ومعالم التنـزيل (٢٤٣/١) ، وزاد المسير (٣٠٩/١) ، وغرائب التفسير (٢٢٧/١) ، والتفسير الكبير (٢٦/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/٣) ، وتفسير النسفي (١٣١/١)، وتفسير الخازن (٢٧٧/١) ، والجواهر الحسان (٢٤٨/١) ، وتفسير ابن كثير (٣١٥/١) ، وتفسير أبي السعود (٢٥٢/١) ، وروح المعاني (٢٠/٣) . وقد نسب الرازي القول بكفر السائل إلى مجاهد وأكثر مفسري المعتزلة . ثم قال: والباقون على أنه كان مسلماً . انظر الموضع المتقدم من التفسير الكبير.

(٢) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٢٢٧/١).



وعلى قراءة من قرأ على لفظ الأمر فهي دالة أيضاً أنه لم يكن شاكاً . فلربما يكون خطر له خاطر من وساوس الشيطان فدفعه عن نفسه بأن قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير وهذا على طريقة التجريد حيث نــزل نفسه منــزلة الأجنبي فخاطبها بهذا[1].

ثم إن الإماتة والإحياء معجزة من المعجزات حسبما نطقت به الآية ويبعد أن يجعل مثل هذا في كافر يكذب بقدرة الله على البعث[2].

وأما ما يدل - من خارج الآية - على أنه لم يكن شاكاً فما ذكره بعض المفسرين من أن هذا السائل لم يكن إنساناً عادياً ، بل كان نبياً من المصطفين الأخيار[3].

٢- وذهب بعض المفســرين - ومنهم الطبري[4] - إلى أن ســؤاله كان على جهة الشــك في قــدرة الله والرجــل كان كافراً شــاكاً في البعث[5] ، وأدلتهم على ذلك أن قالوا :

---

(١) انظر الحجة للقراء السبعة (٣٨٣/٢) مع شيء من التصرف في فهم الدليل وعرضه.

(٢) انظر وضح البرهان (٢٢٣/١) مع شيء من التصرف في فهم الدليل وعرضه.

(٣) انظر على سبيل المثال جامع البيان (٤٤٧/٥-٤٥٤) ، و تفسير القرآن لأبي الليث (٢٢٦/١) ، وزاد المسير (٣٠٩/١) ، والدر المنثور (٣٣١/١).

(٤) هو المفهوم من كلامه وإن لم يصرح بكفره عند هذا الجزء من الآية . انظر تفسيره (٤٤٦/٥، ٤٤٧).

(٥) تقدم أن الرازي قال : هو قول مجاهد وأكثر المفسرين من المعتزلــة . انظر التفسير

=

١) أن الله حكى عنه أنه قال :﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وهذا كلام من يستبعد من الله الإحياء بعد الإماتة وذلك كفر[١].

٢) أن الله تعالى قال في حقه:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ وهذا يدل على أنه قبل ذلك لم يكن ذلك التبين حاصلاً له ، وهذا شك[٢].

٣) ومما يدل على كفره أن الله تعالى نظمه مع الذي كفر وادعى أنه يحيي ويميت وهذا دال على كفره[٣].

٤) قراءة ﴿ اعلم﴾ بالأمر تدل على أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير وهذا كفر.

هذا قول الفريقين وأقوى أدلتهم التي رأيتها في كتب التفسير ، أو يمكن أن يستدل لهم بها.

والراجح والله أعلم القول الأول وأنه لم يكن كافراً ولا شاكاً ، بل قال ذلك اعترافاً بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء ، واستعظاماً لقدرة المحيي .

=

الكبير (٢٦/٧). وانظر الكشاف (٣٨٩/١) فقد فسر الآية على أنه كافر ودافع ودافع عن ذلك . وكذلك فعل الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره (٢٠٨/١).

(١) انظر التفسير الكبير (٢٦/٧).

(٢) انظر التفسير الكبير (٢٩/٧) ، وانظر تيسير الكريم الرحمن (٢٠٨/١).

(٣) انظر الكشاف (٣٨٩/١).



ويترجح ذلك بعدة أشياء:

١- أنه قول أكثر المفسرين فيما رأيت.

٢- ظاهر القرآن يدل على أن الله كلمه مبيناً له أن الأمر الذي كان يستعظمه هو يسير سهل على الله تعالى ، وهذا كلام تعليم وتكريم ، لا توبيخ وتأنيب ، وهذا دال على أن الرجل مؤمن ، موحد، بل يدل هذا على أنه كان نبياً مختاراً.

٣- الأصل في الاستفهام أن يكون عما يجهله الإنسان فيسأل مسترشداً متعلماً ، وقد يخرج الاستفهام إلى الجحد والإنكار لقرينة تدل عليه ، وهنا لا يوجد قرينة تسلم من الاعتراض فنرجع إلى الأصل.

٤- ثبت عن علي بن أبي طالب ﷺ أن السائل كان نبياً ، فقد أخرج الحاكم بسنده عن علي رضي الله عنه قال : «خرج عزير نبي الله من مدينته ، وهو رجل شاب فمر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، فأول ما خلق عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ، ونفخ فيه الروح ، وهو رجل شاب فقيل له: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام . قال : فأتى بالمدينة [1] وقد ترك

(١) «بالمدينة» كذا في نسخة المستدرك التي بين يدي . وفي الدر المنثور (١/٣٣١) نقلاً عن المستدرك وغيره «فأتى مدينته وقد ترك».

جاراً له إسكافاً[١] شاباً فجاء وهو شيخ كبير»[٢].

والأدلة التي ذكرها من زعم أنه كافر شاك يرد عليها بما يلي:

١- قولهم : إن الله حكى عنه أنه قال :﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وهذا كلام من يستبعد من الله الإحياء ... إلخ. يقال: ليس كل من سأل عن شيء يحمل سؤاله على التكذيب والإنكار ، فلعل سؤاله عن كيفية الإحياء حتى يصل من اليقين إلى عين اليقـــين بدليل أن الله قال له: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ .

٢- قولهم : إن الله قال في حقه:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ وهذا يدل على أنه قبل ذلك لم يكن ذلك التبين حاصلاً له ، وهذا شك .

الجواب عن هذا أن يقال: نعم تبين الإحياء على سبيل المشاهدة ما كان حاصلاً له قبل ذلك، فأما أن يحمل التبين على سبيل الاستدلال الذي لم يكن حاصلاً من قبل فممنوع[٣].

---

(١) الإسكاف : الخراز وصانع الأحذية . انظر المعجم الوسيط (٤٥٦/١) «سكف».

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣١٠/٢) ، كتاب التفســير . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٣١/١) ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي.

(٣) انظر التفسير الكبير (٢٦/٧).



٣- وأما قولكم : مما يدل على كفره أن الله نظمه مع الذي كفر وادعى أنه يحيى الموتى ، وهذا دال على كفره . يقال : هذا معارض بضده فقد نظمت قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام في نسق واحد، فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ[1] أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامها أيضاً مع قصة إبراهيم.

٤- وأما قولكم : إن قراءة ﴿ اعلم﴾ بالأمر تدل على أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير وهذا كفر. يقال : سياق الآية يدل على أن المقصود اعلم ذلك الضرب من العلم وهو علم المشاهدة والكيفية ، لا على ما قلتم أنه لم يكن عالماً أن الله على كل شيء قدير ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[2] فهل يفهم منه أنه لم يكن متقياً؟!.

وبهذا يتبين أن قول الإمام الطبري ومن معه قول ضعيف مرجوح ، فيكون استدراك القاضي ابن عطية وارداً على الإمام الطبري.

٢٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى-: «القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن

(١) يقال هو : نمروذ بن كوش بن كنعان . كافر ممخرق. انظر تاريخ الطبري (١/١٧٢).

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ١.



﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١] قال أبو جعفر: ... واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، فقال بعضهم : كانت مسألته ذلك ربه أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها ... ليرى ذلك عياناً فيزداد يقيناً برؤيته ذلك عياناً إلى علمه به خبراً... وقال آخرون : بل كان سبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمروذ في ذلك ... وقال آخرون : بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلاً ، فسأل ربه أن يريه عاجلاً من العلامة له على ذلك ، ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً ، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيداً ... وقال آخرون : قال ذلك لربه ؛ لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى ، ذكر من قال ذلك »[٢] ثم ساق بسنده إلى ابن عباس أنه قال : «ما في القرآن آية أرجى عندي منها»[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٦٠ .

(٢)جامع البيان (٥/٤٨٥-٤٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٤٨٩) من طريق معمر عن أيوب قال قال ابن عباس . وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٠٦) عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس . وهو في المستدرك (١/١٢٨) بغير هذا اللفظ من طريق أخرى إلى ابن عباس وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال فيه انقطاع . وقال الحافظ - بعد أن أورد هذه الطرق - : وهذه طرق يشد بعضها بعضاً . انظر الفتح (٦/٤١١).

=



وساق أثراً آخر عن ابن جريج[١] قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ قال : «دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال :﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ ﴾ قال: فخذ أربعة من الطير ليريه »[٢].

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة[٣] أن رسول الله ﷺ قال : «نحن أحق بالشك من إبراهيم ، قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ »[٤].

=

و لم يبين الطبري وجه الرجاء من قول ابن عباس ، ولكن كلامه يدل على أنه يفهم منه أن إبراهيم قد دخل قلبه شيء من الشك و لم يخلل ذلك بمرتبة إيمانه ونبوته . والصواب في وجه الرجاء إن ثبت الأثر ما يأتي ذكره في كلام ابن عطية .

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام الحافظ شيخ الحرم (ت : ١٥٠هـ) انظر السير (٦/٣٢٥).

(٢) انظر جامع البيان(٥/٤٩٠) فقد أخرجه من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء، وأورده الحافظ في الفتح (٦/٤١١) عن عطاء من طريق ابن جريج ونسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي الأزدي ، صاحب رسول الله ﷺ سيد الحفاظ (ت: ٥٧هـ) . انظر السير (٢/٥٧٨).

(٤) جامع البيان (٥/٤٩٠) ، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه – مع =

ثم قال : «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، ما صح به الخـبر عـن رسول الله ﷺ أنه قاله ، وهو قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ، قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ وأن تكـون مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عـرض في قلبه ، كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفاً[1] : من أن إبـراهيم لمـا رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر ، قد تعاوره[2] دواب الـبر ، ودواب البحر ، وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيـف يحيـي الموتى، ليعاين ذلك عياناً ، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبـه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك فقال له ربـه : ﴿ أَوَلَمْ

=

الفتح - (٦/٤١٠-٤١١) . كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ ، ح(٣٣٧٢) ، ومسلم في صحيحه (١/١٣٣) ، كتاب الإيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ، ح(١٥١) وعندهما زيادة ليست هنا.

(١) انظر جامع البيان (٥/٤٩١) فقد أخرجه عن شيخه يونس ، قال أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد : فذكره.

(٢) تعاوره : أي تناوبت وخلف بعضها بعضاً للأكل منه. انظر لسان العرب (٩/٤٧١) «عور».



﴿تُؤْمِن﴾ ؟ يقول: أو لم تصدق يا إبراهيم بأني على ذلك قادر ؟ قال بلى يا رب ، لكن سألتك أن تريني ذلك ليطمئن قلبي فلا يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ترجيحه نسبة الشك إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال : «وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه ، لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى ، وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها، وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال:﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ؟ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ... الحديث . ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث ، وقال: إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ، ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء ... قال القاضي أبو محمد عبد الحق – ﷺ – : وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ، فأما قول ابن عباس : هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى ، وسؤال

(١) جامع البيان (٥/٤٩١، ٤٩٢)



الإحياء في الدنيا ، وليست مظنة ذلك ، ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله: ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ أي أن الإيمان كاف لا يحتاج بعـده إلى تـنقير وبحث. وأما قول عطاء بن أبي رباح: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة ، وذلك أن النفوس مستشـرفة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال النبي عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة»[١] وأما قول النبي عليه السلام: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فمعناه : أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به ، ونحن لا نشك ، فإبراهيم عليه السـلام أحرى أن لا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم ، والذي روي فيه عن النبي عليه السلام أنه قال : «ذلك محض الإيمان»[٢] إنما هـو في الخواطر الجارية التي لا تثبت ، وأما الشك فهو توقف بين أمـرين ، لا مزية لأحدهما على الآخر ، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السـلام ،

---

(١) هذا بعض حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧١/١) من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ ، وابن حبان في صحيحه - مع الإحسان - (٩٦/١٤) وقال محققه حديث صحيح رجاله رجال الشيخين . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١٢) ، والحاكم في المستدرك (٣٥١/٢) وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣/١) عن ابن عمر يرفعه وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح . وانظر طبعة المسند الذي يشرف عليها التركي (٢٦١/٤) فقد قال المحقق : حديث صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسـلم في صحيحه (١١٩/١) ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان ، ح(١٣٣).



وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع ، وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به ، يدلك على ذلك قوله: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[1] فالشك يبعد على من ثبتت قدمه في الإيمان فقط ، فكيف بمرتبة النبوة والخلة، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً ، وإذا تأملت سؤاله عليه السلام ، وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكاً ؛ وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول ، نحو قولك : كيف علم زيد ؟ وكيف نسج الثوب ؟ ونحو هذا ، ومتى قلت: كيف ثوبك ؟ وكيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله ، وقد تكون كيف خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف ، نحو قولك : كيف شئت فكن ، ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي ، وكيف في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء ، والإحياء متقرر ، ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح ، فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح ، مثال ذلك أن يقول مدع : أنا أرفع هذا الجبل ، فيقول له المكذب له : أرني كيف ترفعه؟ فهذه طريقة مجاز في العبارة ، ومعناها تسليم جدلي ، كأنه يقول: افرض أنك ترفعه أرني كيف؟ فلما كان في عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨.

خلص الله له ذلك وحمله على أن يبين الحقيقة فقال له:﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ قال بلى ، فكمل الأمر وتخلص من كل شك، ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة»[1].

هذا رأي الإمام الطبري ، واستدراك القاضي ابن عطية عليه ، فماذا قال علماء التفسير في هذه المسألة؟.

١- قال الجمهور: لم يكن سبب سؤال إبراهيم شكاً في قــدرة الله تعالى وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية مــن رؤيــة مــا أخبرت، فإن الخبر ليس كالمعاينة كما قال ﷺ[2]. ومن هؤلاء من يذكر أسباباً أخرى في باعث السؤال غير الشك [3]. ودليل هؤلاء ما تقــرر أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها على الإطلاق[4] . فكيف ينسب إلى أحد أولي العزم من الرسل أنه شــك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ؟!!.

وذكروا أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه لم أر من قررها وجمعها بأحسن من

---

(١) المحرر الوجيز (٣٠٢/٢-٣٠٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧/٣-٢٩٨)، والتسهيل لعلوم التنــزيل (١٦٢/١)، وفتح القدير (٢٨١/١).

(٣) تقدم أن الطبري ذكر بعضها ، وأوصلها الرازي إلى أحد عشر سبباً . انظر التفسير الكبير (٣٤/٧-٣٥).

(٤) انظر البحر المحيط (٣٠٨/٢).



تقرير القاضي ابن عطية رحمه الله تعالى وجمعه لها ، ولذلك فلا داعي لتكرارها.

٢- وقال آخرون: سأل ربه ذلك لأنه شك في قدرة الله تعالى[1] . ثم من هؤلاء من يقول كان ذلك قبل النبوة[2] ، ومنهم من يجعل سبب السؤال وسوسة الشيطان التي لم تستقر ، ولا زلزلت الإيمان الثابت[3] . ويستدل هؤلاء بظاهر الآية[4] وبما ثبت في الحديث الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم»[5] ففهموا منه أن النبي ﷺ يثبت الشك لإبراهيم.

وبما جاء عن ابن عباس أنه قال : «أرجى آية في القرآن ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ هذا لما في الصدور ويوسوس الشيطان ، فرضي الله من قول إبراهيم بقوله : «أو لم تؤمن قال بلى »[6]. وبما رواه ابن جريج أنه سأل

---

(١) انظر جامع البيان (٥/٤٨٩) ، والتفسير الكبير (٧/٣٥) ، وفتح الباري (٦/٤١١).

(٢) انظر فتح الباري (٦/٤١١) ، وأقول حتى قبل النبوة لا يجوز ذلك عليه والله قد قال عنه ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ .

(٣) انظر المصدر السابق (٦/٤١١).

(٤) يظهر أن وجه استدلالهم بالآية حسب ما ذكر عن عطاء.

(٥) الحديث في الصحيحين وتقدم تخريجه قريباً.

(٦) هذا اللفظ على ما روى الحاكم (١/١٢٨) وفيه انقطاع كما تقدم ، والعبارة غير =

عطاء عن هذه الآية قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك.

وأقوى دليل لهؤلاء هو الحديث «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد أجاب عنه العلماء بعدة أجوبة ذكرها الحافظ في فتح الباري[1] .

ومن أقوى هذه الأجوبة ما ذكره القاضي قبل قليل ، وهو جواب أبي سليمان الخطابي[2] أيضاً فقد قال: «ليس في قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفـي الشك عنهما يقول : إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك ، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم مـن النفس...»[3].

وأما استدلالهم بالآية فالآية لا تدل لهم بل هي أدل على نفي الشك عن إبراهيم من إثباته ، فقد سأل إبراهيم عليه السلام بـ «كيف» الـتي يسأل بها عن شيء معلوم ثابت ولكن تجهل كيفيته ، ثم نفى إبراهيم عليه

=

واضحة . وفي فتح الباري (٤١١/٦) قال ابن عباس : هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى.

(١) انظر (٤١٢/٦).

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي ، إمام علامة ، حافظ لغوي (ت : ٣٨٨هـ) . انظر السير (٢٣/١٧).

(٣) معالم التنـزيل (٢٤٨/١) فقد نقل البغوي ذلك عنه.



السلام الشك عن نفسه عندما سأله ربه ﴿ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ قال بلى . ثم علل سبب سؤاله بما يدل أنه أراد أن يزداد يقيناً إلى يقينه فقال: «ولكن ليطمئن قلبي».

فإن قالوا : ما جاء عن ابن عباس وتلميذه عطاء يدل على قولنا فيقال: الإجابة عن ذلك من ثلاثة وجوه:

١- لا يعقل أن ابن عباس أراد أنها أرجى آية من ناحية أن الإنسان يشك في قدرة الله على إحياء الموتى ويبقى له إسلامه وإيمانه ، بل الأمر كما قال ابن عطية.

٢- ابن عباس وعطاء ما قالا إن قلب إبراهيم دخله شك غاية ما يفهم من كلامهما أن إبراهيم عليه السلام خطر له خاطر جار لا يثبت أبداً فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، ومثل هذا لا يضر، فإن النبي ﷺ سئل عن مثل هذا فقال : «ذاك صريح الإيمان»[1].

٣- لنفرض أن ابن عباس وعطاء يقولان : إن إبراهيم شك فهل نتبعهما أو نتبع ما تقرر من إجماع الأمة أن الأنبياء معصومون من هذا؟!.

وبهذا يتضح أن قول من قال : إن قلب إبراهيم دخله الشك في قدرة الله على إحياء الموتى ، قول بمعزل من الصواب ، لا يجوز على من ثبت قدمه في الإيمان فكيف ينسب إلى أحد أولي العزم من الرسل الذي اتخذه

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.



الله خليلاً ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب وآتاه أجره في الدنيا ورفـع ذكره فيها وهو في الآخرة من الصالحين المقربين؟!.

وقد أحسن ابن عطية رحمه الله تعالى في تفنيد هذا القول ورده ، حتى أصبح رده هذا يردد على ألسنة العلماء وينقلونه في مصنفاتهم [(١)]. وهـذا الذي رده ابن عطية ، قد رده أيضاً العلماء وصدر من بعضهم في حـق قائله عبارات قاسية ، من ذلك نعت الرازي لقائله أنه من الجهـال ، ثم أردفه بقيله : «وهذا القول سخيف ، بل كفر ، وذلك لأن الجاهل بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى كافر ، فمن نسب النبي المعصوم إلى ذلك فقد كفَّر النبي المعصوم ، فكان هذا بالكفر أولى ، ومما يدل على فساد ذلـك وجوه . أحدها : قوله تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ولو كان شاكاً لم يصح ذلك. وثانيها: قوله : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ وذلك كلام عارف طالب لمزيد اليقين ، ومنها أن الشك في قدرة الله تعالى يوجب الشـك في النبوة فكيف يعرف نبوة نفسه . أما قوله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: أنه استفهام بمعنى التقرير قـال الشاعر[(٢)]:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٩٨-٢٩٩) ، وفتح الباري (٦/٤١٢-٤١٣) ، والجواهر الحسان (١/٢٥١)، وفتح القدير (١/٢٨١).

(٢) جرير بن عطيـة الخطفي . والبيت في ديوانـه ص(٩٨) وفي لسان العرب (١٤/ =



ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والثاني: المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون أنه عليه السلام كان مؤمناً عارفاً به ، وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر.

أما قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فاعلم أن اللام في ﴿ لِّيَطْمَئِنَّ ﴾ متعلق بمحذوف والتقدير: سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب، قالوا : والمراد منه أن يزول عنه الخواطر التي تعرض للمستدل وإلا فاليقين حاصل على كلتا الحالتين»[1].

وقال القرطبي – بعد أن نقل كلام ابن عطية – : «قلت: هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ، ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر ، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[2] وقال اللعين: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

=

٢٦٢) «نقص» الشطر الأول منه، وشرح المفصل (١٢٣/٨).

(١) التفسير الكبير (٣٥/٧).

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٢.



﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] وإذا لم يكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم ، وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى ، بعد تفريقها وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين[2] فقوله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ﴾ طلب مشاهدة الكيفية»[3].

وأختم هذا البحث فأقول : كلام الإمام الطبري قد يمكن أنه أراد به أن ما حصل لإبراهيم عليه السلام من قبيل الخاطر الذي لا يثبت ، ولا يقصد به أن الشك تمكن من قلب إبراهيم عليه السلام، ويرجح هذا ثلاثة أشياء:

١- لم يصرح الإمام الطبري أن إبراهيم شك ، بل عبارته أن قال: «لعارض من الشيطان عرض في قلبه»[4] وهذا يمكن أن يؤوّل بما ذكرت.

٢- ذكر الإمام الطبري أن التأويل الذي ذهب إليه - وأنه لعارض من الشيطان عرض في قلبه - يبني عليه تفسير قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بمعنى ليزداد إيماناً أو يقيناً ، ونص عبارته كالتالي: «وهذا التأويل الذي

(١) سورة ص ، الآية : ٨٣.

(٢) في الجامع لأحكام القرآن «من علم اليقين ، إلى علم اليقين» والغالب أنه تكرار ، وما أثبت هو مراد المؤلف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/٧).

(٤) انظر كلامه في جامع البيان (٤٩١/٥) وقد تقدم نقله قريباً.



قلناه في ذلك ، هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله: ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِى ﴾ إلى أنه ليزداد إيماناً ، أو إلى أنه ليوقن ذكر من قال ذلك : ليوقن ، أو ليزداد يقيناً ، أو إيماناً»[1] ثم أورد عدة آثار تدل على هذا.

وزيادة الإيمان ، أو اليقين لا يكون إلا لمؤمن ، أو موقن ، فأما من شك فلا يبقى معه إيمان ، أو يقين حتى يقال يزداد إيماناً ، أو يقيناً ، بل نقول : يؤمن ، أو يسلم.

٣- يبعد في حق إمام مثل الطبري عارف بالمنقول والمعقول أن يدعي على نبي عظيم أنه كان في وقت من الأوقات شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى ، وما ذكرت عنه سابقاً من نصوص تؤيد هذا الاتجاه. ويؤيده أيضاً قول الحافظ : «وحمله[2] أيضاً الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت»[3].

٢٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «ومعنى قوله : ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِى ﴾[4] ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه. وهذا التأويل

---

(١) جامع البيان (٥/٤٩٢).

(٢) يعني الحافظ بقوله : «وحمله» أي حمل حديث «نحن أحق بالشك من إبراهيم».

(٣) الفتح (٦/٤١١).

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦٠ .



الذي قلناه في ذلك، هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ إلى أنه ليزداد إيماناً ، أو إلى أنه ليوقن . ذكر من قال ذلك: ليــوقن ، أو ليزداد يقيناً أو إيماناً»[1] ثم ساق عدة آثار عن سعيد بن جــبير ، وقتــادة وغيرهما حاصلها أن الإيمان واليقين يزيدان[2].

واعترض القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على زيادة الإيمـــان واليقين ، فقال: «وقال الطبري: معنى ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ ﴾ ليوقن ، وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير ، وحكى عنه ليزداد يقيناً ، وقاله: إبــراهيم[3] وقتادة ، وقال بعضهم لأزداد إيماناً مع إيماني. قال القاضي أبو محمد عبــد الحق - رضي الله عنه - : ولا زيادة في هذا المعنى تمكن إلا السكون عن الفكر ، وإلا فاليقين لا يتبعض»[4].

فإذا رجعت إلى كتب التفسير في هذه المسألة تجد فريقاً منهم يفسر الآية على أن اليقين يزيد وكذلك الإيمان ، فهذا الواحدي ينقل تفسير ابن جبير في معنى الآية - مقراً له - فيقول : «وقال ســـعيد بن جبــير :

---

(١) جامع البيان (٤٩٢/٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٤٩٢/٥، ٤٩٣).

(٣) إبراهيم بن يزيد النخعي ، الإمام الحافظ الفقيه (ت: ٩٦هــ) انظر السير (٥٢٠/٤).

(٤) المحرر الوجيز (٣٠٤/٢).



﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ لأزداد إيماناً»[١].

وينقل الماوردي زيادة اليقين في معنى الآية مصدراً به الأقوال فيقول : «فيه ثلاثة أوجه – يعني قوله: ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ – أحدها : ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير والربيع[٢] »[٣] .

والبغوي يفسر الآية على زيادة اليقين فيقول: «ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين»[٤] وبذلك فسرها الكرماني[٥] ، وابن الجوزي[٦] ، وغيرهما[٧].

---

(١) الوسيط (١/٣٧٥).

(٢) لعله : الربيع بن أنس البكري من تلاميذ أبي العالية والحسن البصري (ت : ١٣٩هـ). انظر تهذيب التهذيب (٣/٢٣٨)، وانظر تاريخ التراث العربي (١/٧٩) فقد ذكره سزكين في المفسرين.

(٣) النكت والعيون (١/٣٣٣-٣٣٤).

(٤) معالم التنزيل (١/٢٤٨).

(٥) انظر غرائب التفسير (١/٢٢٩).

(٦) انظر زاد المسير (١/٣١٣) فقد أورده عن سعيد على أنه أحد الأقوال في معنى الآية. وابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي الإمام العلامة ، الحافظ المفسر (ت: ٥٩٧هـ) . انظر السير (٢١/٣٦٥).

(٧) انظر الكشاف (١/٣٩٢) فقد قال: «وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين» ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٩٩) ، وتفسير الخازن (١/٢٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢٠٨) .

وبعض المفسرين يورد في تفسيره نظير ما رآه ابن عطية كالرازي فإنه قال - عند تفسير قوله : ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ - : «سألت ذلـك إرادة طمأنينة القلب قالوا: والمراد منه أن يزول عنه الخـواطر الـتي تعـرض للمستدل وإلا فاليقين حاصل على كلتا الحالتين . وهنا بحث عقلي وهـو أن هذا التفسير مفرع على أن العلوم يجوز أن يكون بعضها أقـوى مـن بعض ، وفيه سؤال صعب ، وهو أن الإنسان حال حصول العلم له إما أن يكون مجوزاً لنقيضه ، وإما أن لا يكون ، فإن جوز نقيضه بوجـه مـن الوجوه ، فذاك ظن قوي لا اعتقاد جازم ، وإن لم يجوز نقيضه بوجه من الوجوه امتنع وقوع التفاوت في العلوم»[1].

وبعد: فتعقيبي على هذه المسألة ينحصر في شيئين:

أحدهما : ظاهر هذا الاستدراك على غير الطبري ، لكنه في الحقيقـة استدراك على الإمام الطبري ؛ لأنه فسـر ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ ليسـكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه ، ثم ذكر أن هذا التأويل الذي يراه هو تأويل الذين وجهوا معنى ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ ﴾ إلى أنه ليزداد يقيناً ، أو إيماناً ، وجاء القاضي فاعترض على ذلك.

الثاني : ما ذهب إليه القاضي من أن اليقين لا يزيد قول مرغوب عنه

---

(١) التفسير الكبير (٧/٣٥-٣٦).



دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين على خلافه.

١- أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[٢] دلت هذه الآيات الثلاث أن اليقين درجات بعضها أزيد من بعض فعلم اليقين مثل ما أخبرنا الله به في كتابه من نعيم الجنة هذا نعلمه ونوقن به ، فإذا رأيناه وعايناه انتقلنا إلى درجة أعلى في اليقين هي عين اليقين ، فإذا دخلناه وباشرناه انتقلنا إلى أعلى الدرجات في اليقين ، وهي حق اليقين .

«سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى: ﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[٣] و﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٤] و﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٥] ما معنى كل مقام منها ، وأي مقام أعلى؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة : منها : أن يقال: ﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر ، و ﴿ عَيْنَ

---

(١) سورة التكاثر ، الآية : ٥، ٦، ٧.

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥.

(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥.

(٤) سورة التكاثر ، الآية : ٧.

(٥) سورة التكاثر ، الآية : ٥.

ﵟٱلۡيَقِينِﵞ ما شهده وعاينه بالبصر ، و ﵟحَقُّ ٱلۡيَقِينِﵞ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار . فالأولى مثل من أخبر أن هناك عسلاً ، وصـدق المخبر، أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده . والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه ، وهذا أعلى، كما قـال ﷺ : «لـيس المخـبر كالمعائن»[١]. والثالث: مثل من ذاق العسل ووجد طعمـه وحلاوتـه، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله...»[٢].

٢- وأما السنة فروى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال : «اللهم اعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر»[٣] وهذا لا يفهم إلا على أنه أراد زيادة الإيمان واليقين ؛ لأنه مؤمن موقن ، بل إيمانه ﷺ أعلى إيمان ، ويقينه أكمل يقين.

٣- وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه : «اللهم زدنـا إيماناً ويقيناً وفقهاً»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في المسألة التي قبل هذه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٥-٦٤٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١١١٩).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبـير (٩/١٠٥) وقال الهيثمي في مجمـع الزوائـد (١٠/١٨٥): إسناده جيد. وأورده ابن حجر في فتح الباري (١/٤٨) ونسبه للإمام أحمد في الإيمان وقال : وإسناده صحيح.



٤- وصح عن سعيد بن جبير - رحمه الله - أنه فسر قوله تعالى : ﴿ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ ليزداد يقيني[١].

وكذلك ثبت عن قتادة مثل قول سعيد بن جبير [٢]. إذا تقرر هذا فكل شيء يزيد فهو ينقص[٣].

وبهذا يتبين أن قول القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - اليقين شيء واحد لا يزيد ولا ينقص قول لا يسلم له ، وأن الصواب في القول الذي اعترض عليه . والله أعلم.

٢٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾[٤] ... فإن قال قائل : وهل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٩٢/٥) وقال الحافظ في فتح الباري (٤٧/١) : رواه ابن جرير بسنده الصحيح إلى سعيد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١٠٧/١) قال : قال معمر وقال قتادة : لأزداد يقيناً . وكذلك أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٩٣/٥) من هذا الطريق. وكذلك جاء هذا التفسير عن الضحاك ، وعن الربيع ، لكن الطريق إلى الضحاك فيها جويبر . انظر جامع البيان (٤٩٢/٥، ٤٩٣).

(٣) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٦٩) فقد قالوا ذلك في الإيمان ، واليقين مثله في مسألة الزيادة والنقصان.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦١ .



رأيت سنبلة فيها مئة حبة أو بلغتك ، فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله ماله؟ قيل: إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك ، وإلا فجائز أن يكون معناه : كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، إن جعل الله ذلك فيها . ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبلة مئة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مئة حبة ، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المئة الحبة ، مضافاً إليها ؛ لأنه كان عنها. وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ، ذكر من قال ذلك»[1] ثم ساق بسنده عن الضحاك[2] أنه قال : «كل سنبلة أنبتت مئة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ »[3].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري في أنه جعل قول الضحاك نحو ما قال هو ، وذلك غير لازم من لفظ الضحاك . فقال: «وقال الطبري – في هذه الآية – إن قوله: ﴿ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ ﴾ ، معناه : إن وجد ذلك ، وإلا فعلى أن نفرضه. ثم

---

(١) جامع البيان (٥/٥١٤، ٥١٥).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، صاحب التفسير ، من أوعية العلم (ت : ١٠٢هـ) . انظر السير (٤/٥٩٨).

(٣) انظر جامع البيان (٥/٥١٥) فقد أخرجه من طريق جويبر . وجويبر هذا قال فيه الحافظ: راوي التفسير ضعيف جداً. انظر تقريب التهذيب رقم (٩٨٧).



أدخل عن الضحاك أنه قال: ﴿ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ ، معناه كل سنبلة أنبتت مئة حبة ، فجعل الطبري قول الضحاك نحو ما قال هو وذلك غير لازم من لفظ الضحاك»[١].

هذا الاستدراك الذي أورده ابن عطية على الإمام الطبري قد نقله القرطبي في تفسيره نقل المسلّم به[٢].

والحق أنك إذا تأملت كلام الإمام الطبري كاملاً غير مبتور ظهر لك وبان أن استدراك القاضي ابن عطية عليه غير مسلّم ؛ وذلك أن الإمام الطبري ذكر احتمالين : الأول : قوله: إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك، وإلا فجائز أن يكون معناه : كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، إن جعل ذلك فيها.

الاحتمال الثاني ذكره بقوله : ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبلة مئة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مئة حبة ، فيكون ما حدث عن البذر كالذي كان منها من المئة الحبة مضافاً إليها لأنه كان عنها.

ثم قال بعد ذلك : وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل، ثم أورد قول الضحاك أنه قال: «كل سنبلة أنبتت مئة حبة» فأعاد كلام الضحاك إلى الوجه الأخير ، وكلام الضحاك وما جاء في الوجه

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣١٠).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٠٤).



الأخير متطابقان تماماً لا فرق بينهما ، فجاء ابن عطية فنقل عن الطبري الوجه الأول ثم ذكر كلام الضحاك، ونسب إلى الإمام الطبري أنه أورده كذلك على أن قول الضحاك نحو ما ذكر في الوجه الأول، والطبري ما قصد هذا قطعاً ، يدلك على هذا أنه ذكر احتمالين ، الثاني منهما موافق لقول الضحاك ثم قال: «وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل» فماذا يُفهم من قوله: «على هذا الوجه» لا شك أن اسم الإشارة يرجع إلى أقرب مذكور ، حتى ولو لم يكن بينهما موافقة ، فكيف وهما متفقان تماماً.

ويؤكد اتفاقهما أن الإمام البغوي قد ذكر في تفسيره الاحتمال الثاني وحمل عليه قول الضحاك، فقال: «وقيل: معناه إنها إن بذرت - يعني السنبلة - أنبتت مائة حبة - فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً[1] إليها ، وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبلة أنبتت مئة حبة»[2].

٢٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[3] قال أبو جعفـر: ... والربوة من الأرض

(١) في النسخة المعتمد عليها «مضاعفاً» والتصويب من نسخة أخرى.

(٢) معالم التنـزيل (١/٢٤٩).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٥ .



ما نشز منها فارتفع عن السيل ، وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه ؛ لأن ما ارتفع عن المسايل[1] والأودية أغلظ، وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمراً وغرساً وزرعاً ، مما رق منها ، ولذلك قال أعشى بني ثعلبة[2] في وصف روضة:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن ؛ لأن الحزون غروسها ونباتها أحسن، وأقوى من غروس الأودية والتلاع[3] وزروعها»[4].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إنشاد البيت على أن الربوة من الأرض هي رياض الحزن ؛ لأن رياض الحزن إنما هي الرياض المنسوبة إلى نجد فقال: «والربوة ما ارتفع من الأرض ارتفاعاً يسيراً معه في الأغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه ، وما كان كذلك فنباته أحسن ، ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم

---

(١) المسايل : جمع لمسيل الماء . انظر تهذيب اللغة (٦٧/١٣) «سول».

(٢) ميمون بن قيس . والبيت في ديوانه ص (١٤٥) ، وفي لسان العرب (١٥٩/٣) «حزن» وفي الدر المصون (٣٦/٩).

(٣) التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، والجمع التلاع. لسان العرب (٤٣/٢) «تلع».

(٤) جامع البيان (٧١/٣) دار الكتب العلمية ، وطبعة دار المعارف التي حققها الشيخ أحمد وأخوه (٥٣٥/٥-٥٣٦) وطبعة بولاق (٤٨/٣).

الطبري ، بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى نجد ؛ لأنها خير من رياض تهامة ، ونبات نجد أعطر ، ونسيمه أبرد وأرق ، ونجد يقال لها الحزن»[١].

أهل التفسير يذكرون نحو ما ذكره الطبري في معنى الربوة[٢] ، ومنهم من ينشد هذا البيت عند ذكره لمعنى الربوة[٣].

وقد نقل اعتراض ابن عطية على الطبري القرطبي ، وأبو حيان ، والشوكاني ، ولم يعقبوا على ذلك بشيء[٤].

والذي يظهر لي من سياق كلام الإمام الطبري أنه لم يرد من إنشاده هذا البيت أن يقول: الربوة هي رياض الحزن ، ولكنه قصد أن يقول : ما قلته من أن جنان ما غلظ من الأرض وارتفع يكون أحسن وأزكى ثمراً وغرساً وزرعاً مما رق منها يدل عليه قول الشاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

وهذا استشهاد صحيح للمشابهة الموجودة بين الربوة وبين ما ذكره الشاعر في بيته.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣١٧).

(٢) انظر غريب القرآن وتفسيره ص(٩٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٣٤٨) ، ومعالم التنـــزيل (١/٢٥٢).

(٣) انظر تفسير الخازن (١/٢٨٦).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١٥) ، والبحر المحيط (٢/٣٢٤) ، وفتح القدير (١/٢٨٥-٢٨٦).



وهذا الترجيح مبني على فهمي لنص الطبري من خلال النسخ التي بين يدي لتفسيره[1] لكن بالرجوع إلى الكتب التي تنقل كلام الطبري واعتراض ابن عطية عليه وجدت الشوكاني يقول - بعد أن ذكر معاني الربوة - : «قال الطبري : وهي رياض الحزن التي تستكثر العرب من ذكرها ، واعترضه ابن عطية فقال: إن رياض الحزن منسوبة إلى نجد ؛ لأنها خير من رياض تهامة ، ونبات نجد أعطر ، ونسيمه أبرد وأرق ، ونجد يقال لها حزن ، وليست هذه المذكورة هنا من ذاك»[2].

أقول : إن ثبت أن الطبري قال هذا ، فالراجح ما قاله ابن عطية ؛ لأن «الربوة» - وإن كان التشابه قائماً بينها وبين رياض الحزن - لفظ عام ، لم يقصد به مكان بعينه ، ورياض الحزن مكان بعينه، فكون الإمام الطبري يحمل «الربوة» على أنها رياض الحزن فهذا يعني عنده أن كل مكان مرتفع غليظ يسمى رياض الحزن ، والأمر ليس كذلك إذ رياض الحزن هي ما ذكره ابن عطية من أنها الرياض المنسوبة إلى نجد[3].

---

(١) وهي ثلاث: التي حققها الشيخ أحمد شاكر وأخوه ، والتي طبعت في بولاق ، والتي طبعت في دار الكتب العلمية.

(٢) فتح القدير (٢٨٥/١-٢٨٦).

(٣) انظر تهذيب اللغة (٣٦٥/٤) «حزن» ومعجم البلدان (١٠٠/٣) (٢٩٣/٢) ، وترتيب القاموس (٦٣٦/١) «حزن»، وخزانة الأدب (٢٩/١١-٣٠) ، ولسان العرب (١٥٩/٣) «حزن» ، ومعجم قبائل العرب (٢١/١).

لكن أرجع فأقول : الظاهر أن الشوكاني أخذ ما نسبه إلى الطبري من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتصرف في كلام القرطبي[١] ، ولم يأخذ ذلك النص الذي ذكره عن تفسير الطبري ، فيترجح أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري.

٣٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾[٢] ... وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رئاء الناس في هذه الآية ، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾[٣] قال أبــو جعفــر: وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآيــة ... وأحســنهم إبانــة لمعناها ، وأقربهم إلى الصــواب قولاً فيها

(١) ونصه : «قال ابن عطية : ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم الطبري ، بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى نجد». الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٦.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤.



السدي»[1] ثم ساق بسنده إلى السدي - من طريق أسباط[2] - قال: «هذا مثل آخر لنفقة الرياء ، إنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته، وجدها قد أحرقها الرياء ، فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته ، جاءت ريح سموم فأحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئاً فكذلك المنفق رياء»[3].

وأخرج بسنده أيضاً إلى ابن زيد من طريق ابن وهب «قال ، قال ابن زيد، وقرأ قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[4] ثم ضرب ذلك مثلاً فقال: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ ﴾ قال: جرت أنهارها وثمارها وله

---

(١) جامع البيان (٥/٥٤١، ٥٤٣).

(٢) أسباط بن نصر الهمداني . قال الحافظ : صدوق كثير الخطأ يغرب . انظر التقريب رقم (٣٢١).

(٣) جامع البيان (٥/٥٤٤) وهذا الأثر رواه ابن جرير عن شيخه موسى بن هارون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: وهو بهذا السند ضعيف ؛ لضعف أسباط.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤.

ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، أيود أحدكم هذا، كما يتجمل أحدكم إذ يخرج من صدقته ونفقته ، حتى إذا كان له عندي جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده وولد ولده ، أصابها ريح إعصار فحرقها»[١].

«قال أبو جعفر: وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه[٢] ؛ لأن الله جل ثناؤه تقدم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المن والأذى في صدقاتهم ، ثم ضرب مثلاً لمن منَّ وآذى من تصدق عليه بصدقة، فمثله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رئاء الناس ، وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها ، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل ما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح لقول السدي فقاال – بعد أن أورد الآية – : «حكى الطبري عن السدي أن هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء، ورجح

---

(١) جامع البيان (٥/٥٤٩، ٥٥٠) . وهذا الأثر أخرجه الطبري من طريق شيخه يونس ابن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد . والأثر إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) يعني الذي اختاره أنها مثل آخر للمرائي وهو قول السدي.

(٣) جامع البيان (٥/٥٥٠).



هو هذا القول ، وحكى عن ابن زيد أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[1] الآية ، قال : ثم ضرب في ذلك مثلاً فقال: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ الآية. قال القاضي أبو محمد : وهذا أبين من الذي رجح الطبري وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا مقتضى سياق الكلام ، وأما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أو كافر عمل وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ، فلما جاء إلى وقت الحاجة لم يجد شيئاً ، وقد سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أصحاب النبي ﷺ عن هذه الآية فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال - وهو غاضب - : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال له ابن عباس هذا مثل ضربه الله كأنه قال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير ، فإذا فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء ، فرضي ذلك عمر[2] . وروى ابن أبي مليكة[3] أن عمر تلا هذه الآية ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ وقال هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل عمل

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤.

(٢) يأتي - إن شاء الله تعالى - تخريج هذا الأثر قريباً.

(٣) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، ثقة فقيه ، (ت: ١١٧هـ). انظر تقريب التهذيب رقم (٣٤٥٤).

السوء[١]. قال القاضي أبو محمد : فهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل تحت ألفاظها. وقال بنحو هذا مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم[٢] »[٣].

محل الخلاف بين الإمامين أن الطبري يرى أن مضمون هذه الآية هو مثل آخر لنفقة المرائي ، وابن عطية يرى أن الآية تتضمن مثلاً آخر مستقلاً عن المثل الذي ضرب لنفقة المرائي.

وقد أورد أبو حيان القولين من غير ترجيح أحدهما على الآخر ، أو ذكر لاستدراك ابن عطية[٤].

والقرطبي أورد القولين مع تعقيب ابن عطية ، من غير ترجيح أو تعقيب[٥].

وهناك من المفسرين من يفسر الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري[٦].

وهناك من يفسرها بنحو ما ذهب إليه ابن عطية [٧].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٤٥) ، وهو مرسل لأن ابن أبي مليكة لم يدرك عمر بن الخطاب . وسيأتي نحوه متصلاً في صحيح البخاري.

(٢) أخرج ذلك عنهم الطبري في جامع البيان (٥/٥٤٦-٥٤٩) . وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٠٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢/٣١٩-٣٢٠).

(٤) انظر البحر المحيط (٢/٣٢٦).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١٨).

(٦) كما فعل الرازي في التفسير الكبير (٧/٥١).

(٧) كما فعل ابن كثير في تفسيره (١/٣٢٠).



والآية محتملة للوجهين ، وكل قول قد قال به بعض السلف ، غير أن ما وصفه أبو محمد بالأبين هو كذلك إن شاء الله تعالى لأسباب منها:

١- أنه موافق لما جاء في معناها عن ابن عباس وعمر بمحضر من الصحابة ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب قال يوماً لأصحاب النبي ﷺ : «فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل. قال عمر : أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[1].

فمضمون هذه الرواية أن الآية ضربت مثلاً في غير المرائي المتقدم ذكره. وقد أشار إلى هذا أبو محمد.

٢- هذا القول أشار إلى قوته ابن كثير ، فقال - بعد أن أورد الأثر الذي في صحيح البخاري - : «وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية»[2].

---

(١) صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٢٠١، ٢٠٢) ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ... ح(٤٥٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٠).



ورجحه الألوسي فقال – بعد أن أورد قول ابن عباس وأشار إلى قول السدي –: «وهذا أحسن من أن يكون تمثيلاً لمن يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء ، وفصل عنه لاتصاله بما ذكر بعده أيضاً ؛ لأن ذلك لا عمل له»[1].

٣- سـياق الآيات يقوي هذا القول ، بيان ذلك : أن الله سـبحانه وتعالى ضرب مثلاً لنفقة المرائي – الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر – بالصفوان الذي عليه التراب فيصيبه وابل من المطر ، فلا يبقي عليه شيئاً. ثم ضرب مثلاً لنفقة المؤمن الموقن بما عند الله بالبستان في الربوة العالية يؤتي أكله ضعفين، ثم بعد ذلك ضرب الله تعالى ما ذكره في هذه الآية لحال من يعمل بالطاعات ، ثم يعقب ذلك بالمعاصي ، فتأتي على تلك الحسنات فتتلفها . فهذه ثلاثة أمثال ، أولها ضُرب لكافر ، وثانيها لمؤمن، وثالثها لمن يعمل الطالحات بعد الصالحات.

٤- حمل الآية على تأسيس معنى جديد ، أولى من حملها على تأكيد معنى قد ذكر في غيرها.

٣١- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[2] قال أبو جعفر : يقال : قد

(١) روح المعاني (٣/٣٨).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ .



ألحف السائل في مسألته ، إذا ألح ، فهو يُلحف فيها إلحافاً.

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة إلحافاً أو غير إلحاف ؛ وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم . فلو كانت المسألة من شأنهم ، لم تكن صفتهم التعفف ، ولم يكن بالنبي ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم»[١].

ثم ساق بسنده «عن أبي سعيد الخدري[٢] قال: أعوزنا مرة فقيل لي: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته فانطلقت إليه معنقاً[٣] ، فكان أول ما واجهني به : «من استعفَّ أعفه الله ، ومن استغنى أغناه الله، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئاً نجده» قال فرجعت إلى نفسي فقلت: ألا استعف فيعفني الله؟ فرجعت ، فما سألت رسول الله ﷺ شيئاً بعد ذلك من أمر حاجة ، حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصم الله»[٤].

---

(١) جامع البيان (٥/٥٩٧، ٥٩٨).

(٢) سعد بن مالك بن سنان شهد بيعة الرضوان ، وغيرها من المشاهد (ت : ٧٤هـ) انظر السير (٣/١٦٨).

(٣) معنى «معنقاً» مسرعاً . انظر النهاية في غريب الحديث (٣/٣١٠) «عنق».

(٤) جامع البيان (٥/٥٩٨) وهذا الحديث قال عنه الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح. وأخرجه النسائي في سننه (٥/٩٨) باب الإلحاف في المسألة ،

=

قال الإمام الطبري «وفي الخبر ... الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسألة من الشخص الواحد ، وأن من كان موصوفاً بالتعفف فغير موصوف بالمسألة إلحافاً أو غير إلحاف.

فإن قال قـــائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فما وجه قوله : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ وهم لا يسألون الناس إلحافاً ، أو غير إلحاف . قيل له : وجه ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف، وعرف عباده أهم ليسوا أهل مسألة بحال بقوله: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ وأهم إنما يعرفون بالسيما ، زاد عباده إبانة لأمرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال عنهم.

وقد كان بعض القائلين يقول : ذلك نظير قول القائل : (قلما رأيت مثل فلان) ولعله لم ير مثله أحداً ولا نظيراً»[1].

=

ح(٢٥٩٥) ، من طريق عمارة بن غزية عن أبي سعيد بنحوه ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٩/٣) عن أبي سعيد من طريق عمارة بن غزية أيضاً . والحديث في صحيح البخاري (مع الفتح) (٣٣٥/٣) كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ، ح(١٤٦٩) لكن الذي فيه عن أبي سعيد أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ.

(١) جامع البيان (٥٩٨/٥، ٥٩٩).



واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري قوله : إنهم لا يسألون البتة فقال: «وذهب الطبري والزجاج وغيرهما إلى أن المعنى لا يسألون البتة . قال القاضي أبو محمد – رحمه الله – والآية تحتمل المعنيين نفي السؤال جملة ، ونفي الإلحاف فقط ، أما الأولى فعلى أن يكون التعفف صفة ثابتة لهم ، ويحسبهم الجاهل بفقرهم لسبب تعففهم أغنياء من المال ، وتكون من لابتداء الغاية ويكون قوله: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ لم يرد به أنهم يسألون غير إلحاف بل المراد به التنبيه على سوء حالة من يسأل إلحافاً من الناس ، كما تقول : هذا رجل خير لا يقتل المسلمين . فقولك «خير» قد تضمن أنه لا يقتل ولا يعصي بأقل من ذلك ، ثم نبهت بقولك «لا يقتل المسلمين» على قبح فعل غيره ممن يقتل. وكثيراً ما يقال مثل هذا إذا كان المنبه عليه موجوداً في القضية مشاراً إليه في نفس المتكلم والسامع ، وسؤال الإلحاف لم تخل منه مدة ، وهو مما يكره ، فلذلك نبه عليه.

وأما المعنى الثاني : فعلى أن يكون التعفف داخلاً في المحسبة أي أنهم لا يظهر لهم سؤال[1] ، بل هو قليل. وبإجمال فالجاهل به مع علمه بفقرهم يحسبهم أغنياء عفة ، فمن لبيان الجنس على هذا التأويل، ثم نفى عنهم سؤال الإلحاف وبقي غير الإلحاف مقرراً لهم حسبما يقتضيه دليل

---

(١) في النسخة المغربية «سؤالاً» ، والصواب من القطرية.



الخطاب. وهذا المعنى في نفي الإلحاف فقط هو الذي تقتضيه ألفاظ السدي»[١].

تبين من عرض كلام الطبري وابن عطية رحمهما الله تعالى أن الأول: يفهم الآية على أنه لم يكن من هؤلاء القوم سؤال ولا إلحاف.

والثاني: يفهم الآية على أنها تحتمل الأمرين : الأول ما قاله الإمام الطبري ، والثاني: أن المنفي عنهم هو سؤال الإلحاف فيفهم منه إثبات سؤال لا إلحاف فيه .

والقاضي ابن عطية إذ يورد هذا عقب النص على الطبري وقوله ، لسان حاله يقول: قول الطبري ومن معه ليس بمرضي عندي ، وإنما الصواب فيما قلت.

وهذه المسألة الخلاف فيها ثابت في دواوين التفسير والأقوال فيها تفصيلاً ثلاثة:

القول الأول : ذهب جمهور المفسرين - فيما اطلعت عليه ، منهم الفراء والزجاج وابن الأنباري - إلى نفي السؤال أصلاً فهم لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاف[٢]. وأدلــة هؤلاء تقــدم أن الإمام الطبري

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٤٠-٣٤١).

(٢) انظر الوسيط (١/٣٩٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٣٤٣) ، وفتح القدير (١ / ٢٩٣) . وهذا الذي نقلــوه عن الجمـــهور هو الظاهر من خلال كتب التفسير والمعاني . انظر معاني القرآن للفراء (١/١٨١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٣٥٧)، وتفسير القرآن لأبي الليث (١/٢٣٣) ، والبيان في غريب إعراب =



حكى طائفة منها وهي تتلخص فيما يلي:

١- أن الله سبحانه وتعالى قد وصفهم وأثنى عليهم بأهم أهل تعفف فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ ووجه الدلالة من هذه الآية من ناحيتين :

الأولى : أنه قال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ ولو كانوا يسألون حتى من غير إلحاف لبان أمرهم للجاهل وغيره[1].

الثانية : أنه قال : ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ والتعفف معناه في سياق هذه الآية عدم المسألة.

٢- أن الله تعالى قال: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ ولو كانوا يسألون لما كنا بحاجة إلى أن نتبين معرفتهم بالعلامة[2].

٣- ما جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ من أن التعفف معنى يضاد السؤال فإذا وصف به الشخص فغير جائز أن يتصف بضده ، ومن هذه الأخبار ما جاء عن أبي سعيد الخدري أنه انطلق يريد سؤال رسول الله

=

القرآن (١/١٧٩)، والنكت والعيون (١/٣٤٧) ، وزاد المسير (١/٣٢٩) ، ووضح البرهان (١/٢٢٨)، والتفسير الكبير (٧/٧١) ، والدر المصون (٢/٦٢٥)، وروح المعاني (٣/٤٧) ، والتحرير والتنوير (٣/٧٦).

(١) انظر تفسير الخازن (١/٢٩٥).

(٢) انظر معالم التنـــزيل (١/٢٥٩).



ﷺ فسمعه يقول: «من استعف أعفه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئاً نجده»[(١)] فجعل ﷺ الاستعفاف شيئاً يقابله السؤال.

٤- من أساليب العرب الذين نزل القرآن بلغتهم أنهم يذكرون قيداً في المنفي لا يريدون من ذكر ذلك القيد ثبوت ضده ، كقولهم: «قلما رأيت مثل فلان» وهو لم ير مثله لا قليلاً ولا كثيراً [(٢)].

وقد جاء في أشعارهم كثير من هذا ، مثل قول أعشى باهلة[(٣)]:

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

معناه: ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها.

وقول الآخر [(٤)]:

---

(١) تقدم تخريجه قريباً وهو من أدلة الطبري.

(٢) نحوه في معاني القرآن للفراء (١/١٨١). وقد قال المناقش الدكتور عبد الله بن عمر: لا أرى أن مثل هذا يحصل في القرآن فيخبر بما لم يكن .

(٣) عامر بن الحارث بن رياح الباهلي شاعر جاهلي. انظر خزانة الأدب (١/١٨٨) ، والأعلام (٣/٢٥٠) . والبيت لم أجده في ديوانه ، وهو في لسان العرب (٧/٣٥٨) باختلاف ، والدر المصون (٢/٦٢٦) ، والمفردات ص(٢٨٣) . والأين: الإعياء. والوصب : الوجع . والشراسيف : هي الأضلاع . والصفر قيل: داء، وقيل حية. انظر الخزانة (١/١٩٧) ، ولسان العرب (٧/٣٥٨) «صفر» .

(٤) عمرو بن أحمر كان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام ، توفي على عهد عثمان . انظر الخزانة (٦/٢٥٧). والبيت في الخصائص (٣/١٦٥) ، وفي خزانة الأدب (١٠/١٩٢) «لا تفزع الأرنب أهوالها» ، وفي الدر المصون (٢/٦٢٥) والرواية هنا =



لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

أي ليس فيها أرنب فيفزع لهولها ، ولا ضب فينجحر ، وليس المعنى أنه ينفي الفزع عن الأرنب والانجحار عن الضب[1].

هذه أدلة الجمهور ، وأكثرها قد أشار إليه الإمام الطبري .

القول الثاني : ذهب بعض المفسرين إلى نفي السؤال المقيد بالإلحاف وإثبات سؤال لا إلحاف فيه[2]. وأدلة هؤلاء:

١- ما جاء عن بعض التابعين أنه قال - عند تفسير هذه الآية - : إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء ، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء[3].

٢- ما تقرر في أصول الفقه أن دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى قسمين : دلالة المنطوق ، وهي دلالة اللفظ على المعنى في محل النطق.

=

منقولة منه.

(١) انظر الدر المصون (٢/٦٢٥).

(٢) انظر معالم التنـزيل (١/٢٥٩) ، والكشاف (١/٣٩٨) ، والتسهيل لعلوم التنـزيل (١/١٦٧).

(٣) انظر معالم التنـزيل (١/٢٥٩) ، وتفسير الخازن (١/٢٩٥) ونسبه البغوي إلى عطاء، و لم اطلع عليه بسند إليه وجاء عن ابن عباس ما يخالفه فقد ذكر عنه أنه قال: لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح. انظر تفسير القرآن لأبي الليث (١/٢٣٣).

الثاني: دلالة المفهوم ، وهي دلالة اللفظ على المعنى لا في محل النطق، بل في محل السكوت ، وهي أقسام ومنها مفهوم الصفة [١] . وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ من هذا.

القول الثالث : ذهب القاضي ابن عطية وبعض العلماء[٢] ، إلى أن الآية تحتمل القولين السابقين ، و لم يرجحوا قولاً على قول. وهؤلاء يصلح لهم أدلة القولين السابقين.

وبعد : فلا شك أن المسألة محتملة وقابلة لوقوع هذا الخلاف فيها ، والفصل في النــزاع والخلاف هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ اللذان أمرنا الله بالرجوع إليهما في قوله: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [٣] والقرآن والسنة يشيران إلى أن القول الأول هو الأولى في معنى هذه الآية الكريمة.

أما القرآن فبيان ذلك أن هذه المســألة منشــأ الخلاف فيها الأخذ بمفهوم المخالفة ، ومفهوم المخالفة أقسام : منها مفهوم الصفة وهو عمدة

---

(١) انظر أصول الفقه لمحمد أبي النور (٢/٢٨٥، ٢٨٨).

(٢) انظر فتح الباري (٨/٢٠٣) ، والجواهر الحسان (١/٢٦٨).

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩.



الذين يثبتون لهؤلاء المتعففين سـؤالاً لا إلحاف فيه ، أو يقولون : يحتمل أنهم يسألون سؤالاً لا إلحاف فيه.

ومفهوم الوصف ، متفق على اعتباره - عند القائلين به - إن علق الحكم بصفة من صفات الذات مثل قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ فنفي سؤال الإلحاف أمر متفق عليه[1]. واختلفوا في أن اللفظ هل يدل كذلك على نفي الحكم عن الذات عند انتفاء هذا الوصف . على قولين معروفين في أصول الفقه[2].

منهم من يثبت الحكم ، ومنهم من ينفيه والقرآن يشهد لقول النافين في آيات كثيرة ، منها:

قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[3] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾[4] ، وقولــه تعــالى : ﴿ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى

(١) انظر أصول الفقه لمحمد أبي النور (٢/٢٩٦).

(٢) قال ابن قدامة : قال به - يعني بإثبات مفهوم الصفة - : جل أصحاب الشافعي . واختار التميمي أنه ليس بحجة وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين . انظر روضة الناظر (٢/٢٢٣).

(٣) سورة غافر ، الآية : ١٨. ووجه الاستدلال أن الظالمين ليس لهم حميم ولا شفيع ، مطاع أو غير مطاع .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧. ووجه الاستدلال أن قوله ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ ليس =



حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾[١] ، وقــولــه : ﴿ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾[٢] ، وقولــه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[٣] .

فإن قالوا : هذه الآيات ليست محل نزاع لأننا نقول بمفهوم الوصف فيما لم يظهر لذكر الوصف فائدة أخرى[٤]. قلنا : قد ظهرت فائدة أخرى في الآية المتنازع فيها فلم يبق لكم فيها حجة[٥].

وأما السنة - فقد تقدم الاستدلال ببعض الأحاديث لمن يرون هذا القول ، وأقوى منها دلالة وثبوتاً، ما أخرجه البخاري ومسلم[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ليس المسكين بالذي ترده

=

له مفهوم .

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٣. ووجه الاستدلال أن قوله ﴿ ٱلَّتِى فِى حُجُورِكُم ﴾ لا مفهوم له .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٥١. ووجه الاستدلال أن قوله ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ لا مفهوم له .

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣١. ووجه الاستدلال أن قوله ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ لا مفهوم له.

(٤) انظر الإبهاج شرح المنهاج (٣٧٥/١-٣٧٦).

(٥) سيأتي بيان سبب ذكر القيد.

(٦) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، الإمام الحجة الحافظ صاحب الصحيح (ت: ٢٦١هـ) . انظر السير (٥٥٧/١٢).



التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين المتعفف ، اقرأوا إن شئتم ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ ﴾ »[١].

ووجه الدلالة من الحديث أن النبي ﷺ جعل المساكين قسمين : قسم ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، وهذا ظاهر للناس معلوم ، وإنما ظهر لأنه يسأل فيعطى لمسألته . القسم الثاني : هو المتعفف وهو الذي يكف نفسه عن السؤال ، ويحملها على الصبر والنزاهة عن ذلك[٢]. وهذا قد جعله الرسول ﷺ في مقابل القسم الأول فعلمنا أن هذا القسم لا يسأل بحال . ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ ﴾ إشارة منه ﷺ أن هذا القسم هو المقصود في الآية الكريمة فزال عن المتأمل

إشكال هذا القيد ﴿ إِلْحَافًاۗ ﴾ وإنه إنما ذكر لنكتة[٣] بديعة سيأتي بيانها إن

---

(١) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه مع الفتح (٢٠٢/٨) ، كتاب التفسير باب ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ ﴾ ح(٤٥٣٩) ، ومسلم في صحيحه (٧١٩/٢) ، كتاب الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ح (١٠٣٩).

(٢) قال ابن الأثير – في قوله ﷺ «ومن يستعفف يعفه الله» -: الاستعفاف طلب العفاف والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس ... وقيل : الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء . انظر النهاية (٢٦٤/٣) «عفف».

(٣) النكتة : المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر. انظر المعجم الوسيط =

شاء الله تعالى.

فإن قيل : إن كنتم تقولون هذا القيد لا يفهم منه إثبات السؤال من غير إلحاف فما سبب ذكره في هذه الآية؟.

فالجواب على هذا من وجوه:

أحدها : هذا القيد جيء به للتنبيه على سوء هذه الحالة والتنفير منها، وقد أشار إليه ابن عطية وغيره[1].

الثاني : بيّن تعالى شدة حاجة هؤلاء الفقراء ، ومن اشتدت حاجته فإنه لا يمكنه ترك السؤال إلا بإلحاح شديد منه على نفسه ، فكانوا لا يسألون الناس ، وإنما أمكنهم ترك السؤال عندما ألحوا على أنفسهم ومنعوها بالتكليف الشديد[2].

الثالث : أن من ســـأل فلا بد وأن يلح في بعض الأوقات ؛ لأنه إذا سأل فقد أراق ماء وجهه ويحمل الذلة في إظهار ذلك السؤال فيقول : لما تحملت هذه المشاق فلا أعود بغير مقصود فهذا الخاطر يحمله على

=

(٩٨٨/٢) «نكت» . قلت: وقد ألف في نكت القرآن علماء من أحسن ما رأيت لهم «نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» للإمام الحافظ: محمد بن علي القصاب المتوفى في حدود ستين وثلاثمئة رحمه الله تعالى ، والكتاب حقق من قبل ثلاثة طلاب أنا أحدهم، وقد خرج مطبوعاً .

(١) انظر المحرر الوجيز (٣٤٠/٢) ، والتفسير الكبير (٧٢/٧).

(٢) انظر التفسير الكبير (٧٢/٧).



الإلحاف ... فثبت أن كل من سأل فلابد وأن يقدم على الإلحاف في بعض الأوقات فكان نفي الإلحاف عنهم مطلقاً موجباً لنفي السؤال عنهم مطلقاً[1].

الرابع : إنما ذكر الله هذا الوصف ونفاه ، لقصد نفي المترتبات على المنفي الأول ، لأنه نفى السؤال على سبيل العموم فانتفت مرتباته فكأنه قال لا سؤال فلا إلحاف [2].

وبهذا يتبين ما أشرت إليه سابقاً أنه الأولى ، وهو قول الإمام الطبري. والله أعلم.

٣٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[3] قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ فإن لم تذروا ما بقي من الربا.

واختلف القرأة في قراءة قوله: ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ فقرأته عامة قرأة أهل المدينة ﴿ فَأْذَنُواْ ﴾ بقصر الألف من ﴿ فَأْذَنُواْ ﴾ وفتح ذالها ، بمعنى كونوا على علم وإذن . وقرأه آخرون ، وهي قراءة

(١) انظر المصدر السابق (٧/٧٢).

(٢) انظر الدر المصون (٢/٦٢٤) بتصرف.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٩ .



عامة قرأة الكوفيين : ﴿فآذنوا﴾ بمد الألف من قوله: ﴿فآذنوا﴾ وكسر ذالها بمعنى : فآذنوا غيركم : أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم . قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: ﴿ فأذنوا﴾ بقصر ألفها وفتح ذالها ، بمعنى : اعلموا ذلك واستيقنوه ، وكونوا على إذن من الله عز وجل لكم بذلك . وإنما اخترنا ذلك ؛ لأن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ أن ينبذ إلى من أقام على شركه الذي لا يقر على المقام عليه ، وأن يقتل المرتد عن الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام ، آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يؤذنوه. فإذ كان المأمور بذلك لا يخلوا من أحد أمرين : إما أن يكون كان مشركاً مقيماً على شركه الذي لا يقر عليه ، أو يكون كان مسلماً فارتد وأذن بحرب. فأي الأمرين كان ، فإنما نبذ إليه بحرب ، لا أنه أمر بالإيذان بها إن عزم على ذلك ؛ لأن الأمر إن كان إليه، فأقام على أكل الربا مستحلاً له ولم يؤذن المسلمون بالحرب، لم يلزمهم حربه ، وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين ، فقدم علم أنه المأذون بالحرب ، لا الآذن بها . وعلى هذا التأويل ، تأوله أهل التأويل»[1] . ثم ساق عدداً من الآثار فيها ما يدل على أن الله تعالى هو الذي أوعدهم بالحرب، لا أنهم أمروا بأن يعلموا بها [2].

---

(١) جامع البيان (٦/٢٤، ٢٥).

(٢) انظر جامع البيان (٦/٢٥، ٢٦).



واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على من رجح قراءة المد أو القصر فقال – بعد أن ذكر القراءتين ، وترجيح الفارسي لقراءة المد – : «قال الطبري : قراءة القصر أرجح ؛ لأنها تختص بهم، وإنما أمروا على قراءة المد بإعلام غيرهم . قال القاضي أبو محمد عبد الحق – رضي الله عنه – : والقراءتان عندي سواء ؛ لأن المخاطب في الآية محصور بأنه كل من لم يذر ما بقي من الربا ، فإن قيل لهم: فأذنوا فقد عمهم الأمر ، وإن قيل لهم: فآذنوا بالمد فالمعنى أنفسكم وبعضكم بعضاً ، وكأن هذه القراءة تقتضي فسحاً لهم في الارتياء والتثبيت ، أي فاعلموا نفوسكم هذا ثم انظروا في الأرجح لكم، ترك الربا، أو الحرب»[1].

هذا رأي الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في هذه المسألة ، وملخص البحث فيها كما يلي:

١– القراءتان اللتان ذكرهما الإمام الطبري ، ورجح إحداهما على الأخرى قراءتان متواترتان[2].

٢– هناك من وافق الطبري فيما ذهب إليه فقد أشار الزمخشري إلى ترجيح قراءة القصر ، لكن من غير تصريح[3].

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٥٣).

(٢) انظر المبسوط في القراءات العشر ص (١٥٤) ، وإرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي ص(٢٥٢) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٣٦).

(٣) انظر الكشاف (١/٤٠١).

ومال أبو علي الفارسي ومكي إلى عكس ما ذهب إليه الإمام الطبري والزمخشري ، فرجحا قراءة المد[1]. قال الفارسي : «فمن قال : ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فقصر فمعناه : اعلموا بحرب من الله، والمعنى : أنكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب لله ورسوله . ومن قال : ﴿فآذنوا بحرب﴾ فتقديره: فأعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ، والمفعول هنا محذوف ... وقد أثبت ... في قوله : ﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾[2] وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضاً أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهو عنه من وضع الربا عمن كان عليه ، وليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم فهذا في الإبلاغ آكد»[3].

وهناك من ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه هؤلاء العلماء فقد ذكر السمين الحلبي عن أبي حاتم السجستاني أنه استبعد قراءة المد معللاً ذلك بأنه يصبح الأمر لغير المخاطبين ، وهذا لا يصلح ؛ لأن المخاطبين هم المأمورون بترك الربا[4].

---

(١) لكن رجع مكي عن ترجيحه بسبب أن جماعة القراء على القصر. انظر الكشف (٣١٨/١).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٩.

(٣) الحجة (٤١٣/٢).

(٤) انظر الدر المصون (٦٤٠/٢) . وقد أجاب الســمين بقوله : «وهذا الذي قاله غير =



٣- أكثر من رأيت مؤلفاتهم من المفسرين وأصحاب المعاني على ذكر القراءتين والمعنيين اللَّذَيْن ذكرهما الطبري والفارسي من غير ترجيح قراءة على قراءة[1].

٤- هل الصواب في ما ذهب إليه الإمام الطبري أم في استدراك القاضي ابن عطية ؟.

الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ؛ وذلك للأسباب التالية:

١- القراءتان متواترتان ظاهر معناهما فلا داعي إلى ترجيح واحدة على الأخرى . إذ مسلك ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة مسلك غير جيد وتختلف فيه الأنظار فما رجحه الطبري هنا جاء من يقول: قراءة المد أرجح لأنها متضمنة العلم والإعلام ، وأبعد من هذا المسلك من يرجح معنى قراءة شاذة على معنى قراءة متواترة ولو سد الباب من أول مرة لما

=

لازم ، لأنك إذا كنت على حالة فقلت لك يا فلان : اعلم فلاناً أنه مرتكب قبيحاً. وهو شيء مماثل لما أنت عليه ، علمت قطعاً أنك مأمور به أيضاً».

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ص(١٨٢) ، وتفسير القرآن لأبي الليث (١/٢٣٥-٢٣٦) ، والنكت والعيون (١/٣٥٢) ، والوسيط (١/٣٩٧-٣٩٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٣٥٩) ، وتفسير البيضاوي (١/١٤٣) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٦٩)، وتفسير الخازن (١/٣٠١) ، ومعالم التنزيل (١/٢٦٥) ، وروح المعاني (٣/٥٣) ، والتحرير والتنوير (٣/٩٥) ، وفتح القدير (١/٢٩٧).

وجد مثل هذا.

٢- هذا يؤدي في بعض الأحيان إلى المبالغة التي تكاد تسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي لأن كلتيهما متواترة[١].

٣- جاء عن طائفة من العلماء - الذين لا يقلون شأناً عمن رأى ترجيح قراءة على قراءة - تحرجهم من هذا المسلك ، وما هو أقل منه ، بل وردهم له ، وإليك بعض أقوالهم فيما يلي:

أ- نقل عن إمام اللغة ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى[٢].

قلت : رحم الله ثعلباً وإنما هذا في الإعراب فكيف بتقديم قراءة على أخرى بدعوى أن معناها أظهر.

ب- قال أبو جعفر النحاس[٣] : «والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال : إحداهما أجود من

---

(١) انظر البرهان (١/٣٣٩-٣٤٠) فقد أورد نحوه الزركشي عن أبي شامة والكواشي.

(٢) انظر المصدر السابق (١/٣٣٩). والذي فهمت أنه يعني أن الإعراب إذا كان سبب اختلافه اختلاف القراء السبعة فهو على قراءة أحدهم يعرب حالاً، وعلى قراءة الآخر يعرب تمييزاً - مثلاً- لم يفضل أحد الإعرابين على الآخر .

(٣) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري ، العلامة ، إمام العربية (ت : ٣٣٨هـ) . انظر السير (١٥/٤٠١).



الأخرى؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا»[١].

ج ــ قال ابن النقيب[٢] - وقد ذكر التوجيــه في قراءة ﴿ وعدنا ﴾ و ﴿ واعدنا ﴾[٣] -: ولا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين والقراء والنحويين[٤].

٣٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٥] ... واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم على الغني والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك...»[٦] ثم ساق بسنده إلى قتادة أنه قال : «إن تصدقوا بأصل المال

---

(١) إعراب القرآن (٥/٦٢).

(٢) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، مفسر من فقهاء الحنفية (ت : ٦٩٨هـ) . انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢/١٤٩).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٥١ . والقراءتان متواترتان . انظر المبسوط في القراءات العشر ص(١٢٩).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٣٤٠).

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٠ .

(٦) جامع البيان (٦/٣٥).



خير لكم»[١] وعنه أنه قال: «أي برأس المال فهو خير لكم»[٢]. وعن إبراهيم النخعي في قوله : ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ «قال من رؤوس أموالكم»[٣] وعنه أنه قال : «أن تصدقوا برؤوس أموالكم»[٤].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله أقوال قتادة وإبراهيم النخعي تحت الترجمة التي وضعها ، وهذه الأقوال لا يلزم منها أنهما يقولان : تصدقوا على الغني فقال: «وقال الطبري : وقال آخرون : معنى الآية وأن تصدقوا على الغني والفقير خير لكم ، ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة أقوالاً لقتادة وإبراهيم النخعي لا يلزم منها ما تضمنته ترجمته ، بل هي كقول جمهور الناس ، وليس في الاية مدخل للغني»[٥] .

هذه ترجمة الطبري وما أدخل تحتها واستدرك ابن عطية عليه في ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٥/٦) من طريق سعيد عن قتادة ، وأورد الجصاص في أحكام القرآن (٢٠٤/٢)، عن قتادة نحوه.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٦/٦) من طريق سعيد عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٦/٦) من طريق سفيان عن المغيرة عن إبراهيم.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٦/٦) من طريق سفيان عن مغيرة عن إبراهيم ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١١٢/١) من الطريق نفسه ، وأورد الجصاص في أحكام القرآن (٢٠٤/٢) عن إبراهيم نحوه.

(٥) المحرر الوجيز (٣٥٧/٢).



وهذه المسألة يتلخص البحث فيها في ما يلي:

١- محل استدراك ابن عطية : أن الطبري وضع ترجمة وأدخل تحتها ما ليس داخلاً.

٢- تابع القرطبي أبا محمد فأورد ترجمة الطبري وصحح أن الصدقة على المعسر من الغرماء ، وأن الغني لا مدخل له في الآية . إلا أنه لم ينسب هذا لابن عطية[1] ، وتابع الشوكاني القرطبي فأورد ما قال إلا أنه لم ينسبه إليه ولا إلى ابن عطية[2].

٣- لم أر - في حد اطلاعي - من تابع الطبري فيورد الترجمة بالصفة المذكورة ويورد تحتها أقوال قتادة وإبراهيم . نعم أبو حيان ذكر عن قتادة ما يؤيد فعل الطبري ، فقال : «وقال قتادة : ندبوا إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على الغني والفقير»[3].

والذي يبدو أن أبا حيان نسب لقتادة هذا القول بهذه الصيغة متأثراً بترجمة الإمام الطبري وما أدخل تحتها.

٤- الذي يترجح عندي أن استدراك أبي محمد على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ؛ لأن أقوال قتادة وإبراهيم ليس فيها إلا ذكر الصدقة برأس المال ، أو من رأس المال ، فلا يصلح أن يقال : إنهما أرادا بذلك

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٧٤).

(٢) انظر فتح القدير (١/٢٩٨).

(٣) البحر المحيط (٢/٣٥٦).



الصدقة على الغني ، بل الذي يفهم أن أقوالهما موافقة لقول الجمهور[(١)] - كما قال أبو محمد - وأن مقصودهما الصدقة على الفقير ؛ لأن الصدقة إذا ذكرت تنصرف إليه . والله أعلم.

٣٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعـالى : ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ ﴾[(٢)] قال أبو جعفـر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ فاكتبوا الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض. واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ، هل هو واجب أو هو ندب...»[(٣)] ثم سرد الأقوال فيه ، وأتبعه بتفسير قوله تعالى :﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ وذكر أقوال أهل العلم في معنى الأمر في قوله: ﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ ثم عقب ذلك كله بقوله: «قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك

---

(١) قول الجمهور هو أن الصدقة على المعسر ، أسنده الإمام الطبري إلى السدي والضحاك وابن زيد وغيرهم. وهو الذي فسر به الإمام الطبري الآية ورجحه على ما ظنه قولاً آخر . انظر جامع البيان (٦/٣٦، ٣٧).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٣) جامع البيان (٦/٤٧).



عندنا : أن الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل . وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب ، ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك، ندب وإرشاد . فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجاً بتضييعه...»[1] ثم أخذ في الرد على أقوال المخالفين له فيما ذهب إليه ، إلى أن قال : «وأما الذين زعموا أن قوله : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ﴾[2] ، وقوله :﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ﴾ على وجه الندب والإرشاد ، فإنهم يسألون البرهان على دعواهم في ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذي أمر في كتابه ، ويسألون الفرق بين ما ادعوه في ذلك وأنكروه في غيره . فلم يقولوا في شيء من ذلك إلا ألزموا في الآخر مثله»[3].

ولما جاء القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – إلى تفسير آية الدين ذكر أقوال أهل العلم واختلافهم في معنى الأمر في قوله:﴿ فَٱكْتُبُوهُ ﴾ إلى أن قال : «وقال جمهور العلماء : الأمر بالكتب ندب إلى حفظ

---

(١) المصدر السابق (٦/٥٣).

(٢) في جامع البيان «فاكتبوا» والتلاوة بالهاء «فاكتبوه».

(٣) المصدر السابق (٦/٥٥).

الأموال وإزالة الريب ، وإذا كان الغريم تقياً فما يضره الكتاب ، وإن كان غير ذلك فالكتب ثقاف في دينه، وحاجة صاحب الحق . وقال بعضهم : إن أشهدت فحزم ، وإن ائتمنت ففي حل وسعة وهذا هو القول الصحيح، ولا يترتب نسخ في هذا؛ لأن الله تعالى ندب إلى الكتب في ما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع ، فندبه إنما هو على جهة الحيطة للناس، ثم علم تعالى أنه سيقع الائتمان فقال: إن وقع ذلك ﴿ فَلْيُؤَدِّ ﴾[1] الآية ، فهذه وصية للذين عليهم الديون ، ولم يجزم تعالى الأمر نصاً بأن لا يكتب إذا وقع الائتمان . وأما الطبري رحمه الله فذهب إلى أن الأمر بالكتب فرض واجب وطول في الاحتجاج ، وظاهر قوله أنه يعتقد الأوامر على الوجوب حتى يقوم دليل على غير ذلك»[2].

تبين مما تقدم أن الإمام الطبري يرى الأمر بكتابة الدين في الآية محمول على الوجوب ، وأن القاضي ابن عطية يرى أن الأمر في الآية محمول على الندب ويصفه بالقول الصحيح ، ثم يردفه بقول الطبري المخالف لما وصفه بالصحيح ، وفي هذا ما يفيد الاستدراك ، وإن لم يصرح به ابن عطية.

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالدين المأمور بكتابته في هذه الآية على قولين:

---

(١) ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ ، سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٢) المحرر الوجيز (٢/٣٥٩-٣٦٠).



١- منهم من يرى أن الدين المذكور في الآية هو دين السَّلم[١] خاصة وهو ابن عباس[٢].

٢- والباقون - غير ابن عباس - يرون أن الآية عامة في جميع المداينات ، ثم هؤلاء اختلفوا في معنى الأمر المذكور في الآية على ثلاثة أقوال:

١) جمهور العلماء - الأئمة الأربعة وغيرهم - يذهبون إلى حمل الأمر في الآية على الندب [٣]. وحجتهم فيما ذهبوا إليه ما يلي:

---

(١) السَّلم: نوع من البيوع يعجل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم. انظر أنيس الفقهاء ص (٢١٩).

(٢) رواه عنه البخاري معلقاً (٤/٤٣٤) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣١٤) ، كتاب التفسير من طريق إبراهيم بن بشار عن سفيان . وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . وقال الذهبي : إبراهيم ذو زوائد عن ابن عيينة . وانظر روح المعاني (٣/٥٥) فقد ذكر أن ابن عباس يخص الآية بدين السلم . وقال الإمام الشافعي عند هذه الآية : يحتمل كل دين ويحتمل السلم خاصة ، وقد ذهب فيه ابن عباس إلى أنه في السلف . انظر أحكام القرآن له (١/١٣٧). قلت: وقوله في السلف يعني به «السلم».

(٣) انظر المحلى (٨/٣٤٦) ، والتحرير والتنوير (٣/١٠٠) فقد نصوا على أنه رأي الأئمة الأربعة إلا أن ابن حزم ما ذكر رأي الإمام أحمد . وهو كذلك من خلال كتبهم . انظر الأم (٣/٨٨ - ٨٩) ، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٦) ، والمغني (٤/٣٠٢ - ٣٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٣٨٣).

أ- ما أخرجه الإمام البخاري وغيره عن أبي هريرة «عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال كفى بالله شهيداً ، قال فائتني بالكفيل ، قال كفى بالله كفيلاً . قال : صدقت ، فدفعها إليه على أجل مسمى...» الحديث [١]. ووجه الاستشهاد : أن الذي حُكي عن شرع من قبلنا مقرر في شرعنا ، ولم ينكر عدم الكتابة والإشهاد[٢] .

ب- ما جاء عن بعض الصحابة والتابعين أهم كانوا لا يرون وجوب كتابة الدين ، وهم كانوا أعلم بالقرآن والسنة[٣].

ج- أن الله تعالى قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [٤] والرهن لا يجب إجماعاً ، وقد جعله الله بدلاً من الكتابة عند تعذرها فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً فتبين بهذا أن الأمر للندب والإرشاد[٥].

د- في إيجاب كتابة الدين حرج على المسلمين[٦]، وهذا يتنافى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤/٤٦٩) ، كتاب الكفالة ، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها ، ح(٢٢٩١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/٣٣٥).

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥) ، والتفسير الكبير (٧/٩٦).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٥) انظر أضواء البيان (١/٢٦٠).

(٦) انظر التفسير الكبير (٧/٩٦) ، والمغني (٤/٣٠٣).



مع الشريعة التي أرسل بها محمد ﷺ وفيها﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١) ، ووصفها رسول الله ﷺ بقوله : «بعثت بالحنيفية السمحة»(٢).

هـ - ندب الله إلى الكتب في ما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع فندبه إنما هو على جهة الحيطة للناس، ثم علم تعالى أنه سيقع الائتمان فقال : إن وقع ذلك ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾(٣) فهذه وصية للذين عليهم الديون و لم يجزم تعالى الأمر نصاً بأن لا يكتب إذا وقع الائتمان(٤).

و - الأمر في الآية قرين الأمر في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٥) ، فكما أنه لا يجب الانتشار ، بل هو محمول على الندب فكذلك هنا في الأمر بالكتابة(٦).

٢) وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر كان للوجوب ثم نسخ

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٦٦/٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وذكر ابن كثير في تفسيره (٤٠٤/٢) أن هذا الحديث قد جاء من طرق وحسن الحافظ في الفتح (٩٤/١) ما هو بمعناه من حديث ابن عباس .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٤) انظر المحرر الوجيز (٣٥٩/٢-٣٦٠).

(٥) سورة الجمعة ، الآية : ١٠.

(٦) انظر معالم التنـزيل (٢٦٧/١) بتصرف.

الوجوب بقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾[١] . ودليل هؤلاء : ما أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إلى :﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ قال : هذه نسخت ما قبلها[٢].

٣) وذهب أهل الظاهر وابن جرير الطبري ، والإمام محمد بن علي القصاب إلى أن الأمر للوجوب، وجنح إليه صاحب التحرير والتنوير ابن عاشور[٣]. ودليلهم أن الله سبحانه وتعالى أمر بالكتابة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣. ونسب الإمام الطبري القول بالنسخ إلى الشعبي وابن زيد والحسن وذلك بما رواه في تفسيره عنهم. انظر جامع البيان (٦/٤٨، ٤٩) ، وانظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٥٠) من رواية ابن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري وأورده ابن كثير في تفسيره (١/٣٣٨) وقال : رواه ابن أبي حاتم بإسناد جيد.

(٣) انظر جامع البيان (٦/٥٣) ، والمحلى (٨/٨٠) ، ونكت القرآن الدالة على البيان (١/١٦١) ، والتحرير والتنوير (٣/١٠٠) وروي عن أبي موسى وكعب وابن جريج والضحاك ما يفيد أنهم يرون الوجوب . انظر جامع البيان (٦/٤٧) ، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٦).



ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ فهذا أمر من الله تعالى لا يسع المكلف إلا التسليم له وامتثاله إذ هو للوجوب ولا يصرف عن الوجوب إلا بنص آخر ، أو بضرورة حس ، وهما هنا مفقودان[1].

وبعد : فهذه المسألة الخلاف فيها مشهور بين جمهور أهل العلم وبين أهل الظاهر والإمام الطبري ومن مع هؤلاء ممن يرون الوجوب وتعقيبي عليها بما يلي:

١- يتفق قول من يرى أن الوجوب منسوخ وقول من يرى حمل الأمر على الندب في النتيجة.

٢- نوقش دليل القائلين بالنسخ بما يلي:

أ- قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله تعالى : «الظاهر من قول أبي سعيد رضي الله عنه أنها إنما نسخت الأمر بالرهن لأنه هو الذي قبلها متصلاً بها ، ولا يجوز أن يظن بأبي سعيد أنه يقول : إنها نسخت كل ما كتب قبلها من القرآن ، ولا كل ما نزل قبلها من القرآن فإذ لا شك في هذا ، فلا يجوز أن يدخل في قول أبي سعيد أنها نسخت الأمر بالإشهاد والكتاب»[2].

---

(١) انظر جامع البيان (٥٣/٦) ، والمحلى (٨٠/٨) . ويعنون بضرورة الحس ما هو كقوله تعالى: ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها﴾.

(٢) المحلى (٣٤٦/٨).



ب- وقال الإمام الطبري : لا وجه لاعتلال من اعتل بأن الأمر بذلك منسـوخ بقولـه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [١] لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل إلى الكتاب ، أو إلى الكاتب ، فأما والكتاب والكاتب موجودان فالفرض - إذا كان الديـن إلى أجـل مسمى - ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [٢].

ج- لو كان مثل هـذا ناسـخاً لكان قولـه : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ ﴾[٣] ناسخاً للوضوء بالماء ، وقوله :﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [٤] ناسخاً قوله :﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [٥].

د- إنما يكون الناسـخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٢) جامع البيان (٥٣/٦، ٥٤).

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦.

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ٤.

(٥) سورة المجادلة ، الآية : ٣ . وهذا الاعتراض بتصرف من كلام الطبري . انظر جامع البيان (٥٤/٦).

حال واحدة ، فأما إن كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء[١].

٣- أما أدلة الجمهور ، فهي الأخرى قد اعترض على بعضها ونوقش.

أ- فقال أبو محمد ابن حزم في استدلالهم بالآيات التي يتفق عليها أن الأمر فيها ليس للوجوب كقوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] قال : «إن هذا لعجب ، ليت شعري[٣] في أي دين وجدتم ، أم في أي عقل أنه إذا صح في أمر من أوامر الله تعالى أنه منسوخ ، أو أنه ندب وجب أن تحمل سائر أوامره تعالى على أنها منسوخة ، وعلى أنها ندب فما سمع بأعجب من هذا ... ونحن لا ننكر وجود النسخ في بعض الأوامر ، أو كونه على الندب ، أو على الخصوص إذا جاء نص آخر ببيان ذلك ، وأما بالدعوى فلا فإذا صح في أمر من القرآن أو السنة أنه منسوخ ، أو مندوب ، أو مخصوص بنص آخر قلنا بذلك و لم نتعده بهذا الحكم إلى ما لم يأت فيه دليل يصرفه عن

---

(١) انظر جامع البيان (٥٤/٦) فقد اعترض به الإمام الطبري على القائلين بالنسخ.

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١٠.

(٣) ليت شعري ، أي ليتني أعلم . انظر تهذيب اللغة (٤٢٠/١) ، ولسان العرب (١٣١/٧) «شعر».

موضوعه ومقتضاه»[1].

قلت : ما قاله أبو محمد ابن حزم قوي جداً ، فلا يصلح أن نحمل آية الدين على الآيات التي فيها إطلاق الإباحة بعد الحظر لوجود الفرق بينهما.

ب- واعترض الإمام محمد بن علي القصاب على استدلالهم بأن الله تعالى جعل الرهن بدلاً من الكتابة، والرهن لا يجب فما جعل بدلاً منه كذلك لا يجب اعترض عليه فقال : «إذا كان الله بجوده اشترط عدم الكتاب في السفر فما بال الكتابة تسقط في الحضر مع وجود الكتَّاب ، أم كيف تسقط في سفر فيه كاتب في الرفقة ...»[2].

قلت : وليس كل ما جعل بدلاً من شيء يصلح أن يأخذ جميع أحكام المبدل منه كالتيمم جعل بدلاً من الوضوء عند عدم الماء ، وليس كل الأحكام التي للوضوء تجرى في التيمم . ثم وضع السفر وما يواجه الإنسان فيه من مشاق يختلف تماماً عن وضع الحضر.

ج- ونوقش قولهم : إن الله ندب إلى الكتب في ما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع ، فندبه إنما هو على جهة الحيطة للناس ... قال ابن عاشـــور: «وهذا كلام قد يروج في بادئ الرأي ، ولكنه مردود بأن مقام

(١) المحلى (٨/٣٤٧).

(٢) نكت القرآن الدالة على البيان للإمام محمد بن علي القصاب (١/١٦٤).



التوثق ، غير مقام التبرع»[١].

د- وأدلتهم الأخرى لا تسلم من الاعتراض أيضاً والمناقشة :

١- فاستدلالهم بالحديث الذي في صحيح البخاري لا يدل لهم من جهتين :

أ) أن الجمهور أنفسهم قد اختلفوا في شرع من قبلنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه فمنهم من يقول: هو شرع لنا ، ومنهم من يقول : ليس بشرع لنا[٢] . فيقال لهم: لا يصلح هذا دليلاً علينا مع اختلافكم أنتم فيه.

ب) ثم الحديث ليس فيه ذكر للكتابة لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما فيه ذكر الشهادة والكفالة ، وهما شيء والكتابة شيء آخر.

٢- وأما استدلالهم بما روي عن بعض الصحابة والتابعين ، فهذا معارض بمثله بالنسبة للتابعين فقد روي أيضاً ما يدل على أن بعضهم يرى الوجوب في كتابة الدين[٣].

وقول التابعي ليس حجة على من خالفه من التابعين[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٣/١٠٠).

(٢) انظر روضة الناظر (١/٤٠٠).

(٣) جاء عن الضحاك - لكن من طريق جويبر - وروي عن ابن جريج وعن كعب . انظر جامع البيان (٦/ ٤٧) ، وقد تقدم هذا قريباً . وانظر نواسخ القرآن لابن الجوزي ص (٢٢١) فقد ذكر الوجوب عن جماعة من التابعين.

(٤) انظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ص (٩٨).



وأما ما جاء عن بعض الصحابة فقد تقدمت الإجابة عليه عند مناقشة دليل القائلين بالنسخ.

٣- وأما استدلالهم بأن القول بوجوب الكتابة فيه حرج وضيق . فالجواب : لا حرج ولا ضيق في الأمر بوجوب كتابة الدين . إن قيل: الكاتب قد لا يوجد ، ففي هذه الحال لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ومتى وجد وجب أن يكتب ذلك.

بل لو قيل: إن في عدم الكتابة من المشاقة والمخاصمة والاختلاف في الحقوق ما يوجد معه الحرج والمشقة لكان هذا صحيحاً والواقع يصدق ذلك.

تبين مما سبق أنه لم يسلم دليل - من أدلة القائلين بأن الأمر بكتابة الدين محمول على الندب - من الاعتراض ، وكذلك دليل القائلين بالنسخ.

وفي نظري أن سياق القرآن الكريم يقوي قول من قال بالوجوب ، فقد جاء في هذه الآية عدة مؤكدات تدل على أن القول بالوجوب أظهر، وهي ما يلي:

١- قوله تعالى:﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ فهذا ظاهره الإيجاب على الكاتب أن يكتب ما لم يوجد ضرر ، وهذا يدل على أن الكتابة واجبة.

٢- ذكر الإملاء ، وما فيه من عدم الإسقاط حتى مع ســـفه المملي،



أو ضعفه ، أو عدم استطاعته، فإن وليه يقوم مقامه في هذا الحال ، ولو كان الأمر على الندب لما كان فيه مثل هذا ، فتأمل قوله:﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ فإنه يدل على ما ذكرت.

٣- النهي عن السأم من كتابة الدين صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، وبيان فوائد الكتابة بأنها أعدل عند الله، وأصوب للشهادة ، وأجدر ألا يحصل الشك في الحق والأجل ، وهذا كله يقوي الوجوب ، فتأمل معي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ تجده كذلك.

٤- استثناء حالة التجارة الحاضرة التي تدار بين الأفراد برفع الجناح عمن لم يكتبها ، وهذا بمفهومه المخالف يفيد وقوع الإثم في غير هذه الحال وهذا مما يقوي الوجوب ، فتأمل معي قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ تجده كذلك إن شاء الله تعالى.

وبهذا وغيره مما تقدم يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري - بأن الصحيح في غير ما ذهب إليه - ليس وارداً . والله أعلم.

٣٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله:﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾[1] » ثم ذهب إلى أن المراد بالسفيه هو الجاهل بالإملال والأمور ، وليس الصغير[2]. وبناء على ذلك فقد قال: إن المراد بالولي في قوله : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ هو صاحب الحق . أي صاحب الدين فقال «فوضع الله جل وعز عنهم فرض إملال ذلك للعلل التي وصفنا - إذا كانت بهم - وعذرهم بترك الإملال من أجلها، وأمـر عند سـقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق بإملالـه فقال: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يعني : ولي الحق»[3]. ثم ساق بسنده عن الربيع أنه يقول: ولي الحق[4].

وساق أثراً آخر عن ابن عباس أنه قال : «إن كان عجز عن ذلك ، أملَّ صاحب الدين بالعدل»[5].

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٢) انظر جامع البيان (٦/٥٧) . وسيأتي نقل شيء من ذلك.

(٣) انظر المصدر نفسه (٦/٥٨، ٥٩).

(٤) انظر المصدر السابق (٦/٥٩).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٩) عن شيخه محمد بن سعد ، قال حدثني =



واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من إعادة الضمير على﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ ونسبته ذلك إلى ابن عباس فقال – بعد أن ذكر أن معنى الولي هو ولي السفيه الذي يحق له أن يحجـــر عليه من أب أو وصي – : « وذهب الطـــبري إلى أن الضمير في ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ عائد على الحق وأسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس . قال القاضي أبو محمد : وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس ، وكيف تشهد البينة على شيء ، وتدخل مالاً في ذمة السفيه بإملال الذي له الدين؟. هذا شيء ليس في الشريعة ، والقول ضعيف ، إلا أن يريد قائله : إن الذي لا يستطيع أن يمل بمرضه إذا كان عاجزاً عن الإملاء

=

أبي قال حدثني عمي ، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ، فذكره. ونص السيوطي أن هذا هي طريق العوفي عن ابن عباس فقال: وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس : فليملل وليه قال صاحب الدين . انظر الدر المنثور (٣٧١/١) . والعوفي قال عنه الحافظ: صدوق يخطئ كثيراً ، وكان شيعياً مدلساً ، من الثالثة ... . انظر تقريب التهذيب ص(٣٩٣) رقم (٤٦١٦). وقال السيوطي: وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، والعوفي ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي. انظر الإتقان (٥٣٥/٢) . وقال الذهبي قبلهما : ضعفوه. انظر الكاشف (٢٣٥/٢). تبين مما تقدم أن العوفي ضعيف وأن ما قاله ابن عطية في هذا الأثر هو كما قال.

فليمل صاحب الحق بالعدل ، ويسمع الذي عجز ، فإذا كمل الإملاء أقر به ، وهذا معنى لم تعن الآية إليه ، ولا يصح هذا إلا فيمن لا يستطيع أن يمل بمرض»[١].

الظاهر أن استدراك القاضي ابن عطية في شيئين :

الأول : أن الطبري أسند إلى ابن عباس قولاً لا يصح سنده ، وهذا لا ينبغي.

الثاني : أن هذا التفسير الذي اختاره الإمام الطبري ليس في الشريعة ، وهو قول ضعيف.

ونبدأ أولاً: باستدراكه على الأثر ، فقول ابن عطية : إن نسبة القول إلى ابن عباس لا تصح ، هو كما قال ؛ لأن في الطريق إلى ابن عباس عطية بن سعد العوفي[٢] ، وعطية هذا ضعيف نص على ذلك علماء الجرح والتعديل ، وتقدم قريباً بحث ذلك عند تخريج الأثر الذي ساقه الطبري عن ابن عباس.

وأما استدراكه على القول وقوله : ليس في الشريعة وهو قول ضعيف. فهذا يبحث من الجوانب التالية:

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٦٢-٣٦٣).

(٢) هو : عطية بن سعد العوفي ، أبو الحسن ، ضعيف ، (ت : ١١١هـ) . انظر الكاشف (٢/٢٣٥).



١- اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله :﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ على قولين:

القول الأول : أنه يعود على الذي عليه الحق ، والتقدير : فليملل ولي الذي عليه الحق الممنوع من الإملاء بالسفه والضعف والعجز[(١)].

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أ- أن الله تعالى أمر بالكتاب والإشهاد فعرفنا من ذلك أن المقصود بـــ ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ هو ولي من عليه الحق، إذ لو كان المقصود بـــ ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ صاحب الحق وهو الدائن لما كان هناك حاجة إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله[(٢)].

ب- لا يعرف في الشريعة الإسلامية أنها تطلب من الشهود الشهادة على إدخال حق إلى ذمة السفيه بإملاء الذي له الحق[(٣)].

---

(١) انظر جامع البيان (٦/٥٧-٦٠) فقد رواه الطبري عن الضحاك وابن زيد صريحاً وعن السدي ومجاهد ما يدل أنهما يريان ذلك ، وقال به كثير من المفسرين كالزجاج والزمخشري والواحدي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والسمين ، وأبي السعود، والخازن . انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٣٦٣) ، والوسيط (١/٤٠٣) ، والكشاف (١/٤٠٣)، وتفسير البيضاوي (١/١٤٤) ، وتفسير النسفي (١/١٤٠)، والدر المصون (٢/٦٥٥) ، وتفسير أبي السعود (١/٢٧٠) ، وتفسير الخازن (١/٣٠٥).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٣٦٣).

(٣) انظر المحرر الوجيز (٢/٣٦٢-٣٦٣).



ج- إنما قلنا : إن الضمير يعود على الذي عليه الحق ؛ لأنه صاحب الولي في الإطلاق ، يقال : ولي السـفيه ، وولي الضعيف ، ولا يقال ولي الحق ، إنما يقال : صاحب الحق[(١)].

القول الثاني : أن الضمير في ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ يعود على الحق ، والتقدير فليملل ولي الحق [(٢)].

ودليل هؤلاء ما يلي:

أ- ما جاء عن ابن عباس أنه فسر الولي في قوله: ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ أنه صاحب الدين[(٣)].

ب- رأيت الإمام الطبري يبني ترجيحه لهذا القول على تفسير العلل التي تمنع الإملاء وهي قولـه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ ﴾ ويستبعد أن يكون معنى السفيه الصغير، ويوجه القول في هؤلاء أنهم جميعاً بالغون عاقلون إذ لو كانوا غير ذلك لما جاز مداينتهم بحال[(٤)] ، ثم يقول : «وإذا كان ذلك كذلك كان

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٢٥١/١).

(٢) قال ابن الجوزي هذا قول ابن عباس وابن جبير والربيع بن أنس ومقاتل ، واختاره ابن قتيبة . انظر زاد المسير (٣٣٧/١-٣٣٨). قلت وهو اختيار الطبري كما رأيت. وعليه فسر هود بن محكم . انظر تفسير كتاب الله العزيز (٢٥٩/١).

(٣) تقدم تخريج ذلك قريباً وأن ذلك لا يصح عن ابن عباس.

(٤) انظر جامع البيان (٥٧/٦-٥٩).



معلوماً أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الإملال، غير أنه وضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه ، وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاله ، وإن كان شديداً رشيداً إما لعي لسانه أو خرس به ، وأن الموصوف بأنه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من إملاله ، إما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه وإما لغيبته عن موضع الإملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب . فوضع الله جل وعز عنهم فرض إملال ذلك للعلل التي وصفنا ... وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق بإملاله...»[1] ثم يقول : «ولا وجه لقول من زعم أن «السفيه» في هذا الموضع هو الصغير ، وأن «الضعيف» هو الكبير الأحمق ؛ لأن ذلك إن كان كما قال يوجب أن يكون قوله:﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ هو العاجز من الرجال العقلاء الجائزي الأمر في أموالهم وأنفسهم عن الإملال ، إما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان ذلك كذلك معناه لبطل معنى قوله : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ لأن العاقل الرشيد لا يولى عليه في ماله وإن كان أخرس أو غائباً ولا يجوز حكم أحد في ماله إلا بأمره . وفي صحة معنى ذلك ما يقضي على فساد قول من

---

(١) انظر المصدر السابق (٦/٥٨، ٥٩).



زعم أن « السـفيه » في هذا الموضع ، هو الطفل الصغير ، أو الكبير الأحمق »[١].

هذا ما يراه الطبري أنه حجة له في ما ذهب إليه . والذي فهمت من هذه الحجة أنها تتلخص فيما يلي:

أ- هذه الأوصاف التي ذكرت ليس فيها ما يفيد نقص العقل أو التصرف ؛ لأن الحال لو كان كذلك لما جاز مداينة من هذا صفته.

ب- إذا كان هؤلاء يتصفون بالعقل والرشد فلا يجوز بحال أن يولى عليهم في أموالهم ، إذاً معنى﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ ولي الحق ، وهو صاحب الدين.

٢- موقف العلماء من هذا الخلاف الواقع في مرجع الضمير في قوله : ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ يرى الفراء أن لك أن تعيد الضمير إلى أيهما شئت فيقول: «فإن شئت جعلت «الهاء» للذي ولي الدين ، وإن شئت جعلتها للمطلوب»[٢].

وقال الراغب : «لا يجوز أن يكون ولي الحق ، كما قال بعضهم ؛ لأن قوله لا يؤثر إذ هو مدع»[٣].

وقال ابن العربي[٤] – بعد أن ذكر القولين – : «والظاهر أنه يعـود

---

(١) جامع البيان (٦/٥٩).
(٢) معاني القرآن (١/١٨٣).
(٣) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٢/٣٦١).
(٤) محمد بن عبد الله الأندلسي الإشبيلي القاضي الإمام العلامة ، (ت : ٥٤٣هـ) .
=



على الذي عليه الحق؛ لأنه صاحب الولي في الإطلاق ، يقال : ولي السفيه وولي الضعيف ، ولا يقال ولي الحق ، إنما يقال صاحب الحق»[1].

ونعت الرازي ما ذهب إليه ابن عطية بقوله : «وهذا هو القول الصحيح»[2] وقال في الذي اختاره الطبري : «وهذا بعيد ؛ لأنه كيف يقبل قول المدعي؟ وإن كان قولاً معتبراً ، فأي حاجة بنا إلى الكتابة والإشهاد»[3].

وتابع القرطبي ابن عطية في ما قال فأدخل ما قاله في تفسيره راضياً به[4] .

ووصف الشوكاني ما ذهب إليه الطبري بأنه ضعيف جداً[5].

٣- ما ذهب إليه ابن عطية هو الظاهر في هذه المسألة للأسباب التالية:

أ- لأن الرواية عن ابن عباس في تفسير «الولي» أنه صاحب الدين من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لا يعتمد عليها في التفسير.

=

انظر السير (١٩٧/٢٠).

(١) أحكام القرآن (٢٥١/١).

(٢) التفسير الكبير (٩٨/٧).

(٣) المصدر السابق (٩٨/٧).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٨٨/٣).

(٥) انظر فتح القدير (٣٠١/١).



ب- ولما أشار إليه العلماء سابقاً أن القول ، إنما هو قول من عليه الحق ، وليس لمن يدعي قبل الآخر حقاً قول ، وهذا الذي أشاروا إليه قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع قررها الرسول ﷺ بقوله : «لو يعطى الناس بدعواهم ، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، ولكن البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر»[1].

ج- ولما قال ابن العربي: من أن الولي في الإطلاق ينصرف إلى ولي السفيه وولي الضعيف ، ولا يقال: ولي الحق، وإنما يقال : صاحب الحق ، فلو كان الأمر على ما قال الإمام الطبري لقال (فليملل صاحبه بالحق).

د- ولأن الله جعل الذي عليه الحق صنفين : صنف مستقل بنفسه مستطيع، وصنف لا يستقل بنفسه وهو السفيه والضعيف ومن لا يستطيع أن يمل. فقول الإمام الطبري: إن هؤلاء كاملو العقل والتصرف ولا ولاية لأحد عليهم يلزم منه إعادة الصنفين إلى صنف واحد ، وهذا مخالف لقسمة القرآن الكريم.

بقي أن يجاب عن ما اعتمد عليه الإمام الطبري فيما ذهب إليه:

فقوله : إن السفيه أو الضعيف أو من لا يستطيع أن يمل هؤلاء كلهم

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٥٢) من حديث ابن عباس . وقال الحافظ - في بلوغ المرام ص(٢٩١) -: إسناده صحيح. قلت: أصل الحديث في الصحيحين.



لا نقص في عقولهم وتصرفاتهم، وإلا لما جاز مداينتهم ، يجاب عنه بما يلي:

لا نسلم أن السفيه والضعيف هو من لا نقص في عقله وتصرفاته، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾[(١)] قال أبو منصور الأزهري : «يعني المرأة والولد وسميت سفيهة لضعف عقلها ... وكذلك الأولاد ما لم يؤنس رشدهم»[(٢)].

وقال الزجاج : «السفيه الخفيف العقل ، ومن هذا قيل تسفهت الريح الشيء إذا حركته واستخفته... فالنساء والصبيان اللائي لا يميزن تمييزاً صحيحاً سفهاء ، والضعيف في عقله سفيه»[(٣)].

وأما الضعيف فيحتمل بالإضافة إلى ما قال الإمام الطبري أن يكون الضعيف في بدنه لصغر أو كبر وكلاهما يلزم عنهما الضعف في العقل غالباً وقد ذكرا في القرآن ، فمن الضعف الذي سببه الصغر قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥.

(٢) تهذيب اللغة (١٣٤/٦).

(٣) معاني القرآن (٣٦٢/١-٣٦٣) . وانظر أيضاً في معنى السفه معاني القرآن الكريم للنحاس (٣١٥/١-٣١٦)، والمفردات للراغب ص (٢٣٤-٢٣٥).



سَدِيدًا ﴾[١] وقال في الضعف الذي سببه الكبر : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ ﴾[٢] وتفسـير الضعف بما ذكرت منصوص عليـه في كتب التفسير[٣].

ولا يلزم من تفسير السفيه والضعيف بما ذُكر أنه لا تصح مداينته ، بل تصح مداينته ووليه في هذه الحال يقوم مقامه.

وبما تقدم يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في فرع هذه المسألة.

٣٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ ﴾[٤] قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه: وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم، عاجل ذلك وآجله ، ونقده ونسائه ، فإن إرخاصي لكم في ترك اكتتاب الكتب بينكم في ما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يداً بيد ونقداً ، ليس بإرخاص مني لكم في ترك الإشـهاد

(١) سورة النساء ، الآية : ٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٥٤.

(٣) انظر معالم التنـزيل (١/ ٢٦٨) ، والكشاف (٤٠٣/١) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٥٠/١) ، والتحرير والتنوير (١٠٤/٣).

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.



منكم على من بعتموه شيئاً أو ابتعتم منه ؛ لأن في ترككم الإشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين ... ثم اختلفوا في معنى قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ أهو أمر من الله واجب بالإشهاد عند المبايعة أم هو ندب ، فقال بعضهم هو ندب إن شاء أشهد، وإن شاء لم يشهد»[١] ثم ساق بسنده إلى الحسن والشعبي[٢] أنهما يقولان: الإشهاد ندب[٣]. ثم قال: «وقال آخرون الإشهاد على ذلك واجب» ثم ساق بسنده إلى الضحاك ما يفهم منه أنه يرى الإشهاد واجباً[٤].

ثم قال : «قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الإشهاد على كل مبيع ومشترىً حق واجب وفرض لازم ، لما قد بينا : من أن كل أمر لله ففرض إلا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب وإرشاد . وقد دللنا على وَهْي قول من قال : ذلك منسوخ بقوله:﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾[٥] في ما مضى فأغنى عن

(١) جامع البيان (٦/٨٢، ٨٣).

(٢) عامر بن شراحيل الهمداني إمام عالم حافظ ، (ت : ١٠٥هـ) . انظر السير (٤/٢٩٤).

(٣) انظر جامع البيان (٦/٨٣، ٨٤).

(٤) انظر جامع البيان (٦/٨٤).

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

إعادته»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله بوجوب الإشهاد على البيع فقال: «وقوله تعالى :﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ قال الطبري : معناه وأشهدوا على صغير ذلك وكبيره. واختلف الناس هل ذلك على الوجوب ، أو على الندب ؟ فقال الحسن والشعبي وغيرهما[٢] : ذلك على الندب. وقال ابن عمر[٣] والضحاك : ذلك على الوجوب . وكان ابن عمر يفعله في قليل الأشياء وكثيرها، وقاله عطاء ورجح ذلك الطبري. قال القاضي أبو محمد : والوجوب في ذلك قلق: أما في الدقائق فصعب شاق . وأما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستئلاف بترك الإشهاد ، وقد يكون عادة في بعض البلاد ، وقد يستحيي من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يُشهد عليه ، فيدخل ذلك كله في الائتمان. ويبقى الأمر بالإشهاد ندباً لما فيه من المصلحة في الأغلب

---

(١) جامع البيان (٨٤/٦، ٨٥) وسيأتي نقل شيء من ذلك.

(٢) في النسخة المغربية «وغيرهم» والتصويب من النسخ الأخرى.

(٣) في الطبعة المغربية «ابن عمرو» والصواب من النسخ الأخرى ومن الكتب التي شاركت المؤلف في هذه المسألة . وابن عمر هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب ، الصحابي ابن الصحابي ، روى علماً كثيراً ، (ت : ٧٣هـ). انظر السير (٢٠٣/٣).

ما لم يقع عذر يمنع منه كما ذكرنا»[١].

هذه المسألة مختلف فيها بين أهل العلم:

١- فذهب جمهور أهل العلم - منهم الأئمة الأربعة وغيرهم - إلى حمل الأمر في قوله:﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ ﴾ على الندب[٢]، وحجتهم فيما ذهبوا إليه ما يلي:

أ- روى أبو داود[٣] وغيره عن عمارة بن خزيمة[٤] أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ «أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: «أو ليس قد

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٧١).

(٢) انظر الأم (٣/٨٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٦)، والمحلى (٨/٣٤٦)، والمغني (٤/٣٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣/٤٠٢، ٤٠٣)، والتحرير والتنوير (٣/١١٦، ١١٧).

(٣) سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني، شيخ السنة مقدم الحفاظ (ت: ٢٧٥هـ). انظر السير (١٣/٢٠٣).

(٤) عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصاري المدني، ثقة، (ت: ١٠٥هـ) انظر تقريب التهذيب ص(٤٠٩) رقم (٤٨٤٤).

ابتعته منك» فقال الأعرابي لا والله ما بعتكه. فقال النبي ﷺ «بلى قد ابتعته منك» فطفق الأعرابي يقول هلم شهيداً فقال خزيمة بن ثابت[١] : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» فقال بتصديقك يا رسول الله ، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين»[٢].

ب- في إيجاب الإشهاد حرج ومشقة يتنافى مع ما وصفت به هذه الشريعة من السماحة وعدم الحرج ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٣].

ج- نقلت الأمة خلفاً عن سلف عقود المداينات والأشرية والبياعات في أمصارهم من غير إشهاد مع علم فقهائهم بذلك من غير نكير منهم عليهم ولو كان الإشهاد واجباً لما تركوا النكير على تاركه مع علمهم به وفي ذلك دليل على أنهم رأوه ندباً ، وذلك منقول من عصر النبي ﷺ إلى

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الصحابي ذو الشهادتين (ت : ٣٧هـ). انظر السير (٢/٤٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣/٣٠٨) ، كتاب الأقضية ، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به، ح(٣٦٠٧)، والإمام أحمد في المسند (٥/٢١٥-٢١٦). وقال شعيب الأرنوؤط: إسناده صحيح. انظر سير أعلام النبلاء (٢/٤٨٦) حاشية (٣).

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٨.



يومنا هذا ولو كانت الصحابة والتابعون تشهد على بياعاتها وأشريتها لورد النقل به متواتراً مستفيضاً ، ولأنكرت على فاعله ترك الإشهاد[(١)].

٢- وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإشهاد كان واجباً ثم نسخ الوجوب بقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾[(٢)] .

٣- وذهب أهل الظاهر والإمام الطبري والإمام محمد بن علي القصاب إلى أن الأمر بالإشهاد محمول على الوجوب[(٣)]. وأدلتهم :

أ- قوله تعالى :﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ وظاهر الأمر للوجوب.

ب- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كانت تحته امرأة سيئة فلم يطلقها ورجل كان له مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾[(٤)] »[(٥)].

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٦).

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣. وهذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (٦/٤٨، ٤٩) عن عامر الشعبي والحسن وابن زيد. وانظر أيضاً أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥).

(٣) انظر المحلى (٨/٨٠) ، ونكت القرآن الدالة على البيان (١/١٦٢، ١٦٣) ، وقد تقدم نقل كلام الطبري في هذا.

(٤) سورة النساء ، الآية : ٥.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٣١) ، كتاب التفسير مرفوعاً وقال: على شرط =



وروي أيضاً ما يفيد الوجوب عن بعض الصحابة والتابعين غير أبي موسى الأشعري[١].

هذه أقوال المختلفين في الإشهاد على البيع وأدلتهم ، وقد نوقشت بعض هذه الأقوال والأدلة بما يلي:

١- أما من يقول بالنسخ فقد ناقشهم ابن حزم بقوله: «دعوى النسخ جملة لا يجوز إلا ببرهان متيقن؛ لأن كلام الله تعالى إنما ورد ليؤتمر له ويطاع بالعمل به لا لتركه ، والنسخ يوجب الترك فلا يجوز لأحد أن يقول في شيء أمره الله تعالى به هذا لا تلزمني طاعته إلا بنص آخر عن الله عز وجل ، أو عن رسوله عليه السلام بأنه قد نسخ ، وإلا فالقول بذلك لا يجوز»[٢].

وقال الإمام الطبري : لو كان مثل هذا ناسخاً لكان قوله :﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ﴾[٣] ناسـخاً للوضـوء بالماء ، وقوله: ﴿ فَمَن

=

الشيخين ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً ، ورفعه معاذ بن معاذ عنه.

(١) كابن عمر وإبراهيم وعطاء . انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٣/٤٠٢)، والمغني (٤/٣٠٢) وقد ذكر الأخيران غير هؤلاء أيضاً.

(٢) المحلى (٨/٣٤٦).

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦.



لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ ﴾[(١)] ناسخاً قوله:﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[(٢)]

ونقول أيضاً : إنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، فأما إن كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء[(٣)].

وقال الجصاص[(٤)] : إن قوله تعالى:﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾[(٥)] لم يتبين تأخر نزوله عن صدر الآية المشتملة على الأمر بالإشهاد ، بل وردا معاً ، ولا يجوز أن يرد الناسخ والمنسوخ معاً في حالة واحدة[(٦)].

٢- وأما أدلة القائلين بالوجوب فنوقش بعضها بما يلي:

أ- الأثر المروي عن أبي موسى ناقشه الجصاص بقوله: ((لا دلالة على أنه رآه واجباً ألا ترى أنه ذكر معه من له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ولا خلاف أنه ليس بواجب على من له امرأة سيئة الخلق أن يطلقها، وإنما

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٤.

(٢) سورة المجادلة ، الاية : ٣. وهذا الجواب بتصرف من كلام الإمام الطبري الذي أحال عليه. انظر جامع البيان (٦/٥٤،٥٣).

(٣) انظر تفسيره (٦/٥٤) . وقد تقدم بعض هذا في مسألة كتابة الدين.

(٤) أحمد بن علي الرازي ، الإمام العلامة المجتهد (ت: ٣٧٠هـ) انظر السير (١٦/٣٤٠).

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٦) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥-٢٠٦) فقد ناقشهم بنحو هذا.

هذا القول منه على أن فاعل ذلك تارك للاحتياط والتوصل إلى ما جعل الله تعالى له فيه المخرج والخلاص»[١].

ب- ما روي عن ابن عمر أنه كان يشهد ، وعن إبراهيم وعطاء أنهما يشهدان على القليل كله عندنا أنهم رأوه ندباً لا إيجاباً[٢].

٣- وأما أدلة الجمهور فقد ناقش بعضها ابن حزم بما يلي:

الحديث الذي فيه ذكر شراء الفرس وأن النبي ﷺ لم يشهد فقد ناقشه من ثلاثة وجوه:

١) أنه خبر لا يصح لأنه راجع إلى عمارة بن خزيمة وهو مجهول.

٢) لو صح لما كانت لهم فيه حجة ؛ لأنه ليس فيه أن الأمر تأخر مقدار مدة يمكن فيها الإشهاد... وإنما فيه أن رسول الله ﷺ ابتاع منه الفرس ثم استتبعه ليوفيه الثمن فأسرع عليه السلام وأبطأ الأعرابي والبيع لا يتم إلا بالتفرق بالأبدان ففارقه النبي ﷺ ليتم البيع وإلا فلم يكن تم بعد ، وإنما يجب الإشهاد بعد تمام البيع وصحته ، لا قبل أن يتم.

٣) لو صح أنه عليه السلام ترك الإشهاد وهو قادر عليه بعد تمام البيع فليس فيه أنه كان بعد نزول الآية ونحن نقر بأن الإشهاد إنما وجب بنـــزول الآية لا قبل نزولها[٣].

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٠٦).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/٢٠٦).

(٣) انظر المحلى (٨/٣٤٨).



وبعد : فالذي يظهر – والله أعلم – أن الإشهاد على البيع ليس حتماً يعصي التارك له ويأثم إلا أنه الخير الذي لا يعتاض منه ، ولا ينبغي أن يفرط فيه لا سيما في ما له خطر وشأن.

أما أنه لا يعصي التارك له فلأن الله سبحانه وتعالى قال :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) والرسول ﷺ أشهد أحياناً(٢) ، وترك الإشهاد أحياناً كما في الحديث الذي تقدم ذكره أن النبي اشترى فرساً من أعرابي ولم يشهد . فدل هذا على أن الأمر في قوله تعالى:﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ليس حتماً كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به على الحتم والإلزام. ولأن الله سبحانه وتعالى قال:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٣) ولو حمل الأمر على الوجوب لشق ذلك على المسلمين إذ أن البيع والشراء

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤.

(٢) كما جاء في الحديث الذي رواه العداء بن خالد بن هوذة وفيه «هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله ﷺ اشترى منه عبداً أو أمة ، لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم للمسلم» . أخرجه ابن ماجة في سننه (٢/٧٥٦)، كتاب التجارات ، باب شراء الرقيق ، ح(٢٢٥١) . وقال الشيخ الألباني : حسن. انظر صحيح سنن ابن ماجة (٢/٢٣).

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٨.



يكثر بين الناس ولا يتأتى في كل وقت وجود الشاهد ثم قد يكون البيع والشراء في أمور يسيرة لا تساوي البحث عن الشاهد وإحضاره وما في ذلك من مشقة . لكن لا ينبغي إهمال الإشهاد – خاصة فيما له خطر وشأن – والنظر إليه على أن فعله وتركه سيان ، بل فعله هو الأحوط للدين والدنيا معاً ، وإلى هذا أشار الإمام الشافعي – وهو ممن لا يرى الوجوب – بقوله : «والذي أختار أن لا يدع المتبايعان الإشهاد ، وذلك أهما إذا أشهدا لم يبق في أنفسهما شيء ؛ لأن ذلك إن كان حتماً فقد أدياه ، وإن كان دلالة فقد أخذ بالحظ فيها ، وكل ما ندب الله تعالى إليه من فرض أو دلالة فهو بركة على من فعله ، ألا ترى أن الإشهاد في البيع إن كان فيه دلالة كان فيه أن المتبايعين أو أحدهما إن أراد ظلماً قامت البينة عليه فيمنع من الظلم الذي يأثم به ، وإن كان تاركاً لا يمنع منه ولو نسي أو وهم فجحد منع من المأثم على ذلك بالبينة وكذلك ورثتهما بعدهما...»[1].

وهذا الترجيح لا يقلقه ما اعترض به أبو محمد الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى .

١- لأن قوله عن حديث شراء النبي للفرس وإنكار الأعرابي للبيع لا يصح من أجل أن في سنده عمارة بن خزيمة وهو مجهول ، لا يسلم له ما

---

(١) الأم (٣/٨٧-٨٨).



قال في عمارة ، فقد تقدمت ترجمته وأن الحافظ: قال ثقة. وأيضاً فقد ترجمه في تهذيب التهذيب ، وأورد توثيق الأئمة له ثم قال: ((وغفل ابن حزم في المحلى قال: إنه مجهول لا يُدرى من هو))[1].

٢- وأما قوله : إن مفارقة النبي ﷺ للأعرابي كان من أجل أن يتم البيع . فيه بعد إذ ظاهر الحديث أنه قد تم البيع ولو لم يكن قد تم لما قال له النبي ﷺ : ((بلى قد ابتعته منك)) منكراً عليه قوله: ((لا والله ما بعتكه)). فالبيع قد تم من غير إشهاد ، ومفارقة النبي ﷺ له إنما هو من أجل أن يقضيه ثمن فرسه.

٣- أما إشارته إلى أن الآية ناسخة للحديث . فالجواب : أن الأصل عدم النسخ.

٣٧- أخرج الإمام الطبري-رحمه الله تعالى - بسنده ((عن الضحاك في قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾[2] إنما يعني بذلك في السفر ، فأما الحضر فلا، وهو واجد كاتباً ، فليس له أن يرهن ولا يأمن بعضهم بعضاً))[3]. ((قال أبو جعفر وهذا الذي قاله

---

(١) تهذيب التهذيب (٤١٦/٧).

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٣ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩٨/٦) عن الضحاك من طريق جويبر ، وهي طريق ضعيفة كما هو معروف عند أهل العلم.



الضحاك من أنه ليس لرب الدين ائتمان المدين وهو واجد إلى الكاتب والكتاب والإشهاد عليه سبيلاً - وإن كان في سفر - فكما قال ؛ لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل . وأما ما قاله ؛ من أن الأمر في الرهن أيضاً كذلك مثل الائتمان : في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلاً ، في حضر أو سفر ، فإنه قول لا معنى له ؛ لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ : أنه اشترى طعاماً نَساءً ورهن به درعاً لـــه»[(١)].

واســـتدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري موافقته على قول الضحاك في عدم الائتمان عند توفر أسباب الكتابة والإشهاد ، فقال: «وذهب الضحاك ومجاهد[(٢)] إلى أن الرهن والائتمان إنما هو في السفر ، وأما في الحضر فلا ينبغي شيء من ذلك ، وضعف الطبري قولهما في الرهن بحسب الحديث الثابت الذي ذكرته ، وقوى

---

(١) جامع البيان (٩٨/٦) . والحديث الذي أشار إليه الطبري في صحيح البخاري - مـــع الفتـــح - (١٤٠/٥) ، كتاب الرهـــن ، باب في الرهـــن في الحضـــر...، ح (٢٥٠٨) . وصحيح مسلم (١٢٢٦/٣) ، كتاب المساقاة ، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر ، ح (١٦٠٣).

(٢) قول مجاهد أخرجه الطبري في جامع البيان (٩٥/٦) من طريق ابن أبي نجيح . وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٣٨/١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/١) ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.



قولهما في الائتمان ، والصحيح ضعف القول في الفصلين، بل يقع الائتمان في الحضر كثيراً ويحسن»(١).

هذه المسألة تتعلق بكتابة الدين ، وقد تقدم بحث ذلك ، وترجيح قول من قال بوجوب الكتابة، وذكر الأدلة هناك فلا نعيد(٢).

٣٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : القول في تأويل قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(٣) ثم ذكر معناها ، وما قيل فيها عن السلف(٤). ثم قال : «قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك؟. قيل: إن النسيان على وجهين : أحدهما : على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكّل به ، وضعف عقله عن احتماله . فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به ، وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة ،

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٧٥).

(٢) انظر المسألة رقم (٣٤).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٤) جامع البيان (٦/١٣٢).



فقال في ذلك : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١) . وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾(٢) فرغبة العبد إلى الله عز وجل بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فيـما كان من نسـيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ، ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً ، كفراً بالله عز وجل فإن ذلك إذا كان كفراً بالله فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به فمسألته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله خطأ . وإنما تكون مسألته المغفرة في ما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاة أو صياماً باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما.

وأما الذي العبد به غير مؤاخذ ، لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته فإن ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له ؛ لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب. وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٥.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥١.



تذكره وحفظه ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجد منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الرب مغفرته ؛ لأنه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه.

وكذلك الخطأ وجهان : أحدهما : من وجه ما نُهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ يقال منه «خطئ فلان وأخطأ » في ما أتى من الفعل ، و « أثم » إذا أتى ما يأثم فيه وركبه، ومنه قول الشاعر[1]:

الناس يلحون الأمير إذا هم   خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

يعني أخطأوا الصواب ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً.

والوجه الآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظن منه بأن له فعله ، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً وهو يحسب أن الفجر لم يطلع ، أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها فيخرج وقتها ، وهو يرى أن وقتها لم يدخل فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد الذي وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه ، فلا وجه لمسألة

---

(١) عبيد بن الأبرص بن عوف ، شاعر جاهلي . انظر خزانة الأدب (٢/٢١٥). وبيته هذا في ديوانه ص (٥٨)، وفي اللسان (١/٢٠٤) «أمر».



العبد ربه أن لا يؤاخذه به . وقد زعم قوم أن مسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسي أو أخطأ ، إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة ، فأما على وجه مسألته الصفح ، فما لا وجه له عندهم»[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعله النسيان في هذه الآية بمعنى الترك ، ومن جعله الخطأ أنه الخطأ المقصود ، فقال : «واختلف الناس في معنى قوله: ﴿ نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فذهب الطبري وغيره إلى أن النسيان بمعنى الترك ، أي إن تركنا شيئاً من طاعتك، وأنه الخطأ المقصود ، قالوا : وأما النسيان الذي يغلب المرء والخطأ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع عن المرء فليس بمأمور في الدعاء بأن لا يؤاخذ به ، وذهب كثير من العلماء إلى أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب ، والخطأ غير المقصود ، وهذا هو الصحيح عندي.

قال قتادة - في تفسير الآية - : بلغني أن النبي ﷺ قال : «إن الله تجاوز لأمتي عن نسيانها وخطئها»[(٢)] وقال السدي : لما نزلت هذه الآية فقالوها ، قال جبريل للنبي ﷺ «قد فعل الله ذلك يا محمد»[(٣)] قال القاضي

---

(١) جامع البيان (١٣٣/٦-١٣٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣٢/٦) بنحوه، وسيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيــان (١٣٢/٦) بلفظ قال له جبريل ﷺ فقل ذلك يا

=



أبو محمد : فظاهر قوليهما ما صححته ؛ وذلك أن المؤمنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] أمروا بالدعـــاء في دفع ذلك النوع الذي ليس من طاقة الإنسان دفعه ، وذلك في النسيان والخطأ. والأصر الثقل وما لا يطاق على أتم أنواعه ، وهذه الآية على هذا القول تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق ؛ ولذلك أُمر المؤمنون بالدعاء في أن لا يقع هذا الجائز الصعب، ومذهب الطبري والزجاج أن تكليف ما لا يطاق غير جائز ، فالنسيان عندهم المتروك من الطاعات ، والخطأ هو المقصود من العصيان»[2].

هذه المسألة محل خلاف بين علماء التفسير ، فمنهم من يفسر الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري[3].

ومنهم من يفســـرها بما ذهب إليه القاضي ابن عطيـــة[4] . وهو قول

=

محمد . وسيأتي تخريجه قريباً.

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤.

(٢) المحرر الوجيز (٣٩١/٢-٣٩٢).

(٣) انظر زاد المسير (٣٤٧/١) ، والوسيط (٤١٠/١) ، ووضح البرهان (٢٣١/١).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٣١/٣)، والانتصاف من الكشاف (٤٠٨/١) ، وتفسير ابن كثير (٣٤٣/١)، والتسهيل (١٧٦/١)، وفتح القدير (٣٠٧/١) ، وإصلاح الوجوه والنظائر ص(١٥٩).

الأكثرين[١].

وحكى أبو حيان والثعالبي قول الطبري ، وتصحيح ابن عطية للقول المخالف له و لم يعقبا على ذلك بشيء[٢].

والذي يظهر - والله أعلم - أن الصواب في معنى الخطأ والنسيان ما صححه القاضي ابن عطية؛ لما ذكره من دليل وتعليل ، وتفصيل بعض ذلك في ما يلي:

أخرج الإمام مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لما نزلت هذه الآيـة : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٣] قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء. فقال النبي ﷺ : «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» . قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم . فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (قـال : قد فعـلت) ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ (قال: قد فعلت) ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ

---

(١) قاله البغوي في معالم التنـزيل (١/٢٧٤).

(٢) انظر البحر (٢/٣٨٣) ، والجواهر الحسان (١/٢٨٥، ٢٨٦).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤.



مَوۡلَىٰنَا ﴾ (قال : قد فعلت)[١].

وفي رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - «قال : نعم» [٢].

والشاهد في الحديث : «قال : قد فعلت - قال : نعم». ووجه الاستشهاد : أن الله تعالى قال: «قد فعلت» وهذا لا يناسبه ما ذهب إليه الإمام الطبري إذ كيف نحمل النسيان على التفريط والتضييع والترك للمأمور . ونحمل الخطأ على أنه الذي يكون عن قصد وإرادة للخطأ ثم يقول الله عز وجل: قد أسقطت عنك إثم ذلك الخطأ والنسيان.

بل الصواب أن من كان هذا حاله فهو تحت مشيئة الله - إن مات قبل التوبة - إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له[٣] ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٤] .

وأما حمل الحديث على المعنى الذي صححه ابن عطية فهو مناسب إذ يكون معناه : قد فعلت فاستجبت لكم ، ووضعت عنكم ذلك الجائز الصعب من مؤاخذتكم بالنسيان ، الذي هو ضد الذكر، وبالخطأ الذي هو ضد العمد.

---

(١) صحيح مسلم (١١٦/١) ، كتاب الإيمان ، ح(١٢٦).

(٢) المصدر السابق ، كتاب الإيمان ، ح(١٢٥).

(٣) انظر معالم التنـــزيل (٢٧٤/١).

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٦.



وأما الاعتراضات التي أشار إليها الإمام الطبري فهي غير مانعة من حمل الآية على ما صححه ابن عطية؛ لأن قوله - رحمه الله - : إن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد ... فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه به ، يجاب عنه بما ذكره الطبري - نفسه - عن قوم أنهم قالوا : إن مسألة العبد ربه ألا يؤاخذه بما نسي أو أخطأ إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له، والخضوع بالمسألة.

قلت: - ومع أن الطبري قد صدر هذه الإجابة بما يفيد أنه غير مسلم بها - فهي إجابة قوية ، لدلالة القرآن عليها في أكثر من آية ، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[3].

وأما ما حكاه الإمام الطبري من قول القائل : وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه ألا يؤاخذهم بذلك؟.

فالإجابة على هذا السؤال ما ذكره العلامة أبو السعود بقوله : «أي لا

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦.



تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ ، من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ، أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر ، أو مطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسموم ، فكما أن تناولهما ولو سهواً أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضاً لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة، ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه ، فإن ذلك من آثار فضله ورحمته ، كما ينبئ عنه الرفع في قوله – عليه السلام – : «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»[(١)].

وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة . فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة ، والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾[(٢)] »[(٣)].

---

(١) أخرجه الدارقطني في السنن (٤/١٧٠، ١٧١) من حديث ابن عباس ، وابن حبان في صحيحه – الإحسان – (١٦/٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٢١٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . ووافقه الذهبي. وعند هؤلاء بلفظ « تجاوز لأمتي » وهو اللفظ الذي ذكره ابن عطية سابقاً . وقال الشيخ الألباني : «والمشهور في كتب الفقه والأصول بلفظ «رفع عن أمتي» . انظر إرواء الغليل (١/١٢٣) وقد صحح هذا اللفظ في (٨/١٩٤) من كتاب الإرواء.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٤.

(٣) تفسير أبي السعود (١/٢٧٧).

وأما ما أشار إليه ابن عطية من أن المسألة بناها الإمام الطبري على أن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، ثم يرى - ابن عطية - أن له أن يكلفه ما لا يطيق . أقول الإمام الطبري لم يصرح بهذا ، وهذه مسألة عقيمة ، من ثمرات علم الكلام ، والله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بعد أن فصّل القول في مسألة تكليف ما لا يطاق : «وإذا عرف هذا فإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام ، كإطلاق القول: بأن الناس مجبورون على أفعالهم ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك، وذم من يطلقه...»[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٢/٣). ومن أراد التقصي في هذه المسألة - مسألة التكليف بما لا يطاق - فلينظر الإبهاج (١٦٢/١)، ونزهة الخاطر العاطر (١٣٩/١)، وأصول الفقه لمحمد أبي النور (١٧٢/١، ١٧٣).



سورة آل عمران

١- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾[1] –: «وأما المقنطرة» فهي المضعفة، وكأن القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة ، وهو كما قال الربيع بن أنس: «المال الكثير بعضه على بعض»[2]. ثم ساق بسنده إلى بعض التابعين أنهم فسرو الآية على هذا القول[3]. ولم ير ابن عطية هذا الذي قاله الإمام الطبري، فقال –بعد أن ذكر رأي الإمام الطبري وغيره في معنى «مقنطرة»–: «والذي أقول: إنها إشارة إلى حضور المال، وكونه عتيداً،فذلك أشهى في أمره؛ وذلك أنك تقول في رجل غني من الحيوان والأملاك: فلان صاحب قناطير مال ، أي لو قومت أملاكه لاجتمع من ذلك ما يعدل قناطير، وتقول في صاحب المال الحاضر العتيد : هو صاحب قناطير مقنطرة، أي قد حصلت كذلك بالفعل بها، أي قنطرت فهي مقنطرة، وذلك أشهى للنفوس، وأقرب للانتفاع وبلوغ الآمال. وقد قال مروان بن الحكم[4]:ما

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٤ .

(٢) جامع البيان (٦/٢٤٩) .

(٣) انظر المصدر السابق (٦/٢٥٠،٢٤٩) .

(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي،كان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء . (ت:٦٥هـ). انظر السير (٣/٤٧٦).

المال إلا ما حازته العياب[1]، وإذا كان هذا فسواء كان المال مســـكوكا، أو غير مسكوك، أما أن المسكوك أشهى لما ذكرناه، ولكن لا تعطي ذلك لفظة ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾[2].

ظاهر ما فعله القاضي ابن عطية من ذكره لقول الإمـــام الطـــبري وغيره، ثم تعقيبه على ذلك بقوله :« والذي أقـــول ... إلخ » أن ذلـــك استدراك منه على قول الطبري وغيره.

والآن نعرض رأي أرباب المعاني وأهل التفسير في تفسير ما وقع فيه الخلاف.

اختلف المفسرون في معنى هذه الكلمة ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ على أكثـــر من قول ملخصها كالتالي:

١ – ذهب بعض المفسرين من التابعين إلى أن معناها المال الكثير بعضه على بعض[3].

٢ـــ وروي عن الســـدي أنه قال في قـــوله : ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ هي

---

(١) العياب، جمع، ومفردها «عيبة» وهو: وعاء من أدم يكون فيه المتاع. انظر لسان العرب (٩/٤٩٠) «عيب» .

(٢) المحرر الوجيز (٣/٣٤) .

(٣) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان(٦/٢٥٠،٢٤٩) عن قتادة من طريق سعيد، وعن الضحاك من طريق عبيد بن سليمان أنه قال: المال الكثير من الذهب والفضة.



المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم[١].

٣ – وقال الفراء: القناطير ثلاثة ،والمقنطرة تسعة[٢].

٤ – وقال أبو عبيدة : ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ منفعلة ، مثل قولك ألف مؤلفة[٣]. وذكر النحاس نحو هذا القول[٤] ، وكذلك ابن قتيبة من قبله[٥].

٥ – وقال الراغب : وقوله :﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ أي المجموعة قنطاراً قنطاراً، كقولك دراهم مدرهمة ، ودنانير مدنرة[٦] .

٦ – ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ قيل : المحكمة المحصنة، من قنطرت الشيء إذا عقدته وأحكمته. ذكره الألوسي[٧] .

٧ – وقال يمان[٨] :

---

(١) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٦/٢٥٠) عن السدي عن طريق أسباط .

(٢) انظر معاني القرآن (١/١٩٥).

(٣) انظر مجاز القرآن(١/٨٨) . ونحوه قول مكي« المقنطرة »المكملة.

(٤) انظر معاني القرآن (١/٣٦٧) ونص كلامه «أي مكملة كما تقول : آلاف مؤلفة».

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص (١٠٢) .

(٦) المفردات ص(٤٠٧).

(٧) انظر روح المعاني (٣/١٠٠)، والقول من غير تعليل نسبه البغوي في معالم التنزيل (١/٢٨٤) إلى الضحاك.

(٨) هكذا أورده الكرماني وأبو حيان من غير نسبة، ولعله: يمان بن رئاب الخراساني، قال الدار قطني ضعيف يرى رأي الخوارج.انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي

=

المدفونة[1] .

٨ – وقيل المخزونة ، المدفونة ، حكاه أبو حيان[2].

٩ – وقال ابن عطية: الحاضرة العتيدة[3] . ونحوه قال النيسابوري[4].

وفي نظري أن أمثل هذه الأقوال التسعة في معنى ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ هو الذي قاله الراغب من أنها: المجموعة قنطاراً قنطاراً؛ لأن هذا هو الـذي يفيـده اللفظ ، فإنه يفيد أن هناك عملاً قام به رب المال بعد أن اجتمع عنده منه الشيء الكثير وذلك هو تجزئته قنطاراً قنطاراً ، وإذا كان كـذلك فهـو «مقنطر» اسم مفعول.

ومما يزيد هذا القول قوة أنه لا ينفي الأقوال الأخرى المعتبرة. فقـول الإمام الطبري: إنه المضعف وهو المال الكثير بعضه على بعض صحيح؛ إذ لا يمكن تجزئة المال قنطاراً قنطاراً فيكون « مقنطراً » إلا إذا كان متصـفاً بالكثرة .

=

(٣/٢١٨)، وميزان الإعتدال (٤/٤٦٠).

(١) انظر غرائب التفسير (١/٢٤٦) .

(٢) انظر البحر (٢/٤١٥) .

(٣) انظر المحرر الوجيز (٣/٣٤) .

(٤) انظر وضح البرهان (١/٢٣٦) والنيسابوري هو: محمود بن أبي الحسن النيسابوري، كان مفسراً لغوياً (ت: ٥٥٥هـ)انظر طبقات المفسرين (٢/٣١١). ومقدمة المحقق لوضح البرهان (١/١٥).

وقول ابن عطية : إنه المال الحاضر العتيد صحيح على هذا القول؛ لأنه لا يمكن أن يجزأ إلى هذا القدر الذي كان معروفاً لديهم « بالقنطار » إلا المال الحاضر المعد من الذهب والفضة فأما العقار والمواشي والأطيان من أنواع الأموال المعروفة فهو شيء متفرق ولا يصلح أن يقال فيه : «مقنطر»، إذ في الآية ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾.

وأما قول أبي عبيدة وابن قتيبة والنحاس فمؤداها واحد وهو المال المكمَّل المجمع الكثير كما يقال : ألوف مؤلفة، وهو داخل تحت هذا القول، والتعليل فيه كالتعليل لقول الإمام الطبري .

وأما القول الذي حكاه الألوسي أن ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ المحكمة المحصنة فهذا صحيح من حيث الاشتقاق، ولذلك قال الزجاج : والذي يخرج في اللغة أن القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة مأخوذة من ذلك[(١)]. إذاً فقوله«المحكمة المحصنة» صفة عامة تقال في «القنطار» و«القنطرة» و«المقنطر» أيضاً. ولا يصلح أن تستقل بالمعنى، لأنها لا تدل على التجزئة المقصودة هنا في لفظ «مقنطرة».

وأما القول السابع والثامن فهما متقاربان ، وقد عد السابع في غرائب التفسير[(٢)].

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه(١/٣٨٣).

(٢) انظر غرائب التفسير (١/٢٤٦).



والثامن مثله؛ لأنهما قولان بعيدان عما يفيده لفظ «مقنطرة».

أما القول الثاني: وهو الذي روي عن السدي أن المقصود «بالمقنطرة» هي المضروبة حتى صارت دنانير ودراهم، فالأمر فيه كما قال القاضي ابن عطية : هو أشهى للنفوس ولكن لا تعطي ذلك لفظة ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ .

وأما القول الثالث: وهو الذي قاله الفراء: من أن القنـاطير ثلاثـة، والمقنطرة تسعة . فقد نقد أبو حيان هذا القول بأنه تحكم، وقال فيمن علل لصحة هذا القول بأنه جمع الجمع: هذا غير صحيح[1].

فالواضح في معنى ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ هو ما قاله الراغـب، والأقـوال المعتبرة لها مخرج على هذا المعنى، وأما البعيدة فقد بيّن سبب بعدها.

وبهذا يتبين أن قولي الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية هما من لوازم المعنى للفظ ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ ولا يستقلان بالمعنى .

٢ – قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – « القول في تأويل قوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] قال أبو جعفر: يعـني

(١) انظر البحر المحيط (٢/٤١٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨).



بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم . فـ ﴿ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ معطوف بهم على اسم ﴿ ٱللَّهُ ﴾ و ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ مفتوحة بـ ﴿ شَهِدَ ﴾ قال أبو جعفر: وكان بعض البصريين يتأول قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ قضى الله، ويرفع ﴿ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ بمعنى والملائكة شهود وأولو العلم. وهكذا قرأت قرَأة أهل الإسلام بفتح الألف من ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ على ما ذكرت من إعمال ﴿ شَهِدَ ﴾ في ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ الأولى. وكسر الألف من ﴿إِنَّ﴾ الثانية[1] وابتدائها. سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما بمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وأن الدين عند الله الإسلام، فعطف بـ ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ ﴾ على ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ الأولى ثم حذف واو العطف، وهي مرادة في الكلام[2].

واستدرك القاضي ابن عطية-رحمه الله تعالى- على الإمام الطبري تقدير واو العطف المحذوفة، فقال -بعد أن ذكر معنى الآية-: «وقرأ جميع القراء ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ ﴾[3] بفتح الألف من ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ وبكسرها من

---

(١) يعني التي في صدر الآية ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ آية (١٩) سورة آل عمران.

(٢) جامع البيان(٦/٢٦٧، ٢٦٨).

(٣) كان الأولى أن يأتي بالإثبات ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ واستئناف الكلام. وقرأ الكسائي وحده ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ﴾ بفتح الألف. قال أبو علي: ﴿أَنَّ﴾ بـــدل ﴿أَنَّهُۥ﴾ الأولى، وإن شئت جعلته من بدل الشيء من الشيء وهو هو؛ لأن الإسلام هـــو التوحيد والعدل، وإن شئت جعلته من بدل الاشـــتمال ؛ لأن الإســـلام يشتمل على التوحيد والعدل، وإن شئت جعلت ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ﴾ بـــدلاً من القسط، لأنه هو في المعنى. ووجه الطبري هذه القراءة بـــأن قـــدر في الكلام واو العطف ثم حذفت وهي مرادة، كأنه قال: (وأن الدين) وهذا ضعيف»[1].

محل الاستدراك في هذه المسألة واضح لا يحتاج إلى بيان والكلام عليها على النحوالتالي:

١- لم يصرح الطبري باسم القارئ الذي قرأ بفتـــح الهمزة من قوله: ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[2] إلا أن ابن عطية أفصح عـــن اسمه أنه علي بن حمزة الكسائي، فتبين بهذا أن هـــذه القـــراءة متـــواترة، سبيعة[3].

---

(١) المحرر الوجيز (٣/٤٠، ٤١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) انظر النشر (٢/٢٣٨) وهذا لا يخفى وإنما زدته تأكيداً لئلا يغتر مطلع على جامع البيان فيقبـــل ما قالـــه في رد هذه القراءة، وعجباً أن يصدر منه هذا . وقد أُلفت =



٢- اختلف المعربون والموجهون للقراءات في توجيه قراءة فتح الهمزة من قوله: ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

وخلاصة ذلك في ما يلي:

القول الأول: أنها بدل، ثم اختلف هؤلاء ممَّ تبدل:

فقيل: بدل من ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وعلى هذا فنوع البدل فيه وجهان:

الأول: بدل الشيء من الشيء، وذلك أن الدين الذي هو الإسلام يتضمن العدل والتوحيد وهو هو في المعنى.

الثاني: أنه بدل اشتمال؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل.

وقيل : ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ بدل من قوله : ﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ وعلى هذا فنوع البدل فيه وجهان:

الوجه الأول: بدل الشيء من الشيء؛ لأن دين الإسلام قسط وعدل.

الوجه الثاني: بدل اشتمال؛ لأن دين الإسلام مشتمل على القسط، وهو العدل . وهذا كله ذكره أبو علي الفارسي في الحجة[1] ، ومكي بن

=

رسالة علمية في القراءات التي أنكرها الإمام الطبري ونص كلامه في إنكار هذه القراءة المتواترة أن قال : «وكفى شاهداً على خطأ قراءته خروجها من قراءة أهل الإسلام» انظر جامع البيان (٦/٢٦٨) .

(١) انظر (٣/٢٣).



أبي طالب في الكشف[١]، وذكر بعضه الزمخشري في كشافه[٢]، وفصـــله تفصيلاً السمين في الدر[٣].

القول الثاني- في توجيه فتح الهمزة مـــن ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ - أن يكون ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ ﴾ معطوفاً على ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قاله الزجاج والطبري[٤]، وذكره غيرهما وجهاً[٥].

القول الثالث: أن يكون معمولاً لقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾، أي شـــهد الله بأن الدين، فلما حذف الحرف جاز أن يحكم على موضعه بالنصب أو الجر، أشار إليه الفراء في معاني القـــرآن[٦]، وقـــرره الســـمين في الـــدر المصون[٧].

فإن قيل: قد استغنى الفعل ﴿ شَهِدَ ﴾ بـــ ﴿ أَنَّ ﴾ الأولى فهي الـــتي معمولة له – ويعني بأن الأولى التي في قوله : ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾-

---

(١) انظر (٣٣٨/١).

(٢) انظر (٤١٨/١).

(٣) انظر (٨٣/٣).

(٤) انظر معاني القرآن (٣٨٦/١)، و جامع البيان (٢٦٨/٦).

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (٣٧٠/١)، ومعالم التنـــزيل (٢٨٦/١).

(٦) انظر (١٩٩/١).

(٧) انظر (٨٥/٣-٨٦).



فلا يتجه هذا القول. فالجواب: بل هو متجه بأن تجعل الأولى على حذف لام العلة، فيكون التقدير: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام لأنه لا إله إلا هو[١].

القول الرابع: أن يكون في موضع المعمول للحكيم بإسقاط حرف الجر، والتقدير بأن؛ لأن الحكيم فعيل للمبالغة كالعليم والسميع والخبير، والتقدير: لا إله إلا هو العزيز الحاكم أن الدين عند الله الإسلام[٢].

٣ – وأختم هذه المسألة بذكر الأشياء التالية:

١ – أكثر من رأيت من المعربين والمفسرين يجعل إعراب ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ بدلاً[٣].

وقد ذكر الفخر الرازي أن هذا القول مذهب بصري[٤].

٢ – اعترض أبو حيان على جعله بدلاً، بأنه غير جيد؛ لأنه يؤدي إلى تركيب بعيد أن يأتي مثله في كلام العرب . حاصله أنه فصل بين البدل

---

(١) الاعتراض وجوابه بتصرف من الدر المصون (٣/٨٦).

(٢) قاله أبو حيان في البحر (٢/٤٢٥).

(٣) انظر المكتفى في الوقف والابتدا ص(١٩٨)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/١٩٥)، والتبيان في إعراب القرآن (٢٤٨)، ووضح البرهان(١/٢٣٧)، والوسيط(١/٤٢٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٨٢)، وتفسير البيضاوي (١/١٥٣)، وتفسير النسفي (١/١٤٩) ، وروح المعاني (٣/١٠٦)، والتحرير والتنوير (٣/١٨٨) .

(٤) انظر التفسير الكبير (٧/١٨٠).



وهو ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ ﴾ والمبدل منه وهو ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بالعطف وهو ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ وهذا الفصل لا يجوز.

ثم أنه فصل – أيضاً – بين البدل والمبدل منه بالحال وهو ﴿ قَآئِمًا ﴾ وهذه الحال لغير المبدل منه، وهو لا يجوز؛ لأنه فصل بأجنبي[1].

وقد أجاب تلميذه السمين عن الاعتراض بقوله: «و لا يظهر لي منع ذلك ولا عدم صحة تركيبه حتى يقول: ليس بجيد وبعيد أن يأتي عن العرب مثله»[2].

٣ – اعترض الواحدي على الثالث بأنه لو كان كذلك لم يحسن إعادة الاسم الجليل (الله) مظهراً، ولكان التركيب (أن الدين عنده الإسلام) لأن الاسم قد سبق فالوجه الكناية.

وأجاب: بأن العرب ربما أظهرت في موضع الإضمار، ويزيده حسناً هنا أنه في موضع تعظيم وتفخيم[3].

٤ – وافق أبو حيان على تضعيف القاضي ابن عطية لما ذهب إليه الإمام الطبري فقال – بعد أن حكى قول الطبري– «قال ابن عطية: هذا ضعيف، و لم يبين وجه ضعفه، ووجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع إضمار

(١) انظر البحر (٢/٤٢٥).
(٢) الدر المصون (٣/٨٤).
(٣) انظر الدر المصون (٣/٨٦).



حرف العطف فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية، وبجملتي الاعتراض، وصار في التركيب دون مرعاة الفصل نحو (أكل زيد خبزاً وعمرو سمكاً) وأصل التركيب (أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكاً) فإن فصلنا بين قولك (وعمرو) وبين قولك (وسمكاً) يحصل شنع التركيب، وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح»[1].

قلت: حكم أبو حيان أن استدراك ابن عطية وارد على الإمام الطبري، وليس لي كلام بعد أبي حيان إلا أنني أقول لعل الإمام الطبري لا يرى هذا الإعراب، وإنما نقل لنا قراءة الكسائي وإعرابه لها، لأنني رأيت أبا جعفر النحاس يقول: «قال الكسائي: أنصبهما جميعاً، بمعنى شهد الله أنه كذا، وأن الدين عند الله الإسلام »[2].

و مما يؤيد هذا أن الإمام الطبري يزعم أن القراءة التي قرأ بها الكسائي مردودة[3].

٥ – الظاهر أن القاضي ابن عطية يرى في هذه المسألة البدلية ولعل هذا أمثل ما قيل فيها لأن ذلك قد جاء عن أكثر الأئمة _ فيما رأيت –

---

(١) البحر المحيط (٢/٢٤٥).

(٢) معاني القرآن الكريم (١/٣٧٠).

(٣) انظر جامع البيان (٦/٢٦٨).وقد أشرت سابقاً إلى أن الإمام الطبري لم يصب في رد قراءة متواترة ونقلت نص كلامه في الحاشية.

وحتى النحاس قد عد البدلية وجهاً في إعرابها[١]. وما قال أبو حيـان في نقد هذا القول لم يسلم له، وقد تقدم جواب تلميذه السمين، ويضاف إلى ما تقدم أيضاً أن السمين قال: ((و ما ادعاه ... أن فيه الفصل بأجنبي فيه نظر إذ هذه الجمل صارت كلها كالجملة الواحدة لما اشتملت عليه مـن تقوية كلمات بعضها ببعض))[٢].

قلت : وقد قال أبو حيان نفسه : ((وأشـبه ما قالوه أن يكون ﴿ أَنَّ ٱلدِّينَ ﴾ بدلاً من قولـه : ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾))[٣].

٣ – قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عنـد قـولـه تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٤] – : ((وأما الذرية فإنها جمع، وقد تكون في معنى الواحد، وهي في هذا الموضع واحد؛ وذلك أن الله عز وجل قال في موضع آخر مخبراً عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[٥]

(١) انظر معاني القرآن (١/٣٧٠).
(٢) الدر المصون (٣/٨٤-٨٥).
(٣) النهر الماد (٢/٤٠٧) .
(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٣٨.
(٥) سورة مريم، الآية : ٥ .



و لم يقل أولياء، فدل على أنه سأل واحداً» [١].

وتعقبه القاضي ابن عطية-رحمه الله تعالى- فقال: «وقال الطبري: إنما أراد هنا بالذرية واحداً، ودليل ذلك طلبه ولياً، و لم يطلب أولياء... وفي ما قال الطبري تعقب، وإنما الذرية والولي اسما جنس يقعان للواحد فما زاد، وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام» [٢].

تبين مما تقدم أن الإمام الطبري يرى أن المقصود بالذرية هنا الواحد؛ لأنها وإن كانت تأتي بمعنى الجمع، فهناك ما يمنع من أن نحملها على ذلك وهو ما جاء في سورة مريم من قوله: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [٣] و لم يقل أولياء.

والقاضي يرى أن الذرية والولي اسما جنس يقعان على الواحد فما زاد فلا يلزم أن زكريا طلب واحداً.

وهذه المسألة محل خلاف بين المفسرين:

فمنهم من ينحو في تفسير الآية منحى القاضي ابن عطية [٤].

والأكثرون – فيما رأيت- يذهبون إلى قول الطبري مدللين بالدليل الذي ذكره [٥].

---

(١) جامع البيان (٣٦٢/٦).

(٢) المحرر الوجيز (٧٠/٣-٧١).

(٣) سورة مريم، الآية: ٥.

(٤) انظر الكشاف (٤٢٨/١)، وتفسير النسفي(١٥٦/١)، والجواهر الحسان(٣١٤/١).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢٠٨/١)،والنكت والعيون(٣٨٩/١)، ومعالم التنزيل =

وقد أشار أبو حيان إلى قول الإمام الطبري واستدراك القاضي ابــن عطية، و لم يعقب على ذلك بشيء[١].

والذي يبدو – والله أعلم – أن استدراك ابن عطية غير وارد، وأن القول قول الإمام الطبري، وذلك للأسباب التالية:

أ- أنه لما كان المرجح الذي رجح به الإمام الطبري – وهو قولـــه: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[٢]- قد يحتمل الواحد، وأكثر وإن كان في الأصل للواحد نظرنا هل هناك دليل آخر يقوي قول الإمام الطـــبري، فوجدنا قول الله تعـــالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[٣] فهذا يدل على أن المقصود بالذرية في قوله:﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ واحـــــد، لأن الله قــــال: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا ﴾

=

(٢٩٧/١)، وزاد المسير (٣٨٠/١)، وغرائب التفسير(٢٥٣/١)، والتفسير الكبير (٣٠/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٧٢/٤)، وتفسير الخازن (٣٤٣/١)، وتفسير أبي السعود (٣١/٢)، والفتوحات الإلهية (٢٦٦/١)، وفتح القدير (٣٣٧/١)، وروح المعاني (١٤٤/٣).

(١) انظر البحر (٤٦٣/٢).

(٢) سورة مريم، الآية : ٥ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.



واستجابة الله معناها أنه أعطاه ما سأل لا بعضه، ثم فسر الاستجابة بإعطائه يحيى وإصلاحه الزوجة، وإصلاح الزوجة بأن هيأها للحمل بعد أن كانت عاقراً[1]، وهذا من اللازم لاستجابة الدعوة.

ب- هذا القول قال به كثير من أهل العلم من بينهم لغويون لا يخفى عليهم- في الغالب- ما تمسك به ابن عطية، فهذا دليل على أنهم لم يروه.

ج- أن الله سبحانه وتعالى قد وصف يحيى بقوله: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[2].

و«الحصور» الذي لا يأتي النساء في قول أكثر المفسرين[3]. فدل ذلك أنه لم يكن ليحيى ذرية حتى يقال: إن ذرية يحيى هم ذرية لزكريا. والله أعلم.

٤- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ

---

(١) انظر جامع البيان (٩/٧٩) وقال ابن عطية: وهذا الذي يشبه الآية. المحرر: (١١/١٦٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩ .

(٣) بهذا قال الإمام الطبري، ورواه عن ابن مسعود، وابن المسيب، وعطاء، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وابن زيد. انظر جامع البيان (٦/٣٧٦، ٣٧٧) وما بعدهما. وذكر ابن عطية أن هذه الصفة مجمع عليها ممن يعتد بقوله. انظر المحرر الوجيز (٣/٧٦).

عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] قال أبو جعفـــر : يعني بذلك جل ثناؤه :

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى [٢]نَذَرْتُ

لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [٣] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ

ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ »[٤].

ورأي القاضي ابن عطية-رحمه الله تعالى — أن الراجح في غـــير مـــا ذهب إليه الإمام الطـــبري فقال : «قال الطبري : العامـــل في ﴿ إِذْ ﴾ قولـــه : ﴿ سَمِيعٌ ﴾ فهو عطف على قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [٥]. وقال كثير من النحاة العامل في ﴿ إِذْ ﴾ في هذه الآية فعـــل مضـــمر تقديره (واذكر) وهذا هو الراجح؛ لأن هذه الآيات كلـــها إنمـــا هـــي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٢.

(٢) «إني» ليست في النسخة التي حققها الشيخ أحمد. وسقوطها سهو؛ لأنها ثابتة في التلاوة، وهي في النسخ الأخرى أيضاً. انظر نسخة دار الكتب العلمية (٣/٢٦٢)، ونسخة بولاق (٣/١٧٩).

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٣٤، ٣٥ .

(٤) جامع البيان (٦/ ٣٩٣) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٣٥.

إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد عليه السلام، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام »[1].

هذا ما يراه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية. فماذا قال النحاة والمفسرون فيما وقع فيه الخلاف؟.

للإطلاع على رأي النحاة والمفسرين كاملاً لا بد أن ننظر في موضعين، الأول عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ فهو الموضع الذي اعترض ابن عطية على الإمام الطبري فيه.

الثاني: عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[2]؛ لأنه القاعدة التي يبنى عليها إعراب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

وعندما رجعت إلى كلامهم عند الآية الثانية رأيتهم يشيرون إشارة إلى إعرابها. فيقولون: إن شئت جعلت هذا الظرف نسقاً على الظرف قبله، وهو قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾[3] وإن شئت جعلته منصوباً

---

(١) المحرر الوجيز (٣/٨٢).

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران ،الآية :٣٥ .

بمقدر[١].

وبعضهم يذكر القولين -اللذين رآهما الإمام الطبري والقاضي ابن عطية - فيقول: عامل الإعراب ها هنا في ﴿ إذ ﴾ هو ما ذكرناه في قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾[٢] من قوله : ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] ثم عطف عليه :﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وقيل : تقديره : واذكر إذ قالت الملائكة[٤] .

و بعضهم أشار إلى زيادة الظرف[٥]، وبعضهم قال : العامل فيها معنى الاصطفاء[٦].

وبعضهم قال : الظرف منصوب بمقدر - في المشهور - والجملة معطوفة على الجملة السابقة، عطف القصة على القصة لكمال المناسبة[٧].

فالحاصل من هذه الأقوال أن الظرف الثاني - على القول بعدم

---

(١) قاله العكبري في التبيان (١/٢٥٩)،و السمين في الدر المصون (٣/١٦٩).

(٢) سورة آل عمران ،الآية ٣٥.

(٣) سورة آل عمران ،الآية ٣٤ .

(٤) قاله الرازي في التفسير الكبير (٨/٣٨).

(٥) انظر مجاز القرآن (١/٩٣).

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٤٠٠).

(٧) انظر روح المعاني (٣/١٥٤).

زيادته – له ثلاثة إعرابات:

الأول : منصوب بفعل مقدر تقديره (اذكر) وهذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة، وهذا هو رأي ابن عطية.

الثاني: منصوب بـ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)]معطوف على السابق . وهذا هو رأي الإمام الطبري.

الثالث: منصوب بمعنى الاصطفاء عطفاً على سابقه.

وأما إعرابهم للظرف الأول فهو كما قيل في الظرف الثاني، إلا أنني أفضل ذكر أقوالهم عنده مرة أخرى نظراً إلى أن الأقوال نسبت إلى أصحابها عنده، واعتراضات العلماء دونت فيه، ولا شك أن ما قيل فيه يجري حكمه على الموضع الثاني، وملخص الأقوال فيه على النحوالتالي:

١- ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة إلى أن ﴿ إِذْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ زائدة[(٢)].

٢- وذهب فريق آخر إلى عدم زيادتها ثم اختلف هؤلاء في إعرابها على ثلاثة أقوال.

أ ـــ قال الأخفش والمبرد: منصوب بفعل مقدر تقديره (اذكر) [(٣)].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٣٤.

(٢) انظر مجاز القرآن (١/٩٠)، وتفسير غريب القرآن ص(١٠٣).

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش (١/٤٠٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/٤٠٠)،

=



ب ــ وذهب الزجاج إلى أن العامل فيّ ﴿ إِذْ ﴾ معنى الاصطفاء فيكون المعنى: واصطفى آل عمران ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[1] واصطفاهم ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾[2].

ج ــ وذهب الإمام الطبري – وإليه نحا صاحب الكشاف[3] – إلى أن الظرف منصوب بـ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

وقد استبعد العلماء القول بزيادة ﴿ إِذْ ﴾ . وقالوا: إنها تدل على ما مضى من الوقت فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغواً؟[5].

واشترطوا لصحة قول الزجاج أن يكون ذلك من باب عطف الجمل،

=

وإعراب القرآن (١/٣٦٩).

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٣٥.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٤٠٠).

(٣) انظر الكشاف (١/٤٢٤). قال أبو حيان: هو ظاهر قول الزمخشري. انظر البحر (٢/٤٥٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/٤٠٠)، والبحر (٢/٤٥٦)، والدر المصون (٣/١٣٠) والتعليل المذكور للأول منهم .



لا من باب عطف المفردات؛ إذ لو جعل من عطف المفردات ، للــزم أن يكون وقت اصطفاء آدم وقت قول امرأة عمران:﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ وليس كذلك لتغاير الزمانين[١]. وهذا جواب عــن إعتراض أورد على هذا القول[٢].

ثم تباينت أقوالهم أمام ما ذهب إليه الإمام الطبري وما رجحه القاضي ابن عطية.

فالزمخشري يجوز الإعرابين ويقدم قول الطــبري في الذكـــر[٣] .

وابن الأنبــاري يجــوز القولــين أيضاً ويقدم في الــذكر مــا رجحــه القاضي ابن عطية[٤]. والرازي يرى رأي الإمــام الطــبري في الموضــع الثاني[٥].

أما محمود بن حمزة الكرماني المقرئ النحوي فإنه يعد قــول الإمــام الطبري في الغريب الضعيف، ويعلل ذلك بقوله: لأن سمعــه وعلمــه – سبحانه- لا يختص بزمان دون زمان[٦].

---

(١) انظر البحر (٢/٤٥٥)، والدر المصون (٣/١٢٩).

(٢) انظر التفسير الكبير (٨/٢٢).

(٣) انظر الكشاف (١/٤٢٤).

(٤) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١/٢٠٠).

(٥) انظر التفسير الكبير (٨/٣٨).

(٦) انظر غرائب التفسير (١/٢٥١).

وينضم إليه في تضعيف هذا القول –بل القول بعدم صحته– أبو حيان فيقول: ولا يصح ذلك؛ لأن قوله: ﴿ عَلِيمٌ ﴾ إما أن يكون خبراً بعـــد خبر، أو وصفاً لقوله: ﴿ سَمِيعٌ ﴾ فإن كان خبراً فلا يجوز الفصل به بين العامل والمعمول ؛ لأنه أجنبي منهما ، وإن كان وصفاً فلا يجوز أن يعمل ﴿ سَمِيعٌ ﴾ في الظرف؛ لأنه قد وصف، واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف قبل أن يأخذ معموله لا يجوز له إذ ذاك أن يعمل، على خـــلاف لبعض الكوفيين في ذلك. ولأن اتصافه تعالى بسميع عليم لا يتقيد بذلك الوقت(١).

وبعد: فالظاهر – والله أعلم– ما ذهب إليه ابن عطيـــة للأســـباب التالية:

١ـــ أن هذا هو المشـــهور الذي درج عليه المعـــربون مـــن قـــديم، وحديث(٢).

٢ـــ ولما قال القاضي: من أن هذه الآيات إخبارات بغيب تدل علـــى نبوة نبينا محمد ﷺ، مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام.

٣ـــ ولسلامة هذا الوجه من الاعتراضات الواردة على غيره.

---

(١) انظر البحر المحيط (٢/٤٥٥- ٤٥٦).

(٢) انظر روح المعاني (٣/١٥٤).



٥- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1].... قال قوم – وهو قول قتادة- إن الكلمة التي قال الله عز وجل: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ هو قوله: «كن»[2]... وقال آخرون: بل هي اسم لعيسى سماه الله بها، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء. وروي عن ابن عباس –رضي الله عنه- أنه قال: «الكلمة هي عيسى»[3].

ثم ساق بسنده عن عكرمة[4]، عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ قال : عيسى هو الكلمة من الله[1].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية :٤٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤١١/٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٣) جامع البيان (٤١٢/٦) .

(٤) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس ، حافظ مفسر (ت: ١٠٥هـ) انظر السير (١٢/٥) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤١٢/٦) عن سماك عن عكرمة، عن ابن عباس. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥/٢) ونسب إخراجه إلى ابن جرير وابن المنذر =

واستدرك القاضي ابن عطية –رحمه الله تعالى – على الإمام الطـبري إدخاله قول ابن عباس تحت الترجمة التي مقتضاها أن الكلمة هـي اسـم عيسى، فقال: «واختلف المفسرون لِمَ عبر عن عيسى عليه السلام بكلمة، فقال قتادة: جعله كلمة إذ هو موجود بكلمة، وهي قوله تعالى لمراداتـه (كن) وهذا كما تقول في شيء حادث هذا قدر الله، أي هو عن قـدر الله، وكذلك تقول: هذا أمر الله. وترجم الطبري فقال: وقال آخرون: بل الكلمة اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء. فمقتضى هذه الترجمة أن الكلمة اسم مرتجل لعيسى. ثم أدخل الطـبري تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال: الكلمة هي عيسى. وقول ابن عباس يحتمل أن يفسر بما قال قتادة، وبغير ذلك مما سنذكره الآن، وليس فيـه شيء مما ادعى الطبري رحمه الله. وقال قوم من أهل العلم: سماه الله كلمة من حيث كان تقدم ذكره في توراة موسى وغيرها من كتب الله وأنـه سيكون، فهذه كلمة سبقت فيه من الله فمعنى الآية: أنت يا مريم مبشرة بأنك المخصوصة بولادة الإنسان الذي قد تكلم الله بأمره وأخبر بـه في ماضي كتبه المنـزلة على أنبيائه، واسمه في هذا الموضع، معناه تسـميته، وجاء الضمير مذكراً من أجل المعنى؛ إذ الكلمة عبارة عن ولد»[٢].

=

وابن أبي حاتم .

(٢) المحرر الوجيز (٣/٨٦ –٨٧).



الذي ظهر لي - في هذه المسألة - أن الإمام الطبري إن أراد بما فعل ما ذكره عنه القاضي ابن عطية، فاستدراك القاضي وارد عليه؛ لأن قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «الكلمة هي عيسى» مجرد بيان للمقصود بالكلمة، وأنه عيسى، أما إنه اسم مرتجل، أو غير اسم فهذا لم يتعرض له ابن عباس. ويؤيد هذا أنني لم أر - فيما اطلعت عليه- من ينص على هذا عن ابن عباس، أعني أنه اسم مرتجل أطلق على عيسى.

ولعل الإمام الطبري لم يرد من ذكر قول ابن عباس إدخاله تحت الترجمة المذكورة، بل أراد أنه قول منفصل، ويؤيد هذا أنه لم يقل -بعد الترجمة المذكورة- ذكر من قال ذلك.

٦- قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[1] قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة وبعض قرأة الكوفيين ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء رداً على قوله : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[2]. ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ فألحقوا الخبر في قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بنظير الخبر في قوله: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[3] وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٤٧.

كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون عطفاً به على قوله: ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[2] كأنه قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[3] ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وقالوا: ما بعد ﴿ نُوحِيهِ ﴾ في صلته إلى قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] ثم عطف بقوله: ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ عليه»[5].

و استدرك القاضي ابن عطية –رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري توجيه القراءتين فقال: «قرأ نافع وعاصم ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء، وذلك عطفاً على ﴿ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ﴾[6] كذا قال أبو علي.

ويحتمل: أن يكون في موضع الحال عطفاً على ﴿ وَيُكَلِّمُ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٤٤.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٤٧.

(٥) جامع البيان (٦/٤٢١، ٤٢٢) .

(٦) من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ آل عمران : ٤٥ .

(٧) من قوله: ﴿ ويكلم الناس في المهد ﴾ آل عمران : ٤٦.

وقرأ الباقون ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون، وهي مثل قراءة الياء في المعنى لكن جاءت بنون العظمة. قال الطبري: قراءة الياء عطف على قوله:﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[1] وقراءة النون عطف على قوله: ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[2] قال القاضي أبو محمد عبد الحق ﷺ: وهذا الذي قاله خطأ في الوجهين مفسد للمعنى»[3].

هذه المسألة البحث فيها من الجوانب التالية:

١- قراءة الياء أو النون في قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ كلتاهما قراءة متواترة، فقرأ المدنيان وعاصم ويعقوب[4] بالياء، وقرأ الباقون بالنون[5].

٢- اختلف المعربون الموجهون للقراءات في إعراب ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء، والنون على أقوال ملخصها في ما يلي:

١) أن ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ -بالياء والنون- معطوف على﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾.

---

(١) سورة آل عمران . الآية: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران . الآية:٤٤.

(٣) المحرر الوجيز (٩١/٣).

(٤) يعقوب بن اسحاق بن زيد البصري، إمام حافظ مقرئ مجود، (ت:٢٠٥هـ) انظر السير (١٦٩/١٠) .

(٥) انظر النشر (٢٤٠/٢).



٢) معطوف على ﴿ يَخْلُقُ ﴾.

٣) أن يعطف على ﴿ يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾[١] فيكون منصوباً على الحال، والتقدير: يبشرك بكلمة مكلماً معلماً.

٤) أن يعطف على ﴿ وَجِيهًا ﴾ من قوله : ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾[٢]؛ لأن ﴿ وَجِيهًا ﴾ في تأويل اسم منصوب على الحال كما تقدم تقريره في قوله: ﴿ وَيُكَلِّمُ ﴾.

٥) أن يكون معطوفاً على الجملة المحكية بالقول ، وهي قوله : ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ ﴾[٣].

٦) أن يكون ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ – بالياء والنون- مستأنفاً لا محل له من الإعراب. وهذه الأقوال الستة مفرقة في الكتب وقد جمعها السمين الحلبي الدر المصون[٤].

٧) جعل الإمام الطبري قراءة الياء عطفاً على ﴿ يَخْلُقُ ﴾ وقراءة النون

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٤٧.

(٤) انظر الدر المصون (٣/١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).



عطفاً على ﴿ نُوحِيهِ ﴾.

٣- رأي العلماء فيما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية:

وافق الإمـــام أبو جعفر النحاس الإمام الطبري فيما ذهب إليه من أن ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون معطوف على ﴿ نُوحِيهِ ﴾[(١)].

وأما قوله: «أن ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء معطوف على ﴿ يَخْلُقُ ﴾ فقـــد وافقه جماعة على ذلك منـــهم الزمخشـــري[(٢)] ، والفخـــر الـــرازي[(٣)]، والسمين[(٤)]، وأبو السعود[(٥)]، والشوكاني[(٦)].

وأما شيخ نحاة المفسرين أبو حيان فقد خالف الإمام الطبري في بعض ووافقه في البعض الآخر، فقال -بعد أن نقل إعراب الطبري واعتراض ابن عطية عليه-: «ولم يبين ابن عطية جهة إفساد المعنى.أما قراءة النون فظاهر فساد عطفه على ﴿ نُوحِيهِ ﴾ من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى. أما من حيث اللفظ : فمثله لا يقع في لسان العرب لبعد الفصل المفرط ، وتعقيد

(١) انظر إعراب القرآن (٣٧٨/١).

(٢) انظر الكشاف (٤٣١/١).

(٣) انظر التفسير الكبير (٤٧/٨).

(٤) انظر الدر المصون (١٨٢/٢).

(٥) انظر تفسيره (٣٨/٢) .

(٦) انظر فتح القدير (٣٤١/١).

التركيب، وتنافر الكلام.

وأما من حيث المعنى فإن المعطوف بالواو شريك المعطوف عليه فيصير المعنى بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾[1] أي إخبارك يامحمد بقصة امرأة عمران، وولادتها لمريم، وكفالة زكريا، وقصته في ولادة يحيى له، وتبشير الملائكة لمريم بالاصطفاء والتطهير كل ذلك من أخبار الغيب نعلمه أي نعلم عيسى الكتاب فهذا كلام لا ينتظم معناه مع معنى ما قبله. وأما قراءة الياء وعطف ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ على ﴿ يَخۡلُقُ ﴾ فليست مفسدة للمعنى، بل هو أولى وأصح ما يحمل عليه عطف ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ لقرب لفظه وصحة معناه – وقد ذكرنا جوازه قبل- ويكون الله قد أخبر مريم بأنه تعالى يخلق الأشياء الغريبة التي لم تجر بها عادة مثل ما خلق ولداً من غير أب، وأنه تعالى يعلم هذا الولد الذي يخلقه لك ما لم يعلمه قبله من الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل..... وهذا يظهر لي أنه أحسن ما يحمل عليه عطف ﴿ يُعَلِّمُهُ ﴾»[2].

أما رأي العلماء فيما ذهب إليه ابن عطية، فابن عطية رحمه الله جوز في إعراب ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ وجهين : أحدهما : أن يكون معطوفاً على

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٤.

(٢) البحر (٢/٤٨٥).



﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾ والثاني : أن يكون في موضع الحال عطفاً على ﴿ وَيُكَلِّمُ ﴾ وقراءة النون مثل قراءة الياء عند ابن عطية[١].

والوجه الأول قال به أبو علي[٢] ومكي[٣] والزمخشري[٤].

وأما الوجه الثاني: فنقله أبو حيان والسمين وقالا: جوزه ابن عطية وغيره[٥].

وهذان الوجهان اللذان رآهما ابن عطية في إعراب ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ لم يقرهما أبو حيان فقد استبعد الأول بقوله: وهذا بعيد جداً لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه[٦].

واستبعد الثاني أيضاً معللاً ذلك بطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يقع مثله في لسان العرب[٧].

والآن ترى أنه لم يبقى من الأقوال السابقة بدون نقد إلا قول من قال: معطوف على ﴿ وَجِيهًا ﴾ ، أو قول من قال : معطوف على الجملة

---

(١) انظر المحرر الوجيز (٣/٩١) وتقدم قريباً نقل ما قاله.

(٢) انظر الحجة (٣/٤٣).

(٣) انظر الكشف (١/٣٤٤).

(٤) انظر الكشاف (١/٤٣١).

(٥) انظر البحر (٢/٤٨٥)، والدر المصون (٣/١٨٣).

(٦) البحر (٢/٤٨٥).

(٧) انظر المرجع السابق (٢/٤٨٥)، الدر المصون (٣/١٨٣).

المحكية بالقول، أو قول من قال: إنه مستأنف لا محل له من الإعراب.

واثنان من الثلاثة وجه إليهما أبو حيان سهامه فقال في قول من قـــال إنه معطـــوف على ﴿ وَجِيهًا ﴾ : بعيـــد لطول الفصـــل بين المعطـــوف والمعطوف عليه ولا يقع مثله في لسان العرب[1].

وقال في قول من قال: إنه مستأنف: «إن عني أنه استئناف إخبار عن الله أو من الله على اختلاف القراءتين فمن حيث ثبوت الواو لا بـــد أن يكون معطوفا على شيء قبله فلا يكون ابتداء كلام إلا أن يدعي زيـــادة الواو في ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ فحينئذ يصح أن يكون ابتداء كلام. وإن عني أنـــه ليس معطوفاً على ما ذكر فكان ينبغي أن يبين ما عطف عليه. وأن يكون الذي عطف عليه ابتداء كلام حتى يكون المعطوف كذلك[2].

و لم يسلم له تلميذه السمين هذا النقد فقال: وهذا الاعتـــراض غـــير لازم؛ لأنه لا يلزم من جعله كلاماً مستأنفاً أن يُدّعى زيادة الواو، ولا أنه لا بد من معطوف عليه؛ لأن النحويين وأهل البيان نصوا على أن الـــواو تكون للاستئناف[3].

٤ – الذي يظهـــر – والله أعلم- أن أمثل ما قيـــل في قولـــه تعالى :

---

(١) انظر البحر (٢/٤٨٥).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٨٥).

(٣) الدر المصون (٣/١٨٤).



﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء أو النون أنه معطوف على ﴿ يَخْلُقُ ﴾ وذلك للأسباب التاليـــة:

١) لما بين ﴿ يَخْلُقُ ﴾ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ من القرب وما كان قريباً فهـــو أولى أن يعاد عليه المعطوف، ما لم يكن هناك مانع .

٢) لاستقامة وصحة معناه على القراءتين في ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾لأنـــك إن قرأت بالياء فهو ظاهر المعنى، وإن قرأت بالنون صح أيضاً ويكـــون مـــن باب الالتفات من الغيبة إلى الحضور.

٣) ولأن هذا القول لم يوجه إليه طعن إلا ما كان من أبي محمد ابـــن عطية بقوله: إنه مفسد للمعنى و لم يذكر رحمه الله البرهان على فساد المعنى و لم يتبين للعلماء أي علة يمكن أن تفسد المعنى.

٤) ولشهادة من لا يقصر علمه في النحو عن المعترض بأن هذا القول أولى وأصح وأحسن ما يحمل عليه عطف ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾.

وبهذا يتبين أن استدراك أبي محمد القاضي ابن عطية علـــى الإمـــام الطبري في هذه المسألة لا يسلم له جميعاً، ولا يرد عليه جميعاً، بل بعضـــه مسلم وبعضه غير مسلم.

٧- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[1]- : «واختلف القرأة[2] في قرأءة قوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ فقرأته عامة قرأة الأمصار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ بكسر ألف ﴿ إِنَّ ﴾ على ابتداء الخبر . وقرأه بعضهم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ بفتح الألف ﴿ أَنَّ ﴾ بتأويل ﴿ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[3] ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ ﴾ على رد ﴿ أَنَّ ﴾ على «الآية » والأبدال منها »[4].

واستدرك القاضي ابن عطية –رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري توجيه قراءة فتح الهمزة فقال : «وقرأ جمهور الناس ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ ﴾ بكسر الألف على استئناف الخبر، وقرأه قوم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٥١.

(٢) القرأة جمع قارئ. انظر تهذيب اللغة (٢٧٤/٩) «قرأ» وقد تقدمت في سورة البقرة عند الآية: ١٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٥٠.

(٤) جامع البيان (٤٤١/٦، ٤٤٢).



وَرَبُّكُمْ ﴾ بفتح الألف قال الطبري: ﴿ أَنَّ ﴾ بدل من «آية» في قوله: ﴿ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾[1] وفي هذا ضعف، وإنما التقدير: أطيعون، لأن الله ربي وربكم، أو يكون المعنى؛ لأن الله ربي وربكم فاعبدوه»[2].

وسيكون البحث في هذه المسألة على النحو التالي:

١- قراءة فتح الهمزة من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ قراءة شاذة[3].

٢- حكى السمين الحلبي أن في إعرابها ثلاثة أوجه:

أ - بدل من «آية».

ب - أن إعراب فتح الهمزة يكون على إضمار لام العلة، ولام العلة متعلقة بما بعدها من قوله: ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ والتقدير: فاعبدوه لأن الله ربي وربكم.

ج - أن يكون ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ على إسقاط الخافض وهو «على» و«على» يتعلق بآية نفسها، والتقدير: وجئتكم بآية على أن الله، كأنه قيل: لعلامة ودلالة على توحيد الله[4].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٥٠.

(٢) المحرر الوجيز(٣/٩٩).

(٣) انظر المختصر في شواذ القرآن ، ص (٢٠).

(٤) انظر الدر المصون (٣/٢٠٦).

قلت: ويظهر أن هناك قولاً رابعاً: حاصله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ معطوف على جملة ﴿ جِئْتُكُم ﴾ الأولى في قوله: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾[1]، وقد أشار إلى هذا الألوسي، وهو ظاهر كلام الأخفش فإنه قال: «وقال بعضهم: «أن» فنصب على (وجئتكم بأن الله ربي وربكم) هذا معناه»[2].

وسيأتي من يقول: إن الأخفش يعربها بدلاً.

٣- موقف العلماء من إعراب الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية.

من العلماء من أعرب ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ بفتح الهمزة على أنها بدل كالزمخشري[3]، وأبي السعود[4]، والألوسي في وجه[5] وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

ومن العلماء من اعترض على أن تعرب ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ على البدل من «آية» قال أبو جعفر النحاس: «وحكى أبو حاتم عن الأخفش: أن بالفتح

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٩.

(٢) معاني القرآن (٤٠٩/١).

(٣) انظر الكشاف (٤٣٢/١).

(٤) انظر تفسيره (٤٠/٢).

(٥) انظر روح المعاني (١٧٢/٣).

على البدل من آية ورده أبو حاتم وزعم أنه لا وجه له قال: لأن الآية العلامة التي لم يكونوا رأوها فكيف يكون قولاً»[(١)].

ثم رد أبو جعفر ما نسب إلى الأخفش هذا بقوله: «ليس هكذا روى من يضبط عن الأخفش، ولا كذا في كتبه، والرواية عنه الصحيحة أنه قال: وحكى بعضهم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ بفتح ﴿ أَنَّ ﴾ على معنى وجئتكم بأن الله ربي وربكم. وهذا قول حسن»[(٢)].

ولم يسلم ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من النقد أيضاً فقد قال أبو حيان: «وقال ابن عطية: التقدير: أطيعون لأن الله ربي وربكم...وليس قوله بظاهر. والأمر بالتقوى والطاعة تحذير ودعاء، والمعنى: أنه تظاهر بالحجج والخوارق في صدقه فاتقوا الله في خلافي وأطيعون في أمري ونهيي»[(٣)].

وأما القول الثاني الذي ذكره ابن عطية في الإعراب –وهو قوله: أو يكون المعنى: لأن الله ربي وربكم فاعبدوه- فقد اعتُرض عليه بأنه متى كان المعمول «أن» وما في صلتها امتنع تقديمها على عاملها، لا يجيزون: (أن زيداً منطلق عرفت) تريد: (عرفت أن زيداً منطلق) للقبح اللفظي، إذ

---

(١) إعراب القرآن (٣٨٠/١).

(٢) المصدر السابق (٣٨٠/١).

(٣) البحر المحيط (٤٩٢/٢).



تصدرها لفظاً يقتضي كسرها [١].

قلت : بقي قولان من الأقوال السابقة لم أذكر ما قيل فيهما من اعتراض أحدهما: أن يكون ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ على إسقاط الخافض وهو (على).

والثاني : أن جملة ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٢]. وقد اعترض على الأول السمين بقوله: فيه بعد[٣] .

والثاني : اعترض عليه أبو حيان بأنه لا يجوز إضمار حرف العطف على الأصح[٤].

٤- الذي يظهر – والله أعلم – أن استدراك ابن عطية في هذه المسألة وارد، وهو وإن كان لم يبين وجه الضعف فقد ذكر غيره ما هو علة قادحة في إعراب الجملة بدلاً وهو أن الآية هي العلامة التي لم يكونوا رأوها فكيف يكون قولاً. ومقصوده من هذا أن البدل والمبدل منه لا بد أن يكون بينهما رابط وهو هنا مفقود فصح أن ينعت هذا الوجه من الإعراب بالضعف.

---

(١) انظر الدر المصون (٣/٢٠٦).

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٤٩.

(٣) انظر الدر المصون (٣/٢٠٦).

(٤) انظر البحر المحيط (٢/٤٢٥).



ولعل أمثل الأقوال بعد استبعاد القول السابق قولان:

أحدهما: أن يكون فتح «أن» على إسقاط الخافض فيكون التقدير جئتكم بعلامة ودلالة على توحيد الله وما بينهما اعتراض، وهذا الوجه في نظري جيد لأمرين: أحدهما: وضوح المعنى عليه. والثاني: أن أبا حيان قد جوزه و لم يذكر فيه علة[١]. وكذلك الألوسي[٢].

ولا يضر بعد هذا ما قاله السمين من أن فيه بعداً؛ لأنه لم يبين لنا سبب البعد فلعل ما يراه بعيداً يراه غيره قريباً.

الثاني: أن تكون جملة﴿ أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾معطوفة على جملة ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٣] والمعنى على هذا الوجه واضح أيضاً إذ التقدير: قد جئتكم بآية من ربكم ... وجئتكم بأن الله ربي وربكم.

ومما يطمئن إلى هذا القول أن قد قال به إمام من أئمة النحو (سعيد ابن مسعدة الأخفش)[٤] ووصفه أبو جعفر النحاس بقوله: وهذا قول حسن[٥]. وحسبك بهذين الإمامين رحمهما الله تعالى.

---

(١) انظر البحر (٤٩٢/٢).

(٢) انظر روح المعاني (١٧٢/٣).

(٣) سورة آل عمران ،الآية: ٤٩.

(٤) انظر معاني القرآن (٤٠٩/١) وقد تقدم نقل ذلك عنه.

(٥) انظر إعراب القرآن (٣٨٠/١) وقد تقدم نقل ذلك أيضاً.

وما قيل: من أنه قد يعترض عليه بأن حذف حرف العطف لا يجوز، لا يضر إذ هناك من يعترض على هذا القول ولهذا فإن أبا حيان –وهو ممن يعترض بما ذكر– يقيد هذه المسألة بقوله: «على الأصح»[1] ولا يكون المعترض به أصح إلا والمعترض عليه صحيح. والله أعلم.

٨– قال الإمام الطبري– رحمه الله تعالى– : «القول في تأويل قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[2] قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى– مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى في ما أتاهم به من عند ربهم– إذ قال الله جل ثناؤه: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، فـ ﴿إِذْ﴾ صلة من قوله : ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[3] يعني ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ فتوفاه ورفعه إليه ...»[4].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري

---

(١) انظر البحر (٢/٤٢٥).

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٥٥.

(٣) سورة آل عمران ،الآية: ٥٤.

(٤) جامع البيان (٦/٤٥٥).



قوله: «إذ» صلة من قولـه: ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[١] فقال: «قال الطبري: العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[٢] قال غيره من النحاة: العامل فعل مضمر تقـديره : (اذكر) قال القاضي أبو محمـد : وهذا هو الأصوب»[٣].

هذا ما رآه الإمام الطبري في إعراب ﴿إِذْ﴾ وما يرى القاضي أنـه الأصوب، وهذه المسألة تبحث على النحو التالي:

١- لم يكن استدراك القاضي تخطئة لقول الإمام الطـبري ، وهـذا واضح من نعته لما يرى بالأصوب.

٢- اختلف العلماء –الذين يرون أن ﴿إِذْ﴾ ليست اسـتئنافاً[٤]- في تقدير العامل في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ ﴾ على أقوال:

١- أن العامل هو قوله : ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[٥] أي ومكر الله بهم في

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٥٤.

(٣) المحرر الوجيز (١٠٤/٣).

(٤) من العلماء من يرى أن «إذ» ليست متعلقة بشيء فهي للاستئناف. انظر التحرير والتنوير (٢٥٧/٣) ويظهر أن في هذا بعداً إذ السياق يدل على تعلقها بشيء، ولذلك قل من يشير إلى استئنافها.

(٥) انظر الكشاف (٤٣٢/١)، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٧٨/١).

هذا الوقت(١).

٢- العامل هو قوله: ﴿ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢).

٣- العامل هو قوله : ((مكروا)) (٣).

٤- العامل فعل مضمر واختلف في تقديره:

أ) فقيل: تقديره : ((اذكر)) (٤).

ب) وقيل تقديره ((وقع ذلك)) (٥).

٣- موقف العلماء من رأي الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في هذه المسألة:

قال أبو حيان: ((العامل في ﴿ إِذْ ﴾ ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ قاله الطبري أو (اذكر) قاله بعض النحاة، أو ﴿ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ قاله الزمخشري))(٦).

وقال ابن الأنباري: ((إذ تتعلق بفعل مقدر وتقديره (اذكر أني متوفيك

---

(١) انظر الدر المصون (٣/٢١٣).

(٢) انظر الكشاف (١/٤٣٢)، والفريد (١/٥٧٨).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩٩).

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن (١/١٦١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/٢٠٥)، والفريد (١/٥٧٨).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤/٩٩)، وتفسير أبي السعود (٢/٤٣)، وروح المعاني (٣/١٧٩).

(٦) البحر (٢/٤٩٦).



ورافعك إلي....)))[١].

والسمين ذكر ثلاثة أقوال في العامل في ﴿إِذْ﴾ من بينها ما ذكره الطبري وابن عطية[٢].

وابن جزي يقول: ((العامل فيه فعل مضمر، أو يمكر))[٣].

والألوسي يذكر نحو ما ذكره السمين بعد استبعاد قول من قال: إن العامل ﴿خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[٤].

وغير هؤلاء -أيضاً- يسوق القولين، مساق القبول من غير تفضيل[٥].

مما تقدم يظهر أنه لا فرق بين القولين، وحتى من ذكر قولاً واحداً فإنه لا يدل ذلك على نفي ما سواه.

٤- لم يذكر القاضي السبب في جعل قول من قدر (اذكر) أصوب من قول الطبري الذي جعله ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، والذي يظهر لي أن هذه المفاضلة بناها القاضي على أساس معنوي حاصله: أن القصة سيقت في

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢٠٥/١).

(٢) انظر الدر المصون (٢١٣/٣).

(٣) التسهيل (١٩٣/١).

(٤) انظر روح المعاني (١٧٩/٣).

(٥) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٧٨/١)، وتفسير البيضاوي (١٦٣/١) .

القرآن الكريم للتذكر والاعتبار، وما ذكره الله تعالى – ها هنا– عن عيسى عليه السلام هو من هذا الباب فالمناسب أن يقدر العامل (اذكر) وإنما قلت هذا قياساً على ما قاله عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فقد رجح تقدير العامل فيه (واذكر) وصرح بنحو هذا السبب هناك فانظره في الاستدراك رقم (٤) من هذه السورة.

٥- الظاهر – والله أعلم- أن ما قدره الطبري ها هنا – وإن كان صواباً فما قال ابن عطية إنه أصوب هو كذلك للسبب المعنوي الذي ذُكر قريباً، ولهذا فقد ذكر المولى تبارك وتعالى بعد هذا القصص الذي منه قصة عيسى عليه السلام أنه آيات فقال: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[2]. وهذه الآيات تدعو العبد إلى التذكر والاعتبار ، ولهذا قال في موطن آخر : ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3] وقال : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[4] وقال

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران ،الآية: ٥٨.

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٢٢١.

(٤) سورة الأنعام ، الآية: ١٢٦.



في الاعتبار : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

٦- الأقوال الأخرى صحيحة أيضاً فقد قال بها أئمة ، و لم أر في ما اطلعت عليه من يرد شيء منها، إلا إعمال ﴿ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ فقد قال الألوسي: «وتعلقه بالماكرين بعيد لا يظهر وجه حسن لتقيد قوة مكره تعالى بهذا الوقت»[2].

٩- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ القوم الذين [قالوا في ابراهيم ما قالوا ﴿ حَٰجَجْتُمْ ﴾]، خاصمتم وجادلتم ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ ﴾ من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفي غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته . ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ يقول : فلم تجادلون وتخاصمون ﴿ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ يعني : في الذي لا

---

(١) سورة يوسف ، الآية: ١١١.

(٢) روح المعاني (١٧٩/٣).

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٦٦.



علم لكم به من أمر ابراهيم ودينه، و لم تجدوه في كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه»[(١)].

واستدراك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ على ظاهره من أن عندهم علماً حقيقياً فقال: «ومعنى قوله تعالى: ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ أي على زعمكم، وإنما المعنى في ما تشبه فيه دعواكم، ويكون الدليل العقلي لا يرد عليكم.

وفسر الطبري هذا الموضع بأنه في ما لهم به علم من جهـــة كتبـــهم وأنبيائهم مما أيقنوه وثبت عندهم صحته.

قال الفقيه الإمام: وذهب عنه –رحمه الله – أن ما كان هكذا فـــلا يحتاج معهم فيه إلى محاجة؛ لأنهم يجدونه عند محمد ﷺ ، كما كان هنالك على حقيقته وباقي الآية بين»[(٢)].

هذه المسألة تبحث من الجوانب التالية :

١– الظاهر من كلام الإمام الطبري في تفسير قوله تعـــالى: ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ أنه يرى أن تأويلها : في ما لكم به علم صحيح جاءكم من جهة أنبيائكم ووجدتموه في كتبكم وثبتت عندكم صحته.

---

(١) جامع البيان (٦/٤٩٢).

(٢) المحرر الوجيز (٣/١١٧).



إذاً هم يجادلون في حق ثابت عندهم من الله فيه برهان . وابن عطية: يرى أن قوله: ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ المقصود بهذا العلم على حد دعواهم وزعمهم، وفي الحدود التي لا يحيلها العقل كأن يزعموا شيئاً يتعلق بشريعة موسى وعيسى، وإلا فهم في حقيقة الأمر لا علم عندهم في ما جادلوا فيه إذ لو كان عندهم علم حقيقي ثابت صحيح نقلوه كما جاءت به رسلهم من غير تحريف ولا تبديد ولا زيادة ولا نقصان لما وقع فيه الجدال من قبل الرسول ﷺ وأمته إذ أن هذا القرآن مصدق الذي بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

٢- كلام المفسرين في تأويل قوله: ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ يمكن أن يجعلوا على ضوئه فريقين اثنين.

الأول: وهو جمهورهم – في ما رأيت- ينحون في تفسيرهم منحى الإمام الطبري فيسيرون مع ظاهر القرآن الكريم في تقسيم دعوى أهل الكتاب ومجادلتهم إلى قسمين: قسم لهم فيه علم ، وقسم لا علم عندهم فيه ، ومن هؤلاء من هو أقدم من الإمام الطبري وقد استشهد بتفسيره على ما ذهب إليه فأخرج « عن قتادة أنه قال في قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ يقول : في ما شهدتم ورأيتم وعاينتم ، ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ في ما لم تشاهدوا ولم تروا و لم

تعاينوا ....»[١].

وأخرج عن السدي أنه قال: «أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم وما أمروا به، وأما الذي ليس لهم به علم فشأن إبراهيم»[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن أبي العالية[٤] أنه قال — في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾:- «في ما شهدتم ورأيتم وعاينتم »[٥].

وأخرج عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال : « يعذر من حاج بعلم، ولا يعذر من حاج بالجهل »[٦].

فهؤلاء جماعة من التابعين يفسرون الآية بنحو القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري.

ومعظم المتأخرين من أرباب المصنفات التفسيرية يفهم من كلامهم

---

(١) أخرجه في جامع البيان (٤٩٣/٦)من طريق سعيد بن أبي عروبة وسنده حسن.

(٢) أخرجه في جامع البيان (٤٩٢/٦، ٤٩٣) من طريق أسباط عن السدي وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١/١/٢) من طريق أسباط. وقال الدكتور حكمت : إسناده حسن.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ، العلامة الحافظ صاحب التفسير (ت:٣٢٧هـ) انظر السير (٢٦٣/١٣).

(٤) رُفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر (ت: ٩٠هـ) انظر السير (٢٠٧/٤).

(٥) انظر تفسيره (٣٢١/١/٢) وقال الدكتور حكمت:إسناده حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٢/١/٢) وقال الدكتور حكمت : في إسناده من لم أجده .



هذا المنحى، وهذا الاتجاه[1].

الفريق الثاني من المفسرين يتجه في تفسيره إلى المنحى الذي نحاه القاضي ابن عطية، يقول الرازي: «المراد من قوله: ﴿ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ هو أنهم زعموا أن شريعة التوراة والإنجيل مخالفة لشريعة القرآن»[2].

وقال البيضاوي: «...أنكم جادلتم في ما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً، أو تدعون وروده فيه»[3].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «فهب أنهم حاجوا في ما لهم به علم، فكيف يحاجون في هذه الحالة..»[4].

٣- من العلماء من تعرض لاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، وجنح إلى ما رأه الإمام الطبري، كأبي حيان فإنه بعد أن ذكر استدراك القاضي قال: «والظاهر في قوله : ﴿ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٢٧٦/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٩٨/٢)، والنكت والعيون (٤٠٠/١)، والوسيط(٤٤٨/١)، والكشاف (٤٣٥/١)، وزاد المسير (٢٣٥/١)، وتفسير النسفي (١٦٣/١) والتسهيل لعلوم التتريل (١٩٥/١)، والدر المصون (٢٣٥/٣)، وروح المعاني (١٩٥/٣).

(٢) التفسير الكبير (٧٩/٨).

(٣) تفسيره (١٦٥/١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢٠١/١) .

إثبات العلم لهم »[١].

وكذلك عبد الرحمن الثعالبي قال -بعد أن ذكر استدراك القاضي-: «قلت وما قاله الطبري أبين، وهو ظاهر الآية ...»[٢].

قلت: فهذان عالمان يجنحان إلى أن استدراك القاضي غير وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ؛ لأن ظاهر القرآن يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري والأمر كما قالا، وبيان ذلك أنك إذا نظرت في جدال اليهود والنصارى وجدهم يجادلون في أمور لها أساس في التوراة والإنجيل، كقوله تعالى في اليهود: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾[٣] فتحريم بعض الأطعمة كان موجوداً في التوراة، إلا أن التحريم لم يكن شاملاً لكل ما ادعوا تحريمه ونسبوه للتوراة[٤]، كذلك الإخبار بمجيء رسولنا ﷺ ومعرفتهم بنعته كانوا يعلمونه وهو موجود في التوراة، لكنهم يجادلون فيه بالباطل ويدعون دعاوى كاذبة ، قال الله تعالى مبيناً لهذه الحقيقة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ

---

(١) البحر المحيط (٥٠٩/٢ - ٥١٠).

(٢) الجواهر الحسان (٣٣٠/١).

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٩٣.

(٤) انظر المحرر الوجيز (١٥٩/٣).



ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وكذلك النصارى كانوا يجادلون في عيسى عليه السلام ويعطونه فوق ما أعطاه الله فيجعلونه إلهاً، وقد كذبهم الله في هذه الدعوى فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٢].

فالضالون كان عندهم علم بأنه ولد من غير أب ونحو ذلك مما يعلمونه من أمر عيسى، لكنهم ضلوا فيه وجادلوا فيه بالباطل فكذبهم الله في القرآن وبين حال عيسى ومنشأه وما جاء به، ونهايته. وكذلك رجم الزاني المحصن هذا موجود في التوراة وعند اليهود علم بذلك، لكنهم أخفوه وجادلوا الرسول فيه بالباطل. وقد أشار إلى هذا بعض المفسرين، فقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ ﴾ يعني في أمر محمد ﷺ ؛ لأنهم كانوا يعلمونه في ما يجدون من نعته في كتابهم فحاجوا فيه بالباطل»[٣].

وقال الثعالبي – بعد أن نقل اعتراض ابن عطية وحجته- : «قلت :

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/١٠٨).



وما قاله الطبري أبين، وهو ظاهر الآية، ومن المعلوم أن أكثر احتجاجاهم، إنما كانت تعسفاً وجحداً للحق»[١].

وقال الشوكاني: «والمراد بما لهم به علم هو ما كان في التـــوراة، وإن خالفوا مقتضاه وجادلوا فيه بالباطل»[٢].

١٠- قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٣] قال أبو جعفر : ... والإضلال في هـــذا الموضع، الإهلاك، من قـــول الله عـــز وجـــل: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٤] يعني إذا هلكنا ومنه قول الأخطل – في هجاء جرير–:

كنت القذى في موج أكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالاً[٥]

يعني هلك هلاكاً. وقول نابغة بني ذبيان:

---

(١) الجواهر الحسان (٣٣٠/١).

(٢) فتح القدير (٣٤٩/١).

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٦٩ .

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٠ .

(٥) البيت في ديوانه ، ص (٢٥٢) والأتي: سيل يأتي من مكان بعيد. قاله محمود شاكر. انظر جامع البيان (٤٩٦/٢).



فآب مضلـــوه بعين جليَّـــة وغودر بالجولان حزم ونائل[١]

يعني: مهلكوه»[٢].

استدراك القاضي ابن عطية –رحمه الله تعالى – على الإمام الطـــبري بأن تفسير «الضلال» بالهلاك، غير خاص باللفظة، فهو تفسير غير قـــويم، فقال –عند هذه الآية-: «أخبر الله تعالى عن طائفة أنها تود وتشـــتهي أن تضل المسلمين، أي تثنيهم عن دينهم وتجعلـــهم في ضـــلال .... وقـــال الطبري: ﴿ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ معناه: يهلكونكم. واستشهد ببيت جرير[٣]:

كنت القذى في موج أخضر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالاً

وقول النابغة:

فآب مضلوه بعين جليَّة ....البيت.

وهذا تفسير غير خاص باللفظة، وإنما اطرد له ؛ لأن[٤] هذا الضـــلال في الآية، وفي البيتين اقترن به هلاك. وأما أن تفسير لفظة (الضلال)

---

(١) البيت في ديوانه ، ص (٩٠) ، وفي تهذيب اللغة(١١/٤٦٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/٣٥٦)، ولسان العرب(٨/٨٢) «ضلل». والجولان موضع بالشام قاله ابن منظور. قلت : وهو الآن تحت احتلال اليهود مع القدس وغيرهما من بلاد الإسلام. والبيت في الديوان «مصلوه» بالصاد وهو على هذا لا شاهد فيه.

(٢) جامع البيان (٦/٥٠٠) .

(٣) البيت ليس لجرير ، وإنما هو للأخطل . وهكذا أنشده ابن عطية (أخضر) .

(٤) «لأن» ساقطة من النسخة المحققة في المغرب ، وكذلك نسخة دار الكتب العلمية ، وهي موجودة في النسخة التي حققها الأستاذ أحمد صادق الملاح. انظر (٢/٤٦٢) ولا يستقيم المعنى إلا بها .

بالهلاك فغير قويم»[١].

الذي يبدو من كلام القاضي ابن عطية أنه لا يرى أن يفسر الضلال بالهلاك ويدل على ذلك أنه قال-كما هو معنى كلامـه-: إنمـا اطـرد للطبري تفسير الضلال بالهلاك، لإقتران الهلاك بالضلال. ويؤكد أن هذا مقصود القاضي أنه قال في آخر استدراكه: «وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم» فيكون معنى قوله في أول الاستدراك: «وهذا تفسـير غير خاص باللفظة» أي ليس من معانيها.

فإن كان أبو محمد يعني هذا، فلا يوافق عليه، واستدراكه على الإمام الطبري غير وارد؛ لأن الضلال يأتي بمعنى الهلاك.

قال ابن فارس : «ويقولون : ضل اللـبن في المـاء ، ثم يقولـون : استهلك »[٢].

وفي مختار الصحاح: «وأضله أضاعه، وأهلكه»[٣].

وقال ابن منظور: «وأضله أي أضاعه وأهلكـه ، وفي التنـزيل العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴾[٤] أي في هلاك»[٥].

---

(١) المحرر الوجيز – تحقيق الملاح – (٢/٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٥٦) «ضل».

(٣) مختار الصحاح، ص(٢٨٦) «ضل».

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٧.

(٥) لسان العرب (٨/٨٠) «ضلل» .



وفي المعجم الوسيط: «الضلال: الغياب، والهلاك، والباطل، والنسيان، والعدول عن الطريق المستقيم....»[١].

وأيضاً فإنني قد رأيت طائفة من المفسرين يذكرون هذا المعنى بخصوصه عند هذه الآية الكريمة ، وهم بين مفرد له، وبين ذاكر له وجهاً في معنى الآية.

قال ابن الجوزي: «والضلال الحيرة، وفيه ها هنا قولان. أحدهما: أنه الاستنزال عن الحق إلى الباطل وهو قول ابن عباس ومقاتل[٢].

والثاني الإهلاك ومنه: ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] قاله ابن جرير والدمشقي»[٤].

وقال الفخر الرازي – عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ من الآية نفسها – : «وهو يحتمل وجوهاً منها إهلاكهم أنفسهم باستحقاق العقاب على قصدهم إضلال الغير»[٥].

---

(١) المعجم الوسيط (٥٦٣/١) «ضلل» .

(٢) لعله: مقاتل بن سليمان البلخي، قال ابن المبارك: وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة (ت: نيف وخمسين ومئة) انظر السير (٢٠١/٧).

(٣) سورة السجدة، الآية : ١٠.

(٤) زاد المسير (٤٠٤/١). والدمشقي لعله عبد الرحمن بن أحمد أبو سليمان الداراني (ت:٢١٥هـ) انظر السير (١٨٢/١٠).

(٥) التفسير الكبير (٨٠/٨).



ونقل القرطبي والألوسي هذا المعنى وجهاً في الآية ونسباه للإمام الذي ذكره الطبري، وما اعترضا عليه بشيء[١]. وأبو حيان نقل هذا المعنى الذي ذكره الإمام الطبري، واعتراض القاضي ابن عطية، ثم قال: «وقال غير ابن عطية: أصل الضلال في اللغة الهلاك، من قولهم ضل البن في الماء إذا صار مستهلكاً فيه»[٢].

قلت: وهذا التعقيب الذي ذكره أبو حيان فيه فائدتان: الأولى: أنه يفهم كلام ابن عطية، على أنه ينفي أن يأتي الضلال بمعنى الهلاك، ولذلك علق عليه بقوله: «وقال غير ابن عطية أصل الضلال في اللغة الهلاك» فهذا يؤيد ما قلت سابقاً أن هذا هو مقصود ابن عطية.

الثانية: أنه لا يوافق ابن عطية على استدراكه.

وقد يكون ابن عطية أراد أن تفسير الضلال في الآية بالهلاك غير مناسب في هذا الموضع، وهو لا ينفي أن يأتي الضلال بمعنى الهلاك، أقول: إن كان أراد هذا -وهو احتمال بعيد جداً- فلا أرى هذا وارداً على الإمام الطبري أيضاً ؛ لأنك إذا نظرت إلى المعاني التي ذكرت في معنى ﴿ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ في هذه الآية وجدتها ترجع إلى ما قاله الإمام الطبري.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٤)، وروح المعاني (١٩٨/٣) وفي الجامع نسبته إلى ابن جريج ، والظاهر أنه تحريف من غير القرطبي وإنما هو «ابن جرير» .

(٢) البحر المحيط (٥١٣/٢، ٥١٤).



وبيان ذلك أنهم قد ذكروا للضلال المعاني التالية:

قيل: يضلونكم يردونكم إلى كفركم. وقيل: يستنـــزلونكم عن الحق إلى الباطل. وقيل: يوقعونكم في الضلال، ويلقون إليكم ما يشككونكم به في دينكم[1].

وقال ابن عطية: تثنيهم عن دينهم وتجعلهم في ضلال.

وفي بعض نسخ المحرر: تتلفهم في دينهم وتجعلهم في ضلال[2].

فهذه الأقوال كلها إذا تأملت فيها وجدت نهايتها الهلاك، وهو المعنى الذي ذكره الإمام الطبري.

١١- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3] قال أبو جعفـــر : اختلفت القَرَأة في قوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي ﷺ أنه لا يأمركم، أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.... وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ﴿ وَلَا

---

(١) انظر زاد المسير (٤٠٤/١)، والبحر المحيط (٥١٣/٢، ٥١٤).

(٢) هكذا في النسخة القطرية، والمغربية، ونسخة دار الكتب العلمية.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٨٠.



﴿ يَأۡمُرَكُمۡ ﴾، بنصب الراء عطفاً على قوله: ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾[١] وكان تأويله عندهم: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يقول للناس، ولا أن يأمركم بمعنى: ولا كان له أن يأمركم أن تتخـــذوا الملائكـــة والنبـــيين أرباباً»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطيـــة –رحمه الله تعـــالى – على الإمــــام الطبري إعرابه قراءة نصب الراء عطفـــاً علـــى ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾[٣] فقـــال: «....وأمـــا قـــراءة من نصب الـــراء ، فهي عطف على قوله: ﴿ أَن يُؤۡتِيَهُ ﴾[٤] والمعنى: ولا له أن يأمركم، قاله أبو علي وغـــيره.

وقال الطبري: قوله: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ ﴾ بالنصب معطوف على قوله: ﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾[٥].

قال الفقيه أبو محمد: وهذا خطأ لا يلتئم به المعنى»[٦].

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٧٩.

(٢) جامع البيان (٦/٥٤٧).

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٧٩.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٧٩.

(٥) سورة آل عمران ، الآية: ٧٩.

(٦) المحرر الوجيز (٣/١٤١، ١٤٢).

الوجه الأول: قراءتا الرفع والنصب في الراء من ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ قراءتان متواترتان، فالنصب قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب، والرفع قراءة الباقين[١].

الوجه الثاني: اختلف النحاة والمفسرون في توجيه قراءة نصب الراء على أقوال ثلاثة:

١- أن يقدر قبل فعل ﴿ يَأْمُرَكُمْ ﴾ أن فيكون منصوباً بها، ويكون المعنى: ولا له أن يأمركم، وتكون «لا» مؤكدة لمعنى النفي السابق، مثل أن تقول: ما كان من زيد إتيان ولا قيام، وأنت تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد. أشار إلى هذا القول أبو علي الفارسي[٢]، وفصله أبو حيان[٣].

٢- أن يكون نصبه لعطفه على ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ﴾ قاله سيبويه والفراء والأخفش[٤].

قال السمين الحلبي: قال سيبويه والمعنى: وما كان لبشر أن يأمركم أن

(١) انظر النشر (٢/٢٤٠).

(٢) انظر الحجة (٣/٥٨).

(٣) انظر البحر المحيط (٢/٥٣٠).

(٤) انظر الكتاب (٣/٥٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/٢٢٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/٤١٢).

تتخذوا الملائكة[١].

٣- أن يكون منصوباً عطفاً على قوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ قالـه الإمام الطبري والزمخشري [٢]، وابن الأنباري[٣]-وجهاً- والعكبري[٤].

قال الزمخشري -في بيان هذا القـول-: «قـرئ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ وفيه وجهان. أحدهما: أن تجعـل (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ والمعنى: مـا كـان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصـاص الله بالعبـادة وتـرك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً لـه ويـأمركم ﴿ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ كما تقول: ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي . والثاني : أن تجعل (لا) غير مزيدة ، والمعنى : أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشـاً عن عبادة الملائكة واليهـود والنصـارى عن عبادة عزير والمسـيح ، فلما قالوا له : أنتخذك رباً ؟ قيل لهم : ما كان لبشـر أن يسـتنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة

---

(١) انظر الدر المصون (٣/٢٧٩) وانظر كتاب سيبويه (٣/٥٢).

(٢) انظر الكشاف (١/٤٤٠).

(٣) انظر البيان (١/٢٠٨).

(٤) انظر التبيان (١/٢٧٤).



والأنبياء»[(١)].

الوجه الثالث: موقف العلماء من استدراك ابن عطية على الإمام الطبري:

١- ذهب أبو حيان إلى موافقة ابن عطية على استدراكه وبين وجه الخطأ وعدم التئام المعنى اللذين علل بهما ابن عطية، فقال- بعد أن نقل إعراب الإمام الطبري واعتراض القاضي -: « ولم يبين جهة الخطأ، ولا عدم التئام المعنى به، ووجه الخطأ أنه إذا كان معطوفاً على ﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ وكانت (لا) لتأسيس النفي فلا يمكن إلا أن يقدر العامل قبل (لا) وهو (أن) فينسبك من (أن) والفعل المنفي مصدر منتف فيصير المعنى (ما كان لبشر موصوف بما وصف به انتفاء أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً) وإذا لم يكن له الإنتفاء كان له الثبوت فصار آمراً بإتخاذهم أرباباً وهو خطأ فإذا جعلت (لا) لتأكيد النفي السابق كان النفي منسحباً على المصدرين المقدر ثبوتهما فينتفي قوله: كونوا (عباداً لي) وأمره باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً. ويوضح هذا المعنى وضع (غير) موضع (لا) . فإذا قلت: ما لزيد فقه ولا نحو. كانت لا لتأكيد النفي وانتفى عنه الوصفان، ولو جعلت (لا) لتأسيس النفي كانت بمعنى غير فيصير المعنى انتفاء الفقه عنه وثبوت النحو له؛ إذ لو قلت: ما لزيد فقه وغير نحو. كان في ذلك إثبات

(١) الكشاف (١/٤٤٠).

النحو له، كأنك قلت ما له غير نحو. ألا ترى أنك إذا قلت: جئت بـلا زاد كان المعنى: جئت بغير زاد. وإذا قلت: ما جئت بغير زاد، معناه: أنك جئت بزاد؛ لأن (لا) هنا لتأسيس النفي. فإطلاق ابن عطية الخطأ وعـدم التئام[1] المعنى إنما يكون على أحد التقديرين في (لا) وهـي أن يكـون لتأسيس النفي، وأن يكون من عطف المنفي بلا على المثبت الداخل عليه النفي نحو: ما أريد أن تجهل وأن لا تتعلم. تريد ما أريد أن لا تتعلم» [2].

ثم ذكر أبو حيان توجيه الزمخشري و لم يعترض عليه بشيء[3].

٢- وذهب السمين الحلبي إلى رد قول ابن عطية، فقال – بعـد أن نقل الأوجه في إعراب ﴿ يَأْمُرَكُمْ ﴾ واعتراض ابن عطية وتأييد أبي حيان له وتوجيه الزمخشري-: «قلت: وهذا الـذي أورده الزمخشـري كـلام صحيح، ومعنى واضح على كلا التقديرين كون (لا) لتأسيس النفـي، أو تأكيده، فكيف يجعل الشيخ كلام الطبري فاسداً على أحد التقـديرين، وهو كونها لتأسيس النفي؟ فقد ظهر والحمد لله صحة كـلام الطـبري بكلام أبي القاسم الزمخشري ، وظهر أن رد ابن عطية عليه مردود» [4].

قلت : فهـذان عالمان مختلفان في هذا الاستدراك. ويترجح ما قـاله

---

(١) «التئام» بدله في النسخة «القيام» والصواب ما أثبت.

(٢) البحر المحيط (٥٣١/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٣١/٢).

(٤) الدر المصون (٢٨١/٣).



السمين لزوال العلة التي قالها ابن عطية؛ ولأن هذا الوجه -الذي قاله الإمام الطبري- أورده أئمة من النحاة[1] والمفسرين[2]، ومما يدل على صحته.

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [3] - :

«﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ يعني ماكثين فيها، يعني في عقوبة الله»[4].

ولم ير القاضي ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: «والضمير في قوله: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾قال الطبري: يعود على عقوبة الله التي يتضمنها معنى اللعنة. وقال قوم من المفسرين: الضمير عائد على اللعنة. قال الفقيه الإمام أبو محمد: وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم، فالضمير عائد على النار، وإن كان لم يجر لها ذكر؛ لأن المعنى يفهمها في هذا

---

(١) تقدم النقل عن بعض أئمتهم. وانظر أيضاً الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٥٩٣) فقد أعربه المنتجب على الوجه الذي ذكره الطبري. وانظر مشكل إعراب القرآن (١/١٦٤) فقد أورده مكي وجهاً).

(٢) انظر معالم التنزيل (١/٣٢١)، والتفسير الكبير (٨/٩٩)، وتفسير البيضاوي (١/١٦٩)، والتسهيل (١/١٩٩)، وتفسير النسفي (١/١٦٦)، وتفسير أبي السعود (٢/٥٣)، وفتح القدير (١/٣٥٥) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٨٨.

(٤) جامع البيان (٦/٥٧٧).

الموضع، كما يفهم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١] أنها الأرض، وقد قال بعض الخراسانيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾[٢] إن الضمير عائد على النار»[٣].

والبحث في هذه المسألة على النحو التالي:

١- موضع الاستدراك في مرجع الضمير في قوله: ﴿ فِيهَا ﴾ فالإمـــام الطبري يرى أنه راجع إلى (عقوبة الله) بينما يرى القاضي ابن عطيـــة أن الضمير راجع إلى (النار) ويعلل ذلك بأن ذلك مفهوم من المعـــنى وإن لم يجر للنار ذكر.

٢- اختلف المفسرون في مرجع الضمير على خمسة أقوال:

أ- فذهب الإمام الطبري إلى أن مرجع الضمير إلى العقوبة، وذكـــره بعض المفسرين وجها[٤].

ب- وذهب القاضي ابن عطية إلى أن مرجع الضمير إلى النار وذكره

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٦ .

(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٥ .

(٣) المحرر الوجيز (١٥٣/٣) والظاهر رجوع الضمير إلى الساعة التي تقدم ذكرهـــا في قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾.

(٤) انظر تفسير البيضاوي (١٧٠/١) ، وتفسير أبي السعود (٥٦/٢) ، وروح المعاني (٢١٧/٣).



أيضاً بعض المفسرين وجها[1].

ج- وقيل: الضمير يجوز أن يرجع إلى النار، أو إلى اللعنة[2].

د- وقيل: يجوز أن يرجع الضمير إلى عذاب اللعنة[3].

هـ- وقيل: يجوز أن يرجع الضمير إلى اللعنة أو العقوبة، أو النار[4].

و- وقيل: الضمير راجع إلى اللعنة[5]. قال أبو حيان: وهو الظاهر، إذ لم يتقدم على الضمير- في اللفظ- إلا اللعنة[6].

٣- الظاهر – والله أعلم- أن هذه الأقوال متقاربة ويجمعها كلها ما ذهب إليه أبو محمد من إعادة الضمير إلى النار.

بيان ذلك أن من قال الضمير في ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ راجع إلى العقوبة فهذا صحيح؛ لأن عقوبة الله هي النار. ومن قال الضمير راجع إلى

---

(١) انظر معالم التنزيل (١/١٣٤)، والكشاف (١/٣٢٥)، عند الآية (١٦٢) من سورة البقرة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي العالية، قال الدكتور حكمت بإسناد حسن. انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢/١/٣٨٥) ونص كلامه: «يعني في النار، في اللعنة» .

(٣) قاله الزجاج في إعراب القرآن (١/٤٤٠).

(٤) انظر تفسير البيضاوي (١/١٧٠) وتفسير أبي السعود (٢/٥٦) ، وروح المعاني (٣/٢١٧) .

(٥) انظر تفسير ابن كثير (١/٣٨١).

(٦) انظر البحر المحيط (١/٦٣٦) وهذا معنى كلامه، عند الآية (١٦٢) من سورة البقرة.

اللعنة فهذا صحيح؛ إذ أن المقصود باللعنة هنا النار[١] فكما أن الرحمة يقصد بها الجنة[٢] في قوله: ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣] فاللعنة – هنا – يقصد بها النار.

ومن قال الضمير راجع إلى عذاب اللعنة فصحيح –أيضاً– لأن اللعنة يلزم عليها العذاب بالنار. فإن قيل: النار لم يجر لها ذكر حتى تحمل رجوع الضمير إليها. فالجواب ما قاله أبو محمد: إن النار تفهم من المعنى في هذا الموضع ، كما يفهم إعادة الضمير إلى الأرض من معنى قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[٤].

فهذا مما يصح إضماره إذا دل عليه السياق ثقة بفهم السامع، ومن الأمثلة على هذا غير ما ذكره القاضي قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[٥] فالضمير في ﴿ عَلَيْهَا ﴾ راجع إلى الأرض و لم يأت لها ذكر في ما تقدم، وأيضاً قوله تعالى:

---

(١) انظر إصلاح الوجوه والنظائر، ص(٤١٦) .

(٢) انظر المصدر السابق، ص (١٩٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٥) سورة النحل ،الآية: ٦١.



﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾[1] فالضمير في قوله: ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ ﴾ راجع إلى الميت الذي دل عليه السياق ولم يجر له ذكر[2]. والله أعلم.

١٣- قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ...﴾[3]-: «وأدخلت الواو في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ لمحذوف من الكلام بعده، دل عليه دخول الواو، وكالواو في قوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[4] وتأويل الكلام: وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض، فكذلك ذلك في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ »[5].

و استدرك القاضي ابن عطية -رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تمثيله آية آل عمران بآية الأنعام فقال: « واختلف الناس في هذه الآية في

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) انظر الإتقان (١/٥٠٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٥) جامع البيان (٦/٥٨٦).



قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ ﴾ فقال الطبري : هي متعلقة بمحـذوف في آخـر الكلام دل عليه دخول الواو، كما دخلـت في قولـه: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[(١)] لمتروك من كلام تقديره: وليكون مـن المـوقنين أريناه ملكوت السموات والأرض. قال الفقيه الإمام: وفي هذا التمثيـل نظـر فتأمله»[(٢)].

هذه المسألة البحث فيها من الوجوه التالية:

١- هذا التمثيل الذي ذكره الإمام الطبري قد نص عليه الإمام الفراء -من قبل الطبري- فقال: «وقوله: ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ هو بمنـزلة قوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[(٣)] فالـواو هـاهنا كأن لها فـعل مضمـر بعدها»[(٤)].

٢- الجامع بين الآيتين تقدير محذوف في الكلام.

٣- يقصد ابن عطية بقوله: « وفي هذا التمثيل نظر فتأمله» أن تمثيل الإمـام الطـبري الآيـة ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ ﴾ بالآيـة ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: ٧٥.

(٢) المحرر الوجيز (٣/١٥٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٤) معاني القرآن (١/٢٢٦).

ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[١] ليس دقيقاً – مع أن الجامع بين الآيتين تقدير محذوف –

وبيان ذلك: أن تقدير المحذوف في قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ هو: لم يقبل منه على حال سواء افتدى، أم لم يفتد، كما تقول: الأم تحب ابنها ولو أساء. أي تحبه على كل حال، إن أحسن أو أساء، فالتنظير الصحيح ينبغي أن يكون بقوله تعالى: ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾[٢]، أما آية الأنعام فالمحذوف فيها تقديره : أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين. فالجامع بين الآيتين تقدير محذوف لكن تقدير الحذف فيهما مختلف[٣].

٤– بناء على ما تبين لنا في الوجه الثالث فاستدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة؛ لأن الآيتين وإن جمعهما تقدير محذوف من الكلام، فهما مختلفتان من حيث المعنى، والمثليّة تقتضي المطابقة، بين الممثل والممثل به.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال ، الآية: ١٩.

(٣) وسبب اختلاف المعنى أن (لو) في قوله ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ شرطية، واللام في قوله ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ للتعليل.

١٤- ساق الإمام الطبري رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[١]- بسنده إلى الضحاك أنه قال: في قوله: ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ «أسرائيل هو يعقوب، أخذه عرق النسا[٢] فكان لا يبيت الليل من وجعه، وكان لا يؤذيه بالنهار، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً، وذلك قبل نزول التوراة على موسى، فسأل نبي الله ﷺ اليهود: ما هذا الذي حرم إسرائيل على نفسه؟ فقالوا: نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل. فقال الله لمحمد ﷺ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣] وكذبوا وافتروا لم تنزل التوراة بذلك»[٤].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٩٣.

(٢) هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. انظر لسان العرب (١٤/١٣١) «نسا».

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ٩٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٩) قال حدثت عن الحسين بن الفرج ثم ساق السند إلى الضحاك، فلم يذكر الواسطة بينه وبين الحسين بن الفرج. وأخرجه ابن =



قال الإمام الطبري : «وتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنـزل التوراة ، وبعد نزولها إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنـزل التوراة ، بمعنى لكن إسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنـزل التوراة بعض ذلك . وكأن الضحاك وجه قوله: ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ إلى الاستثناء الذي يسميه النحويون: الاستثناء المنقطع»[(١)].

و استدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري فهمه لكلام الضحاك، فقال : «وترجم الطبري في تفسير هذه الآية بتراجم وأدخل تحتها أقوالاً توافق تراجمه، وحمل ألفاظ الضحاك أن الاستثناء منقطع وكأن المعنى كل الطعام كان حلاً لهم قبل نزول التوراة وبعد نزولها. قال الفقيه الإمام أبو محمد: فيرجع المعنى إلى القول الأول الذي حكيناه[(٢)]. وحمل الطبري قول الضحاك أن معناه:

=

أبي حاتم في التفسير (٢/١/٤٠٠) مختصراً. وقال الدكتور حكمت: في إسناده أبو معاذ النحوي. قلت: أخرجه الطبري من طريقه.

(١) جامع البيان (٧/٩).

(٢) حاصل القول الأول أن معنى الآية الرد على اليهود في قولهم في كل ما حرموه على أنفسهم من الأشياء إنها محرمة عليهم بأمر الله في التوراة فأكذبهم الله بهذه الآية

=

لكن إسرائيل حرم على نفسه خاصة و لم يحرم الله على بني إسرائيل في توراة ولا غيرهـــا . قال الفقيـــه الإمام : وهـــذا تحميل يرد عليه قولـــه تعالى : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾[1] وقوله ﷺ : « حرمت عليكم الشحوم »[2] إلى غير ذلك من الشواهد »[3].

هذه هي الرواية عن الضحاك وفهم الطبري لها، ونص استدراك ابـــن عطية ، والبحث في هذه المسألة على النحو التالي:

١- اختـــلف العلمـــاء في نـــوع الاستثناء في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ

=

وأخبر أن جميع الطعام كان حلاً لهم، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه خاصة و لم يرد به ولده فلما استنوا هم به جاءت التوراة بتحريم ذلك عليهم. انظر المحرر الوجيز (١٥٩/٣) .

(١) هذا النص بعض آية في ســـورتين : الأولى في ســـورة النساء ، آية :١٦٠. ونصها ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ والثانية في سورة الأنعام آية: ١٤٦ ونصها ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – مع الفتح - (٦/ ٤٩٦) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ح (٣٤٦٠) من رواية عمر رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز (١٥٩/٣- ١٦٠).



إِسْرَآءِيلُ ﴾ على قولين:

الأول: أن الاستثناء متصل ويكون المعنى: كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وعلى بنيه[(١)].

الثاني: الاستثناء منقطع، ويكون المعنى:كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل لكن حرم إسرائيل على نفسه خاصة و لم يحرمه عليهم[(٢)].

قال أبو حيان : والاتصال أظهر[(٣)]. وقال السمين: والأول هو الصحيح[(٤)]. وقال الألوسي: وصُحح الأول[(٥)].

٢- أورد جماعة من المفسرين تفسير الضحاك للآية بنحو ما أورده الطبري[(٦)]، و لم يذكروا نوع الاستثناء على تفسيره، إلا أن الألوسي تعقبه بقوله: وهذا في غاية البعد[(٧)].

٣- الذي يبدو – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية على

---

(١) انظر التبيان(١/٢٧٩)، والفريد (١/٦٠٣).

(٢) انظر البحر (٣/٤)، والدر المصون (٣/٣١١)، وروح المعاني (٤/٢).

(٣) البحر (٣/٤).

(٤) الدر (٣/٣١١).

(٥) روح المعاني (٤/٢).

(٦) انظر معاني القرآن لأبي جعفر النحاس(١/٤٤١)، ومعالم التنزيل(١/٣٢٧)، وزاد المسير(١/٤٢٣)، وروح المعاني (٤/٣).

(٧) روح المعاني (٤/٣).

الإمام الطبري وارد في هذه المسألة؛ لأن الإمام الطبري قال : « وتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، بمعنى لكن إسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك». فحاصل كلام الطبري أنه يفهم كلام الضحاك على أن الله لم يحرم على بني إسرائيل شيئاً لا قبل نزول التوراة، ولا بعد نزولها. ويتأول كلام الضحاك على الاستثناء المنقطع. وإذا تأملت كلام الضحاك لم تجده يقل: كل ذلك كان حلاً لبني إسرائيل قبل نزول التوراة وبعد نزولها وإنما حاصل كلامه أن الله تعالى كذب اليهود في دعواهم أن الذي حرم إسرائيل على نفسه نزلت التوراة بتحريمه عليهم. فلم يعمم النفي الضحاكُ.

١٥- قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى-: «القول في تأويل قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[1] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فعلنا بهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ومعصيتهم ربهم، واعتدائهم أمر ربهم »[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١١٢ . ونص الآية من أولها ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ .

(٢) جامع البيان (١١٧/٧). وقد صرح الطبري بما نسبه إليه القاضي عند آية (٦١) من =



واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في مرجع اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فقال : « وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا ﴾ حمله المفسرون على أن الإشارة بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى الشيء الذي أشير إليه بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الأول، قاله الطبري والزجاج وغيرهما . والذي أقول : إن الإشارة بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الأخير إنما هي إلى كفرهم وقتلهم؛ وذلك أن الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان والاعتداء بالمصير إلى الكفر، وقتل الأنبياء، وهو الذي يقول أهل العلم: إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالإيقاع في معصية، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى طاعة، وذلك موجود في الناس إذا تؤمل »[1] .

هذه المسألة ملخص البحث فيها على النحو التالي :

١ – تحرير محل الاستدراك هو في اسم الإشارة الثاني ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ماذا يرجع ؟ فكلام الإمام الطبري يفيد أنه يرجع إلى ما رجع إليه الأول؛ لأنه قال : « فعلنا بهم ذلك » يعني بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بوءهم الذي باؤوا به من غضب الله، وضرب الذلة عليهم . « بكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ومعصيتهم ربهم، واعتدائهم أمر ربهم » أي مجموع هذه الأشياء التي

=

سورة البقرة فقال: «ذلك» رد على «ذلك» الأولى. انظر (١٤٢/٢).

(١) المحرر الوجيز (١٩٨/٣).

وقعت من يهود هي التي سببت لهم الغضب وضرب الذلة، وهذا يعني أن اسم الإشارة الثاني راجع إلى ما رجع إليه الأول . والأول رجوعه إلى ما حل بهم من الغضب وضرب الذلة موضع اتفاق بين الإمامين .

وابن عطية لا يرى ما يراه الطبري في مرجع اسم الإشارة الثاني، وإنما يرى أن اسم الإشارة الثاني راجع إلى ما وقع منهم مـــن الكفـــر وقتـــل الأنبياء، فيكون سبب العصيان، والاعتداء، هو معصيتهم بالكفر وقتـــل الأنبياء. فالمعصية جرت إلى معصية.

٢- رأي المفسرين في مرجع اسم الإشارة :

اختلف علماء التفسير في تعيـــين مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ على قولين[1]:

الأول: أنه راجع إلى الكفر وقتل الأنبياء، فيكون معنى الآية أن الذي باءوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم سببه الكفر وقتل الأنبياء، وأن الكفر بالله وقتل الأنبياء سببه العصيان والاعتداء[2].

الثاني : أنه راجع إلى الذي باءوا به من غضب الله وضـــرب الذلـــة عليهم، وعلى هذا فاسم الإشارة الثاني تأكيد لما دل عليه الأول[3].

---

(١) أشار إلى القولين الجمل في الفتوحات (٣٠٥/١)، والألوســـي في روح المعاني (٤/ ٢٩) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٥٧/٤).

(٢) انظر تفسير البيضاوي (١٧٧/١)، وتفسير ابن كثير (٣٩٨/١)، وتفسير أبي السعود (٧٢/٢) فقد فسروا الآية على هذا..

(٣) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٢٩٢/١) ، وتفسير الخازن (٤٠٦/١) فقد فسرا =



والذي يبدو – والله أعلم – أن الذي ذهب إليه ابن عطية هو الأظهر في معنى الآية، وذلك للأسباب التالية:

١ـــ لما ذكره أبو محمد من تعليل .

٢– المعروف عند العلماء أن ألفاظ القرآن الكريم إذا دارت معانيها بين توكيد وتأسيس، فإن حملها على الثاني هو اللائق بكتاب الله الكريم.

٣– أن إرجاع اسم الإشارة إلى الكفر وقتل الأنبياء مناسب لقوله: ﴿ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ فالعصيان والتمرد على أوامر الله كانت عاقبته الكفر، والاعتداء كانت نتيجته قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١٦ – قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئاً، ولكن الله ينصركم عليهم إن صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسولي، كما نصرتم ببدر وأنتم

=

الآية على ذلك.

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٢١.



أذلة . وإن أنتم خالفتم أيها المؤمنون أمري و لم تصبروا على ما كلفـــتكم من فرائضي و لم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمري وأمر رسولي، فإنـــه نازل بكم ما نزل بكم بأحد، واذكروا ذلك اليوم إذ غدا نبيكم يبـــوئ المؤمنين ... وأخرج الخطـــاب في قولـــه : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ على وجه الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخـــذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين. فقد بين إذاً أن قوله: ﴿ وَإِذْ ﴾ إنما جرها في معنى الكلام ما قد بينت وأوضحت »[1].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – جعل هـــذه الآيـــة متصلة بمعنى ما تقدمها من الآيات فقال : « ذهب الطبري – رحمه الله – إلى أن هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من الآيات . والظاهر أنها استقبال أمر آخر؛ لأن تلك مقاولة في شأن منافقي اليهود، وهذا ابتـــداء عتـــب المؤمنين في أمر أُحد، فالعامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل مضمر تقديره (واذكر) »[2].

وكما وقع الخلاف بين الإمامين الطبري وابن عطية ، فقد وقع أيضاً بين المفسرين في هذه المسألة، فأكثرهـم – في ما رأيت – لا يرى أن هناك اتصالاً بين قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ وبيـــن الآيات الـــتي ســـبقتها – أعني القريبة منها –

---

(١) جامع البيان (١٥٩/٧).

(٢) المحرر الوجيز (٢١٤/٣).



فيقولون : الواو متعلقة بفعل محذوف تقديره (اذكر) وهذا مصير منهم إلى ما رآه أبو محمد من أن هذه الآية مقطوعة مما قبلها من ناحية المعنى[(١)].

وهناك من يرى اتصالاً بين هذه الآية والآيات التي تقدمت عليها -متصلة بها- فيذكر بعضهم اتصالاً من ناحية الإعراب كالرازي فإنه ذكر عدة أوجه قيلت في العامل في ﴿ إِذْ ﴾ من بينها أن قال : « والثالث: العمل فيه محيط تقديره : والله بما يعملون محيط وإذ غدوت »[(٢)].

ويذكر بعضهم اتصالاً من ناحية المعنى، كبرهان الدين البقاعي[(٣)] فإنه قال : « ولما كان ما تضمنته هذه الآية[(٤)] من الإخبار ومن الوعد، ومن الوعيد ، منطوقاً ومفهوماً محتاجاً إلى الاجتلاء في صور الجزئيات ذكرهم سبحانه بالوقائع التي شوهدت فيها أحوالهم من النصر عند العمل بمنطوق

---

(١) انظر - على سبيل المثال- معاني القرآن وإعرابه (٤٦٥/١)، ومشكل إعراب القرآن (١٧٣/١)، والكشاف (٤٦٠/١)، وتفسير البيضاوي (١٧٩/١)، والبحر المحيط (٤٨/٣)، والدر المصون (٣٧٨/٣)، وتفسير النسفي (١٧٩/١).

(٢) التفسير الكبير (١٧٩/٨).

(٣) ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، من الأئمة المتقنين المتبحرين (ت: ٨٨٥هـ). انظر البدر الطالع (١٩/١).

(٤) يعني قوله تعالى ﴿.... وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ ﴾ الآية: ١٢٠ من سورة آل عمران .

الوعد من الصبر والتقوى ، وعدمه عند العمل بالمفهوم ، وشوهدت فيها أحوال عدوهم من المساءة عند السرور، والسرور عند المساءة؛ وذلك غني عن دليل لكونه من المشاهدات ، مشيراً إلى ذلك بواو العطف ، على غير مذكور مخطاباً لأعظم عباده فطنة وأقربهم إليه رتبة ، تهييجاً لغيره إلى تدقيق النظر ، واتباع الدليل من غير أدنى وقوف مع المألوف فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ ﴾ أي اذكر ما يصدق ذلك من أحوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم ، وحين ساءهم نصركم في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش[1] إلى نخلة[2] ، ثم في بدر ... ونحو ذلك ، واذكر إذ لم يصبر أصحابك فأصيبوا ، وإذ سرهم مصيبتكم في وقعة أُحد... »[3].

وهذا الكلام معناه قريب مما ذكره الإمام الطبري ، والشاهد فيه الاتصال المعنوي بين قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ وبين معنى الآيات المتصلة بها المتقدمة عليها.

والذي يظهر – والله أعلم – أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من

---

(١) عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي، أحد السابقين إلى الإسلام (ت : يوم أحد شهيداً) انظر الإصابة (٦/٣٤).

(٢) نخلة : واد من الحجاز ، إلى الجنوب من مكة . انظر معجم البلدان (٥/٣٢١) ، والمجتمع المدني ص(٢٩).

(٣) نظم الدرر (٥/٤١، ٤٢).



الاتصال المعنوي هو كما قال ، وذلك للأسباب التالية:

١- لأن القرآن الكريم متصل المعاني، لا انقطاع في معانيه فهو في هذا الجانب- على تعدد سوره- كالسورة الواحدة والسورة الواحدة كالآية الواحدة، يدلك على هذا أن مقيده هو الحاكم على مطلقه، ومبينه هو القاضي على مجمله، وكذلك الشأن في العام والخاص.

٢- الرابط المعنوي واضح بين قوله تعالى: ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾[1]. وبين قوله: ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ ﴾ وذلك أن هذه الآية بداية لذكر المثال على ما أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه السلاح الحقيقي ضد أعدائهم (الصبر والتقوى) فبالصبر والتقوى وصلوا إلى ما وصلوا إليه -بإذن الله- يوم بدر من النصر والظفر على الأعداء، وبالمفهوم المخالف للصبر والتقوى الذي وقع فيه بعضهم يوم أحد وصلوا إلى ما صلوا إليه من الهزيمة وتشفي الأعداء منهم. فهذا مضمون ما أشار إليه الإمام الطبري، وكذلك الشيخ البقاعي رحمهما الله تعالى، وحسن هذا الاتصال لا ينكر إلا أنه قد يخفى.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٢٠.

٣- ما قاله أبو محمد والمعربون من أن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل مضمر لا يدفع هذا الرابط المعنوي، وليس بينهما تعارض إذ أن الكلام ربما كان مستأنفاً من ناحية صناعة الإعراب لكن له تعلق معنوي بما تقدمه، وهـــذا منه، ولذلك قال أبو السعود – في قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾ -: «كـــلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة من مضرة كيد الأعداء»[1].

١٧- قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[2] قال أبو جعفر: اختلفت القَرَأة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَرَأة أهل الحجـــاز والمدينـــة والبصرة ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ كلاهمـــا بفتح القاف بمعنى إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح – قتل وجراح- مثله. وقـــرأ ذلك عامة قرأة الكوفـــة ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قُرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قُرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ كلاهما بضم القاف . قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ بفتح

(١) تفسير أبي السعود (٢/٧٧).

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٤٠.



القاف في الحرفين؛ لإجماع أهل التأويل على أن معناه: القتل والجراح؛ فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح. وكان بعض أهل العربية يزعم أن «القَرْح» و «القُرْح» لغتان بمعنى واحد. والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا. ذكر من قال: إن القَرْح الجراح والقتل »[١].

ثم ساق بسنده عدداً من الروايات عن بعض المفسرين من التابعين مفادها أن «القَرْح» الجرح والقتل[٢].

و استدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من التفريق بين « القَرْح » و « القُرْح » بفتح القاف وضمها فقال : « قال أبو الحسن الأخفش : القَرح والقُرح مصدران بمعنى واحد. ومن قال القَرح بالفتح الجراحات بأعيانها، والقُرح بضم القاف ألم الجراحات قبل منه إذا أتى برواية ؛ لأن هذا مما لا يعلم بقياس. وقال بهذا التفسير الطبري »[٣].

هذه المسألة النظر فيها من وجوه:

الأول: يظهر أن تصريح الإمام الطبري بمعنى قراءة ضم القاف «القُرْح» قد سقط من النسخ التي وصلت إلينا من تفسيره يدلك على هذا

---

(١) جامع البيان (٧/٢٣٦- ٢٣٧).

(٢) انظر جامع البيان (٧/٢٣٧- ٢٣٨).

(٣) المحرر الوجيز (٣/٢٤٢) .

أمــــران :

١- قول الإمام الطبري «وكان بعض أهل العربية يزعم أن «القَرْح» و «القُرْح» لغتان بمعنى واحد، والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا» وهو لم يذكر إلا معنى الفتح. ولذلك قال محمود شاكر عند نــص الطبري هذا: «نص قوله هنا دال على خرم في نص الطبري»[(١)].

٢- أن القاضي ابن عطية ذكر معنى قراءة ضم القــاف، ثم نســب القول بذلك إلى الإمام الطبري.

الوجه الثاني: فتح القاف، وضمها مــن قولــه: ﴿ قَرْحٌ ﴾ قراءتــان متواترتان[(٢)].

الوجه الثالث: ما ذكره أبو محمد هنا من الإعتراض على قــول مــن فرق بين الفتح والضم متابع فيه لأبي علي الفارسي فهو نص كلامــه في الحجة[(٣)].

الوجه الرابع: اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: التفــريق بين فتــح القاف وضــمهــا في هذه اللفظة

---

(١) جامع البيان تحقيق أحمد ومحمود شاكر (٢٣٧/٧) حاشية رقم (١).

(٢) حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بضم القاف في الموضعين،وكذلك في قوله ﴿وأصابهم القرح﴾ وقرأ الباقون بفتحها في الثلاثة. قاله ابن الجزري في النشر (٢٤٢/٢).

(٣) انظر الحجة (٧٩/٣).



﴿ قَرْحٌ ﴾ فيقولون بفتح القاف الجراح، وبضمها ألم الجراح، وهـذا رأي الفراء[١] وقال به اليزيدي[٢]، ومكي[٣]. وحكاه صاحب اللسان عن بعض أهل اللغة[٤].

وقال الماوردي هذا قول الأكثرين[٥].

القول الثاني: أن قراءة الفتح والضم لغتان بمعنى واحد، وهو مقتضى كلام الأخفش[٦]،

ونقلوه عن الكسائي[٧]. وإليه ذهب أبو علي الفارسي[٨]، والقاضي ابن عطية. وحكاه الزجاج عن أهل اللغة فقال -بعد أن ذكر القراءتين-: «وهما عند أهل اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها»[٩].

---

(١) انظر معاني القرآن (١/٢٣٤).

(٢) انظر غريب القرآن وتفسيره ص(١٠٩، ١١٠) . واليزيدي هو : عبد الله بن يحيى ابن المبارك اليزيدي ، كان أديباً نحوياً لغوياً مقرئاً (ت : ٢٣٧هـ) . انظر الفهرست ص(٧٥).

(٣) انظر العمدة في غريب القرآن ص(١٠٢) وفي الكشف أشار إلى الخلاف.

(٤) انظر اللسان (١١/٨٩) «قرح».

(٥) انظر النكت والعيون (١/٤٢٦).

(٦) انظر معاني القرآن (١/٤٢١).

(٧) انظر إعراب القرآن (١/٤٠٨) فقد نسبه للكسائي، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٢١٧).

(٨) انظر الحجة (٣/٧٩).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (١/٤٧٠).

القول الثالث: حكاه ابن الجوزي عن أبي عبيد أنه قال: القرح بالفتح: الجراح والقتل، والقرح بالضم ألم الجراح[1].

قلت: هذا القول قريب من القول الذي جعل فـتح القـاف بمعـنى الجراح. إلا أنه أضاف إلى الجراح القتل ، وهو تفسير بالواقع يوم أحـد، ويوم بدر فإن الذي وقع قتل وجراح.

وهذا القول هو الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ونقله عن مجاهـد، وقتادة، والربيع[2].

الوجه الخامس: الذي يبدو في هذه المسألة هو ما ذهب إليه ابن عطية من عدم التفريق بين قراءة الفتح والضم في قوله: ﴿ قَرْحٌ ﴾ وذلـك أن القائلين بالتفريق لم ينقلوا دليلاً من كلام العرب يقضي بما ذهبـوا إليـه، والتعويل في مثل هذا الأمر إنما هو على النقل؛ لأن التفريق بين القراءتين لا يتصور. فمن قال بفتح القاف الجراح. قيل له: ألم الجراح ملازم للجراح. ومن قال بضم القاف ألم الجراح. قيل: الجراح موجودة على هذا المعنى.

---

(١) انظر زاد المسير (٤٦٦/١).

(٢) انظر جامع البيان (٢٣٧/٧- ٢٣٨).



سورة النساء

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[1] ... -: « وأما قوله :﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ فإنه مأخوذ من : هنأت البعير بالقطران ، إذا جرب فعولج به ، كما قال الشاعر[2]:

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

فكأن معنى قوله : ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ فكلوه دواء شافياً »[3].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ فقال: «قال الطبري : ومن هناء البعير أن يعطى الشفاء . قال القاضي أبو محمد : وهذا ضعيف ، وإنما قال اللغويون : الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة ... ودخل

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٤ .

(٢) دريد بن الصمة الجشمي البكري من الشعراء المعمرين ، أدرك الإسلام و لم يسلم ، قتل يوم حنين سنة (٨هـ) . انظر خزانة الأدب (١١/١١٨) ، والأعلام (٢/ ٣٣٩). والبيت في ديوانه ص(٣٤) وفي لسان العرب (١٤/٢٤٩) «نقب» قال ابن منظور : والنقب القطع المتفرقة من الجرب.

(٣) جامع البيان (٧/٥٥٩، ٥٦٠).



رجل على علقمة[١] وهو يأكل شيئاً مما وهبته امرأته من مهرها فقال له : كل من الهنيء المريء»[٢].

وللوقوف على الحقيقة في هذه المسألة لابد من الرجوع إلى ما قاله اللغويون والمفسرون في معنى ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ .

أما اللغويون فقد أوردوا أصل هذه اللفظة ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ في مصنفاتهم وذكروا لها عدة معان من بينهـــــا ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية.

قال في المعجم الوسيط «هنأ» هنئاً : أعطاه طعاماً أو نحوه. والقوم عالهم ، والطعام أصلحه . والطعام الرجل[٣] : ساغ ولذ له ... والإبل طلاها بالقطران . وهنيء له الطعام هنأ وهناءة : ساغ ولذ[٤].

وقال الراغب : «هنأ : الهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ، ولا يعقب وخامة ، وأصله في الطعام، يقال: هنيء الطعام فهو هنيء قال عز وجل : ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ ... والهناء ضرب من القطران ، يقال: هنأت الإبل فهي مهنوءة»[٥].

---

(١) علقمة بن قيس ، الإمام الحافظ المجود (ت : ٦١ أو ٦٢هـ) انظر السير (٤/٥٣).
(٢) المحرر الوجيز (٤/٢٠).
(٣) يعني : هنأ الطعام الرجل.
(٤) المعجم الوسيط (٢/١٠٣٧) «هنأ».
(٥) المفردات ص(٥٤٦) . ونحو قول الراغب قال السمين في عمدة الحفاظ (٤/٣٠٤).



وقال الأزهري : «وقد هنأنا الله الطعام ، وكان طعاماً استهنأناه ، أي استمرأناه»(١).

ونكتفي بالنقل عن هؤلاء ومضمون ما تقدم موجود عند غيرهم أيضاً(٢).

أما المفسرون فقد فسر بعضهم هذه اللفظة بنحو تفسير الإمام الطبري كالماوردي فإنه قال: «الهنيء ما أعقب نفعاً وشفاء ، ومنه هنأ البعير للشفاء»(٣) ثم أورد البيت الذي ذكره الإمام الطبري. وبنحو تفسير الطبري – أيضاً – فسر أبو حيان فقال : «و ﴿ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ أي شافياً سائغاً»(٤).

وأورد ابن الجوزي في معنى ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ ثلاثة معان مضمونها ما قاله الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية، فقال : «وفي الهنيء ثلاثة أقوال . أحدها : ما تؤمن عاقبته . والثاني : ما أعقب نفعاً وشفاء. والثالث: أنه الذي لا ينغصه شيء»(٥).

---

(١) تهذيب اللغة (٤٣٣/٦) «هنأ».

(٢) انظر لسان العرب (١٤٢/١٥، ١٤٣)، ومختار الصحاح ص(٥٠٩) ، والمصباح المنير ص(٢٤٦) الأولان في «هنأ» والأخير في «الهن» والأخيران اقتصرا على ما ذكره ابن عطية.

(٣) النكت والعيون (٤٥١/١).

(٤) البحر المحيط (١٧٥/٣).

(٥) زاد المسير (١٢/٢).



وقال الزمخشري : «الهنيء والمريء صفتان من هنوء الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، وقيل: الهنيء ما يلذه الآكل ، والمريء ما يحمد عاقبته...»[١].

وقال البغوي : «سائغاً طيباً ... وقيل: الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء»[٢].

وقال الواحدي : «معنى الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء»[٣].

وهؤلاء الثلاثة - أعني البغوي والواحدي والزمخشري - ينحون في تفسيرهم لهذه اللفظة منحى القاضي ابن عطية.

والذي يبدو - والله أعلم - أن وصف القاضي ابن عطية لقول الإمام الطبري بالضعف هو كما قال؛ لأن أهل اللغة الذين ذكرت كلامهم هنا إنما يذكرون المعنى الذي قال القاضي ابن عطية ، ويذكرون المعنى الآخر على أنه لا علاقة له بالأكل ، وإنما هو ضرب من الدواء.

وأما المفسرون الذين اقتربوا من الإمام الطبري في المعنى الذي ذهب إليه ، فهم قالوا ذلك بناء على أن هذا المعنى قد ورد في اللغة[٤] ، ولأجل

---

(١) الكشاف (٤٩٩/١).

(٢) معالم التنـــزيل (٣٩٣/١).

(٣) الوسيط (١١/٢).

(٤) ولا يبعد أيضاً أهم تأثروا بتفسير الإمام الطبري.



هذا - أيضاً - فسر الإمام الطبري الآية بذلك.

غير أنه يقال: ليس كل معنى في اللغة يصلح أن تحمل عليه الآية ، فالسياق له اعتبار كبير في تعيين المعنى المراد في الآية.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [١] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه... و «المحسب» من الرجال المرتفع الحسب ، و «المحسب» المكفي» [٢].

ورأى القاضي ابن عطيـــة - رحمه الله تعالى - أن الأظهـــر في معنى ﴿ حَسِيبًا ﴾ ليس ما قاله الإمام الطبري فقال: «والحسيب هنا المحسب ، أي هو كاف من الشهود ، هكذا قال الطبري. والأظهر أن ﴿ حَسِيبًا ﴾ معناه: حاسباً أعمالكم ، ومجازياً بها ، ففي هذا وعيد لكل جاحد حق» [٣].

للوقوف على الأظهر في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَسِيبًا ﴾ لابد من ذكر آراء المفسرين واللغويين في معناها ، فنقول : اختلف المفســـرون في معنى

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦ .

(٢) جامع البيان (٧/٥٩٦، ٥٩٧).

(٣) المحرر الوجيز (٤/٢٦).



﴿ حَسِيبًا ﴾ على أقوال :

١- فمنهم من فسرها بـــ «شهيداً»[١].

٢- ومنهم من فسرها بـــ «رقيباً»[٢].

٣- ومنهم من فسرها بـــ «حفيظاً»[٣].

٤- ومنهم من فسرها بـــ «كافياً»[٤] وهذا موافق لما قاله الإمام الطبري.

٥- ومنهم من فسرها بـــ «حاسباً، أو محاسباً»[٥] وهذا موافق لما رأى القاضي ابن عطية أنه الأظهر.

وطائفة من المفسرين واللغويين قالوا يحتمل أن تفسر بـــ «كافياً» ، أو بـــ «محاسباً» فهؤلاء أجازوا الوجهين ، ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٩٦/٧) عن السـدي من طريق أسباط. ونُسب هذا القول إلى ابن عباس ومقاتل. انظر زاد المسير (١٨/٢)، والبحر (١٨٢/٣).

(٢) انظر المفردات ص(١١٧) ، وتفسير ابن كثير (٤٥٥/١) وقد ذكر ابن كثير مع هذا القول غيره.

(٣) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٣٥٠/١).

(٤) انظر غريب القرآن وتفسيره ص(١١٥) ، والعمدة في غريب القرآن ص(١٠٧).

(٥) انظر تفسير غريب القرآن ص(١٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥/٥)، وتفسير البيضاوي (٢٠٥)، وتفسير النسفي (٢٠٨/١)، وتفسير أبي السعود (١٤٦/٢).

(٦) انظر الكشاف (٥٠٣/١) ، والبحر (١٨٢/٣) ، وتهذيب اللغة (٣٣١/٤)، ولسان =



ولا شك أن قول الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية هما أظهر الأقوال في معنى ﴿ حَسِيبًا ﴾ ؛ لأنهما المعنيان اللذان أثبتهما أهل اللغة لهذه اللفظة[1] ، وهما المعنيان اللذان عول عليهما كثير من المفسرين[2].

ثم إن الذي يبدو لي أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن ﴿ حَسِيبًا ﴾ بمعنى ((كافياً)) يتساوى في القوة مع القول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية ، وذلك للأسباب التالية:

١- أثبت أهل العلم باللغة عند هذه الآية الكريمة أن ﴿ حَسِيبًا ﴾ يكون بمعنى كافياً ومحاسباً، وإذا كان ذلك كذلك فالأصل التساوي ، حتى يثبت خلاف ذلك.

٢- الأمر الذي علل به القاضي ابن عطية لما قال إنه أظهر ، قد ذكر الفخر الرازي أنه موجود أيضاً على المعنيين جميعاً فقال: ((واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم ، وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل ، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل سواء فسرنا الحسيب بالمحاسب ، أو بالكافي))[3].

=

العرب (١٦٣/٣)، وترتيب القاموس (٦٣٧/١) الثلاثة في ((حسب)).

(١) تقدم قريباً ذكر المراجع.

(٢) تقدم قريباً ذكر المراجع.

(٣) التفسير الكبير (١٥٧/٩).



٣- يظهر لي أن الإمام الطبري عندما فسر ﴿ حَسِيبًا ﴾ بمعنى «كافياً من الشهود» نظر إلى أقرب شيء لهذا التذييل وهو ما يتعلق بالشهادة، والقاضي ابن عطية عندما فسر ﴿ حَسِيبًا ﴾ بمعنى (حاسباً) نظر إلى الأمر بدفع مال اليتيم إليه عند إيناس الرشد منه ، والنهي عن أكله إسرافاً وبداراً ، وكلاهما نظر صحيح. ولذلك أجاز بعض المفسرين أن يفسر بهذا أو بهذا[1]. وأبان الرازي أن الوعيد حاصل على كلا التفسيرين . والله أعلـــم.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى:﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾[2]: - «محتملاً أن يكون مراداً به : وإذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية ، أولوا قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يراد فأوصلوا لأولي قراباتكم الذين لا يرثونكم منه ، وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً ، كما قال في موضع آخر: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

(١) تقدم قريباً ذكر المراجع في ذلك.

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨ .



بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[(١)] »[(٢)] وجزم في موضع قريب من هذا بما قال إنه محتمل ها هنا فقال: «... وإذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ قسمة الموصي ماله بالوصية أولوا قرابته - ﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ - يقول : فاقسموا لهم منه بالوصية ، يعني: فأوصوا لأولي القربى من أموالكم ، ﴿ وَقُولُوا۟ لَهُمْ ﴾ يعني الآخرين ، وهم اليتامى والمساكين ﴿ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ يعني يدعى لهم بخير...»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفريق عود الضميرين في قوله: ﴿ فَٱرْزُقُوهُم ﴾ وفي قوله: ﴿ لَهُمْ ﴾ فقال: «والضمير في قوله: ﴿ فَٱرْزُقُوهُم ﴾ وفي قوله: ﴿ لَهُمْ ﴾ عائد على الأصناف الثلاثة . وغير ذلك من تفريق عود الضميرين كما ذهب إليه الطبري تحكم»[(٤)].

هذه المسألة كما ترى الاستدراك فيها على الإمام الطبري في تفريقه

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠.

(٢) جامع البيان (١٢/٨).

(٣) المرجع السابق (١٣/٨).

(٤) المحرر الوجيز (٢٨/٤، ٢٩).



بين الضميرين في ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم ﴾ و ﴿ لَهُمۡ ﴾.

والإمام الطبري بنى تفريقه هذا على اختياره أحد الأقوال التي قيلت في تأويل الآية عموماً وهل هي منسوخة أو محكمة ، وكان من بين هذه الأقوال قول يقول صاحبه: إنها محكمة وليست منسوخة، غير أن معنى ذلك: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ ﴾ يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به[1].

ونقصر البحث في هذه المسألة على موطن الاستدراك تاركين الكلام على قضيـــة هل الآية محكمة أو منسوخة لأن ذلك لم يتعرض له القاضي بالنقد فأقول :

اختلف العلماء القائلـــون بإحكام الآية في عـــود الضميرين في قوله: ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم ﴾ و ﴿ لَهُمۡ ﴾ على قولين:

القول الأول: أن الضمير في الموضعين يرجع إلى أولي القربى واليتامى والمساكين ، وهذا قول كثير من المفسرين[2] ، وهو الذي يراه القاضي ابن عطية.

---

(١) انظر جامع البيان (٨/١٠ - ١٢).

(٢) انظر الوسيط (٢/١٥)، وتفسير البيضاوي (١/٢٠٥)، وتفسير النسفي (١/٢٠٩)، والتسهيل (١/٢٢٤)، وتفسير الخازن (١/٤٨٣)، وتفسير ابن كثير (١/٤٥٦-٤٥٧)، والجواهر الحسان (١/٤١٨)، والبحر المحيط (٣/١٨٤-
=



القول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم ﴾ راجع إلى أولي القربى ، وفي قوله: ﴿ لَهُمۡ ﴾ راجع إلى اليتامى والمساكين. هذا الذي يراه الإمام الطبري . وحكي عن سعيد بن جبير قريب من هذا وهو أن المراد من أولي القربى هنا الوارثون ، ومن اليتامى والمساكين غير الوارثين ، وأن قوله سبحانه : ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ ﴾ راجع إلى الأولين ، وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلاً مَّعۡرُوفًا ﴾ راجع للآخرين[1].

واستدرك القاضي ابن عطية في هذه المسألة هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- رجوع الضميرين إلى الأصناف الثلاثة هو الظاهر المتبادر من سياق القرآن الكريم ، ولا يعدل عن الظاهر إلا لدليل.

٢- على هذا القول سار المفسرون في تفاسيرهم ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وأذكر لك هنا بعض النماذج من أقوالهم، قال الواحدي : «قوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ ﴾ يعني قسمة المال بين الورثة ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ ذوو القرابات الذين يحزنون ولا يرثون ﴿ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ

=

١٨٥)، وتفسير أبي السعود (٢/١٤٧)، والفتوحات الإلهية (١/٣٥٨)، وفتح القدير (١/٤٢٨) ، وروح المعاني (٤/٢١٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٣١٤).

(١) انظر التفسير الكبير (٩/١٦٠)، وروح المعاني (٤/٢١٢).



وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ ﴾ هذا على الندب والاستحباب يستحب للوارث أن يرضخ[١] لهؤلاء بشيء من التركة بقدر ما تطيب به نفسه من الذهب والورق ، ويقول لهم عند قسمة العقار والرقيق ... ﴿ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ وهو أن يقول: بورك فيكم»[٢].

وقال ابن جزي : «الآية خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قراباتهم وعلى اليتامى والمساكين»[٣].

٣- وافق ابن عطية جماعة من المفسرين فوجهوا النقد إلى هذا القول - أعني قول الإمام الطبري - واعتبروه تحكماً لا دليل عليه ، بل استغربوه، وعدوه بعيداً.

قال أبو حيان : «وما قيل من تفريق الضمير تحكم لا دليل عليه »[٤].

وقال الحافظ ابن كثير: «وقد اختار ابن جرير هاهنا قولاً غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ ﴾ أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أولوا قرابة الميت ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ ﴾ لليتامى والمساكين إذا حضروا ﴿ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ هذا معنى ما حاوله بعد طول

---

(١) الرضخ : العطية . انظر لسان العرب (٢٣٠/٥) «رضخ».

(٢) الوسيط (١٥/٢).

(٣) التسهيل (٢٢٤/١).

(٤) البحر (١٨٥/٣).



العبارة والتكرار وفيه نظر... بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ، وهذا يأخذ ، وهم يائسون لا شيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤوف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون براً بهم وصدقة عليهم ، وإحساناً إليهم ، وجبراً لكسرهم»(١).

وقال العلامة الألوسي – بعد أن حكى قول سعيد ابن جبير المتقدم – : « وهو بعيد جداً. والمتبادر ما ذكر أولاً »(٢) .

قلت : ما ذكره أولاً هو القول الموافق لما رآه ابن عطية(٣).

بقي أن تعلم أن ما نسب إلى سعيد بن جبير مما يفيد تفريق الضمير. الثابت من روايته عن ابن عباس خلاف ذلك فقد أخرج الإمام البخاري عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت ، ولا والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون الناس ، هما واليان : وال يرث وذاك الذي يرزق ، ووال لا يرث فذاك الذي يقول بالمعروف ، يقول: لا أملك لك أن أعطيك»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٥٦، ٤٥٧).

(٢) روح المعاني (٤/٢١٢).

(٣) انظر المرجع السابق (٤/٢١٢).

(٤) صحيح البخاري– مع الفتح – (٥/٣٨٨)، كتاب الوصايا، باب قول الله عز وجل =



فهذا ليس فيه قصر الرزق على أحد الأصناف الثلاثة ، ولا فيه كذلك قصر القول بالمعروف على أحد هؤلاء ، وإنما فيه أن الذي أُمر بإيصال الرزق إليهم يختلف حاله ، عن الذي أُمر أن يقول لهم قولاً معروفاً.

وهذا الذي رواه عن شيخه ابن عباس قد أخرجه عنه الإمام الطبري من قوله [1] . فتبين بهذا أن ما نسب إليه من تفريق الضمير فيه نظر . والله أعلم .

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾[2]... اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ فقال بعضهم: هما البكران اللذان لم يحصنا ، وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها . وقالوا: قوله :

=

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ... ﴾ ح(٢٧٥٩).

(١) انظر جامع البيان (٨/٨) فقد أخرجه عن شيخه يعقوب بن إبراهيم ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ فذكره من قوله. وهذا إسناد صحيح. فيعقوب بن إبراهيم الدورقي ثقة. وهشيم ابن بشير بن أبي خازم ثقة ثبت مدلس لكنه صرح بالسماع. وأبو بشر هو جعفر ابن إياس ثقة من أثبت الناس في سعيد . انظر تراجمهم في تقريب التهذيب الأول برقم (٧٨١٢)، والثاني برقم (٧٣١٢)، والثالث برقم (٩٣٠).

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٦ .



﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾معني به الثيبات المحصنات بالأزواج، وقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ يُعنى به البكران غير المحصنين... وقال آخرون: بل عني بقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ الرجلان الزانيان ... وقال آخرون : بل عني بذلك الرجل والمرأة ، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب ... قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ قول من قال : عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا ، وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال ، كما كان مقصوداً بقوله: ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ قصد البيان عن حكم الزواني لقيل : (واللذين يأتونها منكم فآذوهم) أو قيل : (والذي يأتيها منكم) كما قيل في التي قبلها ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ فأخرج ذكرهن على الجميع ، ولم يقل : (واللتان يأتيان الفاحشة) وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل ، أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد – وذلك أن الواحد يدل على جنسه – ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول: (الذين يفعلون كذا فلهم كذا ، والذي يفعل كذا فله كذا) ولا تقول: (اللذان يفعلان كذا فلهما كذا) إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ،

كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية. فإذا كان ذلك كذلك قيل: بذكر الاثنين ، يراد بذلك الفاعل والمفعول به . فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به ، أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين ، فذلك ما لا يعرف في كلامها...»[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن المراد بـ ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ الذكر والأنثى الزانيان البكران فقال : «قال مجاهد وغيره : الآية الأولى في النساء عامة لهن، محصنات وغير محصنات[(٢)]، والآية الثانية في الرجال وبين بلفظ التثنية صنفي الرجال ممن أحصن وممن لم يحصن ، فعقوبة النساء الحبس ، وعقوبة الرجال الأذى، وهذا قول يقتضيه اللفظ ، ويستوفي نص الكلام أصناف الزناة عليه ، ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الأولى : ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ وقوله في الثانية: ﴿ مِنكُمْ ﴾ . وقال السدي وقتادة وغيرهما : الآية الأولى في النساء المحصنات ، يريد ويدخل معهن من أحصن من الرجال بالمعنى ، والآية الثانية : هي في الرجل والمرأة البكرين . قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا القول تام ، إلا أن لفظ الآية يقلق عنه ، وقد رجحه

---

(١) جامع البيان (٨/٨١، ٨٢، ٨٣) وقد ذكر بعد كل قول من قال به بالسند.

(٢) يعني قوله : ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ سورة النساء ، الآية: ١٥.
وقد نص عليها الطبري في كلامه السابق.



الطبري))[(١)].

الذي ظهر لي من خلال كلام القاضي ابن عطية أنه فهم عن الطبري والسدي أنهما يقولان الآية الأولى - ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾[(٢)] الآية - في المحصنات من النساء ويدخل معهن من أحصن من الرجال، والآية الأخرى - ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ الآية - في البكرين من الرجال والنساء. ثم وصف القاضي هذا القول بالقلق ، ويبدو أن وصفه بالقلق من أجل أن دخول الرجل في قوله: ﴿ وَٱلَّتِي ﴾ لا يعرف في لغة العرب ، بل المعروف عكسه من تغليب المذكر على المؤنث.

لكن هذا الذي بنى عليه القاضي إطلاق القلق لم يقله قتادة ولا الطبري ، ولا السدي ، ولا يفهم من كلامهم [(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز (٣/٤٧ ، ٤٨).

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥.

(٣) انظر كلام الطبري في النص الذي نقل عنه أول المسألة. وأنقل لك بعض كلامه عند تفسير قوله ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ فقد صدر تفسير الآية بقوله: ((يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ والنساء اللاتي يأتين بالزنا أي يزنين - من نسائكم ، وهن محصنات ، ذات أزواج ، أو غير ذات أزواج - فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم ...)) جامع البيان (٨/٧٣). وأما السدي فقال في قوله: ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ ... - ((هؤلاء اللاتي قد نكحن وأحصن . إذا زنت المرأة

=

نعم لو قال ابن عطية : إن ما اختاره الطبري مرجوح ؛ لأن المحصن من الرجال يبقى بدون حكم لكان وجهاً . وقد يكون ابن عطية أراد بوجه القلق أن ﴿ ٱلَّذَانِ ﴾ حقيقته للمذكر المثنى ، فلا تدخل فيه الأنثى إلا على التغليب ، وهذا بعيد ؛ لأنه لا يخرج الشيء إلى المجاز ومعناه صحيح في الحقيقة[1].

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري ؛ لأنه بناه على شيء لم يقله الطبري ، ولا السدي ، ولا قتادة.

أما إن ما رجحه القاضي ابن عطية هو الراجح فنعم ؛ لأنه قول يستوفي حكم جميع الزناة والزواني؛ ولأن الآية الأولى في النساء بالنص - كما قال ابن عطية - والثانية في مقابل الأولى فهي في الرجال، ويؤيده - كما قال ابن عطية أيضاً - أن في الأولى ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ وفي الثانية ﴿ مِنكُمْ ﴾ ؛ ولأنه قد جاء عن ترجمان القرآن أنه قال - في هذه الآية،

=

فإنها كانت تحبس في البيت ›› . جامع البيان (٧٥/٨). وقتادة لا يفهم من كلامه إلا أنه يقول : الحبس مختص بالمرأة فقد أسند إليه الطبري أنه قال — عند الآية ﴿ وَٱلَّتِى ... ﴾ - : ‹‹كان هذا قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعاً ، وبحبس المرأة›› جامع البيان (٧٥/٨).

(١) انظر إعراب القرآن (٤٤٢/١) فقد اختار أبو جعفر أن قوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ للرجلين وعلل بما ذكرت.



﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ - : «كان الرجل إذا زنى أوذي بالتعيير ، وضرب بالنعال» [١].

فجعل الآية في جنس الرجال ، و لم يفرق بين محصنهم وبكرهم . ومما يرجح هذا القول أن جزاء الجنسين معقول فيهما ، فالنساء يصلح لهن الحبس ؛ لأن سبب وقوع الفاحشة منهن- في الغالب - الخروج والتعرض للرجال ، فإذا حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية ، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت ؛ لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه ، وترتيب مهماته [٢].

ثم ليعلم القارئ الكريم أن البحث والتقصي في هذه المسألة ليس ذا أهمية كبيرة ؛ وذلك أن ما دلت عليه هاتان الآيتان منسوخ [٣] بما في سورة

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص(١٣٢)، والطبري في جامع البيان (٨/٨٥) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) انظر التفسير الكبير (٩/١٩٠) فقد ذكر الفخر الرازي نحو هذا التعليل. وهذا القول عليه طائفة من الفقهاء والمفسرين، منهم أبو جعفر النحاس ، والجصاص ، وابن العربي ، والسيوطي ، وابن عاشور . انظر إعراب القرآن (١/٤٤٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٤٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٦٠)، وتفسير الجلالين ص (٩٣)، والتحرير والتنوير (٤/٢٧١-٢٧٣).

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ص (١١٢-١٣٤)، ونواسخ القرآن ص(٢٦٢-٢٦٣).

النور من قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[1] وهذا في البكر من الذكور والإناث. وبما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم»[2].

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾[3] - : «وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره أنه كان ملتبساً عليهم تأويل ذلك»[4] ثم ساق بسنده عن عمرو بن مرة قال قال رجل لسعيد بن جبير : أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فلم يقل فيها شيئاً، قال فقال: كان لا يعلمها»[5].

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣١٦/٣)، كتاب الحدود ، باب حد الزنى ، ح(١٦٩٠) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء، الآية : ٢٤ .

(٤) جامع البيان (١٦٥/٨).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦٥/٨) قال حدثنا محمد بن المثنى ، قال حدثنا محمد بن جعفر ، قال حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة ، قال قال رجل لسعيد بن =



وساق بسنده أثراً آخر عن مجاهد قال : ((لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل، قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ إلى آخر الآية))[1].

=

جبير ... إلخ وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . فشيخ الطبري هو محمد ابن المثنى ثقة ثبت . ومحمد بن جعفر الهذلي البصري المعروف بغندر ثقة صحيح الكتاب. وشعبة بن الحجاج بن الورد ثقة حافظ. وعمروبن مرة الجملي الكوفي الأعمى ثقة عابد. انظر تقريب التهذيب الأول برقم (٦٢٦٤)، والثاني برقم (٥٧٨٧)، والثالث برقم (٢٧٩٠)، والرابع برقم (٥١١٢). وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (١٣٩/٢) ونسب إخراجه للطبري فحسب.

(١) أخرجه في جامع البيان (١٦٥/٨) قال حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن مجاهد ... إلخ . وشيخ الطبري هو القاسم بن الحسن ، هكذا ذكر الشيخ أحمد شاكر وقال لم أجد له ترجمة ولكن في تاريخ بغداد (٤٣٢/١٢، ٤٣٣) ترجمة القاسم بن الحسن بن يزيد أبو محمد الهمداني الصائغ ت: ٢٧٢هـ فهذا يصلح أن يكون هو المراد ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه (٥٠٧/٧) حاشية (٢) قلت: ترجمه الذهبي في السير (١٥٨/١٣)، وقال العلامة الثقة سمع يزيد بن هارون، وعبد الله بكر السهمي، وعنه ابن مجاهد... وآخرون . وثقه الخطيب توفي اثنين وسبعين ومئتين . والحسين بن داود ، هو سنيد قال الذهبي : مشاه الناس وحملوا عنه وما هو بذاك المتقن. وقال الحافظ: ضعف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقن شيخه. انظر السير (٦٢٧/١٠)، وتقريب التهذيب رقم (٢٦٤٦). وهشيم بن القاسم بن دينار السلمي ثقة ثبت. التقريب برقم (٧٣١٢)
=

وذكر القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى في تفسيره أن الإمام الطبري أسند هاتين الروايتين عنهما، وعقب على ذلك بقوله: « ولا أدري كيف نسب هذا القول إلى ابن عباس ، ولا كيف انتهى مجاهد إلى هذا القول»[1].

قلت: كلمة «نسب» الظاهر أنها مبنية للمعلوم ، والفاعل المستتر فيها يرجع إلى الإمام الطبري، وعلى هذا فهي موطن استدراك . وقد تقرأ بالمبني للمجهول ، وعليه فلا استدراك من القاضي على الإمام الطبري.

وهذه المسألة البحث فيها من الجوانب التالية:

١- البحث في صحة ثبوتها عن هذين الإمامين.

إنك إذا نظرت إلى سند الرواية عن ابن عباس وجدت أن الرواية إلى تلميذه سعيد بن جبير صحيحة الإسناد[2] ، ولا شك أن الإمام سعيد بن جبير لا يقول هذا عن شيخه ابن عباس إلا وهو على يقين من ذلك.

أما سند الرواية عن مجاهد بن جبر ففيها من اختلف في توثيقه

=

وقد تقدم. وعبد الرحمن بن يحيى لم أقف على ترجمته . وقال الشيخ أحمد شاكر : لم أعرف من يكون. انظر (١٦٥/٨) حاشية (١) . وفي الجرح والتعديل (٣٠٢/٥) رجل بهذا الاسم يروي عن طاوس لم يذكر فيه جرح ولا تعديل . وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (١٣٩/٢) ونسب إخراجه للطبري.

(١) المحرر الوجيز (٧٨/٤).

(٢) تقدم قريباً دراسة السند عند تخريج الأثر.



وتضعيفه[١] ، وفيها رجلان أحدهما شيخ الطبري ، والآخر تلميذ مجاهد ابن جبر ، فالأول وإن وجد له ترجمة إلا أنه لا يجزم بأنها له[٢]، والثاني قال عنه الشيخ أحمد شاكر: لم أعرف من يكون[٣].

٢- أشار العلماء إلى ما ذكره الإمام الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره ، ولم يروا في ذلك غرابة ، قال القاضي ابن العربي : « وأما من قال : إنها في الإماء كلهن ، فإن ملك الأمة المتجدد على النكاح يبطله فموضع إشكال عظيم ، ولأجله تردد فيه أصحاب محمد ﷺ ...»[٤].

وقال الألوسي: « وفي المراد بالآية غموض حتى قال مجاهد : لو كنت أعلم من يفسرها لي لضربت إليه أكباد الإبل ، أخرجه عنه ابن جرير...»[٥].

وقال ابن عاشور : «وقد نقل عن ابن عباس أنه تحير في تفسير هذه

---

(١) هو سنيد ، الحسين بن داود ، ولعل الأمر فيه على ما قال الذهبي من أن الناس مشوه . وقد تقدم ذلك قريباً عند دراسة السند.

(٢) تقدم قريباً الكلام على هذا الرجل عند دراسة السند.

(٣) انظر جامع البيان (٨/١٦٥) حاشية (١) وتقدمت الإشارة إليه.

(٤) أحكام القرآن (١/٣٨٣).

(٥) روح المعاني (٥/٢) وأورد أيضاً أن ابن أبي شيبة أخرج عن أبي السوداء قال: سألت عكرمة عن هذه الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ ... فقال : لا أدري.



الآيـــة...»[1].

وإلى ما أسنده الطبري في تفسيره أشار - أيضاً - الشوكاني ، ولم يعترض عليه إلا أنه قال: «ومعنى الآية - والله أعلم - واضح لا سترة به»[2].

٣- نقل العلماء في مصنـــفاتهم التفســـيرية أن الخلاف قد وقع بين الصحابـــة والتابعـــين في تأويـــل هـــذه الآيـــة ، وأن أقاويلـــهم قـــد تباينـــت في ذلك[3]، وممـــن نقل الخلاف الإمام الطبري والقاضـــي ابن

---

(١) التحرير والتنوير (٥/٦).

(٢) فتح القدير (٤٤٨/١).

(٣) فقال بعضهم : المحصنات ذوات الأزواج وملك اليمين السبايا . وقال بعضهم : المحصنات كل ذات زوج من النساء حرام على غير أزواجهن إلا أن تكون مملوكة اشتراها مشتر من مولاها فتحل لمشتريها ويبطل بيع سيدها إياها النكاح بينها وبين زوجها. وقال بعضهم: العفائف من النساء حرام عليكم إلا ما ما ملكت أيمانكم منهن بنكاح وصداق وسنة وشهود. وقال بعضهم: عني بالمحصنات في هذا الموضع العفائف من المسلمين وأهل الكتاب. وقال بعضهم: المحصنات في هذا الموضع ذوات الأزواج غير أن الذي حـــرم الله منهـــن في هـــذه الآية الزنا بهن وأباحهن بقوله ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ بالنكاح أو الملك. وقال بعضهم : بل هن نساء أهل الكتاب. وقال آخرون: بل هن الحرائر . وقال آخرون: المحصنات هن العفائف وذوات الأزواج وحرام كل من الصنفين إلا بنكاح أو ملك يمين. وقال آخرون: نزلت هذه الآية في نساءكن يهاجرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهي المسلمون عن نكاحهن. انظر تفسير الطبري (١٥١/٨) وما بعدها فقد ذكر هذه الأقوال مسندة =

عطية[(١)] رحمهما الله تعالى.

وبناء على ما تقدم فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي

=

إلى القائلين بها وعقب على ذلك بذكر معاني الإحصان الواردة في القرآن ثم اختار أن الآية تشمل تلك المعاني فقال: «فواجب أن تكون كل محصنة بأي معاني الإحصان كان إحصانها حراماً علينا سفاحاً أو نكاحاً إلا ما ملكته أيماننا منهن بشراء كما أباحه لنا كتاب الله جل ثناؤه ، أو نكاح على ما أطلقه لنا تنـزيل الله فالذي أباحه الله تبارك وتعالى لنا نكاحاً من الحرائر الأربع ، سوى اللواتي حرمن علينا بالنسب والصهر - ومن الإماء ما سبينا من العدو ، سوى اللواتي وافق معناهن معنى ما حرم علينا من الحرائر بالنسب والصهر، فإنهن والحرائر فيما يحل ويحرم بذلك المعنى متفقات المعاني - وسوى اللواتي سبيناهن من أهل الكتابين ولهن أزواج، فإن السباء يحلهن لمن سباهن بعد الاستبراء ، وبعد إخراج حق الله تبارك وتعالى الذي جعله لأهل الخمس منهن... وأما الأمة التي لها زوج فإنها لا تحل لمالكها إلا بعد طلاق زوجها إياها ، أو وفاته وانقضاء عدتها منه. فأما بيع سيدها إياها فغير موجب بينها وبين زوجها فراقاً ولا تحليلاً لمشتريها لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه خير بريرة إذ أعتقتها عائشة بين المقام مع زوجها الذي كان سادتها زوجوها منه في حال رقتها وبين فراقه ، ولم يجعل ﷺ عتق عائشة لها إياها طلاقاً» ثم أجاب رحمه الله على ما قد يعترض به على ما ذهب إليه في معنى هذه الآية. وانظر تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١/١٥٣)، وتفسير القرآن للسمرقندي (١/٣٤٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٨٠، ٨١) وما بعدهما ، والنكت والعيون (١/٤٦٩-٤٧٠)، وأحكام القرآن للكياالهراسي (٢/٤٠٥-٤٠٦)، ومعالم التنـزيل (١/٤١٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٨١-٣٨٢)، وزاد المسير (٢/٥٠). تجد أن هؤلاء ذكروا أكثر من قول في تفسير الآية.

(١) انظر المحرر الوجيز (٤/ ٧٦-٧٧).

ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد وذلك للأسباب التالية:

١- صحة سند الرواية إلى سعيد بن جبير ، مما يدفع اللوم عن إيراد الطبري لذلك . وأما الرواية عن مجاهد فالدلائل تشير إلى أنه قد قال ذلك[1].

٢- أشار العلماء إلى ما أسنده الإمام الطبري عن ابن عباس ومجاهد ، و لم يقع منهم استغراب ذلك ولو لاح لهم عدم صحة ذلك ، أو وجود ما يدفعه لأشاروا إلى ذلك.

٣- وجود الخلاف بين الصحابة والتابعين في معنى هذه الآية الكريمة يدل على أن بعضهم قد توقف في تفسيرها في وقت من الأوقات.

فإن قيل : قد جاء عن ابن عباس ومجاهد أقوال في تفسير هذه الآية ، تدل على أنهما كانا يعلمان تأويلها[2] .

---

(١) من هذه الدلائل أن شيخه ابن عباس - رضي الله عنه - قد توقف في تفسيرها . ومنها أن بعض أقرانه في الأخذ عن ابن عباس ، وهو عكرمة قد جاء عنه أنه قال عندما سئل عنها : لا أدري . انظر روح المعاني (٥/٢). ومنها أن الإمام الطبري عندما أورد ذلك - التوقف في تفسير الآية - أورده بلفظ يفيد أنه يرى ذلك ثابتاً عنهم فقال: ((وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره أنه كان ملتبساً عليهم تأويل ذلك)) انظر جامع البيان (٨/١٦٥).

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان (٨/١٥١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: ((كل ذات زوج إتيانها زناً إلا ما سبيت)) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٣٣-٣٣٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.
=



قيل: هذا لا يتعارض مع ما أسنده الإمام الطبري عنهما إذ ما أسند عن ابن عباس صحيح ويحمل على أنه ما كان يعلمها في وقت من الأوقات فلم يجب فيها السائل ، فلما ظهر له معناها فسرها.

أما ما جاء عن مجاهد فهذا ليس نصاً على أنه كان لا يعلم تفسيرها ، إذ العالم بالشيء قد يقول هذا رغبة في زيادة العلم ، إذ ربما يكون ذاك العالم الذي تضرب إليه أكباد الإبل يفيده بما لم يكن عنده، لا سيما وأن الآية قد اختلف في معناها ، أو لعله أراد لو يعلم من يسند في تفسيرها شيئاً عن رسول الله ﷺ لضرب إليه أكباد الإبل[١].

٦- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : ((القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾[٢] قال أبو جعفر :

=

ووافقه الذهبي. وأخرج الطبري عنه في جامع البيان أيضاً (١٥٢/٨) من طريق علي ابن أبي طلحة أنه قال في قوله: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ يقول: ((كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام إلا أمة ملكتها ولها زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها)). وأخرج الطبري (١٦١/٨) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ قال: ((نهي عن الزنا أن تنكح المرأة زوجين)).

(١) انظر التحرير والتنوير (٦/٥) فقد ذكر نحو هذا ابن عاشور فقال: ((ولعله يعني من يعلم تفسيرها عن النبي ﷺ)) لكن نسب قول مجاهد إلى ابن عباس.

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٥ .



وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم . وتأويل ذلك : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ فلينكح بعضكم من بعض ، بمعنى : فلينكح هذا فتاة هذا . فالبعض مرفوع بتأويل الكلام ومعناه ، إذ كان قوله: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم ﴾ في تأويل : فلينكح مما ملكت أيمانكم ، ثم رد ﴿ بَعۡضُكُم ﴾ على ذلك المعنى، فرفع»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب ﴿ بَعۡضُكُم ﴾ فقال: «وقوله :﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ ﴾ قالت طائفة : هو رفع على الابتداء والخبر، والمقصود بهذا الكلام ، أي أنكم أيها الناس سواء بنو الحرائر ، وبنو الإماء أكرمكم عند الله أتقاكم، فهذه توطئة لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الأمة ، فلما جاء الشرع بجواز نكاحها ، أعلموا مع ذلك أن ذلك التهجين لا معنى له.

وقال الطبري: هو رفع بفعل تقديره: فلينكح مما ملكت أيمانكم بعضكم من بعض ، فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير . وهذا قول ضعيف»[2].

---

(١) جامع البيان (٨/١٩١).

(٢) المحرر الوجيز (٤/٨٤-٨٥).



هذا قول الإمام الطبري واستدراك القاضي الذي ذكره مجملاً من غير تعليل واكتفى بقوله : وهذا قول ضعيف. وقد ذكر بعض المعربين لآي الذكر الحكيم في رفع ﴿ بَعْضُكُم ﴾ قولين، حاصلهما ما ذكره القاضي ابن عطية والإمام الطبري ، فقال أبو جعـــفر النحاس – في قوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ -: «ابتداء وخبر ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بينكح بعضكم من بعض ، أي فلينكح هذا فتاة هذا فيكون مقدماً ومؤخراً ، أي فمن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فلينكح بعضكم من بعض...»[١].

وقال العكبري : «وبعضكم فاعل الفعل المحذوف . والجيد أن يكون﴿ بَعْضُكُم ﴾ مبتدأ، و﴿ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ خبره ؛ أي بعضكم من جنس بعض في النسب والدين ؛ فلا يترفع الحر عن الأمة عند الحاجة»[٢].

وقال المنتجب[٣] : «وقوله:﴿ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ ابتداء وخبر... وقيل:﴿ بَعْضُكُم ﴾ فاعـــل مضـــمر ، أي لينكح بعضكم من بعض ...

---

(١) إعراب القرآن (١/٤٤٦).

(٢) التبيان (١/٣٤٩).

(٣) المنتجب بن أبي العز بن رشيد الهمداني ، عالم بالعربية والقراءات (ت : ٦٤٣هـ) انظر العبر (٣/٣٤٩)، والأعلام (٧/٢٩٠).



والوجه ما ذكرت وهو أن يكون ابتداءً وخبراً»[١].

وهذه النقول عن هؤلاء العلماء ترشدك إلى أنهم يجوزون القولين إلا أن المقدم عندهم هو ما ذكره ابن عطية : وهو رفعه على الابتداء.

وإلى رفعه على الابتداء ذهب الأخفش[٢].

وقد شنع أبو حيان على القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري - بعد أن حمل إعراب الآية على الابتداء - فقال: «ومن أغرب ما سطروه في كتب التفسير ونقلوه عن قول الطبري، أن فاعل ذلك الفعل المحذوف هو قوله:﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ وفي الكلام تقديم وتأخير... وهذا قول ينـــزه حمل كتاب الله عليه ؛ لأنه قول جمع الجهل بعلم النحو ، وعلم المعاني، وتفكيك نظم القرآن عن أسلوبه الفصيح، فلا ينبغي أن يسطر ، ولا يلتفت إليه»[٣].

وكذلك اعترض تلميذ أبي حيان السمين على ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: «ومثل هذا لا ينبغي أن يقال»[٤].

وتابعهما الألوسي فقال : «ولا ينبغي أن يخرج كتاب الله الجليل على

---

(١) الفريد (٧٢١/١).

(٢) انظر معاني القرآن (٤٤٠/١).

(٣) البحر (٢٣١/٣).

(٤) الدر المصون (٦٥٦/٣).



ذلـــك»[(١)].

وفي جانب تأييد الإمام الطبري نجد ابن الجوزي والقرطبي ينقلان ما ذهب إليه الإمام الطبري دون اعتراض[(٢)].

وبعد: فإن كان لي من تعقيب على هذه المسألة فأقول:

١- لم يذكر أبو محمد سبب ضعف هذا القول ، وهذا شيء درج عليه في أكثر استدراكاته النحوية، وليته بين وجه الضعف الذي يراه.

٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري قول أداه إليه اجتهاده[(٣)] ، ووافقه عليه بعض النحاة فذكره وجهاً، فلا ينبغي إسقاط هذا القول بالكلية والتثريب على من قال به كما فعل أبو حيان غفر الله له ورحمه.

٣- ومع هذا فالظاهر أن استدراك ابن عطية وارد على الإمام الطبري للأسباب التالية :

أ- أنه لا يذهب إلى وجه أبعد في إعراب القرآن الكريم مع وجود وجه أقرب فإن ما ذهب إليه الإمام الطبري يترتب عليه حذف وتقديم وتأخير ، بينا الوجه الذي ذكره أبو محمد لا يحتاج فيه إلى شيء من هذا فكان أظهر.

---

(١) روح المعاني (٥/٩).

(٢) انظر زاد المسير (٢/٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/١٤١).

(٣) وهو اجتهاد من عالم شهد له العلماء بالبراعة في النحو وعلوم اللغة . قال غلام ثعلب عن تفسيره: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً خطأً في نحو أو لغة. انظر مقدمة تحقيق الشيخ محمود شاكر (١/١٢).

ب- أن المعنى - على إعراب﴿ بَعْضُكُم مِّنْۢ بَعْضٍ ﴾ مبتدأ وخبر - يكون بعضكم من جنس بعض في النسب والدين فلا يترفع الحر عن الأمة عند الحاجة[1]. أما المعنى على ما ذهب إليه الإمام الطبري فيكون: فلينكح هذا فتاة هذا ، والأول أبين ؛ لأن واقع العرب في زمن نزول القرآن على الترفع عن نكاح الإماء واعتبار الولد الذي يأتي منهن في منــزلة أحط وتسميته هجيناً فذكر الله في هذه الآية أن بعضهم من بعض أي لا فرق بينكم في النسب والعبرة بالدين كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

ج- تواردت أقوال العلماء على نقد هذا القول ، وجعله مؤخراً في الذكر . مما يدل على أن وصف ابن عطية له بالضعف هو كما قال .

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[3] قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم ... فاهجروهن بترك جماعهن في مضاجعتكم إياهن...

(١) انظر التبيان (٣٤٩/١).

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٣.

(٣) سورة النساء، الآية : ٣٤ .



وقال آخرون : بل معنى ذلك: واهجروا كلامهن في تركهن مضاجعتكم، حتى يرجعن إلى مضاجعتكم... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تقربوهن في فرشهن ، حتى يرجعن إلى ما تحبون ... وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ قولوا لهن من القول هجراً في تركهن مضاجعتكم[١]... قال أبو جعفر: ولا معنى لـــ «الهجر» في كلام العرب إلا على أحد ثلاثة أوجه. أحدها: هجر الرجل كلام الرجل وحديثه ، وذلك رفضه وتركه ... والآخر: الإكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهاذي يقال منه: (هجر فلان في كلامه يهجر هجراً) إذا هذى ومدد الكلمة ... والثالث: هجر البعير إذا ربطه صاحبه بـــ «الهجار» وهو حبل يربط في حقويها ورسغها[٢] ... فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ موجهاً معناه إلى معنى الربط بالهجار ، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا (هجره فهو يهجره هجراً) وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام: واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن في نشوزهن عليكم فإن

---

(١) ذكر الإمام الطبري بعد كل قول من قال به مسنداً ذلك على عادته رحمه الله تعالى.

(٢) الحقوان : الخاصرتان . والرسغ : مفصل ما بين الكف والذراع . انظر لسان العرب (٣/٢٦٦) «حقا» و (٥/٢١١) «رسغ».

اتعظن فلا سبيل لكم عليهن ، وإن أبين الأوبة من نشوزهن فاستوثقوا منهن رباطاً في مضاجعهن ، يعني في منازلهن وبيوتهن التي يضطجعن فيها ويضاجعن فيها أزواجهن))[1] . ثم استدل - رحمه الله - على ما ذهب إليه بقول النبي ﷺ عندما سئل: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال : ((يطعمها ، ويكسوها ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت))[2].

وبقوله ﷺ - عندما سأله السائل فقال : يا رسول الله ، نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ - قال : ((حرثك ، فأت حرثك أنى شئت ، غير أن لا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت))[3].

---

(١) جامع البيان (٨/٣٠٢-٣٠٩).

(٢) أخرجه في جامع البيان (٨/٣٠٩) من طريق حكيم بن معاوية عن أبيه ، وأخرجه أبو داود في السنن (٢/٢٤٥) كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها ، ح(٢١٤٢). وأخرجه ابن ماجة في سننه (١/٥٩٣) كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج ، ح(١٨٥٠) من طريق أبي قزعة عن حكيم بن معاوية عن أبيه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٢٠٤-٢٠٥) من طريق قزعة ، وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٩٥).

(٣) أخرجه في جامع البيان (٨/٣١٠) من طريق بهز بن حكيم عن جده ، وأبو داود في السنن (٢/٢٤٥) كتاب النكاح ، باب في حق المرأة على زوجها ، ح(٢١٤٣)، والإمام أحمد في المسند (٥/٥) كلاهما عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وقال الشيخ الألباني - بعد أن أورد رواية أبي داود وأحمد -: وهذا سند

=



واستدل أيضاً ببعض الآثار التي فيها ذكر العظة والضرب ، من غير ذكر الهجر[١] ، فقال هذا دليل على أن الهجر إنما هو هيئة من هيئات المضروبة حال الضرب ، فهي تشد بالهجار وتضرب[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى الهجر فقال - بعد أن ذكر الأقوال في معنى ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ - : «وقال الطبري معناه اربطوهن بالهجار ، كما يربط البعير به - وهو حبل يشد به البعير - فهي في معنى اضربوهن ونحوها، ورجح الطبري منزعه هذا ، وقدح في سائر الأقوال. وفي كلامه كله في هذا الموضع نظر»[٣].

هذا ما ذهب إليه الإمام الطبري واستدراك القاضي ابن عطية عليه.

وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر الأقوال في معنى الآية ، وملخصها كما ذكر الإمام الطبري[٤].

=

حسن . انظر إرواء الغليل (٧/٩٨).

(١) سيأتي شيء من ذلك تفصيلاً عند مناقشة أدلة الإمام الطبري ، وسيأتي أيضاً أثر رواه عن ابن عباس واستدل به على ما ذهب إليه .

(٢) انظر جامع البيان (٨/٣١١-٣١٢).

(٣) المحرر الوجيز (٤/١٠٧).

(٤) انظر جامع البيان (٨/ ٣٠٢-٣٠٦) وانظر أيضاً أحكام القرآن للجصاص (٣/

=



١- ترك جماعهن.

٢- ترك كلامهن.

٣- ترك فرشهن.

٤- أن يقال لها من القول هجراً ، وهو ما غلظ من القول.

٥- أن يربطها بالهجار في منـــزلها ومضجعها ، وهذا المعنى ذهب إليه الإمام الطبري[1].

وهذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري لم يرضه ابن عطية ، وكذلك كان موقف بعض العلماء من قبل ابن عطية ومن بعده ، قال الزمخشري - بعد أن حكى هذا القول من غير تعيين قائله - : «وهذا من تفسير الثقلاء»[2].

وقال القاضـــي ابن العربي : « يا لها هفـــوة مـــن عـــالم بالقـــرآن والســـنة، وإني لأعجبـــكم مـــن ذلك ؛ إن الـــذي أجـــرأه على هذا التأويـــل ، ولم يـــرد أن يصـــرح بأنه أخذه منه هو حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك أن أســـماء بنت أبي بكر[3] الصديق امرأة الزبير بن

=

١٥٠) فقد ذكر بعضها. وانظر النكت والعيون (٤٨٢/١) فقد استوفى ذكرها. وهكذا ذكرها ابن عطية في المحرر (١٠٦/٤، ١٠٧).

(١) سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان الراجح من هذه الأقوال في آخر المسألة.

(٢) الكشاف (٥٢٤/١-٥٢٥).

(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين المهاجرة الصحابية (ت : ٧٣هـ) انظر

=



العوام[١] كانت تخرج حتى عوتب في ذلك، قال وعتب عليها وعلى ضرتها فعقد شعر واحدة بالأخرى ، وضربهما ضرباً شديداً ... فرأى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل الزبير ، فأقدم على هذا التفسير لذلك. وعجباً له مع تبحره في العلوم وفي لغة العرب كيف بعد عليه صواب القول ، وحاد عن سداد النظر...»[٢].

قلت: هذا الذي ذكره القاضي ابن العربي من أن الإمام الطبري ذهب إلى هذا القول بسببه ليس ظاهراً، إذ لو أراده لذكره عندما ذكر أدلته على ما ذهب إليه[٣].

وجعل الكرماني ما ذهب إليه الإمام الطبري قولاً يتعجب منه ، ثم نقل عن بعض أهل العلم أنه أنكره عليه ، وقال: هذا تعسف[٤].

ونقل أبو حيان ما قاله الزمخشري في قول الطبري مقراً له وراضياً عنه[٥].

=

السير (٢/٢٨٧).

(١) الزبير بن العوام بن خويلد ، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته (ت : ٣٦هـ) انظر السير (١/٤١).

(٢) أحكام القرآن (١/٤١٨).

(٣) قلت هذا ثم رأيت الشيخ محمود شاكر قد سبقني إليه . فانظر حاشية (٥) من (٣١٢/٨) من جامع البيان .

(٤) انظر غرائب التفسير (١/٢٩٥).

(٥) انظر البحر (٣/٢٥٢).



وكذلك فعل الألوسي[١].

والقرطبي نقل اعتراض القاضيين - ابن عطية وابن العربي - مقراً لهما على هذا النقد[٢].

وهناك من وقف من تأويل الإمام الطبري موقف المعتذر له ، أو المستدرك على حصره بعض الأدلة في ما ذهب إليه . والاعتذار جاء على لسان ابن المنير الإسكندري[٣] حيث قال - تعقيباً على قول الزمخشري: وهذا من تفسير الثقلاء[٤] -: «ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فإنه يدل على تقدم إكراه على أمر ما ، وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع ، وإطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط»[٥].

وتعقب الألوسي تعقيب ابن المنير بقوله: «وأظن أن هذا لو عرض على الزمخشري لنظم قائله في سلك ذلك المفسر ، ولعد تركه من التفريط»[٦].

---

(١) انظر روح المعاني (٥/٢٥).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/١٧٢).

(٣) أحمد بن محمد بن منصور ، الفقيه المالكي عالم بالتفسير والقراءات (ت: ٦٨٣هـ) انظر طبقات المفسرين للداوودي (١/٨٩).

(٤) انظر الكشاف (١/٥٢٤-٥٢٥) وقد تقدم نقل هذا قريباً.

(٥) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (١/٥٢٤).

(٦) روح المعاني (٥/٢٥).



أما الاستدراك على حصر الإمام الطبري دلالة بعض الأدلة على قوله فحسب فجاء على لسان القاضي الماوردي ، حيث قال – بعد أن ذكر قول الطبري منسوباً إليه ، وذكر استدلاله بقول الرسول ﷺ: ((حرثك فأت حرثك أنى شئت غير ألا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت...))[1] – : ((وليس في هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره))[2].

قلت: فالظاهر من قول الماوردي هذا أنه لا يستبعد قول الطبري كلية كما فعل بعض المفسرين.

ونقل أبو حيان عن الرازي[3] ما يدل على أنه يقول بما ذهب إليه الإمام الطبري ، وذلك في تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها ، فقال: ((وقال الرازي ما ملخصه : يبدأ بلين القول في الوعظ ، فإن لم يفد فبخشنه ، ثم يترك مضاجعتها ، ثم بالإعراض عنها كلية ، ثم بالضرب الخفيف كاللطمة واللكزة، ونحوها مما يشعر بالاحتقار ، وإسقاط الحرمة ،

---

(١) تقدم تخريج الحديث قريباً.

(٢) النكت والعيون (٤٨٣/١).

(٣) لا أعرف من المشهورين بهذا اللقب إلا اثنين أحدهما الجصاص صاحب أحكام القرآن. والثاني فخر الدين صاحب التفسير الكبير الشافعي ولم أجد فيهما القول بهذا الترتيب ، ولم يذكرا مسألة ربطها بالهجار ، وفي التفسير الكبير بعض ما ذكر ها هنا.

ثم بالضرب بالسوط والقضيب اللين ونحوه مما يحصل به الألم والإنكاء ، ولا يحصل عنه هشم ، ولا إراقة دم ، فإن لم يفد شيء من ذلك ربطها بالهجار – وهو الحبل – وأكرهها على الوطء؛ لأن ذلك حقه»[1].

وبعد : فقول الإمام الطبري ، وإن كان ظاهر بعض الآثار قد يؤيده ، والمعنى اللغوي للفظ «الهجر» قد يحتمله وبعض أهل العلم قد التمس تقويته وآخر اعترض على بعض أدلته و لم ينفه بالكلية، وثالث قد أورده في عقوبة المرأة ، أقول مع كل هذا ففيه بعد ، بل هو غير صحيح، واستدراك القاضي ابن عطية وارد عليه وذلك للأسباب التالية:

١- لم يأت تفسير «الهجر» بما قاله الطبري عن رسول الله ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين، ولا عن أتباعهم ، وما استدل به الإمام الطبري من ذلك فدلالته على ما ذهب إليه فيها نظر، كقوله ﷺ : «ولا تهجر إلا في البيت» معناه – والله أعلم – لا تقل لها كلاماً فيه شدة وغلظة أمام الناس ، وإذا كان ذلك ولابد ففي البيت. وليس في ما جاء عن بعض التابعين من ذكر العظة والضرب وإسقاط ذكر الهجر[2] دليل

---

(١) البحر المحيط (٣/٢٥٢).

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٨/٣١١) قال حدثني المثنى ، قال حدثنا عمرو بن عون ، قال أخبرنا هشيم ، عن الحسن قال «إذا نشزت المرأة على زوجها فليعظها بلسانه ، فإن قبلت فذاك ، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح ، فإن رجعت فذاك، وإلا فقد حل له أن يأخذ منها ويخليها ». وهذا الإسناد فيه عنعنة هشيم ، =



على أن الهجر بمعنى الضرب ، فلعل هذا القائل يرى أن يفعل بها بعض ما ذكر من غير تدرج وترتيب ؛ لأن الواو لا تفيد الترتيب[1] ، وقد تشتمل العظة على كلام فيه غلظة وشدة فيدخل في ذلك الهجر.

أما استدلاله بما جاء عن ابن عباس أنه قال في قوله : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ قال: «يفعل بها ذاك ويضربها حتى تطيعه في المضاجع ، فإذا أطاعته في المضجع فليس له عليها سبيل إذا ضاجعته»[2].

فقوله يفعل بها ذاك راجع - والله أعلم - إلى «الهجر» ، والهجر يحتمل هنا ما قاله الإمام الطبري ، ويحتمل مجانبة كلامها ، والثاني هو الأولى ؛ لأنه لو فهم ذاك عن ابن عباس لذكره عنه العلماء غير الطبري ثم هذا الأثر إسناده إلى ابن عباس ضعيف ؛ لأنه من رواية محمد بن حميد شيخ الطبري، وقد ضعفه العلماء.

=

وهو كثير التدليس . انظر تقريب التهذيب رقم (٧٣١٢).

(١) انظر البحر (٣/٢٥٢) فقد ذكر نحو هذا في الواو.

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٨/٣١١) عن ابن عباس من طريق شيخه ابن حميد ، قال حدثنا جرير، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس . وإسناده إلى ابن عباس ضعيف لضعف شيخ الطبري محمد بن حميد. انظر الكاشف (٣/٣٢) ، وتقريب التهذيب رقم (٥٨٣٤).



٢- هذا القول تتابعت عليه ردود العلماء، ونقدهم له ، واعتباره قولاً غريباً مما يؤذن بضعفه وبعده، وما كان كذلك فلا يحمل عليه كتاب الله تعالى.

٣- ومما يدل على ضعف هذا القول وبعده أن فيه إهانة للمرأة ووضعاً من كرامتها الإنسانية التي كرمها الله بها فقال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1] لأن غاية هذا القول أن تربط المرأة مثل الحمار ، وربما جاء من يقول: وتضرب في هذه الحال - كما هو رأي الطبري[2] - بل وتجامع[3] ، فانظر قيد ، وضرب، ومضاجعة في آن واحد ، إننا بهذا الفهم قد جاوزنا ما جعله الرسول ﷺ دليلاً على عدم الحياء حين قال ﷺ : «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته ، كما يضرب العبد . يضربها أول النهار ، ثم يضاجعها آخره ، أما يستحي»[4].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠.

(٢) انظر جامع البيان (٣١٢/٨) حيث قال: «لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب، ولم يوجبوا هجراً؛ إذ كان هيئة من الهيئات التي تكون بها المضروبة عند الضرب».

(٣) انظر غرائب التفسير للكرماني (٢٩٥/١) وهذا مما فهموه من كلام الإمام الطبري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٤٢/٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

=



٤- ومما يدل على ضعف هذا القول وبعده أن أهل اللغة لم يحملوا الآيــة عليــه ، قال الزجاج : «وقولــه عز وجل : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ أي في النوم معهن ، والقرب منهن»[1].

وقال الراغب : «الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن ، أو باللسان ، أو بالقلب ، قال تعالى : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ كناية عن عدم قربهن»[2].

وفي المعجم الوسيط : «ويقال : هجر زوجه: اعتزل عنها و لم يطلقها، وفي التــنـــزيل العـــزيــز ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ »[3].

إذاً ما ذهب إليه الإمام الطبري - وإن كان من معاني الهجر - لم يوافقــه عليه المختصون في لغــة العرب ثم إن الإمــام الطبري رحمه الله عندما حمــل ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ على أنه ربط المرأة بالحبل لم يبق على هذا

=

وصححه الهندي في كنــز العمال برقم (٤٤٩٨٣)، وأصله في صحيح البخاري ومسلم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٧).

(٢) المفردات ص(٥٣٦).

(٣) المعجم الوسيط (٢/١٠١٢) «هجر».



فحسب، بل ذكر في موطن آخر أن الهجر يأتي بمعنى الضرب[١].

فهل نفسر الآية بالمعنى الأول ؟ أم الثاني ؟ أم بهما جميعاً ؟ والثالث هو الذي نزع إليه الإمام الطبري، وهو في غاية الغرابة.

إذا تبين ضعف قول الإمام الطبري ، فاعلم أن القاضي ابن عطية لم يرجح شيئاً من الأقوال الباقية[٢].

وقد رجح الفقيه القرطبي قول من قال : إن المقصود ترك فرشهن ، فقال: «وقال مجاهد: جنبوا مضاجعهن فيتقدر على هذا الكلام حذف ويعضده ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ ﴾ من الهجران وهو البعد، يقال: هجره أي تباعد ونأى عنه. ولا يمكن بعدها إلا بترك مضاجعتها . وقال معناه إبراهيم النخعي والشعبي وقتادة والحسن البصري... واختاره ابن العربي وقال: حملوا الأمر على الأكثر الموفي ، ويكون هذا القول كما تقول : اهجره في الله . وهذا أصل مالك. قلت – القائل القرطبي – هذا قول حسن ؛ فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح ، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها ، فيتبين أن النشوز من قبلها»[٣].

---

(١) انظر جامع البيان (٣١٢/٨) فقد قال: «فكل هؤلاء الذين ذكرنا قولهم لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب».

(٢) انظر المحرر الوجيز (١٠٦/٤، ١٠٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧١/٥) وقوله : «فيظهر النشوز منها... إلخ» لعل أوضح =



قلت: بنحو هذا التعليل علل الفقيهان أبو الليث السمرقندي ، والفخر الرازي[١].

ومؤدى هذا الترجيح أنه لا يجمعها وإياه فراش ولا وطء ، حتى ترجع إلى ما يريد . وهذا ذكره ابن العربي فقال : « الثالث : لا يجمعها وإياه فراش ولا وطء حتى ترجع إلى الذي يريد . قاله إبراهيم والشعبي وقتادة والحسن البصري، ورواه ابن وهب وابن القاسم[٢] عن مالك وغيرهم»[٣].

وقول من قال : معناه من (الهجر) وهو الإفحاش في القول معارض بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[٤] وبقوله : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[٥].

ومن قال الهجر عدم الكلام ، فإن كان يعني أنه لا يكلمها ويجامعها

=

منه قول الرازي: «فكان ذلك دليلاً على كمال نشوزها» التفسير الكبير (١٠/٧٣).

(١) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (١/٣٥٢)، والتفسير الكبير (١٠/٧٣).

(٢) عبد الرحمن بن القاسم المصري ، عالم الديار المصرية ومفتيها ، صاحب الإمام مالك (ت: ١٩١هـ) انظر السير (٩/١٢٠).

(٣) أحكام القرآن (١/٤١٨).

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨.

(٥) سورة النحل ، الآية : ٩٠.



فهذا - كما قال ابن العربي - سخافة [١]. ثم قد نُهي عن هجر المؤمن فوق ثلاث[٢].

وقد اعترض الإمام الطبري على ما رجح آنفاً بقوله: كيف يهجرها في ما طلب منها[٣]؟.

قلت: هذا الاعتراض مبنيّ على أن (في) في قوله: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ للسببية . ولا شك أن (في) قد تحتمل السببية . وتحتمل أنها ظرف للهجران ، والقولان مذكوران في كتب المعربين للقرآن[٤].

وكونها ظرف للهجران هو الأظهر - والله أعلم - لأن حملها على السببية يقصر الهجر على نشوز معين، ويدع ما سواه.

قال الثعالبي - بعد أن حكى القولين في إعراب (في) - : «وكونها للظرفية أظهر»[٥].

---

(١) انظر أحكام القرآن (٤١٩/١).

(٢) وبالثلاث على هذا القول حدد الإمام الشافعي. انظر التفسير الكبير (٧٣/١٠).

(٣) انظر جامع البيان (٣٠٧/٨، ٣٠٨).

(٤) أعني التي تعرضت لإعرابها واطلعت عليها وهي البيان في غريب إعراب القرآن (٢٥٢/١)، والتبيان في إعراب القرآن (٣٥٤/١) ، والدر المصون (٦٧٢/٣، ٦٧٣) وقد اعترض السمين على من قصرها على السببية.

(٥) الجواهر الحسان (٤٠٤/١).



٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في قوله جل ذكره : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [(١)] - :

«... يقول : وأمركم بالوالدين إحساناً ، يعني براً بهما ؛ ولذلك نصب الإحسان ، لأنه أمر منه جل ثناؤه بلزوم الإحسان إلى الوالدين على وجه الإغراء»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب الإحسان فقال: « و ﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ نصب على المصدر ، والعامل فعل مضمر تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً . وما ذكر الطبري أنه نصب بالإغراء خطأ»[(٣)].

هذا ما ذهب إليه الإمام الطبري واستدراك القاضي ابن عطية عليه . ولم يبين القاضي ابن عطية رحمه الله وجه الخطأ في إعراب الإمام الطبري، وهذا على عادته في أغلب استدراكاته النحوية.

وقد اختلف أهل العلم في الناصب لـ ﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ على أقوال :

١- أن يكون نصبه على أن يكون مصدراً والعامل فيه فعل محذوف تقديره « وأحسنوا ». قاله الأخفش والزجاج

---

(١) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

(٢) جامع البيان (٣٣٤/٨).

(٣) المحرر الوجيز (١٠٩/٤، ١١٠).



والأزهري[١].

٢- أن يكون نصبه على أن يكون مفعولاً به ، والتقدير: وقلنا : استوصوا بالوالدين إحساناً، وهذا أشار إلى جوازه الإمام الطبري[٢] ، وقاله ابن الأنباري والعكبري وغيرهما[٣].

٣- ويجوز أن يكون مفعولاً له ، أي: ووصيناهم بالوالدين لأجل الإحسان إليهم ذكره العكبري وغيره[٤].

٤- أن يكون منصوباً على الإغراء ، وهذا نسبه ابن الجوزي إلى الفراء[٥]. ونص كلامه في معانيه: «وأمرهم بالإحسان إلى الوالدين»[٦].

وقد ترى في بعض المراجع زيادة على هذا العدد - أعني عدد الأقوال - إلا أنها في الحقيقة لا تخرج عما ذكر[٧].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٣٠٨/١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٠/٢) ، وعلل القراءات للأزهري (٥٣/١).

(٢) انظر جامع البيان (٣٣٤/٨).

(٣) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١٠٢/١)، والتبيان في إعراب القرآن (٨٤/١)، والبحر المحيط (٤٥٢/١).

(٤) انظر التبيان في إعراب القرآن (٨٤/١)، والبحر المحيط (٤٥٢/١).

(٥) انظر زاد المسير (٧٩/١).

(٦) معاني القرآن (٢٦٦/١).

(٧) انظر البحر المحيط (٤٥٢/١)، والدر المصون (٤٦٢/١-٤٦٣).



وقد ذهب إلى القول الأخير منـــها الإمام الطبري ، وإلى القول الأول القاضي ابن عطية ، وخطأ الطبري في ما ذهب إليه .

وفي نظري أن قول الطبري ليس ببعيد فقد نسب إلى إمام كبير ، ونقله ابن الجوزي ولم يعترض عليه بشيء، ولم أر في باب الإغراء من كتب النحو ما يمنع هذا القول(١).

قال ابن عقيل(٢) : الإغراء : هو أمر المخاطب بلزوم ما يحمد به ، وهو كالتحذير : في أنه إن وجد عطف، أو تكرار وجب إضمار ناصبه ، وإلا فلا . ولا تستعمل فيه «إيا»(٣).

قلت : فهذه الآية فيها أمر للمخاطب بلزوم ما يحمد به ، وقد جاء فيها العطف بالواو - ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ - التي توجب إضمار الفعل الناصب لـــ ﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾.

والمعنى في الآية مستقيم سواء على تقدير الإمام الطبري الذي قال فيه: وأمركم بالوالدين إحساناً، أو على تقدير القاضي الذي قال فيه : وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

---

(١) انظر شرح ملحة الإعراب ص(٢٣١، ٢٣٢) ، وأوضح المسالك (٧٩/٤)، والنحو الوافي (١٣٦/٤).

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، قال فيه أبو حيان : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل (ت : ٧٦٩هـــ). انظر البدر الطالع (٣٨٦/١).

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٧٦/٢).



ولا شـــك أن ما ذهب إليه القاضي هو المقدم؛ لأن المصدر يدل على فعله[(١)] ؛ ولأن النحاة والمعربين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - بين مفرد له بالذكر[(٢)] ، أو مقدم له على غيره في الذكر أيضاً[(٣)]، ولأن الإمام الطبري قد ذهب إليه في سورة البقرة[(٤)] عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[(٥)] ، ولأن عدداً من المفسرين - الذين اطلعت على تفاسيرهم - على هذا القول[(٦)].

---

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٧٣٠).

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (١/٣٠٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/٥٠)، وإعراب القرآن (١/٤٥٤).

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن (١/١٠٢)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/١٠٢)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٨٤)، والفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٣٢٤).

(٤) انظر جامع البيان (٢/٢٩١) . وقد رجعت في أكثر هذا البحث إلى هذا الموطن. أعني من سورة البقرة .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٨٣.

(٦) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (١/٣٥٣)، والكشاف (١/٥٢٦)، والتفسير الكبير (١٠/٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/١٨٢)، وتفسير البيضاوي (١/٢١٩)، وتفسير النسفي (١/٢٢٥)، وتفسير الخازن (١/٥٢٢)، والجواهر الحسان (١/٤٤٢) ، وتفسير الجلالين ص(١٥)، وتفسير أبي السعود (٢/١٧٥)، وفتح القدير (١/٤٦٤)، وروح المعاني (٥/٢٨)، والتحرير والتنوير (١/٥٨٣).



٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] قال أبو جعفر: اختلف أهل التأول في ذلك ، فقال بعضهم: ابن السبيل ، هو المسافر الذي يجتاز ماراً »[2] ثم ساق بسنده عن مجاهد أنه قال : «هو الذي يمر عليك وهو مسافر»[3].

ثم قال الإمام الطبري : «وقال آخرون : هو الضيف»[4] ثم ساق بسنده عن قتادة أنه قال: هو الضيف[5]. وكذلك أخرجه عن الضحاك[6].

وأورد ابن عطية في تفسيره ما يفيد الاعتراض على صنيع الطبري هذا فقال : «وذكر الطبري أن مجاهداً فسره بأنه المار عليك في سفره ، وأن قتادة وغيره فسره بأنه الضيف . قال القاضي أبو محمد: وهذا كله قول واحد»[7].

---

(١) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

(٢) جامع البيان (٨/٣٤٦).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٣٤٦) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٥٩) عن معمر عن قتادة ، وعن معمر أيضاً عن أبي نجيح عن مجاهد .

(٤) جامع البيان (٨/٣٤٦).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٣٤٧) من طريق سعيد ، عن قتادة . وإسناده حسن . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/١٧١) عن ابن عباس ونسب إخراجه لابن أبي حاتم.

(٦) من طريق جويبر . انظر جامع البيان (٨/٣٤٧).

(٧) المحرر الوجيز (٤/١١٢-١١٣).



محل الاستدراك الذي عناه القاضي ابن عطية هو أن الإمام الطبري جعل ما جاء عن مجاهد وقتادة قولين وإنما هما في الحقيقة قول واحد.

وقد رجعت إلى كتب التفاسير للنظر إلى صنيع مؤلفيها في تفسيرهم هذه الآية الكريمة ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فوجدت بعضاً ممن اطلعت على تفاسيرهم يورد التفسيرين على أنهما قولان مختلفان[١].

قال البغوي : «قيل: هو المسافر ؛ لأنه ملازم السبيل ، والأكثرون: على أنه الضيف»[٢].

وقال الكرماني : «هو المسافر ، وقيل : الضيف»[٣].

وقال الزمخشري : «المسافر المنقطع به ، وقيل : الضيف»[٤].

وقال الخازن : «وقوله تعالى : ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به. وقال الأكثرون : المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن إليه»[٥].

---

(١) انظر الوسيط (٢/٥٠)، والتفسير الكبير (١٠/٧٨)، وتفسير البيضاوي (١/٢١٩)، والبحر المحيط (٢/٧)، وتفسير أبي السعود (٢/١٧٦)، وفتح القدير (١/٤٦٥)، وروح المعاني (٥/٢٩).

(٢) معالم التنـــزيل (١/٤٢٥).

(٣) غرائب التفسير (١/٢٩٦).

(٤) الكشاف (١/٥٢٦).

(٥) تفسير الخازن (١/٥٢٣).



وفريق ثان من المفسرين اقتصر على ذكر قول واحد ، كالفراء فإنه قال : ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الضيف[١]. وكذلك قال الزجاج[٢] ، والنحاس[٣] ، وأبو الليث السمرقندي [٤].

فقد يكون هؤلاء يرون أن هذا المعنى شامل للمعنى الآخر فاقتصروا على هذا ، وقد يكون فعلهم هذا لسبب آخر . وهناك أيضاً من اقتصر على المعنى الآخر[٥].

وبعد : فالذي يظهر أن قول أبي محمد (وهذا كله قول واحد) هو كما قال ؛ لأن المجتاز المار عليك مسافراً هو في الحقيقة ضيف. ولأن من قال هو الضيف قد يكون مراده في هذا الموطن الضيف المار في الطريق، لأن ألفاظ الآية تشير إلى هذا القيد ، ولهذا قال ابن كثير رحمه الله تعالى - بعد أن حكى القولين -: «إن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء»[٦].

---

(١) معاني القرآن (١/٢٦٧).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/٥٠).

(٣) انظر معاني القرآن الكريم (٢/٨٤).

(٤) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (١/٣٥٣).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/١٨٩)، والجواهر الحسان (١/٤٤٣)، وتفسير الجلالين ص (٩٨).

(٦) تفسير ابن كثير (١/٤٩٦).

وقـال ابن الجـوزي : «... إن كان مسـافراً ، فإنه ضيف لم ينـزل»[1].

١٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[2] ... وقد قال مجاهد : إن هذا من صفة اليهود[3]. وهو صفة أهل النفاق - الذين كانوا أهل شرك ، فأظهروا الإسلام تقية من رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به، وهم على كفرهم مقيمون - أشبه منه بصفة اليهود ؛ لأن اليهود كانت توحد الله ، وتصدق بالبعث والمعاد، وإنما كان كفرها تكذيبها بنبوة محمد ﷺ . وبعد : ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها ، وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً - بالواو الفاصلة بينهم - ما ينبئ عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني ، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله . ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس

---

(١) زاد المسير (١/١٧٩).

(٢) سورة النساء، الآية : ٣٨ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٣٥٦) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الله بهم عليماً﴾ ما بين ذلك في يهود.



لقيل - إن شاء الله - (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) ولكن فصل بينهم بـــ «الواو» لما وصفنا . فإن ظن ظان أن دخول «الواو» غير مستنكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العرب ، فإن ذلك وإن كان كذلك فإن الأفصح في كلام العرب إذا أريد ذلك ترك إدخال «الواو» ، وإذا أريد بالثاني وصف آخر غير الأول ، إدخال الواو [1]. وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه كتابه أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم»[2].

وهذا التعقيب الذي قاله الإمام الطبري تعقبه القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - بقوله: «... وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في اليهود . قال الطبري : وهذا ضعيف . لأنه نفى عن هذه الصفة الإيمان بالله واليوم الآخر واليهود ليسوا كذلك. قال القاضي أبو محمد: وقول مجاهد متجه على المبالغة والإلزام إذ إيمانهم باليوم الآخر كلا إيمان، من حيث لا ينفعهم»[3].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، حكى ذلك ابن الجوزي فقال: «قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾

(١) كذا في النسخة المحققة «إدخال الواو» وهو يعني «أدخل الواو».

(٢) جامع البيان (٨/٣٥٦-٣٥٧).

(٣) المحرر الوجيز (٤/١١٥-١١٦).



اختلفوا في من نزلت على ثلاثة أقوال. أحدها : أنهم اليهود ... والثاني: أنهم المنافقون ... والثالث : مشركوا مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ...))[١].

وقد أورد القرطبي وأبو حيان استدراك ابن عطية على الإمام الطبري و لم يعقبا على ذلك بشيء[٢].

ورجح الفخر الرازي القول الذي رآه الإمام الطبري فقال – بعد أن حكاه – : ((وهو الوجه لذكر الرئاء وهو ضرب من النفاق))[٣].

إذا عرفت هذا فاعلم أن الإمام الطبري لم ينص على ضعف قول مجاهد ، وإنما قال الآية بصفة أهل النفاق أشبه ، وفي نظري أن لفظ ((أشبه)) يفيد أن القول الآخر فيه شبه.

ثم إن القاضي استفاد من ضعف الدليل الأول للطبري ، وبنى عليه اتجاه قول مجاهد[٤].

ولا شك أن قول مجاهد فيه اتجاه من الناحية التي ذكرها ابن عطية ، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) زاد المسير (٨٢/٢، ٨٣).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/٥، ١٩٤)، والبحر المحيط (٢٥٨/٣).

(٣) التفسير الكبير (٨١/١٠).

(٤) ويبدو أن الإمام الطبري أحس بضعف هذا الدليل فاتجه إلى الاعتماد على الدليل الثاني ، وهذا واضح من قوله: ((وبعد ففي فصل الله ... إلخ)).



وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [١] . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٢].

ففي الآية الأولى جمع لهم المولى بين صفتين عدم الإيمان بالله واليوم الآخر وكونهم من أهل الكتاب. وفي الآية الثانية : نفى الله عنهم أن يكونوا على شيء من أمر الدين [٣]، ومع ذلك سماهم أهل كتاب[٤].

لكن هذا الاتجاه – بما سيق له من أدلة – لا يجعله مقدماً على القول الذي اختاره الإمام الطبري – وهذا باعتراف ابن عطية كما سيأتي – لأن للقول الذي اختاره الإمام الطبري أدلة أخرى تبقي له الصدارة إن شاء الله تعالى .

من هذه الأدلة ما ذكره الإمام الطبري من إدخال الواو الفاصلة بين من اتصف بالكفر ومن اتصف بالنفاق.

ومنها ما ذكره الفخر الرازي من أن ذكر الرئاء في الآية مرجح لرأي

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٩.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦٨.

(٣) الذي جاءهم به موسى وعيسى. انظر جامع البيان (٤٧٣/١٠).

(٤) ومعلوم أن المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى.



الطبري ؛ لأن الرئاء نفاق.

ومنها أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جمهور أهل العلم [١]، وقد وصفه ابن عطية نفسه بأنه القول الصحيح [٢] ، وتابعه على ذلك بعض المفسرين[٣].

ومنها أن السياق يدل على رجحان ما رآه الإمام الطبري ، وذلك أن الله جل وعلا أمر المؤمنين أن يثبتوا على التوحيد[٤]، وأن يحسنوا بوالديهم، وأمرهم أيضاً بما عطف على هذين فقال: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٥] ثم ذكر الكافرين في الآية التي تليها فقال : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٦] ثم ذكر بعد هذا الصنف الثالث وهم المنافقون فقال :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

---

(١) قاله ابن عطية ، والقرطبي وأبو حيان . انظر المحرر الوجيز (٤/١١٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٣)، والبحر المحيط (٣/٢٥٨).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٤/١١٦).

(٣) انظر الجواهر الحسان (١/٤٤٤).

(٤) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (١/٣٥٣).

(٥) سورة النساء ، الآية : ٣٦.

(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٧.



بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ ثم بعد آيات قليلة من هذه - تتعلق بالمنافقين والمؤمنين - ذكر الله اليهود فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾[1] واستمر الحوار معهم في آيات كثيرة. فهذا السياق - والله أعلم - يدل لما قال الإمام الطبري.

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[2] - : ((وإنما نصب ((القرين)) لأن في ((ساء)) ذكراً من الشيطان ، كما قال جل ثناؤه: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[3] وكذلك تفعل العرب في ((ساء)) ونظائرها))[4].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من جعله هذه الآية مثل التي في سورة الكهف ، فقال: ((((وقريناً)) نصب على التمييز ، والفاعل لساء مضمر تقديره: ساء القرين قريناً ، على حد بئس . وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[5] وذلك مردود ؛ لأن بدلاً حال . وفي هذا

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٤.

(٢) سورة النساء، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة الكهف ، الآية: ٥٠.

(٤) جامع البيان (٣٥٨/٨).

(٥) سورة الكهف ، الآية : ٥٠.



نظـــر»[١].

موضع الاستدراك الذي يقصده ابن عطية ، هو أن الإمام الطبري قرن آية النساء بآية الكهف، وهو يعني أن إعراب ﴿ قَرِينًا ﴾ و ﴿ بَدَلاً ﴾ تمييز . وأبو محمد ابن عطية لا يرى هذا ، بل يرى أن ﴿ قَرِينًا ﴾ يعرب تمييزاً ، و ﴿ بَدَلاً ﴾ يعرب حالاً ، فبينهما فرق.

والحقيقة أن الإمام الطبري لم يصرح بإعراب ﴿ قَرِينًا ﴾ ولا بإعراب ﴿ بَدَلاً ﴾ وإنما فهم ذلك من قرنه آية النساء بآية الكهف ، ومن التقدير الذي ذكره هنا حيث قال – عند قوله تعالى:﴿ فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ –: «فساء الشيطان قريناً»[٢].

وقد أيد أبو حيان ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ورد قول ابن عطية في إعراب ﴿ بَدَلاً ﴾ فقال – بعد أن ذكر إعراب ﴿ قَرِينًا ﴾ على التمييز، وضعف ما سواه – : «قال ابن عطية : وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾[٣] وذلك مردود ؛ لأن ﴿ بَدَلاً ﴾ حال، وفي هذا نظر . والذي قاله الطبري صحيح ، و ﴿ بَدَلاً ﴾ تمييز لا

(١) المحرر الوجيز (١١٦/٤-١١٧).

(٢) جامع البيان (٣٥٨/٨).

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥٠.



حال ، وهو مفسر للضمير المستكن في بئس على مذهب البصريين، والمخصوص بالذم محذوف ، تقديره: هم ، أي الشيطان وذريته . وإنما ذهب إلى إعراب المنصوب بعد نعم وبئس حالاً الكوفيون على اختلاف بينهم مقرر في علم النحو»[١].

وكلام أبي حيان أفادنا ما يلي:

الأول : أنه أكد لنا ما فهمناه من كلام الإمام الطبري من أن إعراب الموضعين تمييز.

الثاني : أنه قضى للإمام الطبري على الإمام ابن عطية في هذه المسألة.

الثالث : أنه أشار إلى أن الخلاف في هذه المسألة قد وقع بين مدرستي البصرة والكوفة ، فهو خلاف قديم، قد سبق مجيء الإمام الطبري وابن عطية.

وقد أشار أيضاً إلى الخلاف ابن عقيل عندما ذكر أقسام مرفوع نعم وبئس[٢] فقال - بعد أن ذكر الأول والثاني - : «الثالث أن يكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو «نعم قوماً معشره» ففي «نعم» ضمير مستتر يفسره «قوماً» و «معشره» مبتدأ وزعم بعضهم أن «معشره» مرفوع بنعم وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء

---

(١) البحر المحيط (٣/٢٥٩).

(٢) شرح ابن عقيل (٢/١٥١-١٥٢).



إن «قوماً» حال ، وبعضهم إنه تمييز. ومثل (نعم قوماً معشره» قوله تعالى: ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾[1] .

وكذلك أشار إلى الخلاف السمين الحلبي[2].

وبعد : فالذي يبدو – والله أعلم – أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في إعراب ﴿ بَدَلاً ﴾ هو الظاهر وذلك للأسباب التالية:

١- أن ما ذهب إليه هو قول جمهور أهل العلم[3].

٢- قال ابن هشام[4] : «دخول التمييز في باب نعم وبئس أكثر من دخول الحال»[5]، وهذا مما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

٣- الإمام الطبري ألحق النظير بنظيره ،وهذا منهج متعارف عليه بين الباحثين ، أما أبو محمد فقد فرق بين المتماثلين من غير ذكر للسبب الذي دعاه إلى هذا المنهج.

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥٠.

(٢) انظر الدر المصون (٣/٦٧٩).

(٣) قال الشيخ محمد محي الدين : والجمهور يجعلون فاعل نعم ضميراً مستتراً ، والاسم المنكر المنصوب تمييزاً مفسراً للفاعل... انظر عدة السالك (بهامش أوضح المسالك (٣/٢٧٣). قلت: وبئس مثلها تماماً.

(٤) عبد الله بن يوسف الأنصاري الإمام العلامة في النحو (ت: ٧٦١هـ) انظر بغية الوعاة (٢/٦٨).

(٥) شرح قطر الندى ص(٢٤٣).



وأقول فرق بين المتماثلين ؛ لأن عدداً من المختصين نصوا على أن ((ساء)) تعمل عمل ((بئس)) لا يختلفان في العمل[1].

٤- مما يدل على ظهور قول الإمام الطبري أن الإمام أبا حيان قد صححه[2]، واقتصر على ذكره عدد من النحاة، والمعربين للقرآن الكريم والمفسرين عندما أعربوا آية الكهف[3].

٥- مما يدل على قـــوة ما ذهب إليه الإمام الطبري، أنك إذا أعربت ﴿ بَدَلاً ﴾ حالاً ربما أشعر أن إبليس وذريته مخصوصون بالذم في حال كونهم بدلاً لا غير، والشأن ليس كذلك، لأنهم مخصوصون بالذم في هذه الحال وفي غيرها، فالذم لا يفارقهم أبداً.

---

(١) قال ابن يعيش: ((وقد تستعمل ساء استعمال بئس بمعنى الذم، فيقال: ساء رجلاً زيد، كما تقول بئس رجلاً زيد فيكون في ساء ضمير مستتر يفسره الظاهر، كما يكون في بئس...)) شرح المفصل (١٢٩/٧). وقال الألوسي - عند آية النساء -: ((وســاء منقولة إلى باب نعم وبئس فهي ملحقة بالجامدة)) روح المعاني (٣٠/٥). وسبق الفراء هذين. انظر معاني القرآن (٢٦٧/١)، وانظر أيضاً التبيان (٣٥٧/١).

(٢) تقدم نقل ذلك قريباً.

(٣) انظر شرح ملحة الإعراب ص (١٩٨)، والبيان في إعراب غريب القرآن (١١١/٢)، وأوضح المسالك (٢٧٣/٣)، والدر المصون (٥٠٨/٧)، والفتوحات الإلهية (٣٠/٣)، والتحرير والتنوير (٣٤٢/١٥).

١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1] قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إن الله لايظلم عباده مثقال ذرة ، فكيف بهم ﴿ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ يعني بمن يشهد عليها بأعمالها، وتصديقها رسلها أو تكذيبها ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ يقول : وجئنا بك يا محمد ﴿ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ ﴾ على أمتك ﴿ شَهِيدًا ﴾ يقول : شاهداً »[2] ، ثم استشهد على تفسيره هذا بما ساق بسنده عن السدي: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ «قال: إن النبيين يأتون يوم القيامة ، منهم من أسلم معه قومه ، الواحد ، والاثنان ، والعشرة ، وأقل وأكثر من ذلك، حتى يؤتى بقوم لوط ﷺ ، لم يؤمن معه إلا ابنتاه ، فيقال لهم : هل بلغتم ما أرسلتم به ؟ فيقولون : نعم. فيقال: من يشهد ؟ فيقولون : أمة محمد ﷺ فيقال لهم - أشهدوا - إن الرسل أودعوا عندكم شهادة، فبم تشهدون؟ فيقولون : ربنا نشهد أنهم قد بلغوا - كما شهدوا في الدنيا

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٤١ .

(٢) جامع البيان (٨/٣٦٨-٣٦٩) .



بالتبليغ – فيقال: من يشهد على ذلك ؟ فيقولون : محمد ﷺ . فيدعى محمد عليه السلام فيشهد أن أمته قد صدقوا وأن الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ »[١].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تفسير هذه الآية من أن أمة محمد ﷺ تشهد للرسل أنها قد بلغت أقوامها ، فقال: « وما ذكره الطبري من شهادة أمة محمد بتبليغ الرسل ... فليست هذه آيته ، وإنما آيته ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[٢] »[٣].

إذاً موضع الاستدراك أن الإمام الطبري يرى أن المقصود بقوله : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المؤمنون الذين يشهدون للرسل أنها قد بلغت أقوامها ، وابن عطية لا يرى أن هذه الآية هي التي تدل على هذا، وإنما هي آية أخرى.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ . والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٦٩/٨) من طريق أسباط عن السدي .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣.

(٣) المحرر الوجيز (١٢٢/٤) .



وما ذهب إليه الإمام الطبري من دلالة الآية على ما قصد قد ذكره بعض المفســـرين وجهاً من الأوجه التي تحتملها الآية الكريمة. والثاني : أن ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ راجع إلى الكفار. والثالث : على الشهداء المتقدم ذكرهم[1]. والرابع : على أمته عموماً[2].

وفي نظري أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري ، وذلك للأسباب التالية:

١- أن الله قال: ﴿ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ فدل هذا أنها شهادة عليهم ، لا لهم ، إذ لو كان المقصود أن يشهد لهم بالصدق في شهادتهم لقال : (وجئنا بك لهؤلاء شهيداً)[3].

٢- ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذرفت عيناه عندما بلغ ابن مسعود تلاوة هذه الآية[4] ، وإنما بكى ﷺ من هول المطلع عندما يؤتى بكل نبي يشهد على أمته ، ويؤتى به ﷺ شاهداً على أمته ، ولو

---

(١) انظر تفسير البيضاوي (٢٢٠/١) ، وتفسير أبي السعود (١٧٨/٢)، وروح المعاني (٣٤/٥) .

(٢) انظر معالم التنـــزيل (٤٢٩/١).

(٣) انظر البحر المحيط (٢٦٣/٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٢٥٠/٨)، كتاب التفسير ، باب ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ ، ح(٤٥٨٢).



كانت المسألة مسألة تزكية لأمته بالصدق في ما شهدت به على الأمم لما كان في هذا داع إلى البكاء لأن هذا مقام فخر وفرح بما وصلت إليه أمته من المكانة عند الله تعالى.

٣- مما يرجح استدراك ابن عطية ما أخرجه الطبراني أن النبي ﷺ أمر قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه ، فقال : «أي رب شهدت على من أنا بين ظهريه ، فكيف بمن لم أر؟»[1].

فهذا يفيد أن النبي ﷺ فهم من الآية أنه شهيد على أمته ممن كان بين ظهرانيهم ومن هو آت منهم إلى يوم القيامة.

١٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾[2] بعد أن ذكر اختلاف أهل العلم في معنى ﴿ مُّقِيتًا ﴾ - : «والصواب من هذه الأقوال ، قول من قال: معنى

---

(١) أخرجه في المعجم الكبير (١٩/٢٤٣-٢٤٤) من حديث يونس بن محمد بن فضالة الظفري عن أبيه ، وكان ممن صحب النبي ﷺ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٤) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وأخرجه أيضاً أبو الليث في تفسير القرآن (١/٣٥٦).

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٥.



(المقيت) القدير. وذلك أن ذلك في ما يذكر كذلك بلغة قريش، وينشد للزبير بن عبد المطلب[١]، عم رسول الله ﷺ [٢]:

وذي ضغن كففت النفس عنه   وكنت على مساءته مقيتاً

أي: قادراً. وقد قيل: إن منه قول النبي ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقيت»[٣] وفي رواية من رواها «يقيت» يعني من هو تحت يديه وفي سلطانه من أهله وعياله ، فيقدر له قوته. يقال منه: أقات فلان الشيء يقيته إقاتة. وقاته يقوته قياتة وقوتاً . والقوت الاسم. وأما «المقيت» في بيت اليهودي[٤] الذي يقول فيه:

---

(١) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، أدركه النبي في طفولته ، وهو أكبر أعمامه . انظر الأعلام (٤٢/٣).

(٢) اختلف في قائل هذا البيت فقيل للزبير بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ . وقيل: لأبي قيس بن رفاعة. انظر لسان العرب (٣٤٠/١١) . وفي معجم الطبراني الكبير (٢٥٢/١٠) من طريق جويبر - وهي طريق لا تقوم بها حجة - منسوب إلى النابغة ، وفي الدر المنثور (١٨٧/٢) منسوب إلى أحيحة بن الأنصاري. والبيت في تهذيب اللغة (٢٥٥/٩)، ولسان العرب (٣٤١/١١)، والدر المصون (٥٦/٤).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (١٣٢/٢)، كتاب الزكاة ، باب صلة الرحم ، ح(١٦٩٢)، والإمام أحمد في المسند (١٦٠/٢)، والحاكم في المستدرك (٥٧٥/١-٥٧٦) جميعاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح.

(٤) السموأل بن عادياء اليهودي شاعر جاهلي . انظر خزانة الأدب (٤٩٧/٨) ،

=



ليت شعري وأشعرن إذا ما قربوها منشورة ودعيت

ألي الفضل أم علي إذا حو سبت ؟ إني على الحساب مقيت

فإن معناه : فإني على الحساب موقوف ، وهو من غير هذا المعنى»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن «مقيت» في بيت اليهودي بمعنى موقوف ، فقال - بعد أن أنشد البيتين - : «فقال فيه الطبري : إنه من غير هذا المعنى المتقدم ، وإنه بمعنى موقوف[٢] . قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : وهذا يضعفه أن يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول»[٣].

وقد ذهب إلى هذا التفسير الذي ذكره الطبري ها هنا أبو عبيدة من قبل حيث قال- عند قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ -: «أي حافظاً محيطاً ، قال اليهودي في غير هذا المعنى:

ليت شعري وأشعرن إذا ما قربوها مطوية ودعيت

=

والأعلام (٣/١٤٠). والبيتان في ديوانه ص(٨١)، وفي مجاز القرآن (١/١٣٥)، وتهذيب اللغة (٩/٢٥٥)، الثاني منهما ، وفي لسان العرب (١١/٣٤٠) كلاهما في «قوت» .

(١) جامع البيان (٨/٥٨٤-٥٨٥).

(٢) في المغربية «موقوت» والتصويب من القطرية.

(٣) المحرر الوجيز (٤/١٩٥).



أَلِي الفضل أم علي إذا حو سبت ؟ إني على الحساب مقيت

أي: هو موقوف عليه »[١].

وقول الطبري في تفسير بيت السموأل أورده القرطبي في تفسيره و لم يعترض عليه بشيء[٢].

وهذا الاستدراك بعينه أورده أبو حيان في البحر ، و لم ينسبه لابن عطية[٣].

فهذه النقول التي أوردتها هنا تفيد أن ما ذهب إليه الإمام الطبري قد قال به بعض أهل اللغة، وأن استدراك ابن عطية قد أورده غيره أيضاً على الإمام الطبري.

وبعد: فقول ابن عطية أن قول الطبري يضعفه أن يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول هو على رأي بعض نحاة البصرة ، والكوفيون يجيزون مثل هذا ، ولا يرونه ضعيفاً ، فالمسألة محل خلاف بين مدرستين قديمتين.

قال الزجاج – عند قوله تعالى : ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[٤] – : «معناه : مدفوق ، ومذهب سيبويه وأصحابه: أن معناه النسب إلى الاندفاق ،

---

(١) مجاز القرآن (١/١٣٥).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩٦).

(٣) انظر البحر (٣/٣٢٢).

(٤) سورة الطارق ، الآية : ٦.



المعنى من ماء ذي اندفاق»[١].

وقال أبو البركات ابن الأنباري - عند قوله تعالى -: ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٢] - : «فيه وجهان: أحدهما: أن يكون قوله : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ أي ذا ستر على النسب ... والثاني: أن يكون ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ بمعنى ساتر فيجيء مفعول بمعنى فاعل ، كما يجيء فاعل بمعنى مفعول كقولهم: سر كاتم، وماء دافق، أي سر مكتوم ، وماء مدفوق. وهذا قول الفراء»[٣].

قلت : وقال القاضي ابن عطية : «يصح أن يكون الماء دافقاً ؛ لأن بعضه يدفع بعضاً ، فمنه دافق، ومنه مدفوق»[٤].

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية هو كما قال لسببين:

الأول : مضمون ما ذكره ابن عطية من أن بناء فاعل بمعنى مفعول ضعيف . قال أبو جعفر النحاس: «فاعل بمعنى مفعول فيه بطلان البيان ، ولا يصح ولا ينقاس ، ولو جاز هذا لجاز ضارب بمعنى مضروب»[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣١١/٥).
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥.
(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٩١/٢).
(٤) المحرر الوجيز (٢٧٦/١٦).
(٥) إعراب القرآن (١٩٨/٥).



قلت: والأدلة التي ذكرها الكوفيون على أن فاعل بمعنى مفعول يدخلها التأويل . وهذا المنهج يؤدي إلى التوسع في كلام العرب ، والخروج عن الظاهر.

الثاني: أن بيت السموأل يمكن أن يبقى على ظاهره ، فيكون قول الشاعر «إني على الحساب مقيت» أي شاهد حافظ. قال ابن منظور – بعد أن أورد بيت السموأل – : «أي أعرف ما عملت من السوء؛ لأن الإنسان على نفسه بصيرة . حكى ابن بري[1] ، عن أبي سعيد السيرافي[2]، قال: الصحيح رواية من روى (ربي على الحساب مقيت) قال: لأن الخاضع لربه لا يصف نفسه بهذه الصفة. قال ابن بري: ولو ذهب مذهب من يقول : إنه الحافـــظ للشـــيء والشاهد له ... لم ينكر الرواية الأولى »[3].

ثم نقل ابن منظور عن الزجاج أنه قال: إن المقيت بمعنى الحافظ والحفيظ[4] .

---

(١) عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري ، النحوي اللغوي ، العلامة (ت: ٥٨٢هـــ). انظر بغية الوعاة (٣٤/٢).

(٢) الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، إمام في النحو واللغة (ت: ٣٦٨هـــ) انظر بغية الوعاة (٥٠٧/١).

(٣) لسان العرب (٣٤٠/١١) «قوت».

(٤) المرجع السابق (٣٤٠/١١) «قوت».



١٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١] - :

« ... ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ يا محمد ، وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن ، من خان مالاً لغيره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يقول: إن الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمنين ، بتركه عقوبتهم عليها إذا استغفروه منها ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بهم . فافعل ذلك أنت يا محمد، يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في نسبة الذنب إلى النبي ﷺ بسبب هذه الحادثة فقال : « وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ ذهب الطبري إلى أن المعنى : استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين . قال القاضي أبو محمد : وهذا ليس بذنب ؛ لأن النبي ﷺ إنما دافع عن الظاهر ، وهو يعتقد براءتهم ، والمعنى : استغفر للمذنبين من أمتك والمتخاصمين في الباطل، لا أن تكون ذا جدال عنهم ، فهذا حدك ، ومحلك من الناس أن تستمع من المتداعيين وتقضي بنحو ما تسمع وتستغفر

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٦.

(٢) جامع البيان (١٧٦/٩).



للمذنب»[١].

وقد اختلف المفسرون في هذه المسألة التي استدركها ابن عطية (أي هل صدر من الرسول ﷺ ذنب حتى يستغفر منه) فطائفة من المفسرين كلامهم يدور مدار كلام القاضي ابن عطية ، وإن اختلف الأسلوب[٢].

ومن هؤلاء المفسرين من نقل تفسير الإمام الطبري واستدراك القاضي ابن عطية عليه كالمسلم به الراضي عنه كالقرطبي ، وأبي حيان ، والثعالبي[٣].

ومن المفسرين من ذهب إلى التأويل الذي قاله الإمام الطبري[٤] . منهم الشوكاني فإنه نص على قول الإمام الطبري وبدأ بذكره ، ولم يعقب عليه بشيء ، وأورد قولاً آخر بلفظ قيل [٥]، فالظاهر أنه يجنح إلى قول الإمام الطبري.

---

(١) المحرر الوجيز (٢٤٨/٤-٢٤٩).

(٢) انظر التفسير الكبير (٢٨/١١)، وتفسير الخازن (٥٩٤/١)، والتحرير والتنوير (١٩٣/٥).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧٧/٥-٣٧٨)، والبحر المحيط (٣٥٩/٣)، والجواهر الحسان (٤٩٠/١).

(٤) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٣٨٥/١)، وتفسير ابن كثير (٥٥٣/١)، والتسهيل (٢٨٠/١). وقالوا ذلك بالمعنى و لم ينصوا على قول الطبري.

(٥) انظر فتح القدير (٥١١/١).



وطائفة كبيرة من المفسرين ، تفسرها على أن هناك هماً هم به رسول الله ﷺ و لم يفعله فأمره الله بالاستغفار من ذلك الهم(١).

والذي يبدو - والله أعلم - أن ما ذهب إليه أبو محمد في نفي الذنب الصادر من الرسول ﷺ هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- غاية ما قيل في سبب نزول هذه الآيات أن أحد المنافقين نقب بيت أحد المسلمين وأخذ سلاحه وطعامه فكلم ابن أخيه في ما أصابه فذهب ابن الأخ إلى رسول الله ﷺ فاشتكى إليه وذكر بعض من يتهم، فجاء أولئك فاعتذروا مما قيل فيهم ، ثم جاء المشتكي الأول مرة أخرى إلى رسول الله ﷺ فقال له: «عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة ، قال فرجعت ، ولو وددت أني خرجت من بعض مالي و لم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة(٢) فقال يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ فقال الله المستعان فلم يلبث أن نزل القرآن ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٠١/٢)، وتفسير كتاب الله العزيز (٤٢١/١)، والوسيط (١١٢/٢)، ومعالم التنزيل (٤٧٧/١)، والكشاف (٥٦١/١)، وتفسير البيضاوي (٢٤٢/١)، وتفسير النسفي (٢٤٩/١)، وتفسير الجلالين ص(١١١)، وتفسير أبي السعود (٢٢٩/٢).

(٢) رفاعة بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري ، عم قتادة بن النعمان. انظر الإصابة (٢٨٢/٣).



ﭐلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [1] يعني بني أبيرق[2]﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ أي مما قلت لقتادة[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ »[4].

وهذا الخبر – إن ثبت – فلا يفيد أن النبي ﷺ صدر منه ذنب ؛ لأنه كما قال أبو محمد دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءهم ، وكذلك قال ابن جزي[5].

قال الألوسي – في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾-: «مما قلت لقتادة،

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٥.

(٢) قيل: هم بشر وبشير ومبشر . انظر سنن الترمذي (٥/٢٤٤).

(٣) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر أمير مجاهد ، من نجباء الصحابة (ت : ٢٣هـ). انظر السير (٢/٣٣١).

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٥/٢٤٤) كتاب التفسير ، باب ومن سورة النساء ، ح(٣٠٣٦) وهو بعض من قصة طويلة قال أبو عيسى بعد رواية هذا الحديث : هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، وروى يونس ابن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكر فيه عن أبيه عن جده. وأخرج هذا الخبر الطبري في جامع البيان (٩/١٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٢٦) وقال صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢/٢١٥) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) انظر التسهيل (١/٢٨٠).



أو مما هممت به في أمر طعمة، وبراءته لظاهر الحال . وما قاله ﷺ لقتادة ، وكذا الهم بالشيء خصوصاً إذ يظن أنه الحق ليس بذنب حتى يستغفر منه لكن لعظم النبي ﷺ وعصمة الله تعالى له وتنـــزيهه عما يوهم النقص وحاشاه أمره بالاستغفار لزيادة الثواب وإرشاده إلى التثبت»[(١)].

٢- أخبر الله في آخر الآيات التي تحدثت عن ملابسة هذا الحادث أنه قد عصم نبيه ومنعه أن يقع في شيء من الزلل وإن سعى أولئك المنافقون إلى ذلك فقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[(٢)].

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[(٣)] فهذا لا يفيد أن النبي ﷺ قد وقع منه الخصام عن الخائنين بحال وهو مثل قوله تعالى لنبيه داود: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] . وقولـــه تعالى :

(١) روح المعاني (١٤٠/٥).

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١٣.

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٠٥.

(٤) سورة ص ، الآية : ٢٦.



﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لا يعني - والله أعلم - أنه قد صدر منه ذنب .

قال الخازن : «لم يفعل رسول الله ﷺ المنهي عنه في قوله:﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ ولم يخاصم عن طعمة[1] ... وإنما مال رسول الله إلى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره بالاستغفار لهذا القدر»[2].

قلت : هذا بناء على ما روي أن طعمة لما اتهم بذلك أخذ المسروق وطرحه في بيت يهودي ليوقع به ويبرئ نفسه [3].

٣- ما ذهب إليه أبو محمد هو قول جمهور المفسـرين الذين اطلعت على مصنفاتهم مما يفيد قوة هذا القول وترجيحه على ما سواه . وقد تقدم أنهم بين ناف له ، وبين قائل : إن ذلك مجرد هم. والهم كما قال الألوسي ليس بذنب.

---

(١) هو أحد بني أبيرق الذي تقدم ذكرهم تارة يقولون بشير ، وتارة طعمة ، وتارة أبو طعمة . انظر مستدرك الحاكم (٤/٤٢٧)، وأسباب النـزول للواحدي ص(١٨١).

(٢) انظر تفسير الخازن (١/٥٩٤)، وهناك أجوبة أخرى ذكرها الرازي . انظر التفسير الكبير (١١/٢٨).

(٣) انظر أسباب النـزول للواحدي ص(١٨١). وأخرج نحوه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٧٢) من طريق معمر عن قتادة.



١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾[1] - : «... وإنما وبخ جل ثناؤه بهذه الآيات[2] الخائنين الذين خانوا الدرع التي وصفنا شأنها ، الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[3] وحذر أصحاب محمد ﷺ أن يكونوا مثلهم ، وأن يفعلوا فعل المرتد في ارتداده ولحاقه بالمشركين ، وعرفهم أن من فعل فعله منهم فلن يضر إلا نفسه ولن يوبق بردته غير نفسه لأنه المحتاج مع جميع ما في السموات وما في الأرض إلى الله ، والله الغني عنهم ، ثم توعدهم في قوله:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ ﴾ بالهلاك والاستئصال ، إن هم فعلوا فعل ابن أبيرق طعمة المرتد ، وباستبدال آخرين غيرهم بهم ، لنصرة نبيه محمد ﷺ ، وصحبته ،

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٣ .

(٢) يعني بالآيات الآية المذكورة وآيتين قبلها ، وهي قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ سورة النساء ، الآية: ١٣١ ، ١٣٢.

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٠٥.



ومؤازرته على دينه ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ (١) »(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من قصر الوعيد المفهوم من الآية في من شفع في طعمة بن أبيرق ، فقال : «وقوله تعالى:﴿ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ مخاطبة للحاضرين من العرب ، وتوقيف للسامعين لتحضر أذهانهم ... وتحتمل ألفاظ الآية أن تكون وعيداً لجميع بني آدم، ويكون الآخرون من غير نوعهم ، كما قد روي : أنه كان في الأرض ملائكة يعبدون الله قبل بني آدم، وقدرة الله تعالى على ما ذكر تقضي بها العقول ببدائهها(٣). وقال الطبري : هذا الوعيد والتوبيخ هو للقوم الذين شفعوا في طعمة بن أبيرق ، وخاصموا عنه في أمر خيانته في الدرع والدقيق.

قال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : وهذا تأويل بعيد واللفظ إنما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة ، أو العالم الحاضر»(٤).

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٨.

(٢) جامع البيان (٩/٢٩٨).

(٣) « ببدائهها » كذا في النسخة القطرية وهو الصواب، وأما المغربية ففيها «ببدائها».

(٤) المحرر الوجيز (٤/٢٧٧-٢٧٨).



هذا الاستدراك الذي أورده أبو محمد على الإمام الطبري أورده أيضاً أبو حيان فقال: «وقال الطبري الخطاب للذين شفعوا في طعمة بن أبيرق وخاصم وخاصموا عنه في أمر خيانته في الدرع والدقيق، وهذا التأويل بعيد ، وقد يظهر العموم ، فيكون خطاباً للعالم الحاضر الذي يتوجه إليه الخطاب والنداء»[(١)] وكذلك نقله الثعالبي بحروفه[(٢)].

والذي يبدو – والله أعلم – أن وصف القاضي ابن عطية تفسير الإمام الطبري بالبعد هو كما قال؛ وذلك للأسباب التالية:

١– ظاهر هذه الآية أنها سيقت مساق العموم ، فتعيين الإمام الطبري حادثاً بعينه ، وذكره لأشخاص وحمل الآية على ذلك هو خلاف الظاهر.

٢– هذه الآية الكريمة ، تحمل في طياتها الوعيد والتهديد ، وهو مسلك من مسالك التربية التي أشار إليها القرآن الكريم ، وإنما يتوجه حمل هذا المسلك على العموم – ما لم توجد قرينة تصرف عن ذلك – لتستقيم حياة الإنسان في هذا الكون ، فلعل الكافر أن يقلع عن كفره وجحده ، والعاصي يتوب ويرجع عن معصيته ، والطائع الملتزم بأوامر الله يدوم على ذلك ويزداد خيراً وصلاحاً إلى خيره وصلاحه.

٣– مما يدل على أن الآية عامة لا يقصد بها شخص بعينه أنني لم أر

---

(١) البحر المحيط (٣٨٣/٣) . والظاهر أنه اطلع على ما في المحرر.

(٢) انظر الجواهر الحسان (٥٠٢/١).



- في ما اطلعت عليه - مفسراً يذكر للآية سبباً معيناً ، ولا من يربطها بتلك الحادثة غير الإمام الطبري . والظاهر أن هذه الآية مستقلة لم تقصد فيها تلك الحادثة بخصوصها - وإن كان أصحابها يدخلون في عموم الوعيد التي انطوت عليه تلك الآية - لأن الحديث عن تلك الحادثة قد انتهى عند قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾(١).

وقد يكون قبل هذا عند قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢).

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾(٣) قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : إن الذين آمنوا بموسى ، ثم كفروا به، ثم آمنوا - يعني النصارى - بعيسى ، ثم كفروا به ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٧.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٢٣.

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٣٧.



لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾ . ذكر من قال ذلك»[(١)].

ثم ساق بسنده عن قتادة أنه قال في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً ﴾ وهم اليهود والنصارى آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت ، وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت ، وكفرهم به : تركهم إياه. ثم ازدادوا كفراً بالفرقان وبمحمد ﷺ . فقال الله : ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾ يقول: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق هدى ، وقد كفروا بكتاب الله وبرسوله محمد ﷺ [(٢)].

ثم ذكر الأقوال الأخرى فقال: «وقال آخرون : بل عني بذلك أهل النفاق ، أنهم آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على الكفر[(٣)]... وقال آخرون : بل هم أهل الكتابين ، التوراة والإنجيل ، أتوا ذنوباً في كفرهم فتابوا ، فلم تقبل منهم التوبة فيها ، مع إقامتهم على كفرهم[(٤)]... قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من

---

(١) جامع البيان (٩/٣١٤-٣١٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان(٩/٣١٥) من طريق سعيد عن قتادة . وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٧٦) قال أخبرنا معمر عن قتادة فذكره بنحوه.

(٣) أسنده إلى مجاهد من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج. وإلى ابن زيد من طريق ابن وهب.

(٤) أسنده أيضاً إلى أبي العالية من طريق داود بن أبي هند.

قال: عنى بذلك أهل الكتاب الذين أقروا بحكم التوراة ، ثم كذبوا بخلافهم إياه ، ثم أقر من أقر منهم بعيسى والإنجيل ، ثم كذب به بخلافه إياه ، ثم كذب بمحمد ﷺ والفرقان ، فازداد بتكذيبه به كفراً على كفره . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية ؛ لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين - أعني قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1] - ولا دلالة تدل على أن قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ منقطع معناه من معنى ما قبله ، فإلحاقه بما قبله أولى ، حتى تأتي دلالة دالة على انقطاعه منه»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما رجحه من أنها في أهل الكتاب، فقال - بعد أن ذكر قول قتادة ، وقول من قال: إن الآية في الطائفة من أهل الكتاب التي قالت: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾[3] وهو قول الحسن ابن أبي الحسن ثم ذكر قول من قال : إنها في المنافقين -: «وهذا هو القول المترجح[4]، وقول الحسن ابن أبي الحسن جيد محتمل،

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٦.

(٢) جامع البيان (٩/٣١٥-٣١٧).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧٢.

(٤) يعني قول من قال : إنها في المنافقين .

وقول قتادة وأبي العالية[١] – وهو الذي رجح الطبري – قول ضعيف تدفعه ألفاظ الآية ؛ وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتصف كل واحد منها بهذه الصفة من التردد بين الكفر والإيمان ، ثم يزداد كفراً بالموافاة ، واليهود والنصارى لم يترتب في واحد منهم إلا إيمان واحد وكفر واحد، وإنما يتخيل فيهم الإيمان والكفر مع تلفيق الطوائف التي لم تتلاحق في زمان واحد ، وليس هذا مقصد الآية»[٢].

حاصل استدراك ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة أنه رجح قولاً ضعيفاً.

والأقوال في هذه المسألة – كما ذكر الإمام الطبري والقاضي ابن عطية – أربعة ، اشتركا في ذكر اثنين منها وانفرد الطبري بذكر ثالث لم يذكره ابن عطية ، وكذلك ابن عطية ذكر قولاً في الثلاثة لم يذكره الطبري.

وهناك خامس لم يذكراه جميعاً ، وهو جدير بالذكر حاصل هذا القول : أن الآية في من تكررت منه الردة[٣].

---

(١) الذي رأيته في جامع البيان (٩/٣١٦) أن أبا العالية قال : هم اليهود والنصارى أذنبوا في شركهم ثم تابوا، فلم تقبل توبتهم ، ولو تابوا من الشرك لقبل منهم. وقد اعتبره الطبري قولاً مستقلاً كما رأيت.

(٢) المحرر الوجيز (٤/٢٨٢).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل (١/٤٩٠) قولاً. ومال إليه الألوسي ورجحه =



ويبدو أن استدراك القاضي ابن عطية على ما رجحه الإمام الطبري هو كما قال ، وذلك للأسباب التالية:

١- لما علل به بقوله: وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتصف كل واحد منها بهذه الصفة... إلخ.

٢- ولما علل به ابن عاشور بقوله[1] - بعد أن ذكر نحو القول الذي رجحه الطبري -: وهو بعيد؛ لأن الآية حكم لازم لقوله: ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ فإن الأولين من اليهود كفروا إذ عبدوا العجل، ولكنهم تابوا فما استحقوا عدم المغفرة وعدم الهداية ، كيف وقد قيل لهم: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾[2] إلى قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾.

٣- ولأن المنافقين هم المتلاعبون بالدين ، فحيث لقوا المؤمنين قالوا آمنا ، وإذا لقوا أصحابهم قالوا: إنا مستهزئون[3].

٤- ولأنه جاء بعد الآية التي وقع فيها النزاع ما يقوي ما ذهب إليه ابن عطية فذكر الله تعالى جزاء المنافقين الذين هذا حالهم من التلاعب

=

على غيره في روح المعاني (١٧١/٥) وقال ابن جزي إنه الأظهر . انظر التسهيل (٢٨٨/١).

(١) التحرير والتنوير (٢٣١/٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٤.

(٣) انظر البحر المحيط (٣٨٧/٣) وقد قال صاحبه : والظاهر أنها في المنافقين.



بالدين وهذه الآية صريحة في المنافقين ، أما الآية التي رجح بها الإمام الطبري قبل الآية المختلف فيها [(١)]، وقوله : إنها في قصص أهل الكتابين فمختلف فيها فمن العلماء من قال: إنها في أهل الكتابين ، ومنهم من قال: الخطاب فيها للمؤمنين ، ويكون المقصود من الأمر الثبوت والدوام، وقيل : الخطاب للمنافقين ، والمعنى : يا أيها الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم ليكن إيمانكم حقيقة[(٢)].

---

(١) وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ... ﴾ سورة النساء ، الآية : ١٣٦.

(٢) انظر المحرر الوجيز (٢٨٣/٤).



سورة المائدة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾[١] قال أبو جعفر: أما ﴿ ٱلْهَدْىَ ﴾ فهو ما أهداه المرء من بعير أو بقرة أو شاة ، أو غير ذلك إلى بيت الله تقرباً به إلى الله وطلب ثوابه ... وقد روي عن ابن عباس أن ﴿ ٱلْهَدْىَ ﴾ إنما يكون هدياً ما لم يقلد»[٢]. ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس ، قوله: ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ ﴾ قال : «الهدي ما لم يقلد ، وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلده »[٣].

ثم قال : «وأما قوله: ﴿ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ فإنه يعني : ولا تحلوا أيضاً القلائد . ثم اختلف أهل التأويل في القلائد التي نهى الله عز وجل عن إحلالها ، فقال بعضهم : عني بـــ «القلائد» قلائد الهدي. وقالوا: إنما أراد الله جل وعز بقولـــه : ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ ولا تحلوا الهـــدايا المقلدات منها وغير المقلدات . فقولـــه : ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ ﴾ ما لم يقلد من

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(٢) جامع البيان (٩/٤٦٦، ٤٦٧).

(٣) أخرجه في جامع البيان (٩/٤٦٧) من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لضعف العوفي . وأورده السيوطي في الدر (٢/٢٥٤) ونسب إخراجه لابن جرير وابن أبي حاتم.



الهدايا . ﴿ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ المقلد منها . قالوا : ودل بقوله : ﴿ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ على معنى ما أراد من النهي عن استحلال الهدايا المقلدة . ذكر من قال ذلك»[1]. ثم ساق بسنده عن ابن عباس من طريق العوفي – أيضاً – أنه قال في قوله: ﴿ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ : «القلائد مقلدات الهدي. وإذا قلد الرجل هديه فقد أحرم...»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما نسبه إلى ابن عباس في معنى ﴿ ٱلْهَدْىَ ﴾ فقال: «واختلف الناس في القلائد ، فحكى الطبري عن ابن عباس أن القلائد هي الهدي المقلد، وأن الهدي إنما يسمى هدياً ما لم يقلد ، فكأنه قال: ولا الهدي الذي يقلد، والمقلد منه. قال القاضي أبو محمد : وهذا الذي قاله الطبري تحامل على ألفاظ ابن عباس، وليس يلزم من كلام ابن عباس أن الهدي إنما يقال لما لم يقلد، وإنما يقتضي أن الله نهى عن استحلال الهدي جملة ، ثم ذكر المقلد منه تأكيداً ومبالغة في التنبيه على الحرمة في التقليد»[3].

---

(١) جامع البيان (٩/٤٦٧).

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٩/٤٦٧) من طريق العوفي ، وهي طريق ضعيفة لضعف العوفي. وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (٢/٢٥٤) ونسب إخراجه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) المحرر الوجيز (٥/١٢-١٣).

محل الخلاف بين الإمامين هو في فهم كلام ابن عباس ، الذي روي عنه أنه قال فيه «الهدي ما لم يقلد...» فالإمام الطبري يرى أن معناه : أن الهدي إنما يكون هدياً ما لم يقلد. فقصر الإمام الطبري الهدي في ما لم يقلد وهذا يلزم عليه أن الهدي إنما يكون لما كان بهذه الصفة فلا يدخل معه غيره ولا يشاركه. وابن عطية يرى أن هذا تحامل على اللفظ المروي عن ابن عباس إذ اللفظ المروي عنه لا يوجد فيه قصر الهدي على ما لم يقلد ، وإنما هو مطلق ، فقد يدخل معه غيره ، مما يوجد فيه صفة الهدي.

وفي نظري أن أبا محمد مصيب في ما قال ؛ لأن اللفظ المروي عن ابن عباس قد جاء خاليا من أسلوب القصر ، أما لفظ الإمام الطبري الذي نسبه إلى ابن عباس فقد جاء بأسلوب القصر ، وفرق كبير بين العبارتين ، إذ معنى الكلام على ما روي عن ابن عباس «الهدي ما لم يقلد» فلم يقصر الهدي على ما كان هذا صفته ، وإنما أخبر مجرد خبر ، كما تقول : «زيد ناجح» فلا يلزم أن غيره لم ينجح ، وبناء على هذا فلا يلزم على اللفظ المروي عن ابن عباس في معنى ﴿ ٱلۡهَدۡيَ ﴾ أن ﴿ ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ لا تكون هدياً بل هي في الأصل «هدي» إلا أنها قلدت فأصبحت تسمى «قلائد» بالإضافة إلى أنها «هدي» فعلى هذا هي «هدي» وهي «قلائد» فهي مذكورة مرتين ، فالله نهى عن استحلال الهدي فدخلت القلائد في هذا النهي ؛ لأنها هدي ، ثم ذكرها الله مرة أخرى بقوله: ﴿ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ وهذا تأكيد ومبالغة في حرمتها كما قال أبو محمد.



ويدل على صحة هذا الفهم ما روي عن ابن عباس في معنى ﴿ ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ أنه قال: «القلائد مقلدات الهدي» فهذا يفيد أن القلائد في الأصل هدي.

أما معنى عبارة الإمام الطبري التي نسبها إلى ابن عباس بقوله : «الهدي إنما يكون هدياً ما لم يقلد» فمعناها قصر الهدي على ما كانت هذه صفته، فلا يدخل معه غيره ، كما تقول : «إنما زيد هو الناجح»، فقصرت النجاح على زيد . وبناء على هذا فـ ﴿ ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ لا تدخل في مسمى الهدي . هذا مؤدى اللفظ الذي حكاه الإمام الطبري عن ابن عباس ، وهو لم يقصد رحمه الله تعالى أن يقوّل ابن عباس ما لم يقل ، لكن العبارة كان ينقصها شيء من التحرير أدى إلى ما رأيت ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معائبه.

أو يقال : ما جاء في عبارة الطبري – مما يفيد الحصر والقصر – لم يقصده الإمام الطبري ، وإنما قصد البيان والشرح ، ولم يقصد الدلالة المطابقية .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾[1] -: «... ثم اختلف أهل

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١١ .



التأويل في صفة هذه النعمة التي ذكر الله جل ثناؤه أصحاب نبيه ﷺ بها ، وأمرهم بالشكر له عليها...»[١] ثم ذكر الأقوال إلى أن قال : «وقال آخرون : بل النعمة التي ذكرها الله في هذه الآية، فأمر المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ بالشكر له عليها : أن اليهود كانت همت بقتل النبي ﷺ في طعام دعوه إليه ، فأعلم الله عز وجل نبيه ﷺ ما هموا به ، فانتهى هو وأصحابه عن إجابتهم إليه ، ذكر من قال ذلك »[٢] ثم ساق بسنده عن ابن عباس أنه قال : «وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام ، فأوحى الله إليه بشأنهم ، فلم يأت الطعام ، وأمر أصحابه فلم يأتوه »[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله ما روي عن ابن عباس تحت الترجمة التي وضعها ، إذ أن ما روي عن ابن عباس خلاف ما ترجم به ، فقال : «وحكى الطبري أن الآية نزلت بسبب قوم من اليهود أرادوا قتل النبي ﷺ في طعام فأشعره الله

---

(١) جامع البيان (١٠/١٠١).

(٢) جامع البيان (١٠/١٠٤-١٠٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/١٠٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهي طريق ضعيفة عند أهل العلم لضعف العوفي. وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر (٢/٢٦٦) من طريق العوفي ونسب إخراجه لابن جرير وابن أبي حاتم . وقد ذكر الشيخ أحمد أنه في المخطوطة «وأمر أصحابه فأتوه» وفي المطبوعة «فأبوه».

بذلك . ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلاف ما ترجم به من أن قوماً من اليهود صنعوا للنبي ﷺ وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام . قال القاضي أبو محمد : فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة»[(١)].

هذا ما فعله الإمام الطبري ، واستدراك القاضي عليه .

فإذا قارنت بين ما يوجد في تفسير الطبري وبين ما نقله عنه ابن عطية رأيت أن ابن عطية قد اختصر ماذكره الإمام الطبري بعض الاختصار.

والظاهر من كلام أبي محمد أنه قصر لنا استدراكه على الطبري في ما ذكر لنا من ألفاظ عنه ، فيكون مدار البحث في ما ذكر ابن عطية فحسب[(٢)].

فإذا تأملت ما ترجـــم به الإمام الطـــبري وما أدخله تحت الترجمة ،

---

(١) المحرر الوجيز (٥/٥٥).

(٢) قلت : هذا لأنا لو استجزنا الخروج عن ما قصر ابن عطية الخلاف فيه ، لوجدنا أن هناك مخالفة بين آخر الترجمة ، وآخر ما روي عن ابن عباس فقد ذكر محمود شاكر أنه في نسخ الطبري المخطوطة الرواية التي فيها هكذا «وأمر أصحابه فأتوه» وذكر أن ذلك مخالف لما جاء في آخر الترجمة من قول الطبري : «فانتهى هو وأصحابه عن إجابتهم إليه» وذكر أنه أثبت في الرواية «وأمر أصحابه فلم يأتوه» اعتماداً على ما نقله السيوطي ، ولأنه الموافق لترجمة الطبري. انظر جامع البيان (١٠/١٠٥) حاشية (١). قلت: وابن عطية لم يرد باستدراكه هذا الموطن من الرواية والترجمة وإنما أراد ما ذكرت في الأصل.

وذلك من خلال ما نقله ابن عطية عنه، وجدت أن في الترجمة ما يفيد أن اليهود أرادت قتل النبي ﷺ في الطعام بأن يدسوا له سماً في الطعام أو نحو ذلك، وهذا ليس في الأثر ، وإنما الذي فيه أن يهود صنعوا الطعام للنبي وأصحابه ليقتلوه إذا أتى الطعام ، وهذا يفيد أن القتل لا يلزم أن يكون بالطعام.

فهذا الذي يظهر أن القاضي ابن عطية استدركه على الإمام الطبري. ولا شك أن الرواية ليس فيها أن اليهود أرادت قتل النبي في الطعام ، وإنما فيها صنعوا له طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام.

ولعل الإمام الطبري استجاز أن يذكر ما ذكر في الترجمة ويدخل تحته ما روي عن ابن عباس ؛ لأنه لما كان الطعام وسيلة إلى المجيء برسول الله ﷺ فتنال منه يهود ما أرادت صح أن يقال: إن اليهود كانت همت بقتل النبي ﷺ في طعام دعوه إليه.

أو يقال : ما فعله الإمام الطبري من باب الاستدلال بالأخص في الأعم، وذلك سائغ .

والقاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – جعل هذا الاستدراك مقدمة لما يجنح إليه من إرجاع هذا القول – الذي ذكره الطبري وأدخل تحته ما روي عن ابن عباس – إلى معنى قول آخر ، وهو ما ذكره بقوله: «فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة» وهو يعني بقصة بني النضير المتقدمة ما ذكر في كتب التفسير والسير من أن سبب نزول قوله



تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ... ﴾ الآية أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير في بعض أصحابه يستعينهم في دية رجلين قتلهما بعض أصحابه فلما كلمهم قالوا نعم يا أبا القاسم انزل حتى نصنع لك طعاماً وننظر في معونتك، فنزل رسول الله ﷺ في ظل جدار فتآمروا بينهم في قتله... وجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ من المكان وتوجه إلى المدينة ونزلت الآية في ذلك[1].

فإذا تأملت في الروايتين رأيت أن ظاهر رواية ابن عباس تفيد أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بدعوة منهم بينما في القصة الثانية أن النبي ﷺ ذهب إليهم ليستعينهم في دية القتيلين دون سابق دعوة.

ومن هنا استقام للإمام الطبري أن يجعل كلاً من القصتين قولاً مستقلاً في سبب نزول الآية.

نعم قد يقال : إنه بعد وصول الرسول ﷺ إلى ديارهم رحبوا به ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٠٤)، وهذا السبب أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/١٠٢) من طرق منها عن يزيد ابن أبي زياد . وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص(٤٢٢، ٤٢٣) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وأورده الواحدي في أسباب النزول ص(١٩٣) بقوله: وقال مجاهد والكلبي وعكرمة فذكره ، وأورده السيوطي في لباب النقول ص(٢٤١) ونسب إخراجه لابن جرير. وذكر ابن عطية أن هذا السبب في نزول الآية هو قول الجمهور . انظر المحرر الوجيز (٥/٥٤).

وأجابوه إلى ما طلب ودعوه إلى طعام هو وأصحابه ومن هنا استقام لابن عطية أن يقول: يشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير، وأنا أجنح إلى ما جنح إليه ابن عطية لأسباب من أهمها:

١- أنه قد روي عن ابن عباس أن سبب نزول الآية ما همت به بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فيشبه أن يكون هذا هو الأصل وأن الرواية التي جعلها الطبري قولاً مستقلاً ترجع إلى هذا القول.

٢- أن جمهور المفسرين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - لم يشيروا إلى رواية ابن عباس ، ولم يذكروا من بين الأقوال ما يشير إليها [(١)]، فلعلهم اعتبروها داخلة في قصة بني النضير ، بل إن ابن الجوزي قد جعل الروايتين قولاً واحداً[(٢)].

٣- لم تشـــر كتب السيرة - في حد اطلاعي وعلمي - إلى مثل هذه

---

(١) انظر معاني القرآن الكريم (٢٧٨/٢)، و تفسير القرآن لأبي الليث (٤٢٠/١) ، والنكت والعيون (١٩/٢)، وأسباب النـــزول للواحدي ص(١٩٢-١٩٤)، ومعالم التنــزيل (١٩/٢)، والكشاف (٥٩٩/١)، وزاد المسير (٣٠٨/٢)، والتفسير الكبير (١٤٤/١١)، وتفسير البيضاوي (٢٦٦/١)، والجامع لأحكام القرآن (١١١/٦)، وتفسير الخازن (٢٤/٢)، والبحر المحيط (٤٥٦/٣)، والتسهيل لعلوم التنــزيل (٣٠٧/١)، وتفسير أبي السعود (١٣/٣)، والفتوحات الإلهية (٤٧٠/١)، وفتح القدير (٢٠/٢)، وروح المعاني (٨٤/٦) ، والتحرير والتنوير (١٣٧/٦)، وتفسير كتاب الله العزيز (٤٥٥/١).

(٢) انظر زاد المسير (٣٠٨/٢، ٣٠٩).



الحادثة استقلالاً ، وإنما الذي ذكر فيها قصة يهود بني النضير وأن ذلك كان سبب نزول الآية ، فلو كانت هذه الحادثة وقعت مستقلة عن قصة بني النضير لذكرها علماء السيرة لتوفر الدواعي على ذكرها.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ [(١)] - : «وأصل (السحت) كلب الجوع ، يقال منه : فلان مسحوت المعدة إذا كان أكولاً لا يلفى أبداً إلا جائعاً ، وإنما قيل للرشوة (السحت) تشبيهاً بذلك، كأن بالمسترشي من الشره إلى أخذ ما يعطاه من ذلك ، مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام، يقال منه: (سحته وأسحته) ، لغتان محكيتان عن العرب ، ومنه قول الفرزدق بن غالب [(٢)]:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف

يعني بـــ (المسحت) الذي قد استأصله هلاكاً بأكله إياه وإفساده،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٢ .

(٢) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري ، كان من أشعر أهل زمانه (ت : ١١٠هـ) انظر السير (٤/٥٩٠)، وخزانة الأدب (١/٢١٧). والبيت في ديوانه (٢/٧٥)، وفي لسان العرب (٦/١٨٦) «سحت» ، وخزانة الأدب (١/٢٣٧). «ومجلف » هكذا جاء مرفوعاً، وقد اعتُرض على الفرزدق في ذلك . انظر تفصيل المسألة في خزانة الأدب (٥/١٤٤، ١٤٥) .



ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾[(١)] وتقول العرب للحالق: اسحت الشعر أي: استأصله»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن جعل (كلب الجوع) أصلاً للسحت ، فقال - بعد أن حكى بعض ما تقدم من قول الطبري - : «وفي عبارة الطبري بعض اضطراب ؛ لأن مسحوت المعدة هو مأخوذ من الاستئصال والذهاب ، وليس كلب الغرث أصلاً للسحت »[(٣)].

إذا نظرت في كلام أهل اللغة والمعاني والتفسير تجد أنهم يجعلون أصل (السحت) الاستئصال والهلاك وهذا الأصل تكاد تجمع كلمتهم عليه. قال الزجاج: «يقال سحته ، وأسحته إذا استأصله، وقال بعضهم: سحته أذهبه قليلاً قليلاً إلى أن استأصله ... ويجوز أن يكون سحته وأسحته إذا استأصله، كان ذلك شيئاً بعد شيء ، أو كان دفعة واحدة»[(٤)].

وقال الفراء : « وقوله : ﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾[(٥)] وسحت أكثر وهو الاستئصال ، يستأصلكم بعذاب. وقال الفرزدق :

---

(١) سورة طه ، الآية : ٦١.

(٢) جامع البيان (١٠/٣٢٤).

(٣) المحرر الوجيز (٥/١٠٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/١٧٧).

(٥) سورة طه ، الآية : ٦١.



وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف

والعرب تقول : سحت وأسحت بمعنى واحد»[1].

وقال أبو منصور – بعد أن نقل المعنى المتقدم عن الفراء – : «أبو عبيد عن الأحمر[2] : المسحوت: الجائع ، وامرأة مسحوتة»[3].

وقال ابن قتيبة – عند الآية – : «... وهو من أسحته الله وسحته إذا أبطله وأهلكه»[4].

وقال ابن فارس : «السين والحاء والتاء أصل صحيح منقاس . يقال: سحت الشيء ، إذا استؤصل ، وأسحت ... ومن الباب رجل مسحوت الجوف إذا كان لا يشبع ، كأن الذي يبلعه يستأصل من جوفه فلا يبقى ...»[5].

ونحو هذا ذكر غيرهم من أهل اللغة والمعاني[6].

---

(١) معاني القرآن (١٨٢/٢).

(٢) لعله خلف بن حيان ، أبو محرز المعروف بالأحمر ، عالم بالأدب، راوية (ت : ١٨٠هـ) . انظر بغية الوعاة (٥٥٤/١).

(٣) تهذيب اللغة (٢٨٥/٤) «سحت».

(٤) تفسير غريب القرآن ص(١٤٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة (١٤٣/٣) «سحت».

(٦) انظر مجاز القرآن (٢٠/٢، ٢١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٠٩/٢)، والمفردات ص(٢٢٥)، ولسان العرب (١٨٦/٦)، ومختار الصحاح ص(٢١٨)، وترتيب القاموس (٥٢٦/٢، ٥٢٧)، والمعجم الوسيط (٤٣٤/١) «سحت».

وقال الزمخشري : «السحت : كل ما لا يحل كسبه ، وهو من سحته إذا استأصله ؛ لأنه مسحوت البركة»[١].

وقال القرطبي : «قوله: ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ على التكثير . والسحت في اللغة : أصله الهلاك والشدة ... وقال الفراء : أصله كلب الجوع ...»[٢]. ونحو هذا نقل أبو حيان ، وتلميذه السمين[٣].

وبعد: فالذي يظهر - والله أعلم - أن كلب الجوع ناتج عن استئصال ما في الجوف ، كما أن أصل السحت الاستئصال إذاً كلب الجوع والسحت يجتمعان في أصل واحد هو الاستئصال والهلكة، يدل على هذا الاجتماع أن ابن فارس ذكر أن أصل السحت الاستئصال ، ثم قال: ومن الباب رجل مسحوت الجوف إذا كان لا يشبع كأن الذي يبلعه يستأصل من جوفه فلا يبقى. فأرجع معنى مسحوت الجوف إلى أصل السحت وهو الاستئصال وإذا كان الأمر كذلك فما قاله الإمام الطبري فيه بعض اضطراب كما قال أبو محمد.

نعم قد يحتمل ذلك لا سيما وأنه قد نقل عن الفراء ، ويقال في توجيهه: (كلب الجوع) استئصال ما في الجوف ، كما أن السحت الاستئصال ، فجعل الإمام الطبري ما أصله الاستئصال أصلاً للسحت ، وهو قريب ؛ لأن فرع الأصل ، قد ينوب عن أصله . أو تقول : لأن فرع

---

(١) الكشاف (٦١٤/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٢/٦، ١٨٣).

(٣) انظر البحر المحيط (٤٩٧/٣)، والدر المصون (٢٦٨/٤، ٢٦٩).



الأصل أصل . والله أعلم.

قال السمين : وعن الفراء : السحت : كلب الجوع . وهو راجع للهلكة[١].

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[٢] »[٣] ثم ذكر الخلاف في معنى قوله: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ، وساق بسنده «عن مجاهد : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ محمد ﷺ مؤتمن على القرآن»[٤].

ثم قال : «فتأويل الكلام على ما تأوله مجاهد : وأنزلنا الكتاب مصدقاً الكتب قبله إليك، مهيمناً عليه ، فيكون قوله: ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حالاً من الكتاب وبعضاً منه ، ويكون التصديق من صفة (الكتاب) و (المهيمن) حالاً من الكاف التي في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ وهي كناية عن ذكراسم النبي ﷺ ، والهاء في قوله: ﴿ عَلَيْهِ ﴾ عائدة على الكتاب.

---

(١) الدر المصون (٢٦٩/٤).

(٢) سورة المائدة، الآية : ٤٨ .

(٣) جامع البيان (٣٧٧/١٠).

(٤) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٣٨١/١٠) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.



وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب ، بل هو خطأ؛ وذلك أن (المهيمن) عطف على (المصدق) فلا يكون إلا من صفة ما كان (المصدق) صفة له ، ولو كان معنى الكلام ما روي عن مجاهد ، لقيل : (وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه) ؛ لأنه لم يتقـدم من صفـة الكاف التي في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ بعـدها شـيء يكون ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ عطفاً عليه. وإنما عطف به على (المصدق)؛ لأنه من صفة ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذي من صفته (المصدق) فإن ظن ظان أن (المصدق) - على قول مجاهد وتأويله هذا - من صفة الكاف التي في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ فإن قوله : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يبطل أن يكون تأويل ذلك كذلك ، وأن يكون (المصدق) من صفة الكاف التي في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ؛ لأن الهاء في قوله: ﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ كناية اسم غير المخاطب، وهو النبي ﷺ في قوله: ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، ولو كان (المصدق) من صفة الكاف لكان الكلام: وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديك من الكتاب ومهيمناً عليه . فيكون معنى الكلام حينئذ كذلك»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري

---

(١) جامع البيان (١٠/٣٨١، ٣٨٢).



استدراكه على مجاهد فقال - بعد أن حكى قول مجاهد المتقدم - : «وغلط[١] الطبري رحمه الله في هذه اللفظة على مجاهد، فإنه فسر تأويله على قراءة الناس ﴿ مُهَيْمِنًا ﴾ بكسر الميم الثانية ، فبعد التأويل . ومجاهد رحمه الله إنما يقرأ هو وابن محيصن[٢] ﴿ وَمُهَيْمنا عَلَيْهِ ﴾ بفتح الميم الثانية فهو بناء اسم المفعول ، وهو حال من الكتاب معطوفة على قوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ وعلى هذا يتجه أن المؤتمن عليه هو محمد ﷺ و ﴿ عَلَيْهِ ﴾ في موضع رفع على تقدير أنها مفعول لم يسم فاعله . هذا على قراءة مجاهد. وكذلك مشى مكي رحمه الله ، وتوغل في طريق الطبري في هذا الموضع ... ويحتمل أن يكون ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ و﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ حالين من الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، ولا يخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكي»[٣].

موضع الخلاف بين الإمامين في تفسير الإمام مجاهد رحمه الله تعالى

---

(١) في الطبعة القطرية «وغلظ» بالغين والظاء ، والظاهر أنها بالطاء من غير إعجام ، يدل على ذلك سياق الكلام، وما في الدر المصون (٢٩٠/٤) نقلاً عن المحرر . وهي استدراك في الحالين.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير (ت : ١٢٣هـ) انظر غاية النهاية (١٦٧/٢).

(٣) المحرر الوجيز (١١٩/٥ ، ١٢٠).



لقوله تعالى: ﴿ وَمُهَيۡمِنًا ﴾ فالإمام الطبري يرى أن تفسيره لا يستقيم على المفهوم من كلام العرب ؛ لأنه حينئذ يكون ﴿ وَمُهَيۡمِنًا ﴾ حالاً من الكاف في ﴿ إِلَيۡكَ ﴾ فيكون المعنى : أنزلنا إليك يا محمد القرآن حال كونك مهيمناً عليه أي مؤتمناً عليه ، وهذا لا يصح لوجود الواو العاطفة لـــ ﴿ وَمُهَيۡمِنًا ﴾ على ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ ومصدقاً لا يصح إلا أن يكون حالاً من ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ، إذ لو كان حالاً من الكاف في ﴿ إِلَيۡكَ ﴾ العائـــدة على الرسول ﷺ لكان المعنى : وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديك من الكتاب ومهيمناً عليه[1]. وهذا لا يصح . فتبين أن مصدقاً ومهيمناً حالان من الكتاب والمعنى على ذلك أن الله أنزل القرآن بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ومهيمناً عليها أي وشهيداً عليها أنها حق من عند الله أميناً عليها ، حافظاً لها[2].

بينما يرى القاضي ابن عطية أن اعتراض الإمام الطبري غير وارد على قراءة مجاهد ، لأن هذا الذي قاله الطبري يصلـــح على قراءة (مهيمناً) بكسر الميم الثانية مع حمل المعنى على قول مجاهد، ومجاهد إنما يقرأ بفتح

---

(١) هذا الفهم واضح من كلام الطبري . وانظر الدر المصون (٢٨٩/٤) فقد شرح كلام الإمام الطبري بهذا.

(٢) انظر جامع البيان (٣٧٧/١٠) فقد ذكر هذا التفسير عندما بدأ الكلام على الآية.



الميم الثانية ، وإذا كان ذلك كذلك فما قاله في معنى ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ واضح لا يرد.

قلت : هذه القراءة – أعني قراءة فتح الميم الثانية – قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من العشرة[١].

ثم قراءة مجاهد أوردها بعض أهل العلم ، ومعناها الذي قالـــه ، دون اعتراض عليها، أو توجيه لها[٢].

وأشار الزمخشري إلى توجيهها بقوله : «وقرئ ﴿ وَمُهَيْمَنًا عَلَيْهِ ﴾ بفتح الميم... والذي هيمن عليه الله عز وجل ، أو الحفاظ في كل بلد ، لو حرف حرف منه ، أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ، ولاشمأزوا رادين ومنكرين »[٣].

وذكر أبو حيان قراءة فتح الميم ووجهها بما قاله الزمخشري وابن عطية، ثم نص على أن مجاهداً قرأ بفتح الميم وأورد المعنى الذي رواه عنه الطبري ، وذكر ما طعن به الإمام الطبري على قراءة مجاهد ، وأعرض عن

---

(١) انظر مختصراً في شواذ القرآن ص(٣٢)، فقد ذكر أن فتح الميم الثانية قراءة مجاهد وابن محيصن، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص (٢٠٠) ، فقد نص الدمياطي على أنها قراءة ابن محيصن ، ولم يذكر أن أحداً من القراء العشرة وافقه عليها.

(٢) انظر معاني القرآن الكريم (٢/٣١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٢١٠).

(٣) الكشاف (١/٦١٨).



استدراك ابن عطية على الطبري فلم يذكره ، وجنح في آخر بحث المسألة إلى تعضيد اعتراض الطبري فقال في ذكر الرواية وما بعدها : «وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قراءته بالفتح وقال معناه : محمد مؤتمن على القرآن . قال الطبري فعلى هذا يكون ﴿مُهَيۡمَنًا﴾ حالاً من الكاف في ﴿إِلَيۡكَ﴾، وطعن في هذا القـــول لوجـــود الواو في ﴿وَمُهَيۡمِنًا﴾ لأنها عطف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ و ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الكتاب ، لا حال من الكاف إذ لو كان حالاً منها لكان التركيب (لما بين يديك) بكاف الخطاب ، وتأويله على أنه من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة بعيد عن نظم القرآن، وتقديره : وجعلناك يا محمد مهيمناً عليه أبعد»[1].

وأورد السمين ما قاله الزمخشري وأبو حيان ، واعتراض الطبري على مجاهد واستدراك ابن عطية على الطبري ، وجنح في آخر بحثه إلى تأييد الإمام الطبري بقوله : «وما قاله أبو محمد ليس فيه ما يرد على الطبري ، فإن الطبري استشكل كون ﴿وَمُهَيۡمِنًا﴾ حالاً من الكاف على قراءة مجاهد، وأيضاً فقد قال ابن عطية بعد ذلك: ويحتمل أن يكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ و﴿وَمُهَيۡمِنًا﴾ حالين من الكاف في ﴿إِلَيۡكَ﴾، ولايخص ذلك قراءة مجاهد وحده كما زعم مكي . فالناس استشكلوا كونهما حالين من كاف

(١) البحر المحيط (٥١٣/٣).



﴿ إِلَيْكَ ﴾ لقلق التركيب...»[١].

قلت : فأبو حيان والسمين لم يريا استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري[٢] ، وأنا أميل إلى عدم وروده أيضاً ؛ وذلك أن الإمام الطبري استشكل هذا المعنى الذي قاله مجاهد ، ويُحتمل أن الإمام مجاهداً عندما ذكر هذا المعنى بناه على القراءة المتواترة ، ومحتمل أنه بناه على القراءة الشاذة ، والأصل أن المفسر إذا ذكر معاني القرآن فإنما يذكرها على المتواتر المعروف من القراءة، لا على الشاذ ، حتى وإن كان يحفظ قراءة شاذة، قد سُمعت عنه.

ثم هذا المعنى الذي ذكره مجاهد مشكل حتى وإن حمل على القراءة الشاذة ، فإن ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ على هذه القراءة إما أن يكون حالاً من الكاف في ﴿ إِلَيْكَ ﴾ وقد بين الإمام الطبري أن ذلك لا يتجه ، وكذلك السمين الحلبي.

وإما أن يكون حالاً من الكتاب معطوفاً على ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ كما هو رأي ابن عطية وفيه عطف اسم المفعول على اسم الفاعل، فيؤول إلى تصحيح عطف المفعول على الفاعل؟!

---

(١) الدر المصون (٤/٢٩٠).

(٢) وأيضاً فقد ذكر ابن عطية أن مكي بن أبي طالب يرى رأي الإمام الطبري في تفسير مجاهد .



٥- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : ((القول في تأويل قوله: ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك... وذكر عن أبي جعفر القاري[2] أنه كان يقرؤه : ﴿ وعُبِدَ الطاغوتُ ﴾ ... قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا معنى لها؛ لأن الله تعالى ذكره ، إنما ابتدأ الخبر بذم أقوام ، فكان في ما ذمهم به عبادتهم الطاغوت. وأما الخبر عن أن الطاغوت قد عُبد ، فليس من نوع الخبر الذي ابتدأ به الآية، ولا من جنس ما ختمها به، فيكون له وجه يوجه إليه في الصحة))[3].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري تضعيفه لهذه القراءة ، فقال – بعد أن حكاها – : ((وضعف الطبري هذه القراءة ، وهي متجهة))[4].

هذه القراءة التي ضعفها الإمام الطبري ، واستدرك عليه القاضي ذلك ، قراءة شاذة – وإن كانت منسوبة إلى أحد القراء العشرة – لم أجد من يثبتها في العشر[5] ، ووجدت من يذكرها في

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٠ .

(٢) يزيد بن القعقاع ، أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات ، (ت : ١٢٧هـ). انظر السير (٥/٢٨٧).

(٣) جامع البيان (١٠/٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١).

(٤) المحرر الوجيز (٥/١٤٥).

(٥) انظر المبسوط في القراءات العشر ص (١٨٦) ، وإرشاد المبتدئ ص(٢٩٨)، =



الشواذ[١].

وقد بين السمين وجه الضعف في هذه القراءة - بعد أن استدرك على ابن عطية عدم بيان وجه الضعف، ولا توجيه القراءة على حد قوله إنها متجهة - فقال: «ووجه الضعف أنه تخلو الجملة المعطوفة على الصلة من رابط يربطها بالموصول ؛ إذ ليس في ﴿عَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ لو قلت : (أكرمت الذين أهنتهم ، وضُرِبَ زيدٌ) على أن يكـــون و (ضرب) عطفاً على (أكرمت) لم يجز فكذلك هذا»[٢].

وكما أن وجه الضعف الذي أشار إليه الطبري قد بين ، فكذلك بين وجه قول ابن عطية إنها متجهة ، فقال الزمخشري : «وعبد الطاغوت على البناء للمفعول ، وحذف الراجع بمعنى : وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم»[٣]. وكذلك قال أبو حيان والسمين[٤].

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن اســتدراك القاضي وارد على الإمام الطبري، فهذه القراءة مع شــذوذها لها وجه صحيح في العربية بينه

=

والنشر (٢/٢٥٥).

(١) انظر مختصراً في شواذ القرآن ص(٣٣)، والمحتسب (١/٢١٦).

(٢) الدر المصون (٤/٣٣١، ٣٣٢).

(٣) الكشاف (١/٦٢٦).

(٤) انظر البحر (٣/٥٢٩)، والدر المصون (٤/٣٣٢).

العلماء كما تقدم ، وعائد الصلة يصح حذفه، جاء ذلك في القرآن الكريم في قــوله تعــالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[١] وقولــه تعالى : ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾[٢] التقدير : خلقته ، وبعثه[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[٤] أي منه[٥].

ومما يدل على أن لهذه القراءة وجهاً قول ابن جني[٦] - لما جاء إلى توجيه القراءة الشــاذة في هــذه الآية- : «وأما ﴿ وعُبِدَ الطاغوتُ ﴾ فظاهر»[٧].

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ

---

(١) سورة المدثر ، الآية : ١١.

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤١.

(٣) انظر شرح ابن عقيل (١/١٦٠).

(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٣.

(٥) انظر شرح ابن عقيل (١/١٦٤).

(٦) عثمان بن جني أبو الفتح ، العلامة إمام العربية (ت : ٣٩٢هـ). انظر السير (١٧/١٧).

(٧) المحتسب (١/٢١٦). ويعني بقوله : «فظاهر» أي : معناها ظاهر.



ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١]

... قيل : إنها نزلت في النجاشي[٢] ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه. ذكر من قال ذلك»[٣].

ثم ساق بسنده «عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي وفداً إلى النبي ﷺ فقرأ عليهم النبي ﷺ فأسلموا . قال فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ إلى آخر الآية . قال فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم النجاشي ، فلم يزل مسلماً حتى مات...»[٤] وأورد أيضاً «عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ قال : هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر[٥] وأصحابه من أرض الحبشة»[٦].

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٨٢ .

(٢) أصحمة ملك الحبشة ، أسلم ولم يهاجر (توفي في حياة النبي ﷺ) فصلى عليه بالناس صلاة الغائب. انظر السير (٤٢٨/١).

(٣) جامع البيان (٤٩٨/١٠، ٤٩٩).

(٤) أخرجه في جامع البيان (٤٩٩/١٠) من طريق خصيف عن سعيد ، وهو مرسل كما ترى.

(٥) جعفر بن أبي طالب الصحابي المهاجر الشهيد (ت:٨هـ) انظر السير (٢٠٦/١٠).

(٦) أخرجه في جامع البيان (٤٩٩/١٠) من طريق ابن أبي نجيح.

ثم أورد عن ابن عباس أثراً طويلاً مضمونه أن النبي لما أوذي أصحابه بعثهم إلى النجاشي فأرسلت قريش من يردهم فلما سمع النجاشي منهم القرآن بكى هو وأصحابه و لم يردهم إلى قريش[١].

ثم قال الطبري : «وقال آخرون : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به. ذكر من قال ذلك»[٢] ثم ساق بسنده «عن قتادة قوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾فقرأ حتى بلغ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴾[٣] أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، يؤمنون به وينتهون إليه. فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ ، صدقوا به وآمنوا به ، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق ، فأثنى عليهم ما تسمعون»[٤].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري تفريقه بين قول من قال: بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به. وقول من قال : عني بذلك القوم الذين كان النجاشي بعثهم إلى رسول الله ﷺ ،

---

(١) أخرجه في جامع البيان (١٠/٤٩٩، ٥٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) جامع البيان (١٠/٥٠١).

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٨٣.

(٤) أخرجه في جامع البيان (١٠/٥٠١) من طريق سعيد.



فقال: «وذكر سعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وابن عباس أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليروه ويعرفوا حاله ، فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فبكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي فآمن ، ولم يزل مؤمناً حتى مات فصلى عليه النبي ﷺ ... وقال قتادة: نزلت هذه الآيات في قوم كانوا مؤمنين ثم آمنوا بمحمد عليه السلام . قال القاضي أبو محمد : وفرق الطبري بين هذين القولين وهما واحد»[1].

إذا نظرت في مصنفات التفسير فإنك ترى طائفة من أربابها ينحون عند تفسيرهم لهذه الآية المنحى الذي نحاه الإمام الطبري فيذكرون في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ﴾ القولين اللذين ذكرهما الإمام الطبري ومن هؤلاء الماوردي ، وابن الجوزي [2]. وطائفة أخرى من المفسرين تكتفي بذكر القول الذي جاء عن سعيد بن جبير عند تفسيرها لهذه الآية الكريمة ، ومن هؤلاء الواحدي والزمخشري ، والرازي[3].

ففعل الطائفة الأولى يقوي ما فعله الإمام الطبري، وفعل الطائفة

---

(١) المحرر الوجيز (٥/١٧٠، ١٧١).

(٢) انظر النكت والعيون (٢/٥٨)، وزاد المسير (٢/٤٠٨)، وانظر أيضاً معالم التنزيل (٢/٥٧، ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٢٥٦، ٢٥٧) ، والبحر المحيط (٤/٥).

(٣) انظر الوسيط (٢/٢١٧)، والكشاف (١/٦٣٨)، والتفسير الكبير (١٢/٥٦).



الثانية يستأنس به إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية.

وفي نظري أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد في هذه المسألة فقول قتادة عام يتضمن كل من كان على شريعة عيسى ثم آمن بمحمد ﷺ سواء أوَفدَ على الرسول ﷺ أم لم يفد ، وأما قول ابن عباس وسعيد بن جبير فهو خاص لأنه أضاف إلى الصفتين الموجودتين في أولئك صفات أخرى هي الوفود إلى رسول الله ﷺ ، أو العلاقة به عن طريق إيواء أصحابه ونحو ذلك من الروابط التي كانت تربط بين الرسول ﷺ وبين نصارى الحبشة الذين آمنوا.

فإن قيل : كل من كان بهذه الصفات داخل في قول قتادة.

قيل: لكن من ذكرهم قتادة ليس فيهم كل هذه الصفات من الوفود والعلاقة بالرسول وبأصحابه، ومن شرط جعل القولين قولاً واحداً ألا يوجد فوارق في أحدهما تميزه عن الآخر.

وبعد: فإنك إذا تأملت في عرض الإمام الطبري للقولين وجدته ساق قول سعيد بن جبير ومن معه على أنه سبب لنـــزول الآية. وساق قول قتادة على أنه تفسير للآية.

وابن عطية ساق القولين على أنهما سبب لنـــزول الآية ثم أعاد أحدهما

إلى الآخر فنظرة الإمام الطبري تختلف عن نظرة ابن عطية .

وواقع الروايـــة عن قتادة يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري فإن قول



قتادة ما هو إلا تفسير للآية، وليس فيه ذكر لسبب النـــزول[١].

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ... ﴾[٢] - « ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ بمعنى : في الدنيا ، بحيث لا يراه»[٣].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: « و﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال الطبري : معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه ، فهو غائب عنه. والظاهر أن المعنى بالغيب من الناس أي في الخلوة ، فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه، وقد خفي له لو صاد»[٤].

إذاً الإمام الطبري يرى أن بالغيب أي في حال غياب العبد عن ربه في هذه الحياة الدنيا، فإنه لم يره بعد ومع ذلك يخاف عقابه ويرجو ثوابه.

أما القاضي ابن عطية فيرى أن قوله: ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في حال غيابه عن أعين الناس ، يخاف الله تعالى.

وعلى هذين القولين فسر علماء التأويل هذه اللفظة الكريمة ، فمنهم

---

(١) سبق نقل الرواية قريباً.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٤ .

(٣) جامع البيان (٥٨٤/١٠).

(٤) المحرر الوجيز (١٨٩/٥).



من ذهب في تأويلها مذهب الإمام الطبري[١].

وبعضهم فسرها على نحو ما ذهب إليه القاضي ابن عطية[٢].

وقد تعرض أبو حيان - رحمه الله تعالى - إلى تفسير الإمام الطبري واستدراك القاضي عليه و لم يعقب على ذلك بشيء[٣].

وأورد ابن عاشور ما قاله ابن عطية بعد أن فسر الآية بنحو ما ذهب إليه الإمام الطبري وعقب على ذلك بقوله: «وهذا ينظر إلى ما بنوا عليه أن الآية نزلت في صيد غشيهم في سفرهم عام الحديبية يغشاهم في رحالهم، وخيامهم ، أي كانوا متمكنين من أخذه بدون رقيب...»[٤].

قلت: ما ذكره ابن عاشور بيان وتعليل لتفسير القاضي ابن عطية.

وبعد: فالقولان معتبران في تفسير الآية ، وقد قال بكلٍّ طائفة من أهل العلم ، وفي نظري أن المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو الظاهر من السياق ، ويؤيده ما ذكره أبو حيان بقوله: « و﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في موضع

---

(١) انظر معالم التنـــزيل (٢/٦٤) ، والوسيط (٢/٢٢٨) ، وزاد المسير (٢/٤٢٢) والتفسير الكبير (١٢/٧٢)، والبحر (٤/٢٠)، وتفسير الخازن (٢/٩١)، والفتوحات الإلهية (١/٥٢٤).

(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن (١/٤٦٠)، وتفسير ابن كثير (٢/٩٩) ، وروح المعاني (٧/٢٢).

(٣) انظر البحر المحيط (٤/٢٠).

(٤) التحرير والتنوير (٧/٤١).



نصب على الحال ، ومعناه : أن الخائف غائب عن رؤية الله تعالى ، ومثله ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[(١)] و﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾[(٢)] وقال عليه السلام : «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(٣)] »[(٤)].

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[(٥)] -: « وأولى المعنيين بقوله : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ اليمين ، لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره ، لمن هي عنده، على من هي عليه عند الحكام ، لأنا لا نعلم لله تعالى ذكره حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزاً صرف الشهادة في هذا الموضع ، إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة . وفي حكم الآية في هذه ، اليمين على ذوي العدل - وعلى من قام مقامهم باليمين بقوله : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ

---

(١) سورة ق ، الآية : ٣٣.

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٧) ، كتاب الإيمان ، ح(٨) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٤) البحر المحيط (٤/٢٠).

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٠٦.



بِٱللَّهِ ﴾ - أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، من أن (الشهادة) فيه الأيمان ، دون الشهادة التي يقضى بها للمشهود على المشهود عليه ، وفساد ما خالفه. فإن قال قائل : فهل وجدت في حكم الله تعالى ذكره يميناً تجب على المدعي ، فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة؟ . فإن قلت: ((لا)) تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت ؛ لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾[1] هما المدعيين[2]. وإن قلت: بلى . قيل لك : وفي أي حكم لله تعالى ذكره وجدت ذلك؟ قيل : وجدنا ذلك في أكثر المعاني ، وذلك في حكم الرجل يدعي قبل رجل مالاً فيقر به المدعَى عليه قِبَله ذلك ، ويدعي قضاءه . فيكون القول قول رب الدين ، والرجل يعرف في يـد الرجل السـلعة فيزعم المعرّف في يده أنه اشـتراها من المدعي ، أو أن المدعي وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه. وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى ذكره في هذا الموضع اليمـين على المدعيين اللذين عثرا على الخائنين في ما خانا

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٧.

(٢) « المدعيين » هكذا في جميع النسخ التي اطلعت عليها .



فيـــه))[١].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الشهادة بمعنى اليمين ، وكذلك استدرك على من قال: إنها بمعنى الحضور ، فقال: ((قوله:﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ قال قوم : الشهادة هنا بمعنى الحضور ، وقال الطبري: الشهادة بمعنى اليمين وليست بالتي تؤدى . قال القاضي أبو محمد : وهذا كله ضعيف ، والصواب أنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى))[٢].

إذاً الإمام الطبري يرى أن الشهادة في هذه الآية الكريمة بمعنى اليمين ، والقاضي ابن عطية يرى أن الشهادة المذكورة على ظاهرها ، وأنها التي تحفظ لتؤدى وأن ما ذهب إليه الإمام الطبري وغيره في معنى الشهادة هنا كله ضعيف.

وهذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة، وزاد بعضهم قولاً رابعاً ، وهي:

القول الأول : أنها الشهادة بالحقوق عند الحكام.

القول الثاني : أنها بمعنى اليمين.

القول الثالث : أنها شهادة الحضور للوصية[٣].

---

(١) جامع البيان (١١/١٥٧، ١٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٥/٢٢٠).

(٣) انظر النكت والعيون (٢/٧٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٧١٨).

القول الرابع : أنها بمعنى الوصية ، هكذا ذكر أبو حيان وعده قولاً رابعاً[١].

والقول الأول هو الذي ذهب إليه القاضي وضعف غيره ، إلا أنه لم يذكر أدلة هذا القول، وقد ذكرها الجصاص - بعد أن اختار هذا القول - فقال: «... فأما تأويل من تأولها على اليمين دون الشهادة التي تقام عند الحكام ، فقول مرغوب عنه ، وإن كانت اليمين قد تسمى شهادة في نحو قوله تعالى: ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ﴾[٢] لأن الشهادة إذا أطلقت فهي الشهادة المتعارفة كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[٣] ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾[٤] ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾[٥] ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[٦] كل ذلك قد عقل به الشـــهادات ، على الحقوق لا الأيمان ، وكذلك قوله تعالى:﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ المفهـــوم فيه الشـــهادة المتعارفة ويدل

---

(١) انظر البحر (٤/٤٤).

(٢) سورة النور ، الآية : ٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية : ٢.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.

(٦) سورة الطلاق ، الآية : ٢.

عليه قوله تعالى : ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ ويبعد أن يكون المراد: أيمان بينكم إذا حضر أحدكم الموت ؛ لأن حال الموت ليس حالاً للأيمان ، ثم زاد بذلك بياناً بقوله : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ يعني - والله أعلم - إن لم يوجد ذوا عدل منكم ، ولا يختلف في حكم اليمين وجود ذوي العدل، وعدمهم[1] . وقوله تعالى:﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ يدل على ذلك أيضاً ؛ لأن اليمين موجودة ظاهرة ، غير مكتومة[2]. ثم ذكر يمين الورثة بعد اختلاف الوصيين على مال الميت وإنما الشهادة التي هي اليمين هي المذكورة في قوله تعالى:﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾[3] ، ثم قوله:﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾[4] يعني به الشهادة على الوصية ، إذ غير جائز أن يقول: أن يأتوا باليمين على وجهها. وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾[5] يدل

---

(١) « وعدمهم » هكذا في النسخة المنقول منها، ولعل الصواب « وعدمهما» .

(٢) في نسخة دار إحياء التراث العربي «مكتوبة» ، والصواب أنها «مكتومة» بالميم بعد الواو ، بدليل ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ فما وقع تحريف من بعض النساخ.

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٠٧.

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٠٨.

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٠٨.



أيضاً على أن الأول شهادة ؛ لأنه ذكر الشهادة واليمين ، كل واحدة بحقيقة لفظها»[١].

واستُدل للقول الثاني - وهو الذي ذهب إليه الإمام الطبري - بما تقدم نقله من حجج الإمام الطبري.

وأيضاً بقولهم: إن اليمين تسمى شهادة[٢] ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٣].

وأما أصحاب القول الثالث فقد عللوا ما ذهبوا إليه بأن قالوا : الشهادة في هذه الآية بمعنى الحضور ، كقولك شهدت وصية فلان ، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] يريد الحضور[٥].

وأما من قال : إن الشهادة بمعنى الوصية فلعله استدل بأن الشهادة تأتي لعدة معان منها «الوصية» قال الألوسي : «للشهادة معان : الإحضار، والقضاء ، والحكم ، والحلف ، والعلم ، والإيصاء ، والمراد بها هنا الأخير

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/١٥٩، ١٦٠).
(٢) انظر أحكام القرآن للكياالهراسي (٣/١١٩).
(٣) سورة النور ، الآية : ٦.
(٤) سورة النور ، الآية : ٢.
(٥) انظر معالم التنــزيل (٢/٧٣).



كما نص عليه جماعة من المفسرين»[١].

وقد أورد الإمام القرطبي قول الإمام الطبري ، وما قاله ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء، وكذلك تابعه الشوكاني[٢].

وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن عطية من أن الشهادة هي التي تحفظ لتؤدى هو كما قال وذلك للأسباب التالية:

١- أن المتعارف من الشهادة في القرآن والسنة إنما هي الشهادة المعروفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾[٤] وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[٥] ونظائره .

فإن قيل : قد سمى الله أيمان اللعان شهادة في قوله : ﴿ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ﴾[٦] ، وقال : ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ﴾[٧] .

---

(١) روح المعاني (٤٦/٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/٦)، وفتح القدير (٨٦/٢).

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ٢.

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢.

(٥) سورة الطلاق ، الآية : ٢.

(٦) سورة النور ، الآية : ٦.

(٧) سورة النور ، الآية : ٨.

قيل: إنما سمى أيمان الزوج شهادة لأنها قائمة مقام البينة ؛ ولذلك ترجم المرأة إذا نكلت، وسمى أيمانها شهادة ، لأنها في مقابلة شهادة الزوج.

وأيضاً فإن هـــذه اليمين خصت من بين الأيمان بلفظ الشـــهادة بالله ، تأكيداً لشأنها وتعظيماً لخطرها[1].

٢- قوة أدلة من قال : إنها الشهادة وكثرتها مما يقدم هذا القول على غيره.

٣- من قال : إنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى فقوله يدخل فيه قول من قال : إنها بمعنى الحضور؛ لأن الحضور من لوازم الشهادة غالباً ، فهو يرجع إليها.

وأما من قال : إنها الشهادة بمعنى الوصية ، فيمكن أن يجتمعا في القصة التي نزلت بسببها الآيتان ، قال ابن كثير : ((إنهما يكونان شاهدين – وهو ظاهر سياق الآية الكريمة – فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري[2] ، وعدي ابن بداء[3]))[4].

---

(١) بدائع التفسير (١٢٩/٢، ١٣٠).

(٢) تميم بن أوس بن خاجة الفلسطيني الصحابي (ت : ٤٠هـ) انظر السير (٤٤٢/٢).

(٣) عدي بن بداء ، قال بعضهم له صحبة ، وأنكر آخرون ذلك ، وفي بعض الروايات ما يشير إلى أنه مات نصرانياً. انظر الإصابة (٤٠٠/٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١١٢/٢). والقصة مذكورة في صحيح البخاري – مع الفتح – (٤٠٩/٥، ٤١٠) ، كتاب الوصايا ، باب قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا =



٤- أن الله تعالى قال :﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ وهذا اللفظ جاء بعينه في مكان يتفق فيه الجميع أنه لا يكون إلا في الشهادة ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[1].

أما ما ذكره الإمام الطبري من إشكال على قول من قال : إنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى ، فقد أجاب ابن كثير عن ذلك بقوله : «وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين ، قال: لأنا لا نعلم حكماً يحلف فيه الشاهد . وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ، وهو حكم مستقل بنفسه ، لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص ، وقد اغتفر فيه من الأمور ما لم يغتفر في غيره ، فإذا قامت قرينة الريبة حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة»[2].

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ... ﴾[3] - : « اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال

=

شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ ح (٢٧٨٠).

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير (١١٢/٢، ١١٣).

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٠٩ ، والآية بتمامها ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

بعضهم : معنى قولهم: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ : لم يكن ذلك من الرسل إنكاراً، أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذهلوا عن الجواب، من هول ذلك اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم...[1] وقال آخرون: معنى ذلك: لا علم لنا إلا ما علمتنا ...[2] وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ...[3] وقال آخرون : معنى ذلك ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ ماذا عملوا بعدكم؟ وماذا أحدثوا...[4] قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ؛ لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ أي: إنك لا يخفى

---

(١) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى مجاهد والحسن والسدي . انظر جامع البيان (٢١٠/١١). وأخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٢٠١/١) عن الثوري ، عن الأعمش، عن مجاهد، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره ص(١٠٥) من الطريق المذكورة . وانظر الدر المنثور (٣٤٤/٢) فقد نسب السيوطي إخراجه إلى غير هؤلاء.

(٢) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى مجاهد . انظر جامع البيان (٢١١/١١).

(٣) أسند الإمام الطبري هذا القول إلىابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . انظر جامع البيان (٢١١/١١). وأورده السيوطي في الدر (٣٤٤/٢) ونسب إخراجه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من الطريق السابق.

(٤) أسند الإمام الطبري هذا القول إلى ابن جريج. انظر جامع البيان (٢١١/١١).

عليك ما عندنا من علم ذلك ، ولا غيره من خفي العلوم وجليها . فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا . وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم ، وأنهم يستشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء، فقال تعالى ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [1] »[2].

وجعل القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - القول الأول الذي أورده الإمام الطبري هنا من قول الإمام الطبري ، وأورد عليه أن بعض الناس قد ضعفوه ، فقال: «واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ فقال الطبري : ذهلوا عن الجواب لهول المطلع. وذكر عن الحسن أنه قال : لا علم لنا من هول ذلك اليوم [3]، وعن السدي أنه قال : نزلوا منـــزلاً ذهلت فيه العقول ، فقالـــوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ ثم نزلوا منـــزلاً آخر شهدوا على قومهم[4].

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣.

(٢) جامع البيان (١١/٢١٠-٢١٢).

(٣) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه عن الحسن.

(٤) تقدم أيضاً أن الإمام الطبري أخرجه ، وهو من طريق أسباط.

وعن مجاهد أنه قال : يفزعون فيقولون لا علم لنا [١]. قال القاضي أبو محمد: وضعف بعض الناس هذا المنـــزع بقوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[٢] والأنبياء في أشد أهوال يوم القيامة، وحالة جواز الصراط يقولون: سلم سلم ، وحالهم أعظم ، وفضل الله عليهم أكثر من أن تذهل عقولهم ، حتى يقولوا ما ليس بحق في نفسه . وقال ابن عباس – رضي الله عنه – : معنى الآية: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا [٣]. قال القاضي أبو محمد : وهذا حسن ، كأن المعنى: لا علم لنا يكفي ، وينتهي إلى الغاية...»[٤].

ومحل الاستدراك في هذه المسألة أن ابن عطية قال : إن الإمام الطبري قال: «ذهلوا عن الجواب لهول المطلع» ثم أورد عليه أن بعض الناس ضعف هذا المنـــزع ، وابن عطية يرى أنه ضعيف، لأنه لم يرد عليهم ذلك، وقد استحسن قول ابن عباس في معنى الآية ، واستصوبه[٥].

وفي نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ؛ لأنه إنما

---

(١) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣.

(٣) تقدم أن الإمام الطبري أخرجه عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة.

(٤) المحرر الوجيز (٥/٢٢٨، ٢٢٩).

(٥) حيث قال : «وقول ابن عباس أصوب هذه المناحي ؛ لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الأمر إليه...» انظر المحرر (٥/٢٢٩).



حكى قول من قال ذلك، وحكى غيره من الأقوال كما رأيت ثم تعقب بعض تلك الأقوال[١] ، واختار القول الذي جاء عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة[٢] ، وهو القول الذي وصفه القاضي ابن عطية بأنه الأصوب[٣].

وقد يقال : لعل القاضي اطلع على نسـخة من تفسير الإمام الطبري فيها ما نسبه إليه. فأقول هذا بعيد لسببين:

الأول : ترجيح الطبري واختياره لقول ابن عباس ينفي ذلك ؛ إذ كيف يقول: ذهلوا عن الجواب لهول المطلع . ثم يرجح ما هو خلاف ذلك؟.

الثاني : لم أر – في ما اطلعت عليه – من ينسب هذا القول إلى الإمام الطبري ، غير القاضي ابن عطية.

---

(١) وهو قول ابن جريج.

(٢) علي بن أبي طلحة مولى بني العباس ، صدوق قد يخطئ (ت: ١٤٣هـ) انظر التقريب رقم (٤٧٥٤).

(٣) ووصف ابن كثير هذا القول بالحسن ، فقال في تفسيره (٢/١١٥) – بعد أن ذكر أنه اختيار الإمام الطبري -: «ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله . أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن كنا أجبنا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء ، فعلمنا بالنسة إلى علمك كلا علم فإنك ﴿ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ .

سورة الأنعام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى : «القول في تأويل قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[١] قال أبو جعفر: يقول - تعالى ذكره-: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأظلم الليل ، وأنار النهار ... فإن قال قائل : فما معنى قوله إذاً: ﴿ جَعَلَ ﴾ ؟ قيل: إن العرب تجعلها ظرفاً للخبر والفعل فتقول : (جعلت أفعل كذا) و (جعلت أقوم وأقعد) تدل بقولها (جعلت) على اتصال الفعل، كما تقول: (علقت أفعل كذا) لا أنها في نفسها فعل ، يدل على ذلك قول القائل : (جعلت أقوم) وأنه لاجعل هناك سوى القيام ، وإنما دل بقوله : «جعلت» على اتصال الفعل ودوامه ، ومن ذلك قول الشاعر[٢]:

وزعمت أنك سوف تسلك قادراً والموت مكتنع طريقي قادر

فاجعل تحلل من يمينك إنما حنث اليمين على الأثيم الفاجر

يقول : (فاجعل تحلل) بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء ، لا أن هناك جعلاً من غير التحليل ، فكذلك كل «جعل» في الكلام ، إنما هو دليل على فعل له اتصال ، لا أن له حظاً في معنى الفعل.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١ .

(٢) لم أقف على اسم الشاعر ، ولا على من يذكر البيتين . وكذلك قال الشيخ محمود. انظر جامع البيان (١١/٢٥٠) حاشية رقم (٢، ٣).



فقوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ إنما هو : أظلم ليلهما ، وأنار نهارهما))[1].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ جَعَلَ ﴾ فقال : ((و﴿ جَعَلَ ﴾ هاهنا بمعنى خلق، لا يجوز غير ذلك ... وقال الطبري : جعل هذه هي التي تتصرف في طرق الكلام كما تقول: جعلت أفعل كذا ، فكأنه قال : وجعل إظلامها وإنارتها . قال القاضي أبو محمد: وهذا غير جيد ؛ لأن جعل إذا كانت على هذا النحو فلابد أن يرتبط معها فعل آخر ، كما يرتبط في أفعال المقاربة ، كقولك: كاد زيد يموت ، وجعل زيد يجئ ويذهب . وأما إذا لم يرتبط[2] معها فعل فلا يصح أن تكون تلك التي ذكر الطبري))[3].

تبين من نص كلام الإمامين أن الإمام الطبري ، يرى أن ﴿ جَعَلَ ﴾ التي في الآية ليست على حقيقتها فعلاً، وإنما هي دليل على اتصال الفعل ، أو دليل على فعل له اتصال . وأما القاضي فيرى أنها على حقيقتها فعل ، وهي بمعنى خلق.

والذي رأيت في كتب التفسـير والمعاني ، والإعراب هو الذي ذكره

---

(١) جامع البيان (١١/٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

(٢) في النسخة المغربية «تربط» والتصويب من النسخة القطرية.

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢).



القاضي أبو محمد ، وهو أنها بمعنى خلق[1] ، وقد يقولون : بمعنى أحدث وأنشأ وأوجد [2].

وما رأيت أحداً - في حد اطلاعي - يذكر المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، إلا ما كان من أبي حيان ، وتلميذه السمين ، فإنهما قد ذكراه مقروناً بالرد عليه فقال أبو حيان : «وقول الطبري : ﴿ جَعَلَ ﴾ هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام ، كما تقول : (جعلت أفعل كذا) فكأنه قال : وجعل إظلامها وإنارتها تخليط ؛ لأن تلك من أفعال المقاربة تدخل على المبتدأ والخبر ، وهذه التي في الآية تعدت إلى مفعول واحـــد ، فهما متباينان معنى واستعمالاً»[3].

---

(١) انظر مجاز القرآن (١/١٨٥)، وإعراب القرآن (٢/٥٥)، وتفسير القرآن لأبي الليث (١/٤٧٣)، والوسيط (٢/٢٥١)، ومعالم التنـــزيل (٢/٨٣)، والبيان في غريب إعراب القرآن (١/٣١٣)، والنكت والعيون (٢/٩٢)، وزاد المسير (٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٣٨٧)، وتفسير الخازن (٢/١١٧)، وغرائب التفسير (١/٣٥٠)، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٣)، وتفسير كتاب الله العزيز (١/٥١٣)، وفتح القدير (٢/٩٨).

(٢) انظر المفردات ص(٩٤)، والكشاف (٢/٣)، والتفسير الكبير (١٢/١٢٥)، وتفسير البيضاوي (١/٣٠١)، وتفسير النسفي (٢/٢) ، ونظم الدرر (٧/٤)، وتفسير غرائب القرآن (٧/٩٦)، وتفسير أبي السعود (٣/١٠٤)، وروح المعاني (٧/٨١)، والراغب هو الذي جعلها بمعنى أوجد. وكل هذه المعاني (خلق ، أحدث، أنشأ ، أوجد) تدل على وقوع فعل.

(٣) البحر المحيط (٤/٧٣).



وقال السمين : ((وقال الطبري (جعل) هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام كما تقول: جعلت أفعل كذا ، فكأنه : وجعل إظلامها وإنارتها . وهذا لا يشبه كلام أهل اللسان))[١].

نعم الشيخ محمود شاكر أثنى على الإمام الطبري بقوله - بعد أن ذكر نظائر لما قاله الإمام الطبري جاءت في تفسيره - : ((وقد أجاد أبو جعفر العبارة ، عن هذا المعنى ، فقيده وحفظه))[٢].

وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد وذلك للسببين الآتيين :

١- لأن قول أهل اللغة ، والمعاني ، والتفسير على أن ﴿ جَعَلَ ﴾ التي في هذه الآية الكريمة ، هي التي بمعنى (خلق) التي تتعدى إلى مفعول واحد[٣] ، ومن هؤلاء أبو جعفر النحاس فإنه قال - عند قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ - : ((بمعنى خلق ، فإذا كانت ﴿ جَعَلَ ﴾ بمعنى (خلق) لم تتعد إلا إلى مفعول واحد))[٤].

وقال ابن الأنباري : ((﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ مفعول ﴿ جَعَلَ ﴾ وهو يتعدى

---

(١) الدر المصون (٤/٥٢٣).

(٢) جامع البيان (١١/٢٥٠) حاشية رقم (١).

(٣) وكذلك على المعاني الأخرى التي تقدم ذكرها ، إنما هي متعدية إلى مفعول واحد.

(٤) إعراب القرآن (٢/٥٥).



إلى مفعول واحد بمعنى خلق»[1].

وقال الواحدي : «جعل هاهنا بمعنى خلق ، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[2]»[3].

وقال السمين : « جعل هنا تتعدى لمفعول واحد ؛ لأنها بمعنى خلق ، هكذا عبارة النحويين»[4].

٢- ولأن ما ذكره الإمام الطبري من أمثلة وشعر لا يتطابق مع ما جاء في الآية الكريمة ، وقد أبان عن هذا الإمامان ابن عطية وأبو حيان بما لا مزيد عليه فارجع إلى نص كلامهما.

أما ثناء الشيخ محمود على الإمام الطبري في أنه حفظ هذا المعنى وقيده، فهو كما قال ، إلا أن حمل (جعل) التي في الآية على هذا المعنى فيه نظر .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ :

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣١٣).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

(٣) الوسيط (٢/٢٥١).

(٤) الدر المصون (٤/٥٢٣).

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٤ .



﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثونك على عبادتها : أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقني وغيري ، ولا يرزقه أحد أتخذ ولياً هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضاً : إني أمرني ربي ﴿ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أول من خضع له بالعبودية، وتذلل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهري وزماني»[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تأويل هذه الآية فقال: «قال الطبري وغيره : أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم ، فتجيء الآية على هذا جواباً لكلامهم . قال القاضي أبو محمد : وهذا التأويل يحتاج إلى سند في أن هذا نزل جواباً ، وإلا فظاهر الآية لا يتضمنه . والفصيح هو أنه لما قرر معهم أن الله تعالى : له ما في السموات والأرض ، وله ما سكن في الليل والنهار ، وأنه سميع عليم ، أمر أن يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف أغير هذا الذي هذه صفاته أتخذ ولياً ؟ بمعنى أن هذا خطأ لو فعلته بين ، وتعطي قوة الكلام أن من فعله من سائر الناس بين الخطأ»[(٢)].

تبين من سياق نص الإمامين أن الإمام الطبري يرى أن الآية أمر

---

(١) جامع البيان (١١/٢٨٥).

(٢) المحرر الوجيز (٦/١٥).



لرسول الله ﷺ أن يقول للمشركين الذين يدعونه إلى عبادة الأوثان ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ فيكون هذا جواباً عما طلبوه منه.

والقاضي يرى أن الآية لا تتضمن ما ذهب إليه الإمام الطبري وأن تفسيره كذلك يحتاج إلى سند، وأن الفصيح في معناها أن يكون أمراً لرسول الله ﷺ أن يقول لهم ذلك على جهة التوبيخ والتوقيف، بمعنى أنه تعالى لما ذكر من صفاته ما يكون بها مستحقاً لإخلاص العبادة ، أمر الله رسوله أن يقول كيف يحق لي أن أعبد غير من هذه صفاته ، ففي هذا إيقاف لهم على علة إفراد الله بالعبادة ، وتوبيخ لمن عدل عن ذلك.

وقد ذهب أبو حيان إلى ما ذهب إليه القاضي في الاستدراك على الإمام الطبري فقال - بعد أن ذكر نحو المعنى الذي ارتضاه القاضي في تفسير الآية - : «وقال الطبري وغيره : أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم ، فتجيء الآية على هذا جواباً لكلامهم ... وهذا يحتاج إلى سند في أن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره»[1].

بينما ذهب ابن عاشور إلى أن ما قاله الإمام الطبري ، وغيره مما يشعر به أسلوب الكلام، وإن قال ابن عطية ما قال ، ونص كلامه : «وقد ذكر ابن عطية عن بعض المفسرين أن هذا القول أمر به الرسول ﷺ ليجيب المشركين الذين دعوه إلى عبادة أصنامهم . أي هو مثل ما في قوله تعالى:

---

(١) البحر المحيط (٤/٩٠).



﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[(١)] وهو لعمري مما يشعر به أسلوب الكلام ، وإن قال ابن عطية : إن ظاهر الآية لا يتضمنه ، كيف ولابد للاستئناف من نكتة»[(٢)].

هذا وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى حمل الآية على المعنى الذي ذكره الإمام الطبري، منهم البغوي وابن الجوزي، وأبوالليث السمرقندي، والخازن ، والشوكاني[(٣)].

وبعد : فالآية محتملة للمعنيين ، وليس تفسيرها بأحدهما بأولى من الآخر ، فلا ينبغي أن يرد ما قاله الإمام الطبري ؛ لأن القرآن قد دل أن الكفار طلبوا من الرسول ﷺ أن يترك عبادة ربه تبارك وتعالى، ويعبد الأصنام فقال الله تعالى:﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[(٤)].

فإذا كان هذا المعنى مقرراً في القرآن الكريم ، معلوماً ، وكانت هذه الآية شـــبيهة بتلك لم يكن في ذلك حرج على المفســـر إن شاء الله تعالى أن يقول فيها نظير ما قيل في تلك سيما وأن سياق الآية نفســـها ، والآية

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٤.

(٢) التحرير والتنوير (١٥٦/٧).

(٣) انظر معالم التنـــزيل (٨٨/٢)، وزاد المسير (١٠/٣)، وتفسير القرآن لأبي الليث (٤٧٦/١)، وتفسير الخازن (١٢٢/٢)، وفتح القدير (١٠٤/٢).

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٤ . وانظر ما قيل في سبب نزولها تفسير ابن كثير (٦٢/٤) ، ولباب النقول في أسباب النـــزول ص(٧٥٠).



التي بعدها يدلان عليه ، فإن الله قال: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [(١)] فهذا - والله أعلم - تأييس للمشركين في ما يرومونه ويحاولونه من ثني النبي ﷺ عن توحيد الله تعالى بالعبادة.

ومما يدل على أن ما قاله الإمام الطبري مما تحتمله الآية أن جمعاً من المفسرين قد قال به[(٢)] ، وأيده ابن عاشور بما سمعت ، ويبعد في جمع كهؤلاء أن يقتصروا في الآية على معنى لا تحتمله.

أما ما استدل به القاضي ابن عطية بقوله : هذا التأويل يحتاج إلى سند في أن هذا نزل جواباً، ومتابعة أبي حيان له في ذلك . فالجواب عنه أن الإمام الطبري لم يزعم أن هذا سبب نزول الآية الكريمة حتى يطالب في ذلك بالسند غاية ما في الأمر أنه رأى أن الآية الكريمة يصح تفسيرها بما ذكر فقاله ، وفرق بين أن يقول المفسر سبب نزول الآية كذا ، وبين أن يقول : معنى الآية كذا . والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤ ، ١٥.

(٢) تقدم ذكر مراجع ذلك.



٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(١)] - : «وكانت مجادلتهم رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في هذه الآية، في ما ذكر ... عن ابن عباس قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ ﴾ الآية قال : هم المشركون ، يجادلون المسلمين في الذبيحة ، يقولون: «أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ! وأنتم تتبعون أمر الله تعالى ذكره» »[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وابن عباس أن ذكرا هذا المثل عند هذه الآية وهما لا يتطابقان ، فقال : «وقد ذكر الطبري عن ابن عباس أنه مثل من ذلك قولهم: إنكم أيها المتبعون محمداً تأكلون ما قتلتم بذبحكم ، ولا تأكلون ما قتل الله ، ونحو هذا من التخليط الذي لا تتركب منه حجة. قال القاضي أبو محمد : وهذا جدال في حكم ، والذي في الآية إنما هو جدال في مدافعة القرآن ، فلا تتفسر الآية عندي بأمر الذبح»[(٣)].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٥ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٣١٠) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهي طريق لا تقوم بها حجة ؛ لأن العوفي ضعيف.

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢٨).



وقد اعتبرت هذا من تفســير الطبري، وإن كان في الأصل مروياً عن ابن عباس ، لأن الإمام الطبري يرى هذا القول بدليل أنه قد صدر كلامه بقوله: «وكانت مجادلتهم رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في هذه الآية في ما ذكر...» ثم ساق أثر ابن عباس ، ولم يذكر غير هذا القول.

وقد ذكر الماوردي اختلاف أهل العلم في المقصود بجدالهم في هذه الآية فقال: «فيما كانوا يجادلون به النبي ﷺ قولان : أحدهما : أنهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى عنهم﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قاله الحسن . والثاني: هو قولهم: تأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون ما قتل ربكم. قاله ابن عباس»[1].

وذكر أبو حيان ما روي عن ابن عباس ، وعقب على ذلك بقوله: «وهذا فيه بعد ، وظاهر المجادلة أنه في المسموع الذي هم يستمعون إلى الرسول بسببه وهو القرآن ...»[2].

وبعد : فاستدراك أبي محمد ابن عطية على تفسير الآية بما روي عن ابن عباس ، هو كما قال، وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكره أبو محمد من أن ما ذكر عن ابن عباس جدال في حكم، والذي في الآية إنما هو جدال في مدافعة القرآن.

---

(١) النكت والعيون (٢/١٠٤).

(٢) البحر المحيط (٤/١٠٢).



٢- ولأن ظاهر القرآن يدل على أن جدالهم وقع بقولهم : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ تفسير لقوله :﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ ﴾ [1].

٣- هذا الأثر الذي جعل تفسيراً لمجادلتهم لا يثبت عن ابن عباس ، فإنه جاء من طريق العوفي ، والعوفي ضعيف عند أهل العلم[2].

٤- المعروف في كتب التفسير والحديث ، وأسباب النـــزول أن هذا الذي روي عن ابن عباس إنما جادل به المشركون في استحلال أكل الميتة؛ لأنها مما ذبحها الله ، فقد أخرج أبو داود وغيره ، من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [3] يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتـــم أنتم فكلوا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ »[4].

---

(١) انظر الكشاف (١٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٣٠٦/١)، وتفسير النسفي (٨/٢).

(٢) تقدم بيان ذلك عند ترجمته.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (١٠١/٣)، كتاب الأضاحي ، باب في ذبائح أهل الكتاب ، ح (٢٨١٨) ، وابن ماجة (١٠٥٩/٢)، كتاب الذبائح ، باب التسمية عند الذبح ، ح (٣١٧٣) ، والحاكم في المستدرك (٢٥٧/٤، ٢٥٨) وصححه، ووافقه الذهبي . وقال ابن كثير في تفسيره (١٧٢/٢) وهذا إسناد صحيح. وانظر أيضاً الصحيح المسند من أسباب النـــزول ص(٦٥، ٦٦).

فلا يبعد أن الراوي عن ابن عباس ظن أن هذا الذي يذكر في أمر الحلال والحرام هنا يصلح أيضاً هناك، وهذا لا يصلح كما قال ابن عطية فإن هذا جدال في حكم ، والذي في الآية إنما هو جدال في مدافعة القرآن.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] -: «... ولقد جاءك يا محمد من خبر، من كان قبلك من الرسل ، وخبر أممهم وما صنعت بهم - حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم - أنباء . وترك ذكر أنباء لدلالة ﴿ مِن ﴾ عليها »[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تقدير فاعل ﴿ جَآءَكَ ﴾، فقال : «... وفاعل جاءك مضمر على ما ذهب إليه الطبري ، والرماني[3] ، تقديره: ولقد جاءك نبأ، أو أنباء . قال القاضي أبو محمد : والصواب عندي في المعنى أن يقدر (جلاء ، أو بيان»)[4].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٤ .

(٢) جامع البيان (١١/٣٣٥).

(٣) علي بن عيسى أبو الحسن الرماني المعتزلي ، العلامة ، النحوي (ت : ٣٨٤هـ). انظر السير (١٦/٥٣٣).

(٤) المحرر الوجيز (٦/٤٢).



اختلف أهل العلم في فاعل ﴿ جَآءَكَ ﴾ هل هو ظاهر أو مضمر - على قولين - وإذا كان مضمراً كيف يقدر؟. والأقوال في ذلك على النحو التالي:

١- ذهب أبو الحسن الأخفش أن فاعل ﴿ جَآءَكَ ﴾ ظاهر، وهو ﴿ نَّبَإِىْ ﴾ و ﴿ مِن ﴾ صلة(١). وإليه ذهب أبو علي الفارسي أيضاً(٢).

واعترض عليه بأن ﴿ مِن ﴾ لا تزاد في الإيجاب ، وإنما تزاد في النفي كقولك: «ما جاءني من أحد»(٣).

واعترض على هذا القول أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٤) فهذا خبر من الله تعالى أنه لم يقصص جميع أنباء الرسل على رسولنا ﷺ(٥).

٢- وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن فاعل ﴿ جَآءَكَ ﴾ مضمر ثم اختلفوا في تقديره:

---

(١) انظر معاني القرآن (٤٨٨/٢).
(٢) انظر المحرر الوجيز (٤٢/٦).
(٣) انظر المحرر الوجيز (٤٢/٦)، والبحر المحيط (١١٨/٤).
(٤) سورة غافر ، الآية : ٧٨.
(٥) انظر البحر المحيط (١١٨/٤).



أ- فمنهم من قال تقديره: (نبأ أو أنباء) ، ودل على هذا المضمر قوله: ﴿ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وإلى هذا ذهب الإمام الطبري، والرماني[1].

ب - ومنهم من قال تقديره : (جلاء أو بيان) وإلى هذا ذهب القاضي ابن عطية[2].

ج - ومنهم قال تقديره : (مجيء من نبأ المرسلين) فيكون الفاعل مصدراً ، دل عليه قوله : ﴿ جَآءَكَ ﴾[3].

د - ومنهم من قال تقديره (هو) وهذا الضمير يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة، أي: ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب أتباع الرسل للرسل ، والصبر والإيذاء إلى أن نصروا ، وأن هذا الإخبار هو بعض نبأ المرسلين الذين يتأسى بهم ، ذهب إلى هذا أبو حيان[4].

وبعد : فالقول الثاني هو المعتمد وهو أن الفاعل مضمر[5] وأما تقدير المضمر فالظاهر أن الأقوال الأربعة - التي قيلت - معتبرة ، وأبينها قول

---

(١) انظر جامع البيان (٣٣٥/١١)، والمحرر الوجيز (٤٢/٦).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٤٢/٦).

(٣) انظر غرائب التفسير (٣٥٧/١)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٢٠/١)، والتبيان في إعراب القرآن (٤٩٢/١).

(٤) انظر البحر المحيط (١١٨/٤). ولو قال أبو حيان : «من تكذيب أمم الرسل لرسلهم» لكان أولى من قوله : «من تكذيب أتباع الرسل للرسل».

(٥) وأما القول الأول فبعيد لما أثير حوله من اعتراضات وجيهة .



الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، وفي نظري أن تقدير الإمام الطبري أقوى من تقدير القاضي ابن عطية لسببين:

الأول : وجود الدليل على ما قــدر ، وهو ذكر الرســل ، لأن من ضرورة الرسول الرسالة ، وهي نبأ[1].

الثاني: أن ما قدر الإمام الطبري متضمن لما قدر القاضي ابن عطية ، إذ النبأ، لا يكون نبأ إلا إذا كان جلياً بيناً.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وأنذر يا محمد ، بالقرآن الذي أنزلناه إليك ، القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، علماً منهم بأن ذلك كائن ، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده ، عاملون بما يرضي الله، دائبون في السعي في ما ينقذهم في معادهم من عذاب الله ... وقيل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ ﴾ ومعناه ، يعلمون أنهم يحشــرون ، فوضعت (المخافة) موضع (العلم) ؛ لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده ، من

(١) انظر التبيان في إعراب القرآن (١/٤٩٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٥١.



غير شك منهم في ذلك»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على من فسر الخوف هنا بالعلم بقوله : « ويخافــون على بابها في الخـــوف ، أي الذين يخافون ما تحققوه من أن يحشروا ، ويستعدون لذلك ورب متحقق لشيء مخوف وهو بقلة النظر والحزم لا يخافه ولا يستعد له . قال القاضي أبو محمد : وقال الطبري : وقيل يخافــون - هنا - بمعنى يعلمون ، وهذا غير لازم »[٢].

وجه استدراك ابن عطية على الإمام الطبري ، أن الإمام الطبري أدخل هذا القول في تفسيره، وعلل له ، وهذا يعطي أنه يقول به ويرضاه.

والقولان اللذان ذكرهما الإمام الطبري في معنى ﴿ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ ﴾ ذكرهما بعض المفسرين في مصنفاتهم[٣]، وقد يقتصر بعضهم على المعنى الأول[٤] ، والبعض الآخر لا يذكر إلا المعنى الثاني[٥].

وقد قال طائفة من أهل العلم بلغة العرب أن الخوف يأتي بمعنى العلم ، منهم الفراء[٦] - ولعل الطبري اطلع على هذا المعنى في كتابه معاني القرآن

---

(١) جامع البيان (٣٧٣/١١).

(٢) المحرر الوجيز (٥٥/٦).

(٣) انظر معالم التنــزيل (٩٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٠/٦، ٤٣١)، وتفسير الخازن (١٣٥/٢)، وفتح القدير (١١٩/٢).

(٤) انظر الوسيط (٢٧٤/٢)، والتحرير والتنوير (٢٤٤/٧).

(٥) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٤٨٦/١).

(٦) انظر معاني القرآن (٣٣٦/١).



- وابن قتيبة[١] ، وابن منظور [٢]، وغير هؤلاء[٣].

وهذا المعنى أيضاً مذكــور في كتب الوجوه والنظائر - التي اطلعت عليها - عند هذه الآية الكريمة[٤].

والمقصود من كل هذا بيان أن الخوف يأتي بمعنى العلم ، فتفسيره في الآية بهذا المعنى ليس ببعيد.

ومع كل هذا فالقول كما قال القاضي ابن عطية إنه ليس بلازم أن نحمل الخوف في الآية على العلم، بل يبقى على ظاهره ؛ وذلك أن الخوف هو توقع مكروه أو فوات محبوب عن أمارة مظنونة ، أو معلومة[٥]. وهنا نقول: ليس الخوف المذكور في الآية الكريمة متعلق بذات الحشر ، الذي هو الجمع والتوجيه إلى ناحية أرض المحشر، ولكن الخوف متعلق بما يترتب على ذلك الجمع والتوجيه من حصول العذاب ؛ لأن المؤمن ، وإن تيقن الحشر ، فلم يتيقن العذاب الذي يخاف منه ، لتجويزه أن يموت على الإيمان والعمل الصالح ، وتجويزه ألا يموت على هذه الحالة[٦].

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ص(١٩١).

(٢) انظر لسان العرب (٤/٢٤٩) «خوف».

(٣) انظر ترتيب القاموس المحيط (٢/١٢٨)، والمعجم الوسيط (١/٢٧١) «خوف».

(٤)انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص(١٦٥)، ونزهة الأعين النواضر ص(٢٧٩، ٢٨٠).

(٥) انظر كتاب التعريفات ص(١٠١)، والمفردات ص(١٦١) فما ذكر هنا منتزع من مجموع ما قالا.

(٦) انظر التفسير الكبير (١٢/١٩٢).



فالحاصل أن هذا من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب ، وهذا معروف عند العرب في كلامهم ومخاطباتهم .

أو أن الخوف يتعلق أيضاً بما يتحققه الإنسان وليس مقصوراً على ما يتوقعه من حلول مكروه ، أو فوات محبوب، وإليه يشير كلام ابن عطية.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت على رســول الله ﷺ في ســبب جماعــة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له : لو طردت هؤلاء عنك لغشــيناك وحضرنا مجلسك ... عن خباب[2] في قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قـــولــــه : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال جاء الأقرع بن حابــس التميمي[3] ،

(١) سورة الأنعام ، الآية ٥٢ .

(٢) خباب بن الأرت بن حندلة أبو يحيى التميمي ، من نجباء السابقين (ت : ٣٧هـ) انظر السير (٣٢٣/٢).

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي ، صحابي (ت : ٣١هـ).
=



وعيينة بن حصن الفـــزاري[١] ، فوجـــدوا النبي ﷺ قاعداً مع بـــلال [٢] وصهيب[٣] وعمار[٤] وخباب ، في أناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم . قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً. قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا علياً ليكتب . قال: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بهذه الآية ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ »[٥].

=

انظر الأعلام (٥/٢).

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، أسلم بعد الفتح ، وقيل: قبل الفتح. انظر الاستيعاب (٩٧/٩)، والإصابة (١٩٥/٧).

(٢) بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، من الســـابقين الأولين الذين عذبوا في الله (ت : ٢٠هـ) انظر السير (٣٤٧/١).

(٣) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري ، ويعرف بالرومي ؛ لأنه أقام في الروم مدة ، من كبار السابقين البدريين (ت:٣٨هـ) انظر السير (١٧/٢).

(٤) عمار بن ياسر بن عامر ، أحد السابقين الأولين ، والأعيان البدريين (ت : ٣٧هـ). انظر السير (٤٠٦/١).

(٥) جامع البيان (٣٧٤/١١، ٣٧٦) ، والأثر أخرجه الإمام الطبري عن شيخه الحسين

=

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على هذه الرواية التي يظهر أن الإمام الطبري يرى القول بها فقال - بعد أن ذكر ما أسند الطبري مختصراً لذلك - : «وهذا تأويل بعيد في نزول الآية؛ لأن الآية مكية ، وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا في المدينة . وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ، ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة ، اللهم إلا أن تكون الآية مدنية»[1].

والعلماء أمام هذا السبب الذي ذكر للآية الكريمة فريقان ، فريق يورده في تفسيره من غير تعقيب عليه[2]، والثاني يورده ويعقب عليه ،

=

ابن عمرو العنقزي قال حدثنا أبي قال حدثنا أسباط ، عن السدي عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب . والأثر فيه رجلان : أحدهما أسباط ضعفه بعض أهل العلم ، وبعضهم رجح توثيقه . الثاني: الحسين بن عمرو العنقزي ، قال الذهبي: قال أبو زرعة: كان لا يصدق، روى عن أبيه . انظر الميزان (٥٤٥/١).

والأثر أخرجه أيضاً ابن ماجة (١٣٨٢/٢) ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء ، ح(٤١٢٧) من طريق أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، عن عمرو بن محمد العنقزي به. وذكر محمد فؤاد عبد الباقي أن صاحب الزوائد قال: إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . سنن ابن ماجة (١٣٨٢/٢). وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن ابن ماجة (٣٩٧/٢).

(١) المحرر الوجيز (٥٦/٦، ٥٧).

(٢) انظر - على سبيل المثال - معالم التنـــزيل (٩٩/٢)، وزاد المسير (٤٤/٣، ٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٢/٦).



وهؤلاء منهم من يحاول أن يجد له مخرجاً ، ومنهم من لا يرى له وجهاً فيرده . فابن عاشور يورد تعقيب ابن عطية ، ويحاول أن يجد لهذه الرواية مخرجاً مع التنبيه أن في سند الرواية من لا يسلم من الجرح فيقول: «ووقع في سنن ابن ماجة[(١)] عن خباب أن قائل ذلك للنبي ﷺ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وأن ذلك سبب نزول الآية . وقال ابن عطية وهو بعيد؛ لأن الآية مكية، وعيينة والأقرع إنما وفدا مع وفد بني تميم بالمدينة سنة الوفود. قلت - القائل ابن عاشور: - ولعل ذلك وقع منهما فأجابهم رسول الله ﷺ بهذه الآية التي نزلت في نظير اقتراحهما . وفي سنده أسباط ابن نصر أو نضر و لم يكن بالقوي ، وفيه السدي ضعيف»[(٢)].

ونحو ما ذكر القاضي ابن عطية من نقد ذكر أبو حيان ، فقال - بعد أن أورد الرواية - : «وهذا فيه بعد ؛ لأن الآية مكية ، وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا بالمدينة»[(٣)].

وتعقب الخازن هذه الرواية بعد أن ذكرها وغيرها من الروايات بقوله: «... إسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح ، وسورة الأنعام مكية ، والصحيح ، ما روي عن ابن مسعود ... في ذلك[(٤)] ويعضده حديث

---

(١) محمد بن يزيد ، الحافظ المحدث المفسر (ت: ٢٧٣هـ). انظر السير (٢٧٧/١٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٦/٧). والسدي عند الحافظ: صدوق يهم. انظر تقريب التهذيب رقم (٤٦٣) وقد تقدمت ترجمته.

(٣) البحر المحيط (١٣٨/٤).

(٤) يعني بذلك ما ذكر في تفسيره (١٣٧/٢) بقوله : وقال ابن مسعود مر ملأ من =

سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي ﷺ اطرد هؤلاء[١] . يعني ضعفاء المسلمين»[٢].

وعد الإمام ابن كثير هذه الرواية التي رواها الإمام الطبري وابن ماجة غريبة ، فقال - بعد أن أوردها - : «وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس ، وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر»[٣].

وهذا الذي قاله ابن كثير عن هذا الأثر نقله الشوكاني في تفسيره ، كالمستدل به على غرابة هذا الأثر[٤].

وقال الشيخ محمود شاكر - بعد أن أورد تخريج الحديث وما قال ابن كثير - : «وهذا هو الحق إن شاء الله»[٥]. يعني بذلك من الحكم على الحديث بالغرابة.

=

قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضيت بهؤلاء بدلاً من قومك ، هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ، أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم فلعلك إن طردهم أن نتبعك فنـــزلت هذه الآية.

(١) سيأتي إن شاء الله تخريجه قريباً.

(٢) تفسير الخازن (١٣٧/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١٣٦/٢).

(٤) انظر فتح القدير (١٢١/٢).

(٥) جامع البيان (٣٧٧/١١) حاشية رقم (١).



وبعد : فعلى الرغم من أن الأثر الذي أخرجه الإمام الطبري تحت الترجمة التي ذكرها قد صحح نظراً للمتابعة التي تشهد بذلك ، وعلى الرغم مما قيل من اعتذار لهذا القول فإنني أجنح إلى الرأي الآخر الذي يرى أن فيها بعداً ، وذلك للأسباب التالية:

١- أكثر من ذكرت آراءهم يستبعدون هذا ، وواقع التاريخ يشهد ببعده.

٢- أن هذه الرواية تخالف الروايات الكثيرة المتظافرة ، أن سبب نزول الآية كان لمقولة كفار قريش اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، ومنها ما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر . فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . قال: وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبلال ، ورجلان لست أسميهما. فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدَّث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[(١)].

٣- جاء في عدد من الآثار أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة[(٢)] ، وهي وإن كان في بعضها ضعف، إلا أن بعضها يشد بعضاً

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٧٨/٤)، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ح(٢٤١٣).

(٢) انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق (٢٠٣/٢)، ومجمع الزوائد (١٩/٧، ٢٠)، والدر =



ويقويه ، وهذا يفيد أن هذه الآية مكية ، وأن احتمال القول بمدنيتها بعيد.

وعلى التسليم أن هناك بعض الآيات من هذه السورة مدني فإنني لم أر – في حد اطلاعي – من يعد هذه الآية من ذلك إلا ما كان في هذه الرواية[1].

٧- أسند الإمام الطبري عن ابن جريج – عند قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] – أنه قال : «بلغني في قوله : ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ قال ذبح الموت»[3].

ثم قال الإمام الطبري : « وأحسب أن قائل هذا القول ، نزع لقوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾[4]

=

المنثور (٢/٢، ٣)، وموسوعة فضائل سور وآيات القرآن (٢٥٧/١) وما بعدها.

(١) انظر الدر المنثور (٣/٢).

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٨ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٠٠/١١) من طريق أبي خالد الأحمر عن ابن جريج . وقال أبو حيان : وما روي عن ابن جريج: من أن المعنى لذبح الموت لا يصح ، ولا له هنا معنى . البحر المحيط (١٤٦/٤).

(٤) سورة مريم ، الآية : ٣٩.



فإنه روي عن النبي ﷺ في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر[١]. وليس قوله: ﴿ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ من ذلك في شيء ، وإنما هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأيتهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك ، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه ، مني ومن جميع خلقه»[٢].

وأشار القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – إلى خلاف قول الإمام الطبري في حمل ما قاله ابن جريج، فقال – بعد أن ضعف قول من قال إن المراد لذبح الموت – : «وأسند الطبري هذا القول إلى ابن جريج غير مقيد بهذه السورة ، والظن بابن جريج أنه إنما فسر الذي في يوم الحسرة»[٣].

الحاصل من هذا أن الإمامين الطبري وابن عطية يتفقان في تضعيف قول من قال: إن معنى ﴿ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي لذبح المـــوت، ويختلفان في

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٤٥/٨)، وهو الخبر الذي جاء فيه أنه يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى في أهل الجنة والنار هل يعرفونه فيقولون: نعم، هذا الموت ، ثم يؤمر به فيذبح ، قال: فيقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

(٢) جامع البيان (٤٠٠/١١، ٤٠١).

(٣) المحرر الوجيز (٦٤/٦).



الموضع الذي ذكر فيه ابن جريج هذا التفسير فالإمام الطبري يفهم من كلامه أنه يقول بهذا المعنى عند آية الأنعام ، حملاً لها على آية مريم ، وابن عطية يفهم من كلامه أنه إنما فسر آية مريم بهذا المعنى ليس إلا.

وفي نظري أن ابن جريج قد فسر آية الأنعام بهذا المعنى ، وكلامه واضح في هــذا ، فاستدراك القاضي ابن عطيــة غير وارد على الإمام الطبري. والله أعلم.

نعم كلامه عند آية مريم أصرح من هنا حيث قال : «يحشر أهل النار حين يذبح الموت ، والفريقان ينظرون فذلك قوله: ﴿ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾[1] قال: ذبح الموت ... »[2].

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَـٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[3] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : قل يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين إلى عبادة أوثانهم من الذي ينجيكم ﴿ مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ ﴾ إذا ضللتم فيه

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٣٩.

(٢) جامع البيان (٨/٣٤٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٦٣ .



فتحيرتم ، فأظلم عليكم الهدى والمحجة ، ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة ، فأظلم عليكم فيه السبيل ، فلا تهتدون له ، غير الله الذي إليه مفزعكم حينئذ بالدعاء ... وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[1] ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ يقول: إذا أضل الرجل الطريق دعا الله ﴿ لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على من فسر ﴿ ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أنه ضلال الطرق في الظلمات ، أو غير ذلك مما فيه تخصيص ، فقال: «وحكى الطبري[3] في قوله: ﴿ ظُلُمَٰتِ ﴾ أنه ضلال الطرق في الظلمات ونحوه ... قال القاضي أبو محمد : وهذا التخصيص كله لا وجه له ، وإنما هو لفظ عام لأنواع الشدائد في المعنى ، وخص

(١) جامع البيان (١١/٤١٤).

(٢) أخرجه في جامع البيان (١١/٤١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهذا إسناد لا تقوم به حجة لضعف العوفي.

(٣) يبدو أن قوله : «وحكى» بمعنى «وقال» وحتى وإن كانت على ظاهرها فالطبري يذهب إلى ذلك القول المحكي فاستدراك ابن عطية يشمله.



لفظ الظلمات بالذكر لما تقرر في النفوس من هول الظلمة»[١].

ذهب طائفة من المفسرين إلى نحو قول الإمام الطبري منهم البغوي وابن كثير[٢]. وأخرى توافق قول ابن عطية ، منهم الزمخشري وأبو حيان والسمرقندي [٣].

ويظهر أن قول الإمام الطبري ، ينحو منحى من يقول بالحقيقة في ظلمات البر والبحر ، وقول القاضي ابن عطية ينحو منحى من يقول بالمجاز في ظلمات البر والبحر[٤] ، والأول يذكر بعض أفراد العام لهذه الحقيقة، والثاني: يرى أن هذا تخصيص من غير مخصص.

والصواب في هذا - والله أعلم - أننا نحمل ظلمات البر والبحر على الحقيقة ، ونقول: هي عامة في كل ظلمة من ظلمات البر والبحر؛ لأن في قول كل من الإمامين حقاً، وبمجموعهما يتم الصواب.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٦٩).

(٢) انظر معالم التنزيل (٢/ ١٠٣)، وتفسير القرآن العظيم (٢/١٤٠) .

(٣) انظر الكشاف (٢/٢٥) ، والبحر (٤/ ١٦١) ، وتفسير القرآن للسمرقندي (١/ ٤٩١) .

(٤) وهما قولان في معنى ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ ذكرهما المفسرون . انظر البحر المحيط (٤/١٥٤) ، والفتوحات الإلهية (٢/٤١) ، والتحرير والتنوير (٧/٢٨٠، ٢٨١) ، وروح المعاني (٧/١٧٩).



٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وإذا رأيت يا محمد ، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك ... ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ يقول : حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم ...»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على قول يرى أن تفسير ابن جرير الطبري يتركب عليه فقال - بعد أن ساق الآية الكريمة - : «لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي ﷺ وحده ، واختلف في معناه ، فقيل: إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه . قال القاضي أبو محمد : وهذا هو الصحيح ؛ لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشملهم وإياه. وقيل: بل المعنى - أيضاً - إنما أريد به النبي ﷺ وحده ؛ لأن قيامه عن

(١) سورة الأنعام، الآية : ٦٨ .

(٢) جامع البيان (١١/٤٣٦).



المشركين كان يشق عليهم ، وفراقه لهم على معارضته ، وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك ، فأمر النبي ﷺ أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزءوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك، ويدعوا الخوض والاستهزاء ، وهذا التأويل يتركب على كلام ابن جرير يرحمه الله»[1].

وجه دخول ما قاله أبو محمد في استدراكه على الإمام الطبري ، أنه قد جعل الصحيح في خلاف القول الذي يتركب عليه كلام ابن جرير . وفي هذا إشارة إلى أن الطبري يحمل الآية على القول المرجوح.

وإذا تأملت الألفاظ التي ذكرها الإمام الطبري في تفسير الآية وجدتها - كما قال ابن عطية - تتركب على القول الذي يقصر الأمر بالقيام على الرسول ﷺ.

لكن الطبري وإن فسر الآية على حسب الظاهر من اللفظ ، فهذا لا يعني أنه يرى القول الذي صحح ابن عطية خلافه ، وذلك لسببين اثنين:

الأول : قول الإمام الطبري في آخر كلامه: «وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[2] ثم ساق بسنده جملة من الآثار من بينها ما أخرجه عن السدي أنه قال : «كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبوه واستهزأوا به ، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٧٢).

(٢) جامع البيان (١١/٤٣٦).



يخوضوا في حديث غيره»[(١)] فهذا الأثر يتركب على القول الذي وصفه ابن عطية بالصحة ، وقد جعل الطبري هذا الأثر بنحو تفسيره.

الثاني : أن الإمام الطبري لا يخفى عليه أن الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأمته ، ما لم يقم دليل معتبر يفيد الخصوصية ، وإنما الذي دعاه إلى المجيء بتلك الألفاظ التي تتركب مع القول المرجوح هو إرادة موافقة لفظ الآية.

فتبين بهذا أن الإمام الطبري يتفق مع القاضي ابن عطية في أن الخطاب للرسول ﷺ ، ولأمته ، وهذا هو القول الحق الذي دل القرآن الكريم على صحته[(٢)] ، في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾[(٣)] .

١٠- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾[(٤)] قال أبو جعفر:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٣٧/١١) عن السدي من طريق أسباط.

(٢) انظر الجواهر الحسان (٦٣٤/١) فقد استدل الثعالبي بهذه الآية على دخول المؤمنين مع الرسول ﷺ في الخطاب.

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٤٠.

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٧٠ .



يقول تعالى ذكره : وإن تعدل النفس التي أبسلت بما كسبت ، يعني : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ ﴾ يعني : كل فداء . يقال منه : (عدل يعدل إذا فدى ، (عدلاً) ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾ [(١)] وهو ما عادله من غير نوعه ، وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ... وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى : وإن تقسط كل قسط لا يقبل منها ، وقال: (إنها التوبة في الحياة). وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب في الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري في أن استدراكه على بعض أهل العربية غير لازم ، فقال - بعد أن ذكر أن معنى ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ ﴾ وإن تعط كل فدية ، وإن عظمت فتجعلها عدلاً لها لا يقبل منها - : « وحكى الطبري عن قائل أن المعنى : وإن تعدل من العدل المضاد للجور ، ورد عليه وضعفه بالإجماع على أن توبة الكافر مقبولة . قال القاضي أبو محمد: ولا يلزم هذا الرد ؛ لأن الأمر إنما هو يوم القيامة ، ولا تقبل فيه توبة، ولا عمل ، والقول نص لأبي

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٥.

(٢) جامع البيان (١١/٤٤٧، ٤٤٨).



عبيـــدة»[١].

وقد أورد أبو حيان الاستدراك نفسه على الإمام الطبري و لم يشر إلى أنه أخذه من المحرر الوجيز[٢] ، وأورده الثعالبي وعزاه لابن عطية[٣].

وقد تأملت في كلام أبي عبيدة ، واستدراك الطبري عليه ، واستدراك القاضي على الإمام الطبري فوجدت استدراك الطبري يسلم له بعضه ، وبعضه لا يسلم ، ووجدت استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري لا يسلم له على حسب الظاهر من نقل الإمام الطبري ، وفهمه ، وبيان ذلك في ما يلي:

١- نص كلام أبي عبيدة إنما هو : «إن تقسط كل قسط لا يقبل منها؛ لأنما التوبة في الحياة»[٤].

فمعنى كلام أبي عبيدة أن الكافر يوم القيامة لو عدل كل عدل ما قبل الله منه ، لأنما هذا ينفعه لو كان في الحياة الدنيا أمَا وقد مات فإن التوبة قد انقطعت ، فهو يفهم الآية على أنها في الدار الآخرة وأن العدل هو القسط الذي هو ضد الجور ، وقد أحسن رحمه الله في فهمه الآية على أنها في الدار الآخرة وأنه أصبح هذا العبد في مكان بحيث لا يقبل فيه العمل ،

---

(١) المحرر الوجيز (٧٦/٦).

(٢) انظر البحر (١٦٠/٤).

(٣) انظر الجواهر الحسان (٦٣٦/١).

(٤) مجاز القرآن (١٩٥/١).

وأما حمله للعدل في الآية على أنه بمعنى القسط فإن العلماء لم يسلموا له بذلك.

فجاء الإمام الطبري ففهم كلامه على أنه يفسر العدل بالقسط ، وأن هذا القسط يقع من العبد في الحياة الدنيا.

و لم يقل أبو عبيدة : إن ذلك في الحياة الدنيا ، وإنما نص عبارته «لأنما التوبة في الحياة» وهذا صريح في أن العبد قد انتهى من هذه الدار وأنه يفهم الآية على هذا.

وإنما أُتي الإمام الطبري - والله أعلم - من لفظ «لأنما» فهو وجدها في بعض النسخ «لأنها» بالهاء بعد النون ، وبعد الهاء ألف أو قرأها هكذا[١] ؛ لأن الميم قد تقرأ في المخطوطات هاء[٢].

وجاء القاضي ابن عطية فاستدرك على الإمام الطبري ، و لم ينقل نص كلامه كما هو ، وتابعه من تابعه على ذلك فأهملوا جميعاً أن الإمام الطبري يذكر عن ذاك العالم أنه يفسر الآية على أن العبد لا زال في الحياة الدنيا ، وأنها التوبة في هذه الحياة.

---

(١) يرجح الأول لمكانة الإمام الطبري في التثبت والتحقيق.

(٢) فإن قيل لماذا لا يكون العكس ، وأنها صحفت في النسخة التي بين يديك من الهاء إلى الميم « لأنما »؟ قيل: قد يكون ذلك إلا أن عالماً بالعربية كأبي عبيدة يبعد كل البعد أن يحمل الآية على الحياة الدنيا ، ومن حقق كتابه - وهو الدكتور فؤاد سزكين - مشهود له بالتدقيق في تحقيق النصوص والتثبت في قراءتها.



فما قاله الإمام الطبري ضد أبي عبيدة ملزم له في الظاهر[(١)] ، وهو على سبيل التنــزل مع الخصم ، فكأنه يقول: سلمنا لك أن هذا في الحياة الدنيا ، وأن المقصود التوبة ، فهذا مردود بأن كل تائب في الدنيا يقبل الله توبته.

فالحاصل : أن أبا عبيدة لا يلزمه كل ما قيل في الاستدراك عليه ، وأن الإمام الطبري لا يلزمه مما قال ابن عطية شيء . والله أعلم.

١١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ... ﴾[(٢)] - : «... و ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ يقول: ونرد إلى أدبارنا ، فنرجع القهقرى خلفنا ، لم نظفر بحاجتنا . وقد بينا معنى الرد على العقب، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها رد على عقبيه»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره في معنى الرد على العقب، فقال: «قال الطبري وغيره: الرد على العقب يستعمل في من أمل أمراً فخاب أمله. قال القاضي أبو محمد :

---

(١) أعني بالظاهر ، أي حسب النسخة التي اعتمد عليها الطبري في النقل .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٧١ .

(٣) جامع البيان (١١/٤٥٠).



وهذا قول قلق»[١] وهذا ذكره بعد أن شرح ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا ﴾ بقوله : «تشبيه، وذلك أن المردود على العقب هو أن يكون الإنسان يمشي قدماً، وهي المشية الجيدة فيرد يمشي القهقرى ، وهي المشية الدنية، فاستعمل المثل بها في من رجع من خير إلى شر ، ووقعت في هذه الآية في تمثيل الراجع من الهدى إلى عبادة الأصنام»[٢].

لم يبين أبو محمد ما وجه القلق ، ولعله يعني بوجه القلق : أن ما ذكر الإمام الطبري معناه لا يتناسب مع ما في الآية الكريمة ، لأن الذي في الآية، هو من كان على خير ، فتركه ورجع إلى شر ، والذي يؤمل لم يصل إلى مطلوبه ، حتى يقال : إنه رجع عنه إلى شر.

وما ذهب إليه الإمام الطبري ، قاله أبو عبيدة أيضاً[٣].

وأورده أبو حيان في البحر ، ولم يتعرض له بشيء[٤].

وقد أورد أبو جعفر النحاس في معنى الآية قولين:

الأول : ما ذكره أبو عبيدة ، والإمام الطبري.

والثاني : ذكره عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال : معناه يعقب بالشر بعد الخير...[٥]

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٧٨).

(٢) المرجع السابق (٦/٧٧ ، ٧٨).

(٣) انظر مجاز القرآن (١/١٩٦).

(٤) انظر البحر (٤/١٦٠).

(٥) انظر معاني القرآن (٢/٤٤٥).



وأكثر من رأيت كلامه في معنى الآية من أهل المعاني والتفسير يتناسب مع القول الذي ذكره محمد بن يزيد [(١)].

ولعله هو الظاهر في معنى الآية لما ذكرت سابقاً ، في وجه القلق الذي قاله أبو محمد ؛ ولأن الله تعالى قال: ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ ، ولما قال أبو محمد في أصل الرد على العقب : أن يكون الإنسان يمشي قدماً، وهي المشية الجيدة ، فيرد يمشي القهقرى ، وهي المشية الدنية.

ولا شك أن ما قاله الإمام الطبري ومن معه ليس ببعيد من المعنى الثاني، لأن من يؤمل خيراً ثم يتبين له خلاف ما كان يؤمل قد يصدق عليه أنه مردود على عقبيه ، لكن هذا المثل لعله لا يساوي ما أراده الله في الآية الكريمة ، ومن هنا - والله أعلم - يتجه قول أبي محمد : ((وهذا قول قلق)).

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٢) ، وتفسير القرآن للسمرقندي (١/٤٩٣)، والوسيط (٢/٢٨٧)، ومعالم التنـــزيل (٢/١٠٦)، وزاد المسير (٢/٦٦)، والكشاف (٢/٢٨)، والتفسير الكبير (١٣/٢٥)، وتفسير البيضاوي (١/٣١٦) ، وتفسير الخازن (٢/١٤٦)، وتفسير النسفي (٢/١٨)، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٢٣)، وغرائب القرآن (٧/١٦٧)، وتفسير ابن كثير (٢/١٤٦)، ونظم الدرر (٧/١٥١)، وتفسير أبي السعود (٣/١٤٩)، والفتوحات الإلهية (٢/٤٦) ، وروح المعاني (٨/١٨٨)، والتحرير والتنوير (٧/٣٠٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٣٥)، وتفسير كتاب الله العزيز (١/٥٣٦).



١٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾[1] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكر يا محمد - لحجاجك الذي تحاج به قومك، وخصومتك إياهم في آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقيقة ما أنت به عليهم محتج - حجاج إبراهيم خليلي قومه ، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله ، والرضى به ولياً وناصراً دون الأصنام ، فاتخذه إماماً واقتد به ، واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالاً إذ قال لأبيه مفارقاً لدينه ، وعائباً عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره من العلاقة بين قصة الخليلين مع قومهما ، وأن لنبينا قدوة في أبيه إبراهيم فقال - بعد أن ذكر أن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل مضمر - : «قال الطبري نبه الله تعالى محمداً ﷺ على الاقتداء بإبراهيم في محاجته قومه إذ كانوا أهل أصنام، وكان قوم محمد أهل أصنام . قال القاضي أبو محمد : وليس يلزم هذا من لفظ الآية، أما إن جميع ما يجيء من مثل هذا عرضـــة

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٤ .

(٢) جامع البيان (١١/٤٦٥).



للاقتداء»[(١)].

حاصل كلام الإمام الطبري في تفسير الآية يفيد أن هذه الآية توجه الرسول ﷺ إلى الاقتداء بأبيه إبراهيم في محاجة المشركين الذين يعبدون الأصنام ؛ وأن الآية دلت عليها بلفظها ، ولذلك قال: «واذكر يا محمد لحاجك الذي تحاج ...».

وأبو محمد : لا يرى أن الآية تدل على هذا المعنى بلفظها ، لكن يؤخذ ذلك من سياق القصة ، وكل ما كان من هذا الباب عرضة لأن يقتدي به الرسول ﷺ.

والثعالبي أورد ما حكاه ابن عطية عن الطبري ، وأعرض عن إيراد استدراك ابن عطية عليه[(٢)]. وفي هذا دلالة على أنه أخذ بقول الطبري ، ولا يرى استدراك القاضي وارداً عليه . وقد ذكر بعض المفسرين أن إيراد هذه القصة حجة على المشركين عساهم أن يرجعوا عن عبادة الأصنام ؛ لأن من يقرون بفضله ينكر عبادتها ؛ لأنها لا تضر ولا تنفع[(٣)].

ونبه أبو حيان أن في هذه القصة التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد [(٤)]. وهذا نحو ما قاله الطبري.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٨٥).
(٢) انظر الجواهر الحسان (١/٦٣٨).
(٣) انظر التفسير الكبير (١٣/٢٩)، والبحر (٤/١٦٨).
(٤) انظر البحر (٤/١٦٨).



ولا شك أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في توجيه الآية جيد دل عليه قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[١].

لكن لا يؤخذ هذا من لفظ الآية ، كما أخذ الاقتداء به في البراءة من الشرك وأهله في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[٢].

١٣- أورد الإمام الطبري اختلاف أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾[٣] إلى أن قال : «وقال آخرون منهم: إن معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ ، أي: ليس هذا ربي . وقالوا قد تفعل العرب مثل ذلك فتحذف الألف التي تدل على معنى الاستفهام . وزعموا أن من ذلك قول الشاعر[٤]:

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٠.

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٦.

(٤) خويلد بن مرة أبو خراش الهذلي ، أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه (ت : نحو =



رفوني وقالوا : يا خويلد لا ترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعني : أهم هم ؟ قالوا : ومن ذلك قول أوس(١):

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً   شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

بمعنى : أشعيث بن سهم؟ فحذف الألف، ونظائر ذلك»(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الاستشهاد بالبيت الأول على هذا القول ؛ لأنه لا حجة فيه فقال: «وحكى الطبري هذا عن فرقة ، وقالت إنه استفهم على جهة التوقيف بغير ألف ، قال : وهذا كقول الشاعر:

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

=

١٥هـ) انظر خزانة الأدب (٤٤٣/١)، والأعلام (٣٢٥/٢)، والبيت في ديوان الهذليين (١٤٤/٢) ، ولسان العرب (٢٦٣/٥) «رفأ» ، وخزانة الأدب (٤٤٠/١). ومعنى رفوني سكنوني ، يقال: رفوت الرجل إذا سكنته . انظر لسان العرب (٢٦٢/٥) «رفأ».

(١) أوس بن حجر بن مالك التميمي ، عمر طويلاً و لم يدرك الإسلام ، من أكبر شعراء تميم. انظر خزانة الأدب (٣٧٩/٤)، والأعلام (٣١/٢)، والبيت في كتاب سيبويه (١٧٥/٣)، وخزانة الأدب (١٣١/١١) وهو عند الأول منسوب إلى الأسود بن يعفر، وفي الثاني باختلاف عن ما هنا . وهو في مغني اللبيب أيضاً (٤٢/١) من غير نسبة.

(٢) جامع البيان (٤٨٤/١١).



يريد أهم هم»[1] ثم أورد البيت الثاني ثم قال: «والبيت الأول لا حجة فيه عندي»[2].

إذا تأملت نص الإمام الطبري في تفسيره وعبارة القاضي عنه وجدت بينهما فرقاً ، فالطبري في تفسيره ينسب الاستدلال بالبيت إلى الذين قالوا ذلك القول ، ويصدره بكلمة «زعموا» والقاضي جاء بعبارة تدل على أن الطبري هو الذي استشهد لهذا القول بهذا البيت ، وليس الأمر كذلك كما رأيت.

فالظاهر من كلام الإمام الطبري أن ابن عطية يتفق معه أنه لا حجة في البيت ، وذلك لما يلي:

١- أنه قال : «وزعموا أن من ذلك قول الشاعر» وهذا إشارة منه أنه لا حجة في البيت.

٢- لما جاء إلى ذكر البيت الذي لا جدال أن همزة الاستفهام مقدرة فيه قال: «قالوا: ومن ذلك قول أوس».

ولا يخفى ما بين هذين الأسلوبين من الاختلاف ، مما يدل على أنه غير مقتنع باحتجاجهم ببيت الهذلي.

٣- الإمام الطبري لا يرى صحة القول الذي استشهد بالبيت عليه ، بل يرجح في آخر بحثه ما هو خلافه فيقول : «وفي خبر الله تعالى عن قيل

---

(١) المحرر الوجيز (٨٩/٦).

(٢) المصدر نفسه (٩٠/٦).



إبراهيم حين أفل القمر: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١] الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم ، وأن الصواب من القول في ذلك الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه»[٢].

إذا تبين هذا فالبيت الذي قال ابن عطية إنه لا حجة فيه محل خلاف بين أهل الأدب والنحو.

فمنهم من يرى أنه لا شاهد فيه ، قال شارح ديوان الهذليين – الذي ورد البيت فيه – : «ليس هذا باستفهام (هم هم) أي : هم الذين كنت أخاف »[٣] .

وابن قتيبة يرى أن معنى (هم هم) أي: هم الذين أخاف[٤].

والبغدادي يذهب إلى هذا الرأي فيقول – في شرح محل الشاهد – : «أي هم الذين يطردونني ويطلبون دمي»[٥].

وكذلك ابن جني قال : «وهم هم ، أي : هم الذين أعرفهم بالشــر

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٧.

(٢) جامع البيان (٤٨٥/١١) ومقصوده من هذا أن ما ذكره الله عن إبراهيم كان نظراً، لا مناظرة .

(٣) ديوان الهذليين (١٤٤/٢).

(٤) انظر المعاني الكبير (٩٠٢/٢) .

(٥) خزانة الأدب (٤٤٠/١).



والنكر لم يستحيلوا و لم يتغيروا»(١).

وإلى هذا - أيضاً - ذهب ابن منظور(٢) .

ومن أهل الأدب والنحو من يرى أن في البيت شاهداً كابن فارس ، فإنه قال: «وربما حذفت العرب ألف الاستفهام . من ذلك قول الهذلي :

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أراد : أهم . ؟ »(٣).

وقال صاحب المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية - بعد أن أورد البيت وذكر أماكن وجوده - : «والشاهد فيه قوله : « هم هم » يريد: أهم هم ، فحذف همزة الاستفهام»(٤).

وبعد : فالبيت محتمل للقولين ويؤيد مذهب الفريق الأول أن الشاعر كان يتوقع ويتخوف خروج هؤلاء القوم الذي يعرف قبيلتهم وما يريدون به(٥) ؛ فلما رآهم قال : (هم هم) على جهة الإخبار لنفسه ومن معه.

ويؤيد مذهب الفريق الثاني قول الشاعر « وأنكرت الوجوه » فإنكاره

---

(١) الخصائص (٣/٣٣٨).

(٢) انظر لسان العرب (١٥/٨) «ها».

(٣) الصاحبي ص(٢٩٦).

(٤) المعجم المفصل (٢/٨٧٣).

(٥) انظر خزانة الأدب (١/٤٤٠، ٤٤١) ترى أن قصة إنشاد الشاعر للبيت ترشد إلى هذا.



لوجوههم يفيد أنه لم يعرف هل هم الأعداء أم غيرهم فهو مستفهم لا مخبر.

١٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله: ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[1]

قال أبو جعفر: وأخرجنا أيضاً جنات من أعناب يعني: بساتين من أعناب واختلف القرأة في قراءة ذلك، فقرأه عامة القرأة: ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ نصباً، غير أن التاء كسرت ؛ لأنها تاء جمع المؤنث وهي تخفض»[2].

ثم ساق بسنده «عن الأعمش أنه قرأ ﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ بالرفع، فرفع جنات على إتباعها «القنوان» في الإعراب، وإن لم تكن من جنسها، كما قال الشاعر[3]:

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩٩ .

(٢) جامع البيان (٥٧٧/١١).

(٣) عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي، أسلم في فتح مكة (ت : ١٥هـ) انظر الإصابة (٨١/٦)، والأعلام (٨٧/٤). والبيت نسبته إلى ابن الزبعرى في الكامل (٤٣٢/١)، وهو في الخصائص (٤٣١/٢)، وشرح المفصل (٥٠/٢)، ولسان العرب (٢٠/٦) «زجج»، وخزانة الأدب (٢٣١/٢). وعند هؤلاء جميعاً «يا ليت زوجك» . والشاهد في هذا البيت - في كتب النحو - في قوله : «ورمحا» حيث نصبه بعامل محذوف تقديره : معتقلاً؛ لأنه لا يجوز القول: تقلد الرمح، ويجوز تضمين «متقلداً» معنى «حاملاً» حين ذاك يصح تسليطه على «رمحاً» . انظر المعجم

=

ورأيت زوجك في الوغى متقلــداً ســيفاً ورمحاً

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلا بها النصب: ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ لإجماع الحجة من القرأة على تصويبها ، والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، ويبعد معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري توجيه قراءة ﴿ جَنَّٰت﴾ بالرفع عطفاً على قنوان بأنها ضعيفة فقال: «وقرأ الأعمش ... ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾ بالرفع على تقدير ولكم جنات أو نحو هذا. وقال الطبري : هو عطف على قنوان . قال القاضي أبو محمد: وقوله ضعيف»[2].

والكلام على هذه المسألة من وجوه:

الوجه الأول : قراءة الرفع في ﴿ جَنَّٰتٌ﴾ قراءة شاذة[3].

الوجه الثاني : لعل وجه تضعيف القاضي لقول الإمام الطبري ما نقله

=

في شواهد النحو الشعرية (١٦٢/١).

(١) جامع البيان (٥٧٧/١١).

(٢) المحرر الوجيز (١١٨/٦، ١١٩).

(٣) انظر مختصراً في شواذ القراءات ص(٣٩) ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص (٤٦).



أبو جعفر النحاس عن أبي حاتم أنه قال: هي محال ؛ لأن الجنات لا تكون من النخل[١].

أو ما قاله أبو البقاء العكبري : ولا يجوز أن يكون معطوفاً على قنوان؛ لأنّ العنب لا يخرج من النخل[٢].

الوجه الثالث : في إعراب ﴿ جَنَّٰت ﴾ قولان[٣]:

فوعة بالابتداء ، والخبر محذوف ، في تقديره أقوال منها أحدهما : مر ما ذكره القاضي بقوله: (ولكم جنات) وقيل: من الكرم جنات[٤] ، وقيل: ولهم جنات [٥]، وقيل: وثم جنات[٦] ، وهذا كله الخبر فيه متقدم.

قال النحاس – بعد أن قدر الخبر (ولهم جنات) – : وأجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء[٧].

وقُدِّر أيضاً الخـــبر متأخراً ، وقيل في تقـــديره : وجنات من أعناب

---

(١) انظر إعراب القرآن (٨٦/٢).

(٢) انظر التبيان (٥٢٥/١).

(٣) قد ترى في بعض المراجع: ثلاثة أقوال، وإنما هي في الحقيقة قولان. كما ذكر الزمخشري. انظر الكشاف (٣٩/٢، ٤٠).

(٤) انظر التبيان (٥٢٥/١).

(٥) انظر إعراب القرآن (٨٦/٢).

(٦) انظر الكشاف (٣٩/٢، ٤٠).

(٧) إعراب القرآن (٨٦/٢).



أخرجناها(١).

الثاني : أن ﴿ جَنَّٰت ﴾ مرفوعة عطفاً على ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ وقد اختلف أهل العلم في قبول عطفه على ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ .

فمنهم من رأى ذلك جائزاً ، وعلى رأس هؤلاء الإمام الطبري ، واحتج له بالبيت الذي تقدم ذكره ووجه الحجة فيه على رأي الإمام الطبري أن الرمح ليس من جنس السيف وقد عطف عليه ، فكذلك جنات الأعناب ليست من جنس قنوان النخل ومع ذلك يجوز عطفها عليه.

وكذلك الفراء يرى جواز هذا القول حيث قال : ((ولو رفعت الجنات تتبع القنوان كان صواباً))(٢).

وكذلك أعربه أبو منصور الأزهري(٣).

وانتصر محمود بن حمزة الكرماني لأصحاب هذا القول فقال: ((وقول من قال: ((لا وجه للرفع؛ لأنه لا يكون من النخل جنات فكلام لا طائل تحته))(٤).

وهذا الوجه قبله الزمخشري مع تقدير مناسب ليستقيم المعنى فقال:

(١) انظر الدر المصون (٥/٧٦).

(٢) معاني القرآن (١/٣٤٧).

(٣) انظر علل القراءات (١/١٩٣، ١٩٤).

(٤) غرائب التفسير (١/٣٧٧).



«والثاني: أن يعطف على قنوان على معنى : وحاصله ، أو مخرجه من النخل قنوان – وجنات من أعناب – أي من نبات أعناب»[١].

وكذلك فعل أبو حيان ، ومن كلامه في ذلك «... وهذا العطف على أن لا يلاحظ فيه قيد ﴿ مِنَ ٱلنَّخْلِ ﴾ ... كما تقول: من بني تميم رجل عاقل ، ورجل من قريش منطلقان»[٢].

وفريق ثان لم ير هذا القول ، أو رأى أنه ضعيف لا ينبغي أن تحمل عليه هذه القراءة ، وقد تقدم النقل عن بعض هؤلاء عند بيان وجه تضعيف القاضي ما ذهب إليه الإمام الطبري ، وعلة عدم جواز هذا القول عند هؤلاء هو ما تقدم – أيضاً – من أن الجنات إنما تكون من الأعناب ، لا من النخل.

قال الإمام مكي بن أبي طالب: «... ولا يجوز عطفه على ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ لأن الجنات لا تكون من النخل»[٣].

وقال ابن الأنباري : «... وقيل : هو معطوف على قوله : ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وأنكره قوم، وقالوا: لا يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ قِنْوَانٌ ﴾؛ لأن الجنات لا تكون من النخيل»[٤].

---

(١) الكشاف (٢/٤٠).

(٢) البحر (٤/١٩٤).

(٣) مشكل إعراب القرآن (١/٢٦٤).

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٣٣).



وبعد : فالقول الواضح في إعراب ﴿ جَنَّٰتٌ ﴾ على قراءة الرفع أن تكون مرفوعــة على الابتداء كما ذكر القاضي ومن معه ، إلا أن القول الآخر الذي ذهب إليه الإمام الطبري يصح أيضاً لكن لابد من مقدر مناسب ليستقيم المعنى وإلى هذا ذهب أبو حيان والزمخشري ، كما تقدم.

ولعل القاضي لو ظهر له هذا التقدير الذي ذكره الزمخشري ما ضعف هذا القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، قال السمين : «وقد ذكر الطبري ... عطفها على ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ وضعفه ابن عطية ، كأنه لم يظهر له ما ظهر لأبي القاسم من المعنى المشار إليه»[1].

١٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2] قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ فقال بعضهم : معناه : لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها... واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا ، بأن قالوا : إن الله قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ﴾[3]

(١) الدر المصون (٥/٧٧) ويريد بالمعنى المشار إليه ، هو ما ذكره الزمخشري من مقدر مناسب يستقيم المعنى عليه.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩٠.



قالوا: فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً . قالوا : فمعنى قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ بمعنى لا تراه بعيد[١]؛ لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى ﷺ لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون :﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[٢] لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﷺ أنهم لا يدركون لقوله :﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾[٣] قالوا : فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه، ويدركه ولا يراه ، فكان معلوماً بذلك أن قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك : لا تحيط به الأبصار ؛ لأن الإحاطة به غير جائزة»[٤].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري

---

(١) «بعيد» هكذا في جميع النسخ التي وقفت عليها من جامع البيان. ولعله «بعين» .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٣) سورة طه ، الآية : ٧٧.

(٤) جامع البيان (١٢/١٣، ١٤، ١٥).



ما ذهب إليه من الاستدلال بآية الشعراء على التفريق بين الرؤية والإدراك، فقال – بعد أن ذكر أن أهل السنة يثبتون الرؤية ويحملون آية الأنعام على نفي الإحاطة ، أو أن ذلك — أي عدم الرؤية – مخصوص بالدنيا – : «وأما الطبري – رحمه الله – ففرق بين الرؤية والإدراك ، واحتج بقول بني إسرائيل: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(١) فقال: إنهم رأوهم ولم يدركوهم. قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه : وهذا كله خطأ ؛ لأن هذا الإدراك ليس بإدراك البصر، بل هو مستعار منه ، أو باشتراك»(٢).

تحرير محل الاستدراك : أن الإمام الطبري يجعل الرؤية شيئاً والإدراك شيئاً ويستدل على ذلك بقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(٣) فأخبر الله أن الجمعين رأى بعضهم بعضاً، لكن لم يدرك الأعداء قوم موسى عليه السلام بدليل أن الله تعالى قد قال في آية أخرى : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾(٤).

ويجعل الإمام الطبري هذا دليلاً له على أن نفـــي الإدراك في قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا يدل على نفي الرؤية.

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٢) المحرر الوجيز (١٢٣/٦).

(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٤) سورة طه ، الآية : ٧٧.



وأبو محمد ابن عطية - وإن كان من المثبتين للرؤية - إلا أنه يرى أن الإدراك المذكور في آية الشعراء ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[(١)] غير الإدراك المذكور في قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ إذ مصدر كل منهما يختلف عن الآخر. ففي آية الأنعام مصدر الإدراك حاسة البصر، وفي آية الشعراء مصدره إحاطة الأعداء بهم .

والحق - إن شاء الله تعالى - أن استدلال الإمام الطبري على هذا النحو الذي تقدم استدلال صحيح لا خطأ فيه ، يشهد بصحة ذلك كلام أهل اللغة في معنى الإدراك ، وموافقة العلماء له على ذلك ، واعتراف ابن عطية نفسه أن بين الإدراكين علاقة اشتراك أو مجاز.

أما كلام أهل اللغة في معنى «درك» فقد قال ابن فارس : «الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لحوق الشيء بالشيء ، ووصوله إليه . يقال: أدركت الشيء أدركه إدراكاً...»[(٢)].

وفي المعجم الوسيط : «أدرك ... الشيء لحقه وبلغه وناله ... والشيء ببصره رآه ، والمعنى بعقله فهمه»[(٣)].

وقال الزجاج – عنـد آية الأنعـام -: «فأما ما جاء من الأخبار في

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦٩) «درك».

(٣) المعجم الوسيط (١/٢٩١) «درك».



الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع. وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأن معنى هذه الآية ، معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته»[١].

إذاً يفهم من كلام أهل العلم المتقدم أن «الإدراك» لحوق الشيء والوصول إليه والإحاطة بحقيقته، وهذا هو المنفي في آية الأنعام وهو أيضاً المقصود بما ذكره الله من مقالة قوم موسى بقوله: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[٢] أي لاحق بنا فرعون وجنوده ومحيطون بنا[٣].

يبقى الفرق بين الإدراكين من حيث المصدر ، ففي آية الأنعام مصدر الإدراك البصر ، وفي آية الشـــعراء مصـــدر الإدراك ما هو أعم من البصـــر[٤].

وإذا كان صدور الإدراك عن البصر لا تخلو منه آية الشعراء لم يبق للقاضي ابن عطية حجة على الإمام الطبري.

وأما موافقة العلماء للإمام الطبري فهذا موجود من أئمة في التفســـير

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧٩).

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٦١.

(٣) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص(١٧٢) ، والتفسير الكبير (١٣/١٠٤)، والانتصاف (٢/٤٧).

(٤) وقولي «مصدر الإدراك ما هو أعم من البصر» إذ البصر له علاقة في إدراك فرعون وقومه لقوم موسى عليه السلام ، إذ لو كان هؤلاء الأعداء لا يبصرون لم يبق لقول أصحاب موسى ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وجه.



والعقيدة ، فإنهم قد استدلوا على نحو ما استدل وسلكوا المنهج الذي سلك[١].

وأما اعتراف القاضي ابن عطية أن بين الإدراكين علاقة ففي قوله : «لأن هذا الإدارك ليس بإدراك البصر ، بل هو مستعار منه ، أو باشتراك».

أقول : إذا كان الإدراكان يشتركان في ما يبنى عليه القياس وهي العلة صح أن تقاس آية الأنعام على آية الشعراء . والله أعلم.

١٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٢] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعني القرآن . سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان. ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ يقول: كملت كلمة ربك من الصدق والعدل»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري

---

(١) انظر معالم التنــزيل (٢/١٢٠)، والتفسير الكبير (١٣/١٠٤)، وتفسير الخازن (٢/١٦٧)، والانتصاف (٢/٤٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/٢١٥).

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١١٥.

(٣) جامع البيان (١٢/٦٢).



تفسيره للكلمة بالقرآن الكريم فقال: «وذهب الطبري إلى أنه القرآن ، كما يقال: كلمة فلان في قصيدة الشعر والخطبة البليغة . قال القاضي أبو محمد : وهذا عندي بعيد معترض ، وإنما القصد العبارة عن نفوذ قوله تعالى صدقاً في ما تضمنه من خبر ، وعدلاً في ما تضمنه من حكم»[١].

هذا قول الإمام الطبري واســـتدراك القاضي عليه ورأيه هو في معنى ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾.

فإذا رجعنا إلى تفسير أهل العلم لقوله : ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ ﴿ كلمات ربك﴾ نجد أنهم قد اختلفوا فيها على أقوال هي:

١- أن المراد بـــ ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أو ﴿ كلمات ربك ﴾ القرآن الكريم روي ذلك عن قتادة ، وهو ما ذهب إليه الإمام الطبري.

٢- أن المراد : أقضيته وعداته.

٣- أن المراد : وعده ووعيده ، وثوابه وعقابه[٢].

٤- وذهب الزمخشري إلى تفسيرها بقوله : تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد ، وأوعد[٣].

---

(١) المحرر الوجيز (٦/١٣٦).

(٢) ذكر الثلاثة الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١١١) على قراءة الجمع. وقد قال بعض أهل العلم: إن قراءة الإفراد بمعنى الكثرة . انظر الحجة (٣/٣٨٩) ، والكشف (١/٤٤٨).

(٣) الكشاف (٢/ ٤٦) وتفسيره هذا على قراءة الجمع ، ولا يبعد أن الزمخشري يريد =



٥- وذهب أبو محمد القاضي ابن عطية إلى التفريق بين معنى القراءتين المتواترتين فقال في قراءة الجمع[١]﴿ كلمات ﴾ : والكلمات ما نزل على عباده [٢]. وقال في قراءة الإفراد[٣]﴿ كَلِمَتُ ﴾ ما قد رأيت سابقاً من قوله : وإنما القصد العبارة عن نفوذ قوله تعالى.

٦- وذهب بعضهم[٤] إلى أن المراد بـــ «الكلمة» دين الله تعالى ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾[٥].

وقد رجح ابن عاشور ما ذهب إليه الإمام الطبري ، وذكر أن ذلك قول جمهور المفسرين فقال – بعد ذكر القراءات في ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ : «قيل المراد بالكلمات ، أو الكلمة القرآن وهو قول جمهور المفسرين ونقل عن قتادة ، وهـــو الأظهـــر المناســـب ؛ لجعل الجملة معطوفة على جملة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٦] ... واستبعد ابن عطية أن يكون المراد

=

من قوله هذا تثبيت بدعته من أن أهل الكبائر من الموحدين يخلدون في النار.

(١) وهي قراءة الجمهور . انظر النشر (٢/٢٦٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٦/١٣٦).

(٣) وبها قرأ الكوفيون ويعقوب . انظر النشر (٢/٢٦٢).

(٤) نسبه الألوسي في روح المعاني (٨/١٠) إلى أبي مسلم المعتزلي.

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠.

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١١٤.



من ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ بالجمع أو الإفراد القرآن[1]، واســـتظهر أن المراد منها : قول الله : أي نفذ قوله وحكمه ... لكن السياق يشهد بأن تفسير الكلمات بالقرآن أظهر»[2].

وبعد : فيظهر أن قول الإمام الطبري ليس ببعيد ، ولا يتوجه عليه اعتراض ابن عطية ، لما ذكره ابن عاشور من دلالة السياق عليه ، ويضاف إلى ما قال ابن عاشور في مناسبة السياق لقول الإمام الطبري أن الله سبحانه وتعالى قال - منكراً على الكفار في ابتغـــاء حكم غير الله -:﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾[3] ثم قال على إثر ذلك: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ فهذا إشارة إلى ما تضمنه الكتاب الذي أنزله الله مفصلاً من الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام.

ثم هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، هو قول جمهور المفسرين على ما نقل صاحب التحرير والتنوير[4] . وهذا مما يقوي اتجاه الإمام الطبري.

---

(١) لا يظهر استبعاد دخول القرآن على قراءة الجمع في ما فسرها به القاضي ، وراجع نص كلامه.

(٢) التحرير والتنوير (٨/١٨، ١٩).

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١١٤.

(٤) انظر التحرير والتنوير (٨/١٨) ، وقد تقدم نقل ذلك قريباً.



ويمكن أن يجمع بين ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية ، فيقال: قول القاضي ابن عطية هو عبارة عن نفوذ قول الله تعالى ليس ببعيد من قول الإمام الطبري إنه القرآن الكريم إذ القرآن الكريم من قول الله الذي نفذ صدقاً في ما تضمنه من أخبار ، وعدلاً في ما تضمنه من أحكام . والله أعلم.

١٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١] -:«والصدق والعدل نصبا على التفسير[٢] للكلمة، كما يقال: عندي عشرون درهماً»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إعراب ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ على التمييز فقال: «وهما مصدران في موضع الحال . وقال[٤] الطبري : نصبا على التمييز . وهذا غير صواب»[٥].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة:

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٥.

(٢) يقصد بالتفسير التمييز . انظر شذور الذهب لابن هشام ص(٢٥٤).

(٣) جامع البيان (١٢/٦٢).

(٤) في المغربية «قال» والتصويب من القطرية (٥/٣٢٨).

(٥) المحرر الوجيز (٦/١٣٦).



الأول : أن يكونا مصدرين في موضع الحال ، أي تمت الكلمات صادقات في الوعد، عادلات في الوعيد . وهذا رأي أبي علي الفارسي[١]، وإليه ذهب ابن عطية.

الثاني : أنهما نصبا على التمييز - تمييز النسبة - أي تمت من جهة الصدق والعدل . وإلى هذا ذهب الإمام الطبري.

الثالث : أنهما نصبا على المفعول من أجله ، أي تمت لأجل الصدق والعدل الواقعين منهما[٢].

ولم يفصح أبو محمد عن سبب رده لما ذهب إليه الإمام الطبري ، وهذا على عادته - رحمه الله - في أكثر مسائل النحو التي تعقب الإمام الطبري فيها.

وقد التمس سليمان بن عمر المعروف بالجمل[٣] السبب في رد أبي محمد فقال : «وقوله[٤] : تمييز تبع فيه أبا البقاء والطبري. قال ابن عطية :

---

(١) انظر الحجة (٣/٣٨٨).

(٢) ذكر هذه الثلاثة الأقوال العكبري في التبيان (١/٥٣٤) ، والبيضاوي في تفسيره (١/٣٢٨)، والسمين في الدر المصون (٥/١٢٤) وغيرهم.وقد أورد السمين على القول الثالث أنه محل نظر . الدر (٥/١٢٤).

(٣) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي ، المعروف بالجمل ، عالم له مؤلفات (ت : ١٢٠٤هـ). انظر الأعلام (٣/١٣١).

(٤) أي وقول الجلال السيوطي.



وهو غير صواب ، ولعل مراده أن كلمات الله من شأنها الصدق والعدل، والتمييز إنما يفسر ما انبهم ، وليس في ذلك إبهام»[1].

وقد أورد هذا الاستدراك أبو حيان وتلميذه السمين مجرد إيراد من غير تعقيب[2].

بينما أورد الشيخ ابن عاشور هذا الاستدراك وتعقبه فقال: «وانتصب ﴿ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ على الحال عند أبي علي الفارسي ، بتأويل المصدر باسم الفاعل ، أي: صادقة وعادلة ، فهو حال من كلمات ، وهو المناسب لكون التمام بمعنى التحقق.

وجعلهما الطبري منصوبين على التمييز ، أي تمييز النسبة . أي تمت من جهة الصدق والعدل فكأنه قال: تم صدقها وعدلها ، وهو المناسب لكون التمام بمعنى بلوغ الشيء أحسن ما يطلب من نوعه . وقال ابن عطية : هذا غير صواب. وقلت : لا وجه لعدم تصويبه»[3].

وبعد : فالوجهان - الحال والتمييز - معتبران في إعراب ﴿ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ ، ولا يرد استدراك أبي محمد على الإمام الطبري لما قال ابن عاشـــور من أن إعرابهما تمييز مناســـب لكون التمام بمعنى بلوغ الشيء

---

(١) الفتوحات الإلهية (٨١/٢).

(٢) انظر البحر (٢١٢/٤)، والدر المصون (١٢٤/٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٩/٨).



أحسن ما يطلب من نوعه.

ولأن إعرابهما تمييز لا يحتاج إلى تكلف تقدير وهذا مما يقوي اتجاه الإمام الطبري . قال سليمان بن عمر الجمل - بعد أن ذكر الوجهين (التمييز والحال) - : «وعلى الأول يكون الصدق باقياً على معناه الحقيقي؛ لأن المعنى تمت من جهة الصدق والعدل ، وعلى الثاني يكون بمعنى الصادق والعادل»[1].

١٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم ، أيها الناس ، في هاتين الآيتين من قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[3] وأمركم بالوفاء به ، هو صراطه ، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده»[4].

---

(١) الفتوحات الإلهية (٨١/٢).

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١.

(٤) جامع البيان (٢٢٨/١٢).



ورأى أبو محمد أن الإشارة إلى ما هو أعم فقال: «الإشارة هي إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ بجملته . وقال الطبري : الإشارة هي إلى هذه الوصايا التي تقدمت من قوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [١] »[٢].

هذا الاستدراك يؤخذ بالإشارة من كلام القاضي لا بالنص الصريح.

وقد اختلف أهل العلم في مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي ﴾ على أربعة أقوال، ذكرها أبو حيان بقوله : «والإشارة بـــ ﴿ هَـٰذَا ﴾ إلى الإسلام ، أو القرآن ، أو ما ورد في هذه السورة؛ لأنها كلها في التوحيد وأدلة النبوة ، وإثبات الدين ، أو إلى هذه الآيات التي أعقبتها هذه الآية؛ لأنها المحكمات التي لم تنسخ في ملة من الملل . أقوال أربعة»[٣].

وهذه الأقوال الأربعة متفرقة في كتب التفاسير فبعضهم يذكر واحداً منها ، وبعضهم يذكر اثنين، وبعضهم يذكر ثلاثة [٤]، وقل من جمعها كما فعل أبو حيان.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١.

(٢) المحرر الوجيز (١٨٢/٦).

(٣) البحر المحيط (٢٥٤/٤).

(٤) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٥٢٤/١)، ومعالم التنـــزيل (١٤٢/٢)، والنكت والعيون (١٨٨/٢) ، وروح المعاني (٥٦/٨).



ثم هذه الأقوال الأربعة كلها محتملة ، وأولاها - بحمل الآية عليه - ما قاله أبو محمد ، ثم من قال إنه القرآن ، ثم ما قاله الإمام الطبري.

وأجد نفسي تجنح إلى المعنى الذي ذكره أبو محمد - وهو أن اسم الإشارة راجع إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ بجملته - وذلك لأسباب منها:

١- أن هذا القول شامل للأقوال الأخرى ، فهو محتو عليها ، ولا تحتوي عليه . فمن قال القرآن ، أو خصوص الوصايا ، أو ما ورد في هذه السورة فإنما هذا بعض الشرع الذي جاء به محمد ﷺ.

٢- هذا القول يشير إليه حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال : «هذا سبيل الله مستقيماً» قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ »[1].

فيبعد أن يجعل رسول الله ﷺ سبيل الله كله هذه الوصايا بخصوصها ، أو هذه السورة بعينها، أو حتى القرآن بمفرده ، وإنما أراد - والله أعلم -

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٦٥/١) ، والحاكم في المستدرك (٣٤٨/٢، ٣٤٩) وصححه . وله شاهد من حديث جابر في سنن ابن ماجة (٦/١) المقدمة ح(١١) قال عنه الشيخ الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن ابن ماجة (٧/١).



جملة الشرع الذي جاء به ﷺ وهو الإسلام بدليل أنه قد ذكر ما هو ضده وهي سبل الشيطان . ونصوص القرآن والسنة إذا احتملت العموم والخصوص كان حملها على العموم أولى ؛ لأنه الأصل.

٣- ولأن هذا القول يلائمه سياق الكلام ، وهو ما ذكره الله تعالى من النهي عن اتباع سبل الشيطان ذكر نحو هذا الألوسي في تفسيره[1] . وقد أشرت إلى تقريره في وجه الاستدلال بالحديث.

٤- ولما قال الفخر الرازي : «أنه تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه ، ودخول سائر الشريعة فيه فقال : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ فدخل فيه كل ما بينه الرســـول ﷺ من دين الإســـلام ، وهو المنهج القويم والصراط المستقيم»[2] .

وهذا ترجيح بمناسبة الآية لما قبلها.

١٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى -: «القول في تأويل قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : من

(١) انظر روح المعاني (٥٦/٨).

(٢) التفسير الكبير (٤/١٤).

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٦٠ .



وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً[١] بالتوبة والإيمان والإقلاع عن ما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري قصره الآية على التائبين من الذين فرقوا دينهم ، فقال : «وقال الطبري : قوله: ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ الآية يريد من الذين فرقوا دينهم، أي من جاء مؤمناً فله الجنة . قال القاضي أبو محمد : والقصد بالآية إلى العموم في جميع العالم أليق باللفظ»[٣].

مـــا ذكره الإمام الطبري وابن عطية قولان من ثلاثة ، والثالث: أنها تختص بالأعراب الذين أسلموا [٤] .

وما ذهب إليه الإمام ابن عطية هو الظاهر دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال المفسرين:

١– أما الكتاب، فقول الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ و ﴿ من ﴾

---

(١) يعني من الذين ذكرهـــم الله بقولـــه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ سورة الأنعام ، الآية: ١٥٩.

(٢) جامع البيان (٢٧٤/١٢).

(٣) المحرر الوجيز (١٩١/٦).

(٤) ذكر الثلاثة أبو حيان . انظر البحر (٢٦٢/٤)، وذكر الماوردي في النكت (١٩٣/٢) قولين : أحدهما العموم ، والثاني: أنها في الأعراب.



شـــرطية تدل على العموم . وهي من ألفاظه المتعارف عليها في أصول الفقه[١].

٢- وأما السنة فقد جاءت الأحاديث الكثيرة[٢] دالة على المعنى الذي جاء في الآية الكريمة وبألفاظ العموم، التي لا تعطي مجالاً لحملها على فئة معينة من العاملين ، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزِيدُ . ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ...»[٣].

٣- وأما أقوال المفسرين ، فقد جاء عن طائفة منهم ألفاظ تدل على أن الآية محمولة على العموم ، فمن ذلك قول الإمام أبي حيان : « وظاهر ﴿ من جاء ﴾ العموم »[٤].

وقال ابن جزي : «فضل عظيم على العموم في الحسنات وفي العاملين»[٥].

---

(١) انظر روضة الناظر (٢/١٢٣، ١٢٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/١٩٧) ، وتفسير الخازن (٢/٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٠٦٨) ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ، ح(٢٦٨٧).

(٤) البحر المحيط (٤/٢٦٢).

(٥) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٥٠).



وقدم الماوردي العموم في الذكر على غيره[1].

وعلى حمل الآية على العموم مشى طائفة من المفسرين غير من ذُكر[2].

---

(١) انظر النكت والعيون (٢/١٩٣).

(٢) انظر الوسيط (٢/٣٤٢)، وتفسير أبي السعود (٣/٢٠٦) ، والفتوحات الإلهية (٢/١١٦)، وفتح القدير (٢/١٨٣)، وروح المعاني (٨/٦٨، ٦٩). والعموم مستفاد من ألفاظهم في تفسير الآية ، لا أنهم تعرضوا لبحث هذه المسألة.





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٨٩)

استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز

على الطبري في جامع البيان

عرضاً ودراسة

تأليف
أ.د/ شايع بن عبده بن شايع الأسمري

المجلد الثاني

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ




بسم الله الرحمن الرحيم


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies
تفسير

سورة الأعراف



سورة الأعراف

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾[(١)] - : «... جهل عدو الله وجه الحق ، وأخطأ سبيل الصواب ، إذ كان معلوماً أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علواً ، والذي في جوهره من ذلك هو الذي حمل الخبيث - بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق - على الاستكبار عن السجود لآدم ، والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطب والهلاك ... وكان معلوماً أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء ، والتثبت ، وذلك الذي هو في جوهره من ذلك كان الداعي لآدم - بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق - إلى التوبة من خطيئته ، ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان : (أول من قاس إبليس)[(٢)] يعنيان بذلك القياس الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله ، وبعده من إصابة الحق...»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية- رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) سيأتي إن شاء الله تخريج هذا الأثر في المسألة التي بعد هذه.

(٣) جامع البيان (١٢/٣٢٧).



ما ذهب إليه من ترجيح فضل آدم على إبليس بما ذكر من مزايا لمادته التي خلق منها وهو الطين ، فقال : «وظن إبليس أن النار أفضل من الطين ، وليس كذلك ، بل هما في درجة واحدة من حيث هما جماد مخلوق ، فلما ظن إبليس أن صعود النار وخفتها يقتضي فضلاً على سكون الطين وبلادته قاس أن ما خلق منها أفضل مما خلق من الطين فأخطأ قياسه ، وذهب عليه أن الروح الذي نفخ في آدم ليس من طين . قال الطبري : ذهب عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب ، وما في الطين من الوقار والأناة والحلم والتثبت . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي كلام الطبري نظر»[1].

وجه استدراك القاضي على الإمام الطبري في هذه المسألة أن تفضيل آدم على إبليس لا يظهر بتفضيل عنصر الطين على عنصر النار ، إذ لكل منهما فوائد ليست للآخر وهما في درجة واحدة من حيث هما جماد مخلوق.

وأهل التفسير تكاد كلمتهم تجمع على تفضيل عنصر آدم وهو الطين، على عنصر إبليس – لعنه الله – وهو النار ، أي أنهم يذكرون نحو التعليل الذي ذكره الإمام الطبري[2].

---

(١) المحرر الوجيز (٥/٤٤٢). ومن هذه المسألة إلى آخر الاستدراكات اعتمدت على النسخة القطرية، إلا في مسائل قليلة، بينت طبعتها في الحواشي.

(٢) انظر – على سبيل المثال – تفسير القرآن للسمرقندي (١/ ٥٣٣) ، ومعالم =



وهناك من يقول : لكل منهما فوائد لا توجد في العنصر الآخر ، ويذكر تفضيل النار على الطين(١).

وعلى كل حال أنا أوافق أبا محمد إن أراد أن تفضيل آدم إنما هو بغير هذه الناحية التي ذكرها الإمام الطبري - وغيره من المفسرين - وذلك للأسباب التالية:

١- أن كلاً من التراب والنار يختص بفوائد ليست لغيره ، وكلاً منهما ضروري في هذه النشأة، ولكل منهما فضيلة في مقامه وحاله ، فترجيح بعضها على بعض تطويل بلا طائل(٢).

٢- أننا لن نعدم من ينازعنا في الترجيح بهذه الناحية - ناحية العناصر - فيقول النار أفضل ؛ لأنها مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس ، ولأنها قوية التأثير والفعل ، ولأنها مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة، ولأنها تضيء ، ولأنها زكية لا تلصق بها الأقذار(٣).

٣- ولأن التفضيل بالعناصر تشبه بمنهج إبليس الذي كان السبب في

=

التنــزيل (٢/١٥٠، ١٥١)، وزاد المسير (٣/١٧٤)، والجامع لأحكام القرآن (٧/١٧١)، وتفسير الخازن (٢/٢١٣) ، وتفسير النسفي (٢/ ٤٦) ، وتفسير ابن كثير (٢/٢٠٤)، وفتح القدير (٢/١٩١).

(١) انظر روح المعاني (٨/٨٩)، والتحرير والتنوير (٢/٨/٤٢).

(٢) انظر روح المعاني (٨/٨٩).

(٣) انظر التفسير الكبير (١٤/٢٨)، والتحرير والتنوير (٢/٨/٤٢).



شقاوته وإبعاده . قال العلامة البيضاوي وأبو السعود : «ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر ، وزل عنه ما من جهة الفاعل ، كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[1] أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به ، وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2] وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض ، وأن له خواص ليست لغيره»[3].

فالحاصل أن تفضيل آدم إنما هو بما ورد النص به كما أشار إليه العلماء ، ومنهم الإمام الطبري نفسه وابن عطية[4] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فإنه قد استدل بالآيتين اللتين ذكرهما البيضاوي وأبو السعود على تفضيل آدم ، وقرر وجه الدلالة من آية الحجر بقوله: «فعلّق السجود بأن ينفخ فيه من روحه فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشـــريف الذي ليس لإبليس مثله»[5].

---

(١) سورة ص ، الآية : ٧٥.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩.

(٣) تفسير البيضاوي (٣٤٣/١)، وتفسير أبي السعود (٢١٦/٣). والنص من الثاني.

(٤) انظر جامع البيان (٣٢٧/١٢)، والمحرر الوجيز (٤٤٢/٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/١٥).



٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾[1] - : «... كان الحسن وابن سيرين يقولان : «أول من قاس إبليس »[2] يعنيان بذلك : القياس الخطأ»[3].

ثم أورد نص كلام الحسن وابن سيرين فساق بسنده إلى الحسن أنه قال: «قاس إبليس ، وهو أول من قاس»[4].

وساق بسنده إلى ابن سيرين أنه قال : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس»[5].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الحسن وابن سيرين يعنيان القياس الخطأ ، فقال - بعد أن أورد كلام ابن سيرين ونسبه إلى الحسن أيضاً - : «قال الطبري: يعني القياس

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢ .

(٢) يأتي تخريجه - إن شاء الله - قريباً.

(٣) جامع البيان (١٢/٣٢٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٣٢٨) عن مطر الوراق عن الحسن . وقال ابن كثير - في تفسيره (٢/٢٠٤) بعد أن أورده بسند الطبري - : إسناد صحيح.

(٥) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (١٢/٣٢٨) عن هشام عن ابن سيرين . وقال ابن كثير - في تفسيره (٢/٢٠٤) ، بعد أن أورده بسند الطبري - : إسناد صحيح أيضاً.



الخطأ . ولا دليل من لفظهما عليه ، ولا يتأول عليهما إنكار القياس ، وإنما خرج كلامهما نهياً عن ما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم ، فأرادا حمل الناس على الجادة»[١].

هذا ما رأى الإمام الطبري أن يحمل عليه كلامهما ، واستدراك القاضي عليه.

وقد ذكر بعض المفسرين قول الإمام الطبري في تفسير كلامهما على أنهما قالا ذلك ، فقال: كان الحسن وابن سيرين يقولان : أول من قاس إبليس فأخطأ[٢].

ولا أدري هل اعتمد من نسب ذكر الخطأ عنهما على رواية مأثورة ، أو يكون اختلط عليه كلام الطبري بكلامهما ، فأسند كل ذلك إليهما.

ثم نقف مع نص أبي محمد ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى مع قوله : «ولا دليل من لفظهما عليه» وهذا صحيح ، لأن لفظهما مطلق في ذم القياس، فالقول إنهما أرادا قياس الخطأ ليس ظاهراً.

الوقفة الثانية مع قوله : «ولا يتأول عليهما إنكار القياس» هذا فيه نظر ، فقد نقل العلماء كلامهما هذا في معرض ذم القياس ورده ، فابن حزم الأندلسي – وهو من نفاة القياس –يستدل بما قاله ابن سيرين على

---

(١) المحرر الوجيز (٥/٤٤٢).

(٢) انظر تفسير الخازن (٢/٢١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٧/١٧١).



نفي القياس ورده [١]. وابن القيم[٢] – وهو من مثبتة القياس – قال: «فصل: وكذلك أئمة التابعين وتابعوهم يصرحون بذم القياس وإبطاله والنهي عنه»[٣] ويورد على هذا أمثلة، وأولها قول ابن سيرين المتقدم[٤].

الوقفة الثالثة، مع قوله: «وإنما خرج كلامهما نهياً عن ما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم» وهذا في نظري لا فرق بينه وبين قول الإمام الطبري – «يعنيان القياس الخطأ» – إلا في اللفظ، وإلا فالمعنى واحد. إذ أقيسة الخوارج تصنف في القياس الخطأ.

فالحاصل أن اللفظ المنقول عن الحسن وابن سيرين ظاهره إنكار القياس، وهو محمول على إنكار القياس الخطأ إذ قد جاء كلامهما في معرض ذلك، وإن كان لا دليل من لفظهما على هذا الحمل، إلا أنه أقرب ما يقال.

٣- ساق الإمام الطبري – رحمه الله تعالى بسنده، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام (٣٢/٨).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، العلامة المجتهد درس بالصدرية، وأم بالجوزية (ت: ٧٥١هـ) انظر البدر الطالع (١٤٣/٢).

(٣) إعلام الموقعين (٣٢٢/١).

(٤) انظر المصدر السابق (٣٢٢/١). ولعل ابن القيم يحمل كلام هؤلاء على نفي القياس الباطل.



ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] - عن البراء بن عازب[2] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾»[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٤٠ .

(٢) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري ، من أعيان الصحابة (ت: ٧٢هـ) انظر السير (٣/١٩٤).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٤) من طريق شيخه أبي كريب ، قال حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش عن المنهال ، عن زاذان عن البراء عن رسول الله ﷺ . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ، لأن رجاله إما ثقات وإما صادقون، وعنعنة الأعمش لا تضر لأنه قد صرح بالسماع عند أحمد والحاكم. انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول برقم (٦٢٠٤)، والثاني برقم (٧٩٨٥)، والثالث برقم (٢٦١٥)، والرابع برقم (٦٩١٨) ، والخامس برقم (١٩٧٦). والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٨٧، ٢٨٨) من طريق ابن نمير عن الأعمش به ، ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش بأطول من هذا ، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده من طريق أبي عوانة عن الأعمش به ص (١٠٢) رقم (٧٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٩٣، ٩٤) من طريق ابن =

وساق بسنده أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، قال: فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله. وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق[1] وآخر من شكله أزواج. فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقولون : فلان. فيقولون : لا مرحباً بالنفس الخبيثة

=

نمير وأبي معاوية عن الأعمش به وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعاً بالمنهال بن عمرو ، وزاذان أبي عمر الكندي ... وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته (٩٦/١) . وأخرجه أيضاً الآجري في الشريعة ص(٣٦٧، ٣٦٨) قال : حدثنا الفريابي ، قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش. وقال الشيخ الألباني - بعد أن نقل تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي له - : وهو كما قالا. انظر أحكام الجنائز وبدعها ص(١٥٩).

(١) الغساق - بتخفيف السين وتشديدها - هو ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٦/٣).

كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر»[١].

ثم أسند أن هناك حديثاً آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه[٢].

وعقب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على هذه الآثار ، ولم يوردها، بقولـه : «وذكر الطبري في كيفية قبض روح المؤمن والكافر آثاراً اختصرتها إذ ليست بلازمة في الآية ، وللين أسانيدها أيضاً»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٤، ٤٢٥) من طريق شيخه أبي كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ؛ لأن رجاله إما ثقة ، وإما صدوق. انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول برقم (٦٢٠٤)، والثاني برقم (٤٤٩٤)، والثالث برقم (٦٠٨٢)، والرابع برقم (٦١٨٧)، والخامس برقم (٢٤٢٣). وهذا الحديث أشار إليه الحاكم في المستدرك (١/٩٥) من طريق أبي حازم عن أبي هريرة .

(٢) ساق إسناده الإمام الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٥) - ولم يذكر لفظه - فقال: حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: حدثنا ابن أبي فديك ، قال : حدثني ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه . وهذا الإسناد - في نظري - حسن ؛ لأن رجاله إما ثقة ، وإما صدوق. انظر في حال هؤلاء الرجال تقريب التهذيب الأول برقم (٦٠٢٨)، والثاني برقم (٥٧٣٦)، والثالث برقم (٦٠٨٢)، والرابع برقم (٦١٨٧)، والخامس برقم (٢٤٢٣).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٥٠٢).



فهذا التعقيب يفهم منه أنه يقول: ذكر الطبري آثاراً ليست لازمة في الآية ، وهي أيضاً لينة الأسانيد، وما كان كذلك فعدم ذكره هو الصحيح.

وهذا الفهم يدل على صحته أنه أعرض عن ذكر شيء من ذلك في تفسيره.

أقول : إن كان ما ذكرته هو مقصد أبي محمد فالمسألة داخلة في الاستدراكات ، وتبحث من وجهين:

الوجه الأول : قول أبي محمد : هذه الآثار ليست بلازمة في الآية.

معنى هذا أن ابن عطية يرى أن الآية لم تشر إلى كيفية قبض روح المؤمن والكافر فذكر هذه الآثار التي أشارت إلى كيفية قبض روح المؤمن والكافر عند الآية لا يلزم.

وقد أورد جماعة من المفسرين هذه الآثار ، أو بعضها عند تفسير هذه الآية[1] ، فهؤلاء يتفق رأيهم مع رأي الإمام الطبري أن هناك علاقة بين الآية والآثار ، إلا أنني لم أر في ما اطلعت عليه من يبين هذا.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هناك علاقة بين الآية والآثار،

---

(١) انظر معاني القرآن الكريم (٣/٣٤، ٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٢٠٦) ، وتفسير الخازن (٢/٢٢٨)، والبحر المحيط (٤/٢٩٩)، وتفسير ابن كثير (٢/٢١٤، ٢١٥)، وغرائب القرآن (٨/٩٤) ، والدر المنثور (٢/٨٣) ، والفتوحات الإلهية (٢/١٤١)، وروح المعاني (٨/١١٨).



وليست من ناحية كيفية قبض روح المؤمن والكافر ، وإنما هي من ناحية أن الآية دلت على أن روح الكافر لا تفتح لها أبواب السماء[١] ، وبمفهومها المخالف على أن روح المؤمن تفتح لها أبواب السماء وقد دلت الآثار على ما دلت عليه الآية الكريمة.

ومن هنا ذكر الإمام الطبري وغيره من أهل العلم هذه الآثار ، عند هذه الآية الكريمة.

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ليس وارداً في فرع هذه المسألة.

الوجه الثاني : وصف أبي محمد أسانيد هذه الآثار التي أوردها الإمام الطبري باللين ، ولا شك أن لين الإسناد قدح في الأثر يعطل الاحتجاج به على معنى الآية ، لكن هذه الآثار تبين لي من دراسة أسانيدها أنها حسنة إن شاء الله تعالى[٢].

وعلى الرغم من هذه النتيجة التي توصلت إليها فإطلاق القاضي ابن عطية أن أسانيدها لينة لا نستطيع دفعه ؛ لأن وجهات النظر تختلف في

---

(١) وقع الخلاف في معنى ﴿ لَا تُفَتَّحُ ﴾ فقيل لأعمالهم ، وقيل لدعائهم ، وقيل لأرواحهم، وهو المعتمد لمجيئه عن رسول الله ﷺ . وجمع الشوكاني بين المعاني الثلاثة بقوله : « ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح ، والدعاء ، والأعمال» فتح القدير (٢/٢٠٥).

(٢) انظر ذلك عند تخريجها.



بعض الرواة ، فالذي قال عنهم الحافظ صدوق ، قد يرى القاضي ابن عطية أنهم في درجة الضعف ، وينعت السند الذي جاءوا فيه بأنه ليِّن.

فالحاصل أن إيراد الإمام الطبري لهذه الآثار له وجه ، ولتعقيب القاضي ابن عطية وجه ، وكلاهما مأجور إن شاء الله تعالى.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾[(١)] - : «زاد في أجسامكم طولاً وعظماً على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم ، نعمة منه بذلك عليكم »[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله: إن الزيادة على قوم بأعيانهم ، فقال: «قال الطبري : المعنى : زادكم على قوم نوح ... قال القاضي أبو محمد - رحمه الله -: واللفظ يقتضي أن الزيادة هي على جميع العالم ، وهو الذي يقتضي ما يذكر عنهم . وروي أن طول الرجل منهم كان مئة ذراع ، وطول أقصرهم ستين ، ونحو هذا»[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٦٩ .

(٢) جامع البيان (١٢/٥٠٥).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٥٥١). وما ذكره أبو محمد بقوله: وروي ... إلخ من الإسرائيليات التي لا تصح .



حاصل الخلاف بين الإمامين أن أحدهما - وهو الإمام الطبري - يرى أن تحمل الآية على الخصوص، والثاني : يرى أن تحمل على العموم.

والمسألة موضع خلاف بين أهل العلم - إذا كان ﴿ ٱلْخَلْقِ ﴾ بمعنى المخلوقين - على أقوال حكاها أبو حيان بقوله : «وإذا كان ﴿ ٱلْخَلْقِ ﴾ بمعنى المخلوقين ، فالخلق قوم نوح ، أو أهل زمانهم ، أو الناس كلهم أقوال، وقيل الزيادة في الأجرام ، وهي ما تصل إليه يد الإنسان إذا رفعها، وقيل: الزيادة هي في القوة والجلادة لا في الأجرام...»[1].

قلت : جمع بعض المفسرين بين القولين - اللذين ذكرا في معنى الزيادة - بأن قوم هود قد اتصفوا بهما جميعاً وهذا رأي الإمام الطبري وغيره من المفسرين[2].

والذي يعنينا هل الزيادة عامة ، أو خاصة ؟ .

الذي يظهر - والله أعلم - أنها عامة كما قال ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكره أبو محمد من تعليل.

٢- ولأن الله تعالى قال : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

---

(١) البحر المحيط (٣٢٨/٤).

(٢) انظر معالم التنـزيل (١٧٠/٢)، وزاد المسير (٢٢٢/٣)، وتفسير البيضاوي (٣٥٥/١)، وتفسير الخازن (٢٤٨/٢)، ومحاسن التأويل (٥٨٣/٣).



ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[١].

ووجه الاستدلال بالآية أن الاستفهام في قوله :﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ إنكاري بمعنى لا أحد أشد منا قوة، وأقرهم الله على هذا فلم يذكر أن هناك من هو أشد منهم إلا هو سبحانه ، وهذا معناه العموم.

٣- وأيضاً قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ [٢].

فـ ﴿ إِرَمَ ﴾ فيها أقوال ، رجح الإمام الطبري أنها اسم قبيلة[٣].

و ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ فيها أقوال أيضاً، فقيل: قيل لهم ذلك لشدة أبدانهم وقواهم ، وقيل: قيل ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ لأنهم كانوا طوال الأجسام. وقيل: بل قيل لهم ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ لأنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى الكلأ حيث كان ورجح الإمام الطبري الآخرين[٤].

وعلى كل حال فالآية تشير إلى ما رجحه ابن عطية . والله أعلم.

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٥.

(٢) سورة الفجر ، الآية : ٦ ، ٧ ، ٨.

(٣) انظر جامع البيان (١٢/٥٦٧).

(٤) انظر المصدر السابق (١٢/٥٦٧، ٥٦٨).



٥- قال الإمام الطبري- رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[١] - : «ومنه قيل سحر المطر الأرض، إذا جادها[٢] فقطع نباتها من أصوله وقلب الأرض ظهراً لبطن ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة ، إذا أصابها ذلك»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في المعنى اللغوي لـــ «سحر» ، فقال: «قال الطبري : والسحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصوله ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة . قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وإنما سحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل»[٤].

إيراد ابن عطية كلام الطبري وتعقيبه عليه بهذه الصيغة يفيد أنه يقول: الطبري يذهب إلى أن سحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتـــها ويقلعـــه من أصله ، وإنما الصواب عندي أن يقال :

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٩ .

(٢) إذا جادها . أي إذا أصابها . انظر المعجم الوسيط (١٥١/١) «جاد».

(٣) جامع البيان (١٩/١٣).

(٤) المحرر الوجيز (٣٠/٦).



ســـحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل.

فابن عطية لم يصرح بنقد الطبري ، وإنما جاء بصيغة تؤدي مقصوده من غير تصريح.

والذي يبدو أن محل استدراك ابن عطية على الإمام الطبري أن ابن عطية يرى أن الطبري ذكر معنى لا يفيد فساد الأرض بالكلية ، وإنما فيه إبقاء عليها نوعاً ما.

وأنا أورد – في ما يلي – بعض أقوال أهل اللغة في المعنى المتنازع فيه، لعل ذلك يبين عن وجه الصواب في هذه المسألة.

قال الإمام الأزهري : «وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها . وغيث ذو سحر إذا كان ماؤه أكثر مما ينبغي ويقال للأرض التي ليس فيها نبت ... أرض مسحورة»[١].

وقال ابن منظور : «أرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها . وغيث ذو سحر إذا كان ماؤه أكثر مما ينبغي . وسحر المطر الطين والتراب سحراً أفسده فلم يصلح للعمل»[٢].

وقال الفيروزابادي : «والمسحور المفسد من الطعام والمكان لكثرة المطر»[٣].

---

(١) تهذيب اللغة (٤/٢٩١) «سحر».

(٢) لسان العرب (٦/١٦٠) «سحر».

(٣) ترتيب القاموس (٢/٥٢٨) «سحر».



وفي المعجم الوسيط : «سحر ... الشيء أفسده . يقال : سحر المطر الأرض أفسدها لكثرته»[١].

وبعد : فالذي ظهر لي – بعد مقارنة ما ذكره ابن عطية عن الطبري بما هو في تفسير الطبري ، وبعد الاطلاع على كلام أهل اللغة ومقارنة كلام الإمامين به – ما يلي:

١– يبدو أن القاضي ابن عطية بنى استدراكه على بعض كلام الإمام الطبري ، وترك البعض الآخر منه حيث قال : قال الطبري : «والسحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصوله ، فهو يسحرها سحراً ، والأرض مسحورة» فترك من نص الإمام الطبري قوله: «وقلب الأرض ظهراً لبطن».

٢– كلام أهل اللغة مؤيد لما ذكره ابن عطية حيث إن مضمون كلامهم أن السحر مأخوذ من سحر المطر الأرض ، أو الطين إذا أفسدهما.

٣– في نظري أنه لا فرق بين ما قاله الإمام الطبري وبين ما ذهب إليه ابن عطية – وجاءت عبارة اللغويين مؤيدة له – إلا في اللفظ ، وإلا فالمعنى واحد ، وذلك أن الإمام الطبري فصَّل فذكر أنه يقال: أرض مسحورة إذا قطع نباتها من أصوله ، ثم جاء بعد ذلك بما يفيد أن قطع

---

(١) المعجم الوسيط (٤٣٥/١) «سحر».



النبات ، إنما حصل لإفساد الطين، وقلبه ظهراً لبطن فقال: «وقلب الأرض ظهراً لبطن» وابن عطية ومن ذكر كلامهم من أهل اللغة طووا قضية النبات ؛ لأن الأرض المسحورة لا يلزم أن يكون فيها نبات ، ولو وجد ففساده تبع لفساد الطين عندما يسحره المطر.

وأظن أبا محمد لو تنبه لقول الطبري : «وقلب الأرض ظهراً لبطن» لرأى أنه يؤدي المعنى الذي ذكر وزيادة.

وقد أثنى الشيخ محمود شاكر على المعنى الذي ذكره الإمام الطبري فقال : «هذا البيان عن معنى «سحر المطر الأرض» جيد جداً ، مبين عن معنى الكلمة ، وهو أوضح مما جاء في كتب اللغة ، فليقيد هذا هناك»[1].

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية في هذه المسألة غير وارد على الإمام الطبري . والله أعلم.

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ واذكروا ... إذ

---

(١) جامع البيان (١٩/١٣)حاشية (١).

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤١ .



أنجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه»[١].

ورأى القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن ما ذهب إليه الإمام الطبري غيره أظهر وأبين منه فقال: «وقالت فرقة : هذه الآيات خاطب بها موسى من حضره من بني إسرائيل . وقال الطبري: بل خوطب بهذه الآية من كان على عهد محمد ﷺ تقريعاً لهم بما فعل بأوائلهم وبما جازوا به . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والأول أظهر وأبين»[٢].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل التفسير ، وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في فاعل ﴿ أَنجَيْنَـٰكُم ﴾ فمن قال : إنه موسى عليه السلام قال الخطاب للأجداد المعاصرين لموسى عليه السلام ، وهذا ذهب إليه ابن عطية وبعض المفسرين[٣].

ومن قال فاعل الإنجاء إنما هو الله سبحانه وتعالى قال هذا خطاب من الله لليهود وإلى هذا ذهب الإمام الطبري وجمع من المفسرين[٤].

---

(١) جامع البيان (١٣/٨٥).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٦٣، ٦٤).

(٣) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٢/١٨٦) ، والتحرير والتنوير (٩/٨٤).

(٤) انظر بحر العلوم (١/٥٦٦)، والتفسير الكبير (١٤/١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٢٧٤)، وتفسير الخازن (٢/٢٨١)، والدر المصون (٥/٤٤٦)، وتفسير ابن كثير (٢/٢٤٤)، ونظم الدرر (٨/٧٢)، وتفسير أبي السعود (٣/ ٢٦٨) ، وتيسير =



وتمسك من ذهب إلى القول الأول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ من تتمة كلام موسى عليه السلام كما يقتضيه السياق، ويعضده قراءة ابن عامر[1] ﴿ وإذ أنجاكم ﴾[2].

٢- سورة الأعراف مكية ، ولم يكن في المكي من القرآن ما هو مجادلة مع اليهود[3].

واستُدل لأصحاب القول الثاني بما يلي:

١- الخطاب للموجودين المعاصرين للرسول ﷺ تذكيراً لهم بالنعمة التي أنعم الله بها على الأباء ، لأنها في الحقيقة نعمة عليهم إذ ببقاء الأصول تبقى الفروع ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾[4].

=

الكريم الرحمن (٢/١٥١).

(١) الجمهور ﴿أنجيناكم﴾ بالجمع . وابن عامر ﴿أنجاكم﴾ بالإفراد . انظر النشر (٢/٢٧١).

(٢) انظر التحرير والتنوير (٩/٨٤).

(٣) انظر المصدر السابق (٩/٨٥).

(٤) سورة الحاقة ، الآية : ١١. وذكر نحو هذا الدليل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/٣٨١)، (٧/٢٧٤).



٢- السياق يعضد هذا القول إذ الظاهر أن خطاب موسى لقومه انتهى عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(١) ثم استأنف تعالى فقال: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ويقوي هذا قراءة الجمهور ﴿ أَنجَيْنَـٰكُم ﴾ بنون العظمة(٢) الدالة على أن الفعل صادر من الله تعالى ، لا من موسى عليه السلام .

٣- خير ما يفسر به القرآن القرآن ، وهذه الآية التي في سورة الأعراف فيها نوع من الإشكال يزيل هذا الإشكال ما جاء في الآيات الأخر الكثيرة التي لا نختلف فيها نحن ولا أنتم أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾(٣). وقوله : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٠.

(٢) انظر النشر (٢/٢٧١) . وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف.

(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٦٥.



يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١). وقوله :﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(٢) . وقوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (٤).

وبعد : فالذي يظهر – والله أعلم – أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو الأولى في معنى الآية وذلك للأسباب التالية:

١- لما ذكر من دلالة آيات أُخر كثيرة ترجح جانب الإمام الطبري وتعيد معنى الآية المتنازع فيها إلى المعنى الذي يتفق عليه الفريقان.

٢- أن الفريقين يتفقان أن المُنْجِي حقيقة إنما هو الله سبحانه وتعالى ، وإنما كان موسى عليه السلام سبباً من الأسباب التي هيأها الله لنجاة بني

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٠.

(٣) سورة طه ، الآية : ٨٠.

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٦.



إسرائيل فلو أسقط السبب وربط الأمر بالله مباشرة لما كان في ذلك حرج، والعكس لا يصح.

٣- ولأن رأي الإمام الطبري - أعني قوله : أن فاعل الإنجاء هو الله سبحانه وتعالى - عليه جمهور المفسرين في ما اطلعت عليه من مصنفاهم[١].

٤- ولأن ما ذكر من أدلة لقول ابن عطية إنما هو سياق الآيات ، وأن السورة مكية ، فالأول معارض بمثله ، والثاني لا يلزم من مكية السورة، مكية كل آياها .

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[٢] قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ واذكر يا محمد ، إذ آذن ربك وأعلم . وهو تفعل من (الإيذان) ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس[٣]:

أذن اليوم جيرتي بخفوف صرموا حبل آلف مألــوف

يعني بقوله : (أذن) أعلم»[٤].

---

(١) تقدم قريباً الإشارة إلى المراجع.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٧ .

(٣) البيت في ديوانه ص (١١٣) ، والنكت والعيون (٢/٢٧٣).

(٤) جامع البيان (١٣/٢٠٤).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ بأنه قلق من جهة التصريف ، وذلك بعد أن حكى رأيه هو ، فقال : «بنية ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ هي التي تقتضي التكسب، من أذن أي علم ، وآذن أي أعلم ، مثل كرم وأكرم وتكرم ، إلا أن تعلم ، وما جرى مجرى هذا الفعل إذا كان مسنداً إلى اسم الله عز وجل لم يلحقه معنى التكسب الذي يلحق المحدثين، فإنما يترتب بمعنى علم صفة لا بتكسب ، بل هي قائمة بالذات ، وإلى هذا المعنى ينحو الشاعر[1] بقوله:

تعلم أبيت اللعن ....

لأنه لم يأمره بالتعلم الذي يقتضي جهالة ، وإنما أراد أن يوقفه على قوة علمه ، ومنه قول زهير[2]:

---

(١) لم أقف على هذا الشاعر ، ولا على البيت . وقوله (أبيت اللعن) كلمة كانت تحيي بها العرب الملوك، ومعناها: أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه . انظر تهذيب اللغة (٦٠٥/١٥) «أبى». وهناك أبيات فيها هذه اللفظة (أبيت اللعن) تنسب لعبيدة بن ربيعة بن قحفان . انظر خزانة الأدب (٢٩٩/٥).

(٢) زهير بن أبي سلمى المزني ، حكيم الشعراء في الجاهلية (ت : ١٣ ق هـ) انظر خزانة الأدب (٣٣٢/٢)، والأعلام (٥٢/٣).

والبيت في ديوانه ص (٣٣) ومعاني القرآن وإعرابه (٣٨٧/٢) ، وخزانة الأدب (٤٥٦/٥).

تعلم أن شر الناس حي ينادى في شعارهم يسار

فمعنى هذه الآية : وإذ علم الله ليبعثن عليهم ، وتقتضي قوة الكلام أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذ وإمضاء ، كما تقول في أمر قد عزمت عليه غاية العزم: (علم الله لأفعلن كذا) نحا إليه أبو علي الفارسي.

وقال الطبري وغيره : ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ معناه أعلم . وهو قلق من جهة التصريف إذ نسـبة ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ إلى الفاعل غير نسـبة (أعلم) وتبين ذلك من التعدي وغيره»[1].

اعلم أن أبا محمد لا يرد قول الطبري الذي قاله في معنى الآية ولكنه يرى أن فيه قلقاً ، وبين أن ذلك القلق من ناحية التصريف وشرحه بقوله: إذ نسبة تأذن إلى الفاعل ، غير نسبة (أعلم) وتبين ذلك من التعدي وغيره.

والذي فهمت من تعليله هذا أنه يريد أن يقول : تأذن غير متعد ، فكون الإمام الطبري يشرحه بفعل متعد وهو (أعلم) فيه قلق . وإنما يناسبه (علم).

وما ذهب إليه الإمام الطبري وافقه عليه جمهور أهل العلم في ما رأيت[2] ، فهم يذكرون المعنى الذي ذكر ، ومن هؤلاء أئمة في اللغة مثل

---

(١) المحرر الوجيز (٦/١٢٣، ١٢٤).

(٢) نظرت في أكثر من ثلاثين مؤلفاً في التفسير والغريب ومعاني القرآن وإعرابه فرأيت =



ابن قتيبة وأبي إسحاق الزجاج ، وأبي جعفر النحاس ، والعكبري[(١)].

وقد أورد هذا الاستدراك أبو حيان ، وتلميذه السمين ، وابن عاشور، إلا أنهم لم يعقبوا على ذلك بشيء يذكر[(٢)].

ولا شك أن هناك أقوالاً أخرى في معنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ استوعبها أبو حيان في تفسيره ، وهي - بالإضافة إلى أعلم وعلم - حتم ، ووعد ، وأخبر ، وأمر ، وقال ، وأقسم ، وعزم [(٣)].

وعلى كل حال فقول الإمام الطبري أبين هذه الأقوال وأظهرها ، وذلك للأسباب التالية:

١- لما نقله السمين عن الواحدي أنه قال : «وأكثر أهل اللغة على أن التأذن بمعنى الإيذان وهو الإعلام»[(٤)].

٢- ولأن (أعلم) أبلغ في المعنى من (علم) الذي اختاره ابن عطية ؛ لأن من (أعلم) فقد علم، وليس العكس.

=

أصحابها على قول الإمام الطبري.

(١) انظر تفسير غريب القرآن ص(١٧٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٨٧/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٩٦/٣)، والتبيان في إعراب القرآن (٦٠١/١).

(٢) انظر البحر المحيط (٤١٢/٤)، والدر المصون (٥٠١/٥)، والتحرير والتنوير (١٥٥/٩).

(٣) انظر البحر المحيط (٤١٢/٤).

(٤) الدر المصون (٥٠٠/٥).



٣- ولأن تأويل ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ بمعنى (أعلم) هو الذي يشهد له القرآن الكريم ، فإن الله قد أعلمنا في كتابه الكريم بهذه الذلة والمهانة التي يلقاها اليهود كما قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾(١).

وأما قول ابن عطية : إن نسبة ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ إلى الفاعل غير نسبة (أعلم) فلا يضر إذ لا يلزم في المعنى أن يكون مطابقاً في التعدي واللزوم . والله أعلم.

٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٢) - :

«وأما قوله : ﴿ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ﴾ فإنه معطوف على قوله : ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ومعناه : ... قرأوا ما فيه ، يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسـوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهـد الله إليهم في

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٢.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٩ .



ذلـــك »[١] .

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فقال: «وقوله تعالى: ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ الآية بمعنى المضي ، ويقدر: أليس قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ؟ وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم في قولهم الباطل... وقال الطبري وغيره: قوله : ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر لبعد المعطوف عليه ؛ لأن قوله: ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ يزول منه معنى إقامة الحجة بالتقدير الذي في قوله : ﴿ أَلَمْ ﴾ »[٢].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، والأقوال فيها ثلاثة:

القول الأول : أن قوله: ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ لأن الاستفهام فيه بمعنى التقرير ، أي أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ، وإلى هذا ذهب الزمخشري[٣] وابن عطية.

---

(١) جامع البيان (٢١٥/١٣).

(٢) المحرر الوجيز (١٢٩/٦).

(٣) انظر الكشاف (١٢٨/٢).



القول الثاني: أن قوله: ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ وَرِثُواْ ﴾ وإلى هذا ذهب الإمام ابن الأنباري ، والعكبري ، والكرماني [(١)]. وهو قول الإمام الطبري.

القول الثالث : أنه على إضمار (قد) ، والتقدير : وقد درسوا . حكاه أبو حيان من غير نسبة[(٢)].

وقد جنح أبو حيان إلى القول الأول ، واستبعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري فقال: «﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ ... وهذا العطف على التقرير ؛ لأن معناه: (قد أخذنا عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه) ... وقال الطبري وغيره: هو معطوف على قوله: ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ وفيه بعد . وقيل: هو على إضمار قد . أي وقد درسوا ما فيه . وكونه معطوفاً على التقرير هو الظاهر؛ لأن فيه معنى إقامة الحجة عليهم في أخذ ميثاق الكتاب بكونهم حفظوا لفظه ، وكرروه ، وما نسوه، وفهموا معناه ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل»[(٣)].

وإلى ما ذهب إليه أبو حيان ، ذهب تلميـــذه الســـمين من استظهار

---

(١) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٧٨)، والتبيان (١/٦٠٢)، وغرائب التفسير (١/٤٢٦).

(٢) انظر البحر (٤/٤١٥).

(٣) البحر المحيط (٤/٤١٥).



القول الأول ، فقال: «قوله : ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه ، أظهرها ما قال الزمخشري ، وهو كونه معطوفاً على قوله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ ، لأنه تقرير...»[1].

وبعد : فالذي يظهر لي أن القولين معتبران قويان أعني - ما ذهب إليه الطبري وابن عطية - وأن من قال بأحدهما فهو مصيب لا تثريب عليه.

أما وجه قوة قول الإمام الطبري فإنه عطف الخبر على الخبر ؛ لأن قوله : ﴿ وَرِثُواْ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ أصيلان في الخبرية لفظاً ومعنى بعكس قوله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ وقوله : ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ فإن أحدهما - وهو ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ - لفظه لفظ الإنشاء ، لا الخبر.

ولا يضر الطبري ما علل به ابن عطية بقوله : إن المعطوف عليه يصبح بعيداً . أقول: لا يضره هذا ؛ لأن ما بين قوله : ﴿ وَرِثُواْ ﴾ وقوله : ﴿ وَدَرَسُواْ ﴾ اعتراض[2] ، والمعترض لا تأثير له حتى يقال: إن هناك بعداً بين المتعاطفين.

---

(١) الدر المصون (٥/٥٠٥، ٥٠٦).

(٢) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٧٨)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٦٠٢).



وأما وجه قوة قول القاضي ابن عطية فهو من ناحية المعنى لأن معنى الكلام على إعرابه يكون: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل.

وهذا أبلغ في توبيخ وتقريع اليهود من المعنى الذي يكون على إعراب الإمام الطبري ، إذ تقديره على إعرابه : ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ألا يقولوا على الله إلا الحق ، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل. والله أعلم.

٩- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] قال أبو جعفر : ... اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها في ما أوتيا من المولود . فقال بعضهم : جعلا له شركاء في الاسم ... وقال آخرون: بل المعني بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد ... قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب ، قول من قال: عني بقوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ في الاسم ، لا في العبادة ، وأن المعني بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . فإن قال قائل : فما أنت قائل - إذ كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآيـــة ، وأن المعني بها آدم وحواء - في قوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٩٠ .



عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ؟ ... فإن قلت : في الأسماء دل على فساده قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾(١) . فإن قلت: في العبادة. قيل لك : أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول في تأويل قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ليس بالذي ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾ ثم استؤنف قوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ »(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري جعله ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ منفصلاً مما قبله فقال: «... وقال الطبري والسدي في قوله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إنه كلام منفصل ليس من الأول وإن خبر آدم وحواء تم في قوله : ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ وإن هذا كلام يراد به مشركو العرب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تحكم لا يساعده اللفظ ، ويتجه أن يقال : تعالى الله عن

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١.

(٢) جامع البيان (١٣/٣٠٨، ٣١٤، ٣١٥).



ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ، ويبقى الكلام في جهة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام . وجاء الضمير في «يشركون» ضمير جمع ؛ لأن إبليس مدبر معهما تسمية الولد عبد الحارث»[1].

اختلف أهل العلم في اتصال هذا الجزء من الآية ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ بما قبله وانفصاله عنه على قولين اثنين:

القول الأول : أن قوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ متصل بما قبله وهؤلاء لهم مسلكان:

المسلك الأول : ما ذهب إليه ابن عطية من جعل الآية الأولى في آدم وزوجه حواء ، والثانية فيهما أيضاً والشرك الذي وقع منهما إنما هو في التسمية.

وقوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ أي عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ويبقى الكلام في الآيتين في جهة أبوينا آدم وحواء. وهذا المسلك وجه إليه طعون عدة ، متفرقة في كتب التفاسير، أتى على معظمها الرازي حيث قال: «واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه: الأول: أنه تعالى قال: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشـــرك جماعة. الثاني : أنه تعالى قال بعده :

---

(١) المحرر الوجيز (١٧٥/٦).



﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[(١)] وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى ، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر. الثالث: لو كان المراد إبليس لقال: أيشركون من لا يخلق شيئاً ، ولم يقل : ﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما). الرابع: أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس ، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[(٢)] فكان لابد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحارث ، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ، ومع علمه بأن اسمه هو الحارث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى إنه لم يجد سوى هذا الاسم؟ الخامس: أن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح ، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار ، فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[(٣)] وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس كيف لم يتنبه لهذا القدر ؟ وكيف لم يعرف أن

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها؟...»[١].

ومن الطعون التي وجهت لهذا المسلك الذي نحى إليه ابن عطية أنه مبني على أحاديث وآثار لا تثبت عن رسول الله ﷺ، وبعضها إسرائيليات لا يعول عليها من له قلب[٢].

المسلك الثاني من القول الأول: المعني في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٣] خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، وخلق لكل نفس زوجاً من جنسها ، فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً ، وهو ماء الفحل ، فلما أثقلت بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحاً ، أي ذكراً سوياً لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما أي فلما أعطى الله تعالى الأب والأم ما سألاه، جعلا له شركاء فسميا عبد اللات ، وعبد العزى ، وغير ذلك ثم رجعت الكناية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إلى الجميـــع ، ولا تعلق للآية بآدم وحواء عليهما الســـلام أصلاً[٤].

---

(١) التفسير الكبير (١٥/٧٠).

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٢/٨١٩، ٨٢٠)، وتفسير ابن كثير (٢/٢٧٥، ٢٧٦)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٣/٦٧٨، ٦٧٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٨٩ .

(٤) انظر روح المعاني (٩/ ١٤١) . وقرر ابن العربي هذا المسلك بقوله : «إن المراد بهذا =



وهذا المسلك أثنى عليه كثير من أهل العلم ، وأشاروا إليه في مصنفاتهم ، ومن هؤلاء ابن العربي حيث قال: «وهذا القول أشبه بالحق ، وأقرب إلى الصدق ، وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها ، ويسلم فيه الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر ، فكيف بسادتهم وأنبيائهم»[١].

وقال أبو حيان : «وأما من جعل الخطاب للناس ، وليس المراد في الآية بالنفس وزوجها آدم وحواء... فيتسق الكلام اتساقاً حسناً من غير تكلف تأويل ، ولا تفكيك»[٢].

وقال ابن كثير – بعد أن ساق عن الحسن أنه قال : عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، يعني ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ وعنه أيضاً أنه قال : اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا – : «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية»[٣].

=

جنس الآدميين ، فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله إلى صفة واحدة . وإذا خف عليهم الحمل استمروا به ، فإذا ثقل عليهم نذروا كل نذر فيه، فإذا ولد لهم ذلك الولد جعلوا فيه لغير الله شركاء في تسميته وعمله ، حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام ، ويجعله لغير الله، وعلى غير دين الإسلام ». أحكام القرآن (٢/٨٢٠).

(١) أحكام القرآن (٢/٨٢٠).

(٢) البحر المحيط (٤/٤٣٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٦).



وقد قُرر هذا المسلك بطرق تختلف عما ذكرت في اللفظ لكن المؤدى واحد ، فانظرها إن شئت في كتب التفاسير[1].

القول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ منفصل عما قبله فالآيتان من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إلى قولــه : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ في آدم وحواء ، وقوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ في مشركي العرب الذين جعلوا لله أنداداً وشركاء وإلى هذا القول ذهب الإمام الطبري وبعض المفسرين[2].

وحجة هؤلاء أن الشــرك يتناقض مع مقام النبــوة ، وأما قولــه : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ فإنما هو في التســمية وهذا ليس بشرك.

وبعد : فأنت إذا نظرت في قولي الإمام الطبري وابن عطية ، وجدهما يتفقان في إثبات القصة لآدم وحواء عليهما السلام ، ويقولان : ما حصل منهما إنما هو في التسمية . وهذه التسمية يرى الإمام الطبري أنها ليست بشـــرك، ولذلك لا يصلح أن يقال : إن قوله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا

---

(١) كالتفسير الكبير (٧١/١٥)، والانتصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال (١٣٦/٢، ١٣٧).

(٢) انظر الوسيط (٤٣٥/٢) فقد نسبه لابن عباس ومقاتل والسدي . وانظر أيضاً معالم التنـــزيل (٢٢١/٢) ، وزاد المسير (٣٠٤/٣).



﴿يُشْرِكُونَ﴾ راجع إلى ما وقع من هذه التسمية.

والقاضي ابن عطية يجنح إلى أن في هذه التسمية ما قد يوهم شائبة الشرك ، ولذلك يصلح أن نعيد قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى تنـــزيه الله عن هذه الشائبة.

والظاهر أن قول ابن عطية أقرب – مع أن الصواب في نظري في غير ما ذهبا إليه كما سيأتي – وذلك للأسباب التالية:

١- ظاهر السياق يدل على أن قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مرتبط بما قبله ، فلا يصلح فصله عنه ، وأعني بقولي بما قبله ما جاء في نفس الآية من قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ .

٢- ولوجود شائبة الشرك والتعظيم في من نسبت له العبودية ولذلك نهى النبي ﷺ عما هو أقل من ذلك، فروى الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : «لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله . ولكن ليقل غلامي وجاريتي ، وفتاي وفتاتي»[1].

٣- ولأن الإمام الطبري مجوز لأصل القصة فلا يسعه دفع ما هو من تمامها إلا بشيء من التكلف.

---

(١) صحيح الإمام مسلم (١٧٦٤/٤) ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد ، ح (٢٢٤٩).



ثم اعلم أن الصحيح في تفسير الآيتين هو ما ذكر في المسلك الثاني من القول الأول ، وذلك لما يلي:

١- أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- ما اتصل من التعنيف والتوبيخ بهذه القصة يدل على أنها صدرت من بعض ذرية آدم، لا من آدم، وزوجه عليهما السلام ، وذلك قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾[(١)].

٣- ولأن ما ذكر من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة[(٢)].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١، ١٩٢، ١٩٣.

(٢) بعض ما رجحت به هذا القول مأخوذ من كتاب التسهيل لعلوم التنـزيل (١٠٤/٢).



سورة الأنفال

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) - : «واختلف أهل العربية في وجه تأنيث (البين) فقال بعض نحويي البصرة : أضاف ذات إلى البين وجعله (ذاتاً) ؛ لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضاً يذكر نحو (الدار) و (الحائط) أنث الدار ، وذكّر الحائط . وقال بعضهم : إنما أراد بقوله : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الحال التي للبين ، فقال : وكذلك ذات العشاء ، يريد الساعة التي فيها العشاء، قال : ولم يضعوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر إلا لمعنى. قال أبو جعفر: وهذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له»(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح للقول الثاني فقال : «وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته . والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات ، وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ١ .

(٢) جامع البيان (٣٨٤/١٣).



نفسه وعينه ، فحض الله عز وجل على إصلاح تلك الأجزاء ، فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم... وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الحال التي لبينكم ، كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ورجحه الطبري وهو قول بين الانتقاض»[(١)].

لم يبين أبو محمد وجه انتقاض قول الإمام الطبري ، وكذلك لم يبينه من نقل هذا الاستدراك ، وهو أبو حيان[(٢)] .

وقد فسر بعض أهل اللغة الآية بما ذهب إليه الإمام الطبري ، فنقل أبو منصور الأزهري عن أبي العباس أحمد بن يحيى أنه قال في قوله تعالى : « ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ قال: أراد الحالة التي للبين ، وكذلك أتيتك ذات العشاء ، أراد الساعة التي فيها العشاء»[(٣)].

ويظهر أن الإمام الطبري أراد بقوله : (وقال بعضهم) قول أبي العباس هذا.

وقد نقل هذا القول غير واحد من أهل اللغة في معنى الآية مقراً له ،

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٢١٣، ٢١٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٤/٤٥٤) فقد أورد أبو حيان استدراك القاضي هذا ، ولم يعقب عليه بشيء.

(٣) تهذيب اللغة (١٥/٤٢) في تفسير «ذو وذات».



غير معترض عليه بشيء[١].

وذهب بعض أهل اللغة والتفسير[٢] إلى تفسير الآية بالقول الذي ذهب إليه ابن عطية ، وعلى رأس هؤلاء أبو إسحاق الزجاج فقد قال : ((معنى ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ حقيقة وصلكم))[٣].

وفريق ثالث : نفى أن يكون تفسير الذات بالحقيقة والنفس من كلام العرب . قال ابن جزي: ((وذات هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري . وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته. وقال الزبيري[٤] : إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب))[٥].

وقال الراغب : ((وقد استعار أصحاب المعاني الذات فجعلوها عبارة عن عين الشيء جوهراً كان أو عرضاً ، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر بالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصة ، فقالوا : ذاته

---

(١) انظر لسان العرب (١١/٥)، والمعجم الوسيط (٣١٩/١). الأول في «ذو وذوات» والثاني في ((ذات)).

(٢) انظر زاد المسير (٣٢٠/٣)، والجواهر الحسان (١٠٨/٢) ، وتفسير الجلالين ص(٢٠٩)، ويظهر أن هؤلاء تأثروا بقول الزجاج ، وابن عطية.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢).

(٤) لعله صاحب ملاك التأويل. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، العلامة برع في علوم كثيرة منها العربية (ت:٧٠٨هـ). انظر بغية الوعاة (٢٩١/١).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢).



ونفسه وخاصته وليس ذلك من كلام العرب»[١].

قلت : لعل من قال ليست من كلام العرب يعنون أنه اصطلاح حادث ، وقد أشار إلى ذلك الألوسي حيث قال : « و ﴿ ذَاتَ ﴾ كما قيل: بمعنى صاحبة صفة لمفعول محذوف ... أي أحوالاً ذات افتراقكم، أو ذات وصلكم ... وقال الزجاج وغيره : إن ﴿ ذَاتَ ﴾ هنا بمنزلة حقيقة الشيء ونفسه كما بينه ابن عطية وعليه استعمال المتكلمين [٢] »[٣].

وبعد : فالذي يظهر أن ما ذهب إليه الإمام الطبري حق لا انتقاض فيه ، وكذلك ما ذهب إليه ابن عطية ليس ببعيد إلا أن الإمام الطبري فسرها بما هو أعرق عربية ، وابن عطية نحى في تفسيرها منحى المتكلمين، ويدلك على أن تفسير الإمام الطبري مقدم ، وأن ما ذهب إليه ابن عطية جائز شيئان:

الأول : ما شرح به ابن عاشور هذه اللفظة ﴿ ذَاتَ ﴾ فقال : « و ﴿ ذَاتَ ﴾ يجوز أن تكون مؤنث (ذو) الذي هو بمعنى صاحب فتكون

---

(١) المفردات ص(١٨٢).

(٢) المتكلمون هم المشتغلون بعلم يبحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنة والنار والصراط والميزان والثواب والعقاب. من كتاب التعريفات ص(١٨٥).

(٣) روح المعاني (١٦٤/٩).



ألفها مبدلة من الواو ، ووقع في كلامهم مضافاً إلى الجهات ، وإلى الأزمان ، وإلى غيرهما ، يجرونه مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق كقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[(١)] ... على تأويل جهة . وتقول : لقيته ذات ليلة ، ولقيته ذات صباح ، على تأويل المقدر ساعة ، أو وقت ، وجرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال. ويجوز أن تكون ﴿ ذَاتَ ﴾ أصلية الألف كما يقال : أنا أعرف ذات فلان ، فالمعنى حقيقة الشيء وماهيته ، كذا فسرها الزجاج... فتكون كلمة مقحمة لتحقيق الحقيقة جعلت مقدمة ، وحقها التأخير ؛ لأنها للتأكيد مثل المعنى في قولهم: جاءني بذاته ... فالمعنى : أصلحوا بينكم ، ولذا فذات مفعول به ، على أن (بين) في الأصل ظرف فخرج عن الظرفية ، وجعل اسماً متصرفاً، كما قرئ ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[(٢)] برفع بينكم في قراءة جماعة فأضيفت ذات فصار المعنى : أصلحوا حقيقة بينكم ، أي اجعلوا الأمر الذي يجمعكم صالحاً غير فاسد ... واعلم أني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن»[(٣)].

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٨.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩٤.

(٣) التحرير والتنوير (٩/٢٥٣، ٢٥٤).

الثاني : أن بعض أهل اللغة وبعض أصحاب المعاني والتفسير ذكروا المعنيين اللذين ذكرهما الإمام الطبري وابن عطية عند تفسير هذه الآية ، وما ذاك منهم في ما يظهر إلا تجويز للمعنيين[(١)] ، حتى أن أبا إسحاق الزجاج وهو ممن صدر عنه القول الذي ذهب إليه ابن عطية يذكر المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري عقب القول الذي ذهب إليه ابن عطية[(٢)] ، فهذا يدلك على أن كليهما صحيح عنده.

ويؤكد هذا الاتجاه – أعني تصحيح المعنيين – أن أبا جعفر النحاس قال في كتابه معاني القرآن الكريم: «الذات الحقيقة »[(٣)].

وقال في كتابه إعراب القرآن : «أي الحال التي يقع بها الاجتماع»[(٤)].

٢- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – «القول في تأويل قوله : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ... ﴾[(٥)] قال أبو جعفر : يقول تعالى

---

(١) انظر – على سبيل المثال – تهذيب اللغة (١٥/٤٢)، ولسان العرب (٥/١١) ، والبحر المحيط (٤/٤٥٣، ٤٥٤)، وتفسير النسفي (٢/٩٣)، وترتيب القاموس المحيط (٢/٢٤٤) في مادة «ذو».

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٠٠) فقد أردف تفسيره للآية بقوله : «وكذلك اللهم أصلح ذات البين . أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون».

(٣) انظر (٣/١٢٩).

(٤) انظر (٢/١٧٥).

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ١١.



ذكره : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾(١) ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾ ... يلقي عليكم النعاس»(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أن جعل العامل في ﴿ إِذْ ﴾ هو ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ فقال : «العامل في ﴿ إِذْ ﴾ هو العامل الذي عمل في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ بتقدير تكراره؛ لأن الاشتراك في العامل الأول نفسه لا يكون إلا بحرف عطف ، وإنما القصد أن يعدد نعمه تبارك وتعالى على المؤمنين في يوم بدر فقال : (واذكروا إذ فعلنا بكم كذا) . وقال الطبري: العامل في ﴿ إِذْ ﴾ قوله : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا مع احتماله فيه ضعف، ولو جعل العامل في ﴿ إِذْ ﴾ شيئاً قريباً مما قبلها لكان الأولى في ذلك أن يعمل في ﴿ إِذْ ﴾ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ؛ لأن إلقاء النعاس عليهم وجعله أمنة حكمة من الله عز وجل »(٣).

حاصل الخلاف بين الإمامين - الطبري وابن عطية - أن الإمام الطبري يرى أن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل ظاهر متقدم عليها هو ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٢) جامع البيان (١٣/٤١٩).

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢٣١).



بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾[(١)].

وابن عطية يرى أن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ هو العامل الذي عمل في قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾[(٢)] ويعني بذلك أنه فعل مقدر تقديره : (واذكر) نص على ذلك بقوله : « وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[(٣)]... إذ متعلقة بفعل تقديره واذكـــر إذ ، وهو الفعل الأول الذي عمل في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ »[(٤)].

ويرى أن ما ذهب إليه الإمام الطبري في تقدير العامل مع احتماله ففيه ضعف ، ولم يفصح القاضي ابن عطية عن سبب الضعف ، وكذلك بعض من اطلعت على مصنفاتهم ممن يهتم بنقل أقواله واستدراكاته كأبي حيان لم يذكر السبب لتضعيف ابن عطية لما ذهب إليه الإمام الطبري[(٥)].

ولعل سبب تضعيفه لقول الطبري هو طول الفصل بين العامل والمعمول ، أو أنه يرى أن الآية سيقت مساق الامتنان بتعديد النعمة على

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٢) من قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ سورة الأنفال ، الآية : ٧.

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٩.

(٤) المحرر الوجيز (٦/٢٢٦).

(٥) انظر البحر (٤/٤٦١).



المؤمنين يوم بدر ، وهذا لا يصلح له إلا تقدير «اذكر» ، ويدل لهذا الاحتمال قول ابن عطية : «ولو جعل العامل في إذ شيئاً قريباً مما قبلها لكان الأولى في ذلك أن يعمل في ﴿ إِذْ ﴾ حكيم »[1].

وأنت إذا نظرت في كتب الإعراب والتفسير وجدت المسألة في تقدير العامل محتملة لما ذكره الإمامان ولغير ذلك فقد حكى الزمخشري الأقوال في تقـــدير العامل في قوله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ﴾ فقال : « بدل ثان من ﴿ إِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ أو منصوب بالنصر ، أو بما في ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[2] من معنى الفعل ، أو بما جعله الله، أو بإضمار اذكر»[3].

وقد علق أبو حيان على ما ذكره الزمخشري من أقوال بقوله : «أما كونه بدلاً ثانياً من ﴿ إذ يَعِدُكُمُ ﴾ فوافقـــه عليه ابن عطية فإن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ هو العامل في قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ بتقدير تكراره ؛ لأن الاشتراك في العامل الأول نفسه لا يكون إلا بحرف عطف وإنما القصد أن يعدد نعمه على المؤمنين في يوم بدر فقال : (واذكروا إذ فعلنا بكم كذا، واذكروا إذ فعلنا كذا) . وأما كونه منصوباً بالنصر ففيه ضعف من

(١) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٠.

(٣) الكشاف (٢/١٤٦).



وجوه. أحدها : أنه مصدر فيه أل وفي إعماله خلاف .... الثاني : أنه موصول وقد فصل بينه وبين معموله بالخبر الذي هو﴿إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ وذلك إعمال لا يجوز لا يقال : ضرب زيد شديد عمراً. الثالث: أنه يلزم من ذلك إعمال ما قبل (إلا) في ما بعدها من غير أن يكون ذلك المفعول مستثنى أو مستثنى منه ، أو صفة له (وإذ) ليس واحداً من هذه الثلاثة ... وأما كونه منصوباً بما في عند الله من معنى الفعل فيضعفه المعنى، لأنه يصير استقرار النصر مقيداً بالظرف ، والنصر من عند الله مطلقاً في وقت غشي وغيره . وأما كونه منصوباً بـــ ﴿ مَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ فقد سبقه إليه الحوفي[1]. وهو ضعيف أيضاً لطول الفصل ، ولكونه معمول ما قبل إلا ، وليس أحد تلك الثلاثة . وقال الطـــبري : العامـــل في ﴿ إِذْ ﴾ قولـــه : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ قال ابن عطية : وهذا مع احتماله فيه ضعف . وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون ظرفاً لما دل عليه ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وقد سبقه إلى قريب من هذا ابن عطيـــة... والأجود من هذه الأقوال أن يكون بدلاً »[2].

---

(١) علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي ، النحوي المفسر (ت : ٤٣٠هـ) . انظر طبقات المفسرين (٣٨٨/١).

(٢) البحر المحيط (٤٦١/٤).



وهذه الأقوال ذكر منها الشوكاني ثلاثة ونعت الباقي بأنه لا وجه له فقال: «قوله: ﴿إذ يغشاكم﴾[1] الظرف منصوب بفعل مقدر كالذي قبله أو بدل ثان من ﴿ إِذ يَعِدُكُمُ ﴾ أو منصوب بالنصر المذكور قبله . وقيل غير ذلك مما لا وجه له»[2].

وبعد: فالذي يبدو أن ما ذهب إليه القاضي هو أجود هذه الأقوال لما أبداه من تعليل ، ولثناء أبي حيان عليه بقوله: «والأجود من هذه الأقوال أن يكون بدلاً».

وأما اعتراضه على ما ذهب إليه الإمام الطبري فهو كما قال لأسباب ثلاثة:

١- لطول الفصل بين العامل والمعمول.

٢- ولأن المعنى يضعف ما ذهب إليه الإمام الطبري إذ يفهم منه أن اطمئنان القلوب وقت غشية النعاس لهم ، والاطمئنان حاصل لهم من قبل هذا إذ قد بشرهم الرسول ﷺ بالنصر على الأعداء قبل بدء المعركة.

٣- ولأن الآية - كما قال ابن عطية - سيقت مساق الامتنان بتعديد النعم على المؤمنين يوم بدر، وهذا يناسبه تقدير « اذكر ».

---

(١) بالألف في (يغشاكم) قراءة متواترة. انظر النشر (٢/٢٧٦).

(٢) فتح القدير (٢/٢٩٠).



٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(١)- : «والأساطير جمع أسطر ، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر ، سطر ، ثم يجمع السطر أسطر ، وسطور ، ثم يجمع الأسطر أساطير وأساطر. وقد كان بعض أهل العربية يقول : واحد الأساطير أسطورة»(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن أساطير جمع أسطر فقال: «وأساطير جمع أسطورة ، ويحتمل أن يكون جمع أسطار ، ولا يكون جمع أسطر كما قال الطبري؛ لأنه كان يجيء (أساطر) بدون ياء ، هذا هو قانون الباب ، وقد شذ منه شيء كصيرف، قالوا في جمعه : صياريف»(٣).

هذه المسألة فيها خلاف بين اللغويين ، ومحل الخلاف بينهم في مفرد ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾(٤) ، وأنا أسـوق لك جملة من أقوالهم ليتبين لك أن المسألة

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٣١ .

(٢) جامع البيان (١٣/٥٠٣).

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢٧٦، ٢٧٧).

(٤) يرى الأخفش أنه من الجمع الذي ليس له واحد . انظر كتابه معاني القرآن (٢/٤٨٦).



محل خلاف ، وأن هناك من يتفق قوله مع قول الإمام الطبري.

قال أبو عبيدة : «واحدها أسطورة ، وإسطارة لغة»[١].

وقال ابن قتيبة : «و﴿ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أخبارهم ... واحدها سطر، ثم أسطار ، ثم أساطير جمع الجمع مثل قول ، وأقوال ، وأقاويل . وأبو عبيدة يجعل واحدها أسطورة ، وإسطارة»[٢].

وقال الزجاج : «واحدها إسطار ، وأسطورة ، وتأويل السطر في اللغة أن تجعل شيئاً ممتداً مؤلفاً، فمن ذلك سطر الكتاب ، يقال: سَطرٌ وسُطَر ، فمن قال : سطر جمعه أسطار ... وجمع أسطار أساطير، فعلى هذا عندي ﴿ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ . ومن قال : سَطَرٌ فجمعه أَسْطُرٌ ، وجمع الجمع أساطرة وأساطير...»[٣].

وقال أبو جعفر النحاس : « وأحد الأساطير إسطارة ، ويقال : أسطورة ، ويقال: هو جمع أسطار، وأسطار جمع سطر ، يقال : سَطْرٌ وسَطَرٌ»[٤].

وقال الزمخشـــري : «الأســـاطير جمع أسطار ، جمع سطر ... وجمع

---

(١) مجاز القرآن (١/١٨٩).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(٣٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٣٧ ، ٢٣٨).

(٤) إعراب القرآن (٢/٦١).



أسطورة أوفق»[١].

وقال الراغب : «وأما قوله : ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فقد قال المبرد: هي جمع أسطورة...»[٢].

وقال ابن منظور : «والأساطير الأباطيل ، والأساطير أحاديث لا نظام لها ، واحدها إسطار، وإسطارة بالكسر ، وأُسْطير ، وأُسْطيرة ، وأُسْطُورٌ وأُسْطُورةٌ بالضم . وقال قوم : أساطير جمع أسطار، وأسطار جمع سطر . وقال أبو عبيدة[٣] : جمع سطر على أسطر ، ثم جمع أسطر على أساطير ...»[٤].

وقال الفيروزابادي : «السطر الصف من الشيء ... ج أسْطرٌ ، وسُطُور ، وأسْطارٌ ، جج أساطير»[٥].

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري في هذه المسألة ؛ لأن هذا القول الذي جوزه

---

(١) الكشاف (٣/٤٠).

(٢) المفردات ص(٢٣٢).

(٣) هكذا أبو عبيدة في النسخة التي بين يدي . وقد تقدم قوله في واحد (أساطير) أنه (أسطورة ، وإسطارة) فأما أنه يرى القولين ، وأما أن الكلام لغيره ممن يوافقه في الكنية ، أو يكون تصحف وأن الأصل (أبو عبيد).

(٤) لسان العرب (٦/٢٥٧) «سطر».

(٥) ترتيب القاموس (٢/٥٦٠) «سطر».



الإمام الطبري – وإن كان قد قال به بعض أهل اللغة – الصناعة الصرفية على خلافه ؛ لأن (أساطير) لو كان جمعاً لـــ (أسطر) كان الصواب (أساطر) – كما قال ابن عطية – لأن (أفاعل) وزن للرباعي المزيد من أوله همزة نحو : أصبع : أصابع ، وأنملة : أنامل، وأرنب: أرانب ، وأسطر: أساطر[1].

ولأن (أفاعيل) وزن للرباعي المزيد فيه همزة من أوله ، وحرف مد في حشوه ، مثل: أسلوب: أساليب، وإضبارة[2] : أضابير ، وأسطور : أساطير ، وأسطورة : أساطير[3].

٤- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[4] – : «يقول فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين ، وجنود الشـــيطان من المشركين ونظر بعضهم إلى بعض ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ يقول: رجع القهقرى على قفاه هارباً. يقال منه: «نكص ينكص وينكص نكوصاً» ومنه قول زهير[5]:

---

(١) انظر مختصر الصرف ص(٤٥).

(٢) الإضبارة : الحزمة من الصحف. انظر المعجم الوسيط (٥٥٣/١) «ضبر».

(٣) انظر المرجع السابق ص(٤٥)، والمعجم المفصل في علم الصرف ص(٢٩٥).

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٤٨ .

(٥) انظر ديوانه ص (٩٣) ، ولسان العرب (٢٧/٣) «حبك».



هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا * لا ينكصون إذا ما استلحمو وحموا»[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ فقال : «وقوله : ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ معناه : رجع من حيث جاء. وأصل النكوص في اللغة: الرجوع القهقرى. قال زهير:

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا * لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا»

كذا أنشد الطبري ... وبذلك فسر الطبري هذه الآية ، وفي ذلك بعد، وإنما رجوعه في هذه الآية مشبه بالنكوص الحقيقي ، وقال اللغويون : النكوص الإحجام عن الشيء ، يقال: أراد أمراً ثم نكص عنه . وقال تأبط شراً[(٢)]:

ليس النكوص على الأدبار مكرمة   إن المكارم إقدام على الأسل

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فليس هاهنا قهقرى ، بل هو فرار . وقال مؤرج[(٣)]: نكص هي رجع بلغة

(١) جامع البيان (١١/١٤).

(٢) ثابت بن جابر بن سفيان ، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية ، مات قبل الهجرة بزمن كبير. انظر خزانة الأدب (١/١٣٧)، والأعلام (٢/٩٧) . والبيت لم أقف عليه في ديوانه الذي جمعه ذو الفقار ، وهو في الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٧)، والدر المصون (٥/٦١٨).

(٣) مؤرج بن عمرو السدوسي العلامة شيخ العربية ، (ت : ١٩٥هـ) انظر السير (٩/٣٠٩).



سليم[١].

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ يبين أنه إنما أراد الانهزام والرجوع في ضد إقباله»[٢].

حاصل الخلاف بين الإمامين أن الطبري يرى أن معنى ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ رجع القهقرى على قفاه هارباً.

وابن عطية يرى أن معنى الآية إنما هو الرجوع فاراً منهزماً ، وليس هناك مشية القهقرى وإنما هذا مجرد تشبيه.

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة والمعاني والتفسير يتبين لنا الحق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة.

قال أبو عبيدة : ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ مجازه : رجوع من حيث جاء[٣].

وقال ابن قتيبة : ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ أي رجع القهقرى[٤].

وقال الزجاج : ومعنى ﴿ نَكَصَ ﴾ رجع بخزي[٥].

---

(١) سليم : قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، تتفرع إلى عدة عشائر وبطون. انظر معجم قبائل العرب (٥٤٣/٢).

(٢) المحرر الوجيز (٣٣٥/٦، ٣٣٦).

(٣) مجاز القرآن (٢٤٧/١).

(٤) تفسير غريب القرآن ص(١٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤٢١/٢).



وقال الراغب : النكوص الإحجام عن الشيء[١].

وقال ابن منظور : «النكوص : الإحجام والانقداع عن الشيء تقول: أراد فلان أمراً ثم نكص على عقبيه ... ونكص على عقبيه : رجع عن ما كان عليه من الخير ... النكوص : الرجوع إلى وراء وهو القهقرى»[٢].

ونحو أقوال هؤلاء الأعلام نحى المفسرون وأصحاب غريب القرآن ومعانيه - الذين اطلعت على مؤلفاتهم - فبعضهم يذكر أن معنى ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ رجع القهقرى أو نحو هذا وهذا قول الإمام الطبري[٣].

وبعضهم يذكر أن معنى ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ رجع ، أو رجع من حيث جاء ، أو نحو هذا. وهذا قول ابن عطية[٤] وبعضهم يشير إلى القولين[٥].

---

(١) المفردات ص(٥٠٦).

(٢) لسان العرب (١٤/٢٨٥) «نكص».

(٣) انظر - على سبيل المثال - تفسير غريب القرآن للسجستاني ص(٦٣)، وتفسير كتاب الله العزيز (٢/٩٨)، وغرائب التفسير (١/٤٤٣)، ووضح البرهان (١/٣٨٧)، وتفسير النسفي (٢/١٠٧)، والفتوحات الإلهية (٢/٢٤٨، ٢٤٩)، وروح المعاني (١٠/١٥).

(٤) انظر - على سبيل المثال - غريب القرآن وتفسيره لليزيدي ص(١٥٩)، و تفسير القرآن لأبي الليث (٢/٢١)، والعمدة في غريب القرآن ص(١٤٤)، والتفسير الكبير (١٥/١٤١)، والتحرير والتنوير (١٠/٣٦).

(٥) انظر معاني القرآن الكريم (٣/ ١٦٣)، والوسيط (٢/ ٤٦٥) ، ومعالم التنزيل =



ولم أر – في ما اطلعت عليه – من ينفي أحد القولين إلا ما كان من القرطبي فإنه قد نحى إلى الأخذ بقول ابن عطية ، ورد القول الآخر [١].

وقد ذكر السمين ما يمكن أن يخرج عليه تفسير الإمام الطبري فيتفق مع ما ذهب إليه القاضي ابن عطية، إلا أنه اعترض عليه في آخر كلامه ، ونص كلامه في ذلك كما يلي: «قوله : ﴿ نَكَصَ ﴾ جواب لما. والنكوص : قال النضر بن شميل [٢] : «الرجوع قهقرى هارباً» .

قال بعضهم : هذا أصله إلا أنه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وإن لم يكن قهقرى ، قال الشاعر [٣]:

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا   لا ينكصون إذا ما استلحموا لحموا»

وقال المؤرج : النكوص : الرجوع بلغة سليم وقال الشاعر [٤]:

ليس النكوص على الأعقاب مكرمة   إن المكارم إقدام على الأسل

فهذا إنما يريد به مطلق الرجوع ؛ لأنه كناية عن الفرار وفيه نظر ؛ لأن غالب الفرار في القتال إنما هو كما ذكر رجوع القهقرى» [٥].

=

(٢/٢٥٤)، وزاد المسير (٣/٣٦٧).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٧).

(٢) النضر بن شميل بن خرشة المازني البصري ، الإمام العلامة النحوي ، (ت : ٢٠٤هـ). انظر السير (٩/٣٢٨).

(٣) تقدم قريباً ذكر قائله وبعض المراجع التي ذكرته.

(٤) تقدم قريباً تخريجه.

(٥) الدر المصون (٥/٦١٨).



قلت : ما ذكره السمين في آخر كلامه هو رد على ابن عطية في استدلاله بالبيت المذكور.

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري ليس ببعيد ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ فإن حقيقته الرجوع على مؤخرة القدم ، وهذا هو رجوع القهقرى كما نص على ذلك أصحاب اللغة. وهذا التفسير لا يتنافى مع قول من قال : رجع من حيث جاء ؛ لأن رجوع القهقرى غالباً يكون من الطريق الذي جاء منه ونهايته الفرار ، والهزيمة كما دلت على ذلك الآثار[1] ، وأشار إلى ذلك الإمام الطبري بقوله : «هارباً» ، ونحى إليه ابن عطية في تفسير الآية .

---

(١) منها ما أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٧/١٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس «قال جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بني مدلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ وذلك حين رأى الملائكة». هكذا ورد الأثر في تفسير الطبري، وفيه بعض اضطراب كما ترى.



والله أعلم.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾[١] قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هؤلاء (الآخرين) منهم ، وما هم؟ فقال بعضهم : هم بنو قريظة ... وقال آخرون : من فارس... وقال آخرون: هم كل عدو للمسلمين، غير الذين أمر النبي ﷺ أن يُشَرِّد بهم من خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون ... وقال آخرون : هم قوم من الجن»[٢].

ثم قطع الإمام الطبري حديثه عن هذه المسألة بمسألة الراجح في المقصود بالقوة في قوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ ثم عاد إلى إبداء رأيه في الراجح من الأقوال المتقدمة فقال : «وأما قوله : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ﴾ فإن قول من قال : عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب ؛ لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلموهم. ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

(٢) جامع البيان (١٤/٣٥، ٣٦، ٣٧).



حرب. ولا معنى لأن يقال: وهم يعلموهم لهم أعداء ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ ولكن معنى ذلك إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ؛ لأن بني آدم لا يروهم. وقيل: إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس[1].

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟ قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ، ولا سلاحهم ، وإنما كانا يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستسرون من الكفر ، وإنما أُمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو، فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون»[2].

---

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره (٣٢٣/٢) خبرين : أحدهما : رواه ابن أبي حاتم عن يزيد ابن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ قال: هم الجن. ثم قال رواه الطبراني، وزاد: قال رسول الله ﷺ : «لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل» ثم قال ابن كثير: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه.

(٢) جامع البيان (٣٧/١٤، ٣٨).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من ترجيح أن الآخرين هم الجن فقال - بعد أن ذكر الأقوال المتقدمة - : «ورجح الطبري أن الإشارة إلى الجن، وأسند[1] في ذلك ما روي من أن صهيل الخيل ينفر الجن وأن الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس للجهاد، ونحو هذا . وفيه على احتماله نظر ، وكان الأهم في هذه الآيات أن يبرز معناها في كل ما يقوي المسلمين على عدوهم من الإنس ، وهم المحاربون ، والذين يدافعون عن الكفر ، ورهبتهم من المسلمين هي النافعة للإسلام وأهله ، ورهبة الجن وفزعهم لا غناء له في ظهور الإسلام وهو أجنبي جداً.

والأولى أن يتأول أن المسلمين إذا ظهروا وعزوا هابهم من جاورهم من العدو المحارب لهم، فإذا اتصلت حالهم تلك بمن بعد من الكفار داخلته الهيبة ، وإن لم يقصد المسلمون إرهابهم فأولئك هم الآخرون. ويحسن أن يقدر قوله: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ بمعنى لا تعلمونهم فازعين راهبين ، ولا تظنون ذلك بهم، والله تعالى يعلمهم بتلك الحالة . ويحسن أيضاً أن تكون الإشارة إلى المنافقين على جهة الطعن عليهم والتنبيه على سوء حالهم ، وليستريب بنفسه كل من يعلم منها نفاقاً إذا سمع الآية ، ولفزعهم ورهبتهم غناء كثير في ظهور الإسلام وعلوه»[2].

(١) الذي رأيته أنه ذكره من غير سند، راجع نص كلامه.

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٢/٦).



هــذه الأقوال التي تقدمت في معنى الآية أشـــار إليها المفسرون في مؤلفاتهم[(١)].

وقــد تلمح من إشــارات بعضــهم الميــل إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري[(٢)].

وبعضهم يرجح أن المقصود بالآخرين هم المنافقــون[(٣)] ، وهذا القول قد استحسنه ابن عطية.

وقد استشكل الرازي ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: «وهذا القول مشكل ؛ لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن»[(٤)].

وقال الشيخ محمودِ شاكر : «وهذا الذي قاله الطبري رده العلماء من قوله ، وحق لهم... والآية عامة لا أدري كيف يخصصها أبو جعفر بخبر لا حجة فيه»[(٥)].

وبعد: فاســتدراك القاضي ابن عطيــة على الإمام الطبري في هــذه

---

(١) منهم الماوردي في النكت والعيون (٢/٣٣٠)، والزمخشري في الكشاف (٢/١٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٦٢)، وأكثر من استوفى ذكرها من هؤلاء الماوردي.

(٢) انظر تفسير الخازن (٢/٤٧).

(٣) انظر التفسير الكبير (١٥/١٤٩) ، والبحر المحيط (٤/٥٠٨)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٢٣)، ونظم الدرر (٨/٣١٤، ٣١٥)، والتسهيل (٢/١٢٣).

(٤) التفسير الكبير (١٥/١٤٩).

(٥) جامع البيان (١٥/٣٨) حاشية (١).



المســـألة هو كما قال ، وذلك لما قاله ابن عطية من تعليل ، وللأســـباب التالية أيضاً:

١- الجن عالم آخر من غير جنس الإنس ، لا نراهم ولا تحصل المواجهة بيننا وبينهم ، فيبعد أن يأمرنا الله تعالى بإعداد العدة لتخويفهم ، وهم وإن كان المردة منهم أعداء لبني آدم ، فإن الله قد أرشدنا إلى سلاح ندفعهم به ، وهو الاستعاذة بالله منهم.

٢- سياق الآيات السابقة واللاحقة يرشد إلى أن إعداد القوة إنما هي في مواجهة عدو من جنسنا.

٣- هذا القول مبناه على حديث قال عنه الحافظ ابن كثير : منكر لا يصح إسناده ، ولا متنه[١].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٢٣)، وقد تقدم نقل لفظه قريباً.



سورة التوبة

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[١] - : «يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك إذ قالوا لك : (لو استطعنا لخرجنا معك) حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكاً في دين الله»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في تأويل الآيـة أن غـيره أصوب منـه فقال : «وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ يريد في استئذانك ، وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك. وقوله : ﴿ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك ، وهم كذبة قد عزموا على العصيان ، أذنت لهم ، أو لم تأذن. وقال الطبري: معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذراً، والكافرين في ألا عذر لهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون ، وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٣ .

(٢) جامع البيان (١٤/٢٧٣).



كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . والأول الأصوب. والله أعلم »[١].

الظاهر أن القاضي ابن عطية يفهم تفسير الطبري على أنه يجعل عتاب الله للرسول ﷺ على أن أذن لمن هو مؤمن صادق في أن له عذراً ، وكافر لا عذر له ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون» يعني أن من يطلب العذر فيهم المؤمن وفيهم المنافق ، ويستدل القاضي على أن هذا هو مقصود الطبري بقوله : «وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر» وهو يعني بهذا ما ذكره عند قوله تعالى :﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾[٢] الآية بقوله : «ظاهر هذه الآية وما يحفظ من قصة تبوك أن الله لما أمر رسوله بغزو الروم ندب الناس ، وكان ذلك في شدة من الحر وطيب من الثمار والظلال ، فنفر المؤمنون واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيما من القبائل المجاورة للمدينة ، ويدل على ذلك قوله تعالى في أول هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[٣] لأن هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة ، بل هو عام، واعتذر المنافقون بأعذار

(١) المحرر الوجيز (٦/٥٠٦، ٥٠٧).

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٢.

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٣٨.

كاذبة ... وكانت أعذار المؤمنين حقيقة، ولكنهم تركوا الأولى من التحامل...»[١].

وفسر ابن عطية الآية التي نحن بصددها ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ... ﴾ بتفسير يحتمل أنه أراد أنها خاصة في المنافقين ، وأن العتاب للرسول إنما هو على إذنه لهم قبل أن يعلم الصادق في الاستئذان من الكاذب فيه، ويحتمل أنه أراد بها العموم ويشهد للأول أنه قد جعل تفسيره مقابل تفسير الطبري الذي قلت أنه يفهمه على أنه عام.

وبهذا كله يتبين موضع الخلاف بين الإمامين ، على حسب فهم القاضي ابن عطية لتفسير الإمام الطبري، وسيأتي مناقشة القاضي في هذا الفهم إن شاء الله تعالى.

إذا تبين هذا فما ذكره الإمام الطبري والقاضي ابن عطية في معنى الآية هما قولان للمفسرين، فبعضهم يفسر الآية بنحو القول الذي قاله الإمام الطبري[٢] ، وبعضهم يفسرها بنحو القول الذي ذهب إليه القاضي ابن

---

(١) المحرر الوجيز (٦/٥٠٣).

(٢) انظر الوسيط (٢/٥٠١)، ومعالم التنزيل (٢/٢٩٧)، والكشاف (٢/١٩٢)، وتفسير البيضاوي (١/٤١٧)، وتفسير النسفي (٢/١٢٨)، وتفسير الخازن (٢/١٠٣)، وتفسير أبي السعود (٤/٦٨)، وفتح القدير (٢/٣٦٥)، وروح المعاني (١٠/١٠٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٥١)، وتفسير كتاب الله العزيز (٢/١٣٥).



عطيـــة[١].

وقد فسر أبو حيان الآية بالقول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية ، وأعقبه بقول الإمام الطبري منسوباً إليه ، وأعرض عن ذكر ما تعقب به القاضي من أن الأصوب في خلاف قول الإمام الطبري[٢]، وهذا يرشدك إلى أن القولين عنده معتبران ، وأنهما في القوة سواء.

وأما صاحب الجواهر الحسان – وهو الثعالبي – فقد تابع ابن عطية في ما قال[٣].

وبعد : فالذي ظهر لي في هذه المسألة ما يلي:

١- الإمام الطبري يفسر الآية ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ على أنها خاصة في المنافقين ، ولا يفسرها على أنها عامة كما يشير إلى ذلك كلام القاضي ابن عطية، وكما قد يظهر من النظر في كلام الطبري لأول مرة .

والأدلة على ما أقول أنك إذا تأملت كلام الإمام الطبري من أوله حتى منتهاه وجدت الحال على ما ذكرت إن شاء الله تعالى.

فقد قال الطبري: « القـــول في تأويل قوله : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ

---

(١) انظر التسهيل (٢/١٤٠) ، والتحرير والتنوير (١٠/٢١٠).

(٢) انظر البحر (٥/٤٩). وممن ذكر القولين ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٥).

(٣) انظر الجواهر الحسان (٢/١٧٥).



أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ... هذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين»[1] فقوله: «عتاب عاتب به نبيه في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين» صريح في أن الطبري يجعل العتاب على إذن الرسول للمنافقين.

وقال الطبري أيضاً : «يقول جل ثناؤه: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك ، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه»[2].

فهذا النص أيضاً أصرح من الذي قبله في أن الطبري يحمل الآية على خصوص إذن الرسول ﷺ للمنافقين. ومما يدل على أن الإمام الطبري يجعل العتاب على خصوص الإذن للمنافقين ، أنه قال: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك»[3]. ثم ساق بسنده عن مجاهد «قال ناس قالوا : استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا»[4].

---

(١) جامع البيان (١٤/٢٧٢).

(٢) المصدر السابق (١٤/٢٧٢).

(٣) المصدر السابق (١٤/٢٧٣).

(٤) أخرجه في جامع البيان (١٤/٢٧٣) من طريق ابن أبي نجيح.



فهذا مضمونه أن إذن الرسول وعدمه سواء ، وهذا لا يكون إلا من منافق .

وساق بسنده أيضاً – تحت الترجمة السابقة – عن الأودي[1] أنه قال: ((اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى))[2].

فإن قلت : فمن أين جاء القاضي ابن عطية بما نسبه للإمام الطبري؟.

قلت: فهمه مما تقدم نقله عن الطبري في أول المسألة وبالأخص من قول الإمام الطبري: ((فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكاً في دين الله)).

فقول الإمام الطبري : ((نفاقاً وشكاً)) هو الذي خوّل لابن عطية أن يقول ما قال. وليس ذكر قيد النفاق والشك عند من لا عذر له من المنافقين ، بمخوّل لنا أن نجعل الفريق الأول – الذي لم يذكر عندهم هذا القيد – من غير المنافقين ، وأن نقول : وعلى هذا التأويل يختلط المعتذرون. كما فعل القاضي رحمه الله.

٢- ما وصفه القاضي بالأصوب هو كذلك – إن شاء الله تعالى – لأن فيه إبداء عور المنافقين للناس الذين ينخدعون بهم ، وفيه فضيحتهم

---

(١) عمرو بن ميمون الأودي ، إمام حجة (ت: ٧٥هـ). انظر السير (١٥٨/٤).

(٢) أخرجه في جامع البيان (٢٧٣/١٤) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن الأودي.



على رؤوس الملأ ، وفيه عدم إعطاء الفرصة للمنافقين بوصف المسلمين بالسذاجة .

٢- أسند الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] - عن قتادة أنه قال : ((عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[2] فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك))[3].

وقول قتادة هذا أورده الإمام الطبري بعد ما فسر الآية بما تقدم عنه في المسألة السابقة ، وصدره بقوله: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[4].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله هذا القول في تفسير الآية ووصفه بأنه غلط ، فقال : ((وأدخل

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧٣/١٤) من طريق سعيد عن قتادة . وإسناده حسن.

(٤) انظر جامع البيان (٢٧٣/١٤).



الطبري – أيضاً – في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[١] قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا غلط ؛ لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق[٢] في استئذان بعض المؤمنين رسول الله ﷺ في بعض شأنهم ، في بيوتهم في بعض الأوقات ، فأباح الله له أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى»[٣].

هذا القول الذي ذكره قتادة أورده طائفة من المفسرين في مصنفاتهم من غير اعتراض عليه[٤].

واعترض أبو حيان على قتادة بنفس ما ذكره ابن عطية[٥].

وأشار إلى هذا الاعتراض الثعالبي ناحياً منحى ابن عطية أيضاً[٦].

فإذا رجعت إلى الآية التي في سورة النور[٧] ، وجدت علماء السير

---

(١) سورة النور ، الآية : ٦٢.

(٢) في بعض كتب السير أنها كانت سنة خمس في شوال . انظر السيرة النبوية (١٦٥/٣) ، وتاريخ الطبري (٩٠/٢) ، والكامل في التاريخ (٧٠/٢).

(٣) المحرر الوجيز (٥٠٧/٦).

(٤) انظر معاني القرآن الكريم (٢١٤/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٥٥/٨)، والتفسير الكبير (٦١/١٦)، وتفسير ابن كثير (٣٦١/٢).

(٥) انظر البحر (٤٩/٥).

(٦) انظر الجواهر الحسان (١٧٥/٢).

(٧) وهي قوله : ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾.

يذكرون أنها نزلت في حــق العاملين في الخنــدق ، وأنه كان رجال من المؤمنين تنوبهم الحاجة التي لابد منها فيذكرون ذلك لرسول الله ﷺ فيأذن لهم فإذا قضى الواحد منهم حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتســاباً له ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

---

(١) سورة النور ، الآية : ٦٢.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٣/١٦٥-١٦٨) قال حدثني زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال حدثني يزيد بن رومان ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما فذكروا الخبر. وهذا إسناد حسن - إن شاء الله - فابن هشام ترجمه الذهبي في السير (١٠/٤٢٨) ونعته بالعلامة ، وما ذكر فيه جرحاً، ونص أنه سمع السيرة النبوية من زياد صاحب ابن إسحاق. وبقية الرواة منهم الثقة ، ومنهم الصدوق . انظر تقريب التهذيب رقم (٢٠٨٥) و (٥٧٢٥) ، و(٧٧١٢) و(٣٥٥٢) و(٦٢٥٧) وتدليس ابن إسحاق لا يضر هنا ، لأنه صرح بالتحديث. والخبر أخرجه أيضاً الطبري في تاريخه (٢/٩٠، ٩١)، من طريق ابن إسحاق ، وأورده ابن الأثير في الكامل (٢/٧٠) ، وأورده السيوطي في لباب النقول ص(٤٩٩) وعزاه لابن إسحاق والبيهقي في الدلائل.

وهذا أيضاً أشار إليه عدد غير قليل من المفسرين[(١)].

وذكر ابن العربي أن بعض أئمة المالكية رووا عن الإمام مالك أن هذه الآية إنما كانت في حرب رسول الله ﷺ يوم الخندق[(٢)].

وفي المقابل نجد من يذكر أن آية النور ناسخة للآية السابقة وآيتين بعدها ، فأبو عبيد أورد القول بالنسخ عن ابن عباس[(٣)] ، وكذلك ذكره أبو جعفر النحاس عن الحسن وعكرمة وقتادة[(٤)] . وهذا يؤيد ما جاء عن قتادة .

وبعد : فأذكر لك ما أراه حول هذه المسألة في ما يلي:

١- ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من أن آية النور هي التي نزلت قبل - في غزوة الخندق - هو كذلك إن شاء الله تعالى ، ويترتب على هذا أنه لا ناسخ ولا منسوخ بين الآيات التي في سورة التوبة وبين آية النور، هـذا هو القول البين الواضح الذي ينبغي أن يعوّل عليه لما تقـدم

(١) انظر على سبيل المثال تفسير القرآن لأبي الليث (٤٥١/٢) ، والكشاف (٧٩/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٢)، والبحر المحيط (٤٣٦/٦) ، والتسهيل (١٥٧/٣) ، والدر المنثور (٦٠/٥) ، ولباب النقول في أسباب النـزول ص(٤٩٩)، وفتح القدير (٥٩/٤)، وروح المعاني (٢٢٣/١٨)، والتحرير والتنوير (٣٠٧/١٨).

(٢) انظر أحكام القرآن (١٤١٠/٣).

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ص(١٩٢).

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل (٤٣٨/٢، ٤٣٩).

ذكره عن علماء التفسير والسـير من أن آية النـور نزلت في أثناء غزوة الخندق.

ولأن هذا القول هو الذي عليه جمهور أهل العلم[١] ، ونقله الإمام مكي عن ابن عباس[٢] ، ورجحه بعض علماء الناسخ والمنسوخ كأبي جعفر النحاس[٣] وابن الجوزي[٤].

٢- أرى أن الإمام الطبري لا يلحقه لوم بإدخال هذا في تفسيره ؛ لأنه رحمه الله أراد أن يحفظ لنا هذا القول ، فالقول معتبر لم يصل إلى درجة بحيث لا ينظر فيه ، لأنه ثابت عن قتادة ، وورد عن بعض أئمة التابعين ما يؤيده ، بل قد روي عن ابن عباس ما يؤيده.

٣- فسر الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا

(١) انظر تفسير المنار (٥٤٦/١٠).

(٢) انظر الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص(٣١٦).

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل (٤٣٩/٢).

(٤) انظر نواسخ القرآن ص(٣٦٨) .



﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [1] على أنها في المنافقين[2]، ثم قال: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك»[3].

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: فمه»[4].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله هذا الحديث تحت هذه الآية فقال: «وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» وما شاكل هذا الحديث مما يقتضي اتباع أمة محمد ﷺ لسائر الأمم. وهو معنى لا يليق بالآية جداً؛ إذ هي مخاطبة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٩.

(٢) انظر جامع البيان (١٤/٣٤٠، ٣٤١).

(٣) جامع البيان (١٤/٣٤١).

(٤) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (١٤/٣٤٢) وقال الشيخ محمود شاكر: هذا خبر صحيح الإسناد. وهذا الحديث أخرجه أيضاً الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (١٣/٣٠٠)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ح(٧٣١٩) مع اختلاف في اللفظ يسير.

لمنافقين كفار أعمالهم حابطة ، والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دنياوية لا تخرج عن الدين»[١].

حاصل الاعتراض الذي أورده ابن عطية هو كيف يذكر الإمام الطبري ما ورد فيه تشبيه المؤمنين بالأمم السابقة في أمور لا تخرج من الملة تحت آية متضمنة تشبيه المنافقين الكافرين بمن هم قبلهم في الكفر وحبوط الأعمال.

وإذا نظرت في كتب التفسير وجدت بعض المفسرين المتقدمين كابن عباس قد روي عنه نحو ما فعل الإمام الطبري من إيراد الحديث في تفسير هذه الآية[٢].

وروي عن أبي هريرة أنه ذكر هذا الحديث ثم قال اقرأوا إن شئتم ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ... ﴾ الآية [٣].

وجاء بعض المفسرين من بعدهما - الطبري وغيره - فأوردوا في

(١) المحرر الوجيز (٦/٥٥٩، ٥٦٠).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/٣٤١، ٣٤٢) من طريق عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله. وقال عنه الشيخ محمود شاكر : إسناده ضعيف . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٥٥) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/٣٤١) من طريق أبي معشر . وقال الشيخ محمود شاكر : إسناده ضعيف.



تفسير هذه الآية هذا الحديث على أنه موضح للآية ومبيناً لها [١].

وأما ما ذهب إليه ابن عطية من الاستدراك فلم أجد من يوافقه عليه.

وبعد : فإذا نظرت في العلاقة بين الآية والحديث وجدتها في مطلق لفظ التشبيه ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

وهذا في ما يبدو هو الذي خوّل للإمام الطبري إيراد الحديث في تفسير الآية بالإضافة إلى ما تقدم أنه روي عن بعض الصحابة. لكن هذين الأمرين لا يصلحان أن يستند إليهما في إيراد الحديث في تفسير الآية ؛ لأن ما روي عن بعض الصحابة ضعيف لا يثبت . ولأن مجرد الاتفاق في لفظ التشبيه غير كاف في إيراد الحديث تحت تفسير هذه الآية للفارق الكبير - الذي أشار إليه ابن عطية - بين أحوال المخاطبين، إذ ما جاء في الآية مخاطبة لمنافقين كفار أعمالهم حابطة ، والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دنياوية لا تخرج عن الدين.

وبهذا يتبين أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة . والله أعلم.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ــ ، عند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ

---

(١) انظر معالم التنـــزيل (٢/٣٠٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٨/٢٠٠، ٢٠١)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٦٩).



وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [١] - : «فإن قال: وكيف قيل: أتتهم رسلهم بالبينات، وإنما كان المرسل إليهم واحداً؟ . قيل: معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله ، فتكون رسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلاً إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي[٢] «الفديكات» وأبو فديك واحد ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم ، دعوا بذلك، ونسبوا إلى رئيسهم، فكذلك قوله: ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ . وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية ، رسلهم من الله بالبينات»[٣].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن القول الذي قدمه الإمام الطبري في معنى الآيـــة غيره أبين منه فقال : « والضمير في قوله : ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ عائد على هذه الأمم المذكورة، وقيل: على المؤتفكات

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٠ .

(٢) عبد الله بن ثور بن قيس أبو فديك ، أحد الخوارج ، كان من أصحاب نجدة بن عامر الخارجي ، ثم ثار عليه فقتله، وأصبح له أتباع ينسبون إليه ، قتل في خلافة عبد الملك بن مروان . انظر مقالات الإسلاميين ص(٩٢) ، والفرق بين الفرق ص(٨٨)، والأعلام (٤/٧٦).

(٣) جامع البيان (١٤/٣٤٦).



خاصة ، وجعل لهم رسلاً وإنما كان نبيهم واحداً ؛ لأنه كان يرسل إلى قرية رسولاً داعياً، فهم رسل رسول الله ، ذكره الطبري ، والتأويل الأول في عود الضمير على جميع الأمم أبين»[١].

الأقوال في هذه المسألة ثلاثة ، المذكوران ، والثالث : أن (أتتهم) يعود على المؤتفكات ، أي: أتاهم رسول بعد رسول[٢].

وعندما تنظر في كتب التفسير تجد أن بعض المفسرين تعرض لهذه المسألة واكتفى بإيراد القول الذي ذكر ابن عطية أنه أبين[٣]. وهؤلاء هم الأكثر.

ومنهم من ذكر القولين مقدماً القول الذي يقول: إن الضمير في ﴿ أَتَتْهُمْ ﴾ راجع إلى جميع الأقوام المذكورة[٤].

وبعضهم نفى أن يرجع الضمير إلى المؤتفكات فقط[٥].

---

(١) المحرر الوجيز (٥٦٢/٦).

(٢) انظر البحر (٧٠/٥) فقد قال إن الكرماني ذكره ومعروف أن الكرماني يهتم بإيراد غرائب التفسير وهذا منها.

(٣) انظر زاد المسير (٤٦٨/٣) ، والتفسير الكبير (١٠٤/١٦) ، وتفسير البيضاوي (٤٢٣/١)، والجواهر الحسان (١٨٦/٢)، ونظم الدرر (٥٤١/٨) ، وتفسير كتاب الله العزيز (١٥٠/٢).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/٨)، والدر المصون (٨٥/٦)، وفتح القدير (٣٨٠/٢).

(٥) انظر روح المعاني (١٣٥/١٠).

وبعد : فالقولان الجديران بالبحث والمفاضلة هما القولان اللذان جنح إلى كل منهما الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية.

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الذي نعته القاضي ابن عطية أنه أبين هو كما قال، وذلك للأسباب التالية:

١- سياق الآية الكريمة يدل عليه ؛ لأن الله تعالى ذكر عدداً من الأمم المكذبة، ثم قال: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ والبينات هي المعجزات[١]، وهذا لا يمكن أن تكون إلا من رسول مؤيد من عند الله بالوحي.

٢- ولأن قرى قوم لوط وهي «المؤتفكات» كانت في ما يبدو مجتمعة في ناحية واحدة[٢]. فالظاهر أن لوطاً عليه السلام جاء إليهم ودعاهم بنفسه .

٣- ولأن من أشار من المفسرين إلى هذه المسألة - في ما اطلعت عليه - اكتفى بإيراد القول الذي ذكر ابن عطية أنه أبين ، أو قدم ذكره على غيره ، ومنهم من نفى رجوع الضمير في ﴿أَتَتْهُمْ﴾ إلى المؤتفكات فقط، وهذا كله يؤيد قول من قال : إن الرسل كانت إلى جميع الأمم المذكورة.

---

(١) انظر في تفسير البينات بالمعجزات البحر المحيط (٧٠/٥) ، ونظم الدرر (٥٤١/٨).

(٢) قال المفسرون والمؤرخون - في ما رأيت - : إنها كانت في الأردن ببلاد الشام . انظر تاريخ الأمم والملوك (١٧٥/١) ، والتحرير والتنوير (٢٦١/١٠) وسمى ابن عاشور قرى قوم لوط ، وذكر أنها كانت متجاورة ، وكانت في جهات الأردن حول البحر الميت.



٥- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادع الله لهؤلاء المنافقين ، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات ، بالمغفرة أو لا تدع لهم بها ، وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد، أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم».[2]

وذكر القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن الآية تحتمل معنيين الصحيح منهما خلاف قول الإمام الطبري ، فقال : « وقوله : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يحتمل معنيين »[3] ثم ذكر المعنى الذي قاله الإمام الطبري ، ثم قال : « وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية. والمعنى الثاني الذي يحتمله اللفظ : أن يكون تخييراً ، كأنه قال له : إن شئت فاستغفر ، وإن شئت لا تستغفر ، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة ، وهذا هو الصحيح لقول رسول الله ﷺ وتبيينه ذلك،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠ .

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٩٤) .

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٠) .



وذلك « أن عمر بن الخطاب ﷺ سمعه بعد نزول هذه الآية يستغفر لهم فقال يا رسول الله : أتستغفر للمشركين وقد أعلمك الله أنه لايغفر لهم ، فقال له « يا عمر : إن الله قد خيرني فاخترت ، ولو علمت إني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت » [(١)] ونحو هذا من مقاولة عمر في وقت إرادة النبي ﷺ الصلاة على عبد الله بن أبي سلول [(٢)] » [(٣)] .

هذه الآية الكريمة ذكر طائفة من المفسرين في معناها القولين اللذين أشار إليهما ابن عطية [(٤)] .

وقد نعت ابن الجوزي القول الّذي ذهب إليه الإمام الطبري بأنه قول المحققين[(٥)]. وإليه ذهب الزمخشري[(٦)] وغيره[(٧)] .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – مع الفتح – (٣/ ٢٢٨)، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين ح(١٣٦٦). من حديث ابن عباس عن عمر بنحو ما ذكر ابن عطية .

(٢) عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي، رأس المنافقين في الإسلام (ت ٩هـ) انظر الأعلام (٤/ ٦٥).

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٠، ٥٨١) .

(٤) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٢/ ٦٥) ، والنكت والعيون (٢/ ٣٨٦) وزاد المسير (٣/ ٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢١٩، ٢٢٠) .

(٥) زاد المسير (٣/ ٤٧٧).

(٦) انظر الكشاف (٢/٢٠٤، ٢٠٥) .

(٧) انظر معالم التنزيل (٢/٣١٥)، وتفسير البيضاوي (١/٤٢٥)، وتفسير النسفي =



ويظهر أن حجة هؤلاء شيئان .

الأول : أنهم حملوا « أو » في قوله : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ على التسوية لما يقتضيه سياق القصة وحملوا السبعين على المبالغة بمعنى أنه لا مفهوم له[1] .

الثاني : أن الله قال في آخر الآية عن هؤلاء المنافقين : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾وقد أخبر أنه لا يغفر للكفار، وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل ، وطلب المستحيل لا يقع من النبي ﷺ[2].

وأما القول الّذي صححه ابن عطية فقد جنح إليه جماعة من المفسرين منهم أبو حيان حيث قال: «والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير»[3] ، وكذلك ذهب إليه ابن جزي والألوسي[4] ، ومن قبل هؤلاء ذهب إليه جماعة من التابعين[5] .

=

(١٣٨/٢)، وتفسير ابن السعود (٤/ ٨٧). فكل أصحابها يرون هذا القول .

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٣٣٨) .

(٢) انظر المصدر السابق (٨/ ٣٣٩) .

(٣) البحر المحيط (٥/ ٧٧) .

(٤) انظر التسهيل (١٤٨/٢)، وروح المعاني (١٠/ ١٤٧) .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/٨) فقد ذكر أنه رأي الحسن وقتادة وعروة .

ودليل هؤلاء الحديث الذي أشار إليه ابن عطية ، وهو حديث ثابت في الصحيح .

وبعد : فالقول الذي صححه ابن عطية هو القول الأبين في معنى الآية؛ لأن الله تعالى قال لرسوله ﷺ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [١].وقد جاء على لسان رسول الله ﷺ بيان هذه الآية وأنها للتخيير ، ثم رفع هــذا المفهوم الصحيح بماجــاء في قــوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [٢].

وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٦ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٨٤ . وانظر – في أن هاتين الآيتين نسختا ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ – نواسخ القرآن ص(٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠). وأشار إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٣٦، ٣٣٧) .



٦- قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى، عند قوله تعالى:﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾[1]: بعد أن ذكر أن بعض المفسرين قال: الخالفون الرجال، وقال بعضهم: ﴿ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ أي مع النساء ، ورد هذا الطبري ــ : « ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال ، وأهل زمانتهم ، والضعفاء منهم والنساء ... ولو وجه معنى ذلك إلى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم : خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفاً إذا فسد ، ومن قولهم : هو خلف سوء كان مذهباً. وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم : خلف اللبن يخلف خلوفاً إذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ، ومن قولهم: خلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه»[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٣ .

(٢) جامع البيان (١٤/ ٤٠٤، ٤٠٥) .

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما جوزه آخراً في معنى الخالفين فقال: «والخالفون جميع من تخلف من نساء وصبيان ، وأهل عذر ، غلب المذكر ، فجمع بالياء والنون، وإن كان ثم نساء ، وهو جمع خالف ... وقال الطبري يحتمل قوله : ﴿ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ أن يريد مع الفاسدين فيكون ذلك مأخوذاً من خلف الشيء إذا فسد ، ومنه خلوف فم الصائم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تأويل مقحم ، والأول أفصح وأجرى على اللفظة»[1].

هذا المعنى الذي ذهب الإمام الطبري إلى أنه الآية تحتمله ذكره أهل اللغة في معاني « خلف » ففي تهذيب اللغة : « يقال: خلف فلان عن كل خير فهو يخلف خلوفاً إذا فسد و لم يفلح ... وخلف اللبن يخلف خلوفاً إذا أطيل إنقاعه حتى يفسد »[2].

وقال ابن فارس : « (خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة : أحدها : أن يجيء شيء يقوم مقامه ، والثاني : خلاف قدام . والثالث : التغير ...»[3].

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٧، ٥٨٨).

(٢) تهذيب اللغة (٧/ ٤٠١) «خلف».

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠) « خلف ».



وإذا نظرت في كتب المعاني والغريب، وتفسير القرآن الكريم تجد أن بعضهم يشير إلى المعنيين اللذين ذكرهما الإمام الطبري، وأكثرهم – في ما رأيت – لا يذكر المعنى الّذي وقع الخلاف فيه، بل يفسر الآية بنحو المعنى المتفق عليه بين الإمامين، ونذكر بعض النماذج لإيضاح ما قيل .

قال أبو عبيدة – في قوله : ﴿ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ – : « الخالف الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله ، وهو من تخلف عن القوم . ومنه اللهم اخلفني في ولدي. ويقال: فلان خالفة أهل بيته أي مخالفهم إذا كان لا خير فيه »[1].

وقال اليزيدي: ﴿ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ الخالف الذي يقعد بعدك[2] .

وقال ابن قتيبة – في قوله : ﴿ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ – : واحدها خالف ، وهو من يخلف الرجل في ماله وبيته[3] .

وقال الراغب : والخالف المتأخر لنقصان أو قصور ، كالمتخلف قال: ﴿ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾[4] .

وقال الألوسي في قوله: ﴿ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ أي المتخلفين لعدم

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٦٥).

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص (١٦٥).

(٣) تفسير غريب القرآن ص (١٩١).

(٤) المفردات ص (١٥٧).



لياقتهم كالنساء والصبيان والرجال العاجزين ، وجمع المذكر للتغليب، واقتصر ابن عباس على الأخير ، وتفسير الخالف بالمتخلف هو المأثور عن أكثر المفسرين السلف ، وقيل: إنه من خلف بمعنى فسد ، ومنه خلوف فم الصائم لتغير رائحته[١] .

وقد أورد الرازي في معنى الآية أقوالا ، منها المعنى الذي استدركه القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ، ثم قال: « ... لاشك أن اللفظ يصلح حمله على كل واحد منها ؛ لأن أولئك المنافقين كانو موصوفين بجميع هذه الصفات »[٢] .

وأورد أبو حيان هذا القول منسوباً إلى الإمام الطبري ، ولم يعترض عليه بشيء[٣] .

وممن أقر هذا المعنى في ﴿ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ أيضاً صاحب نظم الدرر [٤].

وبعد : فالذي يظهر لي – والله أعلم – أن قول الإمام الطبري ليس مقحماً، بل هو معنى تحتمله الآية، ويشهد له ما ذكره الإمام الطبري من ناحية اللغة، وكذلك أبو منصور الأزهري، ومن قبلهما أبو عبيدة، وقد يستأنس لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟

---

(١) روح المعاني (١٠/ ١٥٣).

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ١٢٠).

(٣) انظر البحر المحيط (٥/ ٨٣).

(٤) انظر نظم الدرر (٨/ ٥٦٥).



ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[2].

فالخلف – بإسكان اللام الثانية – في الآيتين الرديء المذموم الفاسد[3].

فكذلك لا يبعد أن يكون معنى ﴿ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ هنا كذلك.

وهذا المعنى واضح إذا فسرنا ﴿ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ بالمنافقين ، وهو القول الذي ابتدأ الإمام الطبري بذكره في معنى الآية[4] ، وذكره غيره من المفسرين[5].

وأما على المعنى الذي ارتضاه ابن عطية ففيه إشكال إذ كيف يقال لمن تخلف لعذر صحيح إنه فاسد؟!.

وقد يجاب بأن يقال : يطلق عليهم هذا تجوزاً إذ أنهم قد خرجوا عن حد الاعتدال في هذه الناحية ، ناحية صلاحيتهم للجهاد، فإطلاق

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٩.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٩.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٧٤) ، وزاد المسير (٣/ ٢٨٠).

(٤) انظر جامع البيان (١٤/ ٤٠٣).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢١٨).



الفساد عليهم نسبي . والله أعلم.

٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] - : « فإن قال : ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ ، وقد علمت أن المعذر في كلام العرب إنما هو الذي يعذر في الأمر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه، وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله ﷺ إلى عدوهم وحرصوا على ذلك ، فلم يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم (عذَّروا) وإذ وصفوا بذلك فالصواب في ذلك من القراءة ، ما قرأه ابن عباس ... ﴿ وَجَآءَ المُعْذِرُون﴾ مخففة ويقول هم أهل العذر[2].

قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهبت إليه وأن معناه : وجاء المعتذرون من الاعراب ، ولكن (التاء) لما جاورت (الذال) أدغمت فيها ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٩٠.

(٢) أخرج الطبري هذه القراءة في جامع البيان (١٤/ ٤١٦) من طريق أبي روق عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ ﴿ وَجَآءَ المُعْذِرُون﴾ وهي قراءة يعقوب أحد القراء العشرة . انظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨٠).



فصيرتا ذالاً مشـــددة لتقارب مخرج إحـــداهما من الأخرى كمـــا قيـــل «يذّكرون» في «يتذكرون»... وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذّرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله . فمن وجهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك ، غير أني لا أعلم أحداً من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله إلى ذلك فأستحب القول به .

وبعد : فإن الذي عليه من القراءة قرأة الأمصار ، التشديد في الذال ... ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الإعتذار ؛ لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمراً عَذّروا فيه ، وإنما كانوا فرقتين : إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق لأمر الله مخالف . فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله ﷺ ،وإنما هو معذر مبالغ ، أو معتذر...»[(١)] .

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من دفع وصف هؤلاء القوم بالتعذير فقال – بعد أن بين أن المتأولين إختلفوا في إيمان هؤلاء المعذرين فمن قال : إنهم كانوا مؤمنين يوجه هؤلاء القراءة في اللفظة إلى تخفيف ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ ومن قرأ من

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨) وقد اضطررت إلى نقل معظم كلام الطبري حول هذه الآية ؛ لأن موطن الاستدراك الذي جاء في آخر كلامه لايتبين إلا بذلك.



هؤلاء بالتشديد ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ قال أصلها «المعتذرون» ولها معنيان :

الأول : أنهم المعتذرون بأعذار حق . والثاني: الذين قد بلغوا عذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو معك فلم يقدروا.

ومن قائل : بل الذين جاءوا كفرة ، ويقرأ هؤلاء بالتشديد ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ ولها معنيان : الأول: أن أصلها (المعتذرون) والمعنى: معتذرون بكذب . والثاني: أن هذه القراءة أصلها من التعذير ، والمعنى: اللذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع - : « وضعف الطبري قول من قال إن « المعذرين » من التعذير وأنحى عليه ، والقول منصوص ووجهه بين ، والله المعين »[1].

حاصل كلام الإمام الطبري أنه لا يرى أن يكون ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ بتشديد الذال المكسورة من التعذير ، وإنما أصله : « المعتذرون » ويعلل لما ذهب إليه بأن من وصفه بقوله: ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ فريقان : فريق مجتهد طائع صادق في عذره ، وفريق منافق فاسق ، كاذب في عذره ، وهما بين معتذر بالحق ومعذر بالباطل إذاً كل من الفريقين لم يحصل منه تقصير في العذر حتى يقال : إن أصل ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ من التعذير ، الذي معناه : التقصير في العذر .

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٥٩٦ ، ٥٩٧) .



وابن عطية يناقضه في ما ذهب إليه فيرى أن ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ كما يصح أن أصلها « المعتذرون » ، يصح كذلك أن تكون من التعذير .

والذي يبدو – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ؛ لأن أهل العلم – الذين اطلعت على كلامهم – منهم من يذكر الوزنين معاً ، ومنهم من يذكر في ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ معنى لا يكون إلا على الوزن الَّذي رده الإمام الطبري .

قال الكرماني : « قوله : ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ يحتمل من الفعل وزنين ، أحدهما : مفعل من التعذير وهو التقصير في الاعتذار . والثاني : مفتعل من الاعتذار ، وهو طلب العذر من غير تصحيح ، وهذا مدح ، والأول ذم ، ولهذا قال ابن عباس: لعن الله المعذرين ، ذهب إلى أنه من التعذير »[1].

وقال أبو حيان : « وقرأ الجمهور ﴿ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴾ بفتح العين وتشديد الذال فاحتمل وزنين أحدهما : أن يكون فعّل بتضعيف العين ، ومعناه تكلف العذر ولا عذر له ، ويقال : عذر في الأمر قصر فيه وتوانى ، وحقيقته : أن يوهم أن له عذراً في ما يفعل ولا عذر له . والثاني : أن يكون وزنه افتعل وأصله اعتذر كاختصم فأدغمت التاء في الذال... »[2].

---

(١) غرائب التفسير (١/ ٤٦٢).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٨٦).



وقال الفراء : « وأما المعذّر ، على جهة المفعِّل فهو الذي يعتذر بغير عذر »[(١)].

وقال الزجاج : « ويجوز أن يكون المعذرون الذين يعذرون ، يوهمون أن لهم عذراً ، ولا عذر لهم »[(٢)].

وقال الواحدي : « المعذرون الذين تكلفوا عذراً بالباطل »[(٣)].

وقال الزمخشري : «﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى و لم يجد ، وحقيقته : أن يوهم أن له عذراً في ما يفعل ولا عذر له »[(٤)].

قلت : من ذكر الوزنين أجاز أن في ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ المؤمن الصادق في اعتذاره ، والمنافق الكاذب في اعتذاره . وهو رأي الإمام الطبري إلا أنه يركب هذا القول على وزن واحد ، لا وزنين ، ولا شك أن له هذا ، لكن دفعه للوزن الآخر جعل لابن عطية مقالة .

ثم ما علل به الإمام الطبري – لصحة ماذهب إليه – بقوله : « لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمراً عذروا فيه » ، وقوله أيضاً :

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٤).

(٣) الوسيط (٢/ ٥١٧).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٠٧).



« فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله ﷺ »

أقول : هذا يحتمل للإمام الطبري لو جعل من وصفوا بـ ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ قوماً مؤمنين صادقين في اعتذارهم – وهو قول في تفسير الآية (١) – أما وإنه قد جعل فيهم المؤمن الصادق ، والمنافق الكاذب ، فلا .

٨- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى- : « القول في تأويل قوله : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وقل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملو لله بما يرضيه من طاعته ، وأداء فرائضه ...» (٣).

وذكر القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن ما رآه الإمام الطبري من أن الآية في الذين اعترفوا بذنوبهم من المتخلفين الظاهر في غيره إلا بشرط فقال : «وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ ... صيغة أمر مضمنها الوعيد. وقال الطبري : المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا . قال القاضي

---

(١) راجع ما تقدم عند ذكر استدراك القاضي ابن عطية .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

(٣) جامع البيان (١٤/ ٤٦٢) .



أبو محمد رحمه الله : والظاهر أن المراد بها الذين اعتذروا ، ولم يتوبوا ، وهم المتوعدون ، وهم الذين في ضمير قوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ [(١)] ، إلا على الإحتمال الثاني من أن الآيات كلها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » [(٢)].

هذا الذي يظهر أنه استدراك ، قد استدركه ابن عطية بقوله : « إلا على الإحتمال الثاني من أن الآيات كلها على أنها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ».

لأن الإمام الطبري يحمل الآيات كلها على أنها في الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فقد قال في الآية التي تحتمل أنها في التائبين ، أو في الذين لم يتوبوا من المتخلفين ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾[(٣)] : « ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين ، الموثقوا أنفسهم بالسواري ، القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الّذي يطلقنا السائلو رسول الله ﷺ أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ...» [(٤)].

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٤ .

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٤ .

(٤) جامع البيان (١٤/ ٤٥٩).



٩- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ [1] قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس ، له سلطان السموات والأرض وملكهما ، وكل من دونه من الملوك ، فعبيده ومماليكه ، بيده حياهم وموهم ، يحيى من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون ، من قتال من كفر بي من الملوك ، ملوك الروم كانوا ، أو ملوك فارس والحبشة، أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي ، فإني المعز من أشاء منهم ومنكم ، والمذل من أشاء » [2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه – مع صحته – فهو قول يبعد ، فقال : « وذهب الطبري إلى أن قوله سبحانه : ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ ﴾ إشارة إلى أنه يجب أيها المؤمنون ألا تجزعوا من عدو وإن كثر ، ولا تهابوا أحداً فإن الموت المخوف والحياة المحبوبة إنما هما بيد الله تبارك وتعالى . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والمعنى الذي قال صحيح في نفسه ولكن قوله : إن القصد بالآية إنما هو لهذا قول يبعد ، والظاهر في الآية إنما هو لما نص في

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٦.

(٢) جامع البيان (١٤/ ٥٣٨) .



الآية المتقدمة نعمته وفضله على عبيده في أنه متى مَنّ عليهم بهداية ، ففضله أصبغ من أن يصرفهم ويضلهم قبل أن تقع منهم معصية ومخالفة أمر أتبع ذلك بأوصاف فيها تمجيد الله عز وجل وتعظيمه وبعث النفوس على إدمان شكره والإقرار بعبوديته »[(١)].

هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير الآية نقله ابن كثير في تفسير الآية نقل المقر له الراضي عنه[(٢)].

واعترض عليه أبو حيان بأنه غير مناسب ، فقال – بعد أن ذكر أن الآية دليل على قدرة الله الباهرة التي تضمنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[(٣)] – : « وتفسير الطبري هنا قوله ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ بأنه إشارة إلى أنه يجب للمؤمنين[(٤)] أن لا يجزعوا من عدو وإن كثر ، ولا يهابوا أحداً فإن الموت المخوف ، والحياة المحتومة إنما هي بيد الله غير مناسب هنا ، وإن كان في نفسه قولاً صحيحاً »[(٥)].

قلت : هذا هو استدراك ابن عطية ذكره أبو حيان بمعناه مستدركاً به أيضاً .

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٦) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

(٤) « للمؤمنين » هكذا هو في النسخ التي بين يدي . وحروف الجر تتناوب .

(٥) البحر المحيط (٥/ ١١٠) .



وبعد فالذي يبدو أن ما قاله القاضي ابن عطية في تفسير الآية هو مناسب ويعضده أن فيه محافظة على اتساق نظم القرآن الكريم ، وترابط آياته فإنه جعل الآية مرتبطة بسابقتها مباشرة[١] ، بين ما ينبغي على تفسير الإمام الطبري أن نربطها بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ... ﴾[٢] الآية .

وقد قوّى اعتراض ابن عطية موافقة أبي حيان له على ذلك . والله أعلم.

١٠- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٣] - : «وأما قوله : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة التوبة ، الآية : ١١٥.

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١١.

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٢ .



﴿قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ فإن أولى الأقوال في ذلك الصواب ، قول من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينــــزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك... فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون في الدين ؟ قيل : ننكر ذلك لاستحالته ؛ وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سبباً لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه ، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ، ولم ينفروا لم يكن سبباً في منعهم من التفقه.

وبعد: فإنه قال جل ثناؤه: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ عطفاً به على قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها ، وللإنذار وخــوف الوعيــد نفــرت ، فما وجه إنــذار الطائفــة المتخلفــة الطائفة النافــرة وقــد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنــذار الأخرى ، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفــة النافرة ؛ لأنها قد عاينت من قــدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفــر به ما لم تعاين



المقيمة...»[١].

وأشـــار القاضـــي ابن عطيـــة - رحمه الله تعالى – إلى رأي الإمام الطـــبري في هذه المســـألة مخالفاً له في القـــول الذي ضعفـــه بأنه قوي، فقال : « والجمهور على أن التفقه إنما هو بمشاهدة رسول الله ﷺ وصحبته .

وقالت فرقة يشبه أن يكون التفقه في الغزو في السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه وإظهاره العدد القليل من المؤمنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الإسلام ومكانته من الله تعالى ، ورجحه الطبري وقواه والآخر أيضاً قوي »[٢].

هذا الاستدراك من القاضي ابن عطية على الإمام الطبري ليس نصاً ، ولكنه إشارة ، وذلك أن قوله: « والآخر أيضاً قوي » أشار به إلا أن ما فعله الإمام الطبري من تضعيف قول الجمهور ليس كما قال .

والآية على أنها من بقية أحكام الجهاد[٣] تحتمل التأويلين اللذين أشار إليهما الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية .

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٧٣، ٥٧٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٧ / ٨٠) .

(٣) لأن هناك من يقول : إن الآية في طلب العلم، ولا تعلق لها بالجهاد. فيكون المعنى: فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه، وتنذر القاعدة إذا رجعت إليها . انظر التفسير الكبير (١٦/ ١٨٠)، وبدائع التفسير (٢/ ٣٨٦) .



وقد ذكر بعض المفسرين القولين في معنى الآية دون ترجيح أحدهما على الآخر(١).

وهناك من يرى أن القول الذي ضعفه الإمام الطبري هو الأبين في معنى الآية ، كالقرطبي ، فإنه ذكر ما اختاره الإمام الطبري ونسبه للحسن، ونسب القول الآخر إلى قتادة ومجاهد ، ثم قال : « وقول مجاهد وقتادة أبين، أي لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله ﷺ عن النفور في السرايا »(٢).

وقال ابن القيم في هذا القول – أعني ماضعفه الإمام الطبري- :
«وهذا قول الأكثرين ، وهو الصحيح »(٣).
وبعد : فالقول الذي ضعفه الإمام الطبري هو كما قال ابن عطية ، قول قوي ، وقوته تظهر من عدة جوانب :

١- هذا القول هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من قوله تعالى : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ فإن المعروف من التفقه في الدين أنه ملازمة العلماء لأخذ علوم الشرع .

٢- أن قوله تعالى : ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ يرشـــد

(١) كالرازي في التفسير الكبير (١٦/ ١٧٩)، والخازن في تفسيره (٢/ ١٦٧، ١٦٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٩٥) .
(٣) بدائع التفسير (٢/ ٣٨٦) .



أنهم ينذرونهم بما سمعوا وتعلموا وتفقهوا ، وهذا كإنذار النفر من الجن لقومهم الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] .

٣- ومن الأمور المقوية لهذا القول أن به قال جمهور أهل العلم ، واعتبره الفقيه القرطبي أبين ، ونعته الإمام ابن القيم بالصحة .

ويمكن أن يجاب عن اعتراض الإمام الطبري – على هذا القول بقوله: إنه مستحيل لأن خروج الطائفة النافرة لو كان سبباً لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه – بأن يقال : ما وصفه الإمام الطبري بالمستحيل يمكن أن يكون حقيقة واقعة ، وبيان ذلك: أن ذهاب الطائفة النافرة في سبيل الله سبب في حصول التفقه ؛ لأنها لو مكثت لاضطرب الأمن، وتخطف الأعداء البلاد، ومع هذه الحال لا يمكن التفقه؛ لأن الأمة حينئذ تكون مشغولة بالتعبئة العامة لمواجهة من يريد القضاء على الإسلام.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩، ٣٠ .



وأما قوله – رحمه الله – ما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ . يمكن أن يقال : الإنذار المذكور في الآية مقصود به إنذار الطائفة المتفقهة للطائفة النافرة بما تعلمته من أمور الدين .



سورة يونس عليه السلام

١- قـــال الإمام الطبري – رحمـــه الله تعالى ، عند قوله تعالى – : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [(١)] – : « ومعنى الحكيم في هذا الموضع (المُحكَمَ) صرف (مُفْعَل) إلى (فعيل) كما قيل : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بمعنى مؤلم ، وكما قال الشاعر[(٢)] :

أمن ريحانة الداعي السميع ....

... فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب المحكم ، الذي أحكمه الله وبينه لعباده ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [(٣)] » [(٤)] .

واستدراك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري

---

(١) سورة يونس الآية ، ١.

(٢) عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، الشاعر الفارس ، قيل له صحبة (ت: ٢١هـ). انظر الإصابة (٧/ ١٤٤) . والبيت في ديوانه ص (١٤٠) وعجزه (يؤرقني وأصحابي هجوع) والبيت أيضاً في لسان العرب (٦/ ٣٦٥) «سمع» ، وفي خزانة الأدب (٨/ ١٧٨) . واستشهد به على أن فعيلاً قد جاء لمبالغة «مُفْعِل» على رأي . وذكر أن مثله (أليم) بمعنى مؤلم.

(٣) سورة هود الآية ، الآية: ١.

(٤) جامع البيان (١٥/ ١٢).



بأن كلامه يتضمن قولين ، ساقهما على أنهما واحد ، فقال – بعد أن ذكر معنى حكيم – : « قال الطبري : فهو مثل أليم بمعنى مؤلم ، ثم قال : هو الذي أحكمه وبينه . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فساق قولين على أنهما واحد »[1] .

الذي يظهر أن استدراك القاضي ابن عطية ، على الإمام الطبري في هذه المسألة هو كما قال؛ وذلك أن الأمثلة التي ذكر الطبري أن (حكيم) مثلها – وهي (أليم) و (السميع) بمعنى مؤلم و (مسمع) بكسر عين الفعل[2] – تختلف عن المعنى الذي رتبه عليها بقوله : « فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه » إذ هذا المعنى الأخير يقتضي أن يكون « حكيم » بمعنى « محكم » بفتح العين .

٢– قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[3] – : « ...والهاء في قوله : ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ كناية عن القرآن وقد كان بعض نحويي البصرة يقول معنى ذلك : قل فأتوا بسورة

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٩٥).

(٢) انظر خزانة الأدب (٨/ ١٧٨ ، ١٧٩) فقد ذكر أن وزن (مؤلم) و (مسمع) «مفعل» بكسر العين.

(٣) سورة يونس ، الآية: ٣٨.



مثل سورته ... وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ، ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، أن السورة ، إنما هي سورة من القرآن ، وهي قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقيل لهم : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ .

و لم يقل (مثلها) ؛ لأن الكناية أخرجت المعنى – أعني معنى السورة – لا على لفظها ؛ لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل : (فأتو بسورة مثلها) [١] .

واستدراك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما قاله في توجيه ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ فقال : « وقوله : ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ صفة للسورة ، والضمير عائد على القرآن المتقدم الذكر ، كأنه قال : فأتوا بسورة مثل القرآن ، أي في معانيه وألفاظه . وخلطت فرق في قوله : ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ من جهة اللسان كقول الطبري : ذلك على المعنى ، ولو كان على اللفظ لقال (مثلها) وهذا وهم بين لا يحتاج إليه » [٢] .

هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك أكثر من رأيت من المفسرين – الذين اطلعت على مصنفاتهم – يشـــير إلى أن الضمير في ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ راجع

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٩١ ، ٩٢).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٢).



إلى القرآن الكريم ، ولا يتكلف غير هذا[1] .

وهناك من ذكر القول الذي رآه الإمام الطبري واستدركه عليه القاضي ابن عطية[2] .

والذي يبدو – والله أعلم – أن الأمر كما قال ابن عطية من أن الضمير راجع إلى القرآن المتقدم ذكره ، وأن المقصود (مثله) في ألفاظه ومعانيه؛ وذلك أن هذا هو المتبادر من السياق، وهو أدل على الإعجاز لأنه يعطي المتحدى سعة، فلا يقصره على هذه السورة، ولأن أكثر من رأيت من المفسرين على هذا المعنى، كما تقدم ذكر ذلك عنهم. والله أعلم.

٣- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِ ﴾[3]- : « ومعنى قوله : ﴿ أَثُمَّ ﴾ في هذا الموضوع : أهنالك ، وليست « ثم » هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف»[4].

---

(١) انظر – على سبيل المثال – تفسير القرآن للسمرقندي (٢/ ٩٩)، وتفسير كتاب الله العزيز (٢/١٩٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٤) ، والكشاف (٢/ ٢٣٧)، وتفسير النسفي (٢/١٦٤)، وتفسير الخازن (٢/١٩٠)، والبحر المحيط (٥/١٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠٥) ، وروح المعاني (١١/ ١١٨).

(٢) انظر معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٩٤) فقد ذكره أبو جعفر النحاس بلفظ (وقيل) ولم يصدر به تفسير الآية.

(٣) سورة يونس ، الآية: ٥١.

(٤) جامع البيان (١٥/ ١٠١) .



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى « ثم » فقال : « وقوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ الآية ، عطف بقوله : « ثم » جملة القول على ما تقدم ، ثم أدخل على الجميع ألف التقرير . ومعنى الآية : إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به حينئذ ، وذلك غير نافعكم ، بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به ... وقال الطبري في قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ ﴾ بضم الثاء، معناه: هنالك ، وقال : ليست « ثم » هذه التي تأتي بمعنى العطف . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والمعنى صحيح على أنها (ثم) المعروفة ... وما ادعاه الطبري غير معروف »[1] .

هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، قاله بعض المفسرين – ممن جاء بعده – في الآية [2].

ولعلهم تأثروا به في ذلك ، فإن هذا القول في ما يبدوا لم يسبقه إليه أحد ، ولذلك قال القرطبي – بعد أن ذكر القول - : « وهو مذهب الطبري »[3].

وقد تتابعت أقوال العلماء في نقد ما ذهب إليه الإمام الطبري .

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٣).

(٢) انظر معالم التنـــزيل (٢/ ٣٥٧) ، وزاد المسير (٤/ ٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٥١).



فقال أبو حيان- بعد أن ذكر قول الطبري - : « وما قاله الطبري من أن (ثم) هنا ليست للعطف دعوى ، وأما قوله إن المعنى : أهنالك ، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى ، لا أن ثم المضمومة الثاء معناها معنى هنالك »[١].

وقال السمين : « وثم حرف عطف ، وقد قال الطبري ما لا يوافق عليه فقال : (وثم هذه بضم الثاء ليست التي بمعنى العطف ، وإنما هي بمعنى هنالك) فإن كان قصد تفسير المعنى – وهو بعيد – فقد أبهم في قوله ؛ لأن هذا المعنى لا يعرف في « ثم » بضم الثاء ... »[٢] .

وقال ابن هشام – بعد أن ذكر قول الطبري منسوباً إليه – : « وهذا وهم ، اشتبه عليه ، ثم المضمومة الثاء بالمفتوحتها »[٣] .

وبعد : فليس لي من كلام بعد أقوال هؤلاء الأئمة التي تتابعت في نقد ما ذهب إليه الإمام الطبري ، وتأييد ابن عطية في استدراكه . إلا أنني أذيل بشيئين :

الأول : أنني قد اطلعت على أكثر من كتاب في ما يتعلق بالنحو واللغة فلم أظفر بقول يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري[٤] .

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٦٦).

(٢) الدر المصون (٦/ ٢١٧).

(٣) مغني اللبيب (١ / ١١٩).

(٤) انظر شرح المفصل (٨ /٩٤) ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني ص (٢٤٩، =



الثاني : ظاهر كلام الإمام الطبري أنه فسر الآية على القراءة المتواترة ﴿ أَثُمَّ ﴾ بضم الثاء ولكن التفسير الذي ذكره يحتمل على قراءة (أَثَمَّ) بفتح الثاء ، ومن المعلوم أنها قراءة شاذة(١) ، ويبعد في مثل هذا الإمام أن يقرأ بها ويفسر الآية عليها ، فيبقى مجرد احتمال . والله أعلم .

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾(٢) - : « ويقول : وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضائعهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم »(٣) .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من تخصيص إسرار الندامة من المشركين بالوضعاء والسفلة ، فقال : « قال الطبري : المعنى وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سفلتهم ، ووضعائهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : بل هو عام في جميعهم »(٤).

=

٢٥٠)، ولسان العرب (٢ / ١٣١ ، ١٣٢).

(١) نسبت إلى طلحة بن مصرف . انظر المحرر الوجيز (٧ / ١٦٣) ، والبحر (٥ / ١٦٦). وما قاله الإمام الطبري يناسب هذه القراءة.

(٢) سورة يونس ، الآية: ٥٤.

(٣) جامع البيان (١٥/ ١٠٣).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٦).



هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري قال به جمع من المفسرين[١] ، بل قد قال الواحدي : إنه قول عامة المفسرين وأهل التأويل[٢].

وإلى العموم أشار بعض المفسرين كأبي حيان ، وأبي السعود ، والألوسي[٣].

وقد وجه بعضهم النقد لهذا القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، فقال أبو حيان – بعد أن حكاه – : « وهذا فيه بعد ؛ لأن من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه ، فكيف له فكر في الحياء ، وفي التوبيخ الوارد من السفلة »[٤].

وقال الألوسي: بعد أن حكاه أيضاً -: « وفيه أن ضمير ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ عام لا قرينة على تخصيصه ، على أن هول الموقف أشد من أن يتفكر معه في أمثال ذلك »[٥].

---

(١) انظر – على سبيل المثال – معاني القرآن للفراء (١/ ٤٦٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥) ، تفسير القرآن لأبي الليث (٢/ ١٠٢) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٥٧).

(٢) انظر الوسيط ٢/ ٥٥٠).

(٣) انظر البحر (٥/ ١٦٨) ، وتفسير أبي السعود (٤/ ١٥٤) ، وروح المعاني (١١/١٣٧).

(٤) البحر (٥/ ١٦٨).

(٥) روح المعاني (١١/ ١٣٧).

وبعد فما ذكره القاضي ابن عطية من العموم هو الأصل في قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ حتى يقوم دليل صحيح على تخصيصه بمن ذكر.

ويرشد إلى صحة القول بالعموم ذكر (كل) المضافة إلى (نفس) المذكورة في أول الآية بقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ فإنه قد جاء في التفسير أن الضمير في ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ راجع إلى الأنفس المدلول عليها بكل نفس[1] . والله أعلم.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : « القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] قال أبو جعفر : يقول جل ذكره : ألا إن كل ما في السموات ، وكل ما في الأرض من شيء لله ملك ، لا شيء فيه لأحد سواه .

يقول : فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شيء يملكه فيفتدي به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه... »[3].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري

---

(١) انظر البحر المحيط (٥/ ١٦٨) ، وفتح القدير (٢/ ٤٥٣).

(٢) سورة يونس الآية: ٥٥.

(٣) جامع البيان (١٥/ ١٠٣ ، ١٠٤).



ما ذهب إليه في ربط الآيتين بأن فيه بعداً ، وليس من فصيح المقاصد ، فقال : « قال الطبري : يقول : فليس لهذا الكافر يومئذ ، شيء يفتدي[١] به . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وربط الآيتين هكذا يتجه على بعد، وليس هذا من فصيح المقاصد »[٢] .

ما ذهب إليه الإمـــام الطبري في المناســـبة بين الآيتين قـــال به بعض المفسرين[٣] .

وقد اختلفت أنظار أهل العلم في هذا الربط بين مستحسن له ، وراد.

فقال الفخر الرازي – بعد أن ذكره منســـوباً إلى بعـــض الناس – : « واعلم أن هذا التوجيه حسن »[٤] .

وقال العلامة الألوسي – بعد أن ذكره مصدراً بقيل – : « وليس بشيء وإن ذكره بعض الأجلة ، واقتصر عليه »[٥] .

وبعد : فلا شك أن ذكر العلاقة بين آية وأخرى اجتهاد من المفسر ؛ ولذلك تختلف وجهات النظر فيه ؛ فما يراه هذا حسناً ، قد يراه آخر

---

(١) في نسخ المحرر الوجيز «يقتدي» بالقاف ، والصواب بالفاء كما في تفسير الإمام الطبري.

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٦).

(٣) انظر تفسير الخازن (٢/١٩٤) ، وفتح القدير (٢/٤٥٣).

(٤) التفسير الكبير (١٧/ ٩١).

(٥) روح المعاني (١١/ ١٣٨).



ليس بشيء . وما ذكره الإمام الطبري هنا في العلاقة بين الآيتين له اتجاه – في نظري – لأن الكافر ربما إذا سمع قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾[1] ففكر ببلادة عقله أنه يبقى مالكاً يوم القيامة ، كما كان في الدنيا فيفتدي بما يملك ، وقد ذكر الله هذا التعلق الخاطئ عن أحدهم فقال : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[2] فأيّسهم الله من ذلك بأن ما في السموات والأرض ملك لله تعالى الذي كفروا به وجحدوه.

وأيضاً فربط الآيتين بما ذكر الإمام الطبري فيه زيادة تحسير وتندم للنفس الظالمة ، حيث أخبرت بأن ما تود أن تفتدي به ليس لها منه شيء، ولا تقدر على التوصل إليه[3] ، وهذا مقصد له اتجاه حسن .

٦- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] - : « وقوله : ﴿ وَبَشِّرِ

---

(١) سورة يونس ، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الكهف الآية: ٣٦.

(٣) انظر نظم الدرر (٩/ ١٤١) فقد ذكر هذا بقوله: وفي الآية زيادة تحسير وتندم ...إلخ.

(٤) سورة يونس ، الآية : ٨٧.



ﱡﭐ ﺍﻟْﻤُﺆْﻣِﻨِﻴﻦَ ﱠ[١] يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام . وبشر مقيمي الصلاة ، المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه »[٢] .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن التبشير لأمة محمد ﷺ فقال : « وقوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أمر لموسى عليه السلام . وقال مكي والطبري : هو أمر لمحمد ﷺ ، وهذا غير متمكن »[٣] .

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين .

فمنهم من يذهب إلى أن الضمير في ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ راجع إلى نبينا محمد ﷺ[٤] .

وذهب الأكثرون - في ما رأيت - إلى أن الضمير في (وبشر) راجع إلى موسى عليه السلام[٥] .

---

(١) في النسخة المحققة ، ونسخة دار الكتب العلمية « وبشر الله المؤمنين » والتصويب من النسخة الأميرية.

(٢) جامع البيان (١٥/ ١٧٦).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٢٠٤).

(٤) كالبغوي في معالم التنـــزيل (٢/ ٣٦٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٥٥).

(٥) كالزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٤٩)، والرازي في التفسير الكبير (١٧/١١٩)، والبيضاوي في تفسيره (١/ ٤٥٦)، والنسفي في تفسيره (٢/ ١٧٣) ، وأبي =



ومن المفسرين من ذكر القولين ، ورجح أن مرجع الضمير إلى موسى عليه السلام[1] .

والذي يظهر – والله أعلم – أن مرجع الضمير هو إلى موسى عليه السلام دل على ذلك سياق الآية الكريمة ، وأيضاً ما قبلها وما بعدها ، فإنها جميعاً في ذكر موسى ، وقومه ، ولم تتعرض لذكر رسولنا ﷺ .

ويبدوا أن الذي دفع القائلين بأن مرجع الضمير إلى نبينا محمد ﷺ هو توحيد الضمير في قوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فكأن لسان حالهم يقول : لو أراد الله تعالى موسى لذكر معه أخاه هارون فقال : ((وبشرا)).

والجواب : أن موسى عليه السلام هو الأصل في الرسالة ، وأخوه ردؤه ، ووزيره ، وكما كان الأصل في الرسالة ، فهو الأصل في البشارة، وأيضاً فإن موسى وأخاه لما أرسلا برسالة واحدة كانا رسولاً واحداً

=

حيان في البحر (٥/ ١٨٥)، وابن القيم في بدائع التفسير (٢/ ٤٠٩ ، ٤١٠)، والبقاعي في نظم الدرر (٩/ ١٧٨ ، ١٧٩) ، وأبي السعود في تفسيره (١٧١/٤)، والجمل في الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٦٨) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٢٦٧).

(١) كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٣) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ٢٥٥) ، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٤٦٧).



كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] .

٧- قال الإمام الطبري – رحمه الله ، عند قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [(٢)] - : « ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سخط الله بها ، بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيه ، واستحقاقه في سخط الله بمعصيته إلا قوم يونس ، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم . فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم » [(٣)].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٤ . وهذا الجواب هو لابن القيم فقد ذكره من غير أن يتعرض للخلاف في مرجع الضمير في قوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذكر بعضه أيضاً الرازي . انظر بدائع التفسير (٢ / ٤١٠) والتفسير الكبير (١٧ / ١١٩).

(٢) سورة يونس ، الآية : ٩٨.

(٣) جامع البيان (١٥/ ٢٠٥ ، ٢٠٦).



ثم ساق بسنده عن جماعة من المفسرين أنهم قالوا بهذا القول الذي ذهب إليه [١].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن قوم يونس عليه السلام خصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب ، فقال: « وذهب الطبري إلى أن قوم يونس عليه السلام خصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاينة العذاب ، ذكر ذلك عن جماعة من المفسرين ، وليس كذلك ، والمعاينة التي لاتنفع التوبة معها هي تلبس العذاب ، أو الموت بشخص الإنسان كقصه فرعون، وأما قوم يونس عليه السلام فلم يصلوا هذا الحد » [٢].

هذه المسألة وقع الخلاف فيها بين المفسرين ، قال البغوي : « واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا ؟ فقال بعضهم : رأوا دليل العذاب ؟ والأكثرون على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله:﴿ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ ﴾ والكشف يكون بعد الوقوع ، أو إذا قرب» [٣].

---

(١) انظر المصدر السابق (١٥/ ٢٠٧ – ٢١٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٢٣).

(٣) معالم التنـزيل (٢/ ٣٦٩). وكذلك نص على وجود الخلاف في هذه المسألة الخازن في تفسيره (٢/ ٢١١) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٥١)، وهود بن محكم في تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ٢٠٩) ، وغير هؤلاء ، وهو الواقع في كتب التفاسير .

قلت : ودليل من ذهب إلى أنهم لم يروا العذاب عموم النصوص التي تفيد أن المكلف لا ينفعه الإيمان عند المعاينة ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾(٢).

وقوله ﷺ : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »(٣).

قال القرطبي : « والغرغرة الحشرجة ، وذلك هو حال التلبس بالموت، وأما قبل ذلك فلا »(٤).

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٨٥.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٨ . وممن استدل بها الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٣٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سنة (٥/٥٤٧) ، كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار ... ح (٣٥٣٧) من حديث ابن عمر . وقال : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه ابن ماجة في سنة (٢/ ١٤٢٠) ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، ح (٤٢٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٣٢) من حديث ابن عمر . وقال الشيخ الألباني : حسن . انظر صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٤١٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨٤).



قال هذا بعد أن ذكر أن الحديث يعضد قول النافين أن قوم يونس رأوا العذاب.

ودليل إلى من ذهب إلى أن قوم يونس رأوا العذاب ظاهر الآية الكريمة فإنها تفيد أن القوم شاهدوا العذاب بدليل قوله. ﴿ كَشَفۡنَا ﴾ ومع ذلك لم يهلكهم الله كما أهلك القرى الأخرى عند هذه الحال ، فهذه خصوصية لقوم يونس في أن الإيمان نفعهم بعد أن رأوا العذاب .

وقد اختلفت أنظار العلماء في هذين القولين ، فبعضهم يؤيد القول الذي يقول: إن قوم يونس لم يروا العذاب ، وذلك كالقرطبي ، والثعالبي، والشوكاني[1].

وبعضهم يؤيد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري كالألوسي فإنه قال: « وظاهر الآية يستدعي أن القوم شاهدوا العذاب لمكان ﴿ كَشَفۡنَا ﴾ وهو الذي يقتضيه أكثر الأخبار ، وإليه ذهب كثير من المفسرين ، ونفع الإيمان لهم بعد المشاهدة من خصوصياتهم ... »[2].

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو أولى بالصواب للأسباب التالية:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨٤) والجواهر الحسان (٢/ ٢٦٠ ، ٢٦١) ، وفتح القدير (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر روح المعاني (١١/ ١٩٣).



١- لما ذكر الإمام البغوي وغيره من أن الآية دلت بلفظها على أنهم قد رأوا العذاب إذ الكشف إنما يكون بعد الوقوع ، أو إذا قرب بحيث يرى[١]. وتفريق ابن عطية بين الرؤية والتلبس يرد عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢].

٢- ولأنه لو لم يكن لقوم يونس خصوصية بالإنجاء من العذاب بعد رؤيته لم يكن للاستثناء المذكور في الآية معنى.

٣- سياق الآيات في هذه السورة يدل على أن قوم يونس لهم حالة لم تكن لغيرهم حيث ذكر الله تعالى في هذه السورة بعض قصص القوم المكذبين وختم ذلك بقصة فرعون وبين أن إيمانه لم ينفعه في حال المعاينة، ثم قال قبل الآية المذكور فيها قوم يونس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[٣] ثم ذكر قوم يونس كالمستثني لهم من هذه الحال

---

(١) لم يذكر الإمام البغوي « بحيث يرى » لكن هو الغالب في حال الشيء القريب.

(٢) سورة غافر ، الآية : ٨٤ ، ٨٥.

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩٦ ، ٩٧.



حالة الاستمرار على التكذيب حتى رؤية العذاب الذي يهلكهم ، وأنهم قد فعلوا ذلك فأنجاهم الله بفضل منه خصوصية لهم.

٤- هذا القول هو قول جمهور المفسرين ، وقد روي عن صحابة وتابعين[١].

٥- يبعد في حق جمع عظيم يصلون إلى مئة ألف أو يزيدون ، قد لجوا في الكفر أن يؤمنوا جميعاً من غير رؤية ما يضطرهم إلى الإيمان ، وهو العذاب.

فإن قيل : فما الإجابة عن أدلة من يرى أنهم لم يروا العذاب ؟

قيل ماستدلوا به نصوص عامة خص منها قوم يونس –عليه السلام– بلفظ الآية.

---

(١) انظر جامع البيان (١٥/ ٢٠٧ – ٢١٠) ، والدر المنثور (٣/ ٣١٧).



سورة هود عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن ؟ وهذا الخبر عن نوح ؟ قل لهم : إن افتريته فتخرصته واختلقته ﴿ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ يقول : فعلي إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم ، لا تؤاخذون بذنبي ، ولا إثمي ، ولا أؤاخذ بذنبكم ...»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الآية في شأن نبينا محمد ﷺ مع كفار قريش ، فقال : « وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ الآية. قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير : إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح عليه السلام ، وهي في شأن محمد ﷺ مع كفار قريش ، وذلك أنهم قالوا : افترى القرآن وافترى هذه القصة على نوح، فنـزلت الآية في ذلك.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا لو صح بسند وجب الوقوف

---

(١) سورة هود، الآية : ٣٥.

(٢) جامع البيان (١٥/٣٠٥ ، ٣٠٦).



عنده، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام ويبقى اتساق الآية مطرداً ، ويكون الضمير في قوله: ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ عائداً إلى العذاب الذي توعدهم به ، أو على جميع أخباره ...»[١].

هذه المسألة – التي وقع فيها الاستدراك – اختلف فيها المفسرون على قولين ، حاصلهما ما ذكره الإمام الطبري ، والقاضي ابن عطية[٢].

وبعضهم قال إن الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جمهور أهل العلم[٣].

وهناك من عكس فقال : إن القول الآخر هو قول جمهور أهل العلم[٤].

وأبعد ابن جزي – رحمه الله – عندما قال : إن القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري هو قول جميع المفسرين[٥].

وقد اختلفـــت أنظار أهل العلم في القولين ، فمن مؤيد للقول الذي

---

(١) المحرر الوجيز (٢٨٢/٧، ٢٨٣).

(٢) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (١٢٥/٢) ، ومعالم التنـــزيل (٣٨١/٢).

(٣) انظر غرائب التفسير (٥٠٤/١).

(٤) انظر التفسير الكبير (١٧٦/١٧) ، وتفسير الخازن (٢٢٩/٢) ، والفتوحات الإلهية (٣٩٣/٢)، وروح المعاني (٤٨/١٢). وأكثر هؤلاء يقول: وعليه أكثر المفسرين . ولعل هذا القول أشبه.

(٥) انظر التسهيل (١٩١/٢).



ذهب إليه الإمام الطبري كابن جزي فإنه فسر الآية على ذلك ، ونعته بأنه قول جميع المفسرين ، ثم قال : ((واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ لنوح ؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها ، وهو بعيد))[١].

وكذلك فعل ابن عاشور ، فقال – بعد أن فسر الآية على أنها معترضة بين جملة أجزاء قصة نوح مع قومه ، وليست منها – : ((ومن جعلها منها فقد أبعد ... ومناسبة هذا الاعتراض أن تفاصيل القصة التي لا يعلمها المخاطبون تفاصيل عجيبة تدعو المنكرين إلى أن يتذكروا إنكارهم، ويعيدوا ذكره ، وكون ذلك مطابقاً لما حصل في زمن نوح عليه السلام ...))[٢].

وفريق آخر يؤيد القول الذي ذهب إليه القاضي ابن عطية كالرازي فإنه قال – بعد أن وصف ما اختاره ابن عطية بأن عليه أكثر المفسرين –: ((وهذه الآية وقعت في قصة محمد ﷺ في أثناء حكاية نوح، وقولهم بعيد جداً))[٣].

وكذلك القرطبي رجح القول الذي ذهب إليه ابن عطية بقوله: ((وهو أظهر ؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه، فالخطاب منهم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٩١).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/٦٣ ، ٦٤).

(٣) التفسير الكبير (١٧/١٧٦) وقوله : ((وهذه الآية إلخ)) بداية ذكر قول الآخرين.



ولهـم»[١].

وكذلك أبو حيان قال – بعد أن ذكر القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري – : «ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده ، ولكن الظاهر أن الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ عائد على قوم نوح»[٢].

وأيضاً الألوسي نحى إلى هذا فاستبعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ووصف الآخر أنه الظاهر وعليه الجمهور[٣].

وكذلك الشوكاني ذهب في الترجيح إلى ما ذهب إليه هؤلاء[٤].

وبعد : فإذا تأملت في هذه الآية الكريمة من جهة السياق رأيت في ما ذهب إليه القاضي ابن عطية قوة لا تنكر. وإذا تأملت في القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري رأيت بلاغة القرآن ولطف إشارته تجيزه ولا تنفيه فإن في إدخال هذه الآية في أثناء هذه القصة تذكيراً للمشركين بجناياتهم السابقة ، التي ذكرها الله بقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[٥] فكأن الله يقول لهم : هذه القصة

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٩).

(٢) البحر المحيط (٥/٢٢٠).

(٣) انظر روح المعاني (١٢/٤٨).

(٤) انظر فتح القدير (٢/٤٩٧).

(٥) سورة هود ، الآية : ١٣.



- قصة نوح مع قومه - بتفاصيلها الدقيقة تشهد بكذبكم في دعوى أن القرآن مفترى.

كذلك في إدخال هذه الآية المتعلقة برسولنا ﷺ وقومه - في أثناء قصة نوح عليه السلام مع قومه - تسلية للرسول ﷺ فكأن الله يقول له - هنا - : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [(١)]. وإلى تجويز أحد الاحتمالين في معنى الآية ذهب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى [(٢)].

وفي نظري أن قول الإمام الطبري مقدم ، لما ذكر له من تعليل حسن[(٣)] . والله أعلم.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[(٤)] - : « إن تهزأوا منا اليوم ، فإنا نهزأ منكم في الآخرة ، كما تهزأون منا في الدنيا»[(٥)].

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٣٥.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن (٢/٣٦٥، ٣٦٦).

(٣) وقد ذكرت له أدلة أخرى في كتابي استدراكات الفقيه ابن حزي (ص/ ٣٠٥- ٣٠٧) .

(٤) سورة هود ، الآية : ٣٨ .

(٥) جامع البيان (١٥/٣١٠).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن الاستهزاء الحاصل من المؤمنين إنما يكون في الآخرة، فقال: «وقوله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ قال الطبري: يريد في الآخرة.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: ويحتمل الكلام - بل هو الأرجح - أن يريد: إنا نسخر منكم الآن، أي نستجهلكم لعلمنا بما أنتم عليه من الغرر، والكون بمدرج عذابه»[1].

ما ذهب إليه الإمامان هما قولان من أربعة أقوال قيلت في تفسير الآية، الأول والثاني ما ذكر، والثالث: أن السخرية عند الغرق[2]. والرابع: أنها عند الغرق ويوم القيامة[3].

وقد استبعد الشوكاني قول من قال عند الغرق بقوله: «وفيه نظر فإن حالهم إذ ذاك لا تناسبه السخرية إذ هم في شغل شاغل عنها»[4].

والذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الطبري وارد فإن الكفار كانوا يسخرون من نوح عليه السلام عند عمل السفينة، ومن أتباعه الذين آمنوا به، وكانوا حوله واثقين بأنه يعمل عملاً عظيماً.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/٢٩٠).

(٢) انظر معالم التنـزيل (٢/٣٨٣)، وزاد المسير (٤/١٠٣).

(٣) انظر الكشاف (٢/٢٦٨)، والبحر (٥/٢٢٢).

(٤) فتح القدير (٢/٤٩٧)، وأشار إليه أبو السعود في تفسيره (٤/٢٠٧).



وسخرية نوح عليه السلام والمؤمنين من الكافرين هي من سفه عقولهم، وجهلهم بالله وصفاته فالسخريتان مقترنتان في الزمن[١].

ويرجح ذلك ما يلي:

١- الكاف في قوله: ﴿ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ فإنها حرف تشبيه ، وتشابه السخريتين في العقاب إنما هو في حال الحياة.

٢- ولأن الفعل المضارع - نسخر - الذي جاء التعبير به يدل على الحدوث والتجدد ، فهو نظير قوله: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ﴾ وهذا يرشد إلى أن السخريتين وقعتا في زمن واحد.

٣- ولأن السخرية من كفار قوم نوح نوع من العقاب لهم ، وهو مناسب أن يكون في حال الحياة، إذ عند الممات لهم عقاب من نوع آخر، وكذلك في الدار الآخرة ، وهما المذكوران في قوله : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٢].

---

(١) انظر التحرير والتنوير (٦٨/١٢).

(٢) سورة هود ، الآية : ٣٩ . وفسر ﴿ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ بالغرق ، و ﴿ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ بعذاب الآخرة . انظر البحر (٢٢٢/٥) .



٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[1] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي ، وقد هلك ابني ، وابني من أهلي ، ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ ، الذي لا خلف له ، ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ بالحق ، فاحكم لي بأن تفي لي بما وعدتني ، من أن تنجي لي أهلي ، وترجع إليَّ ابني »[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما يظهر من كلامه أن مناداة نوح لربه نجاة ابنه كانت بعد غرق الابن ، فقال - بعد أن ساق الآية وما يتصل بها من تمام القصة -: «هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب ، وذلك أن هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح في السفينة ، ويظهر من كلام الطبري : أن ذلك كان بعد غرق الابن ، وهو محتمل ، والأول أليق »[3].

هذا الاستدراك لم يستبعد فيه القاضي ابن عطية ما يظهر أن الإمام الطبري ذهب إليه ؛ لأن الآية تحتمله، ولكن يرى أن غيره أليق بمعنى الآية،

(١) سورة هود، الآية : ٤٥ .

(٢) جامع البيان (١٥/٣٣٩).

(٣) المحرر الوجيز (٧/٣٠٩).



وهو هكذا يفعل في جملة من استدراكاته على الإمام الطبري.

ثم ما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية هما قولان في هذه المسألة ذكرهما بعض المفسرين من غير ترجيح قول على قول[١].

وكلام العلامة ابن عاشور في تفسيره يدل على أنه يجنح إلى القول الذي يقول : إن المناداة كانت بعد غرق الابن . وقد علل ذلك بتعليلين:

التعليل الأول : أن موقع الآية يقتضي أن نداء نوح - عليه السلام - كان بعد استواء السفينة على الجودي.

التعليل الثاني : أن نوحاً - عليه السلام - لما دعا ابنه إلى ركوب السفينة فأبى وجرت السفينة قد علم أنه لا وسيلة إلى نجاته فكيف يسألها من الله فتعين أنه سأل له المغفرة ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[٢].

ومال الزمخشري وأبو السعود والجمل والألوسي إلى أن نداء نوح عليه السلام ربه كان قبل أن يغرق ابنه حين خاف عليه[٣].

(١) كالبيضاوي في تفسيره (٤٧٠/١) ، وبرهان الدين البقاعي في نظم الدرر (٢٩٤/٩).

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٦ . وانظر التحرير والتنوير (٨٣/١٢).

(٣) انظر الكشاف (٢٧٣/٢) ، وتفسير أبي السعود (٢١٣/٤)، والفتوحات الإلهية (٤٠١/٢)، وروح المعاني (٧٠/١٢).



قال الزمخشري : « وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه »[١].

وأبو حيان : ذكر أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ، ثم أورد تفسير الإمام الطبري، وأعرض عن ذكر استدراك ابن عطية[٢].

وبعد : فهذه القصة محتملة أن تكون بعد غرق الابن ويعلل هذا الاحتمال بما ذكره ابن عاشور.

ومحتملة أن تكون أول ما ركب نوح السفينة ، قبل أن يغرق الابن ، وهذا قد يكون أولى للأسباب التالية:

١- لما ذكره الزمخشري من أن قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ يدل على أنه سأله نجاة الابن ، وهذا إنما يكون أول ما ركب السفينة قبل أن يغرق الابن . إذ هذا موضع السؤال في نجاته.

٢- ولما ذكره الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ فهذا يشير إلى أن هذه القصة كانت عند أول ما ركب السفينة قبل غرق الابن ، لأنه استنجزه ما وعده من نجاة أهله ظاناً أن ابنه منهم.

---

(١) الكشاف (٢/٢٧٣).

(٢) انظر البحر المحيط (٥/٢٢٩).



٣- ولأن هذا النداء منه عليه السلام يقطر منه الاستعطاف وجميل التوسل إلى من عهده منعماً مفضلاً في شأنه أولاً وآخراً ، وكل هذا يشير إلى أن ذلك كان قبل غرق الابن[(١)].

٤- ولأن قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ لو كان بعد غرق الابن كان الظاهر منه أنه سؤال استفسار عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم - في الظاهر - وهذا لا يقال لمن سأله: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(٢)] فدل ذلك على أن السؤال كان لنجاة الابن قبل غرقه[(٣)]. والله أعلم.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾[(٤)] - : «وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : « السـجيل » هو من الحجارة الصلب الشديد ، ومن الضرب ،

---

(١) أشار إلى هذا الألوسي في روح المعاني (١٢/٦٨).

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٦.

(٣) أشار إلى هذا أبو السعود في تفسيره (٤/٢١٢ ، ٢١٣).

(٤) سورة هود، الآية : ٨٢.



ويستشهد على ذلك بقول الشاعر[(١)] :

.... ضرباً تواصى به الأبطال سجيلا»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري إنشاده البيت باللام ، وإنما هو في قصيدة نونية فقال: «وقالت فرقة ﴿ سِجِّيلٍ ﴾ معناه : شديد ، وأنشد الطبري في ذلك : ضرباً تواصى به الأبطال سجيلا ، والبيت في قصيدة نونية: سجينا»[(٣)].

إذا نظرت في كلام الإمام الطبري تجده قد بين أن هذا التفسير والاستشهاد بالبيت عليه إنما هو رأي لبعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين.

---

(١) تميم بن أُبيّ بن مقبل ، شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم (ت : بعد ٣٧هـ) انظر خزانة الأدب (٢٣١/١)، والأعلام (٨٧/٢). والبيت في ديوانه ص(٣٣٣) من قصيدة له نونية ، وصدره (ورحلة يضربون البيض ضاحية) وهو أيضاً في مجاز القرآن (٢٩٦/١) ، وجمهرة أشعار العرب (٨٦٣/٢)، وصحيح البخاري – مع الفتح – (٣٥١/٨)، وتفسير غريب القرآن ص(٢٠٧، ٢٠٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٧١/٣)، وتهذيب اللغة (٥٨٦/١٠) «سجل» ، ولسان العرب (٦/ ١٨٤). وهو في هذه المصادر جميعها بالنون، ما عدا مجاز القرآن .

(٢) جامع البيان (٤٣٤/١٥) .

(٣) المحرر الوجيز ٣٧١/٧، ٣٧٢).

وهو يعني بذلك أبا عبيدة معمر بن المثنى ، فهذا هو كلامه في كتابه مجاز القرآن ، والبيت مذكور فيه باللام ((سجيلا))[(١)].

ومن خلال مراجعتي لبعض المصادر التي أوردت هذا البيت وجدتها كلها توردها بالنون ((سجينا))[(٢)].

ثم تأملت في نقل العلماء لكلام أبي عبيدة واستشهاده بالبيت ، فوجدت ابن قتيبة والزجاج ، وأبا جعفر النحاس ، والماوردي ، وابن الجوزي ينقلون كلامه موصولاً به استشهاده بالبيت المذكور برواية النون ((سجينا))[(٣)].

وكذلك الإمام البخاري أورد كلام أبي عبيدة والبيت الذي استشهد به فكان ذلك برواية النون، وهو وإن لم ينسب ذلك إلى أبي عبيدة ، إلا أنه أخذه منه ، نص على ذلك الحافظ[(٤)].

وذكر ابن منظور أن البيت قد روي عن بعض أهل اللغة باللام ، فقال – بعد أن أورد البيت برواية النون ، وأن هناك من رواه ((سجينا)) :

---

(١) انظر مجاز القرآن (٢٩٦/١).

(٢) تقدم ذكرها عند تخريج البيت.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ص(٢٠٧، ٢٠٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٧٠/٣، ٧١)، ومعاني القرآن الكريم (٣٧٠/٣)، والنكت والعيون (٤٩٢/٢، ٤٩٣) ، وزاد المسير (١٤٤/٤).

(٤) انظر فتح الباري (٣٥١/٨).



«وروي عن المؤرج سجيل»[١].

وبعد : فلا شك أن القارئ إذا تأمل كلام الإمام الطبري ، وما جاء في مجاز القرآن ، وعلى أي القوافي بنيت القصيدة التي جاء البيت منها ، وكذلك نقل العلماء عن أبي عبيدة ، وما قاله صاحب اللسان إذا تأمل كل هذا ظهر له أشياء منها :

١- أن رواية البيت الصحيحة بالنون «سجينا» ، لأن القصيدة التي ينتمي إليها البيت قافيتها بحرف النون.

٢- أن هذا الاستدراك الذي أورده القاضي على الإمام الطبري غير وارد عليه ، لأن الإمام الطبري اعتمد في ذكره لهذه الرواية على إمام من أئمة اللغة يوثق بقوله في ذلك ، وأحال القارئ عليه علماً أن هذه المسألة تعتمد على الرواية والنقل ، لا على إعمال الفكر، لأنه لا فرق - في المعنى - بين (سجينا) و (سجيلا)[٢].

---

(١) لسان العرب (٦/١٨٤) «سجن» . واللفظ فيه هكذا «سجيل» من غير ألف الإطلاق.

(٢) قاله الإمام البخاري في الصحيح - مع الفتح - (٨/٣٥١) ، والزجاج في معاني القرآن (٣/٧١)، ونقله الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/٥٨٦) . وأصل القول لأبي عبيدة وقد رده ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص(٢٠٧، ٢٠٨)، ورد الرد أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٣/٣٧٠).

٣- رواية اللام التي وقعت في مجاز القرآن يحتمل أن يكون ذلك من أبي عبيدة بناء على ما وصله من رواية ، وهو لم يطلع على أصل القصيدة التي منها هذا البيت ، ويحتمل أن يكون ذلك وقع في بعض نسخ مجاز القرآن التي وصلت إلى الإمام الطبري وإلينا ، وهو من تحريف بعض النساخ التي يقعون فيها من غير قصد.

والاحتمال الأخير عندي أولى لمكان أبي عبيدة ، ولأن الأئمة الذين تقدم أنهم نقلوا عنه القول أوردوا الرواية عنه بالنون.

٥- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1] قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغداة الفجر. فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي[2]... وقال آخرون : بل عنى بها صلاة المغـــرب[3] ... وقال آخرون : عنى بها صلاة

---

(١) سورة هود، الآية : ١١٤.

(٢) هذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (١٥/٥٠٢، ٥٠٣) إلى مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك.

(٣) هذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (١٥/٥٠٣) إلى ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . وكذلك عن ابن زيد.



العصر[(١)]... وقال بعضهم: بل عنى بطرفي النهار الظهر والعصر، وبقوله: ﴿ زُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ المغرب والعشاء والصبح[(٢)].

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هي صلاة المغرب ، كما ذكرنا عن ابن عباس. وإنما قلنا : هو أولى بالصواب لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهي تصلى قبل طلوع الشمس ، فالواجب إذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ؛ لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجباً أن يكون مراداً بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها، وذلك ما لم نعلم قائلاً قاله إلا من قال : عنى بذلك صلاة الظهر والعصر، وذلك قول لا يخيل[(٣)] فساده ؛ لأنهما إلى أن يكونا جميعاً من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار ؛

---

(١) هذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (١٥/٥٠٣، ٥٠٤) إلى الحسن وقتادة والضحاك ومحمد بن كعب القرظي . وبه قال الإمام محمد بن علي القصاب في كتابه نكت القرآن (٢/٥٧٠).

(٢) لم يسنده الإمام الطبري إلى أحد انظر جامع البيان (١٥/٥٠٤) وقال به الفراء في معاني القرآن (٢/٣٠) . واختاره ابن العربي كما في أحكام القرآن (٣/١٠٦٨).

(٣) يقال : أخال الشيء اشتبه ، وهذا الأمر لا يخيل على أحد أي لا يشكل . انظر تعليق محمود شاكر على جامع البيان (١٥/٥٠٥) حاشية (١).

وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار ، في النصــف الثاني منه ، فمحال أن تكون من طرف النهار الأول ، وهي في طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائـــل من أهل العلم يقول : عنى بصلاة طرف النهار الأول صلاة بعد طلوع الشمـــس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخــر صلاة قبــل غروبها ، وإذا كـــان ذلك كذلك صـــح ما قلنا في ذلك من القول ، وفســد ما خالفه»[١].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن القول الذي بدأ بذكره الإمام الطبري أحسن من القول الذي رجحه فقال - بعد أن حكى الأقوال المتقدمة - : «والأول أحسن هذه الأقوال عندي، ورجح الطبري أن الطرفين : الصبح والمغرب ، وأنه الظاهر ، إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى»[٢].

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين أعني تعيين الصلوات التي تقع في الطرف الثاني ، وكذلك قد وجد الخلاف في تعيين الصلاة التي تقع في الطرف الأول ، وقد استوفى الإمام الطبري ذكر الأقوال المعتبرة في المسألة، وما وقع بين علماء السلف فيها من خلاف[٣].

---

(١) جامع البيان (١٥/٥٠٢ - ٥٠٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤١٦).

(٣) هناك من يجوز أن تكون الآيـــة نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ، وأن المقصود =



وقد جاء المتأخرون فاختلفوا هم - أيضاً - في اختيار أحد الأقوال التي قيلت في الآية .

ولعل عرض اختياراتهم وتعليلاتهم ، وما أورد كل واحد منهم على الأقوال الأخرى يبين لنا القول الأقرب - إن شاء الله تعالى - في هذه المسألة.

فأبو حيان - رحمه الله - يختار قول من قال إن الطرف الأول هو الفجر ، والطرف الثاني هو العصر، ويعلل ذلك بأنهما طرفا النهار ، ويورد على الطبري في ذكره للإجماع على الطرف الأول ، والخلاف موجود فيه ، ثم يقول : «واختار ابن عطية قول مجاهد ، وجعل الظهر من الطرف الثاني ليس بواضح ، وإنما الظهر نصف النهار ، والظهر لا يسمى طرفاً للنهار إلا بمجاز بعيد ، ورجح الطبري قول ابن عباس ، وهو أن الطرفين هما الصبح والمغرب ، ولا نجعل المغرب طرفاً للنهار إلا بمجاز ، إنما هو طرف الليل»[1].

وحمل القاضي ابن العـــربي على الإمام الطبري في اختـــياره وتعليله ،

=

الصلاتان بمكة صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، والزلف من الليل صلاة التهجد. انظر تفسير ابن كثير (٤٦٣/٢) ونظم الدرر (٣٩٥/٩) وسبب نزول الآية الذي في صحيح البخاري - مع الفتح - (٣٥٥/٨) يدفع هذا.

(١) البحر المحيط (٢٧٠/٥).



فقال – بعد أن اختار قول من قال: إن الطرفين هما الظهر والعصر – : «والعجب من الطبري الذي يقول: إن طرفي النهار الصبح والمغرب، وهما طرفا الليل ... قال والدليل عليه إجماع الجميع على أن أحد الطرفين الصبح ، فدل على أن الطرف الآخر المغرب ، ولم يجمع معه على ذلك أحد...»[١].

ورأى العلامة القرطبي أن هذا تحامل من القاضي ابن العربي على الإمام الطبري ، فقال – بعد أن ذكر كلامه – : «هذا تحامل من ابن العربي في الرد ، وأنه لم يجمع معه على ذلك أحد ؛ وقد ذكرنا عن مجاهد أن الطرف الأول صلاة الصبح ، وقد وقع الاتفاق – إلا من شذ – بأن من أكل أو جامع بعد طلوع الفجر متعمداً أن يومه ذلك يوم فطر ، وعليه القضاء والكفارة ، وما ذلك إلا وما بعد طلوع الفجر من النهار ، فدل على صحة ما قاله الطبري في الصبح ، وتبقى عليه المغرب ، والرد عليه فيه ما تقدم »[٢].

والإمام الرازي – أيضاً – يرى أنه لا يجوز أن يقال : الطرف الثاني

---

(١) أحكام القرآن (١٠٦٨/٣، ١٠٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٩). وقوله «والرد عليه فيه ما تقدم» يعني ما نقله عن ابن عطية أنه قال: المغرب لا تدخل في طرفي النهار الثاني لأنها من صلاة الليل . انظر الجامع (١٠٩/٩) ولم أقف على هذا في النسخ التي بين يدي من المحرر الوجيز.



صلاة المغرب ؛ لأنها داخلة تحت قوله : ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ ويرجح أن الطرف الثاني هي صلاة العصر[١].

وبعد : فهذه الأقوال الأربعة محتملة في تفسير طرفي النهار ، وكل منها له وعليه ، إلا واحداً فإن عليه لا له . فما ذهب إلى اختياره الإمام الطبري يقويه أنه قد جاء عن حبر الأمة وترجمان القرآن من طريق علي ابن أبي طلحة[٢].

ويؤخذ عليه أن صلاة المغرب لا تصح إلا بعد غروب الشمس ، فكيف يقال : إنها في طرف النهار، وطرف الشيء لابد أن يكون منه.

وما ذهب إليه ابن عطية يزينه أنه شامل لجميع أوقات الصلوات الخمس.

ويؤخذ عليه أن تسمية الظهر طرف للنهار فيه بعد.

وأما قول من قال : إن الطرف الأول الصبح ، والثاني العصر فقول ظاهره القوة، ويؤيده الواقع.

ويؤخذ عليه عدم الشمول ، لخروج صلاة الظهر .

وأما قول من قال : الطرفان الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب

---

(١) انظر التفسير الكبير (٥٨/١٨).

(٢) تقدم أن الإمام الطبري أسند ذلك عنه من هذا الطريق.



والعشاء والفجر ، فقول عليه، لا له ، وقد عد في غرائب التفسير[١] ، ثم كيف تدخل الفجر في قوله : ﴿ زُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ وإنما تقع في الطرف الأول من النهار.

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن الذي قال القاضي ابن عطية : إنه أولى هذه الأقوال هو كما قال. وقد وافقه على اختياره وتعليله الإمام أبو جعفر النحاس ، فقال: «وقول مجاهد ... أحسن ؛ لأنه يجتمع به الصلوات الخمس»[٢].

قلت : وما اعترض به عليه من أن الظهر نصف النهار ، والنصف لا يسمى طرفاً إلا بمجاز بعيد عنه جوابان:

الأول : أن يقال : المقصود بطرفي النهار غدوة وعشية ، فصلاة الغدوة الفجر ، وصلاة العشية الظهر والعصر ؛ لأن ما بعد الزوال عشي[٣].

الثاني : أن يقال : صلاة الظهر أول وقتها بعد زوال الشمس ، ويمتد إلى وقت صلاة العصر ، وصلاة العصر لا شك واقعة في طرف النهار فلما جاورتها صلاة الظهر صح أن يقال : إنها وقعت في طرف النهار.

---

(١) انظر روح المعاني (١٢/١٥٦).

(٢) معاني القرآن الكريم (٣/٣٨٦).

(٣) انظر الكشاف (٢/٢٦٦).



٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[1] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ، ليهلك القرى التي أهلكها - التي قص عليك نبأها - ظلماً وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكن إهلاكه إياهم مع صلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلماً ، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم في غيهم، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات.

وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله: ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ يعني بشرك. ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ في ما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذكره في الاحتمال الثاني، فقال: «وقوله تعالى : ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ يحتمل أن يريد : بظلم منه لهم تعالى عن ذلك. قال الطبري: ويحتمل أن يريد : بشرك منهم وهم مصلحون في أعمالهم وسيرهم ، وعدل بعضهم في

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٧.

(٢) جامع البيان (١٥/٥٣٠).



بعض، أي أنه لابد من معصية تقترن بكفرهم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا ضعيف ، وإنما ذهب قائله إلى نحو ما قيل: إن الله تعالى يمهل الدول على الكفر ، ولا يمهلها على الظلم والجور . ولو عكس لكان ذلك متجهاً، أي : ما كان الله ليعذب أمة بظلمهم في معاصيهم ، وهم مصلحون في الإيمان . والاحتمال الأول في ترتيبنا أصح إن شاء الله»[١].

وجه بحث هذه المسألة أن القاضي ابن عطية يرى أن الإمام الطبري يقول : إن الآية تحتمل الوجه المعترض عليه.

وفي نظري أن هناك فرقاً بين قول الإمام الطبري : «وقد قيل معنى ذلك ... إلخ» وبين قول ابن عطية : «قال الطبري ويحتمل أن يريد ... إلخ».

إذ لا يلزم من نص الإمام الطبري أنه يرى أن الآية محتملة لهذا القول.

وأما على حسب كلام ابن عطية فيلزم منه أن الإمام الطبري يرى أن الآية محتملة للقول المذكور[٢].

ثم هذه الآية قد قيل في معناها غير ما ذكر فبالإضافة إلى هذين القولين هناك من قال: المقصود من الآية ما كان الله ليهلك القرى بظلم

---

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٢٢ ، ٤٢٣).

(٢) وقد نص أبو حيان أن هذا القول الذي ذكره الطبري هو نقلاً . انظر البحر (٥/٢٧٢).



أهلها المتقدم ، وهم مصلحـــون الآن ، أي إنهم بعد أن أصلحوا وتابوا لم يكن ليهلكهم بما سلف منهم من الظلم [١].

وهناك من يذكر معنى قريباً من هذا ، سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى عند الترجيح [٢].

ثم علماء التفسير – الذين اطلعت على مصنفاتهم – منهم من يذكر القولين اللذين ذكرهما الطبري وابن عطية ، دون ترجيح أو تعليق[٣].

ومنهم من يقتصر – في معنى الآية – على ذكر القول الذي ضعفه ابن عطية[٤].

وفريق ثالث يكتفي – في معنى الآية – بذكر القول الذي رجحه ابن عطية[٥].

---

(١) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٤٤١/٢).

(٢) هذا المعنى ذكره أبو السعود في تفسيره (٢٤٨/٤).

(٣) كالسمرقندي في تفسيره (١٤٦/٢، ١٤٧) ، والبغوي في معالم التنـــزيل (٤٠٦/٢)، والفراء في معاني القرآن (٣١/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٤)، والزمخشري في الكشاف (٢٩٨/٢)، والخازن في تفسيره (٢٥٨/٢)، والنسفي في تفسيره (٢٠٩/٢)، والرازي في التفسير الكبير (٦١/١٨)، والنيسابوري في غرائب القرآن (٨٨/١٢، ٨٩).

(٤) كالواحدي في الوسيط (٥٩٧/٢).

(٥) كابن كثير في تفسيره (٤٦٥/٢) ، والكرماني في غرائب التفسير (٥٢٢/١)، والنيسابوري في وضح البرهان (٤٤٦/١)، وابن جزي في التسهيل (٢/ ٢٠٨) ،

=

وهناك من ينص على هذا الاستدراك الذي وقع من ابن عطية على الإمام الطبري كأبي حيان فإنه قد ذكر ما نقله الإمام الطبري ، واستدراك القاضي وما رجحه في معنى الآية ، ولم يعقب على ذلك بشيء[1].

وممن كان له مشاركة في تأييد هذا القول - المستدرَك عليه — أو رَدِّهِ العلامة أبو السعود ، فقد قال - بعد ما ذكره - : «وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه ، فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولاً أولياً ، ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أمته أولاً عن الإشراك ، ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها ، فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي ، وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه ، بكون بعضهم متصدين للنهي عنه ، وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد»[2].

والألوسي ذكر ما نقله الطبري في تفسير الآية ، واستدراك القاضي

=

والبقاعي في نظم الدرر (٩/٤٠٠)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/١٨٦)، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/٣٠٢).

(١) انظر البحر المحيط (٥/٢٧٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/٢٤٧، ٢٤٨).



ابن عطية عليه ، وذكر أن وجه ضعفه ما ذكره بعض المحققين ، ثم أورد بعض ما قاله أبو السعود ، ثم قال : لكن قد جاء ما يدل لهذا التفسير وهو ما روي أن النبي ﷺ سئل عن تفسير هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام : «وأهلها ينصف بعضهم بعضاً»[1] ، ثم قال : «وهو ظاهر في المعنى الذي نقله الطبري ، ولعله لم يثبت عن رسول الله ﷺ وإلا فالأمر مشكل ، وجعل التصدي للنهي من بعض ، والاتعاظ من بعض آخر من إنصاف البعض البعض كما ترى فافهم»[2].

وبعد : فالظاهر أن القول الذي ذهب القاضي ابن عطية إلى تضعيفه هو كما قال ضعيف ، ووجه ضعفه ما ذكره العلامة أبو السعود.

وأيضاً مما يدل على ضعفه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠٨/٢) من حديث جرير بن عبد الله ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص(٢٨٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩/٧) : وفيه عبيد بن القاسم الكوفي وهو متروك. والحديث عند الطبراني مرفوع ، وعند الخرائطي موقوف وكلا الطريقين فيها الرجل المتروك . والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٥٦/٣). ونسب إخراجه إلى الطبراني والخرائطي وغيرهما.

(٢) روح المعاني (١٦٣/١٢، ١٦٤).



بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [١] وقد فسر الفساد بالشرك بالله تعالى وعصيانه[٢] ، فإذا كان الفساد ضد الصلاح ، والشرك أعظم الفساد ، علمنا أن قوله: ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ معني به غير المشركين.

وأما ما ذكر له من أدلة فهي مجرد تعليلات لا تقف أمام ما تقرر في فطر العقول السليمة أن الشرك أعظم الفساد . وقد ناقش ابن عطية وغيره هذه التعليلات.

والحديث الذي تقدم أنه قد يستدل به لهذا القول لا يثبت.

ثم المعنى الذي رجحه القاضي ابن عطية محتمل وأبين منه وأحسن ما ذكره العلامة أبو السعود بقوله: «فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره ، من أصناف المعاصي ، وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه ، وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد»[٣].

فهذا معنى جيد دل عليه سياق القرآن الكريم في قوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦.

(٢) انظر جامع البيان (٤٨٧/١٢).

(٣) تفسير أبي السعود (٢٤٧/٤، ٢٤٨).



قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[1]. فإن الله تعالى بين في هذه الآية الكريمة أن سبب هلاك القرون التي قبلنا هو عدم وجود الناهي عن الفساد إلا القليل الذين أنجاهم الله تعالى . ثم أكد الله تعالى هذا المعنى الأخير – وهو أن وجود الناهي عن الفساد سبب في عدم الهلاك – فقال في الآية التي على إثرها : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾.

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٦.



سورة يوسف عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى، عند قوله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ... ﴾[1]- : «فإن قـال قائل : كيف قيل : ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وقد علمت أنه كان دما لا شك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ .

قيل في ذلك من القول وجهان: أحدهما : أن يكون قيل: ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ لأنه كذب فيه ، كما يقال : (الليلة الهلال) ، وكما قيـل : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾[2]، وذلك قول كان بعض نحويي البصرة يقوله. والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله: وجاؤوا على قميصه دم مكذوب، كما يقال : (ماله عقل، ولا معقول)، (ولا له جلد، ولا مجلود) ، (والعرب تفعل ذلك كثيراً ، تضع (مفعولاً) في موضع المصدر، والمصدر في موضع مفعول كما قال الراعي [3] :

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦ .

(٣) عبيد بن حصين ، الراعي النميري ، من شعراء الإسلام المقدمين (ت : ٩٠هـ) انظر خزانة الأدب (٣/ ١٥٠) ، والأعلام (٤/ ١٨٨). واليت في ملحمته (ص٤٩) ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨). واليت يستشهد به على مجيء المصدر « معقولا » على زنة اسم المفعول من الثلاثي ، وهو قليل . انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/ ٦٦٢).

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولاً

وذلك كان يقوله بعض نحويي الكوفة »[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري استشهاده بالبيت مع أنه لا شاهد فيه ، فقال : « ووصف الدم بـ «كذب » إما على معنى : بدم ذي كذب ، وإما أن يكون بمعنى مكذوب عليه كما قد جاء (المعقول) بدل (العقل) في قول الشاعر :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولاً

فكذلك يجيء (التكذيب)[٢] كان (المكذوب).

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : هذا كلام الطبري ، ولا شاهد له فيه عندي ؛ لأن نفي (المعقول) يقتضي نفي (العقل) ، ولا يحتاج إلى بدل ، وإنما الدم الكذب عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة »[٣].

هذا الذي قاله الإمام الطبري ونسبة إلى بعض نحويي الكوفة قاله الإمام الفراء في معاني القرآن[٤]، وهو المقصود في كلام الإمام الطبري .

قال الفراء: « وقوله : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ معناه: مكذوب، والعرب تقول للكذب مكذوب وللضعف مضعوف، وليس له

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٥٨٢ ، ٥٨٣).

(٢) « التكذيب » كذا في النسخ ، وهو يعني « الكذب ».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٨ ، ٤٥٩).

(٤) انظر معاني القرآن (٢/ ٣٨).



عقــد رأي ، ومعقــود رأي ، فيجعلــون المصـــدر في كثير من الكلام مفعولاً ... »[(١)].

وهذا الذي قاله الإمام الفراء هو الذي ذكر في وجه الاستشهاد بالبيت فقيل : الشاهد في قوله : « معقولاً » حيث جاء المصدر على زنة اسم المفعول من الثلاثي ، وهو قيل ، ومن غير الثلاثي كثير[(٢)].

ثم استدرك القاضي ابن عطية وارد على الإمام الطبري – في ما يظهر – فإن نفي المعقول يلزم عنه نفي العقل ، فلا يحتاج بعد ذلك إلى أن يقال: إن نفي المعقول بدل من نفي العقل إذ قد استغنينا عن البدلية بالتضمن ، أو الالتزام .

٢– قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[(٣)] – : «... وأما قوله: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه ذلك[(٤)] ...

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٨).

(٢) انظر ملحمة الراعي ص (٤٩) ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٦٦٢/٢).

(٣) سورة يوسف، الآية ٤٩ .

(٤) هذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (١٢٩/١٦ ، ١٣٠) إلى ابن عباس =



وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ وفيه يحلبون[١] ... وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله : ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ إلى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من (العَصَر) و(العُصْرَة) التي بمعنى المنجاة من قول أبي زبيد الطائي[٢]:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أي المقهور ، ومن قول لبيد [٣]:

=

من طريقين إحداهما من طريق علي بن أبي طلحة، وكذلك أسنده إلى مجاهد والضحاك وقتادة.

(١) هذا القول أسنده الإمام الطبري في جامع البيان (١٣٠/١٦) إلى ابن عباس ورده الإمام الطبري بأنه خلاف المعروف من قول ابن عباس، وخلاف المعروف من كلام العرب.

(٢) المنذر بن حرملة ، وقيل: حرملة بن المنذر الطائي ، النصراني (ت : ٦٢هـ تقريباً) انظر خزانة الأدب (١٩٢/٤)، والأعلام (٢٩٣/٧). والبيت في كثير من المصادر منها مجاز القرآن (٣١٣/١) ، وتهذيب اللغة (١٤/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٤٥/٤) ، ولسان العرب (٢٣٧/٩) الكل في «عصر» ، والمخصص (٩٦/٩) ، وخزانة الأدب (٥١٢/٨) وبعض هذه المصادر ورد فيها الشطر الثاني فقط.

(٣) لبيد بن ربيعة العامري ، الصحابي (ت : ٤١هـ) انظر الإصابة (٦/٩) ، والأعلام (٢٤٠/٥) . والبيت في ديوانه ص(٦٨) ، وفي تهذيب اللغة (١٤/٢) ، ولسان

=

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم   وما كان وقافاً بغير معصر

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الرد الذي رد به قول من قال: إنه من (العصر والعصرة) فقال : «وقال جمهور المفسرين: هي من عصر النباتات كالزيتون ، والعنب، والقصب، والسمسم ، والفجل وجميع ما يعصر ، ومصر بلد عصر لأشياء كثيرة ... والحلب منه ؛ لأنه عصر للضرع . وقال أبو عبيدة وغيره : ذلك مأخوذ من العصرة والعصر ، وهو الملجأ ، ومنه قول أبي زبيد في عثمان رضي الله عنه [2]:

صادياً يستغيث غير مغاث   ولقد كان عصرة المنجود

ومنه قول لبيد :

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم   وما كان وقافاً بغير معصر

=

العرب (٢٣٧/٩) «عصر» والأخيران فيهما الشطر الثاني فقط . وكل هذه المراجع ترويه «بدار معصر».

(١) جامع البيان (١٢٩/١٦ - ١٣٢) . وهو يعني برده هذا أبا عبيدة . انظر قوله في مجاز القرآن (٣١٣/١، ٣١٤).

(٢) ذكر غير ابن عطية أنه قاله في ابن أخته اللجاج . انظر خزانة الأدب (٥١٢/٨) حاشية (٢).



أي بغير ملتجأ ، فالآية على معنى : ينجون بالعصرة ... ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة رداً كثيراً بغير حجة»[1].

هذه اللفظة الكريمة ﴿ يَعْصِرُونَ ﴾ مختلف في معناها على الأقوال التي ذكرت ، ومن المفسرين من ذكر أكثر من هذا[2].

والقول المشهور في معناها هو الذي نسبه ابن عطية للجمهور ، وكذلك نسبه غيره[3].

أما ما ذهب إليه أبو عبيدة – وهو الذي يعنيه الإمام الطبري بالرد – فقول تابعه عليه طائفة من أهل اللغة والمعاني والتفسير فذكروه ضمن الأقوال التي قيلت في معنى يعصرون[4].

---

(١) المحرر الوجيز (٥٢٩/٧ – ٥٣١) وقد أورد أكثر من هذين البيتين.

(٢) انظر النكت والعيون (٤٥/٣) ، وزاد المسير (٢٣٤/٤، ٢٣٥) .

(٣) انظر تهذيب اللغة (١٤/٢) ، وزاد المسير (٢٣٤/٤) ، والجواهر الحسان (٣٢٧/٢).

(٤) انظر– مثلاً – تفسير غريب القرآن ص(٢١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١١٤/٣)، وتهذيب اللغة (١٤/٢) «عصر»، و تفسير القرآن للسمرقندي (١٦٤/٢) ، والنكت والعيون (٤٥/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٣٠/٢) ، والكشاف (٣٢٥/٢)، وغرائب التفسير (٥٤٠/١)، ووضح البرهان (٤٥٨/١) ، والتفسير الكبير (١٢١/١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/٩)، وتفسير الخازن (٢٨٨/٢)، ولسان العرب (٢٣٧/٩) «عصر».

وأبو جعفر النحاس يرى أن الأجود في معنى ﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ ما ذكره الجمهور ،وليس ما قال أبو عبيدة حيث قال - بعد أن أورد عن ابن عباس أنه قال : يعصرون العنب والزيت - : «وزعم أبو عبيدة أن معنى ﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ ينجون من العصرة والعصر، وهما المنجا ... قال أبو جعفر: والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال ابن عباس...»[١].

وذكر الزمخشري أن تفسير ﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ بينجون مطابق للإغاثة في قوله: ﴿ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾[٢] .

وهذا الذي قاله الزمخشري فيه ما يؤيد ما ذهب إليه أبو عبيدة ، ولهذا قال السمين - بعد أن ذكر قول أبي عبيدة - : «ويعضد هذا الوجه مطابقة قوله: ﴿ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ »[٣].

وهذا الذي قاله قد سبقه إليه شيخه أبو حيان في البحر ، ولعله أخذه منه[٤].

ومع هذا كله فالذي تطمئن إليه النفس في تفسير هذه اللفظة الكريمة

---

(١) معاني القرآن (٣/٤٣٤).

(٢) الكشاف (٢/٣٢٥).

(٣) الدر المصون (٦/٥١١).

(٤) انظر البحر (٥/٣١٥).



﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ هو ما قاله جمهور أهل العلم ، وهو القول الذي نقل عن من فسر اللفظة الكريمة من الصحابة والتابعين ، ونعته أبو جعفر النحاس بأنه الأجود ، وقال السمين هو أظهر الأقوال[1].

وهو القول الذي يشهد له ظاهر لفظ ﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ وذلك أن ظاهر هذا اللفظ استخلاص شيء من شيء ، فلا يترك هذا الظاهر البين ، لمعنى بعيد قد تضمنه قوله : ﴿ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ إذ يلزم عن نزول الغيث – وهو المطر هنا – نجاة الناس من الهلاك ، فلا داعي أن يعاد هذا المعنى في قوله: ﴿ يَعۡصِرُونَ ﴾ .

أما قول القاضي ابن عطية : « ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة رداً كثيراً بغير حجـــة » فالمتأمل في رد الإمام الطبري يرى أنه لا يخلو من الحجة وملخص الحجة التي رد بها قول أبي عبيدة في ما يلي:

١- أن صاحب القول لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل . ومعنى هذا أن من كان هذا حاله فلا يؤخذ قوله مسلماً.

٢- أن صاحب هذا القول يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب. وهذا حجة في رد قول أبي عبيدة في هذا الموطن ؛ لأن من كان هذا حاله فقد يصيب أحياناً ، ويبعد النجعة حيناً ، فليس كل ما يصح في

---

(١) انظر الدر المصون (٦/٥١١).



معنى اللفظة – لغة – يصلح أن يفسر به القرآن ، لأن هناك اعتبارات أُخر من سياق وأسباب نزول... إلخ.

٣- أن قول هذا القائل مخالف لقول الصحابة والتابعين . وهذه حجة قوية للطبري ؛ لأن الصحابة والتابعين هم أهل اللسان ولا يخفى عليهم المعنى الذي ذكره هذا القائل ومع ذلك عدلوا عنه إلى المعنى الظاهر.

٣- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « إن قال لنا قائل: وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرِّق قوماً أبرياء من السَّرَق ، ويقول: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾[1].

قيل: إن قوله: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذا فقد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرَق ، ويوسف يعني ذلك السَّرق ، لا سرقهم الصواع. وقد قال بعض أهل التأويل إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٠.



قَبْلُ ﴾[(١)]...»[(٢)].

وأورد القاضي على الإمام الطبري أنه رجح قول من قال لم يكن تأذين المؤذن عن أمر يوسف فقال: «... واستسهل الأمر على ما فيه من رمي أبرياء بالسرقة ، وإدخال الهم على يعقوب عليه السلام وعليهم ، لما علم في ذلك من الصلاح في الآجل ، وبوحي لا محالة وإرادة من الله محنتهم بذلك ، هذا تأويل قوم ويقويه قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[(٣)]. وقيل إنما أوحي إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط ، ثم إن حافظها فقدها ، فنادى برأيه على ما ظهر إليه ، ورجحه الطبري ، وتفتيش الأوعية يرد عليه ...»[(٤)].

هذه المسألة البحث فيها من وجوه :

الأول : لم أجد للإمام الطبري من خلال نسخ تفسيره التي بين يدي حول هذه المسألة كلاماً غير الموطن الذي نقلته.

الثاني : ما نسبه القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري من أنه يرجح أن التأذين بالسرقة لم يكن عن أمر يوسف ليس كذلك. وإنما الذي يفهم من نص كلامه أن الذي قام بالتأذين ليس يوسف – عليه السلام – وهذا أمر

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٧.

(٢) جامع البيان (١٦/ ١٩٣ ، ١٩٤).

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٦.

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٢٦).

واضح لم أر من يخالف فيه.

ثم انتقل الإمام الطبري إلى المسألة الواقع فيها الخلاف فلم يرجح بل قال: « وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف».

الثالث : لعل الذي أوقع القاضي ابن عطية في نسبة الترجيح إلى الإمام الطبري ، قول الإمام الطبري « إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف » و لم يكمل قراءة النص.

سورة الرعد

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ [(١)] - : «والعمد جمع عمود، وهي السواري ، وما يعمد به البناء ، كما قال النابغة[(٢)]:

وخيِّس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر[(٣)] بالصفاح والعَمَدِ

وجمع العمود عمد كما جمع الأديم أَدَم ، ولو جمع بالضم فقيل : عُمُد جاز ، كما يجمع الرسول رُسُل، والشكور شُكُر»[(٤)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن العمد ، والأدم جمع ، فقال : «والعَمَدُ اسم جمع عمود ، والباب في جمعه عُمُد بضم الحروف الثلاثة[(٥)] ، كرسول ورُسُل ،

(١) سورة الرعد، الآية : ٢ .

(٢) النابغة الذبياني تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص(٣٣) ، وفي مجاز القرآن (١/٣٢٠) ، وتهذيب اللغة (٢/٢٥٢)، ولسان العرب (٩/٣٨٨) كلاهما في «عمد» . ومعنى «خيس الجن» أي ذللها ورضها. انظر لسان العرب (٤/٢٦٠) «خيس».

(٣) تدمر : بالفتح ثم السكون وضم الميم ، مدينة قديمة مشهورة ، في برية الشام . انظر معجم البلدان (٢/٢٠).

(٤) جامع البيان (١٦/٣٢٢، ٣٢٣).

(٥) صوابه بضم الحرفين ؛ لأن الثالث هو حرف الإعراب ، فلا يعتبر ضمه . قاله أبو حيان في البحر (٥/٣٥٣).

وشهاب وشُهُب ، وغيره ، ومن هذه الكلمة قول النابغة :

وخبر الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وقال الطبري : العَمد بفتح العين جمع عمود ، كما جمع الأديم أَدَمَاً ، وليس كما قال . وفي كتاب سيبويه أن الأَدَم اسم جمع ، وكذلك نص اللغويون على العمد ، ولكن أبا عبيدة ذكر الأمر غير متيقن فاتبعه الطبري»[1].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، فذهبت طائفة من أهل العلم بلسان العرب إلى أن «عَمَد» بفتح العين والميم جمع ، مثلها مثل (عُمُد) بضم العين والميم ومن هؤلاء الفراء ، والأزهري ، وابن فارس، والراغب، والعكبري[2].

وعلى هذا طائفة من المفسرين والقراء[3] منهم الإمام الطبري كما ترى.

---

(١) المحرر الوجيز (١١١/٨).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢٩١/٣)، وعلل القراءات (٧٩٧/٢) ، ومعجم مقاييس اللغة (١٣٧/٤)، والمفردات ص(٣٤٦، ٣٤٧) ، والتبيان في إعراب القرآن (٧٤٩/٢). وانظر أيضاً مختار الصحاح ص(٣٣٦) ، وترتيب القاموس المحيط (٣٠٧/٣)، والمصباح المنير ص(١٦٣) ، والمعجم الوسيط (٦٤٩/٢) «عمد» فكلهم على هذا القول.

(٣) منهم الواحدي في الوسيط (٣/٣) ، والبغوي في معالم التنـــزيل (٥/٣) ، والكرماني في غرائب التفسير (٥٥٨/١) ، وابن الجزري في النشر (٤٠٣/٢).



وذهبت طائفة أخرى إلى أن العَمَد - بفتح العين والميم - في قوله: ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ هو اسم جمع ، وهو الظاهر من كلام أبي علي الفارسي ، وإليه ذهب أبو البركات ابن الأنباري، وابن منظور[1] ، ونسبوا هذا المذهب إلى سيبويه في نظيره[2].

وعلى هذا بعض المفسرين كأبي حيان ، والسمين ، والثعالبي[3].

وبعد : فالذي يظهر أن الذي أطلق على ﴿ عَمَدٍ ﴾ جمعاً لم يبعد ، لما قال أبو حيان : من أنه يفهم منه ما يفهم من الجمع [4]. إلا أن القول الآخر يرجح لأسباب منها:

١- أن ﴿ عَمَدٍ ﴾- بفتح العين والميم - لم يكن على وزن خاص بالجموع القياسية[5].

ولهذا قال مكي : «وقيل هو اسم للجمع لأن «فَعولاً وفَعَلاً» غير

---

(١) انظر الحجة (٤٤٣/٦) وهو ما يفهم من كلامه ، ولم يصرح . وانظر أيضاً البيان في غريب إعراب القرآن (٥٣٥/٢)، ولسان العرب (٣٨٨/٩) «عمد».

(٢) انظر المحرر الوجيز (١١١/٨)، والدر المصون (٨/٧) حاشية (٤).

(٣) انظر البحر المحيط (٣٥١/٥)، والدر المصون (٨/٧)، والجواهر الحسان (٣٥٧/٢).

(٤) انظر البحر (٣٥١/٥).

(٥) قاله الدكتور الخراط . انظر الدر المصون (٨/٧) حاشية (٤). وانظر المعجم المفصل في علم الصرف ص(٢٠٤).



مستمرين في الجموع ، وإنما يأتي «فَعَل» جمعاً لفاعل ، كحارس وحرس ، وغائب وغيب»[(١)].

ونحو هذا قال أبو علي الفارسي [(٢)].

وقال السمين – ما معناه – : إن من قال : إن ﴿ عَمَدٍ ﴾ جمع نظر إلى المعنى دون الصناعة[(٣)].

٢- ولأن جمهور أهل العلم على أن ﴿ عَمَدٍ ﴾ بفتح العين والميم هو اسم جمع ، لا جمع ، قال العلامة الألوسي : «هو اسم جمع عند الأكثرين»[(٤)].

٢- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[(٥)]- :« وأما قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فإنه يعني : علا عليه»[(٦)].

---

(١) الكشف (٣٨٩/٢).

(٢) انظر الحجة (٤٤٣/٦).

(٣) انظر الدر المصون (٨/٧).

(٤) انظر روح المعاني (٨٦/١٣) . وقال عبد السلام هارون : والمعروف أن «العُمُد» بضمتين جمع للعماد والعمود ، وأن «العَمَد» بالتحريك اسم جمع لهما . انظر معجم مقاييس اللغة (١٣٧/٤) «عمد» حاشية (٥).

(٥) سورة الرعد، الآية ٢ .

(٦) جامع البيان (٣٢٥/١٦).



واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على عبارة الإمام الطبري فقال : «وفي البخاري عن مجاهد أنه قال : «المعنى : علا على العرش»[1] وكذلك هي عبارة الطبري ، والنظر الصحيح يدفع[2] هذه العبارة»[3].

لم يفصح أبو محمد - رحمه الله تعالى - عن بيان وجه النظر الصحيح الذي يدفع عبارة التابعي مجاهد والإمام الطبري.

ولعل مقصوده بالنظر الصحيح ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن من اعتراض من لم يرض بهذا التفسير أن قال : إذا كان الله لا يزال عالياً على المخلوقات ... فكيف يقال: ثم ارتفع إلى السماء وهي دخان ؟ أو يقال : ثم علا على العرش ؟ [4].

ثم هذا التفسير الذي قاله الطبري ، ومن قبله مجاهد هو أحد تفاسير السلف التي ذكرت في معنى الآية، وهي : استقر، وعلا، وارتفع، وصعد،

---

(١) أورده البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٠٣/١٣) معلقاً ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وقال الحافظ: وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

(٢) في النسخة القطرية «يرفع» بالراء بدل الدال ، والتصويب من المغربية ، ونسخة دار الكتب العلمية.

(٣) المحرر الوجيز (١١٣/٨).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٥٢١/٥).



قال ابن القيم في الكافية الشافية[١] :

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران

وكذلك قد صعد الذي هو رابع ... .

وهذا التفسير الذي قاله الإمام الطبري عليه جماعة من العلماء منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي، والإمام البغوي[٢].

ولا شك أن هناك معاني للاستواء غير ما ذكر قد قيلت في كتب المعاني والتفسير ، وغيرها من المصنفات ، وكلها لا تصلح في تفسير الآية[٣].

وبعد : فهذا المعنى الذي ذكره الإمام الطبري صحيح ، ولا يدفعه نظر ناظر وذلك لكونه من التفاسير التي قد جاءت عن السلف وحسبك بمجاهد منهم .

وهو معنى صحيح وارد في لغة العرب [٤] واكتفى بذكره أئمة في معنى الآية ، كما تقدم ، وأثنى عليه آخرون، مثل ابن

---

(١) انظر (٢٣٣/١).

(٢) انظر مجاز القرآن (١٥/٢) ، ومعالم التنزيل (٦/٣).

(٣) انظر فتح الباري (٤٠٥/١٣، ٤٠٦) فقد أتى على ذكرها ، أو على كثير منها.

(٤) انظر تهذيب اللغة (١٢٥/١٣) «سوى» .

ومنه قول الشاعر :

فأوردهم ماء بفيفاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

=



بطال[١] فقد نقل عنه الحافظ أنه قال : «وأما تفسير استوى : علا فهو صحيح ، وهو المذهب الحق ، وقول أهل السـنة ؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه بالعلي ، وقال: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢]، وهـي صفـة من صفات الذات»[٣].

ووصف العلامة الألوسي قول مجاهد والطبري بأنه قول متين [٤].

ولأن ما علل به لاعتراض أبي محمد – من أن الله لا يزال عالياً على المخلوقات فكيف يقال ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ علا على العرش ؟ – لا يدفع هذا التفسير . فيقال للإجابة عنه : «هذا كما أخبر أنه ينـزل إلى السماء الدنيا ، ثم يصعد ، وروي ثم « يعرج » وهو سبحانه لم يزل فوق العرش ، فإن صعوده من جنس نزوله. وإذا كان في نزوله لم يصر شيء

=

أي علا وارتفع . انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٠).

(١) علي بن خلف بن بطال القرطبي ، من كبار علماء المالكية (ت : ٤٤٩هـ). انظر السير (١٨/٤٧).

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٨ . وقد ورد في غيرها أيضاً.

(٣) فتح الباري (١٣/٤٠٦) . وقوله : أن الاستواء صفة ذات خالفه شيخ الإسلام فقال: «وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته» مجموع الفتاوى (٥/٥٢٣).

(٤) انظر روح المعاني (٨/١٣٦).

من المخلوقات فوقه ، فهو سبحانه يصعد وإن لم يكن منها شيء فوقه»[1] وهذا جواب شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2] -: «وقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحته بها في موقف القيامة ، وصافح له عن عقابه عليها عاجلاً وآجلاً»[3].

ورأى القاضي ابن عطية أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال : «ثم رجى تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ قال الطبري : معناه في الآخرة . وقال قوم : المعنى إذا تابوا، وشديد العقاب إذا كفروا.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو: ستره في الدنيا، وإمهاله للكفرة، ألا ترى التنكير في لفظ ﴿ مَغْفِرَةٍ ﴾،

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٥٢١ ، ٥٢٢) .

(٢) سورة الرعد، الآية : ٦ .

(٣) تفسير الطبري (١٦/٣٥٢).



وأنها منكرة مقللة ، وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾[1] ونمط الآية[2] يعطي هذا ، ألا ترى حكمه عليهم بالنار ، ثم قال: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأخبر بسيرته في الأمم ، وأنه يمهل مع ظلم الكفر ، ولم يرد في الشرع أن الله تعالى يغفر ظلم العباد [3] »[4].

تبين من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن المقصود بقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ الموحدين التائبين ، وابن عطية يرى أنها في الكفرة ، والمغفرة ستره في الدنيا وإمهاله لهم.

وما ذهب إليه الإمام الطبري في معنى الآية هو أحد محاملها المذكورة في كتب التفسير[5].

وكذلك ما ذهب إليه ابن عطية قد قيل به في معنى الآية[6].

ومن العلماء من يحمل ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾

---

(١) سورة طه ، الآية : ٨٢.

(٢) ونمط الآية ، أي وطريقة الآية . انظر لسان العرب (١٤/٢٩٣) «نمط».

(٣) يعني بالظلم الشرك.

(٤) المحرر الوجيز (٨/١٢٤، ١٢٥).

(٥) انظر النكت والعيون (٣/٩٥) ، والكشاف (٢/٣٥٠).

(٦) انظر زاد المسير (٤/٣٠٦) ، وتفسير الخازن (٣/٥).



على إمهاله في الدنيا للكفار والعصاة[١].

وقد أورد أبو حيان الأقوال في معنى الآية وختمها بذكر ما استظهره ابن عطية كالراضي عنه[٢].

ورد الرازي القولين – قول الطبري وابن عطية – بعد أن ارتضى أن الآية تدل على أنه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة ، فقال : «... تأخير العقاب لا يسمى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال: الكفار كلهم مغفور لهم ؛ لأجل أن الله تعالى أخر عقابهم إلى الآخرة»[٣] وهذا رد على ما استظهره ابن عطية.

ثم قال : «... إنه تعالى تمدح بهذا والتمدح ، إنما يحصل بالتفضل ، أما بأداء الواجب فلا تمدح فيه»[٤].

قلت : وهذا رد منه على من حمل الآية على التائبين ، وهو ما نحى إليه الإمام الطبري.

وعد الكرماني ما ذهب إليه ابن عطية في غرائب التفسير[٥] .

---

(١) هو قول ابن جزي في التسهيل (٢/٢٣٩ ، ٢٤٠).

(٢) انظر البحر (٥/٣٥٩).

(٣) التفسير الكبير (١٩/١١).

(٤) انظر المصدر السابق (١٩/١١).

(٥) انظر غرائب التفسير (١/٥٦١).



بينما يرى الطيـــبـــي [(١)] أن تأويله بالستر والإمهال أحسن[(٢)].

وبعد : فحاصل الأقوال في الآية ثلاثة :

الأول : أن تكون الآية في المشـــركين والمقصود بالمغفرة على الظلم تأجيل العقوبة عنهم وهذا يرى الإمام ابن عطية أنه الظاهر.

الثاني : أن تكون الآية في الموحدين ثم هذا القول اختلف أصحابه على قولين :

الأول : أنها في الموحدين التائبين وإليه ذهب الطبري.

الثاني : أنها في الموحدين غير التائبين وإليه ذهب الرازي.

الثالث : أن الآية في الكفار والعصاة وهو ما قاله ابن جزي . ويكون مغفرته تأجيل العقوبة عنهم[(٣)].

والذي يبدو والله أعلم أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية هو الظاهر كما قال للأسباب التالية:

١- لما ذكره القاضي ابن عطية من تعليل ، ملخصه أن سياق الآية يفيد أنها في المشركين ، وقد وافقه غيره على هذا[(٤)].

---

(١) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، الإمام العلامة ، (ت : ٧٤٣هـ) انظر البدر الطالع (١/٢٢٩).

(٢) انظر روح المعاني (١٣/١٠٧).

(٣) انظر التسهيل (٢/٢٣٩ ، ٢٤٠).

(٤) كابن عاشور في التحرير والتنوير (١٣/٩٣).



٢- ولأن الجار والمجرور في قوله : ﴿ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ ﴾ حال من الناس[١] ، وهذا يفيد أن المغفرة تقع وهم متلبسون بالظلم ، ومن كان هكذا فلا يسمى تائباً[٢].

٣- ولأن الله تعالى ساق هذه الآية مساق المدح والثناء على نفسه سبحانه ، وهذا لا يلائم أن يقال: إنه يغفر لمن تاب[٣] ؛ لأن هذا أمر قد أوجبه على نفسه سبحانه.

وأيضاً فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له[٤].

فإن قيل: هلا قدمت قول من يجعل الآية في الكفار والعصاة؟.

قلت : هو قوي مناسب لذكر الناس في قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ ﴾ إلا أن السياق يقدم عليه ما استظهره القاضي ابن عطية . والله أعلم.

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ... ﴾[٥]- : « وقـالـوا : قيـل :

(١) انظر الكشاف (٢/٣٥٠) ، والتبيان في إعراب القرآن (٢/٧٥٢).

(٢) انظر التفسير الكبير (١٩/١٠).

(٣) انظر المصدر السابق (١٩/١١).

(٤) انظر روح المعاني (١٣/١٠٦).

(٥) سورة الرعد، الآية : ١١ .



﴿ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ ، والملائكة جمع ملك مذكر غير مؤنث ، وواحد الملائكة (معقب) ، وجماعتها (معقبة) ثم جمع جمعه - أعني جمع (معقب) بعد ما جمع (معقبة) - كما قيل : سادات سعد، ورجالات بني فلان ، جمع رجال»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في جمع «معقب» فقال: «والمعقبة ليست جمع معقب كما ذكر الطبري ، وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات ، وليس الأمر كما ذكر ؛ لأن تلك كجمل وجمال وجمالات ، ومعقبة ومعقبات إنما هي كضارب[٢] وضاربات»[٣].

هذه المسألة محتملة لأكثر من وجه لخصها السمين الحلبي بقوله : «وفي ﴿ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ احتمالان : أحدهما: أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة ... والثاني : أن يكون معقبة صفة لجماعة، ثم جمع هذا الوصف . وذكر ابن جرير أن معقبة جمع معقب...»[٤].

وما ذهب إليه الإمام الطـــبري ، هو مذهب الإمام الفراء من قبله ،

---

(١) تفسير الطبري (١٦/٣٦٩).

(٢) هكذا في نسخ المحرر الوجيز ، وفي الدر المصون «كضاربة ، وضاربات».

(٣) المحرر الوجيز (٨/١٣٩).

(٤) الدر المصون (٧/٢٧).



حيث قال : « والمعقبات : ذكران إلا أنه جميع جمع ملائكة معقبة ، ثم جمعت معقبة ، كما قال : أبناوات سعد ، ورجالات جمع رجال»[١].

وقد نقل الأزهري نحو هذا عن الفراء ، ولم يعترض عليه بشيء[٢].

وكذلك أورده ابن منظور من غير ذكر للفراء [٣].

وابن عطية يخالفهم في هذا ، فينظّر (معقبة ومعقبات) بـــ : (ضاربة وضاربات) فهو يريد أن يقول: كما أن (ضاربة) مفرد ، فكذلك (معقبة) مفرد لا جمع.

ولا شك أن بعض أهل اللغة قد نص على أن (معقبة) مفرد ، وجمعها (معقبات)[٤].

وأبو حيان - رحمه الله تعالى - قد خرَّج ما ذهب إليه الإمام الطبري على وجه يسلم من اعتراض ابن عطية ، فقال - بعد أن ذكر رأي الطبري ، واعتراض ابن عطية - : «وينبغي أن يتأول كلام الطبري على أنه أراد بقوله : (جمع معقب) أنه أطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب ، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث معقب ، وصار مثل (الواردة) للجماعة الذين يردون ، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث

(١) معاني القرآن (٢/٦٠).

(٢) انظر تهذيب اللغة (١/٢٧٣) «عقب».

(٣) انظر لسان العرب (٩/٣٠٦) «عقب».

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (٤/٧٩ ، ٨٠) «عقب».



وارد من حيث أن [جموع التكسير في العقلاء تعامل][١] معاملة المفردة المؤنثة في الإخبار ، وفي عود الضمير [ومنه قولهم : الرجال وأعضادها ، والعلماء ذاهبة إلى كذا ، وتشبيهه ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا الصناعة][٢] فبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال، من حيث وضع للجمع ، وأن ﴿ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ من حيث استعمل جمعاً لمعقبة – المستعمل للجمع – كرجالات ، الذي هو جمع رجال»[٣].

وتابعه تلميذه السمين فنقل ما قال شيخه نقل المسلم به[٤].

وكذلك الألوسي ، لا يرى أن قول الطبري مستقيماً إلا على ما ذكره أبو حيان ، فقال – بعد أن أورد رأي الطبري – : «وهو كما ترى، ولكن أوَّله أبو حيان»[٥].

فتبين مما ذكره أبو حيان أن ما قاله الإمام الطبري ومن ذكر معه يمكن أن يحمل على وجه مستقيم فلا يرد عليه استدراك القاضي ابن عطية . والله أعلم .

---

(١) ما بين المعكوفين من الدر المصون (٢٨/٧) لأنه غير مستقيم في نسخ البحر.

(٢) ما بين المعكوفين من الدر المصون (٢٨/٧) للسبب السابق.

(٣) انظر البحر المحيط (٣٦٤/٥).

(٤) انظر الدر المصون (٢٨/٧).

(٥) روح المعاني (١١٢/١٣).



سورة إبراهيم عليه السلام

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾[١]- : «وقوله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ يقول: لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه في ما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم ، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون، والخلاص من عذابهم. وقيل في ذلك قول غيره»[٢] ثم ساق بسنده إلى سفيان[٣]﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ قال من طاعتي[٤].

وكذلك أسند عن الحسن مثل قول سفيان[٥].

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

(٢) جامع البيان (١٦/٥٢٦ ، ٥٢٧).

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الإمام الحافظ (ت : ١٦١هـ) انظر السير (٧/٢٢٩). وانظر روح المعاني (١٣/١٩١) فقد نص أن المقصود به هنا سفيان الثوري.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦/٥٢٧) من طريق شيخه أحمد بن إسحاق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان. وهو في تفسير سفيان الثوري نفسه ص(١٥٦) قال حدثنا بعض أصحابنا عن مجاهد فذكره . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧١) ونسب إخراجه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦/٥٢٧) من طريق أبان بن أبي عياش ، عن الحسن . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٧١) ونسب إخراجه لابن جرير فحسب.

ثم قال الإمام الطبري : «ولا وجه لهذا القول يفهم لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر فيقال: إن شكرتموني عليها زدتكم منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم. فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام زادهم من نعمه . لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر مما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجهاً»(٢).

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري تضعيفه قول سفيان والحسن – رحمهما الله تعالى – فقال : «وحكى الطبري عن سفيان ، وعن الحسن أنهما قالا : معنى الآية : لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعتي . وضعفه الطبري ، وليس كما قال ، بل هو قوي حسن فتأمله»(٣).

هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك محل خلاف ، فقيل: الزيادة النعمة ، وقيل : الطاعة ، وقيل : الثواب ، وقيل:

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٦.

(٢) جامع البيان (٥٢٧/١٦).

(٣) المحرر الوجيز (٢٠٥/٨).



الفضل[١].

وهذه المعاني من العلماء من رأى أنها متقاربة ، لا متنافرة ، فقال الإمام القرطبي - بعد أن حكى أكثرها - : « والمعنى متقارب في هذه الأقوال »[٢].

بينما يرى الألوسي أن المعنى هو الأول ، وما عداه فهو خلاف الظاهر[٣].

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري من استدراك على قول سفيان والحسن.

وقال الثعالبي - بعد أن ذكر استدراك القاضي -: «وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص ، والأصل التعميم»[٤].

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن تفسير سفيان والحسن الزيادة بالطاعة متجه كما قال القاضي ابن عطية ويكون من باب تفسير العام ببعض أفراده ، إلا أن قول الإمام الطبري ، هو الذي ينبغي أن تحمل عليه الآية للأسباب التالية:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/٩) ، وروح المعاني (١٩٠/١٣ ، ١٩١) تجد الثلاثة الأولى فيهما . والرابع نسبه الماوردي في النكت (١٢٣/٣) إلى الربيع .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٣/٩).

(٣) انظر روح المعاني (١٩٠/١٣ ، ١٩١).

(٤) الجواهر الحسان (٣٧٧/٢).



١- لدلالة السياق عليه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [١] وهذا أشار إليه الإمام الطبري.

٢- ولأن تفسير الزيادة بالنعمة فيه شمول وعموم ، وما كان كذلك فينبغي أن يقدم.

٣- ولأن هذا المعنى عليه دليل من لفظ الآية ، وهو كلمة ﴿ شَكَرْتُمْ ﴾ فإنها دالة على سبق النعم فينبغي أن تحمل الزيادة عليها[٢].

٤- ولأن حذف المفعول الثاني في ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ يفيد العموم ، فأولى أن تفسر الزيادة بما يناسب العموم[٣].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [٤] - : «يقول عز ذكره: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ من أمام كل جبار ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يردونها. ووراء في هذا الموضع ، يعني: أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك ، وكما قال الشاعر[٥]:

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٦.

(٢) انظر روح المعاني (١٣/١٩٠).

(٣) حذف المفعول لإفادة العموم ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٣/١٩٣).

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ١٦ .

(٥) هو جرير ، وقد تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص(٤٧٥) وفي مجاز القرآن (١/٣٢٦).



أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

يعني (وراء بني رياح) قدام بني رياح ، وأمامهم.

وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : إنما يعني بقوله : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي من أمامه ؛ لأنه وراء ما هو فيه، كما يقول لك : (وكل هذا من ورائك) أي سيأتي عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ؛ لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال : ﴿ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [1] من هذا المعنى، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوز هذا في الأوقات؛ لأن الوقت يمر عليك ، فيصير خلفك إذا جزته ، وكذلك ﴿ كَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [2] لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم.

وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعني (وراء) يكون قداماً وخلفاً»[3].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧٩.

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٧٩.

(٣) جامع البيان (٥٤٦/١٦ ، ٥٤٧).



قوله : إن وراء بمعنى قدام فقال: ((وقوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآيِهِۦ ﴾ ذكر الطبري وغيره من المفسرين أن معناه : من أمامه ، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [(١)] ، وأنشد الطبري:

أتوعدني وراء بني رياح　　　كذبت لتقصرن يداك دوني

وليس الأمر كما ذكر ، والوراء هاهنا على بابه ، أي: هو ما يأتي بعد في الزمان ، وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء إنما هو بالزمان ، وما تقدم فهو أمام ، وهو بين اليد ، كما يقال في التوراة والإنجيل : إنهما بين يدي القرآن ، والقرآن وراءهما على هذا ، وما تأخر في الزمان هو وراء المتقدم ، ومنه قولهم لولد الولد : الوراء ، وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما، ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم ، قال : وتلخيص هذا أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة ، فما تقدم فهو أمام ، وما تأخر فهو وراء المتقدم ، وكذلك قوله : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم ﴾[(٢)] أي غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم))[(٣)].

هذه المسـألة محل خلاف بين أهل العلم ، قال الماوردي : ((قوله عز

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧٩.

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٧٩.

(٣) المحرر الوجيز (٢١٧/٨ ، ٢١٨).



وجل: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ فيه أربعة أوجه : أحدها : معناه من خلفه جهنم ... الثاني : معناه : أمامه جهنم ... الثالث : أن جهنم تتوارى ولا تظهر، فصارت من وراء؛ لأنها لا ترى ... الرابع: ﴿ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ ﴾، معناه : من بعد هلاكه جهنم...»(١).

وهناك قول يضاف إلى ما قال الماوردي ، وهو أن وراء من الأضداد(٢).

وقد رد هذا الزجاج ، والنحاس(٣).

ثم ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن قوله : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ بمعنى قدام وافقه عليه أئمة كبار في اللغة والنحو والتفسير ، كأبي عبيدة ، والفراء ، والأخفش ، وابن قتيبة ، والواحدي ، والزمخشري(٤) .

وما ذهب إليه ابن عطية ، ذكر معناه ابن الأنبـــاري(٥) من قبل حيث

---

(١) انظر النكت والعيون (١٢٧/٣ ، ١٢٨).

(٢) نسبه الأزهري لأبي حاتم ، وابن الأعرابي . انظر تهذيب اللغة (٣٠٤/١٥ ، ٣٠٥) « ورى» .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٥٧/٣) ، ومعاني القرآن (٥٢٢/٣).

(٤) انظر مجاز القرآن (٣٣٧/١) ، ومعاني القرآن للفراء (١٥٧/٢) ، ومعاني القرآن للأخفش (٥٩٨/٢)، وتفسير غريب القرآن ص(٢٣١)، والوسيط (٢٦/٣) ، والكشاف (٣٧١/٢).

(٥) محمد بن القاســـم بن بشـــار ، الإمام المقرئ النحـــوي (ت : ٣٢٨هـــ) انظر =



ذكر أن معنى ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ أي من بعده جهنم ، واستشهد على هذا بقول الشاعر[1]:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

أي وليس بعد الله مذهب[2].

وكذلك تابع ابن جزي ابن عطية فقال : « ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ في الموضعين ، والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه هنا أمامه، وهو بعيد»[3].

وكذلك فعل الثعالبي في الجواهر الحسان[4].

وبعد : فهذه المسألة فيها اشتباه كبير ، والذي أستطيع أن أقوله : هو أن ما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل ، وما ذهب إليه ابن عطية من أن (وراء) على بابها محتمل ؛ لأنك إن نظرت إلى أن موعد جهنم بعد ذهاب

=

السير (١٥/٢٧٤).

(١) هو النابغة الذبياني ، تقدمت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص(١٧) وفي معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٧).

(٢) انظر زاد المسير (٤/٣٥٢)، والتفسير الكبير (١٩/٨١) فقد نسبا هذا القول إليه ، والذي رأيت في كتابه الأضداد ص(٦٨) أنه قال : وراء من الأضداد ، وفسر نظير هذه الآية بمثل تفسير الإمام الطبري.

(٣) التسهيل (٢/٢٥٥).

(٤) انظر (٢/٣٧٨).



الدنيا ، قلت : هي من وراء الكافر ، بهذا المعنى. وإن نظرت إلى أن موعد جهنم يأتي مستقبلاً وأن ذهاب الليالي والأيام يدنيان الكافر منها، قلت : هي أمام الكافر بهذا المعنى .

ويؤيد ما قلت ، قول الإمام الفراء : «ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك هو بين يديك ، ولا لرجل هو بين يديك هو وراءك ، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر أن تقول : وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد ؛ لأنك أنت وراءه فجاز ؛ لأنه شيء يأتي ، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغتـــه صار بين يديك ، فلذلك جاز الوجهان»[1].

---

(١) معاني القرآن (١٥٧/٢).



سورة الحجر

✿ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «وقوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾[(١)] يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ : وحياتك يا محمد [(٢)] ، إن قومك من قريش ﴿ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن المراد قريش فقال : «والضمائر في سكرهم يراد بها قوم لوط ، المذكورون . وذكر الطبري : أن المراد قريش. وهذا بعيد؛ لأنه ينقطع مما قبله ، ومما بعده»[(٤)].

هذه المسألة محل خلاف بين المفسرين ، فالأكثرون على أن المقصود بالضمائر في قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ قوم لوط .

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٧٢ .

(٢) لله أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس للعبد أن يقسم بغير الله ، لقول النبي ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٩/٢) والحاكم في المستدرك (٣٣١/٤) وصححه. وقال الشيخ الألباني : صحيح . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٣٧).

(٣) جامع البيان (٥٢٦/٧). ومن هنا إلى آخر الاستدراكات بدأ الاعتماد على النسخة المطبوعة في دار الكتب العلمية من جامع البيان .

(٤) المحرر الوجيز (٣٤١/٨).



والقـــول الثاني : أن الضمائر ترجع إلى قريش وهو منسوب إلى عطاء[١].

وهذا الاستدراك أورده أبو حيان إيراد المسلم به فقال : «والضمير في سكرهم عائد على قوم لوط، وقال الطبري : لقريش ، وهذا مروي عن ابن عباس ... قال ابن عطية : وهذا بعيد لانقطاعه مما قبله، وما بعده»[٢].

وكذلك أشار الألوسي إلى تعقب ابن عطية ، كالمستحسن له فقال: « والضمائر لأهل المدينة... وقيل لقريش ، واستبعده ابن عطية وغيره ؛ لعدم مناسبة السباق والسياق»[٣].

ونحى القاضي ابن العربي منحى ابن عطية وعلل ذلك بأنه لا يخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة[٤].

واستحسن العلامة القرطبي ما ذهب إليه ابن العربي[٥].

وبعد : فالذي يظهر – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد ، وذلك للأسباب التالية:

١– لما علل به القاضي من أن قول من قال: إن مرجع الضمائـــر إلى

---

(١) انظر زاد المسير (٤/٤٠٩).

(٢) البحر المحيط (٥/٤٥٠).

(٣) روح المعاني (١٤/٧٣).

(٤) انظر أحكام القرآن (٣/١١٣٠).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٠).



قريش يقطع الكلام مما قبله، وما بعده. ونحو هذا قال ابن العربي أيضاً.

٢- ولأنه قول يخالف قول عامة المفسرين ، قال الواحدي: قال عامة المفسرين يعني قوم لوط[1].

٣- ولأن لفظ ﴿ سَكۡرَتِهِمۡ ﴾ يناسب ما اتصف به قوم لوط ، من حب عمل الفاحشة [2].

وفي نهاية هذه المسألة أقول : قد يعذر الإمام الطبري بحمل الضمائر على أنها في قريش ، لأن علماء التفسير قد نقل عنهم الإجماع[3] أن القسم وقع بحياة نبينا محمد ﷺ ، لا بحياة لوط. فربما استقام أن يقال: الآية كلها في محمد وعشيرته . والله أعلم.

---

(١) الوسيط (٣/٤٩).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٥/٤٢٥) ، وبدائع التفسير (٣/٢٧).

(٣) هذا الإجماع قاله ابن العربي في أحكام القرآن (٣/١١٣٠)، ونقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩) عن القاضي عياض .



سورة النحل

١- قـال الإمـام الطبري - رحمه الله تعـالى ، عنـد قوله تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ... ﴾[١] بعد أن ذكر الخلاف في أكل لحم الفرس وصوب قول من أحله - : « وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال الله تعالى ذكره: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[٢] جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال: ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ جائز حلال غير حرام ، إلا بما نص على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسوله ﷺ »[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الاستدلال بالإجماع ، فقال - بعد أن بين أن الآية لا تدل لمن قال بالتحريم - : «قال الطبري: وفي إجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأكل دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماء حلال ، وفي جواز أكلها حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما...»[٤].

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٨ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٥.

(٣) جامع البيان (٥٦٣/٧ ، ٥٦٤).

(٤) المحرر الوجيز (٣٧٥/٨).

لم يذكر القاضي ابن عطية سبب الاعتراض ، بل اكتفى كما ترى بقوله: «وفي هذا نظر» ، ولم أجد من يشرح ذلك أو يوضحه بعد البحث في كتب التفسير وغيرها.

والظاهر أن مقصود ابن عطية بقوله : «وفي هذا نظر» أن العلماء لم يجمعوا على ركوب جميع بهيمة الأنعام (أعني الإبل والبقر والغنم المفهومة من لفظ الآية)[١] فالبقر هناك من يخالف في ركوبها[٢] ، والغنم ليست مما يحمل عليها لعجزها وضعفها[٣].

فإن كان مقصود ابن عطية هذا ، فقوله : «وفي هذا نظر» هو كما قال . وقد يستقيم ما ذكره الإمام الطبري إجماعاً ، على أن المقصود بالأنعام ، الإبل خاصة[٤] . لكن هذا بعيد جداً[٥].

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ سورة النحل ، الآية : ٥ .

(٢) لحديث «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فقالت إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث» أخرجه البخاري في صحيحه – مع الفتح – (٨/٥) كتاب الحرث والمزارعة ح(٢٣٢٤) بنحو هذا اللفظ. وانظر نكت القرآن الدالة على البيان (٣٥٣/١) فقد تكلم الإمام القصاب عن مسألة ركوب البقر.

(٣) انظر نكت القرآن الدالة على البيان (٣٥٣/١).

(٤) قال الأزهري : ومن العرب من يقول للإبل إذا كثرت الأنعام . تهذيب اللغة (١٣/٣) «نعم» .

(٥) قال الأزهري : والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا : الأنعام ، أرادوا بها الإبل والبقر والغنم. تهذيب اللغة (١٣/٣) «نعم».



٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)] - : «يقول جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ ﴾ لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته ، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن هناك ما يوازي جميع النعم إذا قيل بشروط فقال - في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ - : «أي تقصيركم في الشكر عن جميعها، نحا هذا المنحى الطبري ، ويرد عليه أن نعمة الله في قول العبد: (الحمد لله رب العالمين) مع شرطها من النية والطاعة يوازي جميع النعم ، ولكن أين قولها بشروطها ؟ »[(٣)].

هذه المسألة ملخص البحث فيها ما يلي:

١- هناك فرق بين لفظ الطبري الذي في تفسيره وبين ما قاله ابن عطية منسوباً للطبري ، حيث قال الإمام الطبري : «إن الله لغفور لما كان

---

(١) سورة النحل ، الآية: ١٨، ونص الآية من أولها ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(٢) جامع البيان (٧/٥٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩٢).



منكم من تقصير في شكر بعض ذلك...» ، وابن عطية قال: «أي تقصيركم في الشكر عن جميعها».

وعبارة الطبري تفيد أن المكلف لا يقوم بشكر بعض هذه النعم ، وعبارة ابن عطية تفيد أن المكلف لا يقوم بشكر الجميع فمفهومه أنه قد يقوم بشكر البعض . ولا شك أن عبارة الطبري أقوى فهي مطابقة لحال المكلف ، وما هو عليه من تقصير.

٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري في تفسير الآية هو الذي عليه أكثر المفسرين الذين اطلعت على تفاسيرهم[1]. وقد تابع الثعالبي ابن عطية في إيراد هذا الاستدراك ، من غير أن يشير إلى نسبته لابن عطية[2].

٣- الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة غير وارد ؛ وذلك لما يلي:

١- أن المكلف لو قال ما عده القاضي موازياً فإنها ليست مجرد كلمة تقال ، بل لها ضوابط وشروط، اعترف ابن عطية نفسه بقصور المكلف

---

(١) انظر - على سبيل المثال - معالم التنزيل (٦٥/٣) ، والكشاف (٤٠٥/٢) ، وزاد المسير (٤٣٧/٤)، والتفسير الكبير (١٣/٢) ، وتفسير البيضاوي (٥٥٢/١)، وتفسير النسفي (٢٨٣/٢)، والبحر المحيط (٤٦٨/٥)، وتفسير الخازن (٨٤/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٧/٢)، وغرائب القرآن (٥٥/١٤)، والفتوحات الإلهية (٥٦٤/٢).

(٢) انظر الجواهر الحسان (٤٢٠/٢).



عن الوصول إليها بقوله : «ولكن أين قولها بشروطها».

٢- على التسليم أن المكلف قال هذه الكلمة بشروطها فهذا في حد ذاته نعمة تحتاج إلى شكر يوازيها.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : « القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[1] يقول تعالى ذكره : وألهم ربك يا محمد النحل إيحاء إليها ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ يعني: مما يبنون من السقوف، فرفعوها بالبناء»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ فقال: « وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة : إما في الجبال وكواها ، وإما في متجوف الأشجار ، وإما في ما يعرش ابن آدم من الأجباح[3] والحيطان ونحوها . (وعرش) معناه: هيأ ، وأكثر ما يستعمل في ما يكون من اتفاق [4] الأغصان والخشب ،

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٨ .

(٢) جامع البيان (٧/٦١٢).

(٣) الجبح بالجيم المثلثة : حيث تعسل النحل إذا كان غير مصنوع. وقيل: مواضع النحل في الجبل وفيها تعسل. اللسان (٢/١٦٤) «جبح».

(٤) «اتفاق» هكذا في النسخة القطرية ، وفي المغربية «اتقان» . وهو كذلك في الجامع =



وترتيب ظلالها ، ومنه العريش الذي صنع لرسول الله ﷺ يوم بدر ، ومن هذا هي لفظة العرش ... وقال ابن زيد في قوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ قال: الكروم ، وقال الطبري : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ يعني : ما يبنون من السقوف .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا منهما تفسير غير متقن»[1].

يفهم من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن معنى ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي مما يبنون من السقوف ، وأما ابن عطية فيرى أن معناها : مما يهيئون من الخشب ونحو ذلك. ولابد لمعرفة الحق في هذه المسألة من الرجوع إلى ما قاله علماء اللغة والتفسير فعلى ضوئه يتبين لنا - إن شاء الله تعالى - القول المتقن.

قال الفراء : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ هي سقوف البيوت[2].

وقال ابن قتيبة : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ كل شيء عرش من كرم أو نبات أو سقف فهو عرش ومعروش[3].

=

لأحكام القرآن (١٠/١٣٤) الذي ينقل صاحبه عن المحرر ، وإن كان لم يصرح بالنقل منه.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٦٠ ، ٤٦١).

(٢) معاني القرآن (٢/١٠٩).

(٣) تفسير غريب القرآن ص(٢٤٦).



وأورد الراغب هذه الآية ، وغيرها مما في معناها ، ثم نسب إلى أبي عبيدة أنه قال في معناها: يبنون[١].

قلت : أبو عبيدة ذكر هذا المعنى عند قوله تعالى : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾[٢].

وقال ابن فارس : «العين والراء والشين أصل صحيح واحد ، يدل على ارتفاع في شيء مبني ، ثم يستعار في غير ذلك ، من ذلك العرش ... سرير الملك ... ومن الباب تعريش الكرم لأنه رفعه والتوثق منه. والعريش بناء من قضبان يرفع ويوثق حتى يظلل»[٣].

وفي مختار الصحاح : «العرش سرير الملك ، وعرش البيت سقفه ... وعرش بنى بناء من خشب، وبابه ضرب ونصر»[٤].

وبنحو تفسير الإمام الطبري قالت طائفة من المفسرين [٥].

---

(١) انظر المفردات ص(٣٢٩).

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٧ . وانظر مجاز القرآن (٢٢٧/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٦٤/٤ ، ٢٦٥) «عرش».

(٤) انظر مختار الصحاح ص(٣١٥ ، ٣١٦) «عرش» وانظر تهذيب اللغة (٤١٣/١ ، ٤١٤) «عرش» فقد ذكر هذه المعاني.

(٥) كأبي الليث في تفسير القرآن (٢٤١/٢) ، والواحدي في الوسيط (٧١/٣) ، والرازي في التفسير الكبير (٥٧/٢٠)، والبيضاوي في تفسيره (٥٦٢/١) ، والنسفي في تفسيره (٢٩٢/٢).



وهناك من نقل ما قاله الطبري منسوباً إليه ، ولم يعترض عليه بشيء كالماوردي ، والألوسي[(١)].

وقد ذكر أبو حيان قول الطبري واستدراك ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء[(٢)].

وتابع القرطبي ابن عطية في ما ذهب إليه في معنى الآية ، فنقله من غير نسبة ولا ذكر للاستدراك[(٣)].

وكذلك ابن جزي ذكر أكثر ما قاله ابن عطية ، إلا أنه لم يقتصر في معنى «عرش» على «هيأ»، بل قال: وعرش ، معناه : هيأ ، أو بنى[(٤)].

وبعد : فالسبب الذي من أجله وصف ابن عطية قول الإمام الطبري أنه غير متقن لم يذكره ، إلا أن جعله «عرش» بمعنى هيأ يفيد أن عدم الاتقان في قول الإمام الطبري من جهة أنه يشعر أنه شيء عرش لا من أجل النحل ، ولكن النحل اتخذت فيه بيوتاً. وهذا فيه عدم شمول لما يهيأ لها ويبنى لها فتعسل فيه، ولهذا قال الألوسي - بعد أن ذكر تفسير ابن زيد والطبري - : «أو أعم منهما كما قال البعض»[(٥)].

---

(١) انظر النكت والعيون (٣/١٩٩) ، وروح المعاني (١٤/١٨٢).

(٢) انظر البحر المحيط (٥/٤٩٦).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٣٤).

(٤) انظر التسهيل (٢/٢٨٨).

(٥) روح المعاني (١٤/١٨٢).



ولا شك أن الإمام الطبري نظر إلى معنى «عرش» في الآية نظرة عامة، وهذه النظرة وافقه عليها أهل اللغة ، وهي صحيحة ، لكنها – كما قال ابن عطية – غير متقنة إذ مبناها على أن الله تعالى أمر النحل أن تتخذ بيوتها في ما يرفعه الإنسان من السقوف، لا من أجل النحل، والقسمة في الآية- ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ - تفيد أن الله تعالى أوحى إلى النحل وأمرها أن تتخذ بيوتها في أحد هذه الأماكن الثلاثة : في الجبال وكواها ، وفي متجوف الأشجار ، وفي ما رفعه الإنسان وهيأه من أجلها.

٤- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1] بعد أن ذكر أن القرية هي مكة – : « وقال آخرون : بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة رسول الله ﷺ »[2].

ثم ساق بسنده – تحت هذه الترجمة – أن حفصة أم المؤمنين[3] رضي

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .

(٢) جامع البيان (٧/٦٥٥).

(٣) حفصة بنت عمر ، أم المؤمنين ، صوامة قوامة (ت : ٤١هـ) . انظر =



الله عنها صدرت من الحج وعثمان محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا: قتل ، فقالت حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله ما رواه عن حفصة من أن الآية نزلت في المدينة ، فقال - بعد أن ذكر حكاية الإمام الطبري عن حفصة رضي الله عنها -: «قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فأدخل الطبري هذا على أن حفصة - رضي الله عنها - قالت: إن الآية نزلت في المدينة ، وإنها هي التي ضربت مثلاً ، والأمر عندي ليس كذلك ، وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور المثل ، وحل بها ما حل بالتي جعلت مثالاً»[2].

من المفسرين من يشارك الإمام الطبري - في الفهم - أن أم المؤمنين

=

السير (٢/٢٢٧).

(١) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٧/٦٥٥) بسنده إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/١٣٣) ونسب إخراجه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٢٧).



حفصة حملت القرية على أنها المدينة النبوية ، وذلك كالماوردي ، والقرطبي ، وأبي حيان[١].

وهناك من يشارك ابن عطية في ما ذهب إليه كابن الجوزي فإنه قال: «فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت : هي المدينة فذلك على سبيل التمثيل ، لا على وجه التفسير»[٢].

وكذلك الألوسي يميل إلى حمل كلام أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - على نحو ما ذكر ابن عطية وابن الجوزي ؛ إلا أنه يجعل ذلك احتمالاً فيقول - بعد إيراد الرواية عنها - : «ولعلها أرادت أنها مثلها»[٣].

فالحاصل من هذا كله أن هناك من يشارك الإمام الطبري في مضمون الترجمة التي وضعها ، وهناك من يشارك ابن عطية في ما ذهب إليه في فهم كلام أم المؤمنين حفصة.

وبعد : فالذي يظهر لي في هذه المسألة ما يلي:

١- ما قاله ابن عطية من أن الإمام الطبري يفهم من كلام أم المؤمنين حفصة أن المقصود بالقرية المدينة النبوية هو كما قال.

---

(١) انظر النكت والعيون (٢١٧/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/١٠) ، والبحر المحيط (٥٢٤/٥).

(٢) زاد المسير (٤٩٩/٤ ، ٥٠٠).

(٣) روح المعاني (٢٤٢/١٤).



٢- ما ذهب إليه الإمام الطبري في فهم كلام أم المؤمنين حفصة أنها تعني بالقرية المدينة محتمل، إلا أن ما فهمه ابن عطية أولى بالتقديم ، لأن الآية مكية ، تذكر بحالة قد وقعت وتحذر منها ، والمدينة لم تكن بهذه الصفة إلا بعد نزول الآية بدهر ، ومثل هذا لا يخفى على أم المؤمنين حفصة ، فلا يبقى أن يحمل كلامها - والحالة هذه - إلا على أنها أرادت أن المدينة وقعت في محذور المثل . والله أعلم.

سورة الإسراء

١- أورد الإمام الطبري - عند قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[١] - قصصاً كثيراً ، يتعلق بما وقع لليهود من حوادث وكوائن، لو أوردته هنا لطال البحث به ، فاكتفيت بهذه الإشارة ، ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى تفسير الإمام الطبري[٢].

وقد أورد القاضي ابن عطية هذه الآيات بعينها ، وأورد طائفة من القصص التي أوردها الإمام الطبري، ثم قال مستدركاً على الإمام الطبري: « وقد ذكر الطبري في هذه الآية [٣] قصصاً طويلاً ، منه ما يخص الآيات،

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : ٤ — ٧ .

(٢) انظر جامع البيان (٨/٢١ - ٤٠).

(٣) الآية التي أورد هذا بعدها هي قولــه : ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ إلا أنه أراد مجموع =



وأكثره لا يخص ، وهذه المعاني ليست بالثابتة ، فلذلك اختصرتها»[١].

هذا الاستدراك الذي قاله أبو محمد ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : قوله : إن الإمام الطبري ، ذكر قصصاً كثيراً منه ما يخص الآيات ، وأكثره لا يخص .

وهذا الذي قاله أفهم منه أنه أراد أن هذا القصص كثير منه ليس له علاقة بالآيات ، فإن كان مقصوده هذا ، فالذي ظهر لي بعد تتبع ما ذكره الإمام الطبري أن أكثر هذا القصص ، إن لم يكن جميعه له علاقة بالآيات ، لكن هذه الآثار لو لم تذكر لا تضحت الآيات دونها . أي أن هذا الذي ذكر لا يتعلق به كبير فائدة[٢] ، وهذا لو صح ، فكيف وأكثره لا يصح ؟ .

القسم الثاني من الاستدراك : قوله : هذه المعاني ليست بالثابتة فلذلك اختصرتها ، وهذا الذي قاله حق ، وأدق منه في نقد هذه الإسرائيليات قول الإمام ابن كثير : «وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض

=

الآيات السابقة بدليل أنه قال: «منه ما يخص الآيات ، وأكثره لا يخص» ويكون في إطلاقه آية على آيات فيه تجوز.

(١) المحرر الوجيز (٩/١٩ ، ٢٠).

(٢) انظر فتح القدير (٣/٢١١) ، وروح المعاني (١٥/٢١).

زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنية عنها ولله الحمد»[١].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ... ﴾[٢] يقول تعالى ذكره : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ فموضع تقتلوا نصب عطفاً على ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ »[٤].

ثم ذكر عند آيات النواهي ، بعد هذه الآية ما يفيد أنه يرى أنها جميعاً معطوفة على قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٥].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعــراب ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ ﴾ نصباً على أنها معطوفة على ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ وكذلك استدرك عليه في إعراب النواهي الأخرى، فقال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٦).

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣١ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣.

(٤) جامع البيان (٨/٧٣).

(٥) انظر جامع البيان (٨/٧٤ ، ٧٨).



«وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ ﴾ وما تقدم قبله من الأفعال جزم بالنهي وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ والأول أصوب ، وأبرع للمعنى»(١).

وقال أيضاً في آخر تفسير آيات النواهي : « وذهب الطبري إلى أن هذه النواهي كلها معطوفة على قوله أولاً: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ وليس ذلك بالبين»(٢).

ملخص الخلاف بين الإمامين في هذه الأفعال أن الإمام الطبري يرى أن الفعل في قوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ منصوب بأن ولا نافية ، وما بعده من الأفعال معطوف عليه ، وابن عطية يرى أن هذا الفعل مجزوم بـــ (لا) الناهية ، وما بعده من الأفعال كذلك مجزوم بها.

ولا شك أن الفعل (تعبدوا) قد جوز العلماء في سبب حذف النون منه وجوهاً ، قال السمين : « يجوز أن تكون «أن» مفسرة ؛ لأنها بعد ما هو بمعنى القول ، و « لا» ناهية . ويجوز أن تكون الناصبة و «لا» نافية ، أي بأن لا ، ويجوز أن تكون المخففة ، واسمها ضمير الشأن ، و «لا» ناهيـــة أيضاً ، والجملـــة خبرها ... ويجـــوز أن تكون الناصبة ، و «لا»

(١) المحرر الوجيز (٩/٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٩/٩١).



زائدة ... »[1].

قلت فحاصل هذا الكلام : أن الفعل في قوله : ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ﴾ منصوب بـ «أن» ، أو مجزوم بـ «لا» الناهية.

أما موقف العلماء من هذه المسألة ، فالزمخشري ذكر قولاً واحداً في الفعل الأول فقال: «أن مفسرة، ولا تعبدوا نهي»[2].

وفي أثناء تفسيره ما يدل على أنه يرى أن الأفعال الأخرى مجزومة بالنهي ، بل قد صرح به في بعض المواطن[3].

لكن هذا لا يدل على أنه ينفي القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري.

وذهب أبو البقاء العكبري إلى تجويز الوجهين في قوله: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ﴾[4].

وأما أبو حيان فقد صرح عند قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ باختياره وهو أن الفعل مجزوم بالنهي فقال: «والذي نختاره أن تكون

---

(١) الدر المصون (٧/٣٣٣) . والرأي الأخير أعني الذي ذكر فيه زيادة (لا) جوزه أبو البقاء ، واعترض عليه أبو حيان بدخول « إلا » على مفعول تعبدوا . انظر التبيان (٢/٨١٧) ، والبحر المحيط (٦/٢٣) وهو اعتراض وجيه إذ يترتب على هذا الوجه فساد المعنى ؛ لأنه يصبح (وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه).

(٢) الكشاف (٢/٤٤٤).

(٣) انظر المرجع السابق (٢/٤٤٩).

(٤) انظر التبيان (٢/٨١٧).



«أن» حرف تفسير و «لا تعبدوا» نهي...»[١].

وجاء عنه ما يفيد أنه يرى أن الأفعال الأخرى التي دخلت عليها (لا) هي نهي فقال - بعد أن فسر آيات النواهي، والأوامر - : «وهي أربعة وعشرون نوعاً من التكاليف بعضها أمر، وبعضها نهي»[٢].

وبعد : فالظاهر أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية مقدم على ما ذهب إليه الإمام الطبري ؛ لأن جعل (لا) ناهية، أقوى من جعلها نافية، من حيث المعنى، لأن النفي خبر، لا يدل على المنع، مثل دلالة النهي.

ولأن ما ذهب إليه ابن عطية قد اختاره أبو حيان، وبه أعرب الزمخشري.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وأما قوله : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾[٣] فإن معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سَمِع أو أبصَرَ أو عَلِم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق.

وقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ و لم يقل : (تلك) كما قال الشاعر[٤]:

---

(١) البحر المحيط (٢٣/٦).

(٢) المرجع السابق (٣٥/٦).

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٣٦ .

(٤) هو جرير، والبيت في ديوانه (٩٩٠/٢) «بعد أولئك الأقوام».



ذم المنازل بعد منـــزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وإنما قيل : «أولئك» ؛ لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري وغيره رواية البيت بـــ «الأيام» وإنما هي «الأقوام» فقال : «وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك[2] وأنشد هو والطبري :

ذم المنازل بعد منـــزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

فأما حكاية أبي إســحاق عن اللغـــة فأمر يوقف عنده ، وأما البيت فالرواية « الأقوام »[3] .

هذه المسألة مختلف فيها ، فأكثر العلماء – في ما رأيت – يوردون هذا البيت في مصنفاتهم بالرواية التي ذكرها الإمامان الطبري والزجاج[4].

---

(١) جامع البيان (٨١/٨).

(٢) في النسخة القطرية «بالإدراك» بدل «أولئك» والتصويب من النسخة المغربية.

(٣) المحرر الوجيز (٨٦/٩).

(٤) انظر – على سبيل المثال – معاني القرآن للأخفش (٦١٢/٢) ، وإعراب القرآن (٤٢٤/٢) ، والكشاف (٤٤٩/٢)، وشرح المفصل (١٢٩/٩) ، ولسان العرب (٢٧٠/١) «أولي» ، وأوضح المسالك (١٣٤/١)، وشرح ابن عقيل (١٢٦/١)، والكامل (٤٣٩/١).



وبعضهم يورده بالرواية التي يراها ابن عطية[1] ، وهي المثبتة في ديوان الشاعر[2].

أما موقف العلماء من هذا الاستدراك ، فالإمام القرطبي تابع القاضي ابن عطية ، فأورد هذا الاستدراك بنصه ، ولم ينسبه لابن عطية[3].

وأبو حيان أورد هذا الاستدراك منسوباً لابن عطية ثم عقب عليه بقوله: «والنحاة ينشدونه «بعد أولئك الأيام» ولم يكونوا لينشدوا إلا ما روي »[4].

قلت : فهذا يفيد أن أبا حيان لا يرى هذا الاستدراك الذي أورده ابن عطية.

وكذلك السمين الحلبي لم يسلم لابن عطية بهذا الاستدراك فقال – بعد أن ذكر استدراكه – : «... وأما قوله : إن الرواية « الأقوام » فغير معروفة ، والمعروف إنما هو (الأيام) »[5].

وابن هشام النحوي يجنح إلى أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام

---

(١) كما في النقائض (١/٢٦٩). ونسبه البغدادي إلى محمد بن المبارك في كتابه منتهى الطلب. انظر خزانة الأدب (٥/٤٣٠).

(٢) انظر (٢/٩٩٠).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٦٠).

(٤) البحر المحيط (٦/٣٣).

(٥) الدر المصون (٧/٣٥٣).



الطبري ، فقد نقل عنه البغدادي[1] أنه قال : ((ويروى (الأقوام) بدل (الأيام) فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أن هذه الرواية هي الصواب، وأن الطبري غلط إذ أنشده ((الأيام)) وأن الزجاج تبعه في هذا الغلط))[2].

وعقب على هذا البغدادي بقوله : ((قلت: رواه محمد بن حبيب[3] في النقائض ، ومحمد بن المبارك[4] في منتهى الطلب من أشعار العرب ((الأقوام)) كما قال ابن عطية))[5].

والذي يبدو – والله أعلم – أن المسألة محتملة ويرجح رواية ((الأقوام)) أن نقلها اثنان من المعتنين بالأدب ، ثم هي رواية الديوان. وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت .

ويرجح جانب الرواية التي أوردها الإمام الطبري بأنه قد نقلها أكثر أهل العلم في مصنفاتهم ، بل قد ذكر أبو حيان ما يفيد أن جميع النحاة على هذه الرواية ، ولم يكونوا – رحمهم الله – لينشدوا إلا ما روي.

---

(١) عبد القادر بن عمر البغدادي ، علامة بالأدب والنحو والأخبار (ت : ١٠٩٣هـ) انظر الأعلام (٤/٤١).

(٢) خزانة الأدب (٥/٤٣٠).

(٣) محمد بن حبيب بن أمية ، علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر (ت : ٢٤٥هـ). انظر الأعلام (٦/٧٨).

(٤) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، عالم بالأدب (ت : ٥٨٩هـ) انظر الأعلام (٧/١٧).

(٥) خزانة الأدب (٥/٤٣٠).



٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾[(١)] - : «... وإنما معناه : هو قريب ؛ لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبي ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين»[(٢)]، وأشار بالسبابة والوسطى ؛ لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن عسى ليست من الله حتى يقال: إنها واجبة فقال : «وقال الطبري ، وابن سلام : وعسى من الله واجبة ، فالمعنى : وهو قريب.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذه إنما هي من النبي ﷺ ، ولكنها بأمر الله تعالى له ، فيقربها ذلك من الوجوب...»[(٤)].

حاصل الخلاف : أن الإمام الطبري يرى أن عسى - هنا - واجبة ، وابن عطية يرى أنها قريبة من الوجوب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٥١ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٦٩١/٨) ، كتاب التفسير ، ح(٤٩٣٦) من رواية سهل بن سعد رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح(٨٦٧) من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) جامع البيان (٩٢/٨).

(٤) المحرر الوجيز (١٠٨/٩).



ثم هذه المسألة ، وافق فيها أكثر المفسرين - الذين تكلموا فيها عند هذه الآية ، واطلعت على مؤلفاتهم - الإمام الطبري[١] ، حتى أن القرطبي، والثعالبي - وهما المعروفان بالمتابعة لابن عطية في أقواله - قالا فيها بقول الإمام الطبري ، وأعرضا عن ذكر ما قاله ابن عطية[٢].

وذهب ابن عاشور في هذه المسألة إلى قريب مما قاله ابن عطية فقال : «و ﴿ عَسَىٰٓ ﴾ للرجاء على لسان الرسول ﷺ ، والمعنى لا يبعد أن يكون قريباً»[٣].

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي على الإمام الطبري ومن معه غير وارد في هذه المسألة ؛ لأن ابن عطية يتفق مع الطبري أن عسى إذا كانت من الله فهي واجبة ، و ﴿ عَسَىٰٓ ﴾ في هذه الآية إنما هي من الله أمر رسوله ﷺ أن يقولها للمكذبين ، والكلام لمن قاله ابتداء ، لا لمن أمر بتبليغه.

ومما يشهد لصحة قول الإمام الطبري أن المفسرين الذين يرون أن عسى في كلام الباري تحمل على الوجوب ، نقل عنهم الإمام الرازي أنهم

---

(١) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٢/٢٧٢) ، والوسيط (٣/١١١)، ومعالم التنـزيل (٣/١١٩)، وزاد المسير (٥/٤٥) ، والتفسير الكبير (٢٠/١٨١) ، وتفسير الخازن (٣/١٦٣)، وتفسير النسفي (٢/٣١٧) ، وفتح القدير (٣/٢٣٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٧٥) ، والجواهر الحسان (٢/٤٧٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٥/١٢٩).



يحملونها هنا على الوجوب فقال – عند هذه الآية – : «قال المفسرون: عسى من الله واجب ، معناه أنه قريب»[(١)].

٥- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٢)]... اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره[(٣)] ... وقال آخرون معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته[(٤)]... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه إياكم ، ولله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني : لله الحمد على كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر[(٥)]:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

---

(١) التفسير الكبير (٢٠/١٨١).

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٥٢ .

(٣) هذا القول أسنده الطبري في جامع البيان (٨/٩٢) عن ابن عباس من طريق علي ابن أبي طلحة ، وكذلك عن ابن جريج من طريق حجاج.

(٤) هذا القول أسنده الطبري في جامع البيان (٨/٩٢) عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة.

(٥) لم أقف حتى الآن على قائله ، وهو في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٧٦) ، والبحر المحيط (٦/٤٦) ، وروح المعاني (١٥/٩٣).



بمعنى : فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على أسلوب الإمام الطبري بأنه غير ملخص ، فقال - بعد أن أورد القولين اللذين ذكرهما الإمام الطبري - : «وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ ، ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى ، وإنما معنى ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ إما أن جميع العالمين - كما قال ابن جبير - يقومون وهم يحمدون الله تعالى ويمجدونه لما يظهر لهم من قدرته ، وإما أن قوله : ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ هو كما تقول لرجل إذا خاصمته ، أو حاورته في علم : قد أخطأت بحمد الله، وكأن النبي ﷺ يقول لهم في هذه الآيات : عسى أن الساعة قريبة[٢] يوم تدعون فتقومون، بخلاف ما تعتقدون الآن ، وذلك بحمد الله تعالى على صدق خبري . نحا هذا النحو الطبري ، ولم يلخصه[٣] »[٤].

---

(١) جامع البيان (٨/٩٢).

(٢) قال أبو حيان : هو تركيب لا يجوز ، لا تقول : عسى أن زيداً قائم ، بخلاف عسى أن يقوم زيد. البحر المحيط (٦/٤٦).

(٣) في النسخة المغربية «ولم يخلصه» ومعناه : ولم يصفه ، وينقه مما يشوبه. انظر المعجم الوسيط (١/٢٥٨) « خلص » . والظاهر أن اللفظ الذي جاء في النسخة القطرية «يلخصه» هو الذي أراده المؤلف؛ لأنه المناسب أن يوصف به كلام الإمام الطبري. والله أعلم .

(٤) المحرر الوجيز (٩/١٠٩، ١١٠).



الذي ظهر لي أن مقصود القاضي ابن عطية بقوله : «و لم يلخصه» أي و لم يبينه ويوضحه ويشرحه يدل على أن هذا مقصوده شيئان:

الأول : أن هذا من معاني التلخيص التي يفهمها سياق كلام القاضي. قال ابن منظور: «التلخيص: التبيين والشرح ، يقال: لخصت الشيء ، ولحصته - بالخاء والحاء - إذا استقصيت في بيانه ، وشرحه وتحبيره ، يقال : لخص لي خبرك ، أي بينه لي شيئاً بعد شيء...»[1].

الثاني : أن العلامة الألوسي قد وصف قول الإمام الطبري هذا بأنه لا يكاد يفهم فقال - بعد أن أورده - : « ولا يخفى أنه معنى متكلف لا يكاد يفهم من الكلام ، ونحن في غنى عن ارتكابه ، والحمد لله »[2].

وبناء على ما تقدم فليس بين الإمامين خلاف في المعنى المشار إليه ، وإنما استدراك ابن عطية على الأسلوب الذي عبر به الإمام الطبري عن هذا المعنى. وهذا شيء يوافق عليه ابن عطية إلى حد ما، فكلام الإمام الطبري فيه شيء من الغموض، ولو لم يشرحه ابن عطية لما فُهِم ، وهذا كما قاله العلامة الألوسي أيضاً . والله أعلم.

---

(١) لسان العرب (١٢/٢٦٠) « لخص ».

(٢) روح المعاني (١٥/٩٣) . وانظر البحر المحيط (٦/٤٦) فقد وصف أبو حيان قول الإمام الطبري ببعض ما قاله الألوسي هنا، ولعل الألوسي اطلع عليه. وقد آثرت نقل كلام الألوسي ؛ لأنه أوفى.



٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [١] - : « ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم[٢] ... وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه ﷺ أن يبعثه إياه هو أن يقعده معه على عرشه، ذكر من قال ذلك » [٣] ثم ساق بسنده عن مجاهد في قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قال : يجلسه معه على عرشه[٤].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٩ .

(٢) هذا القول أسنده الطبري في جامع البيان (١٣١/٨ ، ١٣٢) إلى حذيفة وابن عباس وابن مسعود وسلمان والحسن ، وعن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وعن قتادة .

(٣) جامع البيان (١٣٢/٨).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣٢/٨) من طريق ليث عن مجاهد ، وإسناده ضعيف لأن ليثاً اختلط ولم يتميز فترك حديثه. هكذا قال الحافظ في تقريب التهذيب رقم (٥٦٨٥) . وقال الذهبي في الميزان (٤٣٩/٣): ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قال يجلسه معه على العرش . وتتبع طرقه المرفوعة وغير المرفوعة العلامة الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٥٥/٢) وحكم عليه بقوله «باطل». وأخرجه الخلال في السنة ص(٢١٣) وما بعدها ، وحكم عليه محقق الكتاب بالضعف في =



ثم قال : «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ»[(١)].

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ سئل عنها ، قال : «هي الشفاعة»[(٢)].

ثم قال : «وهذا وإن كان هو الصحيح من القـــول في تأويل قولـــه:

=

كل المواطن ونبه المحقق الدكتور عطية الزهراني في المقدمة ص(٥٣) على أن من الملاحظات على المؤلف ترجيحه لهذا القول. وذكر أن المؤلف ساق في ذلك ثلاثة وتسعين نصاً ، ثم قال : «رغم أنه لم يصح في هذه المسألة ولا حديث ، وكل الأحاديث التي جاءت طرقها ضعيفة» اهـــ. لكن قد نقل الخلال هذا عن جماعة من العلماء أنهم قالوا خبر مجاهد يسلم له ولا يعارض ، ومن عارضه فهو جهمي انظر ص(٢١٧) وما بعدها من كتاب السنة. وكذلك نقل الذهبي عن جماعة أن خبر مجاهد يسلم ولا يعارض . انظر العلو للعلي الغفار ص (١٤٣ ، ١٤٤). قلت: ويظهر أن الجهمية في ذاك الزمن لهم تأثير في تمسك بعض علماء السنة بهذا الأثر ، ولذلك نقل الخلال في كتابه السنة ص(٢١٤) عن أبي داود السجستاني أنه قال: «وما زال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية ، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيء».

(١) جامع البيان (١٣٣/٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣٣/٨) ووصفه بالصحة . وأخرجه الترمذي في ســـننه (٣٠٣/٥)، كتاب تفسير القرآن ، ح(٣١٣٧) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٤٤٤/٢، ٤٧٨) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً ﷺ على عرشه قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر؛ وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك . فأما من جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله عز وجل بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسها ، وهو كما لم يزل ، غير أن الأشياء التي خلقها، إذا لم يكن هو لها مماساً وجب أن يكون لها مبائناً إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماس للأجسام أو مباين لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك وكان الله عز وجل فاعل الأشياء، ولم يجز في قولهم: إنه يوصف بأنه مماس للأشياء وجب بزعمهم أنه لها مباين فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه، أو على الأرض إذ كان من قولهم : إن بينونته من عرشه ، وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما ، غير مماس لواحد منهما . وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ، ولا شيء يبائنه ، فعلى قول هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً ﷺ على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا مماس ولا مباين لهذا ، كما أنه لا مماس ولا



مباين لهذه. وقالت فرقة أخرى : كان الله عز ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا شيء يبائنه ، ثم أحدث الأشياء وخلقها فخلق لنفسه عرشاً استوى عليه جالساً وصار له مماساً ، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقاً ، ولا شيء يحرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا ، وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا يبائنه ، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه ، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومباين ما شاء منه، فعلى مذهب هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً على عرشه ، أو أقعده على منبر من نور ، إذ كان من قولهم: إن جلوس الرب على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش ، ولا في إقعاد محمد ﷺ موجباً له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مباينة محمد ﷺ ما كان مبايناً له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية ، ولا مخرجته من صفة العبودية لربه ؛ من أجل أنه موصوف بأنه له مبائن ، كما أن الله عز وجل موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها . هو مباين له . قالوا: فإذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد ﷺ الخروج من صفة العبودية والدخول في معنى الربوبية ، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن ، فقد تبين إذاً بما قلنا أنه غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسـلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يقعد محمداً على

عرشــــه »[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من تعضيد جواز قول مجاهد ، بأن ذلك التعضيد شطط من القول فقال - بعد أن ذكر أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إلى نبينا ﷺ : «وحكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت : المقام المحمود هو أن الله عز وجل يجلس محمداً - عليه الصلاة والسلام - معه على عرشه وروت في ذلك حديثاً، وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول[(٢)] ، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى[(٣)] ، وفيه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والعلم يتأوله»[(٤)].

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

الأول : اختلف أهل العلم في تفســـير قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ على أقوال[(٥)] . حاصلها أنها ترجـــع إلى

---

(١) جامع البيان (١٣٤/٨ ، ١٣٥).

(٢) بشطط من القول ، أي ببعد من القول . انظر لسان العرب (١١٩/٧) «شطط».

(٣) ذكر محقق النسخة المغربية أن في بعض النسخ «إلا على تلفف في المعنى».

(٤) المحرر الوجيز (١٧١/٩).

(٥) ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٧٠/٦، ٧١) أن فيها خمسة أقوال ، أحدها : أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء. الثاني: أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجه لمذنبهم من النار . الثالث : عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس،

=

قولين : أحدهما : أنه في أمر الشفاعة . والثاني : ما قاله مجاهد[١].

الثاني : قول مجاهـــد اضطربت فيه أقـــوال أهل العلم فبيـــنما ترى بعضهم يجوزه كما فعـــل الإمام الطبري ، ويُنقـــل عن أبي داود صاحب الســـنن أن من أنكر هذا القول فهو متهـــم[٢] ، وكذلك الخلال[٣] يثبته ويحتج له[٤] ، وكذلك ابن القيم يقول به[٥] .

=

فأول مدعو محمد ﷺ فيقول: لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك... إلخ قال: فهذا قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ الرابع : أن يجلسه معه على العرش. الخامس : معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه . قاله الزمخشري اهـــ . وذكر القرطبي في الجامع (١٠/٣١١) قولاً آخر وهو أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة . قلت: أما قول الزمخشري فقول حادث رده الشوكاني في فتح القدير (٣/٢٥٢) وبقية الأقوال ترجع إلى قولين الأول: أنه في أمر الشفاعة ، وقول حذيفة يظهر أنه مقدمة إليها ، وإعطاؤه لواء الحمد لأنه هو الذي يقوم بالشفاعة التي يحمده الناس عليها . والثاني: ما قاله مجاهد .

(١) انظر زاد المسير (٥/٧٦) فقد اقتصر على هذين القولين.

(٢) نقله الخلال في السنة ص(٢١٤) وقال محققه : إسناد قول أبي داود صحيح .

(٣) أحمـــد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال ، إمام حافظ فقيه ، (ت: ٣١١هـــ) انظر السير (١٤/٢٩٧).

(٤) انظر السنة ص(٢٠٩).

(٥) نقل الشيخ الألباني ذلك عنه في مختصر العلو ص(١٩).

ترى أن آخرين لا يرون هذا القول ، فقد نقل القرطبي عن ابن عبد البر أنه قال : «ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن ، فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم ، أحدهما : هذا . والثاني : في تأويل قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[(١)] قال : تنتظر الثواب ليس من النظر »[(٢)].

ونقل الرازي عن الواحدي أنه قال – في هذا القول – : «وهذا قول رذل موحش فظيع ، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير...»[(٣)]. ثم رده من وجوه . وقد رد الرد القاسمي في محاسن التأويل[(٤)].

وأما الذهبي فكلامه في هذه المسألة فيه شيء من الاضطراب ، فهو تارة يصف أثر مجاهد بأنه منكر، وتارة يقول : ويبعد أن يقول ذلك مجاهد إلا بتوقف[(٥)].

وصرح الشيخ الألباني : أنه لا يؤخذ بهذا القول في تفسير الآية ؛ لأنه لم يثبت لا موقوفاً ولا مرفوعاً[(٦)].

---

(١) سورة القيامة ، الآية : ٢٢ ، ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٠).

(٣) التفسير الكبير (٢٧/٢١).

(٤) انظر (٦١٣/٤) . والقاسمي هو : محمد جمال الدين ابن محمد ، إمام الشام في عصره (ت : ١٣٣٢هـ) انظر الأعلام (١٣٥/٢).

(٥) انظر مختصر العلو ص(٢٣٤).

(٦) هذا مضمون كلامه . انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٥٥/٢) وذهب في تفسير =



والمفسرون الذين اطلعت على مصنفاتهم منهم من يقتصر في تفسيره على القول المشهور[١] ، ومنهم من يذكر القولين ، مبتدئاً بالمشهور[٢] ، ومنهم من يذكر القولين وزيادة[٣] ، ومنهم من يجمع بين القول المشهور وقول مجاهد[٤].

والذي هو أحق أن يتبع في معنى هذه الآية ما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ فسرها عندما سئل عنها بالشفاعة.

ويعضده في الدلالة أحاديث منها ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[٥].

=

الآية إلى القول المشهور من أن المقام المحمود: هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا ﷺ. انظر مختصر العلو ص (١٧).

(١) كالزجاج في معاني القرآن (٣/٢٥٦) ، والواحدي في الوسيط (٣/١٢٢).

(٢) كالبغوي في معالم التنـزيل (٣/١٣٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/٧٦).

(٣) هؤلاء كثير . كالماوردي في النكت (٣/٢٦٤) ، والرازي في التفسير الكبير (٢١/٢٧).

(٤) كالشوكاني في فتح القدير (٣/٢٥٢) فإنه قال : «وعلى كل حال فهذا القول - يعني قول مجاهد - غير مناف للقول الأول لإمكان أن يقعده الله سبحانه هذا المقعد، ويشفع تلك الشفاعة».

(٥) صحيح البخاري - مع الفتح - (٨/٣٩٩) كتاب التفسير، باب ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ

=

وأما أثر مجاهد فقد بين الشيخ الألباني أنه لا يثبت لا موقوفاً ، ولا مرفوعاً[١] ، وقد جاء عن مجاهد نفسه ما يوافق قول الجمهور من طريق معتبرة في التفسير هي طريق ابن أبي نجيح[٢].

الوجه الثالث من وجوه بحث هذه المسألة : هل استدراك ابن عطية على الطبري بقوله: وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول حق أم لا ؟ فأقول :

١- وافق القرطبي القاضي ابن عطية في ما ذهب إليه من استدراك ، فاستدرك على الإمام الطبري بنفس ما قاله ابن عطية ، إلا أنه قال بعد ذلك إن قول مجاهد غير مستحيل ثم ذكر في تأويله نحو مقالة الإمام الطبري[٣].

٢- قال الشيخ الألباني في التأويل الذي ذكره الإمام القرطبي : «ولا حاجة بنا إلى ذكره ، والنظر فيه ما دام أنه أثر غير مرفوع ، ولو افترض أنه في حكم المرسل الذي لا يحتج به في الفروع ، فضلاً عن الأصول»[٤].

=

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ح(٤٧١٨).

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٢٥٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١٣٢) من الطريق المذكور أن مجاهداً قال : «شفاعة محمد يوم القيامة».

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣١١).

(٤) مختصر العلو ص(٢٠).



٣- اعتبر القاسمي ما ذكره الإمام الطبري رداً قوياً على من أنكر قول مجاهد ، فقال - بعد ما ذكر رد الواحدي - : «وليته اطلع على ما كتبه ابن جرير حتى يمسك من جماح يراعه ، ويبصر الأدب مع السلف ، مع المخارج العلمية لهم»[١] ثم أخذ في نقل كلام الإمام الطبري.

٤- وأنت إذا تأملت ما قاله الإمام الطبري وجدته قد حكى عن ثلاث فرق كلاماً يمكن أن يخرج عليه تفسير مجاهد - وهذا على فرض التسليم بصحته - فأما ما ذكره عن الفرقة الأولى فقد يحتمل أن يحمل عليه تفسير مجاهد ، لو صح ، وهو لم يصح ، وليس فيه شطط. وأما ما ذكره عن الفرقة الثانية فلا يبعد أن يوصف بأنه قول فيه شطط ؛ لأنه يفهم منه أن الرب عز وجل ليس مبائناً لخلقه ، والسلف يقولون: «هو تعالى على عرشه بائن من خلقه»[٢].

وأما ما ذكره عن الفرقة الثالثة أنهم قالوا : « وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومبائن ما شاء منه» فهذا أيضاً شطط من القول ، لم يرد في كتاب ولا سنة مثل هذا ، بل عقيدة السلف أنه تعالى على عرشه بائن من خلقه ، كما تقدم . والله أعلم.

---

(١) محاسن التأويل (٦١٣/٤).

(٢) انظر مختصر العلو ص (١٨).



٧- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[1] يقول : فقال لموسى فرعون : إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ، وقد يجوز أن يكون مراداً به إني لأظنك يا موسى ساحراً ، فوضع مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن. وقد تأول بعضهم ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[2] بمعنى : حجاباً ساتراً ، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظ مفعول كثيراً»[3].

ولم ير القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن ﴿ مَسْحُورًا ﴾ بمعنى (ساحر) ، فقال : «وقوله تعالى: ﴿ مَسْحُورًا ﴾ اختلف فيه المتأولون ، فقالت فرقة : هو مفعول على بابه، أي: إنك قد سحرت فكلامك مختل ، وما تأتي به غير مستقيم . وقال الطبري: هو مفعول بمعنى فاعل، كما قال تعالى: ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[4] وكما قالوا : مشئوم وميمون ، وإنما هو : شائم ويامن. قال القاضي أبو

(١) سورة الزخرف ، الآية : ١٠١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥ .

(٣) جامع البيان (٨/١٥٨).

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٤٥.



محمد رحمه الله : وهذا لا يتخرج إلا على النسب ، أي: ذا سحر ملكتــه وعلمته، فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك . وهذه مخاطبة تنقص ، فيستقيم أن يكون ﴿ مَسْحُورًا ﴾ مفعولاً على ظاهره، وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضنا ...[1] ما حكي عنهم أنهم قالوا – على جهة المدح – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[2] فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فـيهم فرعون ، وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه . وفي هذا نظر»[3].

حاصل الخلاف بين الإمامين – الطبري وابن عطية – أن الطبري يرى أن مسحوراً بمعنى اسم الفاعل، وابن عطية يرجح أنه علـى بابـه اسـم مفعول. وهذان قولان في ﴿ مَسْحُورًا ﴾ في هذه الآية [4].

وبعضهم يصف ما رجحه ابن عطية أنه أظهر القولين ، كالسمين فإنه

---

(١) زاد محقق النسخة القطرية (أما) بين كلمة (يعارضنا) و (ما حكي) وقال : زيادة تقتضيها سلامة العبارة . والصواب أنه لا يحتاج إلى هذه الزيادة وأن العبارة سليمة دونها . وهي في النسخة المغربية من غير زيادة.

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٤٩.

(٣) المحرر الوجيز (٩/٢١٠).

(٤) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/٣٠٤)، والتسهيل لعلوم التنـزيل (٢/٣٢٨) والجواهر الحسان (٢/٥٠١).

قال: «قوله: ﴿ مَسْحُورًا ﴾ فيه وجهان أظهرهما : أنه بمعناه الأصلي ... والثاني : أنه بمعنى فاعل»[١].

وقال أبو حيان : «والظاهر أن قوله : ﴿ مَسْحُورًا ﴾ اسم مفعول»[٢].

وبنحو مقالة أبي حيان قال ابن عاشور[٣].

وقد نجد من المفسرين من يصف قول الإمام الطبري بالغرابة كالكرماني فإنه قال: «الغريب : ﴿ مَسْحُورًا ﴾ بمعنى ساحر»[٤].

لكن قد وصفه غير الكرماني بأنه مناسب فقال الألوسي : «وهو يناسب قلب العصا ونحوه ، على تفسير الآيات بالمعجزات»[٥].

وعلى كل حال فالقولان من القوة بمكان ، وبكل قد قال إمام من أئمة العربية[٦] ، غير أنني أجنح لما رجحه القاضي ابن عطية للأسباب التالية :

---

(١) الدر المصون (٧/٤٢٢).

(٢) البحر المحيط (٦/٨٣) وقد أشار إلى ما قاله ابن عطية.

(٣) انظر التحرير (١٥/٢٢٦).

(٤) غرائب التفسير (١/٦٤٤).

(٥) روح المعاني (١٥/١٨٥).

(٦) نسب قول : إن مسحوراً بمعنى ساحر لأبي عبيدة والفراء . انظر زاد المسير (٥/٩٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٣٦). ولم أره عند هذه الآية في كتابيهما المجاز والمعاني. وفي المقابل : فسر الزمخشري الآية بالقول الذي رجحه ابن عطية فقال في الكشاف (٢/٤٦٨) : ﴿ مَسْحُورًا ﴾ سحرت فخولط عقلك .
=



١- أن ما رجحه ابن عطية من أنه بمعنى اسم المفعول هو الأصل حسب ظاهر اللفظ.

٢- أن حمله على اسم المفعول فيه معنى جديد لم يرد في القرآن - على لسان فرعون في حق موسى - إلا في هذا الموطن ، فينبغي المحافظة عليه وألا نرجعه إلى معنى آخر قد كثر ذكره في القرآن ، لأن إثبات هذا المعنى يلائم حال تخبط فرعون في دفع الحق الذي جاء به موسى فهو تارة يصف من جاء به بأنه مسحور سحره غيره، وتارة يصفه بأنه ساحر ، وتارة يصفه بأنه مجنون.

٣- ولأن مخاطبة فرعون لموسى هي مخاطبة تنقص - كما قال ابن عطية - فيلائم هذا أن يكون (مسحوراً) على بابه ؛ لأن الساحر عندهم شأنه عظيم ، وعمله خطير.

٤- ولأن الظن المسند لفرعون لا يناسب معه أن يقال ﴿ مَسْحُورًا ﴾ بمعنى ساحر ؛ لأن الخبيث فرعون قد جزم في مواطن أخرى أنه ساحر ، منها ما ذكره الله عنه بقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

=

والمسألة في أصلها محل خلاف بين نحويي الكوفة والبصرة ، انظر ما تقدم في هذا البحث عند قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ مُّقِيتٗا ﴾ سورة النساء ، الآية : ٨٥.

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٣٤.



٨- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[(١)] - : «ووحد اللفيف ، وهو خبر عن الجميع ؛ لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لففته لفاً ولفيفاً»[(٢)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من أن ﴿ لَفِيفًا ﴾ بمعنى المصدر فقال : « واللفيف الجمع المختلط الذي قد لف بعضه ببعض، فليس ثم قبائل ولا انحياز. وقال بعض اللغويين : هو من أسماء الجموع ، ولا واحد له من لفظه . وقال الطبري: هو بمعنى المصدر كقول القائل : لففته لفاً ولفيفاً. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وفي هذا نظر فتأمله »[(٣)].

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم لخصه السمين بقوله : «قوله تعالى : ﴿ لَفِيفًا ﴾ فيه وجهان: أحدهما : أنه حال ، وأن أصله مصدر لف يلف لفيفاً نحو : النذير والنكير ، أي: جئنا بكم منضماً بعضكم إلى بعض ، من لف الشيء يلفه لفاً ... والثاني : أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والمعنى: جئنا بكم جميعاً فهو في قوة التأكيد»[(٤)].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٤ .

(٢) جامع البيان (١٦١/٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢١٤/٩).

(٤) الدر المصون (٤٢٣/٧).



وقد أشار إلى الخلاف غير السمين أيضاً[١]. إلا أنني لم أر في ما اطلعت عليه من يذكر هذا الاستدراك الذي أورده القاضي على الإمام الطبري ، ولم يفصح أبو محمد - عفا الله عنه - عن سبب الاستدراك، ولعل النظر الذي يقصده أن سياق القرآن يتحدث عن جمع من الناس ، يأتون يوم القيامة في هيئة أخلاط مجتمعين ، وهذا بالنسبة لهؤلاء العدد يناسبه مذهب من فسر اللفيف بالجمعية .

أما تفسير الإمام الطبري فقد غطى[٢] من شأن الجمعية فلا يناسب قوله: ﴿ بِكُمْ ﴾ ، ولولا هذه الجمعية في ﴿ بِكُمْ ﴾ لكان المعنى يقبل المصدرية ، أمَا وقد صرح القرآن بلفظ الجمع في ﴿ بِكُمْ ﴾ فهذا يناسبه تفسير اللفظ باسم الجمع[٣] . والله أعلم.

---

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/٣٠٥).

(٢) غطى : أي وارى وستر . انظر لسان العرب (١٠/٩١) «غطي».

(٣) أفادني بهذا فضيلة الدكتور أحمد محمد الخراط ، وفقه الله تعالى.



سورة الكهف

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾[1]-: «وفي نصب قوله : ﴿ أَمَدٗا ﴾ وجهان . أحدهما : أن يكون منصوباً على التفسير من قوله : ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ كأنه قيل : أي الحزبين أصوب عدداً لقدر لبثهم . وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب؛ لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

والآخر : أن يكون منصوباً بوقوع قوله : ﴿ لَبِثُوٓاْ ﴾ عليه كأنه قال: أي الحزبين أحصى للبثهم غاية »[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى — على الإمام الطبري ما ذكره في الوجه الثاني فقال : « وأما قوله تعالى : ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، و ﴿ أَمَدٗا ﴾ منصوب به على المفعول ... وقال الزجاج : ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ هو أفعل ، و ﴿ أَمَدٗا ﴾ على هذا نصب على التفسير ، ويلحق هذا القول من الاختلال أن (أفعل) لا يكـــون من

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٢.

(٢) جامع البيان (٨ / ١٨٨).



فعـل رباعي إلا في الشـاذ ... وقـال الطـبري : نصب ﴿ أَمَدًا ﴾ بـ ﴿ لَبِثُوٓاْ ﴾ وهذا غير متجه »[١].

اختلف أهل العلم في وجه نصب ﴿ أَمَدًا ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أن ﴿ أَمَدًا ﴾ منصوب على أنه مفعول به للفعل الماضي ﴿ أَحْصَىٰ ﴾ وإليه ذهب أبو علي الفارسي والزمخشري وابن عطية[٢].

القول الثاني : أن ﴿ أَمَدًا ﴾ منصوب على أنه تميز ، ويكون ﴿ أَحْصَىٰ ﴾ أفعل تفضيل . ذكره الفراء والزجاج والعكبري وجهاً[٣].

القول الثالث : أن ﴿ أَحْصَىٰ ﴾ اسم ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ منصوب بفعل دل عليه الاسم . ذكره العكبري وجهاً[٤].

القول الرابع: أن ﴿ أَمَدًا ﴾ منصوب على أنه مفعول به للفعل

---

(١) المحرر الوجيز (٩ / ٢٤٧ ، ٢٤٨).

(٢) انظر الكشاف (٢/ ٤٧٤) ، وأضواء البيان (٤ / ٢٤).

(٣) انظر معاني القرآن (٢ / ١٣٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٧١) ، والتبيان في إعراب القرآن (٢ / ٨٣٩).

(٤) انظر التبيان (٢ / ٨٣٩).



﴿ لَبِثُوٓاْ ﴾ ذكره – أيضاً – الفراء والزجاج والطبري وجهاً[١].

وقد اعترض أبو علي الفارسي والزمخشري وغيرهما على القول الثاني فقالوا : إن (أفعل) التفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ ، وأحصى فعل رباعي[٢].

وأجاب أبو حيان بقوله : « وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقاً ، وأنه مذهب أبي إسحاق ... »[٣].

قلت ذكر ابن عطية عدة أدلة لمذهب من جوز ذلك[٤].

إلا أن الزمخشري – أيضاً – قال : إن أفعل لا يعمل . ورد ذلك الشيخ الشنقيطي[٥] بقوله : « ... ليس بصحيح ؛ لأن صيغة التفضيل تعمل في التمييز بلا خلاف ، وعليه درج في الخلاصة بقوله :

والفاعل المعنى انصبن بأفعلا مفضلاً كأنت أعلى منزلا »[٦].

واعترض أيضاً الزمخشري على القول الثالث بقوله : « فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى... فقد أبعدت المتناول وهو

---

(١) انظر معاني القرآن (٢/ ١٣٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر الكشاف (٢/ ٤٧٤) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ٣١٦).

(٣) البحر المحيط (٦ / ١٠١).

(٤) انظر المحرر الوجيز (٩/ ٢٤٨).

(٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، العلامة الفقيه المفسر (ت: ١٣٩٣هـ) انظر ترجمته الملحقة بأضواء البيان (١٠/ ٣).

(٦) انظر أضواء البيان (٤/ ٢٦).



قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ، ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره »[(١)].

وأما القول الرابع وهو الذي استدركه القاضي على الإمام الطبري فقد وقع فيه النـــزاع بين مؤيد ومعارض . فمن المعارضين له الزمخشري حيث قال : « ... وإما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى »[(٢)].

وكذلك العكبري وصف هذا القول بالخطأ[(٣)].

ومن قبل الزمخشري والعكبري استبعده بعض البعد أبو محمد مكي بن أبي طالب مبيناً السبب في ذلك فقال: « وإذا نصبت أمداً بلبثوا فهو ظرف ، لكن يلزمك أن تكون عديت أحصى بحرف جر ؛ لأن التقدير: أحصى للبثهم في الأمد ، وهو مما لا يحتاج إلى حرف فيبعد ذلك بعض البعد ، فنصبه بأحصى أولى وأقوى »[(٤)].

وأبدى العلامة الألوسي سبباً آخر يتعلق بالمعنى فقال : « وإن نصب بلبثوا لا يكون المعنى سديداً ؛ لأن الضبط لمدة اللبث وأمده ، لا للبث في الأمد »[(٥)].

---

(١) انظر الكشاف (٢/ ٤٧٤).

(٢) الكشاف (٢/٤٧٤).

(٣) انظر التبيان (٢/ ٨٣٩).

(٤) مشكل إعراب القرآن (١/ ٤٣٨).

(٥) روح المعاني (١٥/ ٢١٤). ومعنى قول الألوسي هذا ، إنه على حسب إعراب

=



وقد حاول أبو حيان أن يجد لقول من نصب ﴿ أَمَدًا ﴾ على أنه مفعول لبثوا مخرجاً فقال : «... ذهب الطبري إلى نصب أمداً بلبثوا. قال ابن عطية : وهذا غير متجه انتهى. وقد يتجه ذلك أن الأمد هو الغاية ، ويكون عبارة عن المدة من حيث إن للمدة غاية في أمد المدة على الحقيقة، و(ما) بمعنى الذي ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ منتصب على إسقاط الحرف ، وتقديره لما لبثوا من أمد ، أي مدة ، ويصبر من أمد تفسيراً لما انبهم[1] في لفظ ما لبثوا، كقوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾[2] ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾[3] ولما سقط الحرف وصل إليه الفعل »[4].

و لم يرضى السمين بهذا فقال – معقباً على كلام شيخه – : « قلت : يكفيه أن مثل ابن عطية جعله غير متجه ، وعلى تقدير ذلك فلا نسلم أن الطبري عنى نصبه بلبثوا مفعولاً به، بل يجوز أن يكون عنى نصبه

=

الطبري يكون المعنى (أحصى للبثهم في الأمد) ، والمعنى الواضح هو (أحصى لمدة لبثهم وأمده).

(١) في طبعة دار الكتب العلمية «لما أنهم» وهو خطأ ، والتصويب من الطبعة المصورة في دار الفكر.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٦.

(٣) سورة فاطر ، الآية : ٢.

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٠١).



تمييزاً ...» [(١)].

قلت : لم أر من يذكر هذا الذي جوزه السمين. والظاهر من كلام الطبري خلافه.

وقال الألوسي – بعد أن نقل توجيه أبي حيان -: « وهو كما ترى» [(٢)].

وهذه العبارة يستعملها في التعقيب على القول الذي لا يراه.

وبعد : فتعقيبي على هذه المسألة بما يلي :

١- هذا القول ليس اختيار الإمام الطبري ، لكنه جوزه ، ويفهم ذلك بمراجعة نص كلامه ، فلو قال أبو محمد ابن عطية : جوزه الإمام الطبري بدلاً من قوله : وقال الطبري ، أو قال: ذكره الإمام الطبري وجهاً لكان أولى من العبارة التي جاء بها فإنها توهم أن القول المعترض عليه هو قول الإمام الطبري.

٢- هذا القول تتابعت أقوال جماعة من أهل العلم على رده وعلل بعضهم سبب رده بما قد سمعت مما يفيد أن وصف ابن عطية له بعدم الاتجاه هو كما قال ، وقد أغنانا الله عنه بغيره مما له اتجاه، فتحمل الآية على القول الأول أو الثاني . والله أعلم .

---

(١) الدر المصون (٧/ ٤٥٢).

(٢) روح المعاني (١٥/ ٢١٤).



٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[١] - :

«وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء من القول ، لا من الفعل ، كأن معناه عنده : لا تقولن قولاً إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنــزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري حكايته هذا القول فقال: «... وقالت فرقة : قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء من قوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ ﴾ . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه ، وهو من الفساد بحيث كان من الواجب ألا يُحكى»[٣].

هذه المسألة البحث فيها من وجهين :

الوجه الأول : ذكر آراء العلماء في هذا الاستدراك : من العلماء من نقل استدراك ابن عطية هذا نقل المسلم به ، وهو القرطبي

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) جامع البيان (٢٠٨/٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢٧٧/٩).



وابن جــــزي[١].

ومنهم من ذكره وعقب عليه بما يفيد عدم الرضى عنه ، وأعني بهذا أبا حيان ، فإنه قال – بعد أن نقله – : «وتقدم تخريج الزمخشري ذلك على أن يكون متعلقاً بالنهي»[٢].

وكذلك الألوسي وصف ما قاله ابن عطية بأنه اغترار وخروج عن الإنصاف فقال: « ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء متعلق بالنهي على ما اختاره جمع من المحققين ، وقول ابن عطية اغتراراً برد الطبري إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يحكى خروج عن الإنصاف»[٣].

الوجه الثاني بيان الراجح في هذه المسألة : الذي يظهر – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد فإن هذا القول له وجه صحيح يحمل عليه ذكره الزمخشري بقوله: «وتعلقه بالنهي على وجهين . أحدهما : ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه. والثاني : ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله ، أي إلا بمشيئة الله ، وهو في موضع الحال . يعني إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً إن شاء الله»[٤].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٨٥) ، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (٢/٣٣٩).
(٢) البحر المحيط (٦/١١١).
(٣) روح المعاني (١٥/٢٤٧ ، ٢٤٨).
(٤) الكشاف (٢/٤٧٩).



وقد ذكر العلامة الألوسي أن هذا الوجه الذي أنكر ابن عطية مجرد حكايته اختاره جمع من المحققين. ثم هب أن هذا القول ضعيف أو باطل ، فلا ضير على الإمام الطبري أن يحكيه إذا بين ما فيه . والله أعلم.

٣- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1] – : «وقوله : ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقاً ، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ ، يقال منه ارتفقت إذا اتكأت ، كما قال الشاعر[2]:

قالت له وارتفقت ألا فتى   يسوق بالقوم غزالات الضحى

أراد : واتكأت على مرفقها ، وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم ... وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقاً . وكان مجاهد يتأول قوله : ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ يعني المجتمع»[3].

ثم ساق بسنده عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ أي

(١) سورة الكهف، الآية : ٢٩ .

(٢) البيت شطره الثاني في لسان العرب (١٠/٦٦) «غزل» وهو في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٥).

(٣) جامع البيان (٨/٢٢٠).



مجتمعاً[١].

ثم قال الإمام الطبري: «ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب، وإنما الارتفاق: افتعال، إما من المرفق ، وإما من الرفق »[٢].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في معنى مرتفقاً ما هو أعم مما ذكره الطبري، وكذلك استدرك على الطبري قوله : إن الارتفاق بمعنى الاجتماع لا يعرف في كلام العرب ، فقال في كل ذلك: « والمرتفق الشيء الذي يرتفق به ، أي يطلب رفقه ، والمرتفق الذي هو المتكأ أخص من هذا الذي في الآية ، لأنه في شيء واحد من معنى الرفق ، على أن الطبري قد فسر الآية به ، والأظهر عندي أن يكون (المرتفق) بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره . وقال مجاهد : المرتفق المجتمع . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : كأنه ذهب بها إلى موضع الرفاقة ، ومنه الرفق ، وهذا كله راجع إلى الرفق. وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى ، والقول بين الوجه ، والله المعين»[٣].

هذا الاستدراك الذي ذكره ابن عطية في ناحيتين :

الناحية الأولى : ما ذكره من أن الإمام الطبري فسر المرتفق بالمتكأ،

---

(١) جامع البيان (٨/٢٢٠) وقد أخرجه أيضاً عنه من طريق ليث ، ومن طريق ابن جريج.

(٢) جامع البيان (٨/٢٢٠).

(٣) المحرر الوجيز (٩/٢٩٩).



ثم رأى أن الأظهر أن يفسر بالشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره.

الناحية الثانية : استدراكه على استدراك الإمام الطبري على قول مجاهد.

أما الناحيــة الأولى فالخلاف بين الإمامين فيها يســير إذ لا يصف القاضي ابن عطية ما ذهب إليه أنه الأظهر إلا وما ذهب إليه الإمام الطبري ظاهر إن شاء الله تعالى.

والذي ذهب إليه الإمام الطبري في معنى ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ هو قول أبي عبيدة ، حيث قال: «﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أي : متكئاً ...»[1].

والذي ذهب إليه ابن عطية ، نقل نحوه ابن الجوزي عن ابن الأنباري[2] ، ضمن أقــوال عــدة ، قيلت في معنى ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ فقال : «﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ فيه خمسة أقوال. أحدها : منــزلاً قاله ابن عباس . والثاني: مجتمعاً قاله مجاهد . والثالث : متكئاً ، قاله أبو عبيدة ... والرابع: ساءت مجلساً ، قاله ابن قتيبة . والخامس: ساءت مطلباً للرفق ؛ لأن من طلب رفقاً من جهتها عدمه، ذكره ابن الأنباري . ومعاني هذه الأقوال تتقارب. وأصل المرفق في اللغة ما يرتفق به»[3].

---

(١) مجاز القرآن (١/٤٠٠).

(٢) ذكر أبو حيان في البحر (٦/١١٦) أن قول ابن عطية قريب من قول ابن الأنباري.

(٣) زاد المسير (٥/١٣٦).



وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية في معنى ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ هو الأظهر كما قال لأن فيه عموماً ، وما كان كذلك فهو أولى بالتقديم .

أما البحث في الناحية الثانية وهي استدراك ابن عطية على استدراك الإمام الطبري على قول مجاهد - رحمه الله - فالبحث في ذلك على النحو التالي:

١- اتفق رأي بعض أهل العلم مع رأي ابن عطية على توجيه قول مجاهد ، وقبوله ، فقال القاضي الماوردي والإمام القرطبي - بعد أن ذكرا قول مجاهد - : «كأنه ذهب به إلى معنى المرافقة»[١].

وقال أبو حيان : «وأنكر الطبري أنه يعرف لقول مجاهد معنى ، وليس كذلك كأن مجاهداً ذهب إلى معنى الرفاقة ، ومنه الرفقة»[٢].

وقال العلامة الألوسي : «... وقيل موضع الترافق ، أي ساءت موضعاً للترافق والتصاحب ، وكأنه مراد مجاهد في تفسيره بالمجتمع ، فإنكار الطبري أن يكون له معنى مكابرة»[٣].

٢- هناك من اقترب من قول الإمام الطبري فعد قول مجاهـــد غريباً،

---

(١) النكت والعيون (٣/٣٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٥).

(٢) البحر المحيط (٦/١١٦).

(٣) روح المعاني (١٥/٢٦٩).



وهو المقرئ الكرمـــاني حيث قال - بعد أن فسر ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ بنحو ما ذهب إليه الإمام الطـــبري - : « الغريب : مجاهد يجتمعان في معنى المرافقة... »[١].

٣- الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري - في هذه المسألة - وارد وأن قول الإمام مجاهد بن جبر مقبول ، ويوجه بما قاله أهل العلم سابقاً.

ومما يدل على صحة قول مجاهد ، قول ابن فارس : «والرفقة : الجماعة ، ترافقهم في سفرك ، واشتقاقه من الباب ، للموافَقة ، ولأنهم إذا تماشوا تحاذوا بمرافقهم ... »[٢].

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾[٣] - : « اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة ، لا أنه كان نسي عهده»[٤].

---

(١) غرائب التفسير (٦٥٩/١) . وقوله : « يجتمعان » هكذا في نسخة غرائب التفسير التي وقفت عليها.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤١٨/٢) « رفق » ونحوه قال الجوهري. انظر مختار الصحاح ص (١٩١) « رفق ».

(٣) سورة الكهف، الآية : ٧٣ .

(٤) جامع البيان (٢٥٧/٨).



ثم ساق بسنده «عن أُبي بن كعب[(١)] الأنصاري في قوله: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: لم ينس، ولكنها من معاريض الكلام»[(٢)].

ثم قال.: «وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تؤاخذني بتركي عهدك. ووجهه أن معنى النسيان: الترك... والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه ، لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ بأن ذلك من معناه ...»[(٣)].

ثم ساق بسنده «عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ ﴿ لَا

---

(١) أُبي بن كعب بن قيس الأنصاري ، المقرئ البدري (ت : ٢٢هـ على الراجح) انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٩/١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٥٨/٨) قال: حُدثت عن يحيى بن زياد قال : ثني يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد ابن جبير ، عن أبي بن كعب ... إلخ . وهذا السند لا يحتج بمثله لأن الطبري لم يسم من حدثه ، والمهلب كذلك لم يسم الرجل الذي حدثه عن سعيد بن جبير. وأخرجه الفراء (١٥٥/٢) من طريق يحيى ابن المهلب عن رجل عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، عن أبي . قال الحافظ في الفتح (٤١٩/٨) : وإسناده ضعيف ، والأول هو المعتمد ولو كان هذا ثابتاً لاعتذر موسى عن الثانية وعن الثالثة بنحو ذلك. ويعني الحافظ بالمعتمد : أن الأولى كانت نسياناً.

(٣) جامع البيان (٢٥٨/٨).



تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسياناً»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري عدم بيان قول أُبي الذي يخالف الحديث الذي رواه فقال: «وروى الطبري عن أُبي بن كعب أنه قال : إن موسى عليه السلام لم ينس ، ولكنها من معاريض الكلام . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ومعنى هذا القول صحيح ، والطبري لم يبينه ، ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل ، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالاً ، بل رآه واجباً ، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضمنه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض - إذ السؤال أخف من هذه كلها - أخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب ، فقال له : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ ولم يقل : (إني نسيت العهد) ، بل قال لفظاً يعطي للمتأول أنه نسي العهد ، ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ كلام جيد طلبه ، وليس فيه للعهد ذكر ، هل نسيه أم لا ؟ وفيه تعريض أنه

---

(١) جامع البيان (٢٥٨/٨) ، وأخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٤٠٩/٨)، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ ح (٤٧٢٥) ، ومسلم في صحيحه (١٨٤٧/٤ - ١٨٥٠) ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر ، ح(٢٣٨٠) كلاهما من رواية أبي بن كعب.



نسي العهد، فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق ، وما يخل بهذا القول إلا أن الذي قاله – وهو أُبي – روى عن النبي ﷺ أنه قال : (كانت الأولى نسياناً)))[1].

حاصل الأقوال في قوله تعالى : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ ثلاثة أقوال ذكرها الإمام الطبري وغيره من المفسرين[2].

والقول الحق منها هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ يحمل على ظاهره، وأن سؤال موسى في المرة الأولى كان نسياناً. وهذا الذي ذهب إليه جمهور المفسرين[3].

فإذا كان ذلك كذلك كان استدراك ابن عطية على الإمام الطبري بعدم بيان القول المخالف لما ثبت عن رسول الله ﷺ استدراكاً غير وارد ، إذ كيف نتكلف في بيان قول قد ثبت عن المعصوم خلافه ، والصحابي الذي يروى عنه خلاف تفسير الرسول هو نفسه قد روى لنا تفسير رسول الله ﷺ ، فلا يبقى إلا أن يقال : رواية المخالفة فيها نظر[4].

وقد قال أبو حيان – رحمه الله تعالى – كلاماً جيداً عند هذه المسألة ،

---

(١) المحرر الوجيز (٣٦٢/٩ ، ٣٦٣).

(٢) انظر النكت والعيون (٣٢٧/٣) ، وزاد المسير (١٧١/٥).

(٣) انظر البحر المحيط (١٤١/٦).

(٤) تقدم أن السند الذي أخرجها به الطبري سند لا يحتج به.



وهو في الوقت نفسه تعقيب على ما فعله القاضي ابن عطية ، حيث قال – بعد أن ذكر الأقوال – : «وقد بين ابن عطية كلام أبي بكلام طويل يوقف عليه في كتابه ، ولا يعتمد إلا قول الرسول : كانت الأولى من موسى نسياناً»[(١)].

٥– قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[(٢)] يقول تعالى ذكره : وأما الغلام فإنه كان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما ، يقول: يغشيهما طغياناً ، وهو الاستكبار على الله ، وكفراً به ...» [(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على هذا المنحى في التفسير أن اللفظ يدافعه ، وعلى القول به فالأظهر في غير هذا التوجيه الذي وجهه الإمام الطبري فقال : « وقوله : ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ قيل: هو في

---

(١) البحر المحيط (١٤١/٦).

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٨٠.

(٣) جامع البيان (٨/ ٢٦٥). ولا يظن أن الإمام الطبري يرجع الخشية وتفسيرها بالعلم إلى الخضر ، بل هو يرجع ذلك إلى الله ؛ لأنه قال : « وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ...» ثم ساق بسنده إلى قتادة أنه قال : وهي في مصحف عبد الله « فخاف ربك أن يرهقها طغياناً وكفراً ».



جهة الخضر فهذا متخلص ، والضمير عندي للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر ، وتكلموا فيه ، وقيل : هو في جهة الله تعالى ، وعبر عنه الخضر . قال الطبري : معناه: فعلمنا. وقال غيره : فكرهنا . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل — وإن كان اللفظ يدافعه — أنها استعارة ، أي : على ظن المخلوقين ، والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين ... وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى ، فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون »[(١)].

هذه المسألة ذات شقين ، الشق الأول : استدراك القاضي ابن عطية على القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري بأن اللفظ يدافعه. والشق الثاني: ذهابه إلى أن الأظهر — على القول الّذي ذهب إليه الطبري — في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري .

وسأبدأ — بعون الله تعالى — بالشق الأول من هذا الاستدراك فأقول:

ضمير الفاعل في قوله تعالى ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ مختلف فيه على قولين[(٢)]:

الأول : أنه يرجع إلى الخضر عليه السلام وإلى هذا القول ذهب كثير من المفسرين كما قال الإمام القرطبي[(٣)]. وإلى هذا القـــول ذهب القاضي

---

(١) المحرر الوجيز (٩/ ٣٨٢).

(٢) انظر زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٦). وقد أورد استدراك ابن عطية هو وأبو =



ابن عطية كما رأيت.

الثاني : أن ضمير الفاعل في ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو مقتضى تفسير الإمام الطبري ، وإليه ذهب الإمام الفراء[1]. وجوزه أبو إسحاق الزجاج[2].

والذي يظهر – في هذه المسألة ، والله أعلم – أن ما نحى إليه الإمام الطبري اللفظ يدافعه كما قال ابن عطية ؛ لأن الله قال في الآية التي بعد المختلف فيها : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[3]، وهذا ذكره الزجاج بقوله: «وقال قوم لا يجوز أن يكون ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ عن الله ، وقالوا دليلنا على أن ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ من كلام الخضر قوله : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا ﴾[4] »[5].

إذاً هذا القول هو المتبادر الظاهر[6] من السياق فلا يعدل عنه إلا

=

حيان كالمسلمين به.

(١) انظر معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٨١.

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٨١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).

(٦) ممن وصفه بأنه ظاهر القرآن الطيبي والألوسي. انظر روح المعاني (١٦/ ١١).

بدليل، أضف إلى هذا أنه قول أكثر المفسرين كما قال القرطبي[١]. وهذا كله جعل الشوكاني يصف القول الآخر بالضعيف جداً[٢].

أما الشق الثاني من الاستدراك فهو وصفه لما ذهب إليه – من أن ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ استعارة – أنه أظهر من قول الإمام الطبري من أن ذلك بمعنى العلم.

والقاضي ابن عطية بهذا الأسلوب لا يستبعد ماذهب إليه الإمام الطبري ، بل مقتضى تعبيره أنه ظاهر.

والذي ذهب إليه الإمام الطبري قال به طائفة من علماء اللغة كالفراء وابن قتيبة ونقله أبو منصور وابن منظور[٣].

وما قاله ابن عطية نقله عنه القرطبي وأبو حيان نقل المقر له الراضي عنه[٤].

وما ذهب إليه الإمام الطبري ما هو عند التحقيق إلا مجاز ؛ لأن حقيقة الخشية : الخوف من توقع مكروه في المستقبل[٥].

---

(١) تقدمت الإشارة إلى مكان ذلك.

(٢) انظر فتح القدير (٣/ ٣٠٤).

(٣) انظر معاني القرآن (٢/ ١٥٧) ، وتأويل مشكل القرآن (١٩٠) ، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٦٢) ، ولسان العرب (٤/ ١٠٦). كلاهما في « خشي ».

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٧) ، والبحر المحيط (٦/ ١٤٧).

(٥) انظر كتاب التعريفات للجرجاني ص (٩٨).



وإنما استجاز العلماء أن يقولوا : إن الخشية بمعنى العلم ؛ لأنها عنه تكون – غالباً – ولذلك خص العلماء بها في قوله : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[١].

وحقيقة قول ابن عطية أن ما هو حقيقة في جانب المخلوق ، استعير في جانب الخالق ليفهم من خوطب بهذا القرآن.

وبعد : فالقولان مقول بهما في ما هو نظير هذه المسألة وهي « عسى، ولعل »[٢].

وكلا القولين في نظري حسن قوي فبأيهما قال المفسر فمصيب إن شاء الله تعالى.

والزركشي[٣] - رحمه الله تعالى – قد ذكر كلاماً جيداً في (عسى ولعل) يصلح أن يطبق في قوله : ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ على التسليم أن ذلك في جهة الله ، حيث قال : « والوجه في استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا يقطعون على الكائن منها ، وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة ، صارت لها نسبتان نسبة إلى الله تعالى،

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٨. وانظر المفردات ص (١٤٩). وذكر ابن قتيبة : أن الخشية والخوف تفسران بالعلم ؛ لأن فيهما طرفاً منه . انظر المشكل ص (١٩١).

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٥٨ ، ١٥٩).

(٣) محمد بن عبد الله بن بهادر ، العلامة الشافعي (ت: ٧٩٤هـ). انظر الأعلام (٦٠/٦).



تسمى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوق وتسمى نسبة شك وظن، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ماهي عليه عند الله كقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾[١].

وتارة بلفظ الشك بحسب ماهي عليه عند المخلوقين كقوله: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾[٢] »[٣].

٦- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، بعد أن انتهى من تفسير قصة موسى عليه السلام وصاحبه - : « وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت في ما ترى الأعين ، بما قد يجري مثله أحياناً لأوليائه ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها ، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى، إذ لم يكن عالماً بعواقبها وهي ماضية على الصحة في الحقيقة ، وآئلة إلى الصواب في العاقبة ، ينبئ عن صحة ذلك قوله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤.
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٥٨ ، ١٥٩).



﴿مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾[١] ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك في ما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظراً منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم »[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية- رحمه الله تعالى -على الإمام الطبري أن هذا الرابط الذي استنبطه فيه تعسف فقال : « وانتزع الطبري من اتصال هذه القصة بقوله تبارك وتعالى : ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾[٣] أن هذه القصة إنما جلبت على معنى المثل للنبي ﷺ في قومه ، أي : لا تهتم بإملاء الله لهم ، وإجراء النعم لهم على ظاهرها ، فإن البواطن سائرة على الانتقام منهم ، ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسف ما فتأمله »[٤].

الذي يبدو – والله أعلم – أن ما ذهب إليه الإمام الطبري محتمل من

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٥٨ .

(٢) جامع البيان (٨/ ٢٧٠).

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥٨ .

(٤) المحرر الوجيز (٩/ ٣٨٧).



غير تعسف ، ويؤيده أمران :

الأول : أن السورة التي ذكرت فيها قصة موسى مع صاحبه نزلت في العهد المكي الذي كان فيه الصولة لأهل الكفر والطغيان.

الثاني : أن الإمام الطبري قد نحى في ذكر هذا الرابط منحى جيداً وهو تثبيت فؤاد الرسول ﷺ وأتباعه دعاة الحق ، وهذا معنى نص الله تعالى في كتابه أنه مراد في ذكر قصص الأنبياء لرسولنا ﷺ ولمن اتبعه فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1].

٧- فسر الإمام الطبري قوله تعالى : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾[2] بقوله : « وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ... »[3]، ثم قال : « وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل » ثم ساق بسنده حديثاً عن عبد الله بن مسعود ﷺ[4] ، قال : « يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور قيام رجل واحد ، ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال :

---

(١) سورة هود ، الآية : ١٢٠ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٠ .

(٣) جامع البيان (٨/ ٢٩١).

(٤) لم يذكر الطبري غير عبد الله ، إلا أنه من الواضح أنه يعني عبد الله بن مسعود ﷺ ؛ لأن أبا الزعراء من تلاميذه.

فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون ؟ قال فيقولون : نعبد عزيراً . قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون : نعم . فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد المسيح . فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون : نعم . قال : فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب. ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً ، ثم قرأ عبد الله ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1] »[2].

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ٢٤ .

(٢) هذا الأثر الذي هو في حكم المرفوع أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٩١) قال حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال : ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال ... إلخ. وهذا إسناد صحيح فمحمد بن بشار ثقة حافظ من العاشرة ، وعبد الرحمن بن مهدي ثقة من التاسعة، وسفيان بن سعيد الثوري ثقة حافظ فقيه من السابعة ، وسلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي ثقة ثبت من الرابعة، وأبو الزعراء عبد الله بن هانئ وثقة العجلي من الثانية. هذا كلام الحافظ في الرواة باختصار من التقريب الأرقام بالترتيب (٥٧٥٤ ، ٤٠١٨ ، ٢٤٤٥ ، ٢٥٠٨ ، ٣٦٧٧). وكل واحد من هؤلاء معدود في تلاميذ من روى عنه . انظر السير (١٢/ ١٤٤) ، والكاشف (١ / ٣٠٠ ، ٣٠١) (٢/ ١٢٣). وهذا الحديث له شاهد في صحيح البخاري – مع الفتح – (١٣/ ٤٢٠ ، ٤٢١) ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ح (٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري

=

ووصف القاضي ابن عطية ، رحمه الله تعالى ، ماروواه الإمام الطبري – مستدلاً به على تفسيره – بأنه لا صحة له فقال : « وقوله : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ معناه : أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ، ثم أكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال . وروى الطبري في هذا حديثاً ، مضمنه أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها سراب ، فيقال لهم : هل لكم في الماء حاجة ؟ فيقولون : نعم ، ونحو هذا مما لا صحة له »[1].

لم يبين أبو محمد السبب في إطلاق وصف عدم الصحة على هذا

=

قال : « قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ قلنا : لا . قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما . ثم قال : ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم . ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله : فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله ... ».

(١) المحرر الوجيز (٩/ ٤١١).



الحديث الذي رواه الإمام الطبري – مستدلاً به على تفسيره – والـــذي ظهر لي أن هذا الحديث صحيح الإسناد ، وليس هناك ما يدفعه عقـــلاً ، ولا نقلاً .

نعم في رواته من قد طعن فيه بعض الأئمة(١) إلا أن الراجح في حقه أنـــه ثقة ، وعلى التسليم ببعض هذه الطعون فإنها لا تصل بالأثر الذي رواه إلى إطلاق عدم الصحة عليه . والله أعلم.

(١) أعني بذلك أبا الزعراء ، وثقة العجلي وابن سعد وذكره ابن حيان في الثقات . وقال الإمام البخاري : لا يتابع في حديثه . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ٦١).



سورة مريم

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وقوله : ﴿ وَسَلَـٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾[1] يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من السوء ، بما ينال به بني آدم ؛ وذلك أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا»[2].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأظهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: « قوله تعالى: ﴿ وَسَلَـٰمٌ عَلَيۡهِ ﴾ قال الطبري وغيره : معناه أمان. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة ، فهي أشرف وأشبه من الأمان ؛ لأن الأمان

---

(١) سورة مريم ، الآية : ١٥ .

(٢) جامع البيان (٣١٨/٨). وهذا الحديث أخرجه من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب قال حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك. وأخرجه عن ابن المسيب مرسلاً. وقد تعقب ابن كثير الطريق الأولى بأن فيها ابن إسحاق وقد عنعن وهو مدلس . والطريق الثانية تعقبها بإرسال سعيد ابن المسيب . وذكر ابن كثير أن الإمام أحمد أخرجه من رواية ابن عباس وتعقب ذلك بأن في الطريق علي بن زيد بن حدعان وله منكرات كثيرة. انظر كل هذا في تفسير ابن كثير (١١٥/٣).

متحصل له ، بنفي[١] العصيان عنه ، وهي أقل درجاته ، وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله تعالى عظيم الحول»[٢].

ما ذكره الإمام الطبري والقاضي ابن عطية قولان في معنى الآية ، ثالثهما السلام بمعنى السلامة[٣].

وما ذهب إليه الإمام الطبري ذكره بعض أهل اللغة في معنى السلام[٤].

وما ذهب إليه الإمام ابن عطية وصفه أبو عبد الله القرطبي – بعد نقله – بأنه قول حسن[٥].

ونقل أبو حيان القولين منسوبين و لم يعلق على ذلك بشيء ، وكذلك

---

(١) في النسخة القطرية «فيبقى» والتصويب من النسخة المغربية ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٨٨).

(٢) المحرر الوجيز (٩/٤٤٠) وفي نسختيه المغربية والقطرية «إلى الله وعظيم الهول» والتصويب من الجامع لأحكام القرآن (١١/٨٨) ففيه نقلاً عن المحرر «إلى الله تعالى عظيم الحول».

(٣) انظر زاد المسير (٥/٢١٥) فقد أورد المعنى الثالث منسوباً لابن السائب ، ونسب ما ذهب إليه ابن عطية إلى عطاء.

(٤) انظر تهذيب اللغة (١٢/٤٤٧) ، والمعجم الوسيط (١/٤٦٣) «سلم».

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٨٩) وقد ذكر القرطبي أيضاً أن معنى هذا القول جاء عن سفيان بن عيينة.



فعل الشوكاني والألوسي[١].

غير أن الظاهر من سكوت هؤلاء الثلاثة التسليم بما وصفه القاضي ابن عطية أنه الأظهر.

والذي يبدو - والله أعلم - أن ما وصفه ابن عطية بأنه الأظهر هو كذلك لما ذكره من تعليل بديع؛ ولأن الله تعالى عندما بشر زكريا بيحيى، بشره أيضاً أنه نبي صالح حصور ، وهذا جاء ذكره في قوله: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٢] فهذه صفات تفيد أن الأمان حاصل له مما يجعلنا نحمل قوله: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ على ظاهره من أنه السلام المعروف. ومما يؤيد أن هذا القول أظهر أنه ليس بدعاً في تفسير الآية ، فإنه قد جاء عن بعض السلف ما يفيد أنهم يفسرون الآية بهذا[٣]. والله أعلم.

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/١٦٨)، وفتح القدير (٣/٣٢٦) ، وروح المعاني (١٦/٧٣ ، ٧٤).

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣٩.

(٣) انظر زاد المسير (٥/٢١٥) فقد ذكر عن عطاء أنه قال: سلام عليه مني في هذه الأيام.



٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾[1] يقول : يا أبت إني أعلم أنك إن مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ ... والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم ، كما الخشـــية بمعنى العلم في قوله : ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾[2] »[3].

وذهب القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى أن الظاهر أن يبقى الخوف على بابه فقال: « وقوله : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ﴾ قال الطبري وغيره: أخاف بمعنى أعلم. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والظاهر عندي أنه خوف على بابه ؛ وذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن في وقت هذه المقالة آيساً من أبيه، فكان يرجو ذلك ، وكان يخاف ألا يؤمن ، ويتمادى على كفره إلى الموت فيمسه العذاب »[4].

ما ذهب إليه الإمام الطبري هو قول الفراء من قبله [5] . وبه فسر أبو

(١) سورة مريم ، الآية : ٤٥ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٨٠ .

(٣) جامع البيان (٨/٣٤٧).

(٤) المحرر الوجيز (٩/٤٧٧).

(٥) انظر معاني القرآن (٢/١٦٩).

الليث والبغوي[١].

وما ذهب إليه ابن عطية منسوب إلى أكثر المفسرين[٢].

واختاره طائفة من المتأخرين واعتبروه الأولى في معنى الآية فقال الفخر الرازي : ((قال الفراء معنى أخاف أعلم . والأكثرون على أنه محمول على ظاهره ، والقول الأول إنما يصح لو كان إبراهيم عليه السلام عالماً بأن أباه سيموت على ذلك الكفر ، وذلك لم يثبت فوجب إجراؤه على ظاهره ، فإنه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ، ويجوز أن يصر فيموت على الكفر ، فيكون من أهل العقاب، ومن كان كذلك كان خائفاً لا قاطعاً))[٣].

وذكر الخازن نحو قول الرازي ثم قال : ((فحمل الخوف على ظاهره أولى))[٤].

وقال أبو حيان – بعد أن ذكر قول الفراء والطبري – : ((والأولى حمل أخاف على موضوعه الأصلي؛ لأنه لن يكن آيساً من إيمانه ، بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن ، وأن يتمادى على الكفر فيمسه

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٣٢٥/٢) ، ومعالم التنزيل (١٩٧/٣).

(٢) قاله الرازي والجمل والشوكاني . انظر التفسير الكبير (١٩٣/٢١)، والفتوحات الإلهية (٦٥/٣) ، وفتح القدير (٣٣٦/٣).

(٣) التفسير الكبير (١٩٣/٢١).

(٤) تفسير الخازن (٢٤٨/٣).



العذاب»[1].

وما ذكره أبو حيان من تعليل هو نفس تعليل القاضي ابن عطية ، فلعله اطلع على هذه المسألة في تفسيره.

وقال الألوسي – بعد أن فسر الآية على قول الجمهور – : «وحمله الفراء والطبري على العلم وليس بذاك»[2].

وبعد : فالإمام الطبري – رحمه الله تعالى – إنما فسر الخوف بالعلم بشرط الموافاة على الكفر ، وهذا تفسير مقبول بعكس من أطلق و لم يقيد بالموافاة كالفراء وغيره ومع ذلك فحمل الخوف على ظاهره هو الظاهر كما قال ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

١– أن هذا هو ظاهر القرآن ، ولا صارف عن هذا الظاهر.

٢– أن هذا الظاهر هو المناسب أن يقال للمدعو في مثل هذه الحال ففيه من التلطف ما ليس في التفسير الآخر ، وهو المناسب لحلم إبراهيم وحكمته في الدعوة.

٣– ولما ذكره المفسرون – ومنهم القاضي –من أن إبراهيم عليه السلام لم يكن آيساً من إيمان أبيه، وقت هذه المقاولة.

قلت : وما قالوه من تعليل يدل له قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ

(١) البحر المحيط (١٨٢/٦). والنص جاء في النسخة التي بين يدي «لن يكن آيساً».

(٢) روح المعاني (٩٧/١٦).



أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [(١)] وإنما تبين له ذلك بموته على الكفر في قول طائفة من المفسرين[(٢)] ، وهو الذي رجحه الإمام الطبري[(٣)].

لكن هذا في نظري لا يدفع تفسير الإمام الطبري بالقيد المذكور ، وإنما يدفع قول من أطلق أن الخوف بمعنى العلم في هذه الآية.

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[(٤)] - : «والبكي : جمع باك ، كما العتي جمع عات ، والجثي جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فعول ، كما يجمع القاعد قعوداً ، والجالس جلوساً ، وكان القياس أن يكون : وبكوّاً ، وعتوّاً ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء ، كما قيل في جمع دلو (أدل) ، وفي جمع البهو (أبه) ، وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو ، فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالاً ، وفي ذلك لغتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن بكوا وعتوا بالضم ، وبكياً وعتياً بالكسر . وقد يجوز أن يكون البكي هو البكاء

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٤.

(٢) منهم ابن عباس ومجاهد وقتادة ، فقد جاء عن كل من طريق صحيح . انظر جامع البيان (١٤/٥١٩، ٥٢٠).

(٣) انظر جامع البيان (١٤/٥٢٣).

(٤) سورة مريم ، الآية : ٥٨ .



بعينه»[١].

ثم ساق بسنده إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قرأ سورة مريم فسجد وقال: «هذا السجود فأين البكي؟»[٢] يريد : فأين البكاء[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره بأن ما ذهبوا إليه من الاستدلال بالأثر فاسد ، فقال : «﴿ وَبُكِيًّا ﴾ قالت فرقة هو جمع باك كما يجمع عات وجاث على عتي وجثي. وقالت فرقة : هو مصدر بمعنى البكاء ، والتقدير : وبكو بكياً . واحتج الطبري ومكي لهذا القول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روي أنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال : هذا السجود ، فأين البكي ؟ يعني البكاء.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : واحتجاجهما بهذا فاسد ؛ لأنه يحتمل أن يريد عمر - رضي الله عنه - فأين الباكون ؟ فلا حجة فيه لهذا»[٤].

---

(١) جامع البيان (٨/٣٥٣ ، ٣٥٤).

(٢) أخرجه في جامع البيان (٨/٣٥٤) عن إبراهيم قال قرأ عمر... إلخ ، وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/١٢٨) وقال: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وسقط من روايته ذكر أبي معمر في ما رأيت . وأورده السيوطي في الدر (٤/٢٧٧) ونسب إخراجه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن أبي الدنيا والبيهقي . وعنده بلفظ «فأين البكاء» وهو حجة على ابن عطية إن ثبت بهذا اللفظ.

(٣) جامع البيان (٨/٣٥٤).

(٤) المحرر الوجيز (٩/٤٩١).



محل الاستدراك في هذه المسألة هو على استدلال الإمام الطبري بالأثر على جعل ﴿ بُكِيًّا ﴾ مصدراً بمعنى البكاء.

وما ذهب إليه الإمام الطبري من استدلال بهذا الأثر على جعل ﴿ بُكِيًّا ﴾ مصدراً وافقه عليه الإمام مكي وأشار العلامة الألوسي إلى أنه ربما يقتضيه هذا الأثر المروي عن عمر رضي الله عنه[1].

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري ومن وافقه، وذلك للأسباب التالية:

١- أن الظاهر من كلام القاضي أنه يجوز إعراب ﴿ بُكِيًّا ﴾ مصدراً ، فإذا كان ذلك كذلك فما جاء في الأثر هو نظيره لا فرق.

٢- لم يذكر أبو محمد – رحمه الله – حجة على فساد الاستدلال بهذا الأثر إلا أنه يحتمل وجهاً آخر، وهذا ليس بدليل.

(١) انظر روح المعاني (١٠٨/١٦).



سورة طه

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وقوله : ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبۡقَىٰ ﴾[1] يقول : ولتعلمن أيها السحرة أينا أشد عذاباً لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى»[2].

وفسر القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على خلاف تفسير الطبري ، ووصف تفسيره بأنه أذهب مع مخرقة[3] فرعون فقال: «وقوله : ﴿ أَيُّنَآ ﴾ يريد نفسه ورب موسى عليه السلام . وقال الطبري: يريد نفسه وموسى عليه السلام ، والأول أذهب مع مخرقة فرعون»[4].

حاصل الخلاف بين الإمامين في لفظ ﴿ أَيُّنَآ ﴾ فالإمام الطبري يرى أن معناه (أنا أو موسى) وابن عطية يرى أن معناه (أنا أو رب موسى) ، وهو استدراك ما أراد منه ابن عطية رد قول الإمام الطبري ، وإنما أراد تقديم قوله للعلة التي ذكرها، وفي هذا استدراك بالإشارة ، لا بالتصريح.

وما فسر به كل من الطبري وابن عطية هما قولان لأهل التفسير في معنى الآية[5].

---

(١) سورة طه ، الآية : ٧١.

(٢) جامع البيان (٤٣٦/٨).

(٣) المخرق: المموّه . لسان العرب (٤٦/١٣) «مخرق».

(٤) المحرر الوجيز (٥٧/١٠).

(٥) انظر تفسير النسفي (٥٩/٣) ، وفتح القدير (٣٧٦/٣).



وقد ذهب الزمخشري إلى قول الإمام الطبري ، وذكر له أدلة فقال : «﴿ أَيُّنَآ ﴾ يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله : ﴿آمنتـم له﴾ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

وفيه نفاجة[(٢)] باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب ، وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به؛ لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء»[(٣)].

وتابعه على هذا القول والتدليل الفخر الرازي ، والبيضاوي ، وأبو السعود[(٤)].

وجنح أبو حيان والثعالبي إلى القول الذي ذهب إليه ابن عطية ، وعللا بتعليله[(٥)].

وإلى هذا القول ذهب ابن عاشور ، وذكر أدلتـه على ذلك فقال : «و﴿ أَيُّنَآ ﴾ استفهام عن مشتركين في شدة التعذيب ... وأراد بالمشتركين

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦١.

(٢) وفيه نفاجة: أي تعظم وتكبر. انظر لسان العرب (١٤/٢٢٤) «نفج».

(٣) الكشاف (٢/٥٤٦).

(٤) انظر التفسير الكبير (٢/٧٦)، وتفسير البيضاوي (٢/٥٥) ، وتفسير أبي السعود (٦/٢٩).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/٢٤٣) ، والجواهر الحسان (٣/٥٢).



نفسه ورب موسى سبحانه ؛ لأنه علم من قولهم : ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(١) أن الذي حملهم على الإيمان به ما قدم لهم موسى من الموعظة حين قال لهم بمسمع من فرعون : ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ (٢) أي وستجدون عذابي أشد من العذاب الذي حذرتموه ، وهذا من غروره . ويدل على أن ذلك مراد فرعون ما قابل به المؤمنون قوله: ﴿ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ بقولهم : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (٣) أي خير منك وأبقى عملاً من عملك ، فثوابه خير من رضاك، وعذابه أشد من عذابك»(٤).

وبعد : فالقولان لكل منهما اتجاه ، وأدلة ، وبكل قال أئمة ، إلا أن الذي يبدو لي – والله أعلم – أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية ومن معه أظهر ؛ وذلك لقوة دلالة الأدلة التي نزع بها العلامة ابن عاشور ، والقاضي ابن عطية لهذا المعنى.

وأما قول أبي القاسم الزمخشري أن وصفه عذابه بأنـــه أشـــد وأبقى

(١) سورة طه ، الآية : ٧٠.

(٢) سورة طه ، الآية : ٦١.

(٣) سورة طه ، الآية : ٧٣.

(٤) التحرير والتنوير (٢٦٥/١٦).



من عذاب موسى فيه نفاجة ، باقتداره وقهره – ويعني بالنفاجة التعظم والتكبر – أقول يناسب هذا أن يجعل مقصد الخبيث المفاضلة بين عذابه وعذاب الله تعالى.

وقول أبي القاسم أيضاً : إن هذه المفاضلة بينه وبين عذاب موسى من باب السخرية والاستهزاء لأن موسى لم يكن من التعذيب في شيء.

أقول : الظاهر أن الموقف لا يناسب السخرية والاستهزاء ؛ لأنه موقف مهزوم مغلوب ، وإنما الواقع أن فرعون كان يملك قوتين قوة معنوية ، وقوة مادية ، فقدم القوة المعنوية لأنها القوة المناسبة لما جاء به موسى في نظره فلما انهزمت لم يبق أمامه إلا الوعيد بوصف قوته المادية – التي ظن أن السحرة إنما انهزموا بسبب ما هو من جنسها ؛ لأن موسى قد خوفهم بذلك بقوله : ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾[1] – بأنها أشد من عذاب الله الذي خوفهم به موسى عليه السلام.

٢- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[2] يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم في هذا

(١) سورة طه ، الآية : ٦١.

(٢) سورة طه ، الآية : ١١٥ .



القرآن من الوعيد عهدي ويخالفوا أمري ، ويتركوا طاعتي ، ويتبعوا أمر عدوهم إبليس ، ويطيعوه في خلاف أمري ، فقديماً ما فعل ذلك أبوهم آدم »[١].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري جعله آدم مثالاً للكفار فقال: «قال الطبري رحمه الله : المعنى : وإن يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ، ويطيعوا إبليس ، فقدماً فعل ذلك أبوهم آدم . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا تأويل ضعيف ؛ وذلك أن كون آدم مثالاً للكفار الجاحدين ليس بشيء ، وآدم إنما عصى بتأويل ، ففي هذا غضاضة عليه ﷺ . وإما الظاهر في هذه الآية: إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله ، وإما[٢] أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد ﷺ ألا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب لتكون أشد في التحذير، وأبلغ في العهد إلى محمد ﷺ »[٣].

وما ذهب إليه الإمام الطبري تابعه جماعة المفسرين فيه ، فقالوا – في معنى الآية – بنحو قوله ، قال الواحدي : «هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي ، وهم الذي ذكر في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ

(١) جامع البيان (٨/٤٦٥).

(٢) في القطرية « وإنما » والتصويب من المغربية.

(٣) المحرر الوجيز (١٠/١٠٠) .



يَتَّقُونَ ﴾[١]، والمعنى أهم إن نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي »[٢].

وقال ابن الجوزي : « قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ أي أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي . وتركوا الإيمان بي ، وهم الذين ذكرهم في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [٣] والمعنى أهم إن نقضوا العهد ، فإن آدم قد عهدنا إليه فنسي»[٤].

ونحو قول الإمام الطبري - أيضاً - قال الرازي في مناسبة الآية لما قبلها ، وكذلك الإمام البغوي فسر الآية بنحو هذا . وكذلك فعل الزمخشري والنسفي وأبو السعود[٥].

وهذا الاستدراك الذي قاله ابن عطية نقله القرطبي وأبو حيان والشوكاني ، ولزموا السكوت فلم يؤيدوه ولم يعارضوه ، غير أن تفسيرهم للآية يشير إلى أهم لا يستبعدون رأي الإمام

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٣.

(٢) الوسيط (٣/٢٢٣ ، ٢٢٤).

(٣) سورة طه ، الآية : ١١٣.

(٤) زاد المسير (٥/٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٥) انظر التفسير الكبير (٢٢/١٠٧) ، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٣٣) ، والكشاف (٢/ ٥٥٥) ، وتفسير النسفي (٣/٦٧) ، وتفسير أبي السعود (٦/٤٤).



الطبري[1].

وأما العلامة الألوسي فهو الآخر نقل هذا الاستدراك ، وقضى للإمام الطبري على ابن عطية ، فقال: «والإنصاف يقضي بحسنه فلا تلتفت إلى ما قيل إن فيه نظراً»[2].

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما علل به القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - يقضي بحسن استدراكه ، أضف إلى ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام قد تاب ، فتاب الله عليه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فلا ينبغي أن تجعل معصيته مثالاً ، قال القاضي ابن العربي : «وجاز للمولى أن يقول في عبده : عصى تحقيراً وتعذيباً ، ويعود عليه بفضله فيقول : نسي تنزيهاً ، ولا يجوز لأحد منا أن يخبر بذلك عن آدم ، إلا إذا ذكرناه في أثناء قول الله عنه ، أو قول نبيه ، وأما أن نبتدئ في ذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنين إلينا ، المماثلين لنا، فكيف بأبينا الأقدم الأعظم ، النبي المقدم ، الذي عذره الله ، وتاب عليه، وغفر له »[3].

قلت : وأيضاً ففرق كبير بين المعصيتين ، فمعصية آدم معصية ذنب ، ومعصيتهم معصية كفر ، فلا تتأتى المشابهة بين المعصيتين . والله أعلم.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١) ، والبحر المحيط (٢٦٢/٦) ، وفتح القدير (٣٨٩/٣).

(٢) روح المعاني (٢٦٩/١٦).

(٣) أحكام القرآن (١٢٦١/٣).



سورة الحج

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [(١)] - : «وقوله : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ يقول : لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف ، ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ يقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب هو ... وكان مجاهد يقول : عني بقوله : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الوثن ...»[(٢)].

واستظهر أبو محمد - رحمه الله تعالى - أن المراد بالمولى والعشير هو الوثن فقال : «وذهب الطبري : إلى أن المراد بالمولى والعشير هو الإنسان الذي يعبد الله على حرف ، ويدعو الأصنام . والظاهر أن المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضره أقرب من نفعه ، وهو قول مجاهد . والله أعلم»[(٣)].

قول مجاهد الذي استظهره أبو محمد هو الذي عليه المفسرون — في ما رأيت - كأبي الليث ، والماوردي، والواحـــدي، والبغوي ، وابن كثير ،

---

(١) سورة الحج، الآية : ١٣ .

(٢) جامع البيان (٩/١١٧).

(٣) المحرر الوجيز (١١/١٨٢) الطبعة المغربية ، وفي الطبعة القطرية ما يفيد أن قول الطبري هو قول مجاهد وهذا مخالف لما في جامع البيان ، ولما عند الثعالبي الذي نقل بعض عبارة ابن عطية ، وإن لم ينسبها إليه.

والسمين ، وابن عاشور ، والسعدي ، ومحمد الأمين الشنقيطي[١].

وهو الذي يبدو - والله أعلم - أنه المراد ؛ لأن هذا هو ظاهر القرآن الكريم كما أشار إليه أبو محمد، ووافقه غيره من العلماء قال الإمام ابن كثير - بعد أن ذكر قول مجاهد والطبري - : «وقول مجاهد إن المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام»[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « والتحقيق أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله ، كما هو الظاهر المتبادر من السياق »[٣].

وكذلك ذكر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أن قول مجاهد هو الظاهر[٤].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (٣٨٧/٢) ، والنكت والعيون (١١/٤) ، والوسيط (٢٦٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٢٧٧/٣) ، وتفسير ابن كثير (٢١١/٣) ، والدر المصون (٢٤١/٨) ، والتحرير والتنوير (٢١٦/١٧) ، وتيسير الكريم المنان (٣١١/٣) ، وأضواء البيان (٤٨/٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢١١/٣).

(٣) أضواء البيان (٤٨/٥).

(٤) انظر الجواهر الحسان (١١٣/٣).



أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1] - : «... وأدخلت (إن) في خبر (إن) الأولى لما ذكرت من المعنى ، وأن الكلام بمعنى الجزاء ، كأنه قيل : من كان على دين من هذه الأديان ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله . والعرب تدخل أحياناً في خبر (إن) (إن) إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره ، فتقول : إن عبد الله ، إن الخير عنده لكثير ، كما قال الشاعر[2] :

إن الخليفة إن الله سربله   سربال ملك به ترجى الخواتيم»[3].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره جعلهم البيت كالآية ، فقال: «دخلت إنَّ على الخبر مؤكدة ، وحسن ذلك لطول الكلام فهي وما بعدها خبر (إنَّ) الأولى، وقرن الزجاج هذه الآية بقول الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله   سربال ملك به ترجى الخواتيم

نقله الطبري. قال القاضي أبو محمد رحمه الله وليس هذا البيت

---

(١) سورة الحج ، الآية : ١٧ .

(٢) هو جرير ، والبيت في ديوانه ص(٤٣١) دار صادر وصدره «يكفي الخليفة إن الله سربله» ولا شاهد فيه على هذه الرواية ، والبيت أيضاً في معاني القرآن للفراء (٢/٢١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٤١٨)، وفي لسان العرب (٤/٢٥) «ختم» وفي خزانة الأدب (١٠/٣٦٤).

(٣) جامع البيان (٩/١٢١).



كالآية ؛ لأن الخبر في البيت قوله: (به ترجى الخواتيم) وإن الثانية وجملتها معترضة بين الكلامين »[١].

ما ذهب إليه الإمام الطبري والزجاج من جعلهما البيت كالآية وافقهما عليه أئمة كالفراء والزمخشري، والرازي، والمنتجب ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والسمين ، وابن عاشور ، والألوسي[٢].

وما ذهب إليه ابن عطية جنح إليه أبو حيان ، فقال - بعد أن نقل قول الزمخشري - : « وظاهر هذا أنه شبه البيت بالآية ، وكذلك قرنه الزجاج بالآية ، ولا يتعين أن يكون البيت كالآية ؛ لأن البيت يحتمل أن يكون خبر (إن الخليفة) قوله : (به ترجى الخواتيم) ، ويكون (إن الله سـربله سربال ملك) جملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، بخلاف الآية فإنه يتعين قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ ﴾ »[٣].

---

(١) المحرر الوجيز (١٠/٢٤٣ ، ٢٤٤) وفي الطبعة المغربية « نقله من الطبري » بدل قوله هنا « نقله الطبري ».

(٢) انظر معاني القرآن (٢/٢١٨) ، والكشاف (٣/٨) ، والتفسير الكبير (٢٣/١٧) ، والفريد في إعراب القرآن (٣/٥٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٣) ، ووضح البرهان (٢/٨٣)، والدر المصون (٨/٢٤٣) ، والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٢٥) ، وروح المعاني (١٧/١٢٩ ، ١٣٠).

(٣) البحر المحيط (٦/٣٣٣) . وقوله : يتعين قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ ﴾ لم يوافقه عليه تلميذه السمين.



وبعد فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي على الإمامين الطبري والزجاج غير وارد ؛ وذلك للأسباب التالية:

١- البيت المستشهد به يحتمل الوجهين - أي ما ذهب إليه الطبري وابن عطية.- قال العلامة البغدادي بعد أن أورد البيت : «وهنا وقعت جملة (إن الله سربله) خبراً لقوله (إن الخليفة) والرابط الهاء في سربله ... وجملة (به ترجى الخواتيم) صفة لملك ، والرابط الهاء في به . ويجوز أن تكون الجملة خبراً لـــ (إن الخليفة) وحينئذ جملة (إن الله سربله لباس ملك) معترضة بين اسم إن وخبرها كما قال أبو حيان، فتكون الهاء في (به) ضمير الخليفة ... ومثل الوجه الأول آية سورة الحج ، وهي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ »[١].

وكذلك أورده غير البغدادي من النحاة واستشهد به على الوجه الذي من أجله قرنه الإمام الطبري والزجاج بالآية[٢].

فإذا كان ذلك كذلك لم يكن احتمال البيت للوجه الذي ذهب إليه أبو محمد .بمسقط للوجه الآخر الذي ذهب إليه الإمام الطبري والزجاج.

٢- ولأنه يبعد أن يتتابع أئمة النحو والتفسير على جعل البيت كالآية

(١) خزانة الأدب (١٠/٣٦٤ ، ٣٦٥).

(٢) انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٨٨٣).



ما لم يكن كذلك ، ولهذا - والله أعلم - لم يجرُ أبو حيان - مع ميله إلى قول ابن عطية - على التصريح بنفي المماثلة ، بل قد جعل ما ذهب إليه أبو محمد مجرد احتمال ، يتبين ذلك بالرجوع إلى نص كلامه ، رحمه الله تعالى.

٣- ومما يدل على ضعف ما استند إليه أبو محمد أننا لو قلنا بهذا المنهج الذي ارتضاه لأسقط قوله هو في إعراب الآية لأنه يصح أن تعرب (إن) الثانية تكريراً للأولى ، ويصح أن يكون خبرها محذوفاً تقديره: مفترقون يوم القيامة ، والمذكور تفسير له[1].

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[2] - : «وأما قوله : ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ فإنه يعني بها بيع النصارى. وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك... وقال آخرون : عني بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود»[3].

ثم ساق بسنده من طريق ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ﴿ وَبِيَعٌ ﴾

(١) انظر التبيان في إعراب القرآن (٢/٩٣٦).

(٢) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٣) جامع البيان (٩/١٦٤ ، ١٦٥).



قال : وكنائس[(١)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري إدخاله عن مجاهد أنه قال: كنائس اليهود ، فقال : «والبيع كنائس النصارى ، واحدها بيعة ، وقال الطبري : وقيل: هي كنائس اليهود. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : ثم أدخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك »[(٢)].

محل الخلاف بين الإمامين أن الطبري فهم من قول مجاهد : «كنائس» أنه يعني كنائس اليهود فجعل ذلك تحت قول من قال: عني بالبيع كنائس اليهود ، وابن عطية يرى أن قول مجاهد لا يصلح أن يكون تحت هذا القول ، لأن تفسيره مطلق والقول مقيد.

وما ذهب إليه أبو محمد من الاستدراك على الإمام الطبري ، وافقه عليه القرطبي ، والثعالبي فأوردا الاستدراك نفسه دون أن ينسباه لأبي محمد[(٣)].

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه أبو محمد من استدراك مقبول بالنظر إلى ظاهر هذه الرواية التي ساقها عن مجاهد ؛ لأن ظاهرها

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦٥/٩) . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٤/٤) نحو قول مجاهد هذا ، ونسب إخراجه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.

(٢) المحرر الوجيز (٢٩١/١٠) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٢) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٣).

لا يلزم منه أنه يعني اليهود ، فقد يعني بتفسيره هذا كنائس اليهود ، وقد يعني كنائس النصارى ، وقد يعني القولين. لكن إذا تأملنا أموراً خارجة عن النص الذي جاء عن مجاهد - هنا - رأينا أن إدخال الإمام الطبري رواية مجاهد تحت الترجمة المذكورة يلتمس له العذر فيها. فلعل الإمام الطبري يرى أن إطلاق لفظ «كنائس» ينصرف إلى كنائس اليهود وكلام بعض أهل اللغة يشير إلى هذا ، قال البغدادي - بعد أن أورد قول الأخطل النصراني :

ليت كانت كنيسة الروم إذ ذا   ك علينا قـطيفـة وخبـاء

«الكنيسة هنا متعبد النصارى ، وأصله متعبد اليهود »[1].

ومما قال أبو منصور الأزهري في مادة كنس : «وكنيسة اليهود ، وجمعها كنائس ، وهي معربة»[2].

أو أن الإمام الطبري اطلـع على روايـة عن مجاهـد يذكر فيها أنها كنائس اليهود ، فآثر على ذكرها رواية ابن أبي نجيح لصحتهـا ، ويدل على هذا الاحتمال أن جماعة من المفسـرين نقلـوا ذلك عـن مجاهد ، قال الإمـام ابن كثير « وحكى ابن جبير عن مجاهـد وغيره أنها كنائس

(١) خزانة الأدب (٤٥٨/١) . وقد رجعت إلى ديوان الأخطل شرح راجي الأسمر فلم أقف على البيت في هذه النسخة.

(٢) تهذيب اللغة (٦٤/١٠) «كنس» ولا شك أن أهل اللغة قد نقلوا أيضاً إضافتها إلى النصارى ، لكن الأمر كما قال البغدادي.



اليهود»[١].

وقال القاضي الماوردي : «﴿ وَبِيَعٌ ﴾ فيها قولان . أحدهما : أنها بيع النصارى وهو قول قتادة. والثاني: أنها كنائس اليهود ، وهو قول مجاهد»[٢].

وقال المقرئ محمود بن حمزة الكرماني : «و﴿ بِيَعٌ ﴾ أي بيع النصارى. مجاهد : كنائس اليهود»[٣].

٤- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٤] - : «وقوله: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ﴾ يقول أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكرهون قراءتهم القرآن عليكم هي النار وعدها الله الذين كفروا ، وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول : إن المشركين قالوا : والله إن محمـــداً وأصحابه لشر خلق

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٢٧).

(٢) النكت والعيون (٤/٣٠).

(٣) غرائب التفسير (٢/٧٦١).

(٤) سورة الحج، الآية : ٧٢ .

الله ، فقال الله لهم : قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار »[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى — على الإمام الطبري ماذهب إليه من عود اسم الإشارة على أصحاب محمد ﷺ التالين ، فقال: « والإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ إلى السطو ... قال القاضي أبو محمد رحمه الله ويقتضي كلام الطبري في هذه الآية أن الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ هي إلى أصحاب محمد ﷺ التالين ، ثم قال : ألا أخبركم بأكره إليكم من هؤلاء أنتم الذين وعدتم النار ، وأسند نحو هذا القول إلى قائل لم يسمه ، وهذا كله ضعيف »[٢].

في محل الخلاف — وهو المشار إليه في قوله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ - احتمالات ذكرها المفسرون ، فقال الواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي المشار إليه سماع القرآن[٣].

وقال أبو حيان وغيره : والإشارة إلى غيظهم على التالين ، وسطوهم عليهم ، أو إلى ما أصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما يتلى عليهم[٤].

---

(١) جامع البيان (٩/ ١٨٨ ، ١٨٩).

(٢) المحرر الوجيز (١٠/ ٣١٩ ، ٣٢٠).

(٣) انظر الوسيط (٣/ ٢٨٠)، ومعالم التنـــزيل (٣/ ٢٩٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٥١).

(٤) انظر البحر (٦/ ٣٥٨)، والكشاف (٣/ ٢٢)، وتفسير أبي السعود (٦/ ١٢٠).



وعلى هذه الأقوال المذكورة دارت عبارات المفسرين . ولم أر – في ما اطلعت عليه – من يذكر قول الإمام الطبري في عود اسم الإشارة .

إلا أنه في ما يظهر قريب من قول الواحدي والبغوي وابن الجوزي ، لأن هؤلاء إذا كانوا يعدون سماع القرآن شراً ، فلأن يعدوا من يسمعهم إياه كذلك شراً .

وهذا الاتجاه في الآية محتمل، إلا أنه لا يتأتى إلا لو كانت الآية (أولئكم).

فالظاهر إعادة اسم الإشارة إلى ما هو شر في الحقيقة وهو السطو الذي يكاد أن يصدر منهم فهذا ملائم لما ذكر أنه أشر منه وهي النار . ثم هو أدخل في باب الوعيد ؛ لأنهم إذا علموا أن هذا الوعيد على ما يكادون يفعلونه ربما دفعهم ذلك عن إيقاعه بالمؤمنين . والله أعلم .

سورة المؤمنون

۞ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾[١]- « ... فنسي الأشقياء ، لعظيم ماهم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها ، لما حل بهم من نقمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوماً أوبعض يوم ، ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة »[٢].

ورأى القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن الأصوب في غير ماذهب إليه الإمام الطبري فقال: « وقوله تعالى: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ قال الطبري : معناه في الدنيا أحياء ، وعن هذا وقع السؤال ، ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا: ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[٣]. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : والغرض من هذا توقيفهم على أن أعمارهم قصيرة ، أداهم الكفر فيها إلى عذاب طويل. وقال جمهور المتأولين : في جوف التراب أمواتاً.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا هو الأصوب من حيث أنكروا

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٢.

(٢) جامع البيان (٩/ ٢٥٢).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٣.

البعث ، وكان قولهم: إنهم لايقومون من التراب ، قيل لهم لما قاموا : كم لبثتم؟ وقوله آخراً ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [(١)] يقتضي ما قلناه »[(٢)].

محل الخلاف بين الإمامين – الطبري وابن عطية – أن الإمام الطبري يحمل السؤال في قوله: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على أنه سؤال عن مدة مكثهم في الحياة الدنيا ، وابن عطية يرى أن الأصوب أن السؤال عن مدة مكثهم في القبور.

وهذان القولان ، هما المعروفان في معنى الآية[(٣)] ، وهناك قول ثالث وهو أن السؤال عن مدة مكثهم في الدنيا والقبور[(٤)].

وذكر الفخر الرازي الأدلة لقول الإمام الطبري ، ولما اختاره أبو محمد فقال: « اختلفوا في أن السؤال عن أي لبث وقع ، فقال بعضهم: لبثهم إحياؤهم في الدنيا ، ويكون المراد أنهم أمهلوا حتى تمكنوا من العلم والعمل فأجابو بأن قدر لبثهم كان يسيراً بناء على أن الله تعالى أعلمهم أن الدنيا

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥.

(٢) المحرر الوجيز (١٠/ ٤٠٩).

(٣) ممن أشار إلى الاحتمالين في الآية الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٥)، والنيسابوري في وضح البرهان (٢/ ١٠٥)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٥٥).

(٤) ممن قال به الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٠)، والبغوي في معالم التنـــزيل (٣/ ٣١٩)، والبيضاوي في تفسيره (٢/ ١١٦).

متاع قليل وأن الآخرة هي دار القرار ، وهذا القائل احتج على قوله بأهم كانوا يزعمون أن لا حياة سواها ، فلما أحياهم الله تعالى في النار ، وعذبوا سئلوا عن ذلك توبيخاً ؛ لأنه إلى التوبيخ أقرب . وقال آخرون: بل المراد اللبث في حال الموت ، واحتجوا على قولهم بأمرين : الأول: أن قوله ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يفيد الكون في القبر ، ومن كان حياً فالأقرب أن يقال : إنه على الأرض ، وهذا ضعيف لقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]. الثاني قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[2] ثم بين سبحانه أهم كذبوا في ذلك وأخبر عن المؤمنين قولهم: ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[3] »[4].

ونقل أبو حيان رحمه الله تعالى ما قاله القاضي ابن عطية في هذه المسألة و لم يعقب على ذلك بشيء ، غير أنه قدم قول الإمام الطبري ، وصدر ما قاله ابن عطية بلفظ قليل[5].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦.
(٢) سورة الروم ، الآية : ٥٥.
(٣) سورة الروم ، الآية : ٥٦.
(٤) التفسير الكبير (٢٣/ ١١٠).
(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٣٩٠).

وكذلك الشيخ عبد الرحمن الثعالبي نقل قول الطبري ورأي ابن عطية، وعقب على ذلك بقوله: « الآيات محتملة للمعنيين ، والله أعلم بما أراد سبحانه »[(١)].

وذهب العلامة الألوسي إلى تفسير الإمام الطبري ورجعه على القول الذي اختاره ابن عطية ، فقال: « أي كم أقمتم فيها أحياء ... وقال غير واحد من المفسرين : المراد سؤالهم عن مدة لبثهم في القبور ، وزعم ابن عطية أهذا هو الأصوب ، وأن قوله سبحانه في ما بعد : ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[(٢)] يقتضيه. وفيه منع ظاهر. ويؤيد ما ذهبنا إليه ماروي مرفوعاً « أن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال لنعم ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم ، رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين، قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، فيقول : بئسـما أنجزتم في يوم أو بعض يوم ، ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين »[(٣)].

---

(١) الجواهر الحسان (٣/ ١٦٦).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥.

(٣) روح المعاني (١٨/ ٧٠ ، ٧١) والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧) مرفوعاً ونسب إخراجه لابن أبي حاتم عن أيفع بن عبد الكلاعي قال : قال رسول الله ﷺ فذكره. فإن ثبت هذا الأثر فهو حجة لقول الإمام الطبري.



وبعد : فإن الآية محتملة للقولين ؛ لأن الأرض قد جعلها الله وعاء للإنسان في حال حياته ، وبعد مماته كما قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾[1] فاحتمل السؤال أن يكون عن مدة لبثهم في الدنيا ، أو في القبور ، وقد يكون المقصود به الاثنين.

ولعل ما ذهب إليه القاضي ابن عطية هو المقصود — والله أعلم — لقوة الأدلة التي ذكرها ؛ ولأن الله تعالى قد أبان في آية أخرى أن الذي كان يتقالّه الكفار هي مدة مكثهم في القبور ، فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[2].

وهناك آيات تدل لهذا المنحى غير أنها لا تسلم من الاعتراض ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] قال الإمام محمد بن علي

---

(١) سورة المرسلات، الآية : ٢٥، ٢٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٥٥، ٥٦ . وانظر جامع البيان (١٠/ ١٩٨) فقد فسر قوله: ﴿ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ أي في قبورهم .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٥٢.



القصاب : في البرزخ[١]. وذكره غيره وجهاً في تفسير الآية[٢].

وكقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[٣].

(١) انظر نكت القرآن الدالة على البيان (١/ ١٥٢).

(٢) انظر روح المعاني (١٥/ ٩٤) ، ومحاسن التأويل (٤/ ٥٩٤).

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ . وهو معترض باختلاف حاله عن أحوال الكفار، وكذلك باختلاف موتته عن موتتهم.



سورة النور

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله ﷺ في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ... وقال آخرون : معنى ذلك: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، قالوا : ومعنى النكاح في هذا الموضع الجماع . ذكر من قال ذلك»[٢].

ثم ساق بسنده «عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة»[٣].

وساق أيضاً بسنده «عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ قال: لا يزني الزاني إلا

---

(١) سورة النور، الآية : ٣ .

(٢) جامع البيان (٩/٢٦٠ ، ٢٦٣).

(٣) أخرجه في جامع البيان (٩/٢٦٣) ، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره ص(٢٢١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذلك أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٢/٥١) عن ابن عباس من طريق الثوري .



بزانية مثله ، أو مشركة»[1].

وأسند - أيضاً - «عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ قالا: هو الوطء»[2].

وأسند - أيضاً - «عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ قال: لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزني مشركة إلا بمثلها »[3].

كل هذه الروايات أوردها الإمام الطبري تحت الترجمة المذكورة سابقاً.

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري بأن ما ذكره عن ابن عباس وابن جبير وعكرمة غير ملخص ولا مكمل فقال: «... ويريد بقوله سبحانه : ﴿ لَا يَنكِحُ ﴾ أي لا يطأ، فيكون النكاح بمعنى الجماع... وأنكر الزجاج وقال: لا يعرف النكاح في كتاب الله تعالى إلا بمعنى التزويج . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وليس كما

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٣/٩) . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٩/٥). ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٣/٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٣/٩ ، ٢٦٤).



قال ، وفي القرآن ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [(١)] وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى الوطء[(٢)]. وذكر الطبري ما ينحو إلى هذا التأويل عن سعيد بن جبير، وابن عباس، وعكرمة، ولكن غير ملخص ولا مكمل»[(٣)].

قول القاضي ابن عطية: ولكن غير ملخص ولا مكمل راجع - والله أعلم - إلى عرض الإمام الطبري لأقوال هؤلاء الأئمة - ابن عباس وابن جبير وعكرمة - الدالة على أن النكاح بمعنى الوطء والجماع.

وهذا الاستدراك أورده القرطبي أيضاً على الإمام الطبري ، ولم يذكر أنه أخذه من المحرر[(٤)].

والذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد ؛ لأن الإمام الطبري عندما أورد أقوال هؤلاء الأئمة لم يقتصر منها على ما فيه الدلالة الصريحة على أن النكاح بمعنى الوطء والجماع ، بل أورد مع ذلك غيره مما ليس صريحاً في الدلالة على أن

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٠.

(٢) في قوله : «لا ، حتى تذوقي عسيلته ، ويذوق عسيلتك». أخرجه البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٩/٤٦٤)، كتاب الطلاق ، باب إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، ح(٥٣١٧) من رواية عائشة رضي الله عنها.

(٣) المحرر الوجيز (١٠/٢٢٤، ٤٢٥).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٦٨).



النكاح بمعنى الوطء والجماع، مثل قول ابن عباس وما شابهه ، ولو اقتصر على الرواية الصريحة التي جاءت عن ابن جبير، وعكرمة لكان هذا كافياً كاملاً.

٢ـ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١] اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم : تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا ... وقال آخرون : معنى ذلك: حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم ، وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ... والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال: إن الإستئناس : الاستفعال من الأنس ، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم فليأنس إلى إذنهم له في ذلك ، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكي عن العرب سماعاً : اذهب فاستأنس ، هل ترى أحداً في الدار ؟ بمعنى انظر هل ترى فيها أحداً ؟ »[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢٧.

(٢) جامع البيان (٩/ ٢٦٩ – ٢٩٨).



إن ما ذهب إليه في معنى تستأنسوا يأباه تصريف الفعل ، فقال – بعد أن ذكر معناه : تستعلموا – : « ووزن آنس : أفعل ، واستأنس وزنه: استفعل، فكأن المعنى في (تستأنسون)[1]: تطلبون ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت منكم وإذا طلب الإنسان أن يعلم أمر البيت الذي يريد دخوله، فذلك يكون بالاستئذان على من فيه ، أو بأن يتنحنح ويشعر بنفسه بأي وجه أمكنه ... وذهب الطبري في ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ إلى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه ، وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم. وتصريف الفعل يأبى أن يكون من أنس »[2].

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يرى أن الاستئناس هو من الأنس الذي هو ضد الاستيحاش. وابن عطية يرى أنه من الاستئناس الذي هو بمعنى الاستعلام والاستكشاف. فهو استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أو علمه.

وما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية هما وجهان في معنى الآية ، قال الزمخشري « ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ فيه وجهان . أحدهما : أنه من

---

(١) هكذا في نسخ المحرر التي وقفت عليها ، والأصل : ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ كما في القرآن الكريم.

(٢) المحرر الوجيز (١٠/ ٤٧٨).



الاستئناس من الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش ؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا ؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس ... والثاني : أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، والمعنى : حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ... »[١].

وما أورده الإمام أبو محمد على الإمام الطبري نقله أبو حيان ، والسمين الحلبي والثعالبي[٢]. والتزموا الصمت فلم يحكموا للإمام الطبري، ولا للقاضي ابن عطية .

وكذلك نقله الشوكاني ، ولم يرجح جانباً على جانب ، غير أنه قال: « ومعنى كلام ابن جرير هذا ، أنه من الاستئناس الذي هو خلاف الاستحياش ... »[٣].

وجنح الألوسي إلى جانب ابن عطيه في هذه المسألة فقال – بعد أن

---

(١) الكشاف (٣ / ٥٨ ، ٥٩) وقد ذكر الزمخشري وجهاً ثالثاً فقال : ويجوز أن يكون من الإنس ، وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان . وهذا الوجه وصفة صاحب أضواء البيان بأنه غير متجه . انظر أضواء البيان (٦ / ١٦٨).

(٢) انظر البحر المحيط (٦ / ٤١١) والدر المصون (٨ / ٣٩٦) ، والجواهر الحسان (٣ / ١٧٩).

(٣) فتح القدير (٤ / ١٩).



ذكر قول الإمام الطبري - : « ولا يخفى ما فيه »[١].

وبعد : فقد اختلفت نسخ المحرر الوجيز المطبوعة[٢] في كتابة « آنس» التي جاءت في آخر كلام ابن عطية من قوله : « وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس » ففي النسخة المغربية والبحر المحيط ، والدر المصون «أنس » بالمد[٣]. وفي النسخة القطرية والجواهر الحسان وفتح البيان « آنس » بهمزة قطع[٤].

وعليه فإن كان أبو محمد كتبها « آنس » بالمد فهو يعني أن ما ذهب إليه الإمام الطبري من المعنى يأبى أن يكون من (آنس) بالمد وصدق أبو محمد فإن المعنى الَّذي ذكره الإمام الطبري يكون من « أنس ، يأنس ، أُنساً » وهو ما يكون ضد الاستحياش . لا من « آنس ، يأنس إيناساً » فهذا إنما يكون بمعنى العلم .

لكن هذا إن أراد به أبو محمد الاستدراك على الإمام الطبري فهو غير

---

(١) روح المعاني (١٨ / ١٣٤).

(٢) وقد حاولت الوقوف على المخطوط ، فلم أجد إلاّ بعض أجزاء من المحرر تبدأ من سورة الأحزاب .

(٣) انظر المحرر الوجيز (١١ / ٢٩٠) ، والبحر المحيط (٦ / ٤١١) ، والدر المصون (٨ / ٣٩٦).

(٤) انظر المحرر الوجيز (١٠ / ٤٧٨) ، والجواهر الحسان (٣ / ١٧٩) ، وفتح القدير (٤ / ١٩) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٦ / ٣٤٢).



وارد عليه ؛ لأن لفظة ﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ تحتمل الاشتقاقين كما ذكر ذلك الزمخشري وغيره من أهل العلم(١).

وإن كان أبو محمد كتبها « أنس » بهمزة قطع فهو يعني – والله أعلم – بقوله : « وتصريف الفعل يأبى أن يكون من « أنس » أن الفعل (تستأنسوا) يأبى أن يكون من (أنس) وإنما هو من (آنس) وهذا الّذي أفهم منه أنه يريد دفع قول الإمام الطبري، لأن المعنى الّذي ذكره يترتب عليه أن الفعل (تستأنسوا) مشتق من (أنس) ،لا من « آنس». وهذا أيضاً لا يسلم لأبي محمد فليس ما رآه بمسقط لما رأى الإمام الطبري لما ذكر سابقاً من أن ﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ محتمل لما ذهب إليه الإمام الطبري ، ولما ذهب إليه ابن عطية.

نعم ذهب الفراء وابن قتيبة ، والزجاج ، وأبو جعفر النحاس إلى المعنى الذي ذكره القاضي ابن عطية ، من أن ﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ تستعلموا ، إلا أن أحداً منهم لم يقل : إنها لا تحتمل إلا ما ذهب إليه(٢).

---

(١) انظر – مثلاً – التفسير الكبير (٢٣ /١٧١)، وتفسير البيضاوي (٢ / ١٢٣)، والبحر المحيط (٦ / ٤١٠) ، والدر المصون (٨ / ٣٩٦) ، وتفسير أبي السعود (٦ / ١٦٨) ، وروح المعاني (١٨ / ١٣٤) ، ومحاسن التأويل (٥ / ٢٩٧).

(٢) انظر معاني القرآن (٢ / ٢٤٩) ، وتفسير غريب القرآن ص (٣٠٣) ومعاني القرآن وإعرابه (٤ / ٣٩) ، ومعاني القرآن الكريم (٤ / ٥١٧).

ومما يدل على صحة قول الطبري ، وابن عطية في ما ذهبا إليه في معنى ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ ، وأن قول أحدهما ليس بدافع لقول الآخر أن ابن فارس قال – في أنس – : « الهمزة والنون والسين أصل واحد ، وهو ظهور الشيء ، وكل شيء خالف طريقة التوحش »[1].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١ / ١٤٥) « أنس ».



سورة الفرقان

✿ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾[1]-:

« يقول له : قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجراً ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئاً ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلاً، طريقاً بإنفاقه من ماله في سبيله ، وفي ما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبيل الخير»[2].

ورأى القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – أن الأظهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال: «وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ الظاهر فيه أنه استثناء منقطع ، والمعنى : لكن مسؤولي ومطلوبي من شاء أن يهتدي ويؤمن ويتخذ إلى رحمة ربه طريق نجاة فليفعل . وقال الطبري: المعنى : لا أسألكم أجراً إلا إنفاق المال في سبيل الله ، فهذا هو المسئول ، وهو السبيل إلى الرب . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فالاستثناء

---

(١) سورة الفرقان، الآية : ٥٧ .

(٢) جامع البيان (٩/٤٠٢).



على هذا كالمتصل ، وكأنه قال : إلا أجر من شاء . والتأويل الأول أظهر»[١].

محل الخلاف في هذه المسألة أن تفسير الإمام الطبري يفهم منه أن الاستثناء متصل ، بينما القاضي يرى أن الأظهر في هذا الاستثناء أنه منقطع.

والاستثناء في الآية فيه قولان ، هما ما أشار إليهما القاضي ابن عطية.

وما رآه ابن عطية هو قول جمهور أهل العلم[٢].

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن ما قاله الإمام الطبري يحمل على الاستثناء المنقطع ، وذلك للأسباب التالية:

١– قدر الإمام الطبري أن المستثنى هو إنفاق المال في سبيله ، وفي ما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبل الخير . فهذا الكلام مضمونه ، ومعناه : لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي ، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله فليفعل[٣]. وهذا لا يصلح أن يكون متصلاً.

---

(١) المحرر الوجيز (١١/٥٦ ، ٥٧).

(٢) انظر البحر (٦/٤٦٥) وإلى كونه منقطعاً ذهب الأخفش في معاني القرآن (٢/٦٤٢)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٧٨).

(٣) انظر الفتوحات الإلهية (٣/٢٦٤) فقد نسب هذا التقدير إلى زادة ، على أن الاستثناء منقطع . وكذلك قدر نحوه الألوسي في روح المعاني (١٩/٣٧).



٢- أن الإمام الطبري قد صدر كلامه بلفظ «لكن» فدل ذلك على أنه أراد به الاستثناء المنقطع.

٣- أشار أبو حيان ، وابن جزي ، والثعالبي إلى بعض كلام ابن عطية ، وزجحوا ما رجح وأهملوا نسبة القول بالاتصال إلى الإمام الطبري، وكذلك تركوا ما نقله عنه ابن عطية ، وفي هذا إشارة إلى أنهم لا يرون ما فهمه ابن عطية من كلام الإمام الطبري ، أو أنهم يشكون في ذلك.

٤- ابن عطية نفسه لم يجزم بأن كلام الإمام الطبري يحمل على أن الاستثناء متصل ، بل قال : «فالاستثناء على هذا كالمتصل» وهذا فيه بعض تردد ، مما يرجح حمل كلام الإمام الطبري على الاستثناء المنقطع. والله أعلم.

سورة القصص

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[١] - : «وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى رب بإنعامك عليَّ بعفوك عن قتل هذه النفس ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ يعني المشركين، كأنه أقسم بذلك، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ كأنه على هذه القراءة دعا ربه، فقال: اللهم لن أكون ظهيراً ...»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : «كأنه أقسم بذلك» فقال: «ثم قال عليه السلام معاهداً لربه عز وجل : رب بنعمتك عليَّ وبسبب إحسانك وغفرانك فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين ، هذا أحسن ما تؤول . وقال الطبري: إنه قسم ، أقسم بنعمة الله تبارك وتعالى . ويضعفه صورة جواب القسم ؛ فإنه غير متمكن في قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ ؛ لأن القسم لا يلتقي بـــ (لن) ، والفاء تمنع أن تنـــزل (لن) منـــزلة (لا) أو (ما) فتأمله . واحتج الطبري

(١) سورة القصص ، الآية : ١٧ .

(٢) جامع البيان (٤٦/١٠).



بأن في قراءة عبد الله ﴿ فلا تجعلني ظهيراً ﴾ ››[١].

محل الخلاف بين الإمامين في نوع الباء في قوله : ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ فالإمام الطبري يجوّز أن تكون الباء للقسم، وابن عطية يرى أنها سببية ، ويدفع ما رآه الإمام الطبري بأن صورة جواب القسم تضعف ذلك.

وما ذهب إليه الإمام الطبري والقاضي ابن عطية - في الباء - ذكر المنتجب والسمين أنهما وجهان جائزان فيها[٢].

ولا شك أن طائفة كبيرة من أهل العلم قد وافقوا الإمام الطبري في جعل الباء للقسم ، إلا أنهم قد بينوا أن جواب القسم ليس هو ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ... ﴾ بل هو مقدر يفسره أو يدل عليه المذكور قال الزمخشري: ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره : أقسم بإنعامك عليَّ بالمغفرة لأتوبن ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣].

وقال أبو البقاء العكبري: ‹‹قوله: ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ يجوز أن يكون قسماً والجواب محذوف، و ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ تفسيراً له ، أي :

---

(١) المحرر الوجيز (١١/٢٧٦ ، ٢٧٧).

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/٧١٠) ، والدر المصون (٨/٦٥٨).

(٣) الكشاف (٣/١٦٩).



لأتوبن»[١].

ونحو هذا قال البيضاوي ، وأبو حيان ، والنسفي ، وأبو السعود[٢] .

وتابع ابن جزي ابن عطية في هذه المسألة فذكر أن الباء للسببية ثم قال: «وقيل: الباء ، باء القسم، وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم»[٣].

وبعد : فلم يصرح الإمام الطبري بجواب القسم وكلامه محتمل أن يكون أراد بجواب القسم ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وعلى هذا فاستدراك أبي محمد وارد عليه لما علل به من أن القسم لا يلتقي بـــ (لن)، والفاء تمنع أن تنـــزل (لن) منـــزلة (ما).

قال ابن عقيل رحمه الله تعالى : «وإن كان جملة فعلية منفية - يعني جواب القسم - فينفى بما، أو لا، أو إن، نحو : والله ما يقوم زيد ، ولا يقوم زيد ، وإن يقوم زيد . والاسمية كذلك»[٤].

ولهذا السبب - والله أعلم - جعل العلماء جواب القســـم محذوفاً في

---

(١) التبيان (١٠١٨/٢).

(٢) انظر تفسير البيضاوي (١٨٩/٢) ، والبحر المحيط (١٠٥/٧)، وتفسير النسفي (٢٣٠/٣) ، وتفسير أبي السعود (٧/٧).

(٣) التسهيل (٢٢٥/٣).

(٤) شرح ابن عقيل (٣٥٠/٢).



هذه الآية ، وقد تقدم النقل عن طائفة منهم.

ويحتمل أن الإمام الطبري أيضاً يرى أن جواب القسم ليس ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ بل هو محذوف ، ويكون قوله: «وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ كأنه على هذه القراءة دعا ربه فقال: اللهم لن أكون ظهيراً...» كلاماً مستأنفاً أراد به معنى آخر. ويرجح هذا الاحتمال أن هذا الذي ذكره الإمام الطبري بقوله : وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله مأخوذ من معاني القرآن للفراء، والفراء لم يتعرض للقسم بل قال : « وقولـه : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي ، فجعل (لن) خبراً لموسى. وفي قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً﴾ فقد تكون (لن أكون) على هذا المعنى دعاء من موسى : اللهم لن أكون لهم ظهيراً...»[1].

ويؤيد هذا الاتجاه أيضاً – أعني من أن الإمام الطبري يُحمل كلامه على قراءة عبد الله رضي الله عنه على الاستئناف – أن الزمخشري قد جعل مسألة الدعاء مسألة مستقلة ، لا علاقة لها بالقسم فقال: ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف ... وأن يكون استعطافاً

---

(١) معاني القرآن (٢/٣٠٤).



كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليَّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين(١).

وكذلك الكرماني جعل القسم شيئاً ، والدعاء شيئاً آخر(٢).

فالحاصل أن الإمام الطبري إن أراد أن يجعل ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ هو جواب القسم فاستدراك ابن عطية متجه، وإن أراد أن يشير إلى أن الباء يجوز أن تكون في الآية للقسم ، ثم ذكر معنى آخر تحتمله الآية واستدل عليه بالقراءة الشاذة فاستدراك ابن عطية غير وارد عليه.

وأنا أجنح إلى أن الإمام الطبري ما أراد أن يجعل ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ هو جواب القسم. والله أعلم.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار لولايته الخيرة من خلقه ، ومن سبقت

---

(١) الكشاف (٣/١٦٩) والباء على هذا الوجه - الثاني - متعلقة بمحذوف ومعناها السببية . أي اعصمني بسبب ما أنعمت علي... انظر الدر المصون (٨/٦٥٨).

(٢) انظر غرائب التفسير (٢/٨٦٥).

(٣) سورة القصص ، الآية ٦٨ .



له منه السعادة . وإنما قال جل ثناؤه ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ والمعنى ما وصفت ؛ لأن المشركين كانوا في ما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها لآلهتهم ، فقال الله لنبيه محمد ﷺ : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والعمل الصالح من خلقه ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم فكذلك اختياري لنفسي ، واجتبائي لولايتي ، واصطفائي لخدمتي وطاعتي، خيار مملكتي وخلقي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

ثم ساق بسنده من طريق العوفي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ قال : كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية[٢].

ثم قال الإمام الطبري : «فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلا شك أن (ما) من قوله: ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ في موضع نصب بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذي. فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت من أن (ما) اسم منصوب بوقوع قوله (يختار) عليها ، فأين خبر

(١) جامع البيان (١٠/٩٤ ، ٩٥).

(٢) أخرجه في جامع البيان (١٠/٩٥) من طريق العوفي ، وهو طريق ضعيف ، لضعف العوفي .



(كان)؟ . فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن في كان ذكراً من (ما) ، ولابد لكان إذا كان كذلك من تمام . وأين التمام؟ . قيل: إن العرب تجعل لحروف الصفات[1] إذا جاءت الأخبار بعدها أحياناً أخباراً كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها. ذكر الفراء أن القاسم بن معن[2] أنشده قول عنترة[3] :

أمن سمية دمع العين تذريف   لو كان ذا منك قبل اليوم معروفُ

فرفع معروفاً بحرف الصفة ، وهو لا شك خبر لـ (ذا) ، وذكر أن المفضل[4] أنشده ذلك:

---

(١) حروف الصفات : هي حروف الجر ، وسميت حروف الجر ؛ لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ؛ لأنها تحدث في الاسم صفة حادثة كقولك (جلست في الدار) دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل: سميت بذلك ؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات. انظر همع الهوامع (١٥٣/٤).

(٢) القاسم بن معن ، بن عبد الرحمن ابن صاحب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود ، ثقة نحوياً أخبارياً (ت : ١٧٥هـ). انظر السير (١٩٠/٨).

(٣) عنترة بن شداد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى. انظر خزانة الأدب (١٢٨/١)، والأعلام (٩١/٥). والبيت لم أجده في ديوان عنترة (دار صادر) وشطره الثاني في مجالس ثعلب (٩٦/١)، وهو بالرواية التي ذكرها عن المفضل في الأغاني (٢٣٥/٨). والشاهد فيه قوله : «لو كان ذا منك قبل اليوم معروف» حيث جاء اسم (كان) ضمير الشأن ، وخبرها الجملة الاسمية «ذا منك معروف». انظر المعجم المفصل في الشواهد النحوية (٥٧٧/٢).

(٤) لعله : المفضـــل بن محمـــد بن يعلى بن عامر الضبي، راوية علامة بالشعر والأدب =



.... لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

ومنه أيضاً قول عمر بن أبي ربيعة[1]:

قلت أجيبي عاشقاً بحبكم مكلفُ

فيها ثلاث كالدُّمَى وكاعب ومسلفُ

فمكلف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء ، في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذلك قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ رفعت الخيرة بالصفة وهي (لهم) ، وإن كانت خبراً لـ (ما) لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم ، لا شك أن قائماً لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوباً ، فكذلك وجه رفع الخيرة، وهو خبر لـ (ما).

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون (ما) في هذا الموضع جحداً ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ، ثم

=

(ت: ١٦٨هـ). انظر الأعلام (٧/٢٨٠).

(١) البيت الثاني في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص(٢٥٢) وفي تهذيب اللغة (١٢/٤٣٢)، ولسان العرب (٦/٣٣٣) كلاهما في «سلف» . والبيت الأول لم أجده في الديوان الذي اطلعت عليه ، وهو في مجالس ثعلب (١/٩٦) دون نسبة.



يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة. أي لم تكن للخلق الخيرة ، وإنما الخيرة لله وحده؟

قيل : هذا قول لا يخفى فساده على ذي حجا ، من وجوه لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول، فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه . فأما أحد وجوه فساده : فهو أن قوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن (ما) بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذي ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة في ما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما في ما يستقبلونه فلهم الخيرة ؛ لأن قول القائل: ما كان لك هذا ، لا شك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك في ما مضى ، وقد يجوز أن يكون له في ما يستقبل ، وذلك من الكلام - لا شك - خلف ؛ لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديماً ، فليس ذلك لهم أبداً.

وبعد : لو أريد ذلك المعنى لكان الكلام ، فليس ، وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة ليكون نفياً عن أن يكون ذلك لهم في ما قبل، وفي ما بعد .

والثاني : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى، وغير جائز في الكلام أن يقال ابتداءً : ما كان لفلان الخيرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضي ذلك ، فكذلك قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك



الخيرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحاً ، وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحاً منهم، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[1] فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر، ويصطفي لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة، والعلانية الرضية.

والثالث : أن معنى الخيرة في هذا الموضع : إنما هو الخيرة ، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعطي الخِيرَةُ والخِيْرة ، مثل الطِّيرَة والطِّيْرة ، وليس بالاختيار، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة.

فإن قال : فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا . وذلك أنها إذا كانت مصدراً كان معنى الكلام: وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم. وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والأنعام ، وإذا لم يكن لهم شرار ذلك ، وجب ألا يكون لها

(١) سورة القصص ، الآية : ٦٩.



مالك، وذلك ما لا يخفى خطؤه؛ لأن لخيارها ولشرارها أرباباً يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه في إعراب (ما) مفعولة ، فقال - بعد أن ذكر أن الظاهر أن (ما) نافية وأنه قول جماعة من المفسرين ، وذكر رأي الإمام الطبري - : « واعتذر الطبري عن الرفع الذي أجمع عليه القراء في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ بأقـوال لا تتحصل[2] ، وقد رد الناس عليه في ذلك ، وذكر عن الفراء أن القاسم بن معن أنشده بيت عنترة :

أمن سمية دمع العين تذريفُ ... لو كان ذا منك قبل اليوم معروفُ

وقرن الآية بهذا البيت ، والرواية في البيت (لو أن ذا) ولكن على ما رواه القاسم يتجه في بيت عنترة أن يكون في كان ضمير الأمر والشأن ، فأما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف[3] . وفي هذا كله نظر... ويتجه عندي أن تكون (ما) مفعولة إذا قدرنا (كان) تامة ، أي : أن الله

---

(١) جامع البيان (١٠/٩٥ ، ٩٦).

(٢) قوله : «لا تتحصل» أي لا تثبت . والحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ما سواه . انظر لسان العرب (٣/٢٠٧) «حصل».

(٣) في النسخة المغربية « بجملة فيها مجرور » والذي في القطرية موجود في البحر وفي الدر المصون ، مما يرجح الأخذ به.



تعالى يختار كل كائن ، ولا يكون شيء إلا بإذنه ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ جملة مستأنفة معناها تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا»[١].

محل الخلاف بين الإمامين في (ما) الثانية التي في قوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ فالإمام الطبري يرى أنها مفعول به، و ﴿ٱلْخِيَرَةُ ﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة ، و ﴿ لَهُمُ ﴾ خبرها مقدم ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر كان واسـمها ضمير الشأن العائد على ﴿ مَا ﴾ التي بمعنى (الذي) وهي المفعول به[٢].

والمعنى : أن الكفار كانوا يختارون من أموالهم لأصنامهم خيارها ، فأخبر الله تعالى أن الاختيار إنما هو له وحده ، يخلق ويختار من الرسل والشرائع ما كان خيراً للناس ، لا كما يختارون هم ما ليس لهم، ويفعلون ما لم يؤمروا به[٣].

وابن عطية لا يرى هذا الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، ويعترض عليه بأنه يلزم على ما ذهب إليه الإمام الطبري أن يفسر ضمير الشأن بجملة حذف منها عايد الصلة وهو الجار والمجرور ، لأن أصل الكلام : ما

---

(١) المحرر الوجيز (١١/٣٢٤ ، ٣٢٥).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٠٦) فقد ذكر بعض هذا الإعراب.

(٣) المحرر الوجيز (١١/٣٢٤).



كان لهم فيه الخيرة . وهذا ممنوع.

ولا شك أنه قد وقع الخلاف في نوع (ما) الثانية في الآية قال السمين: « وقوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ فيه أوجه ، أحدها : أن (ما) نافية فالوقف على (يختار) . والثاني : (ما) مصدرية ، أي: يختار اختيارهم، والمصدر واقع موقع المفعول به ، أي: مختارهم . والثالث : أن تكون بمعنى الذي ، والعائد محذوف، أي: ما كان لهم الخيرة فيه ... وجوز ابن عطية أن تكون (كان) تامة و (لهم الخيرة) جملة مستأنفة »[1].

وقد وافق طائفة من أهل العلم أبا محمد فضعفوا ما ذهب إليه الإمام الطبري ، قال مكي : «ما الثانية للنفي ، لا موضع لها من الإعراب . وقال بعض العلماء الطبري وغيره : هي في موضع نصب بيختار، وليس ذلك بحسن في الإعراب ؛ لأنه لا عائد يعود على (ما) في الكلام ، وهو أيضاً بعيد في المعنى والاعتقاد ؛ لأن كونها للنفي يوجب أن تعم جميع الأشياء أنها حدثت بقدر الله واختياره ، وليس للعبد فيها شيء غير اكتسابه بقدر من الله . وإذا جعلت (ما) في موضع نصب بيختار لم تعم جميع الأشياء أنها مختارة لله ، إنما أوجبت أنه يختار ما لهم فيه الخيرة لا غير، ونفي ما ليس لهم فيه خيرة ، وهذا مذهب القدرية والمعتزلة . فكون (ما) للنفي أولى في المعنى ، وأصح في التفسير ، وأحسن في الاعتقاد ، وأقوى في العربية ...»[2].

---

(١) الدر المصون (٦٩٠/٨).

(٢) مشكل إعراب القرآن (٥٤٧/٢).



وقال القرطبي – بعد أن حكى قول الإمام الطبري – : «وفيه ضعف إذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان إلا أن يقدر فيه حذف فيجوز على بعد»[١].

وقال ابن جزي – بعد أن فسرها على النفي ، وأورد القول الآخر : «ولو كانت (ما) مفعولة، لكان اسم كان مضمراً يعود على (ما) وكانت (الخيرة) منصوبة على أنها خبر (كان) وقد اعتذر عن هذا من قال: إن (ما) مفعولة بأن يقال : تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور . وهذا ضعيف»[٢].

وقال ابن القيم – بعد أن فسر الآية على أن (ما) نافية – : « ومن زعم أن (ما) مفعول (يختار) فقد غلط إذ لو كان هذا هو المراد لكانت (الخيرة) منصوبة على أنها خبر كان ، ولا يصح المعنى: ما كان لهم الخيرة فيه، وحذف العائد، فإن العائد ها هنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله. فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل ، فلا يجوز حذفه »[٣].

وقال الشوكاني – بعد أن ذكر أن الصحيح أن (ما) نافية – : «وقال ابن جرير : إن تقدير الآية ويختار لولايته الخيرة من خلقه . وهذا في غاية من الضعف »[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١٣).
(٢) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٢٣٨/٣).
(٣) بدائع التفسير (٣٥٦/٣).
(٤) فتح القدير (١٨٣/٤).



وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن ما اعترض به أبو محمد على الإمام الطبري من ناحية الصناعة النحوية غير وارد عليه ، وذلك أن قوله: « فأما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف» معناه : أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها ، وهذا شرط موجود قال السمين الحلبي : « وجعل بعضهم في (كان) ضمير الشأن ... وابن عطية منع ذلك في الآية، قال: «لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها محذوف» قلت: كأنه يريد أن الجار متعلق بمحذوف ، وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها. إلا أن في هذا نظراً إن أراده ؛ لأن هذا الجار قائم مقام الخبر . ولا أظن أحداً يمنع (هــو الســلطان في البلــد) و (هي هند في الدار) »[1].

واعتراض أبي محمد هذا قريب مما ذُكر عن مكي بن أبي طالب وغيره من العلماء حيث ضعفوا ما ذهب إليه الإمام الطبري بأنه لا عائد يعود على (ما) في الكلام.

وما قالوه صحيح إلا أن العذر للإمام الطبري أن ذلك المحذوف مفهوم من الكلام ، وما كان كذلك فيجوز حذفه.

قال الزمخشري : فإن قلت : فأين الراجع من الصلة إلى الموصول ، إذا جعلت (ما) موصولة؟ قلت: أصل الكلام : ما كان لهم فيه الخيرة فحذف

(١) الدر المصون (٨/٦٩٠).



فيه ، كما حذف (منه) في قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [(١)] لأنه مفهوم [(٢)].

وقال الألوسي - بعد أن ذكر قول الإمام الطبري - : «وضعفه بعضهم بأن فيه حذف العائد ، ولا يخفى أن حذفه كثير»[(٣)].

ولكن ما ذهب إليه الإمام الطبري - وإن كان له وجه في النحو - فهو قول مرجوح ، يقدم عليه القول البين الواضح ، وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء[(٤)] من أن (ما) في قوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ نافية.

فهذا القول - كما قال الإمام مكي - : «أولى في المعنى ، وأصح في التفسير ، وأحسن في الاعتقاد، وأقوى في العربية»[(٥)].

والأقوال التي دفع بها الإمام الطبري هذا القول لا تنقص من قيمته.

فقوله : «إن التأويل عمن ذكرنا بخلافه» يعني ما نقله عن ابن عباس ،

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٣. وفي البحر (١٢٤/٧) « يعني أن التقدير : إن ذلك فيه لمن عزم الأمور ».

(٢) الكشاف (١٨٩/٣).

(٣) روح المعاني (١٠٤/٢٠).

(٤) هذا الذي يظهر لمن تأمل الأقوال في كتب التفسير ، وقد نص العلامة الكرماني أن حمل (ما) على أنها نافية هو قول جمهور العلماء. انظر غرائب التفسير (٨٧٢/٢).

(٥) مشكل إعراب القرآن (٥٤٧/٢).



من طريق العوفي . والعوفي لا يحتج بما جاء عن طريقه في التفسير ، لضعفه.

ثم قد قال ابن كثير : «والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره»(١).

وأما إنكاره – رحمه الله تعالى – أن تكون (ما) نافيــة ، لئلا يكون المعنى : أنهم لم تكن لهم الخيرة في ما مضى وهي لهم في ما يأتي.

فأجاب عنه المهدوي(٢) بقوله : «لا يلزم ذلك ؛ لأن (ما) تنفي الحال والاستقبال ، كليس ولذلك عملت عملها ؛ ولأن الآي كانت تنــزل على النبي ﷺ على ما يسأل عنه ، وعلى ما هم مصرون عليه من الأعمال، وإن لم يكن ذلك في النص»(٣).

وأما قوله – رحمه الله – : لم يتقدم قبله – أي قبل النفي – من الله تعالى ذكره خبر عن أحد أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك الخيرة.

فالجواب ما ذكره الألوسي بقوله : «الكلام مسوق لتجهيل المشركين في اختيارهم ما أشركوه ، واصطفائهم إياه للعبادة والشفاعة لهم يوم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٣).

(٢) أحمد بن عمار المهدوي ، مفسر مقرئ أديب علامة (ت : بعد ٤٣٠هـ). انظر طبقات المفسرين للداوودي (٥٦/١).

(٣) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١٣).



القيامة كما يرمز إليه : ﴿ادعوا شركاءكم﴾[١] وللتعبير – بما – وجه ظاهر، والمعنى : وربك لا غيره يخلق ما يشاء خلقه ، وهو سبحانه دون غيره ينتقي ويصطفي ما يشاء انتقاءه واصطفاءه ، فيصطفي مما يخلقه شفعاء ، ويختارهم للشفاعة ويميز بعض مخلوقاته – جل جلاله – على بعض ، ويفضله عليه بما شاء ما كان لهؤلاء المشركين أن ينتقوا ويصطفوا ما شاءوا...»[٢].

قلت : وقد ذكر الله في هذه السورة ما يفيد أن المشركين يقترحون أشياء ، ويختارون أشياء، هي في الحقيقة من خصائص الله تعالى ، فقال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾[٣].

وقد تكون هذه الآية بيان ورد لما ذكره الله عن الكفار في سورة أخرى كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٤].

---

(١) من قولــه تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ ســورة القصص ، الآية: ٦٤.

(٢) روح المعاني (١٠٤/٢٠).

(٣) سورة القصص ، الآية : ٤٨.

(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٣١. وانظر الصاحبي ص (٤٠٢) فقد ذكــره ابن فارس =



وأما قوله : إن الخيرة هو الشيء الذي يختار ، وليس بالاختيار.

فهذا متقارب ؛ لأن الله إذا نفى عنهم الشيء الذي يختار ، دل على أن ليس لهم اختيار فيه.

وفي المصباح المنير: «الخيَرَة بفتح الياء ، بمعنى الخيار ، والخيار هو الاختيار ، ومنه يقال : له خيار الرؤية. ويقال هي اسم من تخيرت الشيء، مثل الطيرة اسم من تطير . وقيل: هما لغتان بمعنى واحد...»[1].

وأما القولان الآخران ، وهو ما جوزه ابن عطية من أن كان تامة و(لهم الخيرة) جملة مستأنفة. أو أن (ما) مصدرية . فهما قولان بعيدان ، وكلام الله يحمل على الواضح البين[2] . والله أعلم.

=

تحت باب ما يكون بيانه منفصلاً منه . وانظر أسباب النـــزول للواحدي ص(٣٩٩).

(١) المصباح المنير ، ص(٧١) «خير».

(٢) وصف الشوكاني ما جوزه ابن عطية بقوله : «وهذا بعيد جداً» انظر فتح القدير (١٨٣/٤). وقال المنتجب - بعد حكاية القول بأن (ما) مصدرية - : «وهو من التعسف والتكلف كما ترى» الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٢٤/٣).



سورة الروم

✿ ساق الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : «كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم . فلما نزلت : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[1] ... إلى ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ قالوا : يا أبا بكر، إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين. قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، فمضت السبع، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : ما بضع سنين عندكم؟ قالوا : دون العشر . قال: اذهب فزايدهم وازدد سنتين . قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾ »[2].

---

(١) سورة الروم ، الآيات : ١– ٦ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/١٦٥ ، ١٦٦) قال حدثنا بن وكيع ، قال حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ... إلخ . وهذا الأثر إسناده ضعيف من أجل سفيان بن وكيع شيخ الطبري قال الحافظ: كان

=

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على ما حكاه الإمام الطبري فقال: «وقوله تعالى: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ نصب على المصدر المؤكد، وقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يريد الكفار من قريش والعرب ، أي: لا يعلمون أن الأمور من عند الله تبارك وتعالى، وأن وعده لا يتخلف، وأن ما يورده نبيه – عليه الصلاة والسلام – حق. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: هذا الذي ذكرناه هو عمدة ما قيل . وقد حكى الطبري وغيره : روايات يردها النظر ، أول قول من ذلك أن بعضهم قال : إنما نزلت ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾ بعد غلبت

=

صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه ، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. تقريب التهذيب برقم (٢٤٥٦). وفيه أيضاً: عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي الكوفي كان يدلس ، وقد عنعن . انظر تقريب التهذيب برقم (٣٩٩٩). وهذا الأثر قد أخرج نحوه الطبري (١٦٦/١٠، ١٦٧) من طريق عطية العوفي ، وكذلك الترمذي في السنن (٨٩/٥)، كتاب القراءات باب ومن سورة الروم ح(٢٩٣٥) ولهذا فقد يرتقي هذا الأثر إلى درجة الحسن لغيره. وقد اضطربت الآثار التي تفيد أن أول السورة نزل يوم بدر في ضبط ﴿ غُلِبَتِ ﴾ فجاء في بعضها مضبوطاً بضم الغين ، وفي بعضها بالفتح والأولى متواترة، والثانية شاذة. وحملت الشاذة على الرواية التي تفيد نزولها بعد الهجرة ويكون قوله ﴿ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ بضم الياء وهي شاذة أيضاً ، ويكون المعنى : أن الروم غلبوا الفرس ، وسيغلبهم المسلمون في ما يستقبل من الزمان.



الروم لفارس ، ووصول الخبر بذلك ، فهذا يقتضي أن الآية مدنية . والسورة كلها مكية بإجماع . ونحو هذا من الأقوال»[1].

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري قد استساغ أن يروي مثل هذه الرواية وغيرها مما يفيد أن أول سورة الروم نزل بعد الهجرة. وأبو محمد يرى أن ما تقرر أن سورة الروم مكية يدفع مثل هذه الروايات، فظاهر كلامه أن إيراد مثل هذه الروايات لا ينبغي ، ولذلك أعرض عن ذكر الرواية التي أوردها الإمام الطبري في سبب النزول ، فلم يذكر ذلك إلا في معرض النقد ، ومن هنا أدخلت هذه المسألة في استدراكات ابن عطية على الإمام الطبري.

ثم هذه الروايات التي أوردها الإمام الطبري جاءت من طريقين ضعيفين كما بُيِّن ذلك عند التخريج. إلا أنها بمجموعها ترتقي إلى درجة الحسن لغيره. وهناك روايات ثابتة تفيد أن أول هذه السورة نزل بمكة [2]،

---

(١) المحرر الوجيز (١١/٤٢٨).

(٢) منها ما أخرجه الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب ... فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ ...» سنن الترمذي (٥/٣٤٤،

=

وكذلك ذكر جمهور المفسرين أن هذه السورة مكية [1]، وهــذا هــو الواضح البين فيها من خلال تتبع مقاصدها.

فتبين مما تقدم أنك أمام أمرين:

الأول : روايات تفيد أن أول السورة نزل في العهد المدني ، وهــذه الروايات ضعيفة الأسانيد إلا أنها بمجموعها يمكن أن ترتقــي إلى درجــة الحسن لغيره.

الثاني : روايات صحيحة تفيد أن أولها نزل في العهد المكي. وبهذا وضعنا

=

٣٤٥)، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الروم ح(٣١٩٤) وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد . وقال الشيخ الألباني: حسن. انظر صحيح سنن الترمذي (٨٨/٣). وانظر أيضاً مسند الإمام أحمد (٢٧٦/١، ٣٠٤)، وتفسير النسائي (١٥٠/٢) ، ومستدرك الحاكم (٤٤٥/٢).

(١) انظر روح المعاني (١٦/٢١) فقد نسب إلى الحسن أنه استثنى من القول بمكيتها ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ الآية وقال الألوسي : هو خلاف مذهب الجمهور . وانظر الكشاف (٢١٧/٣) ، والتسهيل (٢٦٠/٣) ففيهما ما يفيد استثناء الآية المذكورة. وطائفة نقلوا الإجماع على مكيتها. انظر المحرر الوجيز (٤٢١/١١)، وزاد المسير (٢٨٦/٦)، وبصائر ذوي التمييز (٣٦٥/١). والقول بمكيتها هو الذي ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٧٤/٢) ، والزركشي في البرهان (١٩٣/١)، والسيوطي في الإتقان (٣٠/١).



أمام ما ظاهره الإشكال. ويمكن أن يجاب على هذا الإشكال بما يلي:

نقول بالقول الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة وهو أن أول هذه السورة نزل بمكة قبل الهجرة ونعتذر عن القول الآخر فنقول لعل ما حصل يوم بدر ما هو إلا استشهاد بما نزل في مكة ، فرواه بعض الرواة على أنه قد نزل في ذلك اليوم.

أو يقال : هذه الآيات نزلت مرتين ، مرة قبل الهجرة ، ومرة بعد الهجرة ، وقد أشار إلى هذا المسلك السيوطي والألوسي[1].

وبناء على ما تقدم فقول أبي محمد أن النظر يرد الروايات التي تفيد أن أول هذه السورة نزل بعد الهجرة هو كما قال ؛ لأن هذا النظر مبني على أحاديث صحيحة ، ولم ير رحمه الله أن هذه الآثار بمجموعها تدفع ما ثبتت صحته. خصوصاً الرواية التي نص عليها فإنها انفردت بذكر نهاية الآيات التي قيل: إنها نزلت بعد الهجرة ، ولم أر في حد اطلاعي رواية أخرى تشاركها في جعل نهاية ما نزل قوله تعالى : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ .

لكن هذا النظر الصحيح لا يدفع ما فعله الطبري ؛ لأنه - رحمه الله - قد خرج من تبعة هذه الآثار عندما ساقها بالأسانيد ولا يلزم من ذكره لها أنه يقول بما دلت عليه . والله أعلم.

---

(١) انظر لباب النقول ص(٥١٤) ، وروح المعاني (١٩/٢١).



سورة لقمان

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(١)] -: «فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه ؟ قيل : ذلك أيضاً وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[(٢)] ولا تطع في الشرك به والديك ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ فإن الله وصى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته»[(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري أنْ جَعَل الآيتين من وصية لقمان لابنه فقال - بعد أن أورد الآيتين - : «هاتان الآيتان اعتراض أثناء وصية لقمان . ووجه الطبري ذلك بأنها من

---

(١) سورة لقمان ، الآيتان : ١٤، ١٥ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣.

(٣) جامع البيان (٢١٢/١٠).



معنى كلام لقمان ، ومما قصده ، وذلك غير متوجه ؛ لأن كون الآيتين في شأن سعد بن أبي وقاص[١] – حسب ما ذكره بعد – يضعف أن يكون مما قاله لقمان ، وإنما الذي يشبه أنه اعتراض أثناء الموعظة ، وليس ذلك بمفسد الأول منها ولا الآخر ، ولما فرغ من هاتين الآيتين عاد إلى الموعظة على تقدير إضمار : (وقال أيضاً لقمان) ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه))[٢].

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يجعل الآيتين المذكورتين خبراً من الله تعالى أوصى به عباده، وأوصى به لقمان ابنه أيضاً ، وأبو محمد يرى أن هاتين الآيتين خبر من الله تعالى عما أوصى به عباده ، جيء به في أثناء وصية لقمان لابنه فهو معترض بين أجزاء الوصية .

وهذه المسألة محل اختلاف بين المفسرين ، فذهب بعض المفسرين إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري[٣].

وذهب الأكثرون – في ما رأيت – إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية من أن ذلك من كلام الباري، وهو اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه[٤].

---

(١) سعد بن مالك بن أهيب ، أحد السابقين الأولين المبشرين بالجنة (ت : ٥٥هـ) انظر السير (١/٩٢).

(٢) المحرر الوجيز (١١/٤٩٣).

(٣) انظر غرائب التفسير (٢/٩٠١) ، ونظم الدرر (١٥/١٦٣).

(٤) انظر – مثلاً – إعـراب القـرآن للنحاس (٣/٢٨٥)، وتفسير القرآن لأبي الليث =



ورجح القرطبي ما ذهب إليه ابن عطية فقال: «والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص... وعليه جماعة المفسرين»[(١)].

وكذلك الشيخ أبو بكر الجزائري رجح أن الآيتين وقعتا اعتراضاً[(٢)].

وذهب ابن عاشور إلى تعليق هذه المسألة بنبوة لقمان ، وعدمها فقال: «إذا درجنا على أن لقمان لم يكن نبياً مبلغاً عن الله ، وإنما كان حكيماً مرشداً ، كان هذا الكلام اعتراضاً بين كلامي لقمان ؛ لأن صيغة هذا الكلام مصوغة على أسلوب الإبلاغ والحكاية لقول من أقوال الله ، والضمائر ضمائر العظمة جرته مناسبة حكاية نهي لقمان لابنه عن الإشراك وتفظيعه بأنه ظلم عظيم ... وإذا درجنا على أن لقمان كان نبياً فهذا الكلام مما أبلغه لقمان لابنه ، وهو مما أوتيه من الوحي...»[(٣)].

وبعد : فالمسألة محتملة للقولين ، إلا أن ما ذهب إليه القاضي ابن عطية أظهر في الاحتمال - والله أعلم - وذلك للأسباب التالية:

١- لفظ الإنسان في قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ شامل لجميع الناس ، فالألف واللام للجنس ، وغير ممكن في لقمان أن يكون قد وصى

=

(٢١/٣) ، والكشاف (٢٣٢/٣) ، والتسهيل لعلوم التنـزيل (٢٧٥/٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٣/١٤).

(٢) انظر نهر الخير على أيسر التفاسير (٢٠٥/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٥٦/٢١).



جميع الناس بهذا.

فإن قيل : هذا من كلام الله يحكيه لقمان . قيل : لو كان كذلك لقال : (ووصى الله الإنسان بوالديه...) ولقال أيضاً : (وإن جاهداك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم).

٢- هذا الموطن مما وقع فيه الاشتباه ، وله نظائر متفق عليها ، فيحمل المختلف على المتفق عليه ، وأعني بالمتفق عليه قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

وقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾[(٢)].

٣- ظاهر السياق في الآيات يدل على أن هاتين الآيتين اعتراض في أثناء وصية لقمان ، فلا يترك هذا الظاهر إلا لما هو أقوى منه.

٤- ما قاله أبو محمد من أن من قال : إنها مما قاله لقمان لابنه يضعفه

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٨.

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥.



ما جاء في الآثار أن الآيتين نزلتا في سعد بن أبي وقاص[١].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[٢]- : «وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن حني التغلبي [٣]:

---

(١) انظر أسباب النـــزول للواحدي ص(٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦) . وفي صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧) ح(١٧٤٨) عن سعد أنه قال: «فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآيـــة : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾ وفيـــهـــا ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ قلت : هذه الآيات من سورة العنكبوت ولقمان مما يدل على أن سبب نزول الآيات - في السورتين - سعد رضي الله عنه . وفي أول الحديث عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن.

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٨ .

(٣) هو : عمرو بن حني التغلبي فارس جاهلي مذكور . انظر من اسمه عمرو من الشعراء ص(٥٢) ، ومعجم الشعراء ص(٢٠٦). والبيت في مجاز القرآن (١٢٧/٢) بمثل الذي عند الطبري ، ويظهر أن الطبري أخذه منه . وأورده المرزباني في معجم الشعراء ص(٢٠٦ ، ٢٠٧) موافقاً لما عند ابن عطية ، وأشار إلى أنه قد روي هذا البيت للمتلمس ، فقال: «عمرو بن حني التغلبي فارس جاهلي مذكور ، يقول في قتلهم عمرو بن هند ، في رواية محمد بن داود :

نعاطي الملوك الحق ما قصـــدوا بنـــا وليس علينا قتلهم بمحـــــــــــرم

=



=

أنفت لهم من عقل عمـــرو بن مرثد   إذا وردوا ماء ورمـــح بـــن هرثم

وكنا إذا الجبـــار صعـــر خـــده   أقمــنا لــه من ميــله فتقـــوم

وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها :

يعيرني أمي رجـــال ولن ترى   أخا كـــرم إلا بأن يتـــكـــرما

وبعده البيت ، وآخره : (أقمنا له من ميله فتقوما).

وأبو عبيدة وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حني التغلبي». قلت: الذي في المجاز: عمرو بن حني في موضعين (١/١٦١ - ٢/١٢٧). في الموضع الأول أورد له بيتاً بقافية ميمية مكسورة ، والموضع الثاني هذا البيت المختلف فيه والبيت في الموضع الأول موافق للأبيات التي أوردها المرزباني له في الوزن والقافية. والبيت المختلف فيه أورده الأصمعي في كتابه الأصمعيات ص(٢٤٤ ، ٢٤٥) بنفس الوزن الذي عند الطبري (فتقوما) منسوباً للمتلمس من قصيدة يعاتب فيها خاله الحارث بن التوءم اليشكري ومطلعها :

تعـــيرني أمي رجال ولن تـــرى   أخا كرم إلا بأن يتكرمـــــا

ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن   له حســـباً كان اللئـــيم المذمما

إلى أن قال :

وكنا إذا الجبار صعر خـــــده   أقمنا له من ميله فتقومــــــــا

فلو غير أخـــوالي أرادوا نقيصتي   جعلت لهم فوق العرانـــين ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفـــه   بكف له أخرى فأصبح أجذمـــا

والبيت في ديوان المتلمس بهذه الرواية (فتقوما) وكذلك هو في لسان العرب (٧/٣٤٥) منسوباً للمتلمس ، وهو أيضاً في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء ص(٥٢) منسوباً لعمرو بن حني (فتقوما) ، واستدرك المحقق بأنه ليس (فتقوما) ، بل هو

=

وكنا إذا الجبار صعَّر خده أقمنا له من ميله فتقوَّما»[1].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري إنشاده البيت «فتقوما» فقال: «والصعر الميل ... ومنه قول عمرو بن حني التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعَّر خده أقمنا له من ميله فتقوَّمِ

أي فتقوم أنت . قاله أبو عبيدة . وأنشد الطبري (فتقوما) وهو خطأ؛ لأن قافية الشعر مخفوضة »[2].

=

(فتقوم) قال لأنه من قصيدة مكسورة القافية ، كما عند المرزباني ، وكما يدل عليه البيت الآخر : آنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد ... إلخ. على أن في البيت رواية ثالثة أوردها الشوكاني في فتح القدير (٢٣٩/٤) دون نسبة وهي:

وكـــنا إذا الجبار صعـــر خـــده مشـــينا إليه بالســـيوف نعاتبه

والذي يترجح – والله أعلم – أن البيت لعمرو بن حني التغلبي ، وأن قافيته بكسر الميم (فتقومِ) وذلك : لما جاء عند المرزباني من نسبة البيت للشاعر المذكور ضمن قصيدة مكسورة القافية . ولأن رواية (فتقوما) هناك شبه إجماع بين أهل الأدب واللغة الذين اطلعت على مؤلفاتهم على نسبتها للمتلمس ، وهي في ديوانه ضمن قصيدة منسوبة إليه . وأيضاً مما يرجح أن البيت من قصيدة مخفوضة القافية ، أن أبا عبيدة نفسه أنشد لعمرو بن حني في مجاز القرآن (١٦١/١) بيتاً مخفوض القافية موافقاً للبيت المختلف فيه في الوزن.

(١) جامع البيان (٢١٤/١٠).

(٢) المحرر الوجيز – النسخة المغربية (١٣/ ١٨) وأما النسخة القطرية (١١ / ٥٠٢

=



الذي يظهر أن الإمام الطبري تابع أبا عبيدة في الاستشهاد بهذا البيت على هذا المعنى ، وفي نسبته وقافيته ، فكل ذلك موجود بتمامه في مجاز القرآن[1].

والقرطبي نقل استدراك ابن عطية على الطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء[2] . وأورد أبو حيان الاستدراك نفسه على الطبري ، ولم ينسبه لابن عطية[3].

وغير هؤلاء من المفسرين أيضاً ذكروا هذا البيت فمنهم من يورده بالرواية التي نقلها الطبري عن أبي عبيدة[4] ، ومنهم من يورده بالرواية التي ارتضاها أبو محمد[5].

والذي رأيت من خلال مصادر الأدب واللغة - التي اطلعت عليها[6] - أن أصحابها ينسبون الرواية التي ذكرها أبو عبيدة وتابعه عليها الإمام

=

فليس فيها استدراك على الطبري ، وإنما فيها « وأنشده أبو عبيدة (فتقوما) وهو خطأ لأن قافية الشعر مخفوضة ».

(١) انظر مجاز القرآن (٢/١٢٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٦٩).

(٣) انظر البحر (٧/١٧٧).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٤٧) ، وأضواء البيان (٦/٤٩٧).

(٥) انظر التحرير والتنوير (٢١/١٦٦).

(٦) انظرها في الحاشية التي ذكر فيها تخريج البيت.

الطبري للشاعر المتلمس[١] ، وكذلك هي موجودة في ديوانه ضمن قصيدة ميمية. كذلك جاء في كتاب معجم الشعراء ما يؤيد ابن عطية من أن البيت المذكور مخفوض القافية ، حيث ذكر المرزباني[٢] أن البيت مخفوض القافية ، ضمن قصيدة ميمية مخفوضة القافية لعمرو بن حني. ومما ذكرت، ومما لم أذكر هنا مما يطول تفصيله[٣] يترجح - والله أعلم - أن الرواية في البيت هي كما قال ابن عطية.

---

(١) جرير بن عبد المسيح الضبعي ، شاعر جاهلي مفلق مقل. انظر معجم الشعراء ص(٧١) ، وخزانة الأدب (٣٤٥/٦).

(٢) محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، علامة متقن صاحب تصانيف (ت : ٣٨٤هـ). انظر السير (٤٤٧/١٦).

(٣) تقدم هذا التفصيل عند تخريج البيت فانظر هناك.



سورة السجدة

۞ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾[1] –:« وقوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة ﴿ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ بسكون اللام، وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين ﴿ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه: أتقن كل شيء وأحكمه... وقال آخرون : بل معنى ذلك الذي حسن خلق كل شيء ... وقال آخرون : بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله: ﴿ أَحۡسَنَ ﴾ إنما هو قول القائل : فلان يحسن كذا ، إذا كان يعلمه ...

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ٧ .



وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه ... بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ؛ لأنه لا معنى لذلك إذا قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان ، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحسن ؛ فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحه وسماجته ، علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته ، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم وألهم كل شيء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [١] ؛ لأن ذلك أظهر معانيه.

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذي أحسن خلق كل شيء ، فإنه جعل الخلق نصباً بمعنى التفسير، كأنه قال : الذي أحسن كل شيء خلقاً منه»[٢].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما رجحه على قراءة إسكان اللام من ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ بأنه قول فيه بعد ، فقال : « وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ بسكون

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠.

(٢) جامع البيان (١٠/٢٣٣ ، ٢٣٤).



اللام ، وذلك منصوب على المصدر ، والضمير فيه إما عائد على الله تعالى، وإما على المفعول، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿ كُلَّ ﴾ . وذهب بعض الناس – على هذه القراءة – إلى أن ﴿ أَحْسَنَ ﴾ معناها: ألهم ، وأن هذه الآية بمعنى قوله: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [(١)] أي ألهم الرجل إلى المرأة، والجمل إلى الناقة، وهذا قول فيه بعد . ورجحه الطبري»[(٢)].

محل الخلاف بين الإمامين في ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ على قراءة إسكان اللام ، فالإمام الطبري يرجح أن معنى قراءة إسكان اللام : أعلم وألهم كل شيء خلقه ، فهي بمعنى الآية الأخرى ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [(٣)].

وابن عطية يرى أن هذا القول فيه بعد ، ويفسر هذه القراءة على أحد احتمالين:

الاحتمال الأول : أن يكون ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ منصوباً على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله: ﴿ صُنْعَ

---

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠.

(٢) المحرر الوجيز (١١/٥٣٠).

(٣) سورة طه ، الآية : ٥٠.



ٱللَّهِ ﴾ [١] فكأنه قال : خلقه خلقاً. والضمير في ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ يجوز أن يكون عائداً على الله تعالى فيكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله[٢]، ويجوز أن يكون عائداً على المفعول به – وهو المخلوق – فيكون من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

والاحتمال الثاني الذي جوزه ابن عطية : أن يكون ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ بدلاً من ﴿ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ وجائز أنه يعني بدل اشتمال ، والضمير عائد على ﴿ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ ، وجائز أنه يعني بدل كل من كل ، والضمير على هذا عائد على الباري تعالى. ومعنى ﴿ أَحۡسَنَ ﴾ حسَّن ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة[٣].

والقراءة التي وقع الخلاف بين الإمامين في معناها قراءة متواترة[٤].

وقد جوز أهل العلم في معناها أوجهاً شرحها السمين وبينها فقال:

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٢) انظر الدر المصون (٨٢/٩) فقد فهمت كلام ابن عطية على ضوء ما ذكره السمين.

(٣) انظر المصدر نفسه (٨١/٩) فقد فهمت كلام ابن عطية على ضوء ما ذكره السمين.

(٤) قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام ، وقرأ الباقون بإسكانها . انظر النشر (٣٤٧/٢).



«أحدها: أن يكون ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ بدلاً من ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ بدل اشتمال من ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، والضمير عائد على كل شيء . وهذا هو المشهور المتداول. الثاني : أنه بدل كل من كل ، والضمير على هذا عائد على الباري تعالى. ومعنى ﴿ أَحْسَنَ ﴾ حسَّن ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة ، فالمخلوقات كلها حسنة . الثالث: أن يكون ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ مفعولاً أول ، و ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ مفعولاً ثانياً على أن يضمن ﴿ أَحْسَنَ ﴾ معنى أعطى وألهم. قال مجاهد : «أعطى كل جنس شكله ». والمعنى : خلق كل شيء على شكله الذي خصه به . الرابع : أن يكون ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ مفعولاً ثانياً قدم ، و ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ مفعولاً أول أخر، على أن يضمن ﴿ أَحْسَنَ ﴾ معنى ألهم وعرَّف . قال الفراء : ألهم كل شيء خلقه في ما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك. قلت - القائل السمين - وأبو البقاء ضمن أحسن معنى عرَّف ، وأعرب على نحو ما تقدم إلا أنه لابد أن يجعل الضمير لله تعالى ، ويجعل الخلق بمعنى المخلوق أي : عرَّف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه ، فيؤول المعنى إلى معنى قوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ

هَدَىٰ ﴾[١] ...»[٢].

وبعض ما ذكره الإمام الطبري قد سبق إليه الإمام الفراء حيث قال : «ويقرأ ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ ... كأنه قال : ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه ، فالخلق منصوبون بالفعل الذي وقع على ﴿ كُلَّ ﴾ كأنك قلت : أعلمهم كل شيء وأحسنهم»[٣].

وما قاله ابن عطية من أن ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ منصوب على المصدر ، والضمير فيه عائد على الله قد سبق إليه إمام نحاة البصرة سيبويه ، فأورد هذه الآية وأعربها بهذا[٤].

وما ذكره الطبري في الترجيح أورده الكرماني على أنه قولان أحدهما غريب والآخر عجيب فقال: «الغريب : أحسن بمعنى علم من قولهم : هو يحسن كذا أي يعلمه . العجيب : معناه أعطى كل شيء خلقه...»[٥].

وبعد : فالذي يبدو - والله أعلم - أن هذا القول الذي رجحه الإمام الطبري بعيد كما قال القاضي ابن عطية وذلك للأسباب التالية:

---

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠.

(٢) الدر المصون (٨١/٩ ، ٨٢).

(٣) معاني القرآن (٣٣٠/٢ ، ٣٣١).

(٤) انظر كتاب سيبويه (٣٨١/١).

(٥) انظر غرائب التفسير (٩٠٦/٢).



١- أن لفظ ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يفيد العموم ، وما رجحه الإمام الطبري مقتضاه خاص بالحيوان.

٢- أن جعل أحسن بمعنى «ألهم» ليس بواضح ، وكلام الله يحمل على الواضح البين[1].

٣- مضمون ما رجحه الإمام الطبري ، أن جعل هذه الآية بمعنى آية أخرى ، وكلام الباري إذا تردد بين التأكيد والتأسيس ، كان حمله على التأسيس أولى.

٤- هذا القول الذي رجحه الإمام الطبري جاء على خلاف الظاهر المشهور من أن ﴿ خَلْقَهُۥ ﴾ - بإسكان اللام - بدل من ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ بدل اشتمال [2]. والله أعلم.

---

(١) أورد ابن منظور الآية ، ولم يذكر أنها تتضمن هذا المعنى . وذكر الراغب أن حسن يأتي بمعنى العلم. انظر المفردات ص(١١٩) ولسان العرب (١٧٩/٣) «حسن» .

(٢) انظر البحر (١٩٤/٧) ، والدر المصون (٨١/٩) ، وفتح القدير (٢٤٩/٤) فقد قال أبو حيان : إن هذا الوجه هو الظاهر. وقال تلميذه السمين : إنه المشهور المتداول . وقال الشوكاني : وهذا هو الوجه المشهور عند النحاة . وهذا الذي قالوه ، طائفة كبيرة من المفسرين والمعربين بين مقدم له ، أو مقتصر عليه . انظر - مثلاً - الكشاف (٢٤١/٣)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢٥٨/٢) ، والتبيان في إعراب القرآن (١٠٤٨/٢) ، والتسهيل (٢٨١/٣)، ونظم الدرر (٢٤٤/١٥)، وتفسير أبي السعود (٨١/٧) ، وروح المعاني (١٢٣/٢١) ، والتحرير والتنوير (٢١٥/٢١).

سورة سبأ

✿ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[1] يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ، ليجزي الذين آمنوا ، والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم ، وليرى الذين أوتوا العلم ، فيرى في موضع نصب عطفاً به على قوله : ﴿ لِّيَجْزِىَ ﴾ في قوله : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[2] »[3].

ورأى القاضي ابن عطية أن الظاهر في غير ما ذهب إليه الإمام الطبري من عطف ﴿ يَرَى ﴾ على ما قبله، فقال : «قال الطبري ، والثعلبي[4] ، وغيرهما : ﴿ يَرَى ﴾ معطوف على ما قبله من الأفعال. والظاهر أنه مستأنف ، وأن الواو إنما عطفت جملة على جملة ، وكأن المعنى : الإخبار

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٦ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٤ .

(٣) جامع البيان (١٠/٣٤٧).

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، كان أحد أوعية العلم له كتاب « الكشف والبيان في تفسير القرآن » مطبوع (ت: ٤٢٧هـ) انظر السير (١٧/٤٣٥) .

بأن أهل العلم يرون الوحي المنـــزل على محمد ﷺ حقاً ، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم»[١].

ما قاله الإمام الطبري والقاضي ابن عطية من عطف ﴿ يَرَى ﴾ على ما قبله ، أو جعله مستأنفاً هما وجهان جائزان عند طائفة كبيرة من أهل العلم منهم الفراء ، والنحاس ، وأبو البركات ابن الأنباري، والعكبري ، والسمين الحلبي[٢].

وبعض أهل العلم يجنح إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية كالزمخشري فإنه قال : « ﴿ وَيَرَى ﴾ في موضع الرفع ، أي: ويعلم أولو العلم ... وقيل: يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي، أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق ، علماً لا يزاد عليه في الإيقان، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا...»[٣].

فظاهر تقديم الزمخشري لما وصفه ابن عطية بأنه الظاهر ، وحكايته الآخر بلفظ (قيل) أن القول المقدم - عنده - هو الاستئناف .

وتابع أبو حيان وابن جزي ابنَ عطية، فوصف أبو حيان الاســـتئناف

---

(١) المحرر الوجيز (١٢/١٣٦).

(٢) انظر معاني القرآن (٢/٣٥٢)، وإعراب القرآن (٣/٣٣٢) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢/٢٧٤)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٦٣) ، والدر المصون (٩/١٥٢).

(٣) الكشاف (٣/٢٨٠).



بأنه الظاهر ، ووصفه ابن جزي بأنه الأظهر[١].

وبعد : فما قاله الإمام الطبري جيد ؛ لأنه يحافظ على ترابط الآيات ، ويدفع عنها التفكيك، غير أن ما وصفه أبو محمد بأنه الظاهر هو كذلك لسببين :

الأول : أن قوله : ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهو مرفوع فلو كان ﴿ وَيَرَى ﴾ في محل نصب لظهر أثر هذا النصب في المعطوف عليه وهو ﴿ وَيَهْدِىٓ ﴾ فلما لم يظهر النصب علمنا أن ﴿ وَيَرَى ﴾ إنما هو في محل رفع على الاستئناف[٢].

الثاني : أن قوله : ﴿ لِّيَجْزِىَ ﴾ متعلق بقوله : ﴿لتأتينكم﴾، وكذلك ما عطف عليه وهو ﴿ وَيَرَى ﴾ فيكون المعنى : لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وليعلم الذين أوتوا القرآن أن القرآن حق. وليس علمهم بأن القرآن حق متوقفاً على مجيء الساعة [٣].

---

(١) انظر البحر (٧/٢٤٩) ، والتسهيل (٣/٣١٩).

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٥٧).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦١ ، ٢٦٢).



سورة يس

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1] يقول تعالى ذكره : يا حسرة من العباد على أنفسها، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسل الله ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ﴾ من الله ﴿ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسها) »[2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ، فوصف تفسيره للحسرة بأنه ليس ببين على القراءة المتواترة ، فقال: «وقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً ﴾ نداء لها على معنى : هذا وقت حضورك وظهورك ... وهو منادى منكور على هذه القراءة.

وقال الطبري : المعنى : يا حسرة العباد على أنفسهم، وذكر أنها في بعض القراءات كذلك. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : المعنى ، يا ويلاً للعباد . وقرأ ابن عباس ... (يا حسرة العباد) بالإضافة. وقول ابن عباس حسن مع قراءته ، وتأويل الطبري ذلك في القراءة الأولى ليس

(١) سورة يس ، الآية : ٣٠ .

(٢) جامع البيان (٤٣٨/١٠).

بالبين ، وإنما يتجه أن يكون المعنى تلهفاً على العباد كان الحال يقتضيه ، وطباع كل بشر توجب عند سماعه حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم أمر الله تعالى أن يشفق ويتحسر على العباد))[(١)].

محل الخلاف بين الإمامين أن الإمام الطبري يجعل قوله : ﴿ يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ هو من العباد أنفسهم يتندمون ، ويتلهفون على استهزائهم برسل الله ، ويستشهد على هذا المعنى بالقراءة الشاذة (يا حسرة العباد على أنفسها)[(٢)].

وأبو محمد يرى أن تفسير الطبري هذا يقبل على القراءة الشاذة ، إلا أنه على القراءة المتواترة ليس بالبين. وإنما يتجه أن يكون من العباد : أن هؤلاء الكفار المستهزئين بالرسل قد حصلت لهم خسارة عظيمة فهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ، ويتلهف على حالهم المتلهفون.

وأنت إذا تأملت المعنيين وجدهما يرجعان إلى أن المتحسر هم العباد[(٣)] غير أن قول الإمام الطبري ينحو إلى أن ذلك التحسر واقع من

---

(١) المحرر الوجيز (١٢/٢٩٢ ، ٢٩٣).

(٢) بإضافة الحسرة إلى العباد . انظر المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص(١٢٥).

(٣) في المتحسِّر قولان: القول الأول : أنهم العباد ، ثم اختلف أصحاب هذا القول في المراد بالعباد . فقيل الملائكة، وقيل المؤمنون ، وقيل الرسل الثلاثة ، وقيل من حل بهم العذاب . انظر البحر (٧/٣١٨) والأخير – في المراد بالعباد – لم يذكره أبو حيان وهو قول الطبري. القول الثاني : أن المتحسِّر هو الله تعالى ، وذلك على

=



الكفار على ما حصل منهم من تفريط ، وقول ابن عطية ينحو إلى أن التحسر واقع من عباد الله المؤمنين الذين يسمعون بعذاب هؤلاء الكفار وتضييعهم أمر الله تعالى.

ولا شك أن قول الإمام الطبري واضح وجيد على القراءة الشاذة ، أما على القراءة المتواترة فالحكم كما قال ابن عطية أنه ليس ببين ؛ لأنه جعل (على) بمعنى (من) فأزال الآية عن ظاهرها ، وجعل القراءة المتواترة تبعاً لقراءة شاذة في المعنى ، وأحال الجملة الندائية الإنشائية إلى جملة خبرية، وهذا كله من غير ملجئ. أضف إلى ما تقدم أن جعل الحسرة حاصلة منهم على أنفسهم شيء لا يهز المشاعر ، ولا يبلغ بتصوير العذاب الحاصل لهم مبلغ ترك الآية على ظاهرها الذي يفيد أن ما وقع لهم من العذاب على تضييع أمر الله واستهزائهم برسل الله شيء عظيم وكبير حتى دعا غيرهم إلى الندم والغم لما حل بهم.

قال الألوسي – بعد أن ذكر أقوالاً في معنى الآية – : ((ولعل الأوفق للمقام المتبادر إلى الأفهام أن المراد نداء حسرة كل من يتأتى منه التحسر ففيه من المبالغة ما فيه))[1].

=

سبيل الاستعارة ، بأن شبه حال العباد بحال من يتحسر عليه الله فرضاً فيقول: يا حسرة على عبادي ... فالنداء للحسرة تعجب منه ، والمقصود تعظيم جنايتهم ، أي عدها أمراً عظيماً يتعجب منه . انظر محاسن التأويل (٤٤/٦).

(١) روح المعاني (٤/٢٣).

سورة ص

✿ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [(١)] -: «يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك ، يعني : مفاتيح رحمة ربك يا محمد ، العزيز في سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة فيمنعوك يا محمد ما من الله به عليك من الكرامة ، وفضّلك به من الرسالة»[(٢)].

ورأى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - أن الأبين في تفسير الخزائن غير ما ذكره الإمام الطبري، فقال: «أعندهم رحمة ربك وخزائنها التي فيها الهدى والنبوة ، وكل فضل ، فيكون لهم تحكم في الرسالة وغيرها من نعم الله ... والخزائن للرحمة مستعارة ، كأنها موضع جمعها وحفظها ، من حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك ، خوطبوا في الرحمة بما ينحو إلى ذلك . وقال الطبري : يعني بالخزائن المفاتيح ، والأول أبين . والله أعلم»[(٣)].

---

(١) سورة ص ، الآية : ٩ .

(٢) جامع البيان (١٠/٥٥٤).

(٣) المحرر الوجيز - المغربية - (١٤/١٢) . ولم يرد قوله «والأول أبين» في النسخة القطرية.



محل الخلاف بين الإمامين في معنى «الخزائن» فالإمام الطبري يرى أنها بمعنى المفاتح ، والقاضي ابن عطية يرى أنها بمعنى المواضع التي يجمع فيها الشيء ، وكون الرحمة تخزن من باب الاستعارة.

وما ذهب إليه الإمام الطبري ، من أن الخزائن المفاتيح قال به طائفة من المفسرين منهم أبو الليث السمرقندي ، ونقله الماوردي عن السدي ، وقال به أيضاً الواحدي ، والبغوي، ونسبه ابن الجوزي إلى المفسرين [١].

وما نحى إليه أبو محمد من أن الخزائن هي المواضع التي يحتاج البشر إلى حفظ المال فيها ، وإطلاقها في الآية استعارة ، أشار إليه طائفة من المفسرين – من غير نص منهم على مسألة الاستعارة – منهم الزمخشري، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والألوسي [٢].

وكذلك ابن عاشور ، فقد قرر ما رامه أبو محمد في مسألة الاستعارة، فقال – بعد أن ذكر معنى الآية – : «والخزائن : جمع خِزانة بكسر الخاء . وهي البيت الذي يخزن فيه المال أو الطعام ، ويطلق أيضاً على صندوق من خشب أو حديد يخزن فيه المال . والخزن : الحفظ والحرز . والرحمة ما به رفق بالغير وإحسان إليه ، شبهت رحمة الله بالشيء النفيس المخزون الذي

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي الليث (١٣٠/٣) ، والنكت والعيون (٧٩/٥) ، والوسيط (٥٤٠/٣) ، ومعالم التنـــزيل (٤٩/٤) ، وزاد المسير (١٠٤/٧).

(٢) انظر الكشاف (٣٦١/٣) ، والبحر (٣٧٠/٧) ، وتفسير أبي السعود (٢١٦/٧) ، وروح المعاني (١٦٨/٢٣).



تطمح إليه النفوس في أنه لا يعطى إلا بمشيئة خازنه ، على طريقة الاستعارة المكنية»[١].

وبعد : فالمعنى البين المشهور في كتب اللغة أن الخزائن اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء[٢].

فنقول : هذا معناه في اللغة ، ونثبت ما أثبته القرآن من أن لرحمة الله خزائن حقيقة ، ولا نقول : هذا من باب المجاز والاستعارة[٣].

ثم يقال : ما نحى إليه القاضي ابن عطية من إثبات معنى ﴿ خَزَآئِنُ ﴾ بقوله : «أعندهم رحمة ربك وخزائنها ، التي فيها الهدى والنبوة ، وكل فضل ، فيكون لهم تحكم في الرسالة وغيرها من نعم الله» أبين مما قاله الإمام الطبري لكونه المعنى المشهور في لغة العرب.

ولعل الإمام الطبري ومن نحى نحوه في تفسير الخزائن قالوا ما قالوا لسببين:

الأول : أن المفاتح قد يقال لها الخزائن[٤].

(١) التحرير والتنوير (٢١٦/٢٣) . والاستعارة المكنية : ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه. انظر البلاغة الواضحة ص(٧٧).

(٢) انظر تهذيب اللغة (٢٠٨/٧) ، ولسان العرب (٨٧/٤) ، ومختار الصحاح ص(١٣٦) «خزن».

(٣) وهو الذي يفهم من تفسير ابن كثير وابن سعدي ، والشنقيطي . انظر تفسير ابن كثير (٢٩/٤)، وتيسير الكريم المنان (٢٨١/٤) ، وأضواء البيان (٢٢/٧).

(٤) انظر تهذيب اللغة (٤٤٥/٤) ، ولسان العرب (١٧٢/١٠) «فتح».



وقد قيل هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾[1].

الثاني : أن الخزانة ، حرز تحرز فيه الأشياء ، وكذلك المفتاح حرز تحرز به الأشياء ، فلما رأوا هذا المعنى يجتمع فيهما اطلقوا أحدهما على الآخر . والله أعلم.

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٦. وانظر معاني القرآن للفراء (٢/٣١٠) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (٣٣٥).



سورة غافر

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ (٢)﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ يقول: وإذ يتخاصمون في النار . وعني بذلك : إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار»(٣).

واستبعد القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - ما ذهب إليه الإمام الطبري من جعل ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ ﴾ معطوفاً على ما تقدم في أول السورة من قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ (٤) فقال : «والضمير في قوله : ﴿ يَتَحَآجُّونَ ﴾

(١) سورة غافر ، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ١٨.

(٣) جامع البيان (١١/٦٧ ، ٦٨).

(٤) سورة غافر ، الآية : ١٨.



لجميع كفار الأمم ، وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون. والعامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل مضمر تقديره : واذكر . وقال الطبري : ﴿ وَإِذْ ﴾ هذه عطف على قوله تعالى : ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾[١]. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وهذا بعيد»[٢].

هذا الظرف ﴿ إِذْ ﴾ الذي وقع فيه الاستدراك من ابن عطية على الإمام الطبري جوز فيه أهل العلم ثلاثة أوجه [٣]:

الأول : أنه نصب بفعل مضمر تقديره : (اذكر) وإلى هذا ذهب ابن عطية ، وهو قول جمهور المفسرين في ما اطلعت عليه[٤].

الثاني : أن الواو عاطفة ، وهذا الظرف معطوف على الظرف المتقدم في قوله: ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [٥] ، وهذا قول الإمام الطبري.

الثالث : أن الواو عاطفة – أيضاً – وهـذا الظرف معطـوف على

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨.

(٢) المحرر الوجيز (٥١/١٣).

(٣) انظر الدر المصون (٤٨٦/٩).

(٤) انظر – مثلاً – الوسيط (١٧/٤) ، ومعالم التنزيل (١٠٠/٤) ، والكشاف (٤٣٠/٣) ، وزاد المسير (٢٢٩/٧)، وتفسير البيضاوي (٣٣٨/٢) ، وتفسير النسفي (٨١/٤) ، وتفسير الخازن (٩٧/٤) ، والجواهر الحسان (١٠٤/٤)، وتفسير أبي السعود (٢٧٩/٧) ، والفتوحات الإلهية (١٨/٤).

(٥) سورة غافر ، الآية : ١٨.



﴿ غُدُوًّا ﴾ من قوله : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[١] فيكون معمولاً ، لــ ﴿ يُعْرَضُونَ ﴾ ، وهذا القــول عــده المعربون وجهاً[٢]. ويكون المعنى على هذا الوجه : يعرض آل فرعون على النار في هذه الأوقات كلها[٣].

وعلى الوجه الأول يكون ضمير الفاعل في ﴿ يَتَحَآجُّونَ ﴾ لجميع كفار الأمم في رأي ابن عطية. وعلى الوجه الثاني قدر الإمام الطبري ضمير الفاعل في ﴿ يَتَحَآجُّونَ ﴾ لكفار قريش.

وقد أورد أبو حيان استدراك ابن عطية و لم يعقب عليه بشيء[٤].

واستدرك السمين الحلبي على قول الإمام الطبري بما قال ابن عطية ، وبأن الظاهر عود الضمير في ﴿ يَتَحَآجُّونَ ﴾ إلى آل فرعون[٥].

واختار العلامة الألوسي نحو ما ذهب إليه ابن عطية وطعن في القولين الآخرين فقال: «وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ معمول

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٤٦.

(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن (١١٢١/٢) ، والدر المصون (٤٨٦/٩).

(٣) انظر الدر المصون (٤٨٦/٩).

(٤) انظر البحر (٤٤٨/٧) وقبل إيراده لاستدراك ابن عطية قال : «الظاهر أن الضمير عائد على آل فرعون» يعني أبو حيان ضمير الفاعل في قوله : ﴿ يَتَحَآجُّونَ ﴾ .

(٥) انظر الدر المصون (٤٨٦/٩).



لـ: اذكر محذوفاً ، أي: واذكر وقت تخاصمهم في النار ، والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة ... وزعم الطبري أن ﴿ إِذْ ﴾ معطوفة على ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾[(١)] وهو مع بعده فيه ما فيه. وجوز أن تكون معطوفة على ﴿ غُدُوًّا ﴾ وجملة ﴿ يَوْمَ تَقُومُ ﴾[(٢)] اعتراض بينهما ، وهو مع كونه خلاف الظاهر قليل الفائدة»[(٣)].

وبعد : فهذه الأوجه كلها محتملة ، إلا أن ماذهب إليه أبو محمد أبينها وأقواها ؛ لأنه ينحو بالآيات منحى العموم ، والقولان الآخران ينحوان بها منحى الخصوص ، وظاهر الآيات – أعني ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ ﴾ وما بعدها – إرادة العموم.

وأيضاً فقول الإمام الطبري – على ما فيه من قوة لأنه يحمل الوعيد الصريح لكفار قريش – فيه بعد كبير بين المعطوف والمعطوف عليه كما قال ابن عطية وغيره من أئمة العلم.

وأيضاً فظاهر ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ – وما بعده – أنه ابتداء قصص جديد ، لا تعلق له بما قبله من ناحية المعنى ، وذلك أن الله

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٨.

(٢) يعني ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ الآية : ٤٦.

(٣) روح المعاني (٢٤/٧٤).



تعالى أمر رسوله ﷺ بإنذار المكذبين وتخويفهم يوم القيامة ، وما يحصل فيه من الكرب ، ثم ذكَّرهم بأحوال الأمم المكذبة ، وما حل بهم من العقوبات ، ثم ذكر فصولاً من قصة موسى مع فرعون ، وموقف مؤمن آل فرعون - ليكون في ذلك مثال للداعية المسلم - ثم ابتدأ فأخبر عما يحصل بين أصحاب النار من المحاجة ، وذلك بلفظ العموم الذي يندرج فيه كل كافر سواء كان رأساً في الكفر ، أو كان تبعاً فيه فقال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [١].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ... ﴾[٢] يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح الألوهية إلا له أيها المشركون به من قريش « الذي جعل لكم الأنعام » من الإبل والبقر

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٤٧ ، ٤٨.

(٢) سورة غافر ، الآية : ٧٩ .



والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا ﴾ يعني الخيل والحمير « ومنها تأكلون » يعني الأبل والبقر والغنم ، وقال ﴿ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا ﴾ ومعناه : لتركبوا منها بعضاً، ومنها بعضاً تأكلون ، فحذف إستغناءً بدلالة الكلام على ما حذف »[١].

واستدل القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري قوله : إن الأنعام تشمل الأزواج الثمانية وغيرها ، فقال : « والأنعام الأزواج الثمانية . قال القاضي ابن عطية و « منها » الأولى للتبعيض ؛ لأن المركوب ليس كل الأنعام ، بل الإبل خاصة . و « منها » الثانية لبيان الجنس ؛ لأن الجميع منها يؤكل . وقال الطبري – في هذه الآية – : إن الأنعام تعم الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به في البهـــائم فـــ « منها » في الموضعين للتبعيض على هذا ، لكنه قول ضعيف ، وإنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكر الله فقط »[٢].

اختلف العلماء في المقصود بالأنعام في هذه الآية على ثلاثة أقوال : -

الأول : أن المقصود بالأنعام هي الإبل والبقر والغنم ، وهي الثمانية الأزواج المذكورة في قوله تعـــالى ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ

---

(١) جامع البيان (١١/ ٨٠).

(٢) المحرر الوجيز – النسخة المغربية – (١٤/ ١٥٨ ، ١٥٩).



وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾[1] الآية ، ولعل هذا القول الأكثرين[2].

الثاني : أن المقصود بالأنعام الإبل خاصة، وهذا قول الزجاج[3] وتبعه الزمخشري وغيره .[4]

الثالث : ما ذهب إليه الإمام الطبري ، من أن المقصود بالآية الإبل والبقر والغنم والبغال الحمير .

وهذا القـــول لم أر – في ما اطلعت عليه – من يقـــول به غير هذا الإمام، رحمه الله تعالى .

وقد انضم إلى القاضي ابن عطية – في تضعيف قول ابن جرير – أبو حيان ، حيث قال – بعد أن فسر الآية بالقول الأول - : « ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير ،وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم ، وقول من خصها بالإبل وهو الزجاج »[5].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٣.

(٢) انظر – مثلاً – البحر المحيط (٧/ ٤٥٧) ، تفسير القرآن لأبي الليث (٣/ ١٧٤)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٩٠) ، والتسهيل (٤/ ١٦) ، وأضواء البيان (٧/ ٩٩) ، وتفسير الجلالين ص (٥٧٨) ، والجواهر الحسان (٤/ ١٠٩) ، وتفسير البيضاوي (٢/ ٣٤٢).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٨).

(٤) انظر الكشاف (٣/ ٤٣٨)، وتفسير النسفي (٤/ ٨٥)، وتفسير أبي السعود (٧/ ٢٨٦) ، وفتح البيان (٨/ ٣٠٥) ، والفتوحات الإلهية (٤/ ٢٦١).

(٥) البحر المحيط (٧/ ٤٥٧) .



والذي يظهر – والله أعلم – أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري وارد ، وأن المقصود بالأنعام في هذه الآية ، الإبل والبقر والغنم ، وذلك للأسباب التالية :

١- أن الله تعالى قال ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[(١)] ثم بين في الآية التي بعد هذه أن المقصود بالأنعام الثمانية الأزواج – وهي الإبل والبقر والغنم – فقال ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ... ﴾ الآية[(٢)] أي خلق منها ثمانيـــة أزواج[(٣)] ، فهذا تفسير للأنعام التي ذكرت إجمالاً، وذكر أن منها ما يركب، ومنها ما ينتفع به في غير الركوب، ثم يحمل على آية الأنعام بقية الآيات التي ذكر الله فيها الأنعام ، فخير ما يفسر به كلام الله، كلام الله .

٢- قد تقدم في أول سورة النحل – من هذا البحث – أن أبا منصور الأزهري حكى عن العرب أنهم إذا أفردوا (النعم) لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا : الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم[(٤)] ، ونص الآية –

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٣ .

(٣) انظر تهذيب اللغة (٣/ ١٣) «نعم» .

(٤) انظر تهذيب اللغة (٣/ ١٣) «نعم» ، وانظر أيضاً المفردات ص (٤٩٩)، وعمدة =



كما ترى — الأنعام .

بل إن الطبري قد قرر هذا المعنى الأخير فقال في أول سورة المائدة «وأما النعم فإنها عند العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة كما قال جل ثناؤه ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ ﴾[2] ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان»[3] .

٣- ومما يؤيد صحة استدراك ابن عطية أن جمهور المفسرين حملوا الآية على الأزواج الثمانية ، أو على الإبل خاصة ، و لم أر في حد اطلاعي من يفسرها بقول الإمام الطبري[4] ، بل رأيت من يصف هذا القول بالضعف — وهو أبو حيان — ومن يقول : حملها على الإبل والبقر والغنم هو الظاهر[5] .

=

الحفاظ (٤/ ٢٢٩) .

(١) سورة النحل، الآية: ٥ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٨ .

(٣) جامع البيان (٩/ ٤٥٧) .

(٤) نعم حكاه الثعالبي في الجواهر مجرد حكاية، بعد أن فسرها بقول ابن عطية، انظر الجواهر الحسان (٤/ ١٠٩) .

(٥) قاله السيوطي، انظر تفسير الجلالين ص (٥٧٨) .

سورة فصلت

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[1] - : «وعني بقوله : ﴿ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين ، وعني بقوله : ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلاً إليهم ، وذلك أن الله بعث إلى عاد هوداً فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضاً، فكذبوهم ، فأهلكوا»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفريقه الضمائر في قوله : ﴿ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فقال: «وقوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: قد تقدموا في الزمن ، واتصلت نذارهم إلى أعمار عاد وثمود ، وبهذا الاتصال قامت الحجة . وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: جاءهم رسول بعد اكتمال أعمارهم وبعد تقدم وجودهم في الزمن ، فلذلك قال تعالى : ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

(١) سورة فصلت ، الآية: ١٤ .

(٢) جامع البيان (١١/٩٤).



وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والنذارة عمتهم خبراً ومباشرة، ولا يتوجه أن يجعل ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ عبارة عما أتى بعدهم في الزمان ؛ لأن ذلك لا يلحقهم منه تقصير.

وأما الطبري - رحمه الله تعالى - فقال : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ عائد على الرسل، والضمير في قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ على الأمم ، وتابعه الثعلبي. وهذا غير قوي؛ لأنه يفرق الضمائر ويشعب المعنى))[١].

محل الخلاف بين الإمامين في مرجع الهاء والميم من قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ فالطبري يعيدهما إلى الرسل، وابن عطية يعيدهما إلى عاد وثمود ، ويصف قول الطبري بعدم القوة ؛ لأنه يؤدي إلى تفريق الضمائر وتشعيب المعنى.

وحتى تتضح هذه المسألة أشير إلى اختلاف أهل العلم في المقصود بقوله : ﴿ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ فأقول: ذكر أبو حيان اختلافهم في ذلك فقال: ((قال ابن عباس : أي قبلهم. أي قبل هود وصالح وبعدهما . وقيل: من أرسل إلى آبائهم ومن أرسل إليهم، فيكون ﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ معناه : من قبلهم ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾

---

(١) المحرر الوجيز (١٣/٨٩ ، ٩٠).



معناه : الرسل الذين بحضرتهم ، فالضمير في ﴿ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ عائد على الرسل ، قاله الضحاك وتبعه الفراء ، وسيأتي عن الطبري نحو من هذا القول . وقال ابن عطية : ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إلى أعمار عاد وثمود ، وبهذا الاتصال قامت الحجة ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والنذارة عمتهم خبراً ومباشرة ... وهو شرح كلام ابن عباس .

وقال الزمخشري : ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي أتوهم من كل جانب ، واجتهدوا بهم ، وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والاعراض ... وعن الحسن : أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم ، وعذاب الآخرة ؛ لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم ... وقال الطبري : الضمير في قوله : ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ عائد على الرسل ، وفي ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ عائد على الأمم . وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضمائر وتعمية المعنى، إذ يصير التقدير : جاءتهم الرسل من بين أيديهم ، وجاءتهم من خلف الرسل، أي: من خلف أنفسهم . وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في ﴿ خَلْفِهِمْ ﴾ على الرسل لفظاً ، وهو يعود على رسل

أخرى معنى ، فكأنه قال : جاءهم الرسل من بين أيديهم ، ومن خلف رسل آخرين ، فيكون كقولهم : عندي درهم ونصفه ، أي: ونصف درهم آخر. وهذا فيه بعد»[١].

تبين لنا مما ذكر أبو حيان - رحمه الله تعالى - أن قول الطبري أصله للضحاك ، وقول ابن عطية أصله يروى عن ابن عباس[٢].

وكما تبنَّى الطبري قول الضحاك ، فقد تبناه من قبله الإمام الفراء ، حيث قال: «وقوله : ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أتت الرسل آباءهم ، ومن كان قبلهم ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يقول: وجاءهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل فتكون الهاء والميم في ﴿ خَلْفِهِمْ ﴾ للرسل»[٣].

وقال بهذا القول - أيضاً - جماعة من المفسرين منهم الواحدي ، والبغوي ، والخازن[٤].

وما ذهب إلى تضعيفه ابن عطية وافقه أبو حيان كما رأيت ، وتابع أبو حيان في تضعيف هذا القول تلميذه السمين الحلبي فقال : «قوله :

---

(١) البحر المحيط (٤٦٨/٧).

(٢) من طريق العوفي كما في جامع البيان (٩٤/١١).

(٣) معاني القرآن (١٣/٣).

(٤) انظر الوسيط (٢٨/٤) ، ومعالم التنزيل (١٠٩/٤) ، وتفسير الخازن (١٠٦/٤).



﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ الظاهر أن الضميرين عائدان على عاد وثمود . وقيل: الضمير في ﴿ خَلۡفِهِمۡ ﴾ يعود على الرسل . واستبعد هذا من حيث المعنى ؛ إذ يصير التقدير : جاءهم الرسل من خلف الرسل، أي: من خلف أنفسهم . وقد يجاب عنه بأنه من باب (درهم ونصفه) أي: ومن خلف رسل آخرين»[١].

ونقل الألوسي ما قاله الإمام الطبري ، وتعقّب أبي حيان له ، ويظهر أن موقفه إقرار أبي حيان على هذا التعقب ، وإن لم يصرح بذلك[٢].

وبعد : فالذي يبدو – والله أعلم – أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري وارد في هذه المسألة ، وذلك أن هذا القول يؤدي إلى تفريق الضمائر ، ويشعب المعنى ، ويعميه ، وهو خلاف ظاهر القرآن الكريم الذي يفيد أن الضميرين في قوله : ﴿ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ راجعان إلى عاد وثمود[٣].

ولعل الإمام الطبري ذهب إلى هذا القول في معنى الآية لأنه رأى أنه يحل إشكالاً يلوح في معنى الآية، بيانه: أن ظاهر لفظ ﴿ جَآءَتۡهُمُ ﴾ يفيد أن هذا المجيء ، قد قامت به الحجة عليهم ، ولفظ ﴿ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾

---

(١) الدر المصون (٥١٤/٩ ، ٥١٥).

(٢) انظر روح المعاني (١١٠/٢٤).

(٣) هذا مجموع ما علل به ابن عطية وأبو حيان.



يفهم منه أنه بمعنى من بعد انقراضهم وذهابهم ، وهذا لا حجة فيه عليهم. ثم هذه الأقوال الباقية بعد القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري أمثلها ما حرره ابن عطية . والله أعلم بما أراد.

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[(١)] - : «وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو ﴿ فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ بكسر الحاء. وقرأه نافع وأبو عمرو ﴿نحْسات﴾ بسكون الحاء. وكان أبو عمرو – في ما ذكر لنا عنه - يحتج لتسكينه الحاء بقوله: ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[(٢)] وأن الحاء فيه ساكنة . والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما ؛ وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان ، يقال : هذا يوم نحِس ،ويوم نحْس بكسر الحاء وسكونها ، قال الفراء : أنشدني بعض العرب[(٣)]:

أبلغ جذاماً ولخماً أن إخوتهم طياً وبهراء قوم نصرهم نَحِسُ

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٦.

(٢) سورة القمر ، الآية : ١٩.

(٣) لم أقف على اسم قائل البيت . وهو في معاني القرآن للفراء (١٤/٣) ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص(٣١٧)، ولسان العرب (٧١/١٤) «نحس».



وأما من السكون فقول الله : ﴿ يَوۡمِ نَحۡسٍ ﴾ [(١)] ومنه قول الراجز[(٢)]:

يومين غيمين ويوم شمساً نجمين بالسعد ونجماً نَحْسا

فمن كانَ في لغته ﴿ يَوۡمِ نَحۡسٍ ﴾ قال: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ ، ومن كان في لغته ﴿يوم نحِس﴾ قال: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾» [(٣)].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما ذهب إليه من توجيه قراءة إسكان الحاء وكسرها من ﴿نحسات﴾ إلى أنهما لغتان بمعنى واحد فقال : «وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ... ﴿نحْسات﴾ بسكون الحاء ، وهي جمع نحس ، يقال: يوم نحس وقوم نحس فهو مصدر يوصف به أحياناً ، ويضاف إليه اليوم أحياناً ، وعلى الصفة به جمع في هذه الآية ... وقرأ الباقون ﴿نحِسات﴾ بكسر الحاء ، وهي جمع نحس على وزن «حذر» فهو صفة اليوم مأخوذ من النحس . وقال الطبري : نحِس ونحْس لغتان. قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وليس كذلك ، بل اللغة الواحدة تجمعهما، أحدهما مصدر ، والآخر من

(١) سورة القمر ، الآية : ١٩.

(٢) لم أقف على اسم قائل الرجز . وهو في الدر المصون (٩/٥١٩).

(٣) جامع البيان (١١/٩٦ ، ٩٧).



أمثلة اسم الفاعل»[1].

موضع الخلاف ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، والبحث في هذه المسألة من وجوه:

الأول : قراءة كسر الحاء وفتحها من لفظ ﴿نحسات﴾ قراءة متواترة[2].

الثاني : نحت طائفة من الموجهين للقراءات والمعربين والمفسرين منحى ابن عطية في توجيه القراءتين بما يفيد أن اللغة الواحدة تجمعهما من غير نص أو إشارة منهم إلى التعرض لهذه المسألة التي ناقشها ابن عطية[3].

الثالث : وجدت أقوالاً لبعض أئمة النحو واللغة تؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ومن ذلك أن الأخفش – وهو أحد أئمة نحاة البصرة – قال : «وقال ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ وهي لغة من قال : (نَحْس) و ﴿نَحِسَات﴾

(١) المحرر الوجيز (٩٢/١٣ ، ٩٣).

(٢) فقراءة كسر الحاء لأبي جعفر وابن عامر والكوفيين . والباقون بإسكانها . انظر النشر (٣٦٦/٢).

(٣) انظر – مثلاً – إعراب القرآن (٥٤/٤) ، والحجة (١١٦/٦ – ١١٨) ، وعلل القراءات للأزهري (٦٠٥/٢) ، والكشف عن وجوه القراءات (٢٤٧/٢) ، والكشاف (٤٤٩/٣) ، وغرائب التفسير (١٠٤٠/٢)، والبحر المحيط (٤٧٠/٧) ، ولسان العرب (٧١/١٤) «نحس» ، والدر المصون (٥١٨/٩).



لغة من قال : (نحِس) »[١].

وقال الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة[٢] - بعد أن أورد القراءتين ونسبتهما إلى من قرأ بهما -: «قال الكسائي والفراء[٣] : هما لغتان بمعنى واحد ، يقال : يوم نحْس ونحِس ، وأيام نحْسات ونحِسات، أي: مشائيم»[٤].

الرابع : الذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة غير وارد ، وذلك للأسباب التالية:

١- نقل ثلاثة من الأئمة المشهورين - وهم الكسائي ، والفراء ، والأخفش - أن قراءة الكسر والسكون لغتان بمعنى واحد ، ولا شك أنهم أعلم وأخبر بلغة العرب من أبي محمد رحمه الله تعالى لا سيما وهم من المدرستين الكبيرتين في علم النحو.

٢- يبدو - والله أعلم - أن أساس حجة الإمام الطبري النقل ، وأساس حجة القاضي ابن عطية القياس، ولا شك أن النقل مقدم على القياس.

---

(١) معاني القرآن (٢/٦٨٢).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القارئ ، من قضاة المالكية ، من رجال المئة الرابعة. انظر مقدمة المحقق لكتابه حجة القراءات ص(٢٦).

(٣) لم ينص الفراء على هذا في كتابه معاني القرآن (٣/١٣ ، ١٤) وقد يفهم ذلك منه.

(٤) حجة القراءات ص(٦٣٥).



سورة الدخان

✿ قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وقوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [١] يقول تعالى ذكره : لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا. وكان بعض أهل العربية يوجه ﴿ إِلَّا ﴾ في هذا الموضع إلى أنها في معنى سوى ، ويقول: معنى الكلام: لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى ، ويمثله بقوله تعالى ذكره : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [٢] بمعنى : سوى ما قد فعل آباؤكم ، وليس للذي قال من ذلك عندي وجه مفهوم ؛ لأن الأغلب من قول القائل : لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره . وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك ؛ لأن الله عز وجل قد آمن أهل الجنة في الجنة إذا هم دخلوها من الموت ، ولكن ذلك كما وصفت من معناه .

(١) سورة الدخان، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٢.



وإنما جاز أن توضع ﴿ إِلَّا ﴾ في موضع «بعد» لتقارب معنييهما في هذا الموضع ، وذلك أن القائل إذا قال : لا أكلم اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو قد أوجب على نفسه ألا يكلم ذلك اليوم رجلاً ، بعد كلام الرجل الذي عند عمرو ، وكذلك إذا قال : لا أكلم اليوم رجلاً بعد رجل عند عمرو ، قد أوجب على نفسه ألا يكلم ذلك اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو ، فبعد وإلا متقاربتا المعنى في هذا الموضع ، ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معنياهما ، وذلك كوضع الرجاء مكان الخوف ، لما في معنى الرجاء من الخوف ؛ لأن الرجاء ليس بيقين ، وإنما هو طمع ، وقد يصدق ويكذب ، كما الخوف يصدق أحياناً ويكذب ، فقال في ذلك أبو ذؤيب[1]:

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

فقال : لم يرج لسعها ، ومعناه في ذلك : لم يخف لسعها.

وكوضعهم الظن موضع العلم ، الذي لم يدرك من قبل العيان ، وإنما أدرك استدلالاً أو خبراً ، كما قال الشاعر[2]:

---

(١) خويلد بن خالد أبو ذؤيب الهذلي ، عاش في الجاهلية والإسلام ، أسلم ووفد على الرسول ﷺ فوجده قد مات قبل قدومه بليلة . مات رحمه الله في زمن عثمان . انظر خزانة الأدب (٤٢٢/١). والبيت في ديوان الهذليين (١٤٣/١) وفي تهذيب اللغة (١٨٢/١١)، ولسان العرب (١٦٤/٥) كلاهما في «رجا».

(٢) هو دريد بن الصمة ، وقد تقدمت ترجمته . والبيت في ديوانه ص (٤٧) وفي شرح =



فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراهم في الفارسي المسرد

بمعنى : أيقنوا بألفي مدجج وأعلموا ، فوضع الظن موضع اليقين ؛ إذ لم يكن المقول لهم ذلك قد عاينوا ألفي مدجج ، ولا رأوهم ، وإنما أخبرهم به هذا المخبر ، فقال لهم : ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب، فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما في نظائر لما ذكرت يكثر إحصاؤها . كما يتقارب معنى الكلمتين في بعض المعاني ، وهما مختلفتا المعنى في أشياء أخر ، فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها في الموضع الذي يتقارب معنياهما فيه ، فكذلك قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وضعت ﴿ إِلَّا ﴾ في موضع « بعد » لما نصف من تقارب معنى ﴿ إِلَّا ﴾ ، و« بعد » في هذا الموضع ، وكذلك ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] إنما معناه : بعد الذي سلف منكم في الجاهلية . فأما إذا وجهت ﴿ إِلَّا ﴾ في هذا الموضع إلى معنى «سوى» فإنما هو ترجمة عن المكان ، وبيان عنها بما هو أشد التباساً على من أراد علم معناها

=

المفصل (٧/٨١) ، وفي لسان العرب (٨/٢٧١) «ظنن».

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٢.



منهــا»[١] .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري استدراكه على من جعلها بمعنى «سوى» فقال : «وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ قدر قوم ﴿ إِلَّا ﴾ بــ «سوى» وضعف ذلك الطبري وقدرها بــ «بعد» ، وليس تضعيفه بصحيح ، بل يصح المعنى بسوى ويتسق ، وأما معنى الآية فبين أنه تعالى نفى عنهم ذوق الموت ، وأنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا»[٢].

تبين من عرض كلام الإمامين أن الإمام الطبري يستدرك على رجل من أهل العربية جعل «إلا» بمعنى «سوى». وأن القاضي ابن عطية يستدرك على الإمام الطبري دفعه لهذا المعنى ، فالمسألة استدراك على استدراك.

ويظهر لي أن العالم الذي استدرك عليه الإمام الطبري هو الإمام الفراء رحمه الله تعالى ، وقد أورد على ما ذهب إليه أدلة يحسن إيرادها ليتبين للقارئ أي القولين أليق بمعنى الآية الكريمة .

قال الفراء : «وقوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ يقول القائل : كيف استثنى موتاً في الدنيا قد مضى ، من موت

---

(١) جامع البيان (١١/٢٤٩ ، ٢٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (١٣/٢٩٠).



في الآخرة ؟ فهذا مثل قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [(١)] فإلا في هذا الموضع بمنـــزلة سوى، كأنه قال: لا تنكحوا ، لا تفعـــلوا سوى ما قد فعل آباؤكم ، كذلك قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ ســوى الموتــة الأولى ، ومثلــه : ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [(٢)] أي سوى ما شاء ربك لهم من الزيادة على مقدار الدنيا من الخلود. وأنت قائل في الكلام : لك عندي ألف إلا مالك من قبل فلان ، ومعناه : سوى مالك عليَّ من قبل فلان ، و «إلا» تكون على أنها حط مما قبلها وزيادة عليها فما ذكرناه لك من هذه الآيات ، فهو زيادة على ما قبل إلا . والحط مما قبل إلا قولك : هؤلاء ألف إلا مئة، فمعنى هذه ألف ينقصون مئة» [(٣)].

وإذا تأملت كتب التفسير والإعراب ، رأيت الأقوال في هذه المسألة قد كثرت، لخصها السمين الحلبي فقال: «قوله : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٢.

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٨.

(٣) معاني القرآن (٣/٤٤). وهو قول الزجاج أيضاً في معاني القرآن وإعرابه (٤/٤٢٨).



فيه أوجه ، أحدها : أنه منطقع ، أي: لكن الموتة الأولى ، قد ذاقوها[١]. الثاني : أنه متصل ، وتأولوه بأن المؤمن عند موته بمنـــزلته في الجنة لمعاينة ما يعطاه منها ، أو لما يتيقنه من نعيمها[٢] . الثالث: أن إلا بمعنى سوى ، نقله الطبري ، وضعفه . قال ابن عطية : وليس تضعيفه بصحيح ، بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق. الرابع : أن إلا بمعنى بعد . واختاره الطبري، وأباه الجمهور ؛ لأن ((إلا)) بمعنى ((بعد)) لم يثبت . وقال الزمخشري: ((فإن قلت : كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه ؟ قلت : أريد أن يقال : لا يذوقون فيها الموت البتة ، فوضع قوله : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ موضع ذلك ؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال ...))[٣].

وسبب الخلاف في هذه المسألة ما أشار إليه الفراء بقوله : ((يقول قائل: كيف استثنى موتاً في الدنيا قد مضى ، من موت في الآخرة؟))[٤].

ومعنى هذا الكلام : أن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة لا يموتون – بعد بعثهم ودخولهم إياها – ثم استثنى من هذا الخبر الموتة الأولى ، التي ذاقوها

---

(١) هو قول طائفة من النحاة والمفسرين وسيأتي لهذا زيادة بيان .

(٢) نحو هذا قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص(٧٨ ، ٧٩).

(٣) الدر المصون (٩/٦٣١).

(٤) معاني القرآن (٣/٤٤) ، وقد تقدم قريباً.

في الحياة الدنيا ، فظاهر الكلام أنهم يذوقون تلك الموتة، بعد وصولهم إلى الجنة، وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسـنة التي تفيد أن أهل الجنة ، لا ينالهم مكروه فيها قط.

أما موقف العلماء من تفسير الإمام الطبري لـ «إلا» بمعنى «بعد» وموقفهم من تفسيرها بمعنى «سوى» فالكرماني المقرئ ، رد قول الطبري، وقول الفراء[١].

وعكس ذلك الإمام البغوي فأخذ بالقولين في معنى «إلا» فقال – بعد أن أورد الآية – : «أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا ، وبعدها، وضع «إلا» موضع سوى وبعد[٢] ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [٣] أي سوى ما قد سلف ، وبعد ما قد سلف ...»[٤].

وابن الجوزي ذكر في الآية وجوهاً من بينها قول الفراء والطبري ، ولم يعقب على ذلك بشيء ، فظاهر فعله هذا أنه يرى أن الآية تحتمل هذه الأقوال[٥].

---

(١) انظر غرائب التفسير (١٠٨٠/٢) وسيأتي إن شاء الله نقل كلامه عند الترجيح.

(٢) في بعض النسخ «سوى بعد».

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٢.

(٤) معالم التنـزيل (١٥٥/٤ ، ١٥٦).

(٥) انظر زاد المسير (٣٥١/٧ ، ٣٥٢).



وآثر جلال الدين المحلي[١] في تفسيره المختصر قول الإمام الطبري على غيره فأورده ، وسكت عما سواه[٢].

وأورد القولين العكبري ، والمنتجب ضمن الأقوال التي قيلت في معنى «إلا»[٣].

وعموماً قول الفراء أكثر ذيوعاً في كتب التفاسير والإعراب من قول الإمام الطبري، في ما رأيت.

وقد أورد أبو حيان استدراك ابن عطية ، ولم يعقب على ذلك بشيء[٤] ، وظاهر صنعه هذا إقرار ابن عطية على استدراكه.

وكذلك فعل تلميذه السمين ، فنقل ما قال شيخه ، ولم يعقب على التعقيب بشيء[٥].

واكتفى الشوكاني – بعد أن حكى الأقوال في معنى «إلا» – بقوله: «واختار ابن جرير أن إلا بمعنى بعد ، واختار كونها بمعنى سوى ابن عطية»[٦].

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد ، علامة آية في الذكاء والفهم (ت : ٨٦٤هـ) . انظر طبقات المفسرين (٢/٨٤).
(٢) انظر تفسير الجلالين ص(٦٠٧).
(٣) انظر التبيان (٢/١١٤٩) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد (٤/٢٧٧).
(٤) انظر البحر (٨/٤١).
(٥) انظر الدر المصون (٩/٦٣١) وقد تقدم نص كلامه.
(٦) فتح القدير (٤/٥٨٠).



وبعد فالذي يبدو - والله أعلم - أن استدراك ابن عطية على الإمام الطبري غير وارد في هذه المسألة وذلك للأسباب التالية:

١- تفسير «إلا» بمعنى «سوى» لا يزول به السؤال الذي كان سبباً في اختلاف العلماء في معناها، لأنك كيف قلّبت المعنى الذي جعلت فيه «سوى» بدلاً من «إلا» وجدت المعنى هو هو. وهذا قد أشار إليه الإمام الطبري بقوله : «لأن الأغلب من قول القائل : لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم ، أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره، وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك...».

فإن قيل : إن «سوى» أصبحت ظرفاً بمعنى مكان[1] ، وبهذا يندفع الإشكال.

قيل : المعنى يصبح غير واضح ؛ لأنه يكون : لا يذوقون في الجنة الموت مكان ما ذاقوه في الدنيا من الموت بعد الحياة. وهل يصح أن يقال: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء مكان ما قد سلف؟!.

٢- ولأن جعل «إلا» بمعنى «سوى» يدفعه المعنى ؛ لأن « إلا » تكون

---

(١) ذكر في المعجم الوسيط (٤٨٤/١) «سوى» أن من معاني «السوى» البدل . ولا شك أنك إذا جعلت الشيء بدل الشيء فهو مكانه.



ناقصة أبداً ، وإذا جعلت بمعنى سوى تكون زائدة ، فإنه إذا قال : له علي درهم سوى الدرهم الأول ، يلزمه درهمان ، فإذا قال: ليس له علي درهم إلا الدرهم الأول ، يلزمه درهم ، فيؤدي المعنى إلى أنهم يذوقون من جنس الموتة الأولى . قاله محمود بن حمزة الكرماني[1].

وهذا كله إن لم يكن الفراء أراد بالاستثناء الانقطاع فإن أراد ذلك فقوله مستقيم ؛ لأن المعنى يكون: لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى فقد ذاقوها في الحياة الدنيا . ويستأنس لهذا الاحتمال بثلاثة أدلة:

الأول : أن مذهب الكوفيين في الاستثناء المنقطع أن يقدر بـــ «سوى» ، والبصريون يقدرونه بـــ «لكن» ذكر ذلك أبو البركات ابن الأنباري[2].

الثاني : أن في كلام الفراء ما قد يشعر أنه أراد بـــ «سوى» الاستثناء المنقطع وهو قوله – بعد أن أورد بعض الآيات ، ومنها آية الدخان – : «وإلا تكون على أنها حط مما قبلها ، وزيادة عليها ، فما ذكرناه لك من هذه الآيات فهو زيادة على ما قبل إلا»[3].

قلت : فكأن التقدير : لا يذوقون فيها الموت زيادة على ما ذاقوه في الحياة الدنيا ، فيؤول المعنى إلى: لا يذوقون في الجنة الموت قط ، لكن الموتة

---

(١) انظر غرائب التفسير (٢/١٠٨٠).

(٢) انظر البيان في غريب إعراب القرآن (٢/٣٦٢).

(٣) معاني القرآن (٣/٤٤) وقد تقدم نقله.



الأولى قد ذاقوها في الحياة الدنيا.

الثالث : أن الإمام الشوكاني قد نسب إلى الفراء أنه قال : إن الاستثناء منقطع[١].

قلت : والقول بأن الاستثناء منقطع في هذه الآية الكريمة قول جيد قوي يقتلع الإشكال بل لا يتصور في الآية إشكال ، لأن المعنى يكون : لا يذوقون في الجنة الموت ، لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

وهذا القول اقتصر عليه طائفة من فحول النحاة منهم النحاس وأبو البركات ابن الأنباري[٢] ، وقدمه في الذكر آخرون[٣].

ووصفه مكي بالأحسن فقال : «قوله : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ﴾ استثناء منقطع . وقيل : إلا بمعنى بعد. وقيل: بمعنى سوى ، والأول أحسن»[٤].

وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذاه ابن القيم وابن كثير ، وكذلك أبو حيان وابن جزي[٥] . وهو قول الطبري في آية

---

(١) انظر فتح القدير (٥٧٩/٤) فقد نسبه إلى الفراء والزجاج . ولم يصرح الزجاج أن الاستثناء منقطع ، لكنه الظاهر من كلامه. انظر معاني القرآن وإعرابه (٤٢٨/٤).

(٢) انظر إعراب القرآن (١٣٧/٤) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٦٢/٢).

(٣) مثل العكبري في التبيان (١١٤٩/٢) ، والمنتجب في الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢٧٧/٤) ، والسمين في الدر المصون (٦٣١/٩).

(٤) مشكل إعراب القرآن (٦٥٨/٢).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٤٤١/١٧) ، وبدائع التفسير (١٤٤/٤) ، وتفسير ابن كثير =



النساء[١].

ولابن جزي وابن القيم عبارتان حسنتان تدلك على تقديم هذا القول على غيره من الأقـــوال ، حيث قال الأول - بعد أن أورد الآية - : «استثناء منقطع ، والمعنى لا يذوقون فيها الموت ، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ لكان متصلاً لعموم لفظ الموت»[٢].

وقال الثاني - بعد أن أورد الآية أيضاً - : «فهذا الاستثناء هو لتحقيق دوام الحياة ، وعدم ذوق الموت، وهو يجعل النفي الأول العام بمنـــزلة النص الذي لا يتطرق إليه استثناء البتة ؛ إذ لو تطرق إليه استثناء فرد من أفراده لكان أولى بذكره من العدول عنه إلى الاستثناء المنقطع . فجرى هذا الاستثناء مجرى التأكيد والتنصيص على حفظ العموم ، وهذا جار في كل منقطع ، فتأمله فإنه من أسرار العربية»[٣].

وما ذهب إليه الإمام الطبري في أن «إلا» بمعنى «بعد» قد اعترض عليه باعتراضين:

=

(١٤٧/٤) ، والبحر المحيط (٤١/٨)، والتسهيل (٦٦/٤).

(١) انظر جامع البيان (١٣٧/٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٦٦/٤).

(٣) بدائع التفسير (١٤٤/٤).



الأول : أن جعل «إلا» بمعنى «بعد» لم يثبت[1].

الثاني : قال الكرماني : جعل «إلا» بمعنى «بعد» يدفعه قوله «فيها»[2].

فالخلاصة من كل ما تقدم ما يلي:

١- أن استدراك الإمام الطبري على من جعل «إلا» بمعنى «سوى» وارد ؛ إلا إذا كان قائل ذلك يعني الاستثناء المنقطع.

٢- أن أحسن ما يحمل عليه الاستثناء في الآية الانقطاع.

٣- أن أبا محمد دافع عن قول من جعل «إلا» بمعنى «سوى» ولم يعترض على ما ذهب إليه الإمام الطبري في معناها.

---

(١) انظر الدر المصون (٦٣١/٩).

(٢) انظر غرائب التفسير (١٠٨٠/٢).



سورة الجاثية

❁ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [1] يقول تعالى ذكره : الوادي السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذي إثم بربه ، مفتر عليه» [2].

وقال القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – : «الويل في كلام العرب : المصائب والحزن والشدة من هذه المعاني ، وهي لفظة تستعمل في الدعاء على الإنسان . وروي في بعض الآثار أن في جهنم وادياً اسمه ويل . وذهب الطبري إلى أنه المراد بالآية . ومقتضى اللغة أنه الدعاء على أهل الإفك والإثم بالمعاني المتقدمة» [3].

إذاً نفهم من كلام الإمامين أن الطبري يرى أن الويل هو واد في جهنم ، وابن عطية يرى أن الويل الدعاء بالمصائب والحزن والشدة.

وابن عطية لم يصرح بالاستدراك إلا أنه أشار إشارة تقوم مقام التصريح ؛ لأن معنى كلامه: أن ما ذهب إليه الإمام الطبري روي فيه أخبار لم تثبت ، وما قاله هو تشهد له لغة القرآن الكريم.

والمفسرون – في ما رأيت – منهم من يفسر الآية بنحو ما ذهب إليه

---

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٧ .

(٢) جامع البيان (٢٥٤/١١).

(٣) المحرر الوجيز – الطبعة المغربية – (٣٠٦/١٤ ، ٣٠٧).



الإمام الطبري[١] ، ومنهم من يفسرها بنحو ما ذهب إليه القاضي ابن عطية[٢] ، ومنهم من يذكر نحو القولين معاً[٣].

وأبو حيان يذهب في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه القاضي ابن عطية، فإنه بعد أن ذكر بعض الأقوال المأثورة في معنى ﴿ وَيْلٌ ﴾ قال : «ولو صح في تفسير الويل شيء عن رسول الله ﷺ لوجب المصير إليه، وقد تكلمت العرب في نظمها ونثرها بلفظة الويل قبل أن يجيء القرآن ، و لم تطلقه على شيء من هذه التفاسير ، وإنما مدلوله ما فسره أهل اللغة»[٤].

قلت : يمكن أن يجاب عما قال أبو حيان : «وقد تكلمت العرب في نظمها ونثرها ... إلخ » بقول الراغب : « ومن قال ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار ، وثبت ذلك

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣/١/١) ، وتفسير النسفي (٥٨/١) .

(٢) انظر تفسير البيضاوي (٦٥/١) ، ومحاسن التأويل (٣١٩/١)، وتيسير الكريم الرحمن (٧٠/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٦٠/١).

(٣) انظر الوسيط (١٦٣/١) ، وتفسير القرآن للسمرقندي (١٣٢/١) ، وتفسير الخازن (٧٧/١) ، وتفسير ابن كثير (١١٨/١) ، ومعالم التنزيل (٨٨/١ ، ٨٩) ، وزاد المسير (١٠٦/١) ، وفتح البيان (١٦٩/١) . وهؤلاء منهم من يقدم – في الذكر – جامع البيان ، ومنهم من يقدم تفسير ابن عطية.

(٤) البحر المحيط (٤٤٣/١).



لـــه »[١].

وما قاله الراغب هنا فيه تقريب بين المعنى اللغوي ، والمعنى المأثور ، وكذلك فعل البيضاوي عندما قال : « ﴿فَوَيْلٌ﴾[٢] أي تحسر وهلك ، ومن قال : إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه: أن فيها موضعاً يتبوأ فيه من جعل له الويل...»[٣].

والذي يبدو – والله أعلم – أن ما أشار إليه القاضي ابن عطية من ضعف الآثار التي فسرت الويل بواد في جهنم – والذي بنى الإمام الطبري تفسيره على ضوئها – شيء لا ينكر[٤] ، إلا أن هناك حديثاً يدل لمن فسر

---

(١) المفردات ص(٥٣٥).

(٢) من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ آية : ٧٩. وقد رجعت إلى هذا الموطن ؛ لأن أكثر المفسرين اهتموا بدراسة هذه المسألة عند هذا الموطن ، وخففوا البحث في المواطن الأخرى.

(٣) تفسير البيضاوي (١/٦٥).

(٤) يظهر أن القاضي يعني الآثار المرفوعة ، أو التي لها حكم الرفع ، والذي رأيت ثلاثة أحدها : حديث أبي سعيد الخدري ، وسيأتي بيان حاله ، والثاني : ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٢٨) عن ابن مسعود قال: «ويل واد في جهنم من قيح» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٥) وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف. والثالث: أورده السيوطي في الدر (١/٨٢) موقوفاً على النعمان بن بشير قال : «الويل واد من قيح في جهنم». و لم أقف على إسناده ، ونسب السيوطي إخراجه

=

﴿ وَيۡلٌ ﴾ بواد في جهنم ، وهذا الحديث قد صححه بعض أهل العلم ، وأعني بذلك ما أخرجه الطبري وغيره عن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»[١].

وأيضاً فقد ثبت تفسير الويل عن بعض التابعين ، بنحو ما جاء في الحديث السابق[٢].

وذكر الألوسي أن حديث أبي سعيد قد جاء من طرق[٣] .

أقول : إذا كان الحال ما ذكر فينبغي المصير إلى المعنى الذي ورد في الحديث ، وهو متضمـــن لبعض ما جاء في تفســـير الإمام الطبري ، أعني

=

إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم.

(١) جامع البيان (٤٧٨/١١) وقد استوفيت تخريج هذا الحديث في ما يأتي عند سورة الذاريات ، عند قوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ آية : ٦٠ ، وذكرت هناك كلام الأئمة في قبول هذا الحديث أورده ، فانظر هناك إن شئت.

(٢) أعني ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤/١/١) عن عطاء بن يسار ، قال: الويل واد في جهنم ، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره». قال محقق تفسير ابن أبي حاتم : رجال إسناده ثقات.

(٣) انظر روح المعاني (٣٠٢/١) . ونص كلام الألوسي «ورد من طرق صححها الحفاظ».



من ذكر أن ويلاً واد في جهنم.

وهذا لا تعارض بينه وبين المعنى اللغوي ، لما ذكره الراغب والبيضاوي .

وأيضاً فإنه يمكن أن يقال : ما جاء عن أهل اللغة ، وبه فسر القاضي من أن الويل المصائب، والحزن، والشدة ، مقصود به في هذا الموضع أعظم المصائب ، والحزن ، والشدة ، ولا يكون ذلك إلا بدخول جهنم، أعاذنا الله منها.

وهذا الذي قلته آخراً قد أشار إلى مضمونه الفخر الرازي نقلاً عن غيره – فقال: «قال القاضي[1]: ويل يتضمن نهاية الوعيد والتهديد ، فهذا القدر لا شبهة فيه ، سواء كان الويل عبارة عن واد في جهنم، أو عن العذاب العظيم »[2].

---

(١) الظاهر أنه يعني : محمد بن الطيب أبا بكر ، العلامة المتكلم (ت : ٤٠٣هـ) انظر السير (١٧/١٩٠).

(٢) التفسير الكبير (٣/١٢٨).



سورة الفتح

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [١] يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [٢] يقول : حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر ، لتشكر ربك ، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم ، وفتحه ما فتح لك ، ولتسبحه وتستغفره ، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ، ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح ، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته . وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [٣] على صحته ؛ إذ أمره تعالى ذكره أن

---

(١) سورة الفتح ، الآيات : ١- ٣.
(٢) سورة الفتح ، الآية : ١.
(٣) سورة النصر كاملة .



يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله وفتح مكة ، وأن يستغفره ، وأعلمه أنه تواب على من فعل ذلك ، ففي ذلك بيان واضح أن قـــوله تعالى ذكره : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ إنما هو خبر من الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له ، على النعمة التي أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح ؛ لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها.

وبعد : ففي صحة الخبر عنه ﷺ «أنه كان يقوم حتى ترم[(١)] قدماه ، فقيل له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ »[(٢)] الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول ، وأن الله تبارك وتعالى ، إنما وعد نبيه محمداً ﷺ غفران ذنوبه المتقدمة فتح ما فتح عليه ، وبعده على شكره له على نعمه التي أنعمها عليه . وكذلك كان يقول ﷺ : «إني لأســـتغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة »[(٣)]. ولو كان القـــول في

---

(١) قال الحافظ - في الفتح (٣/١٥) - : «قوله : (حتى ترم) بفتح المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم، هكذا سمع وهو نادر».

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - مع الفتح - (٣/١٤) ، كتاب التهجد ، باب قيام النبي ﷺ الليل ، ح(١١٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٤/٢١٧١) ، كتاب صفات المنافقين ، باب الإكثار والاجتهاد في العبادة ، ح(٢٨١٩) كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجـــه الإمام مســـلم في صحيحه (٤/٢٠٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة =

ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا ، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية - ولا لاستغفار نبي الله ﷺ ربه جل جلاله من ذنوبه بعدها - معنى يعقل؛ إذ الاستغفار معناه : طلب العبد من ربه عز وجل غفران ذنوبه ، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى ؛ لأنه من المحال أن يقال: اللهم اغفر لي ذنباً لم أعمله»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ربطه لهذه الآية بما جاء في سورة النصر من الأمر لرسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار فقال : «فقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ ﴾ هي لام كي ، لكنها تخالفها في المعنى ، والمراد هنا أن الله تعالى فتح لك لكي يجعل ذلك أمارة وعلامة لغفرانه لك فكأنها لام صيرورة ...وقال الطبري وابن كيسان[٢] : المعنى : إنا فتحنا لك فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله، وبنيا هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [٣] السورة .

=

والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، ح(٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني بنحوه.

(١) جامع البيان (١١/٣٣١ ، ٣٣٢).

(٢) لعله : أراد محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن كيسان أبو الحسن النحوي ، من تصانيفه معاني القرآن قيل مات سنة ٣٢٠هـ. انظر طبقات المفسرين (٢/٥٨).

(٣) سورة النصر ، الآية : ١.



وهذا ضعيف من وجهين: أحدهما: أن السورة ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] إنما نزلت في آخر مدة النبي ﷺ ناعية له نفسه حسب ما قال ابن عباس رضي الله عنهما عندما سأل عمر رضي الله عنه عن ذلك. والآخر: أن تخصيص النبي ﷺ بالتشريف كان يذهب ؛ لأن كل واحد من المؤمنين مخاطب بهذا الذي قال الطبري ، أي سبح واستغفر لكي يغفر الله لك ، ولا يقتضي هذا أن الغفران قد وقع وما قدمناه أولاً يقتضي وقوع الغفران للنبي ﷺ . ويدل على ذلك قول الصحابة رضي الله عنهم له ﷺ حين قام حتى تورمت قدماه: أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً»[(٢)] . فهذا نص في أن الغفران حكم قد وقع»[(٣)].

محل الخلاف بين الإمامين في لام ﴿ لِّيَغْفِرَ ﴾ فالإمام الطبري يرى أنها تعليل لمحذوف تقديره : فتحنا لك وحكمنا لك بالنصر والظفر على أعدائك فتشكر ربك وتسبحه وتستغفره ليغفر لك ، ويرى أيضاً أن مغفرة ما تقدم من الذنوب على الفتح وما تأخر منها عن الفتح مبني على دوام النبي ﷺ على هذه الحال - حال الشكر والتسبيح والاستغفار - فأما

---

(١) سورة النصر ، الآية : ١.

(٢) تقدم قريباً تخريج الحديث.

(٣) المحرر الوجيز (٤٣٠/١٣ - ٤٣٢).

أن يجعل الفتح علة لمغفرة الذنوب ما تقدم منها وما تأخر فشيء غير وارد عند الإمام الطبري.

وابن عطية يرى أن لام ﴿ لِّيَغۡفِرَ ﴾ هي لام كي ، لكنها تخالفها في المعنى ؛ إذ التقدير: فتح لك لكي يجعل ذلك الفتح أمارة وعلامة لغفرانه لك ، فكأنها لام صيرورة.

ولا شك أن العلماء قد وقع بينهم الخلاف في نوع اللام وفي تقدير مدخولها فمنهم من قال هي علة للفتح من حيث أنه مسبب عن جهاد الكفار ، والسعي في إعلاء الدين وإزاحة الشرك . ومنهم من قال: اللام لام كي ، ومعناه : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح . ومنهم من قال : اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب ، ومنهم من قال: اللام للقسم ، والأصل : ليغفرن فكسرت اللام تشبيهاً بلام كي ، وحذفت النون . ورد هذا بأن اللام لا تكسر ، وبأنها لا تنصب المضارع . ومنهم من قال فتح مكة ليس علة للمغفرة ، ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة ، وهي المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال: يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين ، وأغراض العاجل



والآجـــل[١].

وما ذهب إليه الإمام الطبري أشار إليه بعض المفسرين ضمن ما حكاه من أقوال دون تأييد له ، أو اعتراض[٢]. وعده الكرماني في عجائب التأويل[٣].

وبعد : فالذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري في هذه المسألة وارد لما قاله أبو محمد من أن سورة النصر التي بنى عليها الإمام الطبري مذهبه متأخرة بزمن عن سورة الفتح ، فيلزم على هذا أن المتقدم مبني على المتأخر.

ولأن ما قاله الإمام الطبري (سبح واستغفر ليغفر الله لك) مخاطب به كل واحد من المؤمنين ، فلا يبقى خصوصية للرسول ﷺ . وظاهر الآية يعارض هذا.

ولأن النبي ﷺ قد أقر الصحابة على فهمهم للآية من أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ونبههم على أنه يطلب بطاعته مرتبة الشكر.

وأما استدلال الإمام الطبري بالحديث فلا يدل له ، لأنه يســـتدل به

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية (١٥٧/٤ ، ١٥٨).

(٢) انظر معالم التنـــزيل (١٨٨/٤ ، ١٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦) ، وتفسير الخازن (١٨٨/٤).

(٣) انظر غرائب التفسير وعجائب التأويل (١١١٢/٢).

على أن ما يقوم به الرسول من عبادة ليحصل له الوعد من غفران الذنوب. وهذا مخالف لنص الحديث الذي يفيد أن ما يقوم به الرسول من تطوع- بعد نزول هذه الآية - إنما هو من باب الشكر على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من عطايا وهبات.

وكذلك استدلاله بالحديث الذي جاء فيه أن الرسول يستغفر الله في اليوم مئة مرة ، لا يدل له ؛ لأن الاستغفار كما هو طلب مغفرة الذنوب، فهو أيضاً استكانة وتذلل وخضوع وعبادة للخالق ، فاستغفار الرسول بعد ما أخبره الله تعالى بغفران ذنوبه المتقدم منها والمتأخر محمول على هذا.

قال الزمخشري - عند قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [(١)] - : «والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفاً لأمته ؛ ولأن الاستغفار من التواضع، وهضم النفس فهو عبادة في نفسه»[(٢)].

وقال الحافظ : «والاستغفار لإظهار العبودية لله والشكر لما أولاه ... ومنها أن استغفاره تشريع لأمته»[(٣)].

---

(١) سورة النصر ، الآية : ٣.
(٢) الكشاف (٢٩٤/٤).
(٣) فتح الباري (١٠١/١١ ، ١٠٢).



قلت : ويدل على أن الاستغفار عبادة في نفسه - لا كما يقول الإمام الطبري من أنه إذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى - ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم»[(١)].

ووجه الدلالة من الحديث ، أنه قال : « ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله ». وليس المقصود أن يرتكبوا الذنوب، إذ ذلك منهي عنه شرعاً، والمذنبون كثير. فتبين - والله أعلم - أن المقصود الاستغفار، الّذي هو عبادة ، والوسيلة التي تسوق إليه غالباً هي الذنوب، فالاستغفار يبقى عبادة وإن كان سببه الذنب .

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[(٢)] - :

« وقـوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشـجرة، من

---

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٠٦) ، كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، ح(٢٧٤٩).

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٨ .



صدق النية ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له»[١].

وحكى القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - قريباً من قول الطبري ثم استدرك عليه فقال : «وقوله تعالى : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ قال قوم: معناه : من كراهية البيعة على الموت ونحوه ، وهذا ضعيف فيه مذمة للصحابة رضي الله عنهم. وقال الطبري ، ومنذر بن سعيد[٢] : معناه : من الإيمان وصحته ، والحب في الدين والحرص عليه ، وهذا قول حسن ، لكنه من كانت هذه حاله فلا يحتاج نزول ما يسكنه، أما إنه يحتمل أن يجازى بالسكينة والفتح القريب والمغانم. وقال آخرون : معناه : من الهم بالانصراف عن المشركين ، والأنفة في ذلك على نحو ما خاطب فيه عمر - رضي الله عنه - وغيره ، وهذا تأويل حسن يترتب معه نزول السكينة، والتعويض بالفتح القريب. والسكينة هنا تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمر الله تعالى ، والصبر له»[٣].

---

(١) جامع البيان (١١/٣٥٠).

(٢) منذر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، كان فقيهاً محققاً ، وخطيباً بليغاً (ت : ٣٥٥هـ). انظر السير (١٦/١٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (١٣/٤٥٥ ، ٤٥٦).



بحث هذه المسألة سيكون - إن شاء الله تعالى - على النحو التالي:

١- محل الاستدراك في تعقيب ابن عطية على ما نسبه للطبري بقوله : «لكنه من كانت هذه حاله فلا يحتاج نزول ما يسكنه» ومعنى هذا أن ابن عطية يرى أن نزول السكينة مرتب على حصول شيء من الاضطراب في القلب ، فهذا هو المناسب لنـــزول السكينة ، وأما القلب المليء بالإيمان الصحيح وحب الدين والحرص عليه ، فابن عطية يرى أن من هذا حاله لا يحتاج إلى نزول ما يسكنه.

٢- هذه الأقوال - المجموعة من قول الطبري وما ذكره ابن عطية - عليها يدور تفسير العلماء لهذه الآية ، في ما رأيت ، وأكثرهم يفسر هذه الآية بنحو قول الإمام الطبري[1].

٣- في نظري أن هناك فرقاً بين ما نسبه ابن عطية للطبري ، وبين العبارة الموجودة في تفسيره، فالطبري قال: «فعلم ربك يا محمد ما في

---

(١) انظر - مثلاً - معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٥) ، وتفسير القرآن لأبي الليث (٣/٢٥٦) ، وأحكام القرآن للجصاص (٥/٢٧٣) ، والوسيط (٤/١٤٠) ، ومعالم التنـــزيل (٤/١٩٤) ، والكشاف (٣/٥٤٦) ، وزاد المسير (٥/٤٣٤) ، والتفسير الكبير (٢٨/٨٣)، وتفسير النسفي (٤/١٦٠) ، والتسهيل (٤/٩٦) ، وتفسير الخازن (٤/١٩٧) ، وتفسير ابن كثير (٤/١٩٢). وهذا القول نسبه أبو الليث إلى ابن عباس . وانظر الدر المنثور (٦/٧٤) فقد أورد نحوه عن ابن عباس ونسب إخراجه إلى ابن أبي حاتم.

قلوب المؤمنين من أصحابك... من صدق النية ، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك» وابن عطية نسب إليه أنه قال : «معناه : من الإيمان وصحته ، والحب في الدين والحرص عليه». وفرق بين العبارتين فإن ما قاله ابن عطية هو واقع كل صحابي حضر بيعة الرضوان أو لم يحضرها ، وما قاله الطبري أخص منه إذ ما قاله أمر زائد كان منشؤه مبايعة الصحابة لرسول الله ﷺ على مناجزة قريش.

٤- سواء على لفظ الطبري ، أو ابن عطية فقد يقول قائل : من كانت هذه حاله لا يحتاج إلى نزول ما يسكنه ، وإلى هذا نحا أبو محمد في اعتراضه.

والجواب : أن السكينة كما تكون لتسكين القلب وتهدئة اضطرابه ، تكون - أيضاً - تثبيتاً على الحالة الحسنة التي كانوا عليها ، وهذا أشار إليه الإمام الطبري عندما شرح السكينة بقوله: «فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم ، وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له».

ويشهد لهذا الاتجاه قول الله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا... ﴾[1].

فهذا تثبيت له ﷺ على الحق، لا أنه كان مضطرباً قبل نزول السكينة. وهذا التثبيت جزاء وفاقاً على ما علمه الله من صدق قلوبهم ، وإخلاصها

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠.



في إنفاذ ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ . ولعل هذا أحسن من جعل نزول السكينة مجرد جزاء(١).

٥- ذهب أبو حيان في تفسير قوله : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ إلى ما ذهب إليه ابن عطية من الاعتراض والجواب والترجيح ، إلا أنه لم ينسب شيئاً من ذلك إلى ابن عطية(٢).

وأما الثعالبي : فاقتصر في معنى الآية على ذكر ما نسبه ابن عطية إلى الطبري ومنذر بن سعيد من غير أن يورد عليه اعتراض ابن عطية ، أو يشير إلى أخذه منه (٣).

ثم جاء العلامة الألوسي فذكر الأقوال ورجح نحو القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري ، فقال: «﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي من الصدق والإخلاص في مبايعتهم ، وروي نحو ذلك عن قتادة وابن جريج وعن الفراء . وقال الطبري ومنذر بن سعيد : من الإيمان وصحته وحب الدين والحرص عليه. وقيل: من الهم والأنفة من لين الجانب للمشركين وصلحهم ، واستحسنه أبو حيان ، والأول عندي أحسن»(٤).

---

(١) وإلى كون نزول السكينة مجرد جزاء أشار أبو محمد.

(٢) انظر البحر (٨/٩٦).

(٣) انظر الجواهر الحسان (٤/٢٤١).

(٤) روح المعاني (٢٦/١٠٨).



قلت : وما وصفه الألوسي بأنه أحسن هو قول الإمام الطبري ، لا ما نسبه إليه ابن عطية . وما ذهب إلى استحسانه ابن عطية ، ورتب عليه نزول السكينة ، لا شك فيه نوع مناسبة لإنزال السكينة ، إلا أن الفاء في قوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ تفيد أن نزول السكينة كانت عقب المبايعة مباشرة ، وليس بعد ما مشت السفراء بينهم ، وحصل الصلح ، ووقع التردد من الصحابة في قبوله.

وقد استظهر الإمام ابن القيم الجمع بين القولين فقال - بعد أن حكاهما - : «والظاهر أن الآية تعم الأمرين ، وهو أنه علم ما في قلوبهم مما يحتاجون معه إلى إنزال السكينة ، وما في قلوبهم من الخير الذي هو سبب إنزالها»[1].

---

(١) بدائع التفسير (٤/١٧٠).



سورة ق

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [١] - :

«وقد ذكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ (وجاءت سكرة الحق بالموت) ... وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان ، أحدهما : وجاءت سكرة الله بالموت . فيكون الحق هو الله تعالى ذكره . والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها ، كما قيل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [٢] ويكون تأويل الكلام : وجاءت السكرة الحق بالموت»[٣].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما قاله في الوجه الأول ، فقال: «واختلف المتأولون في معنى (وجاءت سكرة الحق بالموت) فقال الطبري - وحكاه الثعلبي - الحق: الله تعالى . وفي إضافة السكرة إلى اسم الله تعالى بعد ، وإن كان ذلك سائغاً من حيث هي خلق له، ولكن فصاحة القرآن ورصفه لا يأتي فيه هذا . وقال

---

(١) سورة ق ، الآية : ١٩.

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥.

(٣) جامع البيان (١١/٤١٧ ، ٤١٨).

بعض المتأولين : المعنى : وجاءت سكرة فراق الحياة بالموت ، وفراق الحياة حق يعرفه الإنسان ويحيد منه بأمله ، ومعنى هذا الحيد أنه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمان ، وأيضاً فحذر المرء وتحرزاته ونحو هذا حيد كله»[(١)].

هذه القراءة التي وقع الخلاف بين الإمامين في معناها ، قراءة شاذة[(٢)].

وتوجيهها بما ذكر الإمام الطبري سبق إليه الفراء في معاني القرآن[(٣)].

وقال بهذا التوجيه - أيضاً - أبو جعفر النحاس وابن الجوزي ، والقرطبي[(٤)].

وذكره طائفة من المفسرين منهم الزجاج ، والزمخشري ، وأبو السعود، والألوسي [(٥)].

والذي يبدو - والله أعلم - أن الوجه الذي اعترض عليه أبو محمد ليس ببعيد ، وذلك لسببين:

---

(١) المحرر الوجيز (١٣/٥٤٦ ، ٥٤٧).

(٢) انظر مختصراً في شواذ القرآن لابن خالويه ص(١٤٤).

(٣) انظر معاني القرآن (٣/٧٨).

(٤) انظر إعراب القرآن (٤/٢٢٥) ، وزاد المسير (٨/١٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٧/١٢).

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (٥/٤٥) ، والكشاف (٤/٧) ، وتفسير أبي السعود (٨/١٢٩)، وروح المعاني (٢٦/١٨٢).



الأول : أن السكرة التي تصيب الإنسان عند خروج الروح بأمر الله تعالى ، فهي خلق من خلقه ، والله تعالى حق ، فإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى الخالق كقوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ (١).

وقول القاضي ابن عطية : إن هذا لم يأت في القرآن صحيح ، لكن قد جاء ما هو نظير هذا ، وأي فرق بين إضافة الناقة إلى الله، وإضافة السكرة إليه ، وكلاهما خلق من خلقه.

الثاني : الآية سيقت مساق الوعيد فإضافة السكرة إلى الله تعالى فيه تهويل وتفظيع ؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم فهذا التفسير مناسب لسياق الآية . والله أعلم.

٢- قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى ، عند قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٢) -: «وقوله : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ يقول : لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم ، وتلذه عيونهم . وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه . وقيل : إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه. ذكر من قال ذلك...» (٣).

---

(١) سورة الشمس ، الآية : ١٣.

(٢) سورة ق ، الآية : ٣٥ .

(٣) جامع البيان (١١/٤٢٩).



ثم أورد الإمام الطبري آثاراً كثيرة متضمنة لأنواع من نعيم أهل الجنة، وأن المزيد هو تجلي الرب تبارك وتعالى لأهل الجنة لينظروا إليه[١] .

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري وغيره من المفسرين في ذكرهم ما يفيد تعيين المزيد فقال : «وقوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ خبر بأنهم يعطون آمالهم أجمع ، ثم أبهم تعالى الزيادة التي عنده للمؤمنين المنعمين ، وكذلك هي مبهمة في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[٢] وقد فسر ذلك الحديث الصحيح في قوله ﷺ : «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه»[٣] وقد ذكر الطبري وغيره في تعيين هذا المزيد أحاديث مطولة ، وأشياء ضعيفة ؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾[٤] وهم يعينونها تكلفاً وتعسفاً[٥] . وروي عن جابر بن

---

(١) انظر جامع البيان (٤٢٩/١١ - ٤٣١).

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧٤/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، تحت رقم (٢٨٢٤) . وقوله : « بله ما اطلعتم عليه » معناه : دع عنك ما اطلعتم عليه ، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم . وقيل: معناه غير. وقيل: معناه كيف. انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٢٤٣/١٧ ، ٢٤٤).

(٤) سورة السجدة ، الآية : ١٧.

(٥) في النسخة القطرية «وتعشقاً» والتصويب من المغربية والجواهر الحسان .



عبد الله[١] وأنس[٢] رضي الله عنهما أن المزيد : النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف»[٣].

تبين من كلام الإمامين أن كلاً منهما يرى أن المزيد مبهم فأما ابن عطية فكلامه في هذا صريح ، وأما الطبري فيؤخذ هذا مما بدأ به تفسير الآية فإنه قال : « وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه ».

واتفقا أيضاً على ذكر قول من قال: إن المزيد النظر إلى وجه الله الكريم بصيغة تفيد أن القول ضعيف. فصدره الطبري بلفظ «وقيل» وصدره ابن عطية بلفظ «وروي».

ثم إن الإمام الطبري ساق آثاراً عدة تدل لمن قال : إن المزيد النظر إلى وجه الله الكريم وتضمنت بعض الآثار ذكر أشياء أُخر من نعيم أهل الجنة، غير تفسير المزيد بالنظر إلى وجه الله تعالى[٤].

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري ، من أهل بيعة الرضوان (ت : ٧٨هـ) انظر السير (١٨٩/٣).

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، خادم رسول الله ﷺ (ت : ٩٣هـ) انظر السير (٣٩٥/٣).

(٣) المحرر الوجيز (٥٦٤/١٣ ، ٥٦٥).

(٤) هذه الآثار عددها ستة الأول موقوف على أنس ، وفيه غرائب كثيرة كما قال ابن كثير في تفسيره (٢٢٩/٤). والثاني: رفعه أنس ووصف السيوطي طرقه بأنها جيدة. انظر الدر (١٠٨/٦). والثالث: عن أنس مرفوعاً و لم يورد متنه الطبري بل =

ففهم ابن عطية من صنيع الطبري أنه استدل لما هو أكثر مما اتفقا على ذكره بصيغة الضعف ، ووصف ذلك بالضعف بأسلوب يفهم منه أنه يريد أن يقول: ما كان للطبري وغيره من المفسرين أن يوردوا هذا في تفسير المزيد.

وفي نظري أن القاضي ابن عطية إن أراد الاستدراك على الإمام الطبري في إيراد هذه الروايات لم يكن استدراكه وارداً عليه - إن شاء الله تعالى - وذلك أن الإمام الطبري قد حصر مقصوده من ذكر الأحاديث والآثار بالترجمة التي وضعها قبل سوق الآثار بقوله: «وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه . ذكر من قال ذلك».

وهذا ذكره محل اتفاق بين الإمامين ، وما جاء زائداً على هذا المقدار فسوق الرواية بلفظها حتم على الإمام الطبري إيراد ذلك.

نعم في الأثرين الأخيرين مما أورده الإمام الطبري تحت الترجمة المتقدمة

=

قال: نحو حديث علي بن الحسين. يعني الحديث الثاني. وفي سند هذا شيخ الطبري ابن حميد ، وليث بن أبي سُليم. والرابع: عن أنس مرفوعاً أيضاً قال الطبري بنحو الثاني. قلت: وفيه صالح بن حيان ضعيف انظر التقريب (٢٨٥١). والخامس: عن محمد بن سيرين قال قالوا. و لم يذكر فيه تفسير المزيد. والسادس: متضمن أن امرأة الرجل من أهل الجنة تأتيه فيقول من أنت فتقول: أنا من المزيد. وهذا من طريق أبي السمح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً قال عنه السيوطي في الدر (١٠٨/٦) بسند حسن.



ما لم يظهر لي وجه إيراد الطبري له تحت الترجمة. إلا أن أحدهما لم يفسر فيه المزيد . وهذا موافق لمقصد ابن عطية فلا يدخل تحت اعتراضه.

والثاني حكم بعض أهل العلم بأن سنده حسن[(١)] ، فوصف القاضي له بالضعف وجهة نظر لم يوافقه غيره عليها.

ثم ليعلم القارئ الكريم أن المزيد المذكور في الآية الكريمة ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ من أهل العلم من جعله مبهماً وهذا رأي ابن عطية وهو ظاهر تفسير الإمام الطبري ، وعليه طائفة من المفسرين[(٢)].

ومنهم من فسره بأن المزيد النظر إلى وجه الله الكريم ، وهذا عليه جمهور المفسرين حسبما ذكر الإمام النسفي في تفسيره[(٣)].

وفي بعض الروايات ما يفيد أن المزيد يمكن أن يفسر بما هو أكثر من قول الجمهور[(٤)].

واســـتدل الجمهور على مذهبهم بآثار وأحاديث[(٥)] ، ومن أدلتهم أن

---

(١) هو السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٦).

(٢) انظر البحر (١٢٧/٨) ، وفتح القدير (٧٨/٥) ، والتحرير والتنوير (٣٢١/٢٦) ، ومحاسن التأويل (٣٣٥/٦).

(٣) انظر تفسير النسفي (١٨٠/٤).

(٤) في الحديث المرفوع أن امرأة الرحل تأتيه في الجنة فيقول من أنت فتقول أنا من المزيد. انظر جامع البيان (٤٣١/١١). وقال عنه السيوطي في الدر (١٠٨/٦) سنده حسن.

(٥) انظرها في جامع البيان (٤٢٩/١١ - ٤٣١) والدر المنثور (١٠٨/٦).



قالوا : هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [(١)] وثبت في صحيح مسلم أن الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم[(٢)].

قال ابن كثير : «وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقد تقدم في صحيح مسلم ... أنها النظر إلى وجه الله الكريم»[(٣)].

وقد فسر الشيخ عبد الرحمن السعدي آية ق بتفسير قد يجمع بين قول الجمهور ، وما ذهب إليـــه ابن عطيـــة فقال : « ﴿ وَلَدَيْنَا ﴾ فوق ذلك ﴿ مَزِيدٌ ﴾ أي ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم ، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأعظم ذلك وأجله وأفضله النظر إلى وجهه الكريم ، والتمتع بسماع كلامه ، والتنعم بقربه ، فنسأله ذلك من فضله»[(٤)].

قلت : هذا تفسير حسن ، وفق فيه الشيخ السعدي ، رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٦.

(٢) انظر صحيح مسلم (١٦٣/١) ، كتاب الإيمان ، باب رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ح(١٨١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤) . وابن عطية يميل في ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ إلى أن الزيادة ليست النظر إلى وجه الله الكريم. انظر المحرر (١٣٧/٧ ، ١٣٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٧/٥).



سورة الذاريات

✿ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [1] يقول تعالى ذكره : فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد»[2].

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٦٠ .

(٢) جامع البيان (٤٧٨/١١) ويمكن أن يستدل لتفسير الويل بواد في جهنم بما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٩/٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وهذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٢٠/٥) باب ومن سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤) ، والإمام أحمد في المسند (٧٥/٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٣/٢)، وابن حبان في صحيحه – الإحسان – (٥٠٨/١٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٣/١/١) ، والحاكم في المستدرك (٦٣٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي. وهذا الحديث له شاهد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٩) عن عبد الله بن مسعود قال: «ويل واد في جهنم من قيح». وحديث أبي سعيد فيه نزاع كبير بن علماء الحديث من أجل أن في إسناده أبا السمح وقد اختلف العلماء في توثيقه وتضعيفه. وحكم ابن كثير على الحديث بأن رفعه منكر. انظر تفسيره (١١٨/١). ورد عليه أحمد شاكر في ذلك. وفي نظري أن هذا الحديث لا يُرد ، وأبو السمح لم يضعف بإطلاق ، بل قال الحافظ : صدوق ، في =

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري تفسير الويل في هذه الآية بأنه الوادي الذي في جهنم فقال : «ثم أوجب تعالى لهم الويل من يومهم الذي يأتي فيه عذابهم، و (الويل) الشقاء، والهم، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً. والطبري يذهب أبداً إلى أن التوعد إنما هو به ، وذلك في هذا الموضع قلق ؛ لأن هذا الويل إنما هو من يومهم الذي هو في الدنيا - ومن لابتداء الغاية - وقال جمهور المفسرين: هذا التوعد هو بيوم القيامة . وقال آخرون - ذكره الثعلبي - هو بيوم بدر...»[1].

تبين من كلام أبي محمد أن القلق الذي وصف به تفسير الإمام الطبري جاء من جهة أن المقصود باليوم في قوله : ﴿ مِن يَوْمِهِمُ ﴾ هو يومهم في الدنيا الذي ينـــزل الله بهم العذاب فيه.

وهذا قـــول قد ذكر في تفسير الآية [2] ، وعينه أكثر من رأيت من

=

حديثه عن أبي الهيثم ضعف. انظر التقريب برقم (١٨٢٤) نعم هذه الرواية جاءت من طريق أبي الهيثم ، الذي ضعف في حديثه أبو السمح ، لكن يشهد له ما أخرجه الطبراني ، وهو وإن كان موقوفاً على عبد الله فإن له حكم المرفوع ، وليس من السهل أن نرد تصحيح ابن حبان، والحاكم ، والذهبي، وكذلك الطبري من قبل هؤلاء ، فإنه لو لم يره يصح ما أعاده وردده في أكثر من موطن من تفسيره.

(١) المحرر الوجيز (١٤/٤٤ ، ٤٥) .

(٢) انظر تفسير كتاب الله العزيز (٤/٢١٩).



المفسرين بأنه يوم بدر[١].

والطبري بنى قوله على ما ذكر ابن عطية أنه رأي جمهور المفسرين[٢].

وأنا أناقش هذا الاستدراك في حدود القولين فإن ترجح أن المقصود بـ ﴿ يَوْمِهِمُ ﴾ اليوم الذي في الدنيا كان استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري . وإن ترجح أن المقصود بـ ﴿ يَوْمِهِمُ ﴾ يوم القيامة لم يكن استدراك ابن عطية وارداً على الإمام الطبري .

وبعض أهل العلم بالتفسير منهم من يذكر ما يؤيد القولين معاً كأبي السعود فإنه قال: « و ﴿ مِن ﴾ في قوله ﴿ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ للتعليل ، أي يوعدونه من يوم بدر ، وقيل يوم القيامة ، وهو الأنسب بما صدر السورة الكريمة الآتية [٣] ، والأول هو الأوفق لما قبله من حيث إنهما

---

(١) انظر – مثلاً – معالم التنـزيل (٤/٢٣٦) ، وزاد المسير (٨/٤٤)، وتفسير البيضاوي (٢/٤٢٤)، وتفسير النسفي (٤/١٨٩)، وتفسير الخازن (٤/٢٤٨)، والبحر المحيط (٨/١٤١)، وفتح القدير (٥/٩٣) . وهؤلاء ذكروه تالياً لقول الجمهور ما عدا صاحب البحر.

(٢) من هؤلاء الجمهور الزجاج ، وأبو الليث ، والواحدي ، وابن كثير ، والسعدي. انظر معاني القرآن وإعرابه (٥/٥٩)، وتفسير القرآن للسمرقندي (٣/٢٨١)، والوسيط (٤/١٨٢)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٣٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٥/١٠٥).

(٣) يعني سورة الطور.

من العذاب الدنيوي»[١].

ومنهم من يذكر ما يرجح أن المقصود بـ ﴿ يَوْمِهِمُ ﴾ يوم القيامة كابن جزي فإنه قال – بعد أن أورد الآية – : «يحتمل أن يريد يوم القيامة، أو يوم هلاكهم ببدر ، والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [٢] يعني يوم القيامة»[٣].

ومنهم من يذكر ما يؤيد أن المقصود بـ ﴿ يَوْمِهِمُ ﴾ يوم بدر كابن عاشور فإنه قال : « واليوم يصدق بيوم القيامة ، ويصدق بيوم بدر الذي استأصل الله فيه شوكتهم . ولما كان المضاف إليه ضمير الكفار المعينين وهم كفار مكة ترجح أن يكون المراد من هذا اليوم يوماً خاصاً بهم ، وإنما هو يوم بدر ؛ لأن يوم القيامة لا يختص بهم بل هو عام لكفار الأمم كلهم بخلاف اليوم الذي في قوله في سورة الأنبياء: ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٤] لأن ضمير الخطاب فيها عائد إلى ﴿ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا

(١) تفسير أبي السعود (١٤٥/٨).

(٢) سورة المعارج ، الآية : ٤٤.

(٣) التسهيل (١٢٧/٤).

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣.



ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [(١)] كلهم »[(٢)].

وفي نظري أن الراجح في ﴿ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ هو يوم القيامة ، وذلك للأسباب التالية:

لما ذكره ابن جزي – رحمه الله تعالى – من دلالة قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [(٣)] عليه.

ولقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ [(٤)].

ولقوله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [(٥)] فهذا كله يرشدك إلى أن اقتران الوعد باليوم ينصرف به إلى يوم معروف توعد به الكافرون، ووعد به المؤمنون وهو يوم القيامة.

ولأن الله – تعالى – بعد ما ذكر أن للذين ظلموا – وهم الكفار

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠١.

(٢) التحرير والتنوير (٣٢/٢٧).

(٣) سورة المعارج ، الآية : ٤٤.

(٤) سورة البروج ، الآية : ١ ، ٢.

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ ، ١٠٤.

المكذبين رسولنا ﷺ - ذنوباً [١] من العذاب مثل ذنوب أصحابهم في الكفر ممن تقدمهم من الأمم المكذبة توعد كل الكافرين من السابقين واللاحقين فقال: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾.

فمن حمل هذا الوعيد على طائفة معينة من أهل الكفر لم يساعده سياق الآيات ، ولا الأصل الذي ينبغي أن تحمل عليه آيات القرآن الكريم ، وهو العموم.

ولأن الذي سبق في أول هذه السورة أن الكفار كانوا يسألون أيان يوم الدين ويتعجلون مجيئه فأخبرهم الله أن موعده يومهم على النار يفتنون، فقال : ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [٢] فهذا مناسب أن يحمل عليه اليوم الذي هددهم الله بويل لهم فيه في آخر السورة. وكذلك ما جاء بعد هذه الآية في أول سورة الطور من أهوال يوم القيامة وذكر الويل فيه بخصوصه مؤيد لهذا المعنى. والله أعلم.

ولأن تفسير ﴿ يَوۡمِهِمُ ﴾ بيوم القيامة عليه جمهور المفسرين في ما

---

(١) الذنوب: الحظ والنصيب ، وأصله الدلو العظيمة. انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (٤٢٣).

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ١٠-١٤.



ذكر ابن عطية نفسه.

فإن قيل : فما تقول في ما قاله أبو السعود وغيره من أن حمل اليوم في ﴿ يَوْمِهِمُ ﴾ على يوم بدر مناسب لما قبله من حيث إنهما من العذاب الدنيوي.

قلت : الظاهر أنه يعني بما قبله ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [١] وما قيل : إن المقصود بالعذاب المذكور فيها عذاب الدنيا لا يسلم فقد حمله الواحدي على عذاب الآخرة[٢]، وهو المناسب لذكر المثلية في الآية.

وإن سلمنا أن المقصود عذاب الدنيا ، فلا منافاة بينه وبين حمل اليوم في الآية على يوم القيامة ؛ لأن الله بعد ما توعدهم بعذاب الدنيا هددهم أيضاً بعذاب الآخرة . والله أعلم.

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٩.

(٢) انظر الوسيط (١٨٢/٤).



سورة النجم

١- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «وقوله : ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [(١)] يقول: فاستوى هذا الشديد القوى وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى ، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى ، وهو الأفق الأعلى. وعطف بقوله : ﴿ وَهُوَ ﴾ على ما في قوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ من ذكر محمد ﷺ ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه ، فيقولوا : استوى هو وفلان ، وقلما يقولون : استوى وفلان ، وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده [(٢)]:

ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف

فرد الخروع على ما في يستوي من ذكر النبع، ومنه قول الله : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ [(٣)] فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير إظهار

---

(١) سورة النجم ، الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٢) البيت لجرير ، وهو في ديوانه ص(٢٩٨). ومعاني القرآن للفراء (٩٥/٣) ، وفي وضح البرهان (٣٤٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٨٥/١٧)، وتفسير ابن كثير (٢٤٩/٤).

(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٧.



نحن ، فكذلك قوله : ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ ﴾ . وقد قيل: إن المستوي هو جبريل فإن كان ذلك كذلك، فلا مؤنة في ذلك؛ لأن قوله: ﴿ وَهُوَ ﴾ من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجه معنى قوله : ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ أي ارتفع واعتدل »[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري والفراء بأن ما أجازاه من أن الضمير في قوله : ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ لمحمد يترتب عليه العطف على المضمر المرفوع دون أن يؤكد وذلك قبيح عند النحاة ، فقال: «واستوى مسند إلى الله تعالى في قول الحسن الذي قال: إنه متصف بقوله تعالى: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[٢] وكذلك يجيء قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ صفة لله تعالى ... ومن قال : إن المتصف بقوله تعالى : ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[٣] هو جبريل عليه السلام قال: إن ﴿استوى﴾ مستند إلى جبريل عليه السلام ، واختلفوا بعد ذلك فقال

---

(١) جامع البيان (٥٠٦/١١) ، والذي ارتضاه الطبري في تفسير الآية هو قول الفراء من قبل . انظر معاني القرآن (٩٥/٣).

(٢) سورة النجم ، الآية : ٥.

(٣) سورة النجم ، الآية : ٥.



الربيع والزجاج : المعنى : فاستوى جبريل عليه السلام في الجو وهو إذ ذاك بالأفق الأعلى فرآه رسول الله ﷺ بحراء قد سد الأفق له ستمئة جناح ، وحينئذ دنا من محمد ﷺ حتى كان قاب قوسين ، وكذلك هو المرئي - في هذا القول - في النـزلة الأخرى في صفته العظيمة له ستمئة جناح عند السدرة . وقال الطبري والفراء : المعنى : فاستوى جبريل عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ يعني محمداً ﷺ - وقد تقدم ذكره في الضمير في ﴿ عَلَّمَهُۥ ﴾[1] - وفي هذا التأويل العطف على المضمر المرفوع دون أن يؤكد ، وذلك عند النحاة مستقبح. وأنشد الفراء حجة على قوله:

ألم تر أن النبع يصلب عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف

وقد ينعكس هذا الترتيب فيكون استوى لمحمد ﷺ و ﴿هو﴾ لجبريل عليه السلام»[2].

محل الخلاف بين الإمامين في قوله : ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ فالطبري يرى أنه يجوز أن يكون الضمير المستتر في ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾ لمحمد ﷺ ، والضمير في ﴿ وَهُوَ ﴾ لجبريل فيكون المعنى:

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ سورة النجم ، الآية : ٥.

(٢) المحرر الوجيز (١٤/٨٧، ٨٨، ٨٩).



فاستوى جبريل ومحمد وجبريل بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء . وابن عطية يجوز في الضمير المستتر في ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ أوجهاً ليس من بينها ما قاله الطبري ، لأنه يلزم على تفسير الطبري هذا أن يعطف الاسم الظاهر المعبر عنه بـــ «هو» على الضمير المستكن الذي هو في محل رفع من غير تأكيد ، وذلك قبيح عند النحاة.

فإذا رجعت إلى كتب النحو والإعراب وجدت أن هذه المسألة محل خلاف بين علماء النحو ، وأن ابن عطية قد سبقه غيره في الرد على هذا الوجه الذي جوزه الفراء والطبري.

أما المانعون للعطف من غير تأكيد ، أو ما يقوم مقامه فهم نحاة البصرة ، وأما المجيزون لذلك فهم نحاة الكوفة ، وقد حكى أبو البركات ابن الأنباري الخلاف بين المدرستين وبعض أدلة الفريقين فقال: «ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام نحو «قمت وزيد». وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح في ضرورة الشعر ، وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فصل فإنه يجوز معه العطف من غير قبح.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى ، وكلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فعطف (هو) على الضمير المرفوع المســـتكن في (اســـتوى) ... وقال

الشاعر[1] :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا

فعطف (زهر) على الضمير المرفوع في (أقبلت)... وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل ؛ وذلك أنه لا يخلو: إما أن يكون مقدراً في الفعل ، أو ملفوظاً به، فإن كان مقدراً فيه نحو «قام وزيد» فكأنه قد عطف اسماً على فعل ، وإن كان ملفوظاً به نحو «قمت وزيد» فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل ، فلو جوزنا العطف عليه لكان أيضاً بمنزلة عطف الاسم على الفعل ، وذلك لا يجوز.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فالواو فيه واو الحال ، لا واو عطف، والمراد به جبريل وحده ، والمعنى: أن جبريل وحده استوى بالقوة في حالة كونه بالأفق . وقيل: فاستوى على صورته التي خلق عليها في حالة كونه بالأفق. وأما ما أنشدوه من قوله:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ....

فمن الشاذ الذي لا يؤخذ به ، ولا يقاس عليه ، على أنا نقول: إنما

---

(١) هو عمر بن أبي ربيعة. والبيت في ديوانه (٣٤٠). وفي الكتاب لسيبويه (٢/٣٧٩)، وفي الكامل (١/٤١٨).



جاء هاهنا لضرورة الشعر، والعطف على الضمير المرفوع المتصل في ضرورة الشعر عندنا جائز ، فلا يكون لكم فيه حجة.

وتشبيههم له بالضمير المنصوب المتصل فلا وجه له بحال ؛ لأن الضمير المنصوب المتصل وإن كان في اللفظ في صورة الاتصال فهو في النية في تقدير الانفصال ، بخلاف الضمير المرفوع المتصل؛ لأنه في اللفظ والتقدير بصفة الاتصال ، فبان الفرق بينهما ...»[(١)].

ورد الزجاج أيضاً هذا الوجه الذي أجازه الفراء والطبري[(٢)] ، وكذلك أبو جعفر النحاس رده بشيء من التشنيع - بعد أن أشار إلى أن الواو حالية - وناقش الفراء في بعض أدلته فمن كلامه في ذلك أن قال: «زعم الفراء أن المعنى فاستوى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فجعل ﴿ وَهُوَ ﴾ كناية عن جبريل ﷺ، وعطف به على المضمر... وهذا ممنوع من الكلام حتى يؤكد المضمر ، أو يطول الكلام ثم شبهه بقوله: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾[(٣)] وهذا التشبيه غلط من جهتين. إحداهما : أنه

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/٤٧٤- ٤٧٨) بشيء من الاختصار. وانظر أيضاً الكتاب لسيبويه (٢/٣٧٨) ، وشرح المفصل (٣/٧٦) ، وأوضح المسالك (٣/ ٣٩٠).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٥/٧٠) وقال المعنى : «استوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته».

(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٧.



قد طال الكلام هاهنا، وقام المفعول به مقام التوكيد. والجهة الأخرى أن النون والألف قد عطف عليهما هاهنا ، وقولك: قمنا وزيد أسهل من قولك: قام وزيد. وأيضاً فليس المعنى على ما ذكر»[١].

واعتذر الكرماني عما جاء عن الفراء - بعد أن ذكر أن البصريين لا يجيزون ذلك ما لم يوجد تأكيد - فقال : «ويمكن أن يقال : إنما جاز العطف من غير تأكيد ؛ لأن استوى وإن كان يقع للواحد ، فالغالب عليه أن يقع من اثنين ، فلم يكن المضمر في استوى مستقلاً فيظهر ؛ ولهذا جاء (مررت برجل سواء والعدمُ) فيعطف العدم على المضمر في سواء. ويمكن أن يقال أيضاً : إنما لم يظهر استثقالاً للجمع بين (هو) (وهو) »[٢].

والهمداني اعتبر قول الفراء فيه قوة من وجه وفيه ضعف من وجه ، وكذلك قول البصريين فقال - بعد أن أعرب الواو حالية - : «وعن الفراء استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ... وهذا ضعيف عند أصحابنا ؛ لأنه عطف على المضمر من غير تأكيد ، ولعمري هذا وإن كان ضعيفاً من وجه فهو قوي من وجه آخر ، وقول الجمهور وإن كان قوياً من وجه فهو ضعيف من وجه آخر وهو اقتصادهم في استوى على فاعل واحد، ويطلب فاعلين في الأمر العام فاعرفه فإنه

---

(١) إعراب القرآن (٤/٢٦٦).

(٢) غرائب التفسير (٢/١١٥٣). والثاني من وجوه الاعتذار ذكره أيضاً النيسابوري في وضح البرهان (٢/٣٤٣).



موضـــع»[١].

قلت : ما ذكره الهمداني عذراً للفراء هو نفس المعنى الأول الذي ذكره الكرماني عذراً للفراء.

وقد أشار مكي أيضاً إلى هذا بعد أن ذكر قول الفريقين – الفراء والبصريين – فقال: «واستوى يقع للواحد ، وأكثر ما يقع من اثنين، ولذلك جعل الفراء الضميرين لاثنين»[٢].

وأشار أبو حيان أيضاً إلى هذا العذر الذي اعتذر به عن الفراء فقال – بعد أن ذكر الخلاف في المسألة – : «وقد يقال : الضمير في «استوى» للرسول وهو لجبريل»[٣].

ورأى ابن كثير أن ما ذهب إليه الإمام الطبري متجه من حيث العربية لكن المعنى لا يساعده؛ لأن الرؤية لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها[٤].

وبعد : فالذي يبدو – والله أعلم – أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري من حيث العربية ؛ لأن القاضي قد بنى استدراكه على أن العطف على الضمير المستكن المرفوع قبيح والذي يبدو أن وصفه بالقبح غير واضح ؛ لأن بعض علماء النحـــو ذكروا أن ذلك قـــد جاء كثيراً في

---

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣٧٨/٤ ، ٣٧٩).

(٢) مشكل إعراب القرآن (٦٩٢/٢).

(٣) البحر المحيط (١٥٥/٨).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢٤٩/٤).

الشعر فلا يصلح أن يقال: إنه شاذ.

قال المبرد - بعد أن أورد بعض الأبيات التي تشهد لصحة قول الإمام الطبري - : ((وهذا كثير))[١].

وقال ابن مالك [٢]:

وإن على ضمير رفع متصل   عطفت فافصل بالضمير المنفصل
أو فاصلاً ما وبلا فصل يرد   في النظم فاشياً وضعفه اعتقد

وقد أعرض ابن عقيل عن شرح قول الناظم : ((وضعفه اعتقد))[٣] فلسان حاله يقول: كيف نعتقد ضعف ما قد ورد كثيراً في لسان العرب؟! وكذلك لا يصلح أن يقال: إن ما جاء من هذا الشعر الكثير محمول على الضرورة ، وقد أثبت ابن مالك - في غير الألفية - أن بعض الشعراء قالوا ذلك اختياراً ، لا اضطراراً.

فقال : ((ولا يمتنع العطف ، دون فصل ، كقول بعض العرب: مررت برجل سواء والعدمُ. عطف العدم دون فصل وضرورة على الضمير المستتر في سواء . ومنه قول جرير[٤]:

---

(١) الكامل (٤١٨/١).

(٢) ألفية ابن مالك - مع شرح ابن عقيل - (٢١٧/٢).

(٣) انظر شرح ابن عقيل (٢١٨/٢).

(٤) البيت في ديوانه (٣٦٢) وفي الكامل (٤١٨/١) ونص البيت كاملاً:

ورجاء الأخيطل من سفاهة رأيه   ما لم يكن وأب له لينالا

=



.... مـــا لم يكن وأب له لينالا

وقال[١]:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ....

وهذا قول مختار ، لا مضطر ؛ إذ كان له أن ينصب (أبا) و (زهراً) على المفعول معه»[٢].

وأيضاً مما يدل لصحة قول الإمام الطبري أن ذلك قد جاء في النثر في غير موطن منها ما حكاه شيخ نحاة البصرة سيبويه - رحمه الله - «مررت برجل سواءٍ والعدمُ»[٣].

ومنها ما ذكره ابن مالك بقوله : «... ومن ذلك قول عمر بن الخطاب حين سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾[٤] قال : كنت وجار لي من الأنصار. ومن ذلك قول علي بن أبي طالب : كنت وأبو بكر وعمر . وهاتان العبارتان أخرجهما البخاري

=

والشاهد فيه قوله : (ما لم يكن وأب) ففي يكن ضمير مستكن في محل رفع وعطف عليه (أب) من غير فاصل.

(١) تقدم قريباً أنه لعمر بن أبي ربيعة .

(٢) انظر عدة السالك - بهامش أوضح المسالك - (٣/٣٩٢). وكلام ابن مالك في كتابه شرح التسهيل (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤) .

(٣) انظر شرح ابن عقيل (٢/٢١٩).

(٤) سورة التحريم ، الآية : ٣.



في صحيحه»[١].

لكن ما ذهب إليه الإمام الطبري هو والفراء وإن كان متجهاً من حيث العربية إلا أن المعنى الذي يترتب عليه ليس واضحاً في الآية ، ولذلك وجهت إليه عدة طعون فمن ذلك قول أبي جعفر النحاس «ليس المعنى على ما ذكر»[٢].

وقال ابن كثير – بعد أن ذكر أن الضميرين في ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ لجبريل – : «وقد قال ابن جرير هاهنا قولاً لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحد ، وحاصله: أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أي استويا جميعاً بالأفق الأعلى، وذلك ليلة الإسراء ، كذا ولم يوافقه أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية... وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك ، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض ، فهبط عليه جبريل عليه السلام ، وتدلى إليه فاقترب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى

---

(١) انظر عدة السالك – بهامش أوضح المسالك – (٣/٣٩٢). وكلام ابن مالك في كتابه شرح التسهيل (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤) .

(٢) إعراب القرآن (٤/٢٦٦) وقد تقدم قريباً.



يعني ليلة الإسراء ، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردى من رؤوس الجبال ، فكل ما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل فيسكن لذلك جاشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها ، حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح ، قد سد عظم خلقه الأفق فاقترب منه، وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به ، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه»[(١)].

وقال الألوسي – بعد أن ذكر قول الفراء والطبري – : «وفيه العطف على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهب الكوفيين مع أن المعنى ليس عليه عند الأكثرين»[(٢)].

وقال القاسمي : «تنبيهات : الأول : قدمنا في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ما قاله المفسرون من الأقوال العديدة ، ولا يخفى ما في بعضها من التكلف والتعسف كتوجيه ابن

(١) تفسير ابن كثير (٢٤٨/٤ ، ٢٤٩) وقول ابن كثير إن الطبري انفرد بهذا القول ليس كذلك فإنه قد تابع فيه الفراء فالقول صدر عنه في معاني القرآن (٩٥/٣).

(٢) روح المعاني (٤٨/٢٧).



جرير... والأقرب في معنى الآية ما ذكره الإمام ابن كثير ، كما نقلناه عنه، لكثرة الأحاديث الواردة في ما يفسرها بذلك»[١].

قلت : وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه الإمام الطبري والفراء ، وإن احتمل من ناحية العربية لم يحتمل من ناحية المعنى.

فالأظهر في هذه الآيات ما صححه ابن عطية بقوله : «والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل عليه السلام بدليل قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[٢] فإن ذلك يقتضي بنـــزلة متقدمة، وما روي قط أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل قبل ليلة الإسراء ، أما إن رؤية القلب لا تمنع بحال»[٣].

وبهذا القول قال شيخ الإسلام وتلميذاه ابن القيم وابن كثير[٤].

٢- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾[٥] يقول

---

(١) محاسن التأويل (٣٦٥/٦).

(٢) سورة النجم ، الآية : ١٣.

(٣) المحرر الوجيز (٨٩/١٤ ، ٩٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٢٣٤/١١) ، وبدائع التفسير (٢٩٤/٤) ، وتفسير ابن كثير (٢٤٨/٤).

(٥) سورة النجم ، الآيتان : ٢٤، ٢٥ .



تعالى ذكره : أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرمه بها من النبوة والرسالة ، وأنزل الوحي عليه ، وتمنى ذلك فأعطاه إياه ربه ، فلله ما في الدار الآخرة والأولى - وهي الدنيا - يعطي من شاء من خلقه ما شاء ، ويحرم من شاء منهم ما شاء»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري قوله : إن الإنسان في الآية المقصود به الرسول ﷺ فحسب فقال : «والإنسان في قوله : ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ ﴾ اسم الجنس ، كأنه يقول: ليست الأشياء بالتمني والشهوات ، إنما الأمر كله لله ، والأعمال جارية على قانون أمره ونهيه، فليس لكم أيها الكفرة مرادكم في قولكم هذه آلهتنا ، وهي تنفعنا وتقربنا زلفى ، ونحو هذا.

وقال ابن زيد والطبري : الإنسان هنا : محمد ، بمعنى أنه لم ينل كرامتنا بتأميل ، بل بفضل الله، أو بمعنى بل إنه تمنى كرامتنا فنالها ؛ إذ الكل لله يهب ما شاء ، وهذا لا تقتضيه الآيات[٢] ، وإن كان اللفظ يعمه »[٣].

هذه المسألة التي وقع فيها الاستدراك فيها أقوال:

(١) جامع البيان (٥٢٣/١١).

(٢) في النسخة القطرية «الآية».

(٣) المحرر الوجيز - النسخة المغربية - (٢٦٩/١٥).



الأول : أن المقصود بالإنسان في قوله : ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ الكفار ، أو الكافر[١] وقد يذكر بعضهم كافراً بعينه ، وأن الآية نزلت فيه[٢].

الثاني: أن المقصود بالإنسان العموم ، وهو مذهب ابن عطية ، وبعض أهل العلم[٣].

الثالث: أن المقصود بالإنسان الرسول ﷺ وهو مذهب ابن زيد والإمام الطبري[٤].

والذي يبدو - والله أعلم - أن أولى هذه الأقوال بالصواب ، ما ذهب إليه ابن عطية - رحمه الله تعالى - لأن لفظ الإنسان ليس خاصاً

---

(١) انظر - مثلاً - الوسيط (٤/٢٠٠) ، ومعالم التنـزيل (٤/٢٥١)، والكشاف (٤/٣١)، وزاد المسير (٨/٧٤)، وتفسير البيضاوي (٢/٤٣١)، وتفسير الخازن (٤/٢٦٤)، وتفسير النسفي (٤/١٩٧)، وفتح القدير (٥/١٠٩)، وفتح البيان (٩/١٧١).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٠٤).

(٣) هو المفهوم من تفسير ابن كثير ، والغرناطي ، وإليه ذهب أبو حيان وابن جزي، وابن عاشور. انظر تفسير ابن كثير (٤/٢٥٥) ، وملاك التأويل (٢/٨٧٧)، والبحر المحيط (٨/١٦١)، والتسهيل (٤/١٣٩)، والتحرير والتنوير (٢٧/١١١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ((١١/٥٢٤) عن ابن زيد ، وكذلك نسبه إليه أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٤/٢٧٣).



بواحد ، أو بفئة معينة بل مطلق مقصود به الجنس ، فيبقى على إطلاقه، ويدخل فيه كل إنسان . وأيضاً فوقوع الجنس في حيز الإنكار المساوي للنفي يجعله عاماً في كل إنسان.

وقد أشار إلى هذا بعض علماء التفسير – غير ابن عطية – فقال ابن جزي – بعد أن ذكر عدة أقوال صدرها بأن المراد بالإنسان جنس بني آدم – : «والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه»(١).

وقال ابن عاشور – عند هذه الآية – : « وتعريف الإنسان تعريف الجنس، ووقوعه في حيز الإنكار المساوي للنفي جعله عاماً في كل إنسان»(٢).

وقال الألوسي – بعد أن ذكر قولاً مفاده حمل النفي في قوله: ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ على سالبة جزئية فيكون المعنى ليس للكفار ما كانوا يطمعون فيه – : «ويفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلي، والمعنى: لا شيء مما يتمناه الإنسان مملوكاً له مختصاً به يتصرف فيه حسب إرادته ، ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ما ذكر، وليس الإنسان خاصاً بهم كما قيل»(٣).

---

(١) التسهيل (١٣٩/٤).

(٢) التحرير والتنوير (١١/٢٧).

(٣) روح المعاني (٥٨/٢٧).



ولعل ابن زيد والطبري يعنيان التمثيل ببعض أفراد العام ، وإنما اختارا الرسول ﷺ لبيان أنه مع كونه أفضل الخليقة ، ليس له من الأمر شيء ، بل ذلك لله سبحانه وتعالى يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويمنع من شاء منهم ما شاء ، فإذا كان ذلك كذلك فغيره من باب أولى ، وهذا فيه أبلغ الرد على الكفار الذين يتمنون على الله الأماني ، ويقول قائلهم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [١].

٣- قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى- : «وقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [٢] يعني تعالى ذكره بعاد الأولى : عاد بن إرم بن عوص ابن سام بن نوح ، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ﴾ [٣] ... وإنما قيل لعاد ابن إرم: عاد الأولى؛ لأن بني لقيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن ضد بن عاد الأكبر كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكاناً بمكة مع إخوانهم من العمالقة ، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم ، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم ، وهم عاد الآخرة ، ثم هلكوا بعد . وكان هلاك عاد الآخرة ببغي

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٠.

(٢) سورة النجم ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة الفجر ، الآية : ٦ ، ٧.



بعضهم على بعض، فتفانوا بالقتل»[١].

ثم ساق الإمام الطبري بسنده «عن ابن إسحاق[٢] ... قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذريته بالريح: عاد الأولى ؛ لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة»[٣].

ثم قال الإمام الطبري: «وكان ابن زيد يقول : إنما قيل لعاد الأولى ؛ لأنها أول الأمم هلاكاً»[٤].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري بأن ما ذهب إليه من أن عاداً أولى، وثانية لم يصح، وأن قول ابن زيد والجمهور أبين منه ، فقال: «وعاد قوم هود، واختلف في معنى وصفها بالأولى ، فقال ابن زيد والجمهور: ذلك لأنها في وجه الدهر وقديمه ، فهي

---

(١) جامع البيان (١١/٥٣٧ ، ٥٣٨).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار ، إمام المغازي صدوق يدلس (ت: ١٥٠هـ) انظر التقريب رقم (٥٧٢٥). وقد تقدم ذكره في بعض الحواشي.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٥٣٨) من طريق شيخه ابن حميد ، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، فذكره. وأخرجه الإمام الطبري أيضاً في تاريخه مطولاً (١/١٣٤، ١٣٥) وفيه ذكر مكة ، وهذا الأثر إسناده ضعيف لأجل شيخ الطبري ابن حميد، لكن يشهد له ما يأتي في الترجيح مما ذكره ابن حجر ونسب إخراجه للإمام أحمد وفيه ذكر مكة أيضاً، وأشياء كثيرة من الرواية التي اختصرها الطبري من تاريخه.

(٤) جامع البيان (١١/٥٣٨) وقد ساق هذا التفسير عن ابن زيد بالسند.

أولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة . وقال الطبري : سميت بالأولى ؛ لأن عاداً أخيرة – وهي قبيلة – كانت بمكة مع العماليق، وهم بنو لقيم بن هزال . والقول الأول أبين ؛ لأن هذا الأخير لم يصح . وقال المبرد: عاد الأخيرة هي ثمود ، والدليل قول زهير[١]:

.... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

... وقيل الأخيرة : الجبارون»[٢].

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

فمنهم من رأى أن تقييد عاد بالأولى في هذه الآية يفيد أن هناك عاداً ثانية[٣] ، وهو قول طائفة من المفسرين على رأسهم قتادة بن دعامة السدوسي وابن جريج والإمام الطبري[٤].

---

(١) البيت في ديوانه ص(٨٢) وهو أيضاً في شرح المعلقات السبع ص(٧٦) . وهو كاملاً:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم.

(٢) المحرر الوجيز (١٤/١٢٦).

(٣) اختلفوا في تعيين الأولى ، والثانية ، وقد أشار ابن الجوزي وابن عطية إلى الأقوال.

(٤) قال قتادة : إرم قبيل من عاد ... أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/٣٧٠) ونقل عنه الماوردي في النكت (٥/٤٠٥) أنه قال: عاداً الأولى قوم هود. والآخرة قوم كانوا بحضرموت. وهذا يفيد أنه يرى هذا القول. وانظر الدر المنثور (٦/١٣١) فقدر ذكر السيوطي أن ابن المنذر أخرجه عن ابن جريج. وممن يرى أن عاداً أولى وثانية الفراء في معاني القرآن (٣/١٠٢)، والزجاج في معاني القرآن (٥/٧٧) ، وأبو الليث السمرقندي في تفسير القرآن (٣/٢٩٥)، والبغوي في معالم التنـزيل (٤/٢٥٦)، والواحدي في الوسيط (٤/٢٠٥)، والكرماني في غرائب التفسير =

وقد حكى ابن الجوزي ما يفيد أن الجمهور على هذا القول، فقال:

«ثم فيهم قولان – يعني ﴿ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ – أحدهما : أنهم قوم هود ، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى ، هذا قول الجمهور . والثاني : أن قوم هود هم عاد الأخرى، وهم من أولاد عاد الأولى ، قاله كعب الأحبار [1] »[2].

ومن المفسرين من يذهب إلى أن عاداً إنما هي واحدة ، ووصفها بالأولى يعني التي كانت في أول الدهر وهو قول ابن زيد وطائفة[3] ، وإليه ذهب ابن عطية.

وقد انقسم الذين يبدو أنهم اطلعوا على قول ابن عطية وترجيحه فريقان:

فالقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي ذكروا القولين دون تعرض لنقد قول الإمام الطبري، ودون ترجيح قول على قول[4].

=

(١١٥٨/٢)، والنسفي في تفسيره (٢٠٠/٤). واقتصر على ذكره أبو عبيدة في المجاز (٢٩٧/٢).

(١) كعب بن ماتع الحميري اليماني ، الحبر العلامة ، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ توفي في أواخر خلافة عثمان. انظر السير (٤٨٩/٣).

(٢) زاد المسير (٨٤/٨).

(٣) ممن ذهب إليه هود بن محكم في تفسير كتاب الله العزيز (٢٤٨/٤)، وابن جزي في التسهيل (١٤٢/٤)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٥٣/٢٧).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٢٠) ، والبحر المحيط (٨/ ١٦٦) ، والجواهر

=

وأما ابن جزي وابن عاشور فجزما بتصحيح ما رجحه ابن عطية ، ورد ما ذهب إليه الإمام الطبري.

قال ابن جزي : «﴿ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ وصفها بالأولى ؛ لأنها كانت في قديم الزمان ، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل: إنما سميت أولى ؛ لأن ثم عاد أخرى متأخرة ، وهذا لا يصح»[1].

وقال ابن عاشـــور: «ووصف عاد بـــ ﴿ ٱلْأُولَىٰ ﴾ على اعتبار عاد اسماً للقبيلة كما هو ظاهر. ومعنى كونها أولى ؛ لأنها أول العرب ذكراً ، وهم أول العرب البائدة ، وهم أول أمة أهلكت بعد قوم نوح. وأما القول بأن عاداً هذه لما هلكت خلفتها أمة أخرى تعرف بعاد إرم ، أو عاد الثانية كانت في زمن العماليق فليس بصحيح»[2].

وبعد : فالذي يبدو – والله أعلم – أن الأبين في معنى الآية هو أن عاداً أولى وثانية ؛ وذلك للأسباب التالية:

١– لما دل عليه ظاهر هذه الآية – ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ – من أن هناك عاداً ثانية ، فهذا أبين من حمل الأولى على أنها التي كانت في

=

الحسان (٣١٦/٤) فقد ذكر الأخيران كلام ابن عطية ، وصرحا برأي الطبري واسمه.

(١) التسهيل (١٤٢/٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٥٣/٢٧).

أول الدهر.

ويعضد الأخذ بمفهوم هذا الوصف، قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾[1] فإن وصفها بعاد إرم تمييز لها عن عـــاد أخـــرى ، قال ابن حجر – رحمه الله تعالى – : «وميزت عاد بالإضافة لإرم ، عن عاد الأخيرة وقد تقدم في تفســـير الأحقاف أن عاداً قبيلتان ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ »[2].

٢- أشارت بعض الأحاديث إلى أن عاداً أولى ، وثانية.

قال الحافظ ابن حجر : «وقد أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن ، عن الحارث بن حسان البكري[3] قال: «خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي[4] إلى رسول الله ﷺ الحديث . وفيه فقلت: أعوذ بالله، وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال: وما وافد عاد؟ – وهو أعلم بالحديث ولكنه يســـتطعمه – فقلت : إن عاداً قحطـــوا ، فبعثوا قيل بن

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٦، ٧، ٨.

(٢) فتح الباري (٧٠٢/٨).

(٣) الحارث بن حسان البكري الذهلي صاحب رسول الله ﷺ . انظر الإصابة (١٥٢/٢).

(٤) العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ (ت : ١٤هـــ). انظر الإصابة (٣٨/٧).

عنـــز، إلى معاوية بن بكر بمكة يستسقي لهم، فمكث شهراً في ضيافته تغنيه الجرادتان، فلما كان بعد شهر خرج لهم فاستسقى لهم[١] ، فمرت بهم سحابات فاختار السوداء منها ، فنودي : خذها رماداً ، لا تبق من عاد أحداً»[٢] ... والظاهر أنه في قصة عاد الأخيرة لذكر مكة فيه ، وإنما بنيت بعد إبراهيم حين أسكن هاجر وإسماعيل بواد غير ذي زرع ، فالذين ذكروا في سورة الأحقاف هم عاد الأخيرة...»[٣].

وأخرج الإمام البخاري عن عائشة[٤] - رضي الله عنها - قالت: «وكان إذا رأى غيماً، أو ريحاً عرف في وجهه ، قالت يا رسول الله : إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال : يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قـــوم بالريـــح ، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا : ﴿ هَـٰذَا

---

(١) هكذا «خرج لهم فاستسقى لهم».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٨١/٣ ، ٤٨٢) - مطولاً - وليس فيه ذكر مكة فلعل الحافظ رآه في مكان آخر من المسند وفيه ذكر مكة . وقد استغرب الحافظ ابن كثير هذا الحديث . انظر تفسيره (١٦١/٤).

(٣) الفتح (٥٧٨/٨ ، ٥٧٩).

(٤) عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين) أفقه نساء الأمة (ت: ٥٧هـ) انظر السير (١٣٥/٢).



عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَا ﴾[١] »[٢].

قال ابن كثير – بعد أن أورد الخبر – : «هذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين ، كما أشرنا إليه أولاً [٣]، فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الأحقاف خبراً عن قوم عاد الثانية ، وتكون بقية السياقات في القرآن خبراً عن عاد الأولى. والله أعلم بالصواب»[٤].

وقال الكرماني[٥] – عند شرحه لهذا الحديث – : « يحتمل أن عـــاداً قومان : قوم بالأحقاف وهم أصحاب العارض ، وقوم غيرهم»[٦].

قلت : علق الحافظ ابن حجر على ما ذكره الكرماني بقوله: «ولا يخفى بعده لكنه محتمل،فقد قال تعالى في سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ فإنه يشعر بأن ثم عاداً أخرى»[٧].

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٤.

(٢) صحيح البخاري – مع الفتح – (٥٧٨/٨) ، كتاب التفسير ، باب فلما رأوه ... ح (٤٨٢٩).

(٣) انظر قصص الأنبياء ص(١٤١).

(٤) قصص الأنبياء ص(١٤٣).

(٥) محمد بن يوسف بن علي الكرماني ، عالم بالحديث ، شرح صحيح البخاري في كتابه «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (ت : ٧٨٦هـ) انظر الأعلام (١٥٣/٧).

(٦) فتح الباري (٥٧٨/٨).

(٧) المصدر نفسه (٥٧٨/٨).



٣- جمهور المفسرين – في ما رأيت – بين مقتصر على أن عاداً أولى، وبين ذاكر للقولين معاً. وهذا يشير إلى أن قول المثبتين أبين في معنى الآية[(١)].

٤- ذكر الطبري وابن الأثير[(٢)] ، وابن كثير في تواريخهم أن عاداً أولى وثانية[(٣)] ، وكذلك ابن إسحاق من قبلهم[(٤)] ، وكذلك من اطلعت على كتبه من أهل الأدب واللغة يذكرون أن عاداً أولى وثانية[(٥)]، فهذا كله

---

(١) وما رجحه القاضي ابن عطية قد نسبه للجمهور – ويظهر أنه يعني بالجمهور جمهور المفسرين – والذي ظهر لي من خلال المراجع التي بين يدي أن قول الجمهور هو ما ذهب إليه الإمام الطبري ، ويدل على ذلك – أيضاً – أن ابن الجوزي قد نسبه إليهم.

(٢) علي بن محمد بن عبد الكريم ، إمام علامة ، محدث، أديب ، مؤرخ (ت : ٦٣٠هـ). انظر السير (٢٢/٣٥٣).

(٣) انظر تاريخ الطبري (١/١٣٥) ، والكامل في التاريخ (١/٦٥)، وقصص الأنبياء ص(١٤٣).

(٤) نعم في صحة السند إلى ابن إسحاق نظر من أجل شيخ الطبري ابن حميد . لكن يرفع هذا النظر ما تقدم أن ذكره الحافظ بقوله: وقد أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن.

(٥) انظر تهذيب اللغة (٣/١٣١) ، ولسان العرب (٩/٤٦٣)، وترتيب القاموس (١/١٣٧) الأول في «عاد» والثاني في «عود» والثالث في «إرم» . وشرح المعلقات السبع ص(٧٦) ، وخزانة الأدب (٢/٢٧٠).



يرشدك إلى أن ترجيح غيره عليه ، أو نفيه بالكلية مسألة فيها نظر. والله أعلم بما كان.

وأما قول القاضي ابن عطية : «لأن هذا الأخير لم يصح» فهو يعني ما فسر به الآية الإمام الطبري، وهو مما رواه عن ابن إسحاق ، من طريق شيخه ابن حميد – إلا قوله : «وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل» – ووصفه بأنه لا يصح بالنظر إلى هذا السند هو كما قال ابن عطية؛ لأن شيخ الإمام الطبري ابن حميد ضعيف . لكن يشهد له ما ذكرته عند تخريجه ، فارجع إليه إن شئت[1].

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾ [2] يدل على نفي قول المثبتين أن عاداً أولى وثانية. فالجواب من وجهين:

الأول : أن المعنى الظاهر فما أبقى عليهم ، بل أخذهم بذنوبهم . قاله ابن عطية وأبو حيان والألوسي[3]. وليس معناه : فما أبقى منهم عيناً تطرف.

الثاني[4]: أن هذا النفي راجع إلى ثمود قاله جماعة من المفسـرين منهم

(١) وانظر أيضاً الرواية كاملة في تاريخ الطبري (١٣٤/١ ، ١٣٥) . وقارنـها بما في مسند الإمام أحمد (٤٨١/٣، ٤٨٢).

(٢) سورة النجم ، الآية : ٥١.

(٣) انظر المحرر الوجيز (١٣٠/١٤)، والبحر المحيط (١٦٦/٨)، وروح المعاني (٧٠/٢٧).

(٤) انظر نظم الدرر (٧٨/١٩).



الطبري ، والواحدي، والبغوي[١].

(١) انظر جامع البيان (١١/٥٣٨)، والوسيط (٤/٢٠٥)، ومعالم التنـــزيل (٤/٢٥٦).



سورة الحديد

۞ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوماً من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول، وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقررت صحته عندكم ، بالأعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري ما ذهب إليه في معنى الآية بأنه ليس في لفظ الآية ، وفيه إضمار كثير . فقال : «وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ قال الطبري: المعنى: إن كنتم مؤمنين في حال من الأحوال فالآن. وهذا معنى ليس في لفظ الآية ، وفيه إضمار كثير. وإنما المعنى عندي أن قول الله تعالى : ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يقتضي أن يقدر بأثره: فأنتم في رتب شريفة ، وأقدار رفيعة إن كنتم مؤمنين ، أي إذا دمتم على ما بدأتم به»[3].

---

(١) جامع البيان (١١/٦٧٢).

(٢) جامع البيان (١١/٦٧٢).

(٣) المحرر الوجيز (١٤/٢٩٠).

لا شك أن جواب الشرط في قوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ محذوف وقد اختلف أهل العلم في تقديره على أقوال، فالطبري وابن عطية يقولان ما سمعت ، وقيل – أيضاً – : إن كنتم مؤمنين بما أخذ عليكم من الميثاق. وقيل: إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل . وقيل: إن كنتم مؤمنين بسبب من الأسباب فهذا من أعظم أسبابه وأوضح موجباته[(١)].

وقيل غير هذا مما يطول ذكره ، ولا يضر حذفه[(٢)].

وقد قدَّر البغوي والخازن نحو ما قدَّره الإمام الطبري في جواب الشرط[(٣)].

وذكر أبو حيان قول الطبَري وابن عطية منسوبين إليهما ، وذكر غيرهما من الأقوال ، إلا أنه أعرض عن ذكر استدراك ابن عطية على الطبري[(٤)] ، فكأنه – والله أعلم – لا يراه.

وأشار الثعالبي إلى شيء من قول ابن عطية ، ولم يذكر قول الطبري ، ولا اعتراض القاضي[(٥)].

(١) انظر فتح القدير (١٦٧/٥).

(٢) انظر إعراب القرآن (٣٥٢/٤) ، والبحر المحيط (٢١٨/٨)، وروح المعاني (١٧٠/٢٧ ، ١٧١).

(٣) انظر معالم التنـزيل (٢٩٤/٤)، وتفسير الخازن (٣١/٤).

(٤) انظر البحر (٢١٨/٨).

(٥) انظر الجواهر الحسان (٣٦٢/٤ ، ٣٦٣).



وكذلك الألوسي ذكر قول الطبري وابن عطية ، وأقوالاً أخرى لم يصدر بها تفسير الآية[١] ثم قال بعدها : «والكل كما ترى»[٢].

وهذه العبارة يذيل بها الأقوال التي لا تعجبه ، فحقيقتها نقد لقول الطبري وابن عطية ، وغيرهما من الأقوال.

وبعد : فالذي يظهر – والله أعلم – أن ما قدَّره الإمام الطبري ينحو بالآيات إلى أنها خطاب مع من لم يؤمن ، وما قدَّره ابن عطية ينحو إلى أن الخطاب فيها مع من قد آمن ، وهما قولان معتبران قد قيل بكل منهما[٣].

وما علل به القاضي ابن عطية لدفع قول الإمام الطبري لازم – في نظري – على ما ارتضاه هو في معنى الآية ؛ لأنه يمكن أن يقال : قولك : (فأنتم في رتب شريفة وأقدار رفيعة) ليس هذا المعنى في لفظ الآية ،

---

(١) الذي صدر به في تقدير الجواب . أن قال : إن كنتم مؤمنين لموجب ، فهذا موجب لا موجب وراءه . وهو قول الزمخشري في الكشاف (٦٢/٤).

(٢) روح المعاني (١٧١/٢٧).

(٣) انظر التحرير والتنوير (٣٦٨/٢٧-٣٧١)، وروح المعاني (١٧١/٢٧). فقد أشارا إلى القولين . ولأجل مثل هذه الآيات اختلف في مدنية السورة ومكيتها . انظر الإتقان (٣٨/١). والواحدي نحى في الوسيط (٢٤٥/٤) في تفسير الآية وما قبلها وما بعدها إلى أن الخطاب فيها للكفار وعكس ذلك ابن كثير في تفسيره (٣٠٦/٤). وجوز الشوكاني في فتح القدير (١٦٧/٥) أن يكون الخطاب في قوله: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ لجميع الناس.

وهو مســـاو في الإضمار لما ذكره الطبري ، بل هو أكثر. فما كان جواباً للقاضي فهو للطبري.

ولو بقينا عند التمسك باللفظ لكان الأولى أن يكون التقدير: إن كنتم مؤمنين فقد أخذ ميثاقكم. فتبيَّن بهذا أن استدراك القاضي ابن عطية غير وارد على الإمام الطبري . والله أعلم.



سورة الجن

قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : « واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ ﴾[1] فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أخر بالفتح منها ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾[2] ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [3] ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾[4]﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾[5] ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[6]﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾[7] وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف. أحدها: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾ والثانية ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ والثالثة ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ وأما قراء الكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما في آخر سورة النجم، وأول سورة الجن إلا قوله: ﴿ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا ﴾[8] وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟

(١) سورة الجن ، الآية : ٣.

(٢) سورة الجن ، الآية : ١.

(٣) سورة الجن ، الآية : ١٨.

(٤) سورة الجن ، الآية : ٤.

(٥) سورة الجن ، الآية : ٦.

(٦) سورة الجن ، الآية : ١٩.

(٧) سورة الجن ، الآية : ١٦.

(٨) سورة الجن ، الآية : ١.

رَبِّي ﴾(١) وما بعـده إلى آخر الســورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ فإنه كان يفتحها . وأما أبو عمرو فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ فإنه كان يفتح هذه وما بعدها...»(٣).

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري ما حكاه عن أبي عمرو من أنه كان يكسر جميعها فقال: «وحكى الطبري عن عاصم أنه كان يكسر كل ألف في السورة من (أن) و (أنه) إلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ (٤) وحكى عن أبي عمرو أنه كان يكسر مـن أولهـا إلى قوله تعـالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ (٥) ، فإنه كان يفتح هـذه وما بعـدها إلى آخر الســورة ، فعلى ما حكى يلزم أن تكـون الألــف مكســورة في قولــه تعــالى: ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ وليس ما ذكر

---

(١) سورة الجن ، الآية : ٢٠.

(٢) سورة الجن ، الآية : ٢٨.

(٣) جامع البيان (٢٦١/١٢).

(٤) سورة الجن ، الآية : ١٨.

(٥) سورة الجن ، الآية : ١٦.



بثابت»[١] ثم نقل عن أبي علي الفارسي مذاهب القراء السبعة في الفتح والكسر إلى أن قال: «فترتب إجماع القراء على فتح الألف من ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ ...»[٢].

بيان هذا الاستدراك أن القاضي ابن عطية يرى أن الإمام الطبري ذكر مذهب أبي عمرو بلفظ يلزم عليه أن الألف من قوله: ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ مكسورة، وليس الأمر على ما ذكر فإن الثابت عن أبي عمرو أن الألف مفتوحة.

وهذه المسألة البحث فيها من وجهين:

الأول: التأكد من مذهب أبي عمرو البصري في ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾.

والثاني: هل ما ذكره الإمام الطبري عن أبي عمرو يلزم عليه ما ذكره القاضي ابن عطية؟.

فأما مذهب أبي عمرو في هذا الحرف فقد نص القراء المختصون على أنه كان يقرأ ذلك بفتح الألف[٣]، بل الفتح مجمع عليه بين

---

(١) المحرر الوجيز (١٥/١٢٨).

(٢) المصدر السابق (١٥/١٢٩).

(٣) ممن نص على ذلك الأزهري في علل القراءات (٢/٧١٩)، والأصبهاني في المبسوط ص(٤٤٨)، وأبو علي الفارسي في الحجة (٦/٣٣٠)، ومكي في الكشف (٢/٣٣٩)، والقلانسي في كتابه إرشاد المبتدي، وتذكرة المنتهي ص(٦٠٨)، وابن =



القـــراء[1] .

وأما من حيث اللزوم ، وعدمه فالمتأمل في كلام الإمام الطبري يرى أن استدراك ابن عطية عليه هو كما قال ؛ لأنه لم يقتصر في ذكر مذاهب القراء على قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ ﴾ [2] وما بعدها حتى نرجع قوله: «وأما أبو عمرو فإنه كان يكسر جميعها» إلى ذلك ، بل بدأ بالآية المذكورة ثم رجع إلى ذكر مذاهـــب القـــراء في أول حرف وهو قوله : ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ وما بعـــده ، ثم نسق على كل ذلك بمذهب أبي عمرو البصري فلزم على هذا التعميم ما قاله القاضي.

وقد يكون الإمام الطبري يعني بقوله : « وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعـــها إلا قولـــه...» أول موضع ذكره وهـــو قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ ﴾ [3] وما بعده فيستقيم كلامه ، ولا يلزم عليه ما ذكره القاضي، إلا أن هذا الاحتمال فيه بعد ، يدفعه ظاهر كلام الإمام الطبري. والله أعلم .

=

الجزري في النشر (٢/٣٩١).

(١) انظر الدر المصون (١٠/٤٨١)، وإتحاف فضلاء البشر ص(٤٢٥).

(٢) سورة الجن ، الآية : ٣.

(٣) سورة الجن ، الآية : ٣.



سورة الإنسان

✿ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ ...﴾[1] يقول تعالى ذكره : نحن خلقنا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾ وشددنا خلقهم ، من قولهم : قد أسر هذا الرجل فأحسن أسره ، بمعنى: قد خلق فأحسن خلقه... وقال آخرون : الأسر : المفاصل... وقال آخرون : بل هو القوة ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه ، وذلك أن الأسر هو ما ذكرت عند العرب... ومنه قول العامة: خذه بأسره . أي هو لك كله»[2].

واستدرك القاضي ابن عطية – رحمه الله تعالى – على الإمام الطبري نسبته قوله : «خذه بأسره» إلى العامة فقال – بعد أن ذكر الأقوال التي ذكرها الإمام الطبري في معنى ﴿أَسۡرَهُمۡ﴾ – : «قال الطبري: ومنه قول العامة : « خذه بأسره » يريدون : خذه كله . قال القاضي أبو محمد رحمه الله : وأصل هذا في ما له شـد ورباط كالعظم ونحوه ، وليس هذا مما يختص بالعامة ، بل هو من فصيح كلام العرب ، اللهم إلا أن يريد بالعامة: جمهور العرب»[3].

---

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٢٨ .

(٢) جامع البيان (١٢/٣٧٤ ، ٣٧٥).

(٣) المحرر الوجيز (١٥/٢٥٣ ، ٢٥٤).

الذي يبدو - والله أعلم - أن هذا الاستدراك وارد على الإمام الطبري ؛ لأن قوله : إن الأسر هو الخلق عند العرب ، ثم قوله بعد ذلك : ومنه قول العامة خذه بأسره ، يفيد أن الأخير مختص بالعامة، وهذا خلاف ما في كتب اللغة فإنهم يذكرون هذا المعنى على أنه من كلام العرب الفصيح ، ففي تهذيب اللغة واللسان «جاء القوم بأسرهم ... معناه جاءوا بجميعهم وخلقهم »[(١)].

وقال أبو جعفر النحاس : «يكون من قولهم : ما أحسن أسر هذا الرجل أي خلقه ، ومن هذا أخذه بأسره أي بجملته وخلقته لم يبق منه شيئاً »[(٢)].

وفي مختار الصحاح : «وهذا لك بأسره أي بقده يعني جميعه كما يقال برمته»[(٣)].

وفي المعجم الوسيط : «ويقال هذا الشيء لك بأسره : كله . وجاءوا بأسرهم: جميعهم»[(٤)].

وفي المصباح المنير : «... وخذه بأسره، أي جميعه»[(٥)].

(١) تهذيب اللغة (٦٢/١٣)، ولسان العرب (١٤٠/١) كلاهما في «أسر».

(٢) إعراب القرآن (١٠٨/٥).

(٣) مختار الصحاح ص(٢١) «أسر».

(٤) المعجم الوسيط (١٧/١) «أسر».

(٥) المصباح المنير ص(٦) «أسر».



وقد أحسن القاضي ابن عطية في الاعتذار عن الإمام الطبري ، وإن كنت لم أر في ما اطلعت عليه من يذكر خلافاً في هذا المعنى حتى يقال: إن الطبري يقصد بالعامة : جمهور العرب.

فلعل الإمام الطبري أراد بقوله : ومنه قول العامة ... إلخ أن هذا مما اشتهر على ألسنتهم ، وهو في الأصل من فصيح كلام العرب، أو يكون أراد بالعامة الجميع.

سورة الليل

❁ قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : «القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ... ﴾ [(١)] كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى : وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى ﴿ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ يعني من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك ، ويعطي ما يعطي ، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده ، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه ، أنعمها عليه ، ولكن يؤتيه في حقوق الله ابتغاء وجه الله . قال: وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن ، وقال: يجوز أن يكون الفعل في المكافأة مستقبلاً فيكون معناه: ولم يرد بما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده ، فكأنك قلت : وما له عند أحد في ما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها ، قال وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان معروفاً، واستشهدوا لذلك ببيت النابغة [(٢)]:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وعل في ذي المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي . وهذا الذي قاله

---

(١) سورة الليل ، الآية : ١٩ .

(٢) هو النابغة الذبياني ، والبيت في ديوانه ص(٩٤). وفي إعراب القرآن (٥/٢٤٥) ، ومعجم البلدان (٥/١٧٢)، ولسان العرب (٤/٢٤٨) «خوف».



الذي حكينا قوله من أهل العربية ، وزعم أنه مما يجوز هو الصحيح الذي جاءت به الآثار عن أهل التأويل ، وقالوا: نزلت في أبي بكر بعتقه من أعتق»[١].

واستدرك القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - على الإمام الطبري الأسلوب الذي جاء به في معنى الآية آخراً بأنه غير مغن ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر منه فقال: «وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ ﴾ الآية. المعنى: وليس إعطاؤه ليجزي نعماً قد أُزلّت[٢] إليه ، بل هو مبتدئ ابتغاء وجه الله تعالى ورُوي في سبب هذا أن قريشاً قالوا لما أعتق أبو بكر بلالاً كانت لبلال عنده يد. وذهب الطبري إلى أن المعنى : وليس يعطي ليبث نعماً يجزى بها يوماً ما ، وينتظر ثوابها ، وحوَّم في هذا المعنى وحلق بتطويل غير مغن. ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر من قوله ، وذلك أن التقدير : وما لأحد عنده إعطاء ليقع عليه من ذلك لأحد جزاء ، بل هو لمجرد ثواب الله تعالى وجزائه»[٣].

---

(١) جامع البيان (١٢/٦١٩ ، ٦٢٠).

(٢) أُزلّت : أي أُسديت . انظر اللسان (٦ /٧٣) «زلل».

(٣) المحرر الوجيز - المغربية - (١٦/٣١٨) ولعل هذا النص أوضح من النص نفسه في النسخة القطرية الذي جاء فيه: «وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ ﴾ الآية . معناه : وليس إعطاؤه ليجزي نعماً قد أنزلت إليه ، بل هو مبتدي ابتغاء وجه الله تعالى. وروي في سبب هذا أن قريشاً قالوا - لما أعتق أبو بكر رضي الله عنه بلالاً - :

=

هذه المسألة البحث فيها من وجوه:

الأول : الذي تبين لي أن الطبري يعني بقوله : «كان بعض أهل العربية... إلخ» الفراء فالقول الذي نقله الطبري موجود بتمامه في معاني القرآن[1].

الثاني : لم يستبعد القاضي ابن عطية ما جوزه الفراء ، واعتبره الإمام الطبري صحيحاً ، بل اعترض على الأسلوب الذي أُدي به ذلك المعنى ، وجاء هو بأسلوب يرى أنه خال عن التطويل ، ويتجه المعنى الذي أراده الطبري عليه .

الثالث : في نظري أن هذا الاستدراك غير وارد على الإمام الطبري ، ومن قبله الإمام الفراء؛ لأن التطويل الذي جاء في أسلوب الفراء — وتبعه الطبري عليه – لابد منه في إيضاح هذا القول ، إذ هو قول غامض يحتاج إلى شـــرح وتطـــويل ، وما ذكراه من شـــرح وتطويل مغن في بيان المعـــنى الذي أرادا؛ ولذلك لم يعتـــرض من اطلع على قول الفـــراء على

=

كانت لبلال يد عنده. وذهب الطبري إلى أن المعنى : وليس يعطي ليثاب نعماً يجزى بها يوماً وينتظر ثوابها . وحوم في هذا المعنى وحلق بتطويل غير مغن، ويتجه المعنى الذي أراد بأيسر من قوله ، وذلك أن يكون التقدير: وما لأحد عنده إعطاء ليقع عليه من ذلك الأحد جزاء بعد، بل هو لمجرد ثواب الله تعالى وجزائه» (١٥/٤٨٤ ، ٤٨٥) .

(١) انظر معاني القرآن (٣/٢٧٢ ، ٢٧٣).



الأســـلوب، وإنما اعترض على القول ذاته[1].

الرابع : الذي يبدو أن التقدير الذي قدره ابن عطية ، ووصفه بأنه أيسر موافق للوجه المشهور الذي نقله الطبري عن الفراء بقوله: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى ﴿ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ يعني من يد يكافئه عليها ... إلخ . وليس موافقاً لما جوَّزه المعترَض عليه وجهاً ثانياً، ومثل له بقوله : فكأنك قلت : وما له عند أحد في ما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها.

واعتراض ابن عطية إنما هو على الوجه الثاني حسبما أورد من كلام المعترَض عليه ، فكان ينبغي أن يكون التقدير موافقاً للوجه الثاني الذي حلق فيه الطبري وحوَّم[2].

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس (٥/٢٤٤ ، ٢٤٥) وسيأتي شيء من كلام المعترِض.

(٢) ليس في ما نقل الطبري عن الفراء تصريح بالوجهين ، إلا أنك إذا رجعت إلى كلام الفراء وجدته قد صرح بأن ما ذكره وجهان في الآية ، وإليك نص كلامه – الذي نقله الطبري – حيث قال: «وقوله عز وجل ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ يقول: لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده ، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه ، فإلا في هذا الموضع بمعنى لكن. وقد يجوز أن تجعل الفعل في المكافأة مستقبلاً فتقول : ولم يرد مما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام التي في أحد ، في الهاء التي خفضتها عنده ، فكأنك قلت : وما له عند أحد في ما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها. وكلا الوجهين حسن. قال الفراء: وما أدري أي الوجهين أحسن ، وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان المعنى معروفاً ، وقد قال الشاعر:

=

ولعل القاضي ابن عطية قد اعتبر الوجه الثاني في معنى الوجه الأول، وإلى هذا يشير كلام أبي جعفر النحاس، الآتي في الوجه الخامس .

الخامس : هذا الوجه الذي قيل : إنه مما يجوز في الآية جعله أبو جعفر النحاس في معنى القول الأول، واعترض على الفراء أن جعله من المقلوب فقال: «أي ليس يتصدق ليكافئ إنساناً على نعمة أنعم بها عليه. وفي معناه قول آخر ذكره الفراء : يكون للمستقبل : أي ليس يتصدق ليكافأ على صدقته. على أن الفراء جعله من المقلوب ، بمعنى : وما له عند أحد نعمة تجزى ، وأنشد:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وعل في ذي المطارة عاقل

وتأوله بمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي. قال أبو جعفر: لا يجوز أن يحمل كتاب الله على القلب والاضطرارات البعيدة»[1].

قلت : وقد عد الكرماني القول بالقلب قولاً غريباً[2].

وحق لهذا القول أن يكون بعيداً غريباً ، سيما وأن معنى الآية ظاهر لا يحتمل إلا القول الأول، والبيت الذي استشهد به الفراء قد قال غيره

=

لقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وعل في ذي المكاره عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي...» معاني القرآن (٢٧٢/٣ ، ٢٧٣).

وقوله : «ذي المكاره» كذا في معاني الفراء المطبوع ، والصواب «ذي المطارة».

(١) إعراب القرآن (٢٤٥/٥).

(٢) انظر غرائب التفسير (١٣٥١/٢).



الشاهد فيه : حذف المضاف ، والتقدير: حتى ما تزيد مخافتي على مخافة وعل[1] . والله أعلم.

(١) انظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/٧٨٦).

الخاتمة



الخاتمة : أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث

بعد هذه الجولة - التي أسأل الله أن يجعلها مباركة مقبولة - في هذا الموضوع (**استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان – عرضاً ودراسة**) ظهرت لي بعض النتائج أُدوّن أهمها في ما يلي:

١ــ ظهر لي أن جامع البيان أهم مصدر اعتمد عليه ابن عطية في المحرر الوجيز، وهو يصرح بالنقل عنه غالبا[1].

٢ــ اتفق ابن عطية مع الطبري في مواضع كثيرة مما نقل أو قال، أحسب أنها تزيد على المواضع التي أخذها عليه[2].

٣ــ القاضي ابن عطية محقق ناقد، نقل أقوالا كثيرة في معاني الآيات، ونقد الضعيف منها ورده، مهما كان قائله، ولهذا لم تكن استدراكاته على الطبري فحسب بل على كثير من المفسرين والمعربين، حتى أنه تجرأ – عفا الله عنه – على رد بعض أقوال الصحابة والتابعين [3].

فمن سوى هؤلاء من باب أولى أن يرد عليه ، مثل مكي والمهـــدوي

---

(١) انظر مثلاً من المحرر الوجيز (١/ ٣٣، ٣٤، ٨٢، ١٥٦، ١٦٩، ١٨١، ١٨٥، ٢١٢) .

(٢) انظر مثلاً من المحرر الوجيز (١/ ٢٤٨، ٢٦٠)(٣/ ١١٩)(٤/ ٢١١) (٦/١٥٣) (٧/١٨٥) (٩/ ٢١٤) .

(٣) انظر مثلاً من المحرر الوجيز (٦/ ٢٨، ١٤١)(٥/١٩٥) (٢/٣١٩، ٣٥٣، ٣٧٥) (٣/٤٧، ٤٨) (٤/ ٢٨٢) (٦/ ٥٠٧) (٨/١١٣، ٤٦٠، ٤٦١) .



والفارسي ومنذر بن سعيد[١] .

٤- هذه الاستدراكات التي أوردها أبو محمد على الإمام الطبري كان معظمها في مواطن تجد أن العلماء قد حصل بينهم الخلاف فيها[٢].

٥- وجدت أن طائفة من هذه الاستدراكات ، كانت استدراكاً على استدراك ، وفوق كل ذي علم عليم[٣].

٦- ظهر لي أن طائفة من هذه الاستدراكات قد شارك القاضي ابنَ عطية غيرُه في إيرادها على الإمام الطبري[٤].

٧- تنوع موضوعات استدراكات ابن عطية ، منها ما هو في التفسير[٥] ، ومنها ما هو في اللغة العربية بفنونها

---

(١) انظر مثلاً من المحرر الوجيز (٢/ ٢٣١، ٤٣، ٥٥، ٢٣٢، ٣٥٣) (١/ ١٧١) (١٣/ ٤٥٥، ٤٥٦) .

(٢) انظر - مثلاً - سورة الأعراف ، الآية : ١٤١ ، ٦٩ ، وسورة الأنفال ، الآية : ٣١ ، وسورة التوبة ، الآية : ٨٠، ١٢٢، وسورة يونس ، الآية : ٨٧، ٩٨، وسورة هود ، الآية : ٣٥، ١١٤ ، وسورة إبراهيم، الآية : ٧، ١٦، وسورة الحجر، الآية : ٧٢، وسورة الإسراء، الآية : ٣٦، وسورة طه ، الآية : ٧١.

(٣) انظر - مثلاً - سورة البقرة، الآية: ٢٣٩، وسورة النساء ، الآية : ٣٨، وسورة المائدة، الآية : ٤٨، ٦٠، وسورة الأنعام ، الآية : ٧٠.

(٤) انظر - مثلاً - سورة الفاتحة ، الآية : ١ ، وسورة النساء ، الآية : ٣٤، وسورة يونس، الآية : ٥١، وسورة القصص ، الآية : ٦٨.

(٥) هذا كثير ، انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٩١، ٢٠٥، ٢٢٢، =

المتنوعة[١] ، ومنها ما هو في الفقه[٢] ، ومنها ما هو في العقيدة[٣] ، ومنها ما هو في الأثر والحديث[٤]، ومنها ما هو في توجيه القراءات [٥].

٨- بعض هذه الاستدراكات تلمس فيه الاتجاه المذهبي ، في النحو، أو في الفقه، أو في العقيدة[٦].

٩- يتصرف القاضي ابن عطية - غالباً - في نقل كلام الإمام الطبري

=

وســـورة المائدة ، الآيـــة : ١٠٩، وسورة الأنفال ، الآية : ٦٠، وسورة التوبة ، الآية : ١٢٢.

(١) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٧٣، ٢١٣، ٢١٩، وسورة آل عمران، الآية : ١٨، ١٩، ٤٨، وسورة النساء ، الآية : ٣٦، ٨٥، وسورة الأنعام، الآية : ١، وسورة يونس ، الآية : ١، وسورة لقمان، الآية : ١٨.

(٢) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ١٩٦، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٤١، وسورة المائدة، الآية : ١٠٦.

(٣) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة ، الآية : ٢٦، وسورة الرعد، الآية : ٢ المسألة الثانية .

(٤) انظر من هذا البحث - على سبيل المثال - سورة الأنعام ، الآية : ٥٢، وسورة الأعراف ، الآية: ٤٠، والكهف، الآية: ١٠٠، وسورة الروم، الآية : ١-٦.

(٥) انظر - على سبيل المثال - سورة آل عمران ، الآية: ٨٠، وسورة فصلت ، الآية : ١٦، وسورة ق، الآية: ١٩.

(٦) انظر - على سبيل المثال - سورة البقرة، الآية: ٢٣٧، ٢٤١، ٢٦٠ المسألة رقم (٢٧)، وسورة الرعد ، الآية: ٢، المسألة الثانية.



فيؤديه بالمعنى، مما قد يؤدي - أحياناً - إلى وجود فرق بين ما نسبه القاضي ابن عطية إلى الإمام الطبري ، وما قاله حقيقة[١].

١٠- تبين لي أن بعض الاستدراكات التي أوردها القاضي ابن عطية كان سببها أنه لم يقرأ كل ما ذكره الإمام الطبري في المسألة ، أو قرأه لكن أهمل الاعتداد به[٢].

١١- ترك أبو محمد ذكر الدليل والتعليل في طائفة من استدراكاته على الإمام الطبري[٣]، خصوصاً في الاستدراكات المتعلقة باللغة العربية ، فهو يكتفي بقوله - مثلاً - : فيه نظر ، ليس بصحيح، أو نحو هذا.

وفي نظري أن هذا يضعف من قوة الاستدراك . نعم أبو محمد يخاطب علماء تكفيهم الإشارة عن تطويل العبارة ، لكن كان الأولى به أن يُبين عن حجته ؛ إذ ذلك يجعل للاستدراك قوة وقيمة علمية، ولأن الخلاف في مسائل اللغة العربية ليس بضربة لازب، فلابد من ذكر الدليل كاملاً.

---

(١) انظر - على سبيل المثال - سورة الأنعام، الآية: ٧٠، وسورة يوسف، الآية: ٧٠، وسورة الكهف، الآية: ١٢، وسورة الفتح، الآية : ١٨.

(٢) انظر سورة الفاتحة ، الآية: ٧ المسألة الثانية ، وسورة الأعراف، الآية: ١٠٩، وسورة يوسف، الآية: ٧٠.

(٣) انظر - مثلاً - سورة آل عمران ، الآية: ٤٨، ٩١، وسورة المائدة ، الآية : ٦٠، ١٠٦، وسورة الأنعام، الآية: ٧١، ٩٩، وسورة الأنفال ، الآية: ١، وسورة النحل، الآية : ٨، ٦٨.



١٢- لم أجد لبعض ما استدركه القاضي ابن عطية ذكراً في نسخ تفسير الإمام الطبري التي بين يدي[1].

١٣- آثر القاضي ابن عطية التلميح والإشارة ، بدل التصريح والإبانة في طائفة من استدراكاته[2].

١٤- ظهر لي أن القاضي ابن عطية كان يلتزم الأدب في الرد على الإمام الطبري – غالباً- ، فهو يبتعد عن عبارات التجريح التي هي أقرب إلى الشتم والسباب ، نعم القاضي ابن عطية قد يستخدم بعض العبارات القاسية التي تستعمل أحياناً في مجال الردود العلمية كقوله : أخطأ ، وهم، غلط ، قوّله ما لم يقل[3].

١٥- طائفة من استدراكات ابن عطية انصبت على نقد الطبري في إدخاله تحت التراجم ما لا يدخل[4].

---

(١) انظر سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦، وسورة المائدة ، الآية : ١٠٩، وسورة يوسف، الآية : ٧٠.

(٢) انظر – مثلاً – سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢، وسورة الأنعام ، الآية : ١٥٣، وسورة الأعراف، الآية: ١٠٩، وسورة التوبة، الآية : ١٢٢، وسورة طه ، الآية : ٧١، وسورة الجاثية ، الآية : ٧.

(٣) انظر – مثلاً – سورة البقرة، الآية: ١١٧، ١٤٧، ٢٤٠، ٢٤١، وسورة آل عمران، الآية: ٤٨، ٨٠، وسورة التوبة، الآية: ٤٣ ، المسألة الثانية . وهذه الأمثلة على ما وصفته بأن فيه نوعاً من القسوة.

(٤) انظر – مثلاً – سورة البقرة ، الآية : ٢٨٠، وسورة آل عمران، الآية : ٤٥، =



١٦- طائفة من استدراكات القاضي ابن عطية كانت مبنية على فهمه لكلام الإمام الطبري الذي قد يخالفه غيره في هذا الفهم[١].

١٧- بعض استدراكات القاضي ابن عطية كان سببها اختلافه مع الإمام الطبري في فهم كلام مفسر قد سبق زمانهما[٢].

١٨- بلغ عدد الاستدراكات أكثر من مئتي استدراك[٣] ، تبين لي أن أكثرها وارد على الإمام الطبري، أو يترجح فيه جانب القاضي ابن عطية[٤] . ولم يترجح جانب على جانب في عدد يسير[٥].

=

وسورة المائدة، الآية: ١١، وسورة الحج، الآية: ٤٠.

(١) انظر سورة التوبة ، الآية : ٤٣ ، المسألة الأولى ، وسورة الفرقان ، الآية : ٥٧، وسورة القصص ، الآية : ١٧.

(٢) انظر - مثلاً - سورة المائدة ، الآية : ٢.

(٣) هي ثمانية ومئتا استدراك.

(٤) الذي ورد على الإمام الطبري ، أو ترجح فيه جانب القاضي ابن عطية تسعة عشر ومئة استدراك ، وثمانون استدراكاً لم يرد فيها استدراك القاضي ابن عطية على الإمام الطبري، أو ترجح فيها جانب الإمام الطبري.

(٥) تسعة استدراكات ما بين مصحح فيها قول كل إمام ، أو متوقف فيها ، أو مرجح فيها غير قول الإمام الطبري والقاضي ابن عطية .

الفهارس


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies
تفسير



الفهارس

١- فهرس آيات القــرآن الكريم

٢- فهرس الأحاديث الشــريفــة

٣- فهرس الآثــــــــار

٤- فهرس الأشعــــــــار

٥- فهرس الأعـــــــلام

٦- فهرس المصــادر والمراجــع

٧- فهرس الموضوعــــــات

١- فهرس آيات القرآن الكريم

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة الفاتحة	
٢	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١١٠
٧	﴿ ...وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩
	سورة البقرة	
١٦	﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾	٨٠١
١٩	﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ... ﴾	١٣٥، ١٣٦، ١٤٠
٢٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾	١٤٤، ١٤٧
٣١	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴾	٦٨٢
٤٠	﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ ... ﴾	١٤٨
٤٧	﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ... ﴾	٦٦٩
٤٨	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ... ﴾	٦٦٩
٤٩	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ... ﴾	٦٧٠
٥٠	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ... ﴾	٦٧٠
٥١	﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾	٣١٢
٥٤	﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾	٥٣٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٣	﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	١٥٠، ١٥٣
٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾	١٥٤
٧٩	﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ...﴾	١٠٣٦
٨٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	٤٩٩
٩٠	﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾	١٣٢
١٠٦	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ....﴾	٨٨٥
١١٧	﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن ...﴾	١٥٦، ١٥٨
١٣٣	﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ....﴾	١٥٩
١٤٣	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾	٥١٤، ٥٧٦
١٤٦	﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ...﴾	٤١٣
١٤٧	﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾	١٦٢
١٤٨	﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	١٦٥
١٧٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن ...﴾	١٢٠
١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ...﴾	١٦٨، ١٧٧
١٨٠	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ...﴾	٤٥٧، ٤٥٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٩١	﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾	١٧٧
١٩٦	﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى...﴾	١٧٨
٢٠٤	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ...﴾	١٨٥، ١٨٧
٢٠٥	﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾	١٨٢، ١٨٤
٢١٣	﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ ...﴾	١٨٩، ١٩١
٢١٩	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾	١٩٣
٢٢١	﴿... وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٠٧
٢٢٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾	١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥
٢٣٠	﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ...﴾	٩٤٣
٢٣٤	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ ...﴾	٢١٦، ٢١٧
٢٣٦	﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ.....﴾	٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦
٢٣٧	﴿... أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾	٢٠٨، ٢١١
٢٣٩	﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم...﴾	٢١٢
٢٤٠	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا	٢١٥، ٢١٦، ٢١٧،

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ...﴾	٢١٩، ٢٢٠
٢٤١	﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا...﴾	٢٢٢-٢٢٦
٢٤٣	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ ...﴾	٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١
٢٥٤	﴿... مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ...﴾	٢٢٧- ٢٢٩ ، ٢٣١
٢٥٥	﴿... وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾	٦٢، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٩-٢٤٢
٢٥٦	﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ ...﴾	٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨
٢٥٨	﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾	٢٦٦
٢٥٩	﴿...قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ...﴾	٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١- ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠
٢٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾	٢٦٠، ٢٦٢- ٢٦٨، ٢٧٠- ٢٧٧، ٢٨٠
٢٦١	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾	٢٨٠
٢٦٤	﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ...﴾	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠
٢٦٥	﴿...كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ ...﴾	٢٨٣

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٦٦	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ...﴾	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢
٢٧٣	﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾	٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤
٢٧٩	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ...﴾	٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩
٢٨٠	﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ...﴾	٣١٢، ٣١٣
٢٨٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ...﴾	٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٧- ٣٣٠، ٣٣٢-٣٣٥، ٣٣٩-٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨، ٥٦٩، ٥٧٢
٢٨٣	﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾	٣١٧، ٣١٩-٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٠ ، ٥٧٤
٢٨٤	﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ...﴾	٣٥٦، ٣٥٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٨٦	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦١
	سورة آل عمران	
١٤	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ...﴾	٣٦٢- ٣٦٧
١٨	﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾	٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٥
١٩	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	٣٦٩- ٣٧٣، ٣٧٥
٢٧	﴿..وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ...﴾	١٧٣
٣٤	﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٧٩، ٣٨١- ٣٨٣، ٣٨٥
٣٥	﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ...﴾	٣٧٩- ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤
٣٨	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ...﴾	٣٧٥، ٣٧٧
٣٩	﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى...﴾	٣٧٨، ٩١٠
٤٢	﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ...﴾	٣٧٨- ٣٨٣، ٤٠٧
٤٤	﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾	٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢،

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
		٣٩٣
٤٥	﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ...﴾	٣٦٨، ٣٨٩-٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٥
٤٦	﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ...﴾	٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٤
٤٧	﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا...﴾	٣٨٨- ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٦
٤٨	﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾	٣٨٨-٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦
٤٩	﴿... قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢
٥٠	﴿... وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٣٩٧، ٣٩٨
٥١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا...﴾	٣٩٧- ٤٠٢
٥٤	﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٤٠٣، ٤٠٦
٥٥	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ...﴾	٤٠٣، ٤٠٤
٥٨	﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ...﴾	٤٠٧
٦٦	﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم ...﴾	٤٠٨- ٤١٢، ٤١٤
٦٩	﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٤١٥، ٤١٦، ٤١٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٢	﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا ...﴾	٥٣٣
٧٩	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ ...﴾	٤٢١- ٤٢٤
٨٠	﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ...﴾	٤٢٠-٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥
٨٨	﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ...﴾	٤٢٦- ٤٢٨
٩١	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ...﴾	٤٣٠- ٤٣٢
٩٣	﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	٤١٣، ٤٣٣- ٤٣٥
١٠٧	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى ...﴾	٤٢٩
١١٢	﴿... ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	٤٣٧- ٤٣٩، ٦٧٥
١٢٠	﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ...﴾	٤٤٤
١٢١	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ...﴾	٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣-٤٤٥
١٤٠	﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ...﴾	٤٤٥، ٤٤٧- ٤٤٩
١٥١	﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	٣٠٣
١٩٤	﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٣٦٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة النساء		
٤	﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ... ﴾	٤٥٠- ٤٥٢
٥	﴿وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ...﴾	٣٣٨، ٣٤٤
٦	﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾	٤٥٤- ٤٥٧
٨	﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ ....﴾	٤٥٧- ٤٦٠
٩	﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ...﴾	٣٣٩
١١	﴿... وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾	٤٣٠
١٥	﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ...﴾	٤٦٤ - ٤٦٧
١٦	﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ...﴾	٤٦٣ – ٤٦٨
١٨	﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾	٧٦٩
٢٢	﴿﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ...﴾	١٠٢١، ١٠٢٣، ١٠٢٥، ١٠٢٧
٢٣	﴿... وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم ...﴾	٣٠٢
٢٤	﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ ...﴾	٤٦٩- ٤٧٠
٢٥	﴿... وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم ...﴾	٤٧٦- ٤٧٩، ٤٨١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٣٤	﴿...وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ...﴾	٤٨١-٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٢-٤٩٣، ٤٩٥
٣٦	﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا...﴾	٤٩٦، ٤٩٨ ،٥٠٠-٥٠٢، ٥٠٧
٣٧	﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾	٥٠٧
٣٨	﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ...﴾	٥٠٣-٥٠٤، ٥٠٧-٥٠٩
٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ...﴾	٥١٣، ٥١٥- ٥١٦
٤٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ...﴾	٥٠٨
٥٩	﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾	٣٠١
٨٥	﴿... وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾	٥١٦، ٥١٨
١٠٥	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ ...﴾	٥٢٤-٥٢٥، ٥٢٨
١٠٦	﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٧
١١٣	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت...﴾	٥٢٦
١١٦	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ ...﴾	٣٥٨



رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٢٣	﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٥٣١
١٢٧	﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ...﴾	٥٣١
١٣٣	﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...﴾	٥٢٨
١٣٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾	٥٣٣
١٣٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ ...﴾	٥٣١-٥٣٣، ٥٣٥
١٤٠	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ ...﴾	٦١٠
١٦٤	﴿... وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	٦٣
	سورة المائدة	
٢	﴿... وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ...﴾	٥٣٧ – ٥٤٠
٦	﴿... فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ...﴾	٣٢٣، ٣٤٥
١١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ...﴾	٥٤٠، ٥٤٤
٤٢	﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ...﴾	٥٤٦، ٥٤٩
٤٨	﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا...﴾	٥٥٠- ٥٥٦
٥٢	﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ ...﴾	٩٠٢
٥٤	﴿... فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ ...﴾	٩٠٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦٠	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً...﴾	٥٥٧- ٥٥٨
٦٤	﴿... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ...﴾	٦٢
٦٨	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ...﴾	٥٠٦
٧٣	﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ...﴾	٤١٤
٧٧	﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ ...﴾	١٣٢
٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾	٥٥٩- ٥٦٠
٨٣	﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٥٦١
٩٤	﴿... لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ...﴾	٥٦٤، ٨٨١
٩٥	﴿... أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ...﴾	٦١١
١٠٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ...﴾	٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٤
١٠٧	﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ...﴾	٥٦٧، ٥٧٠
١٠٨	﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ ...﴾	٥٧٠
١٠٩	﴿... قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ...﴾	٥٧٤

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
سورة الأنعام		
١	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ... ﴾	٥٧٩-٥٨٠ ، ٥٨٢
١٤	﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ... ﴾	٥٨٣-٥٨٤ ، ٥٨٧
١٥	﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ... ﴾	٥٨٧
٢٥	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ... ﴾	٥٨٨- ٥٨٩
٣٤	﴿ ...وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٥٩١- ٥٩٢
٥١	﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ ... ﴾	٥٩٤
٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ... ﴾	٥٩٧- ٥٩٨، ٦٠٢
٥٨	﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ... ﴾	٦٠٣
٦٣	﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ... ﴾	٦٠٥
٦٨	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا ... ﴾	٦٠٨
٧٠	﴿ ... وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾	٦١٠
٧١	﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ... ﴾	٦١٤- ٦١٦
٧٤	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ ... ﴾	٦١٧
٧٥	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ... ﴾	٤٣٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٦	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ...﴾	٦١٩
٧٧	﴿... قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ ...﴾	٦٢٢
٩٠	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾	٦١٩
٩٤	﴿...لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم ...﴾	٦٩٢
٩٩	﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ...﴾	٦٢٤-٦٢٥، ٦٢٧
١٠٣	﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ...﴾	٦٢٩- ٦٣٠
١١٤	﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ...﴾	٦٣٧
١١٥	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ...﴾	٦٣٤- ٦٣٨
١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ ...﴾	٥٩٠
١٢٢	﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ...﴾	١٧٤، ١٧٦
١٢٦	﴿... قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾	٤٠٧
١٤٢	﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ...﴾	١٠١٠
١٤٣	﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ...﴾	١٠٠٨، ١٠١٠
١٤٦	﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ...﴾	٤٣٥
١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ...﴾	٦٤١، ٦٤٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٥٣	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ...﴾	٦٤١، ٦٤٣ – ٦٤٤
١٦٠	﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ...﴾	٦٤٤
	سورة الأعراف	
١٢	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ...﴾	١٢٢، ١٢٥، ١٢٧- ١٢٨، ٦٤٨، ٦٥٢
٢٨	﴿... قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ...﴾	٤٩٤
٤٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ...﴾	٦٥٤
٤٣	﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ...﴾	١١٩
٥١	﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ ...﴾	٣٥٣
٥٥	﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... ﴾	٣٥٩
٥٦	﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا...﴾	٣٥٩، ٧٩٨، ٩٣٧
٦٩	﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ ...﴾	٦٦٠- ٦٦١
١٠٤	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ ...﴾	٧٦٧
١٠٩	﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ ...﴾	٦٦٣
١٣٧	﴿... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ ...﴾	٨٤٥
١٤٠	﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ...﴾	٦٦٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٤١	﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ...﴾	٦٦٦
١٦٧	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ ...﴾	٦٧١- ٦٧٤
١٦٩	﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٦٧٥- ٦٧٦، ٧٣٨
١٨٩	﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾	٦٨٣، ٦٨٥
١٩٠	﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ...﴾	٦٧٩- ٦٨١، ٦٨٣
١٩١	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٦٨٠، ٦٨٢
١٩٢	﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ...﴾	٦٨٧
١٩٣	﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ...﴾	٦٨٧
	سورة الأنفال	
١	﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ...﴾	٦٨٨- ٦٩٠
٧	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ...﴾	٦٩٤
٩	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾	٦٩٥
١٠	﴿... وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ ...﴾	٦٩٤، ٦٩٧
١١	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ...﴾	٦٩٣
١٩	﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ ...﴾	٤٣٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٣١	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا...﴾	٦٩٩- ٧٠١
٤٨	﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ...﴾	٧٠٢- ٧٠٥
٦٠	﴿... وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ...﴾	٧٠٨- ٧١٠
	سورة التوبة	
٦	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ...﴾	٤٢، ٤٦
٢٩	﴿قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا ...﴾	٥٠٥- ٥٠٦
٣٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ ...﴾	٧١٤
٤٠	﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾	٦٣٦، ١٠٤٩
٤٢	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا ...﴾	٧١٤
٤٣	﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ...﴾	٧١٣، ٧١٥-٧١٦، ٧١٩
٦١	﴿... قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ...﴾	٩١٨
٦٩	﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا أَشَدَّ ...﴾	٧٢٣-٧٢٥
٧٠	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ ...﴾	٧٢٦- ٧٢٩
٨٠	﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾	٧٣٠، ٧٣٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٨٣	﴿... إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...﴾	٧٣٤- ٧٣٨
٨٤	﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ...﴾	٧٣٣
٩٠	﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ ...﴾	٧٣٩- ٧٤٤
١٠٤	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ...﴾	٧٤٥
١٠٥	﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ...﴾	٧٤٤
١١١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...﴾	٧٤٨
١١٤	﴿... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...﴾	٩١٣
١١٦	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾	٧٤٦-٧٤٧
١٢٢	﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ...﴾	٧٤٨-٧٤٩ ، ٧٥١
	سورة يونس	
١	﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾	٧٥٤
١٨	﴿...سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٨١٨
٢٦	﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...﴾	١٠٥٩
٣٨	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾	٧٥٥- ٧٥٦
٥١	﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ ...﴾	٧٥٧- ٧٥٨، ٧٦٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٥٤	﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾	٧٦٠- ٧٦٢
٥٥	﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾	٧٦٢
٦٠	﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾	١٢٠
٨٧	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ...﴾	٧٦٤- ٧٦٦
٩٠	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ...﴾	٦٢٩
٩٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ...﴾	٧٧١
٩٧	﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ...﴾	٧٧١
٩٨	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ ...﴾	٧٦٧- ٧٦٨، ٧٧٠
	سورة هود	
١	﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ...﴾	٧٥٤
١٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ ...﴾	٧٧٦
٣٥	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ ...﴾	٧٧٣- ٧٧٦
٣٨	﴿...قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ ...﴾	٧٧٧- ٧٧٩
٣٩	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ ...﴾	٧٧٩
٤٥	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى ...﴾	٧٨٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤٦	﴿فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾	٧٨١- ٧٨٣
٨٢	﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ...﴾	٧٨٣- ٧٨٤
١٠٨	﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ...﴾	١٠٢٥
١١٤	﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ...﴾	٧٨٧-٧٨٨، ٧٩٢-٧٩٣
١١٦	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾	٨٠٠
١١٧	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ...﴾	٧٩٤، ٧٩٨- ٨٠٠
١٢٠	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ...﴾	٩٠٤
	سورة يوسف	
١٨	﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ ...﴾	٨٠١- ٨٠٢
٤٩	﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾	٨٠٣-٨٠٤، ٨٠٦-٨٠٨
٧٠	﴿... ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ ...﴾	٨٠٩
٧٦	﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ ...﴾	٨١٠
٧٧	﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ ...﴾	٨٠٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ...﴾	٤٠٨
	سورة الرعد	
٢	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ ...﴾	٨١٢، ٨١٤- ٨١٥، ٨١٨
٦	﴿... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ ...﴾	٨١٩-٨٢٠، ٨٢٣
١١	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ...﴾	٨٢٣، ٨٢٦
٣٧	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ...﴾	١٠٠
	سورة إبراهيم	
٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ...﴾	١٠٠
٦	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ ...﴾	٦٧٠، ٨٢٨، ٨٣٠
٧	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ ...﴾	٧، ٨٢٧، ٨٣٠
١٦	﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ ...﴾	٨٣٠- ٨٣٤
١٧	﴿... وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ...﴾	١٧٠
٣٤	﴿... وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ...﴾	١٥٠
٣٩	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي ...﴾	١١٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة الحجر	
٢٩	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ...﴾	٦٥١
٤٢	﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ...﴾	٢٧٢
٧٢	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٨٣٦، ٨٣٨
	سورة النحل	
٥	﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ...﴾	٨٣٩، ١٠١١
٨	﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ...﴾	٨٣٩، ١٠١١
١٨	﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ...﴾	٨٤١
٤٤	﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ...﴾	٧١، ٣٤٨، ٧٣٣
٦١	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ ...﴾	٤٢٩
٦٨	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى ...﴾	٨٤٣، ٨٤٧
٩٠	﴿... وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ...﴾	٤٩٤
١٠٣	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ ...﴾	١٠١
١١٢	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ...﴾	٨٤٧- ٨٤٨
	سورة الإسراء	
٤	﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	٨٥١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٥	﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ ...﴾	٨٥١
٦	﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾	٨٥١
٧	﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ ...﴾	٨٥١
٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾	٨٥٣ -٨٥٥
٣١	﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ...﴾	٣٠٣، ٨٥٣
٣٦	﴿...إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ...﴾	٨٥٦
٤٥	﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ...﴾	٥٢٠، ٨٧٥
٥١	﴿... قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾	٨٦٠
٥٢	﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ ...﴾	٨٦٢ -٨٦٣
٧٠	﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ ...﴾	٤٩١
٧٩	﴿... عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	٨٦٥ -٨٦٧، ٨٦٩
١٠١	﴿...فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ...﴾	٨٧٥ -٨٧٧
١٠٤	﴿... جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾	٨٧٩
١١١	﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ...﴾	١١٩
	سورة الكهف	
١٢	﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ ...﴾	٨٨١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٨	﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ...﴾	٦٩٢
٢٣، ٢٤	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...﴾	٨٨٧
٢٩	﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ...﴾	٨٨٩، ٨٩١، ٨٩٣
٣٦	﴿... وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا ...﴾	٧٦٤
٥٠	﴿... وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾	٥٠٨- ٥٠٩، ٥١١- ٥١٢
٥٨	﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ...﴾	٩٠٢- ٩٠٣
٧٣	﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى ...﴾	٨٩٣- ٨٩٦
٧٩	﴿... وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ ...﴾	٨٣١- ٨٣٢
٨٠	﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ...﴾	٨٩٧- ٨٩٨
١٠٠	﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾	٩٠٤- ٩٠٦
	سورة مريم	
٥	﴿... ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾	٣٧٥- ٣٧٦
١٥	﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ ...﴾	٩٠٨، ٩١٠
٣٩	﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ...﴾	٦٠٣، ٦٠٥

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٤٥	﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ ...﴾	٩١١
٥٨	﴿...إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ ...﴾	٩١٤- ٩١٦
٥٩	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ...﴾	٧٣٨
سورة طه		
٥	﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	٦٢
٤٤	﴿... قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	١٤١
٥٠	﴿ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ...﴾	٩٨٧- ٩٨٨
٦١	﴿...عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ...﴾	٥٤٧، ٩١٩- ٩٢٠
٧٠	﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ...﴾	٩١٩
٧١	﴿... وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾	٩١٧- ٩١٨
٧٣	﴿... وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	٩١٩
٧٧	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ ...﴾	٦٣٠
٨٠	﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ...﴾	٦٦٩
٨٢	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾	٨٢٠
١١٣	﴿... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾	١٤١، ٩٢١- ٩٢٢

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١١٥	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ...﴾	٣٥٣، ٩٢٠
	سورة الأنبياء	
٣٠	﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	٥٨٣
٩٠	﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ...﴾	٣٧٧
١٠١	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ...﴾	١٠٦٣- ١٠٦٤
١٠٣	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ...﴾	٥٧٧، ١٠٦٤
١٠٤	﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ ...﴾	١٠٦٤
١٠٩	﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ...﴾	٣٠٦
	سورة الحج	
١٣	﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ...﴾	٩٢٤
١٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ...﴾	٩٢٥- ٩٢٦ ، ٩٢٨
٤٠	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ...﴾	٩٢٩
٧٢	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ ...﴾	٩٣٢
٧٨	﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٣٢٠، ٣٤٣، ٣٤٨
	سورة المؤمنون	
٣٣	﴿... مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾	٥٥٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧١	﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ...﴾	٢٤٤
١١٢	﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾	٩٣٥، ٩٣٧
١١٣	﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾	٩٣٥
١١٥	﴿... وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	٩٣٦، ٩٣٨
١١٧	﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ ...﴾	٣٠٢
سورة النور		
٢	﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ...﴾	٤٦٩، ٥٧١
٣	﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ...﴾	٩٤١- ٩٤٢
٦	﴿...فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ...﴾	٥٦٩، ٥٧١- ٥٧٢
٨	﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ ...﴾	٥٧٢
٢٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا ...﴾	٩٤٤- ٩٤٥
٣١	﴿...وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...﴾	١٤١
٦١	﴿... وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ ...﴾	١٤١
٦٢	﴿...فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن ...﴾	٧١٩، ٧٢٠- ٧٢١
سورة الفرقان		
٤١	﴿...أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾	٥٥٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٥٧	﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن ...﴾	٩٥٠
	سورة الشعراء	
٦١	﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ ...﴾	٦٣٠- ٦٣٣
٦٥	﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾	٦٦٩
١٩٢	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٠
١٩٣	﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾	١٠٠
١٩٤	﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾	١٠٠
١٩٥	﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾	١٠٠
	سورة النمل	
٦٧	﴿...أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾	١٠٧٢
٨٨	﴿...صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ...﴾	٩٨٠
	سورة القصص	
١٧	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ....﴾	٩٥٣- ٩٥٤
٤٨	﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ...﴾	٩٧٠
٦٤	﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ...﴾	٩٧٠
٦٨	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا ...﴾	٩٥٧- ٩٦١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦٩	﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ...﴾	٩٦٠
٧٠	﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى...﴾	١١٩
٧٦	﴿...وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ...﴾	١٠٠٢
	سورة العنكبوت	
٨	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا...﴾	٩٧٧
	سورة الروم	
١، ٢	﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾	٩٧٢
٤	﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ...﴾	٩٧٢
٦	﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ...﴾	٩٧٣، ٩٧٦
٤١	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا ...﴾	١٨٣
٥٤	﴿... ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ...﴾	٣٣٩
٥٥	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ...﴾	٩٣٧، ٩٣٩
٥٦	﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ...﴾	٩٣٧، ٩٣٩
	سورة لقمان	
١٢	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ...﴾	١٢٠
١٣	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ...﴾	٩٧٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
١٤	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ ...﴾	٩٧٧
١٥	﴿...ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم ...﴾	٩٨٠
١٨	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ...﴾	٩٨١
	سورة السجدة	
١، ٢	﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	١٥٩
٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾	١٥٩
٧	﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ...﴾	٩٨٦ -٩٨٨
١٠	﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى ...﴾	٤١٥، ٤١٨
١٧	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ...﴾	١٠٥٥
	سورة الأحزاب	
١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾	٢٦٠
٥	﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ...﴾	٩٦
٥٣	﴿...إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ ...﴾	١٤٧
	سورة سبأ	
١	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	١١٩
٤	﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ...﴾	٩٩٣

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦	﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ...﴾	٩٩٣
١٣	﴿...ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا...﴾	١١٧
	سورة فاطر	
٢	﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا ...﴾	٨٨٥
١٨	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ...﴾	٥٦٦
٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ...﴾	٩٠١
٣٤	﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ ...﴾	١٢٠
	سورة يس	
٣٠	﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن ....﴾	٩٩٦
	سورة الصافات	
٢٤	﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾	٩٠٥
١٤٧	﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾	١٣٨
	سورة ص	
٩	﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ...﴾	٩٩٩
٢٦	﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ...﴾	٥٢٦
٣٤	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ...﴾	٢٣١

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٧٥	﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ...﴾	٦٥١
٨٣	﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	٢٧١- ٢٧٢
	سورة الزمر	
٢٨	﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	١٠١
٣٠	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	١٧٣، ١٧٦
٦٤	﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾	٥٨٦
	سورة غافر	
١٨	﴿...مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	٣٠٢، ١٠٠٣- ١٠٠٤
٤٦	﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...﴾	١٠٠٥
٤٧	﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ...﴾	١٠٠٣، ١٠٠٧
٤٨	﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ...﴾	١٠٠٧
٦٠	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾	٣٥٩
٧٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ...﴾	٥٩٢
٧٩	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟...﴾	١٠٠٧
٨٤	﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ...﴾	٧٧١
٨٥	﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ ...﴾	٧٦٩، ٧٧١



رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة فصلت	
١٤	﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ...﴾	١٠١٢- ١٠١٦
١٥	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ...﴾	٦٦١- ٦٦٢
١٦	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ ...﴾	١٠١٧- ١٠١٨
٤٤	﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا ...﴾	١٠١
٥٠	﴿...وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى ...﴾	١٠٨٣
	سورة الشورى	
٧	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾	١٠٠، ١٠٥
١١	﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ...﴾	٨٥، ١٤٧
٤٣	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	٩٦٨
	سورة الزخرف	
١، ٢	﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	١٠٠
٣	﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١٠٠- ١٠١
٣١	﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ...﴾	٩٠٧
٤٩	﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾	٨٧٦

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة الدخان	
٥٦	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ ...﴾	١٠٢١-١٠٢٦، ١٠٢٩
	سورة الجاثية	
٧	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	١٠٣٤-١٠٣٥
	سورة الأحقاف	
١٥	﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ...﴾	٩٨٠
٢٤	﴿...قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...﴾	١٠٨٩-١٠٩٠
٢٩	﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ...﴾	٧٥٢
٣٠	﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ ...﴾	٧٥٢
٣٥	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ...﴾	٧٧٧
	سورة محمد ﷺ	
٣٨	﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ...﴾	٥٢٩
	سورة الفتح	
١	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	١٠٣٩
٢	﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ...﴾	١٠٣٩-١٠٤٠

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٣	﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾	١٠٣٩
١٨	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾	١٠٤٦
	سورة الحجرات	
١٣	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ ...﴾	٤٨١
	سورة ق	
١٩	﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ...﴾	١٠٥٢
٣٣	﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ ...﴾	٥٦٦
٣٥	﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	١٠٥٤
	سورة الذاريات	
١٠	﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾	١٠٦٥
١١	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾	١٠٦٥
١٢	﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	١٠٦٥
١٣	﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾	١٠٦٥
١٤	﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم ...﴾	١٠٦٥
٥٩	﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ...﴾	١٠٦٦
٦٠	﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى	١٠٥٧، ١٠٦٠،

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	يُوعَدُونَ ﴾	١٠٦١
	سورة النجم	
٥	﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾	١٠٦٨
٦	﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾	١٠٦٧ - ١٠٧١
٧	﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	١٠٦٧ - ١٠٧١، ١٠٧٧-١٠٧٨
١٣	﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾	١٠٧٩
٢٤	﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾	١٠٧٩
٢٥	﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾	١٠٧٩
٥٠	﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾	١٠٨٦ - ١٠٨٨
٥١	﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾	١٠٩٢
	سورة القمر	
١٩	﴿ ... يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾	١٠١٧
٤٧	﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾	٤١٧
	سورة الرحمن	
٢٦	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾	٤٢٩

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة الواقعة	
٩٥	﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾	٢٧٨، ١٠٥٢
	سورة الحديد	
٨	﴿... وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١٠٩٤
	سورة المجادلة	
٣	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾	٣٢٣، ٣٤٦
٤	﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ...﴾	٣٢٣، ٣٤٥
	سورة الحشر	
١٠	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ...﴾	١٢
	سورة الممتحنة	
٤	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ...﴾	٦١٩
	سورة الجمعة	
١٠	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ...﴾	٣٢٠، ٣٢٤
	سورة المنافقون	
٦	﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ ...﴾	٧٣٣

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة الطلاق	
٢	﴿...وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَالِكُمْ ...﴾	٥٦٩، ٥٧٢
	سورة التحريم	
٣	﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...﴾	١٠٧٦
	سورة الحاقة	
١١	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾	٦٦٨
	سورة المعارج	
٤٤	﴿... ذَالِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾	١٠٦٤
	سورة الجن	
١	﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ...﴾	١٠٩٨ - ١٠٩٩
٣	﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً ...﴾	١٠٩٨، ١١٠١
٤	﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾	١٠٩٨
٦	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ ...﴾	١٠٩٨
١٦	﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم ...﴾	١٠٩٨
١٨	﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	١٠٩٨
١٩	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا ...﴾	١٠٩٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٢٠	﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	١٠٩٨- ١٠٩٩
٢٨	﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ ...﴾	١٠٩٩
	سورة المدثر	
١١	﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	٥٥٩
	سورة القيامة	
٢٢، ٢٣	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٨٧١
	سورة الإنسان	
٢٤	﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ...﴾	١٣٨، ١٤٠
٢٨	﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا...﴾	١١٠٢
	سورة المرسلات	
٦	﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾	١٤١
٢٥، ٢٦	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾	٩٣٩
	سورة النازعات	
٤٥	﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾	٤٢٧

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
	سورة البروج	
١، ٢	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾	١٠٤٦
٢١	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾	٤٢
٢٢	﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾	٤٢
	سورة الطارق	
٦	﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾	٥١٩
	سورة الفجر	
٦	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾	٦٦٢، ١٠٨٨
٧	﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾	٦٦٢، ١٠٨٨
٨	﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾	٦٦٢، ١٠٨٨
	سورة الشمس	
١٣	﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾	١٠٥٤
	سورة الليل	
١٩	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾	١١٠٥- ١١٠٦
	سورة التكاثر	
٥	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾	٢٧٨

رقم الآية	نص الآية أو بعض نصها	الصفحة التي وردت فيها
٦	﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾	٢٧٨
٧	﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾	٢٧٨
	سورة النصر	
١	﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١٠٣٩- ١٠٤١
٢	﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾	١٠٣٩
٣	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ... ﴾	١٠٣٩، ١٠٤٥

٢- فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث أو بعض الحديث	الصفحة التي ورد فيها
أتت امرأة النبي ﷺ فقالت ادع الله ...	٢٣٨
إذا قلت : الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك	١١١
اشترى النبي ﷺ طعاما نساءً	٣٥١
... أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد	١٠٨٨
أفلا أكون عبدا شكوراً.	١٠٤٠، ١٠٤٢
ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم ...	١٤٧
اللهم اعطيني إيمانا ويقينا ليس بعده كفر .	٢٧٩
أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته	٤٩١
أنت الأول فليس قبلك شيء ...	٢٤١
إن الله تجاوز لأمتي عن نسيانها وخطأها .	٣٥٥، ٣٦٠
إن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة ،	٩٣٨
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر .	٧٦٩
إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً	٨٧٢
إن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي ...	٣٤٢، ٣٤٧
إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل	١٠٤٠
أي رب شهدت على من أنا بين ظهريه ...	٥١٦
بعثت أنا والساعة كهاتين.	٨٦٠
بعثت بالحنيفية السمحة .	٣٢٠
حرثك فأت حرثك أنى شئت	٤٨٣، ٤٨٨

طرف الحديث أو بعض الحديث	الصفحة التي ورد فيها
حرمت عليهم الشحوم.	٤٣٥
خذوا عني خذوا عني ...	٤٦٩
ذلك محض الإيمان.	٢٦٥، ٢٧٠
ذرفت عيناه عندما بلغ ابن مسعود تلاوة	٥١٥
ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض ...	٣١٩
رُوي أن الجن لا تقرب دارا فيها فرس .	٧١٠
﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً﴾ سئل عنها...	٧٦٦
عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام	٥٢٤
فإن لم تكن تراه فإنه يراك .	٥٦٦
... فقال عليه الصلاة والسلام : وأهلها ينصف	٧٩٨
فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون ...	٦٥٥
قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا ...	٣٥٧
كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون ...	٩٧٢
كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقيت .	٥١٧
﴿لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ قال : كانت الأولى ...	٨٩٤ -٨٩٥
لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ...	٦٨٦
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ الزيادة النظر ...	١٠٥٩
لو يعطى الناس بدعواهم ؛ لادعى رجال أموال قوم	٣٣٧
ليس الخبر كالمعاينة .	٢٦٥، ٢٦٧
ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان ...	٣٠٣ -٣٠٤

طرف الحديث أو بعض الحديث	الصفحة التي ورد فيها
ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ...	٢٣٢- ٢٣٣
من استعف أعفه الله	٢٩٤
من المغضوب عليهم ؟ قال : اليهود .	١٣١
الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا :	٦٥٦
نحن أحق بالشك من إبراهيم.	٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨
هذا سبيل الله مستقيما ...	٦٤٣
والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم	٧٢٤، ٧٢٦
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم	١٠٤٦
﴿ويل﴾ واد في جهنم ...	١٠٣٦، ١٠٣٧
يا عمر إن الله قد خيرني فاخترت ، ولو علمت ...	٧٣١
يطعمها ويكسوها ، ولا يضرب الوجه ،	٤٨٣
يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...	١٠٥٥
يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد .	٦٤٦

٣- فهرس الآثار

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
• اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء...(الأودي)	٧١٨
• إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم... (مجاهد)	١٨٣
• إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء...(عطاء)	٣٠٠
• إسرائيل هو يعقوب أخذه عرق النسا... (الضحاك)	٤٣٣
• ... اقرأوا إن شئتم ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد...﴾... (أبوهريرة)	٧٢٥
• اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً (ابن مسعود)	٢٧٩
• أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم، وما أمروا به...(السدي)	٤١١
• أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية... (سعيد بن جبير)	٤٦٩
• ...أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق...(قتادة)	٥٦١
• ...إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً...(خباب)	٥٩٨
• إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد (محمد بن كعب القرظي)	١٨٧
• ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا...﴾ وهم اليهود	٥٣٢

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
والنصارى ... (قتادة)	
✿ إن تصدقوا بأصل المال خير لكم (قتادة)	٣١٢ -٣١٣
✿ إن تصدقوا برؤوس أموالكم (النخعي)	٣١٣
✿ إنما قيل لعاد الأولى؛ لأنها أول الأمم هلاكاً (ابن زيد)	١٠٨٤
✿ إن كان عجز عن ذلك أملَّ صاحب الدين بالعدل (ابن عباس)	٣٢٩، ٣٣٣
✿ إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت...(ابن عباس)	٤٦٢
✿ أن النبي ذهب إلى بني النضير في بعض أصحابه...(ابن عباس)	٥٤٤
✿ إن النبيين يأتون يوم القيامة...(السدي)	٥١٣
✿ إن هذا من صفة اليهود (مجاهد)	٥٠٣
✿ أهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام (ابن عباس ومجاهد)	١٧٩ -١٨٠
✿ أول من قاس إبليس (الحسن وابن سيرين)	٦٤٨، ٦٥٢
✿ الآية الأولى في النساء المحصنات... (السدي وقتادة)	٤٦٥
✿ أي برأس المال فهو خير لكم (قتادة)	٣١٣
✿ ﴿بحمده﴾ جميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله تعالى... (ابن جبير)	٨٦٣
✿ بعث النجاشي وفداً إلى النبي ﷺ ... (سعيد بن جبير)	٥٦٠
✿ ...تأكلون ما قتلتم بذبحكم، ولا تأكلون ما قتل الله	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
(ابن عباس)	٥٨٨
● ﴿تدعونه تضرعاً وخفية﴾ يقول: إذا أضل الرجل الطريق دعا الله. (ابن عباس)	٦٠٦
● ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم... (أبو موسى الأشعري)	٣٤٤
● ﴿جاءتهم الرسل من بين أيديهم﴾ أي قبلهم (ابن عباس)	١٠١٣
● الحمد لله هو الشكر لله... (ابن عباس)	١١٠
● خرج عزير نبي الله من مدينته وهو رجل شاب...(علي بن أبي طالب)	٢٥٨
● دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس... (عطاء)	٢٦٢، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٧٠
● ﴿رب بما أنعمت علي ...﴾ قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي (ابن عباس)	٩٦٥
● ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قالا: هو الوطء (ابن جبير وعكرمة)	٩٤٢
● ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة (ابن عباس وابن جبير)	٩٤١
● ﴿ساءت مرتفقاً﴾ ساءت منزلاً (ابن عباس)	٨٩١
● عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور،	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
فرخص له في أن يأذن لهم... (قتادة)	٧١٩
۞ ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: يجلسه معه على عرشه (مجاهد)	٨٦٥، ٨٦٧، ٨٦٩
۞ عقد شعر واحدة بالأخرى وضربهما ضرباً شديداً (الزبير بن العوام)	٤٨٦
۞ عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده ، يعني ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ (الحسن)	٤٨٦
۞ عيسى هو الكلمة من الله (ابن عباس)	٣٨٦
۞ ﴿فإذا أمنتم﴾ خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة (مجاهد)	٢١٢، ٢١٤
۞ ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ إنما يعني بذلك في السفر... (الضحاك)	٣٥٠
۞ ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها (أبو سعيد الخدري)	٣٢١
۞ ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والإخلاص في مبايعتهم (قتادة وابن جريج)	١٠٥٠
۞ ﴿فليملل وليه بالعدل﴾ ولي الحق (الربيع)	٣٢٩
۞ في القرآن من كل لسان (أبو ميسرة)	١٠٤
۞ ﴿فيما لكم به علم﴾ فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم (أبو العالية)	٤١١

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
✿ ﴿فيما لكم به علم﴾ فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم... (قتادة)	٤١١
✿ قال ابن زيد: ... فقال رجل فإن أحسنت فعلت... (ابن زيد)	٢٢٣- ٢٢٤
✿ قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ ثم ضرب ذلك مثلاً فقال... (ابن زيد)	٢٨٨
✿ ... قال قرية كان نزل بها الطاعون. (ابن زيد)	٢٤٩- ٢٥٠
✿ ... قال: كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية (ابن عباس)	٩٥٨
✿ ... قالوا للنبي ﷺ اطرد هؤلاء (سعد بن أبي وقاص)	٦٠١
✿ قرأ ابن عباس (يا حسرة العباد) (ابن عباس)	٩٩٦
✿ ﴿القلائد﴾ مقلدات الهدي (ابن عباس)	٥٣٨، ٥٤٠
✿ قولوا نعلم أو لا نعلم (عمر)	٢٩٠- ٢٩٢
✿ قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذريته بالريح عاد الأولى؛ لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة (ابن إسحاق)	١٠٨٤
✿ كان رجال من المؤمنين تنوبهم الحاجة التي لابد منها ، فيذكرون ذلك لرسول الله ﷺ ... (محمد بن كعب القرظي وغيره)	٧٢١
✿ كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين، وقعوا في النبي	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
ﷺ والقرآن ... (السدي)	٦٠٩
• ... كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها... (مجاهد)	٢١٦، ٢٢٢
• كان يقرأ (وجاءت سكرة الحق بالموت) (أبو بكر وابن مسعود)	١٠٥٢
• الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره (ابن عباس)	٢٣٦
• كرسيه علمه (ابن جبير)	٢٣٧
• كرسيه : علمه (ابن عباس)	٢٣٢، ٢٣٩
• ﴿كلمات ربك﴾ القرآن الكريم (قتادة)	٦٣٥
• كل سنبلة أنبتت مئة حبة... (الضحاك)	٢٨١
• كل من الهنيء المريء (علقمة)	٤٥١
• الكلمة في قوله: ﴿بكلمة منه﴾ هو قوله: كن (قتادة)	٣٨٦
• الكلمة : هي عيسى (ابن عباس)	٣٨٦- ٣٨٧
• ... لا أعلى منه ولا أعز ولا أجل ولا أكرم (ابن عباس)	٢٤٠
• ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ قال: لم ينس ولكنها من معاريض الكلام (أبي بن كعب)	٨٩٤
• ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ قال: من طاعتي (سفيان)	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
الثوري والحسن)	٨٢٧
● لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا (ابن عباس)	٥٧٥
● لا علم لنا من هول ذلك اليوم (الحسن)	٥٧٦
● ... لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله...(ابن جبير)	٩٤١ -٩٤٢
● ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ الوثن (مجاهد)	٩٢٤
● لبسوا للناس مسوك الضأن وقلوهم أمر من الصبر (سعيد المقبري)	١٨٧
● لعن الله المعذّرين (ابن عباس)	٧٤٢
● ﴿لقضي الأمر﴾ ذبح الموت (ابن جريج)	٦٠٣
● لما أوذي أصحاب النبي ﷺ بعثهم إلى النجاشي... (ابن عباس)	٥٦١
● لما نزلت هذه الآية ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ ... فقالوها... (السدي)	٣٥٥
● لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل...(مجاهد)	٤٧٠
● ﴿ليطمئن قلبي﴾ لأزداد إيماناً (ابن جبير)	٢٧٥ -٢٧٦
● ﴿ليطمئن قلبي﴾ ليزداد يقيناً إلى يقينه (الحسن ، قتادة، ابن جبير، الربيع)	٢٧٦
● ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
(عطاء)	٢٣٢- ٢٣٣
✿ ... ما في القرآن آية أرجى منها (ابن عباس)	٢٦١، ٢٦٨
✿ ما المال إلا ما حازته العياب (مروان بن الحكم)	٣٦٢- ٣٦٣
✿ المقنطرة : هي المضروبة حتى صارت دنانير ... (السدي)	٣٦٣- ٣٦٤
✿ مكة وضجنان وذو طوى وما أشبهها حاضرو المسجد الحرام (عطاء)	١٧٩
✿ ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أنذروهم وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة (الحسن)	١٠١٤
✿ من كان دون المواقيت من كل جهة حاضرو المسجد الحرام (مكحول وعطاء)	١٨٠
✿ من كان على يوم أو يومين فهو من حاضري المسجد الحرام (الزهري)	١٨٠
✿ ناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا (مجاهد)	٧١٧
✿ نزلت سورة النصر ناعية للنبي ﷺ نفسه (ابن عباس وعمر)	١٠٤٢
✿ نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فقالوا... (السدي)	٥٧٦
✿ هذا السجود فأين البكي (عمر بن الخطاب)	٩١٥
✿ هذا مثل آخر لنفقة الرياء... (أسباط بن نصر)	٢٨٨

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً... (عمر)	٢٩٠، ٢٩٢
﴿وابن السبيل﴾ هو الضيف (قتادة والضحاك)	٥٠٠
﴿وابن السبيل﴾ هو الذي يمر عليك وهو مسافر (مجاهد)	٥٠٠
﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ الإشهاد ندب (الحسن والشعبي)	٣٤٠
﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ قال: من رؤوس أموالكم (إبراهيم النخعي)	٣١٣
﴿وبيع﴾ بيع النصارى (قتادة)	٩٣٢
﴿وبيع﴾ قال: وكنائس (مجاهد)	٩٣٠
﴿وبيع﴾ كنائس اليهود (مجاهد)	٩٣٢
﴿وجاء المُعْذِرون﴾ مخففة، ويقول: هم أهل العذر (ابن عباس)	٧٣٩
وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ طعاماً... (ابن عباس)	٥٤١
﴿وساءت مرتفقاً﴾ أي مجتمعاً (مجاهد)	٨٩١
وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾ (ابن مسعود)	٩٥٣
﴿ولا الهدي﴾ الهدي ما لم يقلد... (ابن عباس)	٥٣٧، ٥٣٩

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
﴿ولتجدن أقربهم مودة﴾ هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر... (مجاهد)	٥٦٠
﴿ولدينا مزيد﴾ المزيد النظر إلى وجه الله تعالى (جابر وأنس)	١٠٥٦
... والذي نفسي بيده إنها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة ...﴾ (حفصة)	٨٤٨
﴿ومن خلفهم﴾ أي ومن خلف الرسل (الضحاك)	١٠١٣- ١٠١٤
﴿ومهيمناً عليه﴾ محمد ﷺ مؤتمن على القرآن (مجاهد)	٥٥٠
﴿وهو العلي﴾ لا شيء أعلى منه (الحسن)	٢٤٠
﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ قال: الحرث الحرث والنسل نسل كل شيء (قتادة)	١٨٧
﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ كان ذلك منه إحراقاً لزرع قوم من المسلمين وعقراً لحمرهم (السدي)	١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦
﴿يا حسرة على العباد﴾ يا ويلاً للعباد (ابن عباس)	٩٩٦
يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون ... (ابن جريج)	٦٠٥
﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال: القمار	

طرف الأثر أو بعض الأثر ومن جاء عنه	الصفحة التي ورد فيها
(مجاهد)	١٩٤
✿ يعذر من حاج بعلم، ولا يعذر من حاج بجهل (الحسن)	٤١١
✿ ﴿يعرشون﴾ قال: الكروم (ابن زيد)	٨٤٤
✿ ﴿يعصرون﴾ يعصرون العنب والزيت (ابن عباس)	٨٠٧
✿ يفزعون فيقولون : لا علم لنا (مجاهد)	٥٧٧
✿ يفعل بها ذاك ويضربها حتى تطيعه في المضاجع... (ابن عباس)	٤٩٠
✿ يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم أنتم فكلوا ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ (ابن عباس)	٥٩٠
✿ يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور قيام رجل واحد ... (ابن مسعود)	٩٠٤
✿ اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصَّروا (الحسن)	٦٨٤

٤- فهرس الأشعار

صدر البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
ليس من مات فاستراح بميْت	عدي بن الرعلاء	١٦٨، ١٧٠، ١٧٥
ليت كانت كنيسة الروم إذ ذا	الأخطل	٩٣١
قالت له وارتفقت ألا فتى	.....	٨٨٩
يحف هم بيض الوجوه وعصبة	.....	٢٣١
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم	النابغة الذبياني	٢٠٩
أفادتكم النعماء مني ثلاثة	.....	١١٧
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	النابغة الذبياني	٨٣٤
متبذلاً تبدو محاسنه	دريد بن الصمة	٤٥٠
ليت شعري وأشعرن إذا ما	السموأل	٥١٨
ألا يا ليتني والمرء ميْت	ابن قعاس الأسدي	١٧٦
ألي الفضل أم عليَّ إذا حو	السموأل	٥١٨، ٥١٩
وذي ضغن كففت النفس عنه	الزبير بن عبد المطلب	٥١٧
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى	جرير	١٣٩
ألستم خير من ركب المطايا	جرير	٢٧٢
ورأيت زوجك في الوغى	عبد الله بن الزبعرى	٦٢٥
فبت كأنني يسر غبين	.....	١٩٤
أو فاصلاً ما وبلا فصل يرد	ابن مالك	١٠٧٥
إذا ما مات ميت من تميم	أبو المهوش	١٧٠، ١٧٧

صدر البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
وخيس الجن إني قد أذنت لهم	النابغة الذبياني	٨١٢
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا	النابغة الذبياني	١٤٢
الناس يلحون الأمير إذا هم	عبيد بن الأبرص	٣٥٤
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج	دريد بن الصمة	١٠٢٣
صادياً يستغيث غير مغاثي	المنذر بن حرملة	٨٠٤، ٨٠٥
وربما عاقبت الواو إذا	ابن مالك	١٤٣
في بئر لا حور سرى وما شعر	العجاج	١٢٦، ١٢٧
لا يغمز الساق من أين ولا وصب	أعشى باهلة	٢٩٩
نال الخلافة أو كانت له قدراً	جرير	١٣٦، ١٣٨
فاجعل تحلل من يمينك إنما	.....	٥٧٩
وزعمت أنك سوف تسلك قادراً	.....	٥٧٩
فما ألوم البيض ألا تسخرا	أبو النجم	١٢١، ١٢٤، ١٢٧
فبات وأسرى القوم آخر ليلهم	لبيد بن ربيعة	٨٠٥
لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً	أوس بن حجر	٦٢٠
تعلم أن شر الناس حي	زهير بن أبي سلمى	٦٧٣
فلم يزل بك واشيهم ومكرهم	الأخطل	١٩٤
لا يفزع الأرنب أهوالها	عمرو بن أحمر	٣٠٠

صدر البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
يومين غيمين ويوماً شمساً	.....	١٠١٨
أبلغ جذاماً ولخماً أن إخوتهم	.....	١٠١٧
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر	.....	٨٦٢
أو ياسر ذهب القداح بوفره	النابغة	١٩٤
أمن ريحانة الداعي السميع	عمرو بن معدي كرب	٧٥٤
أذن اليوم جيرتي بخفوف	ميمون بن قيس	٦٧١
ألم تر أن النبع يصلب عوده	جرير	١٠٦٩، ١٠٧٦
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع	الفرزدق	٥٤٦، ٥٤٨
فيها ثلاث كالدُّمى	عمر بن أبي ربيعة	٩٦٠
أمن سمية دمع العين تذريف	عنترة	٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦٣
قلت أجيبي عاشقاً	عمر بن أبي ربيعة	٩٦٠
على المرأين إذ مضيا جميعاً	متمم بن نويرة	١٣٦
فلو كان البكاء يرد شيئاً	متمم بن نويرة	١٣٦
وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي	النابغة الذبياني	١١٠٥، ١١٠٩
ليس النكوص على الأدبار مكرمة	تأبط شراً	٧٠٣، ٧٠٦
أيا سائلي تفسير ميْت وميّت	.....	١٧٥
قلت إذ أقبلت وزهر تهادى	عمر بن أبي ربيعة	١٠٧١، ١٠٧٦

صدر البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
ورجلة يضربون البيض ضاحية	تميم بن أبيّ	٧٨٤
كنت القذى في موج أكدر مزبد	الأخطل	٤١٥
إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها	أبو ذؤيب	١٠٢٢
ويلحنني في اللهو ألا أحبه	الأحوص	١٢٢، ١٢٤، ١٢٧
حتى إذا لم يتركوا لعظامه	الراعي النميري	٨٠٢
والفاعل المعنى انصبن بأفعلا	ابن مالك	٨٨٣
وإن على ضمير رفع متصل	ابن مالك	١٠٧٥
فآب مضلوه بعين جلية	النابغة الذبياني	٤١٦
ما روضة من رياض الحزن معشبة	ميمون بن قيس	٢٨٤، ٢٨٥
فمن كان ذا روح فذلك ميّت	.....	١٧٥
ورجاء الأخيطل من سفاهة رأيه	جرير	١٠٧٦
ذم المنازل بعد منزلة اللوى	جرير	٨٥٧
وكنا إذا الجبار صعّر خده	المتلمس	٩٨٢، ٩٨٣
هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا	زهير بن أبي سلمى	٧٠٣، ٧٠٦
إن الخليفة إن الله سربله	جرير	٩٢٦
كانت فريضة ما تقول كما	النابغة الجعدي	١٩٠
أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني	سحيم بن وثيل	١٩٥

صدر البيت	القائل	الصفحة التي ورد فيها
بأبه اقتدى عدي في الكرم	.....	٥٤
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم	زهير بن أبي سلمى	١٠٨٥
وكنا إذا الجبار صعَّر خده	عمرو بن حني	٩٨٣
رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع	أبو خراش	٦٢٠، ٦٢٣
تدر على أسوق الممتريـــــــ	الأعشى ميمون بن قيس	١٦٢، ١٦٣
تباري الزجاج مغاويرها	الأعشى ميمون بن قيس	١٦٣
أتوعدني وراء بني رياح	جرير	٨٣١، ٨٣٢
وكذلك قد صعد الذي هو رابع	ابن القيم	٨١٧
فلهم عبارات عليها أربع	ابن القيم	٨١٧
تعلم أبيت اللعن	....	٦٧٢
وهي استقر وقد علا وكذلك ار	ابن القيم	٨١٧
إن سراجاً لكريم مفخره	.....	١٩٠
وقد زعمت ليلى بأني فاجر	توبة بن الحميّر	١٣٦

٥- فهرس الأعـــلام

العلم	الصفحة التي ورد فيها
آدم (عليه السلام)	٩٦، ٣٥٢، ٣٥٣، ٦٨٤، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٧١٢، ٩٢١، ٩٢٣، ١٠٨٢
آزر	٦١٧
إبراهيم (عليه السلام)	١٩، ١٠٣،١٦٢، ١٧٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٦١٧، ٦٢٢، ٨٢٧، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ١٠٨٩
إبراهيم النخعي	٢٧٥، ٣١٣، ٣١٤، ٣٤٧، ٤٩٣، ٤٩٤
أبي بن كعب	٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦
ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم)	١٠٩١
الإمام أحمد بن حنبل	٣٣، ٤٤، ٤٥ ، ٨٠ ،٦٤٣ ، ١٠٨٨
أحمد شاكر	١٠٧، ٤٧٢
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي (تلميذ ابن عطية)	٥٨
أحمد بن كامل (تلميذ الطبري)	٣٧
أحمد بن منيع (شيخ	

(الطبري)	٣٥
أحمد بن يحيى ثعلب (شيخ الطبري)	٣٥، ٦٨٩
الأحمر	٥٤٨
الأحوص	١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨
الأخطل النصراني	١٩٤، ٤١٥، ٤١٦، ٩٣١
الأخفش (سعيد بن مسعدة)	١٦٦، ١٧٢، ٣٨٢، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٢٢، ٤٤٨، ٤٥٦، ٥٩٢، ٨٣٣، ١٠١٩، ١٠٢٠
الأخنس بن شريق	١٨٣، ١٨٨
الأزهري (محمد بن أحمد)	١١٢، ١٧٢، ٣٣٨، ٤٥٢، ٤٩٧، ٥٤٨، ٦٢٧، ٦٦٤، ٦٨٩، ٧٣٧، ٨١٣، ٨٢٥، ٩٣١، ١٠١٠
أسباط بن نصر الهمداني	٢٨٨، ٦٠٠
إسحاق (عليه السلام)	١١٩
أسماء بنت أبي بكر	٤٨٥، ٨٣٩
إسماعيل (عليه السلام)	١٠٣، ١١٩، ١٠٨٩
أبو إسماعيل الترمذي (محمد بن إسماعيل بن يوسف)	٤٦
أعشى باهلة (عامر بن الحارث)	٢٩٩

الأعشى (ميمون بن قيس)	١٦٢، ٢٨٤، ٦٧١
الأعمش (سليمان بن مهران)	٢٥٤، ٦٢٤- ٦٢٥
الأقرع بن حابس	٥٩٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٨٧١، ٨٧٣
الألباني (ناصر الدين)	٨٧١، ٨٧٣
الألوسي (محمود بن عبد الله)	١٤٠، ١٤٨، ١٦٨، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٩٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٣٦، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٧، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٧١، ٦٤٤، ٦٩١، ٧٣٢، ٧٣٦، ٧٦١، ٧٦٣، ٧٧٠، ٧٧٦، ٧٨١، ٧٩٧، ٨١٥، ٨١٨، ٨٢٦، ٨٢٩، ٨٣٧، ٨٤٦، ٨٤٩، ٨٦٤، ٨٧٧، ٨٨٤، ٨٨٦، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٢، ٩١٠، ٩١٣، ٩١٦، ٩٢٣، ٩٢٧، ٩٣٨، ٩٤٦، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٦، ٩٩٨، ١٠٠٠، ١٠٠٥، ١٠١٦، ١٠٣٧، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٣، ١٠٧٨، ١٠٨٢، ١٠٩٢، ١٠٩٦
ابن الأنباري (أبو البركات)	١٣٧، ١٤٢، ٢٩٧، ٣٨٤، ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٩٧، ٥٢٠، ٥٨٢، ٦٢٨، ٦٧٧، ٨١٤، ٩٣٣، ٩٩١، ٩٩٤، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٧٠
ابن الأنباري (محمد	

بن القاسم بن بشار)	٨٣٤
أنس بن مالك	١٠٥٦
الأودي (عمرو بن ميمون)	٧١٨
أوس بن حجر	٦٢٠- ٦٢١
البخاري (محمد بن إسماعيل)	٢١٨، ٢٢٢، ٢٦٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٦، ٤٦٢، ٤٦٣، ٧٨٥، ٨١٦، ٨٧٢، ١٠٧٦، ١٠٨٩
البراء بن عازب	٦٥٥
ابن بري	٥٢١
البزي (المقرئ)	١٧٠
ابن بشار الأحول	٤٧
ابن بطال (علي بن خلف)	٨١٨
البغدادي (عبد القادر بن عمر)	٦٢٢، (٨٥٩) ، ٩٢٨ ، ٩٣١
البغوي	١١٤، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٧٦، ٢٨٣، ٤٥٣، ٥٠١، ٥٨٦، ٦٠٧، ٧٦٨، ٧٧١، ٨١٧، ٩١٢، ٩٢٢، ٩٢٤، ٩٣٣، ٩٣٤، ١٠٠٠، ١٠١٥، ١٠٢٧، ١٠٩٢، ١٠٩٥
البقاعي (إبراهيم بن عمر)	٤٤٢، ٤٤٤

أبو بكر الجزائري	٩٧٩
أبو بكر شعبة (المقرئ)	٢٠٠، ٢٠٢
أبو بكر الصديق ﷺ	٥٠، ٩٧٢، ١٠٥٢، ١٠٧٦، ١١٠٦
أبو بكر غالب بن عبد الرحمن (والد ابن عطية)	(٥٧)، ٦٥
أبو بكر بن مجاهد	٤٨
بلال بن رباح	٥٩٨، ٦٠٢، ١١٠٦
البيضاوي	١٤٤، ١٥٣، ٤١٢، ٦٥١، ٩١٨، ٩٥٥، ١٠٣٦، ١٠٣٨
تأبط شراً	٧٠٣
تميم الداري	٥٧٣
توبة بن الحمير	١٣٥
ابن تيمية (شيخ الإسلام)	٦٣، ١٣٣، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٧٨، ٣٦١، ٦٥١، ٨١٦، ٨١٩، ١٠٣١
الثعالبي (عبد الرحمن ابن محمد)	١٥٥، ٣٥٧، ٤١٣، ٤١٤، ٤٩٥، ٥٢٣، ٥٣٠، ٦١٢، ٦١٨، ٨١٦، ٧٢٠، ٧٧٠، ٨١٤، ٨٢٩، ٨٣٤، ٨٤٢، ٨٦١، ٩١٨، ٩٢٥، ٩٣٠، ٩٣٧،

	٩٤٦، ٩٥٢، ١٠٥٠، ١٠٨٦، ١٠٩٥
الثعلبي (أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري)	٩٩٣، ١٠١٣، ١٠٥٢، ١٠٦١
جابر بن عبد الله	١٠٥٥
جبريل (عليه السلام)	٦٣، ٥٤٤، ٥٩٨، ٧٠٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩
ابن جحش (عبد الله بن جحش الصحابي)	٤٤٣
الجرادتان	١٠٨٩
ابن جريج	٢٦٢، ٢٦٨، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ١٠٥٠، ١٠٨٥
جرير (الشاعر)	١٣٦، ١٣٨، ٢٢٥، ٤١٥، ٤١٦، ٩٨٥، ١٠٧٥
ابن جزي	١٨٨، ٢٢٥، ٤٠٦، ٤٦١، ٥٢٥، ٦٤٦، ٦٩٠، ٧٣٢، ٧٧٤، ٧٧٥، ٨٢٢، ٨٣٤، ٨٤٦، ٨٨٨، ٩٥٢، ٩٥٥، ٩٦٦، ٩٩٤، ٩٩٥، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٨٢، ١٠٨٧
الجصاص	٣٤٦
جعفر بن أبي طالب	٥٦٠
جعفر الصادق	١١٦
أبو جعفر (القارئ)	٥٥٧، ٦٢٥، ١٠٩٨
أبو جعفر النحاس	٢٠٢، ٢١٢، ٢٦١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣،

	٣٠٦، ٣٠٧، (٣١١) ، ٣١٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٥، ٤٧٨، ٥٢٠، ٥٨٢، ٦١٥، ٦٢٤، ٦٣٤، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٦٦، ٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩٣، ٧٠٠، ٧٠٨، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٣٠، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٦٢، ٧٧٣، ٧٨٠، ٧٨٥، ٧٨٧، ٧٩٣، ٧٩٤، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٣٣، ٩٤٨، ٩٩٤، ١٠٣١، ١٠٥٣، ١٠٧٢، ١٠٧٧، ١١٠٣، ١١٠٩
جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد)	١٠٢٨
ابن جني (أبو الفتح)	٥٥٩، ٦٢٢
ابن الجوزي	٢٧٦، ٤١٨، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٨٠، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٦٢، ٥٨٦، ٧٢٣، ٧٣١، ٧٨٥، ٨٤٩، ٨٩١، ٩٢٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ١٠٠٠، ١٠٢٧، ١٠٥٣، ١٠٨٦
أبو حاتم السجستاني	١٦٩، ١٧١، ٣٠٩، ٤٠٠، ٦٢٦
الحارث بن حسان البكري	١٠٨٨
الحاكم (أبو عبد الله)	٢٣٦
أبو حامد الإسفراييني	٤٠
ابن حجر العسقلاني	١٨٨، ٢١٩، ٣٥٠، ١٠٤٥، ١٠٨٨، ١٠٩٠

العلم	الصفحات
ابن حجر الهيتمي	٦٣
ابن حزم	١٨٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٦٥٣
الحسن البصري	١٤٠، ٢٤٠، ٢٧٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٤١١، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٧٦، ٥٨٩، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٤، ٦٨٤، ٧٢٢، ٧٥١، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ١٠١٤، ١٠٦٨
الحسين بن محمد (شيخ ابن عطية)	٥٦
حسين بن محمد بن فيرة (شيخ ابن عطية)	٥٦
حفص بن سليمان (المقرئ)	١٧٤
حفصة بنت عمر (أم المؤمنين)	٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠
حمزة بن حبيب الزيات (المقرئ)	٢٠٠، ٢٠٢، ٢٥٤، ٤٢٢
الإمام أبو حنيفة	٢٠٦، ٢٠٨
حواء	٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٣، ٦٧٤، ٦٨٥
الحوفي (علي بن إبراهيم)	٦٩٧
أبو حيان	١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٤،

	٢٨٥، ٢٩١، ٣١٤، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٥٢، ٤٦١، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٥، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٨٩، ٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٧، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٨، ٦٢٨، ٦٤٠، ٦٤٢، ٦٤٦، ٦٦١، ٦٧٤ - ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٨٩، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧١٦، ٧٣٢، ٧٣٧، ٧٤٢، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٥٩، ٧٦١، ٧٧٦، ٧٨٢، ٧٩٠، ٨٠٧، ٨١٤، ٨٢١، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٣٧، ٨٤٦، ٨٤٩، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٧٧، ٨٨٣، ٨٨٥، ٨٨٨، ٨٩٢، ٨٩٦، ٩٠٠، ٩٠٩، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٣، ٩٣٧، ٩٤٦، ٩٥٢، ٩٥٥، ٩٨٤، ٩٩٤، ١٠٠٠، ١٠٠٥، ١٠٠٩، ١٠١١، ١٠١٣، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠٢٨، ١٠٣١، ١٠٣٥، ١٠٥٠، ١٠٥٣، ١٠٧٤، ١٠٨٦، ١٠٩٢، ١٠٩٥
الخازن (المفسر)	٢٢٩، ٥٠١، ٥٢٧، ٥٨٦، ٦٠٠، ٩١٢، ١٠١٥، ١٠٩٥
خباب بن الأرت	٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠

خزيمة بن ثابت	٣٤٣
الخضر	٨٩٥، ٨٩٨
الخطابي (حمد بن محمد)	٢٦٩
الخطيب البغدادي	٣٩
الخلال (أحمد بن محمد بن هارون)	٨٧٠
خلف بن هشام البزار (المقرئ)	٢٠٠، ٤٢٢
ابن خلكان	٤٧
الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٧٥
خويلد بن مرة أبو خراش	٦١٩، ٦٢٣
داود (عليه السلام)	٨١، ٥٢٦
أبو داود (سليمان بن الأشعث)	٣٤٢، ٥٩٠، ٨٧٠
الدمشقي	٤١٨
الدمياطي (أحمد بن محمد المقرئ)	٢٠٢
أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)	١٠٢٢

الاسم	الصفحات
أبو ذر	٢٣٧، ٦٤٦
الإمام الذهبي	٤٥، ٨٧١
الراعي النميري	٨٠١
الراغب الأصبهاني	١١٣، ٢٠١، ٢٣٣، ٣٣٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٤٥١، ٤٩٢، ٦٩٠، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٣٦، ٨١٣، ٨٤٥، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٨
الربيع بن أنس البكري	٢٩١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٦٢، ٤٤٩، ١٠٦٩
الربيع بن سليمان (شيخ الطبري)	٣٥
رفاعة بن زيد	٥٢٤
رفيع بن مهران (أبو العالية)	٤١١، ٥٣٤
الرماني (علي بن عيسى)	٥٩١، ٥٩٣
أبو زبيد الطائي	٨٠٤، ٨٠٥
الزبيدي (اللغوي)	١٧٥
الزبير بن عبد المطلب	٥١٧
الزبير بن العوام	٤٨٥، ٤٨٩
الزبيري	٦٩٠
الزجاج	١٧٢، ١٨٤، ٢٣٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٨١، ٤٤٨، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥١٩، ٥٢١، ٥٤٧، ٦٣٢، ٦٧٤، ٦٩٠، ٦٩١،

العلم	الصفحات
	٦٩٢، ٦٩٣، ٧٠٠، ٧٠٤، ٧٤٣، ٧٨٥، ٨٣٣، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٨١، ٨٨٣، ٨٩٩، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٤٢، ٩٤٨، ١٠٠٩، ١٠٥٣، ١٠٦٩، ١٠٧٢
أبو زرعة (عبد الرحمن ابن زنجلة المقرئ)	١٠٢٠
الزركشي (محمد بن عبد الله)	٩٠١
زكريا (عليه السلام)	٣٧٨، ٩١٠
الزمخشري	١٣٩، ١٤٤، ١٥٣، ١٦٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٧١، ٣٨٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٥٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٠١، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٨، ٦٠٧، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٩٠، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٣١، ٧٤٣، ٧٨١، ٧٨٢، ٨٠٧، ٧٣٣، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٨، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢٢، ٩٢٧، ٩٤٥، ٩٥٤، ٩٥٦، ٩٦٧، ٩٩٤، ١٠٠٠، ١٠٠٩، ١٠١٤، ١٠٢٦، ١٠٤٥، ١٠٥٣
الزهري	١٨٠
زهير بن أبي سلمى	٦٧٢، ٧٠٢، ٧٠٣
ابن زيد (عبد الرحمن ابن زيد)	٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٨،

	٢٩٠، ٨٤٤، ٨٤٦، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٦
سحيم بن وثيل اليربوعي	١٩٥، ١٩٦
السدي	١٨٢، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٧، ٤١١، ٤٦٥، ٤٦٦، ٥١٣، ٥٧٦، ٦٠٠، ٦٠٩، ٦٨٠، ١٠٠٠
سعد بن أبي وقاص	٦٠١، ٦٠٢، (٩٧٨) ، ٩٧٩، ٩٨١
أبو السعود	١٤٤، ٣٥٩، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٤٥، ٦٤٧، ٦٥١، ٧٦١، ٧٨١، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٥٥، ١٠٠٠، ١٠٣٥، ١٠٦٢، ١٠٦٦
سعيد بن جبير	٢٣٦، ٢٣٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٥، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٣، ٨٦٣، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤
أبو سعيد الخدري	٢٩٤، ٢٩٨، ٣٢١، ٣٢٢، ١٠٣٧
أبو سعيد السيرافي	٥٢١
سفيان بن سعيد الثوري	٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩

سليمان بن أحمد الطبراني (تلميذ الطبري)	٣٧، ٥١٦، ٧٠٩
سليمان بن عبد الرحمن (شيخ الطبري)	٣٥
سليمان بن عمر (المعروف بالجمل)	٦٣٩، ٦٤١، ٧٨١
السمين الحلبي	١١٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٩٧، ٣٠٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٦، ٥١١، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٢٩، ٦٤٠، ٦٧٤، ٦٧٧، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٥٩، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨١٤، ٨١٥، ٨٢٤، ٨٢٦، ٨٥٤، ٨٥٨، ٨٧٦، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨٥، ٨٨٦، ٩٢٥، ٩٢٧، ٩٤٦، ٩٥٤، ٩٦٥، ٩٦٧، ٩٨٩، ٩٩٤، ١٠٠٥، ١٠١٥، ١٠٢٦، ١٠٦٨
سيبويه	٧٨، ١٥٧، ٤٢٢، ٦٢٦، ٨١٤، ٩٩١، ١٠٧٦
ابن سيرين	١٤٠، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤
السيوطي	١٠٤، ١٠٥، ٢٤٠، ٩٧٦
الإمام الشافعي	٤٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ٣٤٩

ابن الشجري (هبة الله ابن علي)	١٧٢
الشعبي (عامر بن شراحيل)	٣٤٠، ٣٤١، ٤٩٣، ٤٩٤
الشوكاني	٢٠٣، ٢٠٥، (٢١٤) ، ٢٤٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٤، ٣٣٦، ٣٩٢، ٤١٥، ٤٧٣، ٥٢٣، ٥٨٦، ٦٠١، ٦٩٨، ٧٧٠، ٧٧٦، ٧٧٨، ٩٠٠، ٩١٠، ٩٢٢، ٩٤٦، ٩٦٦، ١٠٢٨
صالح (عليه السلام)	١٠١٣
الصفاقسي (صاحب المجيد في إعراب القرآن المجيد)	١٣٨
صهيب بن سنان الرومي	٥٩٨
الضحاك بن مزاحم	٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ١٠١٤، ١٠١٥
الإمام الطبري (أبو جعفر)	١٢، ١٥، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠،

١١١، ١١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥،
١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧،
١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠،
١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨،
١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٥٦،
١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥،
١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
١٨٤، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،
١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣،
٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١،
٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠،
٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩،
٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠،
٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،
٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٤،
٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩،
٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٠،
٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤،
٣١٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٢٩،
٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩،
٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥،

	٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣،
	٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤،
	٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١،
	٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩،
	٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩،
	٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩،
	٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦،
	٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤،
	٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤،
	٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤،
	٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢،
	٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩،
	٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧،
	٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧،
	٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥،
	٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢،
	٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١،
	٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠،
	٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٩،
	٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١،
	٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩،
	٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦،

٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥،
٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤،
٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦،
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣،
٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩١،
٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠١،
٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨،
٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦،
٦١٧، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦،
٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥،
٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٠، ٦٤٢،
٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٢،
٦٥٢، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١،
٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٠،
٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨،
٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩١،
٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠،
٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧،
٧٠٨، ٧١٠، ٧١١، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦،
٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦،
٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٤،
٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١،

٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨،
٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧،
٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤،
٧٦٧، ٧٦٨، ٧٧٠، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦،
٧٧٧، ٧٧٨، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤،
٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢،
٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٨٠١، ٨٠٢،
٨٠٣، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١،
٨١٢، ٨١٣، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩،
٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦،
٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣،
٨٣٤، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١،
٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨،
٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥،
٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢،
٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧٣، ٨٧٤،
٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢،
٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩،
٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧،
٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠٢،٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٦،
٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤،
٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢،

٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩،
٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦،
٩٣٨، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦،
٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣،
٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٦٣، ٩٦٤،
٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤،
٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨١، ٩٨٣، ٩٨٤،
٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣،
٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠،
١٠٠١، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧،
١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣،
١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩،
١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٤، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨،
١٠٢٩، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥،
١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٩، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٤،
١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١،
١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧،
١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٧،
١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧٢، ١٠٧٤، ١٠٧٥،
١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١،
١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٩١،
١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧،

	١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨
طعمة	٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩
الطيبي (الحسين بن محمد)	٨٢٢
عائشة (أم المؤمنين)	١٠٨٩
عاد بن إرم	٧٢٧، ١٠٨٣
ابن عاشور	٦٩، ١٥٤، ١٥٦، ٢٠٤، ٢٠٥، ٣٢١، ٣٢٥، ٤٧٢، ٥٦٥، ٥٨٥، ٥٨٧، ٦٠٠، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٧٤، ٦٩١، ٧٧٥، ٧٨١، ٧٨٢، ٨٦١، ٨٧٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٥، ٩٢٧، ٩٧٩، ١٠٠٠، ١٠٨٢، ١٠٨٧
عاصم بن أبي النجود (المقرئ)	٢٥٣، ٣٩٠، ٤٢٢، ١٠٩٨، ١٠٩٩
ابن عامر (المقرئ)	١٦٧، ٢٥٣، ٤٢٢، ٦٦٨، ٩٨٧
أبو العباس بن سريج	٤١، ٤٧
العباس بن عبد المطلب	٥٠
أبو العباس المبرد	٤١، (١١٥)، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٧٨، ٣٨٢، ٦١٥، ٦١٦، ٧٠١، ١٠٧٥، ١٠٨٥
عباس بن الوليد (شيخ الطبري)	٣٥

ابن عبد البر	٢١٩، ٨٧١
عبد الحارث	٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٧
ابن عبد الحكم	٥١
عبد الرحمن بن أبي حاتم (المفسر)	٤١١
عبد الرحمن السعدي	١٣٣، ٢٤٢[1]، ٤١٢، ٧٧٧، ٩٢٥، ١٠٥٩
أبو عبد الرحمن السلمي (الصوفي)	١١٦
عبد الرحمن بن محمد أبو القاسم (تلميذ ابن عطية)	٥٨
عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب (شيخ ابن عطية)	٥٦
عبد الرزاق الصنعاني	١٨٧
عبد العزيز بن محمد الطبري (تلميذ الطبري)	٣٩
عبد الله بن أبي سلول	٧٣١
عبد الله بن الحسن الحراني (تلميذ الطبري)	٣٧
عبد الله بن عباس	٥١، ٩٨، ١١٠، ١٧٩، ١٨٠، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٦،

	٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤١٨، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٩٠، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٦٠٦، ٧٠٧، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٣٧، ٧٣٩، ٧٤٢، ٧٨٨، ٧٩٠، ٨٠٧، ٨٩١، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٦، ٩٥٨، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٩٦، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠٤٢
عبد الله بن عدي (تلميذ الطبري)	٣٨
عبد الله بن عمر	٣٤١، ٣٤٧، ٨٧٢
عبد الله بن مسعود	٢٠٢، (٢٥٤)، ٢٧٩، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٤٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٧٢، ١٠٥٢
عبد المنعم بن محمد (ابن الفرس- تلميذ ابن عطية)	٥٨
أبو عبيد (القاسم بن سلاّم)	١٠٤، ١٠٧، ٥٤٨، ٧٢٢
أبو عبيدة (معمر بن	

المثنى)	٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٦، ١٦٤، ١٧٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٨٢، ٤٤٩، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٤، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨١٣، ٨١٧، ٨٣٣، ٨٤٥، ٨٩١، ٩٨٣، ٩٨٤
عثمان رضي الله عنه	٨٠٥، ٨٤٨
العجاج (عبد الله بن رؤبة)	١٢٦
عدي بن بداء	٧٥٣
ابن العربي (القاضي)	٣٣٥، ٣٣٧، ٤٧٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٦٨٤، ٧٢٢، ٧٩٠، ٧٩١، ٨٣٧، ٨٣٨، ٩٢٣
عزير	٩٠٥
عطاء بن أبي رباح	١٧٩، ١٨٠، ٢١٨، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٤١، ٣٤٧، ٨٣٧
ابن عطاء (أحمد بن محمد الصوفي)	١١٦
ابن عطية (أبو محمد)	١٢، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥،

	١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢،
	١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠،
	١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١،
	١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١،
	١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣،
	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،
	٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦،
	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠،
	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣،
	٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠،
	٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢،
	٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠،
	٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٠،
	٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٠،
	٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٥،
	٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣،
	٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٤،
	٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢،
	٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢،
	٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١،
	٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩،
	٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩،

٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨،
٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦،
٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦،
٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣،
٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٣،
٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤،
٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩،
٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨،
٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦،
٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧،
٥٢٩، ٥٣٠، ٥٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩،
٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٣،
٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤،
٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨،
٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧،
٥٨٨، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٩،
٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩،
٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦،
٦١٧، ٦١٨٧، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٩،
٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦،
٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٥،

٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٧،
٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤،
٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤،
٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٣،
٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٣،
٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١،
٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧١٠،
٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٨،
٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧،
٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣، ٧٣٥، ٧٣٧،
٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧،
٧٤٨، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧،
٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٨، ٧٧١،
٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٨٠، ٧٨١،
٧٨٢، ٧٨٤، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤،
٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٢، ٨٠٣،
٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٨، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٦،
٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٤، ٨٢٥،
٨٢٦، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣١، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٦،
٨٣٧، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤،
٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢،
٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠،

٨٦١، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٩، ٨٧٣، ٨٧٥، ٨٧٦،
٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣،
٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠،
٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨،
٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٦، ٩٠٨،
٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧،
٩١٨، ٩١٩، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٦،
٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣٣، ٩٣٥، ٩٣٦،
٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥،
٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢،
٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٧، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥،
٩٦٧، ٩٧١، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨،
٩٨٠، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩،
٩٩١، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨،
٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥،
١١٠٦، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١١٠١٢،
١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩،
١٠٢٢، ١٠٢٤، ١٠٢٦، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٣،
١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٤١، ١٠٤٣، ١٠٤٤،
١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢،
١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨،
١٠٥٩، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٦، ١٠٦٨، ١٠٦٩،

	١٠٧٠، ١٠٧٤، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٤، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٩٢، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٤، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨
عطية بن سعد العوفي	٣٣١، ، ٣٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٩٠، ٦٠٦، ٩٥٨، ٩٦٩
ابن عقيل (صاحب النحو)	٤٩٨، ٥١٠، ٩٥٥، ١٠٧٥
العكبري (عبد الله بن الحسين)	١٦٧، ٤٢٣، ٤٧٨، ٤٩٧، ٦٢٦، ٦٧٤، ٦٧٧، ٨١٣، ٨٥٥، ٨٨٤، ٩٥٤، ٩٩٤، ١٠٢٨
عكرمة	٣٨٦، ٥٩٠، ٧٢٢، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤
العلاء بن الحضرمي	١٠٨٨
علقمة بن قيس	٤٥١
علي بن أبي طالب ﷺ	٥٠، ٢٥٨، ١٠٧٦
علي بن أبي طلحة	٧٠٧
علي بن أحمد بن خلف بن الباذش (شيخ ابن عطية)	٥٧، ٧٨
علي بن سراج (شيخ الطبري)	٣٥

أبو علي الفارسي	١٧٢، ٢٥٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٧٠، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٥٩٢، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٧٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨٨٣، ١١٠٠
علي بن محمد الهروي	١٤١
عمارة بن خزيمة	٣٤٢، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠
عمار بن ياسر	٥٩٨
عمران (من بني إسرائيل)	٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٣
عمران بن موسى (شيخ الطبري)	٣٦
عمر بن أبي ربيعة	٩٦٠
عمر بن الخطاب ﷺ	٥٠، ٢٩٠، ٧٣١، ٩١٥، ٩١٦، ١٠٤٢، ١٠٤٧، ١٠٧٦
عمرو بن حني التغلبي	٩٨١، ٩٨٣، ٩٨٥
أبو عمرو بن العلاء	١٠٣، ١٧٥، ٢٥٣، ٢٩٢، ٩٨٧، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١
عمرو بن مرة	٤٦٩
عمليق بن لاوذ	١٠٨٣
عنترة بن شداد العبسي	٩٥٩، ٩٦٣
عيسى (عليه السلام)	١٣٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٢٣، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٦١، ٥٦٣
عيينة بن حصن الفزاري	٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠١

ابن فارس	١٠٢، ١٠٧، ١٩٣، ٢٣٣، ٢٧١، ٢٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٢٣، ٧٣٥، ٨١٣، ٨٤٥
الفخر الرازي	١٤٤، ١٥٥، ١٦١، ١٧٨، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٧٧، ٣٣٦، ٣٧٢، ٣٨٤، ٤١٢، ٤١٨، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٨٨، ٤٩٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٦٢، ٦٤٤، ٦٨١، ٧١١، ٧٣٧، ٧٦٣، ٧٩١، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٦١، ٨٧١، ٩١٢، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٢٧، ٩٣٦، ٩٤٩، ١٠٣٨
أبو فديك الخارجي	٧٢٧
الفراء (يحيى بن زياد)	١٢٦، ١٢٧، ١٩١، ٢٠٠، ٢٩٧، ٣٣٥، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٢٢، ٤٤٨، ٥٠٢، ٥٢٠، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٩٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٧٤٣، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨١٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٣٣، ٨٣٥، ٨٤٤، ٨٨٣، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩١١، ٩١٣، ٩٢٧، ٩٤٨، ٩٥٦، ٩٥٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٤، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٤، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٨، ١٠٥٠، ١٠٥٢، ١٠٦٧، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩
الفرزدق بن غالب	٥٤٦، ٥٤٧
الفيروزآبادي (صاحب القاموس)	١١٥، ٢٠٢، ٦٦٤، ٧٠١

ابن القاسم (عبد الرحمن بن القاسم)	٤٩٤
القاسم بن معن	٩٥٩، ٩٦٣
القاضي الباقلاني	١٠٣٨
قتادة بن دعامة السدوسي	١٨٧، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٥٥، ٣٨٧، ٤١٠، ٤٤٩، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٥١، ٩٣٢، ١٠٥٠، ١٠٨٥
قتادة بن النعمان	٥٢٥، ٥٢٦
ابن قتيبة	١١٦، ٢٠١، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٨٢، ٥٤٨، ٥٩٦، ٦٢٢، ٦٧٤، ٧٠٠، ٧٠٤، ٧٣٦، ٧٨٥، ٨٣٣، ٨٤٤، ٩٠٠، ٩٤٨
القرطبي	١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩١، ٣١٤، ٣٣٦، ٤١٤، ٤١٩، ٤٨٠، ٤٩٣، ٥٠٥، ٥٢٣، ٥٤٩، ٥٧٢، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧٥، ٧٩١، ٨٢٩، ٨٣٧، ٨٤٦، ٨٤٩، ٨٥٨، ٨٦١، ٨٧١، ٨٧٣، ٨٨٧، ٨٩٢، ٨٩٨، ٩٠٠، ٩٠٩، ٩٢٢، ٩٢٧، ٩٣٠، ٩٤٣، ٩٦٦، ٩٧٩، ٩٨٤، ١٠٥٣، ١٠٨٦

القصاب (محمد بن علي)	٢٣٨، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٤٤، ٩٤٠
قيل بن عتر	١٠٨٨، ١٠٨٩
ابن القيم	٦٥٤، ٧٥١، ٧٥٢، ٨١٧، ٨٧٠، ٩٦٦، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٥١، ١٠٧٩
ابن كثير (إسماعيل بن عمر)	٤٥، ١١٨، ١٣٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤١، ٤٦١، ٥٠٢، ٦٠١، ٦٠٧، ٦٨٤، ٧١٢، ٧٤٧، ٨٥٢، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٣١، ٩٦٩، ١٠٣١، ١٠٥٩، ١٠٧٤، ١٠٧٧، ١٠٧٩، ١٠٩٠، ١٠٩١
ابن كثير (المقرئ)	١٧٠، ٢٥٣، ٢٩٢، ٩٨٧، ١٠١٨
الكرماني (محمد بن يوسف بن علي)	٩٥٧
الكرماني (محمود بن حمزة)	١١٦، ١٩٧، ٢٣٤، ٢٧٦، ٣٨٤، ٤٨٦، ٥٠١، ٦٢٧، ٦٧٧، ٧٤٢، ٨٢١، ٨٧٧، ٨٩٣، ٩٣٢، ٩٩١، ١٠٢٧، ١٠٣٠، ١٠٣٣، ١٠٤٤، ١٠٧٣، ١٠٩٠
الكسائي (المقرئ)	٢٠٠، ٢٠٣، ٢٥٤، ٣٦٩، ٣٧٤، ٤٤٨، ٦٢٦، ١٠٢٠
كعب الأحبار	١٠٨٦
ابن كيسان	١٠٤١
لبيد بن ربيعة العامري	٨٠٤، ٨٠٥،
لقمان	٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠

لقيم بن هزال بن هزيل	١٠٨٥
لوط (عليه السلام)	٥١٣، ٧٢٩، ٨٣٦، ٨٣٨
أبو الليث السمرقندي	١١٣، ١١٧، ١٣١، ٢٢٨، ٢٤١، ٤٩٤، ٥٨٦،
ابن ماجه (المحدث)	٦٠٧، ٩١٢، ٩٢٤، ١٠٠٠
مؤرج	٧٠٣، ٧٨٦
الإمام مالك بن أنس	٦٤، ٨٠، ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٤، ٧٢٢
ابن مالك (محمد بن عبد الله)	١٤٣، ١٠٧٥، ١٠٧٦
الماوردي	٢٤٢، ٢٧٦، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٨٨، ٥٦٢، ٥٨٩، ٦٤٧٧٨٥، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٤٦، ٨٤٩، ٨٩٢، ٩٢٤، ٩٣٢، ١٠٠٠
الملتمس بن عبد المسيح (الشاعر)	٩٨٢
مجاهد بن جبر	١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٩١، ٣٥١، ٤٤٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٧٧، ٧١٧، ٧٥١، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٣، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨٦٥، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٩٢٤، ٩٢٥،

	٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٩٠
محمد رسول الله ﷺ	٤٢، ٧٢، ٨١، ٩٠، ١٣٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩١، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٩٠٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٩، ٥٩٤، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٧، ٦١٨، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٩٨، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٤، ٧١٧، ٧١٨، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٤٠، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٩، ٧٧٣، ٧٧٤،

العلم	الصفحات
	٧٧٧، ٨٣٦، ٨٣٨، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٧، ٨٥٣، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٣، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧٢، ٨٩٤، ٨٩٦، ٩٠٤، ٩٠٨، ٩٢١، ٩٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٧، ٩٤١، ٩٤٣، ٩٥٠، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٩، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٩٤، ٩٩٩، ١٠٠٣، ١٠٠٧، ١٠٢٢، ١٠٣٥، ١٠٣٧، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٤، ١٠٤٦، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥٥، ١٠٦٥، ١٠٦٧، ١٠٦٩، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٣، ١٠٨٨
محمد بن أبي بكر الرازي (صاحب مختار الصحاح)	١١٣
محمد بن أحمد بن عبد الملك (تلميذ ابن عطية)	٥٩
إمام الأئمة (محمد بن إسحاق بن خزيمة)	٤١
محمد بن إسحاق بن يسار (صاحب السيرة)	١٠٨٤، ١٠٩١
محمد الأمين الشنقيطي	٨٨٣، ٩٢٥
محمد بن بشار (شيخ الطبري)	٣٦

محمد جمال الدين القاسمي	٨٧١، ٨٧٤
محمد بن حبيب (صاحب النقائض)	٨٥٩
محمد بن حميد (شيخ الطبري)	٣٦، ٤٩٠، ١٠٩١
محمد بن خير بن عمر (تلميذ ابن عطية)	٥٩
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (شيخ الطبري)	٣٦
محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب (شيخ الطبري)	٣٦
محمد بن علاء أبو كريب (شيخ الطبري)	٣٦، ١٨٣
محمد بن علي التغلبي (شيخ ابن عطية)	٥٧
محمد بن الفرج القرطبي (شيخ ابن عطية)	٥٧
محمد بن كعب القرظي	١٨٦، ١٨٧
محمد بن المبارك	٨٥٩

محمود شاكر	١٢١، ١٦٤، ١٩٨، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٠١، ٦٦٦، ٧١١
ابن محيصن (المقرئ)	٥٥٢
المرزباني (محمد بن عمران)	٩٨٥
مروان بن الحكم	٣٦٢
مريم بنت عمران	٣٨٦، ٣٨٧
مسلم بن الحجاج القشيري	٣٠٣، ٣٥٧، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٤٦، ٦٨٦، ١٠٤٦
المعافي بن زكريا الجريري(تلميذ الطبري)	٣٨
معاوية بن بكر	١٠٨٩
معمر بن راشد	١٨٧
المفضل	٩٥٩
مقاتل	٤٥٥
المقبري (سعيد بن أبي سعيد)	١٨٦
مكحول	١٨٠
مكي بن أبي طالب	١٢٤، ١٧٢، ١٧٣، ٣٠٩، ٣٧٠، ٣٩٤، ٤٤٨، ٥٥٥، ٦٢٨، ٧٢٣، ٧٦٥، ٨١٤، ٨٨٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩٦٥، ٩٦٧، ٩٦٨، ١٠٣١، ١٠٧٤، ١١١٣
ابن أبي مليكة	٢٩٠

المنتجب الهمداني	٤٧٨، ٩٢٧، ٩٥٤، ١٠٢٨، ١٠٧٤، ١٠٧٣
ابن المنذر	٢٠٧
منذر بن سعيد البلوطي	١٠٤٧، ١٠٥٠، ١١١٤
ابن منظور	١١٥، ٤١٧، ٥٢١، ٥٩٦، ٦٢٣، ٦٦٤، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٨٥، ٨١٤، ٨٢٥، ٨٦٤، ٩٠٠
ابن المنير الإسكندري	٤٨٧
المهدوي (أحمد بن عمار)	٩٦٩، ١١١٣
موسى (عليه السلام)	٦٣، ٧٥٢، ٧٦٥، ٧٦٦، ٨٢٨، ٨٣٠، ٨٧٥، ٨٧٨، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٧، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٥٣، ٩٥٦، ٩٧٠
أبو موسى الأشعري (الصحابي)	٢٣٦، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦
أبو ميسرة	١٠٤
النابغة الذبياني	١٤٢، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٩، ٤١٥، ٤١٦، ٨١٢، ٨١٣، ١١٠٥
نافع (المقرئ)	٢٥٣، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠٩٨
النجاشي	٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢
أبو النجم	١٢١، ١٢٣
ابن أبي نجيح	١٩٤، ٢١٦، ٢١٩، ٨٧٣، ٨٨٩، ٩٢٩، ٩٣١
النسفي	١٤٤، ٩٢٢، ٩٥٥، ١٠٥٨
النضر بن شميل	٧٠٦

ابن النقيب	٣١٢
نمرود	٢٦٠، ٢٦١
نوح عليه السلام	٦٦٠، ٦٦١، ٧٢٧، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٧، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ١٠٨٧
النووي	٢٠٥
النيسابوري (محمود بن أبي الحسن)	٣٦٥، ٩٢٧
هاجر	١٠٨٩
هارون (عليه السلام)	٧٦٦، ١٩١
أبو هريرة	٢٦٢، ٢٦٤، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٥٨، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٨٦، ٧٢٤، ٧٢٥، ٨٦٦، ١٠٤٦
ابن هشام الأنصاري	٥١١، ٧٥٩، ، ٨٥٨
هناد بن السّري (شيخ الطبري)	٣٦
هود (عليه السلام)	٧٧٣، ١٠١٣، ١٠٨٦
الواحدي	١١٤، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٧٥، ٣٧٣، ٤٥٣، ٥٦٢، ٥٨٣، ٦٧٤، ٧٤٣، ٧٦١، ٨٣٣، ٨٣٨، ٨٧١، ٩٢١، ٩٢٤، ٩٣٣، ٩٣٤، ١٠٠٠، ١٠١٥، ١٠٩٢
الوليد بن شجاع السكوني (شيخ الطبري)	٣٧
ابن وهب	٢٢٣، ٢٨٨، ٤٨٥، ٤٩٤

يحيى (عليه السلام)	٣٧٨، ٩٠٨، ٩١٠
اليزيدي (عبد الله بن يحيى)	٤٤٨، ٧٣٦
يعقوب (عليه السلام)	٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٨١٠
يعقوب بن إبراهيم الدورقي (شيخ الطبري)	٣٧
يعقوب الحضرمي (المقرئ)	٣٩٠، ٤٢٢
يمان بن رئاب	٣٦٤
اليهودي (السموأل)	٥١٧، ٥١٩، ٥٢١
يوسف (عليه السلام)	٨٠١، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١
يونس (عليه السلام)	٧٦٧، ٧٦٨، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢
يونس بن عبد الأعلى	٢٤٩

٦- فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

حرف الألف

* الإبهاج في شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
* اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للدمياطي، تعليق : علي محمد الضباع. دار الندوة الجديدة.
* الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تعليق: محمد شريف سكّر. دار إحياء العلوم بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
* إثبات صفة العلو، لعبد الله بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله. الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٦ هـ
* الأحاديث المختارة، لمحمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، ط الأولى ١٤١٠ هـ
* الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.
* أحكام الجنائز وبدعها، للألباني. المكتب الإسلامي، ط الرابعة ١٤٠٦هـ.
* الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم. منشورات دار الآفاق الجديدة، ط الثانية ١٤٠٣ هـ.
* أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق : علي محمد البجاوي. دار الفكر.
* أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي. دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ.
* أحكام القرآن ، للشافعي ، جمع البيهقي ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق . دار

الكتب العلمية. ١٤٠٠ هـ.

- أحكام القرآن، للكيا الهراسي. دار الكتب العلمية، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.
- إختلاف الفقهاء، لمحمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإختيار لتعليل المختار، لابن مودود الموصلي. دار المعرفة، ط الثالثة ١٣٩٥هـ.
- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، للقلانسي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي. المكتبة الفيصلية، ط الأولى ١٤٠٤ هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني. المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ.
- أساس البلاغة، للزمخشري. مطبعة دار الكتب، ط الثانية ١٩٧٣م.
- أسباب النزول، للواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن. دار الإصلاح، ط الأولى ١٤١١هـ.
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب – بحاشية الإصابة – لابن عبد البر، تحقيق: طه محمد الزيتي. الناشر مكتبة ابن تيمية ١٤١١هـ.
- الإسرائليات في التفسير والحديث، للدكتور/ محمد حسين الذهبي. الناشر مكتبة وهبة ط الثالثة ١٤٠٦ هـ.
- الأسماء والصفات،للبيهقى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر. الناشر دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: طه محمد الزيتي. الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١١هـ.

❁ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين، ط الثانية ١٩٧٧م.

❁ كتاب الأصمعيات، للأصمعي، تحقيق: أحمد شاكر و عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر، ط الرابعة.

❁ أصول الفقه، لمحمد أبي النور. المكتبة الفيصلية ١٤٠٥ هـ.

❁ كتاب الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. الكويت ١٩٦٠ م.

❁ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي. عالم الكتب بيروت.

❁ إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد. عالم الكتب ط الثانية، ١٤٠٥هـ.

❁ الأعلام. لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت، ط السابعة ١٩٨٦م.

❁ إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

❁ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. دار الكتب المصرية ط الأولى ١٩٣٥م.

❁ ألفية ابن مالك – مع شرح ابن عقيل – لابن مالك. المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٤١٤هـ.

❁ الأمالي الشجرية، لابن الشجري. دار المعرفة للطباعة والنشر.

❁ الإمام الطبري (شيخ المفسرين، وعمدة المؤرخين، ومقدمة فقهاء المحدثين، صاحب المذهب الجريري) للدكتور/ محمد الزحيلي. دار القلم. ط الأولى، ١٤١٠هـ.

❁ الأم، للإمام الشافعي تصحيح/ محمد زهري النجار. دار المعرفة.



✿ انباه الرواة على انباه النحاة، للقفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. مطبعة دار الكتب المصرية، الأولى ١٣٧٤هـ.

✿ الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال – بهامش الكشاف – لابن المنير الاسكندري، دار الفكر، ط الأولى ١٣٩٧هـ.

✿ الإنتصاف من الإنصاف – بهامش الإنصاف في مسائل الخلاف – لمحمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر.

✿ الأنساب، للسمعاني. طبع دار الجنان ط الأولى ١٤٠٨هـ.

✿ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين، والكوفيين، لعبد الرحمن ابن محمد الأنباري. دار الفكر.

✿ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم القونوي، تحقيق: د/ أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي. الناشر دار الوفاء ط الثانية ١٤٠٧هـ.

✿ أودية مكة، للبلادي. دار مكة، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

✿ الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر، تحقيق: د/ أبي حمَّاد صغير. دار طيبة، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.

✿ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري. دار الفكر ط السادسة ١٣٩٤هـ.

✿ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري. الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف ١٤١٤هـ.

✿ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخة ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لمكي، تحقيق: أحمد حسن فرحات. دار المنارة جدة، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

حرف الباء

✿ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم. دار المعرفة، ط الثانية.



✿ بحر العلوم، لأبي الليث، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٣هـ.

✿البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عادل أحمد ، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد، وأحمد النجولي. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٣هـ.

✿ بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق: يسري السيد محمد. دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٤هـ.

✿ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد. دار المعرفة، ط الثامنة ١٤٠٦هـ.

✿ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير تحقيق: د/ أحمد أبي ملحم ورفاقه. دار الكتب العلمية. ط الأولى ١٤٠٥هـ.

✿ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني. مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٤٨هـ.

✿ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري، لعبد الفتاح القاضي. الناشر دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٤٠١هـ.

✿ البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الفكر ١٤٠٠هـ.

✿ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية.

✿ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي. دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

✿ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت.

✿ البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ومصطفى أمين. لم يذكر معلومات عن الطبع.



* بلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٥ هـ.
* بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لابن حجر العسقلاني، تصحيح/ محمد حامد الفقي. دار الندوة الجديدة.
* بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. مؤسسة قرطبة.
* البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: د/ طه عبد الحميد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ هـ.

حرف التاء

* تاج العروس، للزبيدي. الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي.
* تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان. دار المعارف بمصر، ط الثانية.
* تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
* تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين. منشورات جامعة الإمام، ١٤٠٤هـ.
* تاريخ دمشق، لابن عساكر. نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
* تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) للإمام الطبري . دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ.
* تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
* التاريخ الكبير، للبخاري. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
* تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر. دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٠١هـ.



* التبيان في إعراب القرآن، لأبي بقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
* تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي. ط الإمدادية.
* التحرير والتنوير، لابن عاشور. لم يذكر معلومات عن الطبع.
* تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي. دار إحياء التراث العربي.
* تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ. ط دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
* ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر أحمد الزاوي. دار الفكر، ط الثالثة.
* التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، تحقيق: محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوة. الناشر أم القرى للطباعة والنشر القاهرة.
* التعريفات، للجرجاني. دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
* تفسير ابن كثير، لابن كثير. دار الفكر، ط الأولى ١٤٠٠هـ.
* تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود. الناشر دار إحياء التراث العربي.
* تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط الثانية ١٣٨٨هـ.
* تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي. دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.
* تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن. دار الفكر ١٣٩٩هـ.

❁ تفسير سفيان الثوري، لسفيان الثوري، رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عن سفيان. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

❁ تفسير سفيان بن عيينة، لسفيان بن عيينة، جمع وتحقيق: أحمد صالح محايري. المكتب الإسلامي، ومكتبة أسامة، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

❁ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ بحاشية جامع البيان ـ للحسن بن محمد النيسابوري. المطبعة الأميرية ببولاق، ط الأولى ١٣٢٣هـ. تصوير دار المعرفة ١٤٠٦ هـ.

❁ تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر. دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

❁ تفسير غريب القرآن، لأبي بكر محمد السجستاني. دار التراث القاهرة.

❁ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام الطبري، تحقيق : أحمد ومحمود شاكر. دار المعارف بمصر. ط الثانية.

❁ تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام الطبري. دار الكتب العلمية. ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ تفسير القرآن، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق : د/ مصطفى مسلم محمد. مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.

❁ تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. دار المنار، ط الثانية ١٣٦٨هـ.

❁ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: د/ حكمت بشير، ود/ أحمد عبد الله. الناشرون مكتبة الدار، ودار طيبة، و دار ابن القيم، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.

❁ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي . دار الكتب العلمية



ط الأولى، ١٤١١هـ.

✿ تفسير كتاب الله العزيز، لهود بن محكم، تحقيق : بالحاج بن سعيد شريفي. دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٩٩٠م.

✿ تفسير النسائي، للنسائي، تحقيق : سيد الجليمي وصبري الشافعي. مكتبة السُّنة، ط الأولى ١٤١٠هـ.

✿ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي. الناشر دار الكتاب العربي.

✿ التفسير ورجاله، لمحمد الفاضل بن عاشور. دار الكتب الشرقية تونس، ط الثانية ١٩٧٢م.

✿ التفسير والمفسرون، للدكتور/ محمد حسين الذهبي. دار الكتب الحديثة، ط الثانية ١٣٩٦ هـ.

✿ تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة. ط : دار البشائر الإسلامية بيروت، الأولى ١٤٠٦ هـ.

✿ التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار. نشره عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٥هـ.

✿ تلخيص المستدرك (هامش المستدرك) للذهبي. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ.

✿ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، تصوير دار الكتاب الإسلامي.

✿ تهذيب اللغة، للأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون وآخرون. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

✿ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، تعليق: محمد خليل

هرَّاس. دار الكتب العلميَّة ١٤٠٣هـ.

✿ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، لعبد الرحمن السعدي، تقديم محمد زهري النجار. مطبعة المدني ١٤٠٨هـ.

حرف الجيم

✿ جامع البيان في تفسير القرآن، للأمام الطبري، المطبعة الأميرية ببولاق. الأولى ١٣٢٣هـ. تصوير دار المعرفة ١٤٠٦هـ.

✿ الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، للترمذي، تحقيق، أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي.

✿ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق : إبراهيم اطفيش. دار الكتب المصرية.

✿ الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم. مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد، ط الأولى.

✿ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد البجاوي. دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط الأولى.

✿ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، تحقيق: د/ عمَّار الطالبي. المؤسسة الوطنية للكتاب.

حرف الحاء

✿ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي. دار الراية ط الأولى ١٤١١هـ.

✿ الحجة في القراءات السبع،لابن خالويه، تحقيق: د/ عبد العال سالم. دار الشروق بيروت، ط الثانية ١٣٩٧هـ.

✿ حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٣٩٤هـ.

✿ الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي ، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. دار المأمون للتراث، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

حرف الخاء

✿ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الثالثة ١٤٠٩هـ.

✿ الخصائص، لابن جني، تحقيق : محمد علي النجار. الناشردارالكتاب العربي.

حرف الدال

✿ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠١هـ.

✿ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق : د/ أحمد محمد الخراط. دار القلم ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

✿ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي. دار المعرفة.

✿ دلائل النبوة، لأبي نعيم. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٧هـ.

✿ دول الإسلام، للذهبي، تحقيق: فهيم محمد ومحمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

✿ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق: د/ محمد الأحمدي أبي النور. مكتبة دار التراث القاهرة.

✿ ديوان الأحوص (شعر الأحوص الأنصاري) جمع و تحقيق: عادل سليمان جمال. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.

❁ ديوان الأخطل، شرح راجي الأسمر. الناشر دار الكتاب العربي ط الأولى ١٤١٣هـ.

❁ ديوان الأعشى. دار صادر بيروت.

❁ ديوان جرير بشرح محمد حبيب، تحقيق: د/ نعمان محمد أمين طه. دار المعارف. وهذه الطبعة اعتُمد عليها في تخريج بيت ورد لجرير في سورة الإسراء الآية (٣٦)، و لم يُعتمد عليها في غير هذا الموطن.

❁ ديوان جرير. دار صادر بيروت و دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ.

❁ ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: محمد خير البقاعي. دار قتيبة ١٤٠١هـ.

❁ ديوان زهير بن أبي سلمى. دار صادر بيروت.

❁ ديوان السموأل. دار صادر بيروت.

❁ ديوان شعر المتلمس/ رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي / تحقيق: الصيرفي. الشركة المصرية للطباعة والنشر.

❁ ديوان عبيد بن الأبرص. دار صادر، دار بيروت ١٣٨٤هـ.

❁ ديوان عمر بن أبي ربيعة. دار صادر بيروت.

❁ ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه مجيد طراد. الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى ١٤١٢ هـ.

❁ ديوان لبيد العامري. دار صادر بيروت.

❁ ديوان ابن مقبل، تحقيق: د/ عزة حسن. مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ١٣٨١هـ.

❁ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني. دار صادر بيروت، و دار بيروت ١٣٨٣هـ .

❁ ديوان الهذليين . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب في السنوات ٦٤ ، ٦٧،



١٣٦٩ هـ. الناشر / الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٥هـ.

حرف الراء

* رسالة في الرد على الرافضة، لأبي حامد محمد المقدسي، تحقيق: عبد الوهاب خليل الرحمن. الناشر الدار السلفية بومباي الهند، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
* الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية.
* رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط. دار القلم، ط الثانية ١٤٠٥ هـ.
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي. دار الفكر ١٤٠٨هـ.
* الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د/ إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة، ط الثانية ١٩٨٠م.
* روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي. دار الكتب العلمية.

حرف الزاي

* زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي. المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

حرف السين

* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ الألباني. المكتب الإسلامي، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.
* سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، للألباني. المكتب الإسلامي، ط الخامسة ١٤٠٥هـ.
* السنة، لأبي بكر الخلال، تحقيق: د/ عطية الزهراني. دار الراية، ط الأولى ١٤١٠هـ.



✿ كتاب السُّنة، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: الألباني. المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٥هـ.

✿ سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.

✿ سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين. دار الفكر.

✿ سنن الدار قطني، للإمام الدار قطني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني. دار المحاسن للطباعة ١٣٨٦هـ.

✿ السنن الكبرى، للإمام البيهقي. دار المعرفة.

✿ سنن النسائي، للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة. الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

✿ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

✿ السيرة النبوية، لابن هشام، تعليق: د/ عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، ط الثالثة ١٤١٠هـ.

حرف الشين

✿ شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف. الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

✿ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

✿ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل. المكتبة العصرية ١٤١٤هـ.

✿ شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان. الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤١١هـ.



✿ شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي. هجر للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٠هـ.

✿ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري. وهي النسخة التي بحاشيتها منتهى الأرب بتحقيق: شرح شذور الذهب لمحمد محي الدين. و لم يذكر أي معلوات عن الطبع.

✿ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق: د/ عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

✿ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، خرج أحاديثها / محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ط الثامنة ١٤٠٤هـ.

✿ شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس. مكتبة التراث الإسلامي.

✿ شرح العناية على الهداية، للبابرتي. دار الفكر، ط الثانية.

✿ شرح فتح القدير، لابن الهمام الحنفي. دار الفكر، ط الثانية.

✿ شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري. المكتبة التجارية الكبرى بمصر. ط الحادية عشرة ١٩٦٣م.

✿ شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني. الناشر :دار الكتاب العربي، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

✿ شرح المفصل، لابن يعيش. عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة.

✿ شرح ملحة الإعراب،للحريري، تحقيق: د/ أحمد محمد قاسم ز. مكتبة دار التراث، ط الثانية ١٤١٢هـ.

✿ الشريعة، للآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي. نشر أنصار السنة المحمدية.

✿ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط الثانية ١٤٠٥هـ.



حرف الصاد

❁الصاحبي، لابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر. مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.

❁الصحاح في اللغة والعلوم، لنديم مرعشلي وأسامة مرعشلي. دار الحضارة العربية، ط الأولى ١٩٤٧م.

❁صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي. ط المكتب الإسلامي الأولى ١٣٩١هـ.

❁صحيح البخاري – مع فتح الباري – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. الناشر دار المعرفة.

❁صحيح سنن ابن ماجه، للألباني. المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٨ هـ.

❁صحيح سنن الترمذي، للشيخ الألباني. المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ صحيح مسلم بشرح النووي. مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الأولى، ١٤١٢هـ

❁ صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.

❁ الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي.مكتبة المعارف لرياض ١٤٠٠هـ.

❁ صريح السنة، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق. نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. ط الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن الزبير. مكتبة خياط، بيروت.

❁ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، لابن

بشكوال، تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني. الناشر مكتبة الخانجي بالقـاهرة، ط الثاني ١٤١٤هـ.

❁الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، تحقيق: د/على بـن محمد الدخيل الله. دار العاصمة الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

حرف الضاد

❁الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي، حققه : عبـد الله القاضـي. دار الكتـب العلمية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

حرف الطاء

❁الطبري، بقلم الدكتور/ أحمد محمد الحوفي، ط: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

❁طبقات الحفاظ، للسيوطي. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

❁طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو. دار إحياء الكتب العربية.

❁طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي، تحقيق: أكرم البوشي. مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٠٩هـ.

❁ طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود شاكر. ومطبعة المدني.

❁ طبقات المفسرين للداوودي. دار الكتب العلمية بيروت.

❁ طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر . مطبعة الحضارة العربية، ط الأولى ١٣٩٦هـ.

حرف الظاء

❁ ظهر الإسلام ، لأحمد أمين . دار الكتاب العربي، بيروت ، ط الخامسـة



١٣٨٨هـ.

حرف العين

❁ العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني. دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك – بحاشية أوضح المسالك – لمحمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر ط السادسة ١٣٩٤هـ.

❁ كتاب العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد. مكتبة المعلا، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ كتاب العظمة، لأبي الشيخ ، تحقيق : رضاء الله بن محمد . دار العاصمة الرياض، النشرة الاولى١٤١١هـ.

❁ عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني (ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: بدر البدر.الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها، للذهبي، صححه : عبد الرحمن محمد عثمان. الناشر المكتبة السلفية،المدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

❁ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق : محمد التونجي. عالم الكتب، ط الأولى ١٤١٤هـ.

❁ العمدة في غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

حرف الغين

❁ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره برجستراسر. مكتبة الخانجي بمصر ١٣٥٢هـ.

❁ غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: د/ شمـران سركال. دار القبلة للثقافة الإسـلامية ومؤسسـة علـوم القـرآن، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

❁ غريب القرآن وتفسـيره،لعبد الله بن يحيى اليزيدي، تحقيق : محمد سليم الحاج. عالم الكتب، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

حرف الفاء

❁ الفتاوى الحديثية، لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي. ط مصـطفى البـابي الحلبي بمصر الثانية ١٣٩٠هـ.

❁ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني. المطبعـة السـلفية، الناشر دار المعرفة.

❁ فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان. دار الفكر العربي.

❁ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بـن علـي الشوكاني. دار الفكر ١٤٠٣هـ .

❁ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بـن عمـر الجمل. مطبعة عيسى البابي الحلبي.

❁ الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق : محمد محي الدين . الناشر دار المعرفة بيروت.

❁ الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب، تحقيق: د/ فهمي حسن النمـر، د/ فؤاد علي مخيمر. دار الثقافة، ط الأولى ١٤١١هـ.

❁ الفصل في الملل والأهواء والنحل،لابن حزم الظاهري.دار المعرفة.

❁ الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

❁ فهرست ما رواه عن شـيوخه من الدواوين المصنفـة في ضروب العلم وأنواع

المعارف، لأبي بكر محمد بن خير الأشبيلي (ت: ٥٧٥هـ) تحقيق: فرنسشكة وخليان. ط الثانية ١٣٨٢هـ عن الأصل المطبوع في مطبعة قومش.

حرف القاف

❁ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح القاضي. الناشر دار الكتاب العربي. ط الأولى ١٤٠١هـ.

❁ القراءات وعلل النحويين فيها المسمى (علل القراءات)، لأبي منصور الأزهري تحقيق: نوال بنت إبراهيم الحلوة. ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ قصص الأنبياء لابن كثير، تحقيق: د/ عبد الحي الفرماوي. دار الطباعة والنشر الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ قلائد العقيان في محاسن الأعيان، للفتح بن خاقان. مصورة عن طبعة باريس، الناشر: المكتبة العتيقة تونس.

حرف الكاف

❁ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي. دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

❁ الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف الملحق بآخر الكشاف، لابن حجر العسقلاني. دار المعرفة.

❁ الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، وهي مع شرحها للدكتور/ محمد خليل هراس. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق: د/ محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤٠٧هـ.

❁ الكامل، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٣هـ.



❁الكتاب (كتاب سيبويه) لعمرو بن عثمان قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط الثالثة ١٤٠٨ هـ.

❁الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري. دار الفكر ط الأولى ١٣٩٧هـ.

❁كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. منشورات مكتبة المتنبي ببغداد.

❁ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٧ هـ.

❁ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للهندي. منشورات مكتبة التراث الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٧ هـ.

حرف اللام

❁لباب النقول في أسباب النزول بحاشية تفسير الجلالين، للسيوطي. دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

❁لسان العرب، لابن منظور، تعليق: علي شيري. دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.

❁لسان الميزان ، لابن حجر . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط الأولى ١٣٣١هـ.

❁ كتاب اللغات في القرآن برواية ابن حسنون إلى ابن عباس، تحقيق: د/ صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديدة، ط الثالثة ١٣٩٨ هـ.

❁ لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم رواية عن الصحابي ابن عباس ﷺ . تحقيق: د/ عبد الحميد السيد. مطبوعات جامعة الكويت



عام ١٩٨٥م.

- لغة القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الجليل عبد الرحيم. مكتبة الرسالة ط الأولى ١٤٠١ هـ.

حرف الميم

- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان. مؤسسة الرسالة ط الثامنة ١٤٠١ هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق : د/ محمد فؤاد سزكين. الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر، ط الثانية.
- المجتمع المدني في عهد النبوة. للدكتور/ أكرم ضياء العُمري. نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي. منشورات دار الكتاب العربي، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- المجموع شرح المهذب، للنووي. دار الفكر.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم بمساعدة ابنه محمد. المطبوعة على نفقة الملك خالد رحمه الله.
- المجيد في إعراب القرآن المجيد، للصفاقصي، تحقيق: موسى محمد زنين. منشورات كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية الليبية ط الأولى ١٩٩٢ م.
- محاسن التأويل (تفسير القاسمي) للقاسمي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. مؤسسة التاريخ العربي، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

❁ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي، والدكتور/ عبد الحليم النجار، والدكتور/ عبد الفتاح شلبي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة ١٣٨٦ هـ.

❁ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق : عبد الله الأنصاري ورفاقه. الطبعة القطرية، ط الأولى ١٣٩٨ هـ.

❁ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ١٤١٣هـ.

❁ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي ابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي . دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٣ هـ .

❁ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي ابن عطية ، تحقيق: الملاح ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٩ هـ .

❁ المحلى، لابن حزم تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. منشورات دار الآفاق الجديدة.

❁ المحمدون من الشعراء، للقفطي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط الأولى ١٣٨٥هـ.

❁ مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، تصحيح: سميرة خلف الموالي. المركز العربي للثقافة والعلوم.

❁ مختصر الصرف، للدكتور / عبد الهادي الفضلي. دار الشروق جدة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

❁ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن الموصلي. دار الندوة الجديدة ١٤٠٥ هـ.

- مختصر العلو للعلي الغفار، إختصار وتحقيق: الألباني.المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠١هـ.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، عني بنشره ج برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.
- المخصص، لابن سيده. دار الكتب العلمية.
- مدرسة التفسير، في الأندلس، لمصطفى إبراهيم المشني. مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات، لابن حزم. دار الكتب العلمية.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ط الثانية ١٣٩٠هـ.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٣هـ.
- مساوئ الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: مصطفى أبي النصر الشلبي. مكتبة السوادي، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود الطيالسي. مكتبة المعارف، ودار المعرفة.
- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، ط الثانية ١٤١٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: جماعة بإشراف د/ عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٦ هـ



- المسند، للإمام أحمد. المكتب الإسلامي ط الخامسة ١٤٠٥هـ.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ حاتم صالح. مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.
- المصباح المنير، للفيومي. مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٣٩٢هـ.
- معالم التنزيل، (تفسير البغوي) للبغوي تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار. دار المعرفة ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الصابوني. مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: د/ عبد الأمير محمد عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن، للفراء. عالم الكتب ط الثالثة ١٤٠٣هـ.
- المعاني الكبير في أبيات في أبيات المعاني، لابن قتيبة. مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، ط الأولى ١٣٦٨هـ.
- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد بن عبد الله المعتق. دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة. مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب

العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٠هـ.

❁ معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني. دار الكتب العلمية، ط الثانية، ١٤٠٢هـ.

❁ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (المعروف بابن الأبار). الناشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧هـ.

❁ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، ط السادسة ١٤١٢هـ.

❁ المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مطبعة الزهراء الحديثة، ط الثانية.

❁ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب، ط الثالثة ١٤٠٣هـ.

❁ المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، للدكتور/ إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ.

❁ المعجم المفصل في علم الصرف، لراجي الأسمر. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ.

❁ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، ط الأولى ١٤١١هـ.

❁ المعجم الوسيط، اشترك في تأليفه جماعة من مجمع اللغة العربية. مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ط الثالثة.

❁ المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. مطبعة دار الكتب ط الثانية ١٣٨٩ هـ.



❁ المغني، لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١ هـ.

❁ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين. المكتبة العصرية ١٤٠٧ هـ.

❁ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.

❁ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة.

❁ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي. دار طيبة ط الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تصحيح : هلموت ريتر. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة.

❁ مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية. دار الصحابة للتراث ط الأولى ١٤٠٩هـ.

❁ المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، للإمام عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: د/ محمد كامل أحمد. دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ.

❁ ملحمة الراعي، تحقيق: أحمد الشائب. مطبعة جامعة فؤاد الأول.

❁ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل. دار الفكر.

❁ من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق :

د/ عبد العزيز بن ناصر المانع. توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر. دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم. نشر جامعة الإمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الوهاب فايد. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ.
- المهذب فيما وقع من القرآن من المعرَّب، للسيوطي، تحقيق: د/ التهامي الراجي الهاشمي. مطبعة المحمدية المغرب.
- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. لسعدي أبي جيب. دار العربية للطباعة والنشر بيروت.
- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، لمحمد بن رزق بن طرهوني. دار ابن القيم، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود. الناشر مكتبة الرشد الرياض ط الأولى، ١٤١٥هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة بيروت.

حرف النون

- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد بن صالح المديفر. مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤١١هـ.



✽ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٢ هـ.

✽ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

✽ النحو الوافي، لعباس حسن. دار المعارف بمصر، ط الخامسة.

✽ نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

✽ نزهة الخاطر العاطر - بحاشية روضة الناظر- لعبد القادر بن بدران. دار الكتب العلمية.

✽ كتاب النزول ، للدارقطني ، تحقيق : د / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي . ط الأولى ١٤٠٣هـ.

✽ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع. دارالكتب العلمية.

✽ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي. ط دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط الأولى ١٣٨٩ هـ.

✽ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس. دار صادر بيروت.

✽ نقائض جرير والفرزدق، لمحمد بن حبيب. الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

✽ نقد مراتب الإجماع، لشيخ الإسلام ابن تيمية. دار الكتب العلمية.

✽ نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، لمحمد بن علي

القصاب، تحقيق: د/ علي بن غازي التويجري، وشايع بن عبده الأسمري. رسالتا ماجستير خاصة بمكتبتي، ويوجد من الكتاب نسخ في الجامعة الإسلامية، المكتبة المركزية.

❁ النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولى ١٤١٢هـ.

❁ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. المكتبة العلمية ببيروت.

❁ نهر الخير على أيسر التفاسير – بحاشية أيسر التفاسير – لأبي بكر الجزائري. ط الأولى الخاصة بالمؤلف ١٤١٤هـ.

❁ النهر الماد من البحر على حاشية البحر المحيط، لأبي حيان. دار الفكر، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

❁ نواسخ القرآن، لابن الجوزي، تحقيق: د/ محمد أشرف. نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٤ هـ.

حرف الهاء

❁ الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغيناني. دار الفكر، ط الثانية.

❁ هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، لإسماعيل البغدادي. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ومطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م.

❁ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: د/ عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٣٩٩هـ.

حرف الواو

❁ الوافي بالوفيات، للصفدي، باعتناء هلموت ريتر. دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن ١٣٨١هـ.



❁ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمـــد، وأحمد محمد، وأحمد عبد الغني، و عبد الرحمن عويس. دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٥هـــ.

❁ وضح البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيـــق: صـــفوان عدنان. دار القلم، الدار الشامية، ط الأولى ١٤١٠هـــ.

❁ الوفيات، لابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض. منشـــورات المكتـــب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى ١٩٧١ م.

❁ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان. تحقيق: الـــدكتور/ إحســـان عباس. دار صادر بيروت.

٧- فهرس الموضوعات

استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان ١

كلمة شكر ٧

المقدمة ٧

أسباب أختيار الموضوع ١٤

خطة البحث ١٦

المنهج المتبع في البحث ١٩

القسم الاول : عن الإمامين الطبري وابن عطية وعن تفسيريهما

(وفيه ثلاثة فصول) ٢٨

الفصل الاول : ترجمة موجزة للإمام الطبري (وفيه عشرة مباحث)......... ٢٩

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ونسبته ٢٩

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم ٣٢

المبحث الثالث : رحلاته العلمية ٣٣

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه ٣٤

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه ٣٨

المبحث السادس : عقيدته ٤١

المبحث السابع : مذهبه في الفقه ٤٦

المبحث الثامن : الأعمال التي قام بها ٤٨

المبحث التاسع : مؤلفاته ٤٩

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى ٥١

الفصل الثاني : ترجمة موجزة للقاضي ابن عطية (وفيه عشرة مباحث) ٥٣

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ٥٣

المبحث الثاني : مولده ونشأته وطلبه للعلم ٥٤

المبحث الثالث : رحلاته العلمية ٥٥

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه ٥٦

المبحث الخامس : العلوم التي برع فيها وثناء العلماء عليه ٥٩

المبحث السادس : عقيدته ٦١

المبحث السابع : مذهبه في الفقه ٦٤

المبحث الثامن : المناصب التي شغلها ٦٥

المبحث التاسع : مؤلفاته ٦٦

المبحث العاشر : وفاته رحمه الله تعالى ٦٧

الفصل الثالث : عقد موازنة بين جامع البيان والمحرر الوجيز (وفيه عشرة مباحث) ٦٩

المبحث الأول : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالقرآن ٧٠

المبحث الثاني : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بالسنة ٧١

المبحث الثالث : الموازنة بينهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ٧٤

المبحث الرابع : الموازنة بينهما في ذكر القراءات وتوجيهها ٧٥

المبحث الخامس : الموازنة بينهما في الاعتماد على اللغة العربية ٧٦

المبحث السادس : الموازنة بينهما في تدوين أحكام القرآن ٧٨

المبحث السابع: الموازنة بينهما في ذكر الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم ٨٠

المبحث الثامن : الموازنة بينهما في الاهتمام بالعقيدة والرد على الفرق المخالفة ٨٣

المبحث التاسع : الموازنة بينهما في ذكر أسباب النـزول ٨٦

المبحث العاشر : الموازنة بينهما في ذكر الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمكي والمدني ٨٨

القسم الثاني : استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره ٩١

مقدمة التفسير ، فيها استدراك . واحد وهو في وجود المعرب في القرآن... ٩٤

سورة الفاتحة ١١٠

الاستدراك رقم (١) في معنى الحمد في قوله تعالى: ﴿ الحمد لله رب ...﴾ ١١٠

الاستدراك رقم (٢) في الاحتجاج ببيت الأحوص (ويلحنني في اللهو ألاّ أُحبه)

على زيادة لا من قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين﴾ ١٢١

الاستدراك رقم (٣) في التعليل لوصف اليهود بالغضب والنصارى بالضلال في قوله

تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ١٢٩

سورة البقرة ١٣٥

الاستدراك رقم (١) في جعل (أو) بمعنى الواو في قوله تعالى: ﴿ أو كصيب من

السماء﴾ ١٣٥

الاستدراك رقم (٢) في معنى الحياء الوارد في قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يستحيي أن

يضرب مثلاً ﴾ ١٤٤

الاستدراك رقم (٣) في خصوص النعمة في قوله تعالى: ﴿ أذكروا نعمتي التي

أنعمت عليكم ﴾ ١٤٨

الاستدراك رقم (٤) في المشار إليه بالكاف في قوله تعالى : ﴿ كذلك يحيي الله

الموتى ﴾ ١٥٠

الاستدراك رقم (٥) في إعراب فيكون من قوله تعالى: ﴿ وإذا قضى أمراً فإنما يقول

له كن فيكون ﴾ ١٥٦

الاستدراك رقم (٦) في معنى أم من قوله تعالى: ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر

يعقوب الموت﴾ ١٥٩

الاستدراك رقم (٧) في الاحتجاج ببيت شعر على معنى الامتراء من قوله تعالى: ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ ١٦٢

الاستدراك رقم (٨) في تخطئة الطبري قراءة شاذة في قوله تعالى: ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ ١٦٥

الاستدراك رقم (٩) في قول الطبري إن التخفيف والتشديد لغتان في الميتة من قوله تعالى: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة ﴾ ١٦٨

الاستدراك رقم (١٠) في حمل الواو على الخصوص في قوله تعالى: ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ ١٧٧

الاستدراك رقم (١١) في حكاية الطبري الإجماع على أن أهل الحرم ليسوا من المعنيين في قوله تعالى: ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام﴾ ..١٧٨

الاستدراك رقم (١٢) في المقصود بقوله تعالى: ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ ١٨٢

الاستدراك رقم (١٣) على من ذكر القلب في قوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ ١٨٩

الاستدراك رقم (١٤) في ما ذهب إليه الطبري في معنى الميسر من قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ ١٩٣

الاستدراك رقم (١٥) في معنى قراءة وإجماع ذكرهما الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ ١٩٨

الاستدراك رقم (١٦) في قول الطبري إنه لا عقدة بيد المطلق في قوله تعالى: ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ ٢٠٨

الاستدراك رقم (١٧) في استدراك الطبري على مجاهد في قوله تعالى: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله ﴾ ٢١٢

الاستدراك رقم (١٨) في نسبة الطبري القول بعدم النسخ إلى مجاهد في قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزوجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ ٢١٥

الاستدراك زقم (١٩) في نسبة الطبري إلى ابن زيد القول بوجوب متعة المطلقة في قوله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾............ ٢٢٢

الاستدراك رقم (٢٠) في حمل الطبري الشفاعة على الخصوص في قوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ ٢٢٧

الاستدراك رقم (٢١) في تناقض الطبري في معنى الكرسي – كما يقول ابن عطية – في قوله تعالى: ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض﴾ ٢٣١

الاستدراك رقم (٢٢) في إثبات الطبري صفة العلو في قوله تعالى: ﴿ وهو العلي العظيم﴾ ٢٣٩

الاستدراك رقم (٢٣) في ما نسبه ابن عطية للطبري أنه قال : بنسخ قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٤٥

الاستدراك رقم (٢٤) في عنوان ترجمة ذكرها الطبري تحت قوله تعالى: ﴿ أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾ ٢٤٨

الاستدراك رقم (٢٥) في معنى ذكره الطبري في قوله تعالى: ﴿ فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ٢٥٣

الاستدراك رقم (٢٦) في ترجيح الطبري نسبة الشك إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ ٢٦٠

الاستدراك رقم (٢٧) في ما ذهب إليه الطبري في زيادة الإيمان واليقن من قوله تعالى: ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ ٢٧٤

الاستدراك رقم (٢٨) في جعل الطبري قول الضحاك كقوله ، في قولـه تعـالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سـنابل في كـل سنبلة مئة حبة﴾..٢٨٠

الاستدراك رقم (٢٩) في الإحتجاج بمعنى الربوة في بيت من الشعر على معناها في قوله تعالى: ﴿كمثل جنة بربوة أصابهاوابل﴾.........................٢٨٣

الاستدراك رقم (٣٠) في ترجيح الطبري لتفسير السدي في قوله تعـالى: ﴿أيـود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾.........................٢٨٧

الاستدراك رقم (٣١) في قول الطبري: إنهم لا يسألون البتة في قوله تعـالى: ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً﴾....................................٢٩٣

الاستدراك رقم (٣٢) في ترجيح الطبري معنى قراءة على معنى قراءة في قوله تعالى: ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾....................٣٠٦

الاستدراك رقم (٣٣) في إدخال الطبري أقوال تحت ترجمة لا تناسـبها في قولـه تعالى: ﴿ وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾...................٣١٢

الاستدراك رقم (٣٤) في معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الـذين آمنـوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...﴾...............................٣١٥

الاستدراك رقم (٣٥) في عود الضمير في (وليه) من قوله تعالى: ﴿ فإن كان الّذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً ...﴾....................................٣٢٩

الاستدراك رقم (٣٦) في وجوب الإشهاد على البيع في قوله تعالى: ﴿ وأشـهدوا إذا تبايعتم ﴾...٣٣٩

الاستدراك رقم (٣٧) في موافقة الطبري على قول من قال : إن الإئتمان إنما يكون في السفر في قوله تعالى: ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ ٣٥٠

الاستدراك رقم (٣٨) في جعل النسيان بمعنى الترك والخطأ قصداً في قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ ٣٥٢

سورة آل عمران ٣٦٢

الاستدراك رقم (١) في معنى قوله تعالى : ﴿والقناطير المنقطرة ﴾ ٣٦٢

الاستدراك رقم (٢) في توجيه قراءة فتح الهمزة في قوله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ ٣٦٧

الاستدراك رقم (٣) في معنى الذرية في قوله تعالى: ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع ﴾ ٣٧٥

الاستدراك رقم (٤) في العامل في (إذ) من قوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ... ﴾.. ٣٧٨

الاستدراك رقم (٥) في إدخال الطبري قول لا يتناسب مع الترجمة في قوله تعالى: ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ ٣٨٦

الاستدراك رقم (٦) في توجيه قراءة في قوله تعالى: ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ ٣٨٨

الاستدراك رقم (٧) في توجيه قراءة فتح الهمزة من قوله تعالى: ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ...﴾ ٣٩٧

الاستدراك رقم (٨) في العامل في (إذ) من قوله تعالى: ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي...﴾ ٤٠٣

الاستدراك رقم (٩) في معنى العلم في قوله تعالى: ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ ٤٠٨

الاستدراك رقم (١٠) في معنى الضلال في قوله تعالى: ﴿ ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم... ﴾ ٤١٥

الاستدراك رقم (١١) في إعراب (ولا يأمركم) من قوله تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً... ﴾ ٤٢٠

الاستدراك رقم (١٢) في مرجع الضمير في (فيها) من قوله تعالى: ﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ ٤٢٦

الاستدراك رقم (١٣) في تمثيل أيه بآية في قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ... ﴾ ..٤٣٠

الاستدراك رقم (١٤) في فهم تفسير الضحاك في قوله تعالى: ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل... ﴾ .٤٣٣

الاستدراك رقم (١٥) في مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ٤٣٧

الاستدراك رقم (١٦) في اتصال قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ... ﴾ بما قبله ٤٤٠

الاستدراك رقم (١٧) في التفريق بين معنى قراءتي (القرح) من قوله تعالى : ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ ٤٤٥

سورة النساء............................ ٤٥٠

الاستدراك رقم (١) في معنى (هنيئاً) من قوله تعالى :﴿ هنيئاً مريئاً﴾ ٤٥٠

الاستدراك رقم (٢) في معنى (حسيباً) من قوله تعالى :﴿ وكفى بالله ...﴾ ٤٥٤

الاستدراك رقم (٣) في تفريق عود الضميرين في (فارزقوهم) من قوله تعالى :

﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ ٤٥٧

الاستدراك رقم (٤) في المقصود بـ (اللذان) من قوله تعالى :﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ ٤٦٣

الاستدراك رقم (٥) في نسبة قول ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ...﴾ ٤٦٩

الاستدراك رقم (٦) في إعراب (بعضكم) من قوله تعالى: ﴿ والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾ ٤٧١

الاستدراك رقم (٧) في معنى الهجر من قوله تعالى :﴿ واهجروهن في المضاجع﴾ ٤٨١

الاستدراك رقم (٨) في إعراب (إحساناً) من قوله تعالى: ﴿ ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...﴾ ٤٩٦

الاستدراك رقم (٩) في تفريق الأقوال وهي قول واحد في معنى قوله تعالى :﴿وابن السبيل﴾ ٥٠٠

الاستدراك رقم (١٠) في رد استدراك الطبري على مجاهد في قوله تعالى: ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس...﴾ ٥٠٣

الاستدراك رقم (١١) في جعله قوله تعالى :﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ مثل آية الكهف ٥٠٨

الاستدراك رقم (١٢) في معنى قوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ ٥١٣

الاستدراك رقم (١٣) في معنى (مقيتاً) من قوله تعالى :﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ ٥١٦

الاستدراك رقم (١٤) في نسبة الذنب إلى النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ ٥٢٢

الاستدراك رقم (١٥) في حمل الوعيد على الخصوص في قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين...﴾ ٥٢٨

الاستدراك رقم (١٦) في جعل قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ في أهل الكتاب.. ٥٣١

سورة المائدة ٥٣٧

الاستدراك رقم (١) في ما نسبه الطبري إلى ابن عباس في معنى (الهدي) من قوله تعالى : ﴿ولا الهدي ولا القلائد ﴾... ٥٣٧

الاستدراك رقم (٢) في إدخال الطبري تحت الترجمة ما لا يدخل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ ٥٤٠

الاستدراك رقم (٣) في معنى أصل (السحت) في قوله تعالى: ﴿سمَّاعون للكذب أكّالون للسحت ﴾... ٥٤٦

الاستدراك رقم (٤) في رد استدراك الطبري على مجاهد في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ ٥٥٠

الاستدراك رقم (٥) في تضعيف قراءة متجهة في قوله تعالى: ﴿وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾ ٥٥٧

الاستدراك رقم (٦) في التفريق بين الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا... ﴾ ٥٥٩

الاستدراك رقم (٧) في معنى الغيب في قوله تعالى: ﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب... ﴾ ٥٦٤

الاستدراك رقم (٨) في قول الطبري إن الشهادة بمعنى اليمين في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ ٥٦٦

الاستدراك رقم (٩) في معنى قوله تعالى: ﴿قالوا لا علم لنا ... ﴾ ٥٧٤

سورة الأنعام ٥٧٩

الاستدراك رقم (١) في معنى (جعل) في قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ ٥٧٩

الاستدراك رقم (٢) في معنى قوله تعالى :﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ ٥٨٣

الاستدراك رقم (٣) في معنى قوله تعالى :﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك... ﴾ ٥٨٨

الاستدراك رقم (٤) في تقدير فاعل (جاءك) في قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ ٥٩١

الاستدراك رقم (٥) في تفسير الخوف بالعلم في قوله تعالى: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم... ﴾ ٥٩٤

الاستدراك رقم (٦) في تفسير قوله تعالى :﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه... ﴾ بحديث رواه خباب........................ ٥٩٧

الاستدراك رقم (٧) في إدخال تفسير عن ابن جريج جاء في قوله تعالى: ﴿ قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم... ﴾ ٦٠٣

الاستدراك رقم (٨) في حمل قوله تعالى :﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحرتدعونه تضرعاً وخفية ... ﴾ على الخصوص ٦٠٥

الاستدراك رقم (٩) في لمن يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ ٦٠٨

الاستدراك رقم (١٠) في رد الطبري على بعض أهل المعاني في قوله تعالى: ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ ٦١٠

الاستدراك رقم (١١) في معنى الرد على العقب في قوله تعالى: ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا ... ﴾ ٦١٤

الاستدراك رقم (١٢) في معنى قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر... ﴾ ٦١٧

الاستدراك رقم (١٣) في الاستشهاد ببيت على معنى قوله تعالى :﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي... ﴾ ٦١٩

الاستدراك رقم (١٤) في توجيه قراءة الرفع الشاذة في قوله تعالى: ﴿ وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ﴾ ٦٢٤

الاستدراك رقم (١٥) في التفريق بين الرؤية والإدراك لقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار... ﴾ ٦٢٩

الاستدراك رقم (١٦) في معنى (كلمة ربك) من قوله تعالى :﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته...﴾ ٦٣٤

الاستدراك رقم (١٧) في إعراب صدقاً وعدلاً في قوله تعالى : ﴿ صدقاً وعدلاً ... ﴾ ٦٣٨

الاستدراك رقم (١٨) في المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه...﴾ ٦٤١

الاستدراك رقم (١٩) في حمل قوله تعالى :﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ...﴾ على الخصوص. ٦٤٤

سورة الأعراف ٦٤٨

الاستدراك رقم (١) في سبب الخيرية في قوله تعالى: ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾..٦٤٨

الاستدراك رقم (٢) في مقصود الحسن وابن سيرين في ما قالا تحت قوله تعالى : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ٦٥٢

الاستدراك رقم (٣) في آثار ذكرها الطبري في معنى قوله تعالى :﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ ٦٥٤

الاستدراك رقم (٤) في خص الطبري للزيادة في قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾......................٦٦٠

الاستدراك رقم (٥) في أصل المعنى لسحر في قوله تعالى: ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ ٦٦٣

الاستدراك رقم (٦) في لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ...﴾ ٦٦٦

الاستدراك رقم (٧) في معنى تأذن من قوله تعالى : ﴿وإذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ ٦٧١

الاستدراك رقم (٨) في المعطوف عليه في (ودرسوا) من قوله تعالى : ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ...﴾ ٦٧٥

الاستدراك رقم (٩) في انفصال (فتعال الله عما يشركون) في قوله تعالى :﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ ٦٧٩

سورة الأنفال ٦٨٨

الاستدراك رقم (١) في معنى (ذات) من قوله تعالى :﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ...﴾ ٦٨٨

الاستدراك رقم (٢) في العامل في (إذ) من قوله تعالى :﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ...﴾ ٦٩٣

الاستدراك رقم (٣) في مفرد (أساطير) من قوله تعالى : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ ٦٩٩

الاستدراك رقم (٤) في معنى (نكص) من قوله تعالى :﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ﴾ ٧٠٢

الاستدراك رقم (٥) في المقصود بـ(الآخرين) من قوله تعالى : ﴿ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ ٧٠٨

سورة التوبة ٧١٣

الاستدراك رقم (١) في ما ذهب إليه الطبري في تفسير قوله تعالى :

﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾.................... ٧١٣

الاستدراك رقم (٢) في إدخال الطبري قولاً لقتادة في تفسير قوله تعالى :﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ...) ٧١٩

الاستدراك رقم (٣) في إدخال الطبري لحديث تحت قوله تعالى : ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة...﴾ ٧٢٣

الاستدراك رقم (٤) في المقصود بالرسل في قوله تعالى :﴿ ألم يأهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم ﴾ ٧٢٦

الاستدراك رقم (٥) في معنى ذهب إليه الطبري في قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ...﴾ ٧٣٠

الاستدراك رقم (٦) في معنى جوزه الطبري في (الخالفين) من قوله تعالى :﴿ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ ٧٣٤

الاستدراك رقم (٧) في معنى رده الطبري في قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ...﴾ ٧٣٩

الاستدراك رقم (٨) في المقصود من قوله تعالى :﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.. ٧٤٤

الاستدراك رقم (٩) في معنى ذهب إليه الطبري في (يحيي ويميت) من قوله تعالى : ﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت﴾ ٧٤٦

الاستدراك رقم (١٠) في تضعيف الطبري لقول قوي في قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ ٧٤٨

سورة يونس ٧٥٤

الاستدراك رقم (١) في جعل قولين قولاً واحداً في قوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ ٧٥٤

الاستدراك رقم (٢) في توجيه (مثله) من قوله تعالى :﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله...﴾ ٧٥٥

الاستدراك رقم (٣) في معنى (أثم) من قوله تعالى:﴿أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به﴾ ٧٥٧

الاستدراك رقم (٤) في تخصيص الندامة في قوله تعالى :﴿ ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ ٧٦٠

الاستدراك رقم (٥) في مناسبة قوله تعالى : ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ...﴾ مع الآية التي قبلها ٧٦٢

الاستدراك رقم (٦) في لمن الأمر بالبشارة في قوله تعالى: ﴿ ... وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ ٧٦٤

الاستدراك رقم (٧) في معنى قوله تعالى :﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس...﴾ ٧٦٧

سورة هود ٧٧٣

الاستدراك رقم (١) في اعتراض قوله تعالى :﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي...﴾ في قصة نوح عليه السلام ٧٧٣

الاستدراك رقم (٢) في زمن السخرية من قوله تعالى :﴿ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ ٧٧٧

الاستدراك رقم (٣) في وقت منادة نوح لربه في قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾ ٧٨٠

الاستدراك رقم (٤) في إنشاد بيت من الشعر على معنى (سجيل) من قوله تعالى :﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ ٧٨٣

الاستدراك رقم (٥) في حمل قوله تعالى :﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل...﴾ على الخصوص.................................... ٧٨٧

الاستدراك رقم (٦) في معنى (بظلم) من قوله تعالى : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ ٧٩٤

سورة يوسف........................ ٨٠١

الاستدراك رقم (١) في استشهاد الطبري ببيت على (كذب) من قوله تعالى : ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب...﴾ ٨٠١

الاستدراك رقم (٢) في معنى (يعصرون) من قوله تعالى : ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ ٨٠٣

الاستدراك رقم (٣) في قوله تعالى :﴿ أيتها العير إنكم لسارقون﴾ هل كان بإذن يوسف ؟ ٨٠٩

سورة الرعد ٨١٢

الاستدراك رقم (١) في جمع (عمد) من قوله تعالى : ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ ٨١٢

الاستدراك رقم (٢) في معنى (استوى) من قوله تعالى :﴿ ثم استوى على العرش﴾ ٨١٥

الاستدراك رقم (٣) في معنى قوله تعالى :﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ...﴾ ٨١٩

الاستدراك رقم (٤) في قول الطبري إن (معقبة) جمع (معقب) من قوله تعالى :﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾.............................٨٢٣

سورة إبراهيم.........................٨٢٧

الاستدراك رقم (١) في تضعيف الطبري قول سفيان والحسن في معنى قوله تعالى : ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾.........................٨٢٧

الاستدراك رقم (٢) في معنى (ورائه) من قوله تعالى : ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد...﴾ ٨٣٠

سورة الحجر..........................٨٣٦

فيها استدراك واحد في مرجع الضمائر في قوله تعالى : ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ ٨٣٦

سورة النحل.........................٨٣٩

الاستدراك رقم (١) في حكم وإجماع في قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ ٨٣٩

الاستدراك رقم (٢) في معنى قوله تعالى :﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ ٨٤١

الاستدراك رقم (٣) في معنى (يعرشون) من قوله تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾................٨٤٣

الاستدراك رقم (٤) في مكان نزول قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾...............................٨٤٧

سورة الإسراء.........................٨٥١

الاستدراك رقم (١) في إيراد قصص عند قوله تعالى :



﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ إلى قوله ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً ﴾ ٨٥١

الاستدراك رقم (٢) في إعراب (ولا تقتلوا) من قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾...............................٨٥٣

الاستدراك رقم (٣) في إنشاد بيت على معنى في قوله تعالى :﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾...............................٨٥٦

الاستدراك رقم (٤) في معنى (عسى) في قوله تعالى: ﴿ قل عسى أن يكون قريباً﴾..٨٦٠

الاستدراك رقم (٥) في الأسلوب الّذي فسر به الطبري قوله تعالى :﴿ ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ...﴾...................................٨٦٢

الاستدراك رقم (٦) في معنىً قيل في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾...٨٦٥

الاستدراك رقم (٧) في (مسحوراً) من قوله تعالى :﴿ فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾...٨٧٥

الاستدراك رقم (٨) في مصدرية (لفيفاً) من قوله تعالى :﴿ جئنا بكم لفيفاً﴾٨٧٩

سورة الكهف........................٨٨١

الاستدراك رقم (١) في إعراب (أحصى - أمدا) من قوله تعالى :﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾..............................٨٨١

الاستدراك رقم (٢) في حكاية الطبري لقول غير صحيح في قوله تعالى :﴿ ولا تقولون لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله﴾ ٨٨٧

الاستدراك رقم (٣) في معنى (مرتفقا) من قوله تعالى :﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا

بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾.............. ٨٨٩
الاستدراك رقم (٤) في عدم بيان الطبري لما جاء عن أُبي في معنى قوله تعالى : ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ﴾........................... ٨٩٣
الاستدراك رقم (٥) في معنى (فخشينا) من قوله تعالى :﴿ ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾......................... ٨٩٧
الاستدراك رقم (٦) في رابط استنبطه الطبري في قوله تعالى: ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب...﴾................ ٩٠٢
الاستدراك رقم (٧) في أثر ذكره الطبري لتفسير قوله تعالى :﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾.................................. ٩٠٤
سورة مريم........................... ٩٠٨
الاستدراك رقم (١) في معنى (وسلام عليه) من قوله تعالى : ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾.............................. ٩٠٨
الاستدراك رقم (٢) في معنى (إني أخاف) من قوله تعالى :﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾............. ٩١١
الاستدراك رقم (٣) في الاحتجاج بأثر على معنى (بكيا) من قوله تعالى : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾................. ٩١٤
سورة طه............................. ٩١٧
الاستدراك رقم (١) في المقصود بـــ (أيُّنا) من قوله تعالى :﴿ ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾.. ٩١٧
الاستدراك رقم (٢) في جعل آدم مثالاً للكفار من قوله تعالى :﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزماً﴾....................... ٩٢٠



سورة الحج............................٩٢٤

الاستدراك رقم (١) في المقصود بالمولى والعشير من قوله تعالى :

﴿ لبئس المولى ولبئس العشير﴾ ٩٢٤

الاستدراك رقم (٢) في الاحتجاج ببيت قيل إن ما فيه مثل قوله تعالى :

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجـــوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ ٩٢٥

الاستدراك رقم (٣) في معنى ذكره الطبري عن مجاهد في قوله تعالى :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع...﴾ ٩٢٩

الاستدراك رقم (٤) في الإشارة بـــ (ذلكم) من قوله تعالى :

﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ...﴾ ٩٣٢

سورة المؤمنون............................٩٣٥

فيها استدراك واحد في معنى (في الأرض) من قوله تعالى:

﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾..............................٩٣٥

سورة النور ٩٤١

الاستدراك رقم (١) في أقوال غير ملخصة ولا مكملة في قوله تعالى:

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة...﴾ ٩٤١

الاستدراك رقم (٢) في معنى (تستأنسوا) من قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...﴾ ٩٤٤

سورة الفرقان ٩٥٠

فيها استدراك واحد في نوع الاستثناء في قوله تعالى:

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ ٩٥٠

سورة القصص ٩٥٣

الاستدراك رقم (١) في القسم في قوله تعالى:

﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ ٩٥٣

الاستدراك رقم (٢) في إعراب (ما) من قوله تعالى:

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة...﴾ ٩٥٧

سورة الروم ٩٧٢

فيها استدراك واحد في روايات قيلت في قوله تعالى: ﴿الم * غلبت الروم﴾ ٩٧٢

سورة لقمان ٩٧٧

الاستدراك رقم (١) في جعل الطبري قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه

حملته أمه وهناً على وهن...﴾ من وصية لقمان ٩٧٧

الاستدراك رقم (٢) في إنشاد بيت بغير ما رُوي عند قوله تعالى:

﴿ولا تصعّر خدك للناس﴾ ٩٨١

سورة السجدة ٩٨٦

فيها استدراك واحد في ترجيح معنى على قراءة إسكان لام (خلقه) من قوله تعالى:

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ ٩٨٦

سورة سبأ ٩٩٣

فيها استدراك واحد في عطف (يرى) من قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم

الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ ... ٩٩٣

سورة يس ٩٩٦

فيها استدراك واحد في معنى ذكره الطبري للحسرة من قوله تعالى:

﴿يا حسرة على العباد...﴾ ٩٩٦

سورة ص ٩٩٩

فيها استدراك واحد في معنى الخزائن من قوله تعالى:

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ ٩٩٩

سورة غافر ١٠٠٣

الاستدراك رقم (١) في عطف (وإذ يتحاجون) من قوله تعالى:

﴿وإذ يتحاجون في النار...﴾ ١٠٠٣

الاستدراك رقم (٢) في قول الطبري إن الأنعام تشمل الأزواج الثمانية في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ ١٠٠٧

سورة فصلت ١٠١٢

الاستدراك رقم (١) في تفريق الطبري للضمائر من قوله تعالى :

﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم...﴾ ١٠١٢

الاستدراك رقم (٢) في توجيه قراءتي (نحسات) من قوله تعالى :

﴿في أيام نحسات...﴾ ١٠١٧

سورة الدخان ١٠٢١

فيها استدراك واحد في معنى (إلاَّ) من قوله تعالى :

﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ ١٠٢١

سورة الجاثية ١٠٣٤

فيها استدراك واحد في معنى الويل من قوله تعالى:﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾١٠٣٤

سورة الفتح ١٠٣٩

الاستدراك رقم (١) في الربط بين قوله تعالى : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾ وما جاء في سورة النصر من الأمر بالتسبيح . ١٠٣٩

الاستدراك رقم (٢) في معنى قوله تعالى :
﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم... ﴾ ١٠٤٦
سورة ق ١٠٥٢
الاستدراك رقم (١) في معنى قراءة شاذة في قوله تعالى:
﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ ١٠٥٢
الاستدراك رقم (٢) في تعيين المزيد في قوله تعالى:
﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ ١٠٥٤
سورة الذاريات ١٠٦٠
فيها استدراك واحد في معنى الويل من قوله تعالى :
﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ ١٠٦٠
سورة النجم ١٠٦٧
الاستدراك رقم (١) في مرجع ضمير (فاستوى) من قوله تعالى :
﴿...فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾ ١٠٦٧
الاستدراك رقم (٢) في المقصود بالإنسان في قوله تعالى :
﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ ١٠٧٩
الاستدراك رقم (٣) في جعل عاد أولى وثانية من قوله تعالى :
﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ ١٠٨٣
سورة الحديد ١٠٩٤
فيها استدراك واحد في معنى قوله تعالى : ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ ١٠٩٤

سورة الجن ١٠٩٨

فيها استدراك واحد في قراءة نسبها الطبري لأبي عمرو، عند قوله تعالى :

﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن...﴾ ١٠٩٨

سورة الإنسان ١١٠٢

فيها استدراك واحد في معنى (أَسْر) ونسبة الطبري إيَّاه للعامة عند قوله تعالى:

﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم...﴾ ١١٠٢

سورة الليل ١١٠٥

فيها استدراك واحد في معنىً ذكره الطبري بأسلوب لم يعجب ابن عطية

عند قوله تعالى : ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ ١١٠٥

الخاتمة : أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث ١١١٣

الفهارس.. ١١٢٠

فهرس آيات القرآن الكريم ١١٢٢

٢ـ فهرس الأحاديث الشريفة.................................... ١١٦٣

٣ـ فهرس الآثار ١١٦٦

٤ـ فهرس الأشعار ١١٧٧

٥ـ فهرس الأعلام... ١١٢٢

٦ـ فهرس المصادر والمراجع ١٢٢٣

٧ـ فهرس الموضوعات.. ١٢٥٤